

تاريخ الخلفاء

تأليف
الإمام الحافظ
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
رحمة الله تعالى
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

الطبعة الفريدة التي اعتمدت على ست نسخ خطية
أُنتجت منها ثلثان من نسخة تلميذ الإمام السيوطي

من مطبوعات
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بمقر الوزارة لعامة الأوقاف
دولة قطر



تاريخ الخلفاء

تأليف

تأليف

الإمام الحافظ

جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

رحمة الله تعالى

(١٤٩ - ٩١١ هـ)

تُرِفَتْ بِمُحَمَّدَ وَالْعَنَاءِ بِهِ

اللجنة العلمية بمركز دار المنهج للدراسات والتحقيق العلمي

بإشراف

محمد غسان نضوح عرفول الحسيني

من مطبوعات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بمقر الوزارة العامة للوقاية

دولة قطر

الطبعة الثانية
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م
مصححة ومنقحة
جميع الحقوق محفوظة للناسر

عدد الأجزاء: (١)
عدد المجلدات: (١)
نوع الورق: شاموا
نوع التجلید: مجلد فني
عدد الصفحات: (٨٦٤ صفحة)
عدد ألوان الطباعة: لوان

اسم الكتاب: تاريخ الخلفاء
المؤلف: الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)
الإعداد: مركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي
موضوع الكتاب: تاريخ
مقاس الكتاب: (٢٤ سم)
تصنيف ديوي الموضوعي: (٩٥٣)

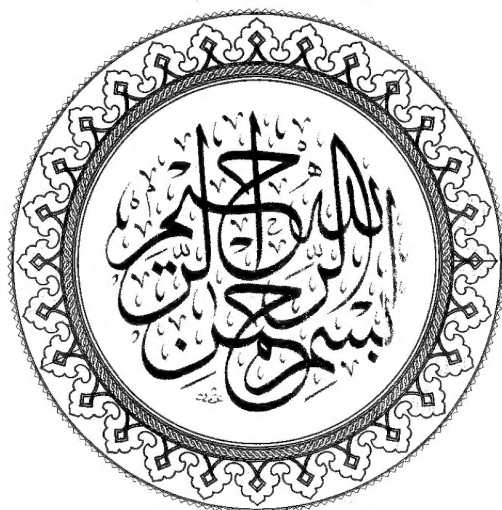
التصميم والإخراج: مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناسر .



9 78 9953 498 19 5

الرقم المعياري الدولي
ISBN: 978 - 9953 - 498 - 19 - 5





دار المنهج

لبنان - بيروت - فاكس : 786230

دار المنهج للنشر والتوزيع

لصاحبها عمّ سئالم بأجّخيف
وفقّه الله تعالى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص . ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، والصلاة والسلام على أشرف خلقه ، وخاتم رسله ، وبعد :

فإن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر - وقد وفقها الله لأن تضربَ سهم في نشر الكتب النافعة للأمة - لتحمّد الله سبحانه وتعالى على أن ما أصدرته قد نال الرضا والقبول من أهل العلم .

والمتابع لحركة النشر العلمي لا يخفى عليه جهود دولة قطر في خدمة العلوم الشرعية ، ورغد المكتبة الإسلامية بنفائس الكتب القديمة والمعاصرة ؛ وذلك منذ ما يزيد على ستة عقود ، وقد جاء مشروع إحياء التراث الإسلامي والنشر العلمي الذي بدأت الوزارة منذ عدة سنوات امتداداً لتلك الجهود ، وسيراً على تلك المحجة التي عرفت بها دولة قطر .

ومنذ انطلاقة هذا المشروع المبارك يسّر الله جلّ وعلا للوزارة إخراج مجموعة من أمهات كتب العلم في فنون مختلفة معظمها يُطبع لأول مرة ؛ كتفسير العليمي « فتح الرحمن في تفسير القرآن » ، و« مرسوم المصحف » للعُقيلي ، و« الدرّة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة » لأبي بكر عبد الغني المشتهر بالليبي ، و« معاني الأحرف السبعة » لأبي الفضل عبد الرحمن بن أحمد بن الحسن الرازي ، تحقيق الدكتور حسن ضياء الدين عتر ، و« حاشية مسند الإمام أحمد » للسندي ، و« شرحين لموطأ الإمام مالك » - لكلّ من القنازعي والبوني ، و« شرح مسند الإمام الشافعي » للرافعي ، و« نخب الأفكار شرح معاني الآثار » للبدر العيني ، و« مصابيح الجامع » للقاضي بدر الدين الدّمّاميني ، و« التقاسيم والأنواع » للإمام ابن حبان .

إضافة إلى « صحيح الإمام ابن خزيمة » بتحقيقه الجديد المتقن ، ومثله كتاب « السنن الكبرى » للإمام النسائي المحقّق على عدة نسخ خطية ، و« المخلصيات »

لأبي طاهر المخلص ، و« مطالع الأنوار » لابن قرقول ، و« نهاية المطلب في دراية المذهب » للإمام الجويني ، بتحقيقه المتقن للأستاذ الدكتور عبد العظيم الديب رحمه الله تعالى عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي ، و« الأوسط من السنن والإجماع والاختلاف » للإمام ابن المنذر بمراجعة دقيقة للشيخ الدكتور عبد الله الفقيه عضو لجنة إحياء التراث الإسلامي أيضاً ، و« التبصرة » للإمام اللخمي « حاشية الخلوتي » في الفقه الحنبلي .

ومؤخراً كتاب « الأصل » لمحمد بن الحسن الشيباني ، كاملاً محققاً على أصول عدة .

وفي الطريق إصدارات أخرى مهمة تمثل الفقه الإسلامي في عهده الأولي .

كما طبعت الوزارة لأول مرة كتاب « جامع الآثار في السير ومولد المختار » لابن ناصر الدين الدمشقي ، و« الوجيز في السيرة » و« عصر السيرة » كلاهما للدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله .

وفي معتقد أهل السنة والجماعة على مذهب السلف الصالح أصدرت الوزارة كتاباً نفيساً لطيفاً وهو : « الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد » لابن العطار تلميذ الإمام النووي رحمهما الله تعالى .

هذا في جانب ما يُنشر لأول مرة من كتب التراث .

أما في الدراسات والتأليف المعاصرة : فقد نشرت الوزارة مجموعة متميزة من الرسائل العلمية وغيرها ؛ منها : « القيمة الاقتصادية للزمن » ، و« نوازل الإنجاب » ، و« الأحكام المتعلقة بالتدخين » ، وغيرها .

وفي الطريق - بإذن الله تعالى - ما تقر به عيون الباحثين من دراسات معاصرة في القرآن والسنة ، والنوازل بأنواعها المختلفة .

واليوم يسر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية أن تقدم للقارئ الكريم طبعتها الخاصة والمنقحة من كتاب « تاريخ الخلفاء » للسيوطي .

ومن محاسن هذا الكتاب أنه ذكر الخلفاء جميعاً بترتيب حسن ، أساسه ذكر الخليفة لا العام ، وعلى الرغم من الإيجاز الشديد أحياناً والاقتصار على القليل من الأخبار التاريخية لكثير من الخلفاء . . إلا أنه يقدم تصوراً مجملًا عما تولى أمور المسلمين حتى أوائل القرن العاشر .

وقد ساق فيه المصنف الأخبار النادرة عن كل خليفة بما يوفر للقارئ معلومات تقوده إلى المصادر المفصلة عنهم .

ومن مزاياه : أن المصنف بسط فيه تاريخ الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم ، وساق طرفاً من فضائلهم ومناقبهم ، مما هو قذّي في عيون مبغضيههم ، وبرد وسلام على محبيهم ، فهم خلفاء الرسول صلى الله عليه وسلم ووزرائه وأصفياءه ؛ حبهم إيمان ، وبغضهم نفاق .

ومن ميزات الكتاب : أن المؤلف كان موسوعي الثقافة ، لديه قدرة على فرز الأخبار المغرضة والتنبيه عليها ، وقد فعل هذا في كثير من روايات الكتاب ، وما فات المؤلف أتى عليه التحقيق ، فزاد ذلك من قيمته ، وكيفيه أنه بمثابة مختصر نفيس لكتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الذهبي ، بعد أن زاد عليه السيوطي ونقحه وهذبه .

نسأل الله جل وعلا أن ينفع بهذا العمل ، وأن يزيدنا من فضله وتوفيقه

إدارة الشؤون الإسلامية

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ
مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا
عِبَادِي الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا
لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، حمد الذاكرين الشاكرين ، وأصلي أفضل صلاة وأسلم أتم تسليم على سيد الخلق أجمعين محمد بن عبد الله ، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحابه وأتباعهم أجمعين .

وبعد :

فإن العلم خير ما عني به الإنسان ؛ ففيه قوام الدين والدنيا ، وقد حثنا الله تعالى على العلم حيث قال : ﴿ فَأَعْلَمَنَّ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .

فالعلم خير ما صرفت فيه الأوقات ، وتوجهت إليه الرغبات .

وفن التاريخ من خير ما صرفت إليه الهمم ، وكتب به القلم ؛ إذ به تُعرف أحوال السابقين ، وتلمح أفكار النابغين ، ويميز بين الغث والسمين .

ومن يعي التاريخ في صدره أضاف أعماراً إلى عمره فهو علم ينور البصيرة ، ويضيء السريرة ، ويضع الناظر فيه في مواقف الاعتبار .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ .

ومن جملة فنونه : معرفة أحوال السلاطين والأمراء ، وبيان ارتباط العامة بالعلماء .

وإن هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، الموسوم بـ « تاريخ الخلفاء » للإمام الجلال السيوطي . . لهو سفر يبحث في أخبار الخلفاء السابقين ، وأحوال الملوك والوزراء والسلاطين .

فهو كتاب جليل القدر ، عميم النفع ، مختصر العبارة ، جميل الإشارة ، نظم فيه مؤلفه رحمه الله تعالى سير الخلفاء والأمراء ، منذ أن انقضى عهد النبوة إلى عصره .

انتهج فيه مسلكاً بديعاً أنيقاً ، أتى فيه بزبدة كتب التواريخ ، وعلى الأخص كتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الذهبي رحمه الله تعالى ، الذي كان عمدته في تصنيفه .

ثم ضم إليه من غيره شوارد كانت أغفلت في ذاك الكتاب .

ثم بعد انقضاء زمن الذهبي رحمه الله تعالى - وكان قد أتى على ما فيه . . .
عول على غيره من الكتب المعتبرة ؛ التي وضعت من قبل علماء أفذاذ محدثين ،
لهم الباع الطويل في نقد الأخبار والتواريخ ؛ كأمثال ابن كثير وابن حجر وابن
فضل الله رحمهم الله تعالى أجمعين .

إلى أن وصل في تاريخه إلى عصره . . فانبرى هو لاستقراء الحوادث في
عصره ، فذكر أحداثاً هامة تنير فكر القارىء ، وتظهر له ملامح ذلك العصر .

ثم إن إمامنا السيوطي رحمه الله تعالى رتب تحت كل ترجمة أحداث تلك
الحقبة من الزمان ، ثم ختم هذه الترجمة بذكر الذين ماتوا في تلك الفترة ؛ تمييزاً
للفائدة ، واقتداء بأستاذه الذهبي رحمهما الله تعالى .

تعريف التاريخ

التاريخ لغةً : الإعلام بالوقت ، يقال : أرخت الكتاب وورخته ؛ أي : بينت
وقت كتابته .

واصطلاحاً : التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال : من مولد الرواة
والأئمة ، ووفاة وصحة ، وعقل وبدن ، ورحلة وحج ، وحفظ وضبط ، وتوثيق
وتجريح ، وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم ؛ في ابتدائهم وحالهم
واستقبالهم .

ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة : من ظهور ملمة ، وتجديد
فرض وخليفة ووزير ، وغزوة وملحمة وحرب ، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب
عليه ، وانتقال دولة .

وربما يتوسع فيه : لبدء الخلق ، وقصص الأنبياء ، وغير ذلك من أمور الأمم الماضية ، وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي .

أو دونها : كبناء جامع ، أو مدرسة ، أو قنطرة ، أو رصيف ، أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد .

أو خفي سماوي : كجراد ، وكسوف وخسوف ، أو أرضي : كزلزلة وحريق ، وسيل وطفوفان ، وقحط ، وطاعون ، وموتان وغيرها من الآيات العظام ، والعجائب الجسام .

والحاصل : أنه فن يُبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت ، بل عما كان في العالم^(١) .

وأما موضوعه : فالإنسان والزمان .

ومسائله : أحوالهما المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة الموجودة للإنسان ، وفي الزمان^(٢) .

وأما فائدته : فهي كثيرة لا تنحصر ، ولكنها متشعبة من فهمنا لمفهوم التاريخ ؛ فمن فوائده وهي أجلها :

- معرفة الأمور على وجهها ، ومحاولة الوصول إلى الحقائق التاريخية السابقة على أسس علمية دقيقة .

- ومعرفة الناسخ من المنسوخ عند التعارض .

- وأنه إذا ذكرت سيرة حازم ووصفت عاقبة حاله .. أفادت حسن التدبير واستعمال الحزم ، أو سيرة مفرط ووصفت عاقبته .. أفادت الخوف من التفريط ؛ فيتأدب المتسلط ، ويعتبر المتذكر ، ويتضمن ذلك شحذ صوارم العقول ، ويكون روضة للمتنزه في المنقول .

- ويطلع بذلك على عجائب الأمور ، وتقلبات الزمن ، وتصاريف القدر ، وسماع الأخبار .

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧) .

- وأن التواريخ وذكر السير راحة القلب ، وجلاء الهم ، وتنبية للعقل ؛ فإنه إن ذكرت عجائب المخلوقات .. دلت على عظمة الصانع ، وإن وصفت أحوال ظريف .. أوجبت التعجب من الأقدار ، والتنزه فيما يشبه الأسمار^(١) .

منافع التاريخ الدنيوية والأخروية

- وذكر ابن الأثير في كتابه « الكامل في التاريخ » : (أن التاريخ له منافع دنيوية وأخروية :
فأما الدنيوية :

فمنها : أن الإنسان يحب البقاء ، ويؤثر أن يكون في زمرة الأحياء ، فيا ليت شعري ؛ أي فرق بين ما رآه أمس أو سمعه ، وبين ما قرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين ، وحوادث المتقدمين ؟ ! فإذا طالعها .. فكأنه عاصرهم ، وإذا علمها .. فكأنه حاضرهم .

ومنها : أن الملوك ومن إليهم الأمر والنهي إذا وقفوا على ما فيها من سيرة أهل الجور والعدوان ، ورأوا مدونة في الكتب يتناقلها الناس ، فيرونها خلف عن سلف ، ونظروا إلى ما أعقبت من سوء الذكر ، وقبيح الأحداث ، وخراب البلاد ، وهلاك العباد ، وذهاب الأموال ، وفساد الأحوال .. استقبحوها ، وأعرضوا عنها ، واطرحوها .

وإذا رأوا سيرة الولاة العادلين ، وحسنها ، وما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم ، وأن بلادهم وممالكهم عمرت ، وأموالها درت .. استحسنا ذلك ، ورغبوا فيه ، وثابروا عليه ، وتركوا ما ينافيه ، هذا سوى ما يحصل لهم من معرفة الآراء الصائبة التي دفعوا بها مضرات الأعداء ، وخلصوا بها من المهالك ، واستصانوا نفائس المدن وعظيم الممالك ، ولو لم يكن فيها غير هذا .. لكفى به فخراً .

ومنها : ما يحصل للإنسان من التجارب ، والمعرفة بالحوادث ، وما تصير إليه عواقبها ؛ فإنه لا يحدث أمر إلا قد تقدم هو أو نظيره ؛ فيزداد بذلك عقلاً ،

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧ ، ٢١) .

ويصبح لأن يقتدئ به أهلاً ، ولقد أحسن القائل حيث يقول :

رأيت العقل عقليْن فمطبوع ومسموع
ولا ينفع مسموع إذا لم يك مطبوع
كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع

يعني بالمطبوع : العقل الغريزي الذي خلقه الله تعالى للإنسان ،
وبالمسموع : ما يزداد به العقل الغريزي من التجربة ، وجعله عقلاً ثانياً توسعاً
وتعظيماً له ، وإلا . . فهو زيادة في عقله الأول .

ومنها : ما يتجمل به الإنسان في المجالس والمحافل من ذكر شيء من
معارفها ، ونقل طريفة من طرائفها ، فترى الأسماع مصغية إليه ، والوجوه مقبلة
عليه ، والقلوب متأملة ما يورده ويصدره ، مستحسنة ما يذكره .

وأما الأخروية :

فمنها : أن العاقل اللبيب إذا تفكر فيها ، ورأى تقلب الدنيا بأهلها ، وتتابع
نكباتها إلى أعيان قاطنيها ، وأنها سلبت نفوسهم وذخائرهم ، وأعدمت
أصاغرهم وأكابرهم ، فلم تبق على جليل ولا حقير ، ولم يسلم من نكدها غني
ولا فقير . . زهد فيها ، وأعرض عنها ، وأقبل على التزود للآخرة منها ، ورغب
في دار تنزهت عن هذه الخصائص ، وسلم أهلها من هذه النقائص .

ومنها : التخلق بالصبر والتأسي ، وهما من محاسن الأخلاق ؛ فإن العاقل إذا
رأى أن مصاب الدنيا لم يسلم منه نبي مكرم ، ولا ملك معظم ، بل ولا أحد من
البشر . . علم أنه يصيبه ما أصابهم ، وينوبه ما نابهم ^(١) .

فضل علم التاريخ وما قال فيه المؤرخون

إن علم التاريخ يعد صلة الوصل بين الماضي والحاضر ، وبين اليوم
والمستقبل .

(١) الكامل في التاريخ (١/٩ - ١١) .

فالدنيا كدولاب يدور ، فما كان أمس . . فهو اليوم حاضر ، وما كان اليوم . . فهو غداً ، والعاقل من اتعظ بغيره .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عَذْرَ لَأُولَى الْأَلْبَابِ ﴾ .

وهذا العلم يفسح العنان لخيالك ؛ كي يسبح في أفق الماضي البعيد ، فإذا هو متجسد بين يديك ، وكأنك تجالس أعلامه ، وتذاكر أيامه وساعاته ؛ ولهذا تداولته الأمم : أمة بعد أمة ، وجيلاً بعد جيل .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى مادحاً علم التاريخ : (أما بعد : فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال ، وتشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال ؛ إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتُطَرَّف بها الأندية إذا غصها الاحتفال .

وتؤدي لنا شأن الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال ، وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ؛ فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد في علومها وخليق)^(١) .

بهذا صدر العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى كتابه ، وناهيك به وصفاً عريقاً لهذا العلم ؛ فهو الخبير الخريت فيه ، وهو صاحب دراية فيه وتعمق ، وفصائل التاريخ جمة كثيرة لا تكاد تحصى .

ومن المناسب هنا : أن نذكر جملاً من أقوال جهابذة العلماء الذين تصدوا للتأليف فيه ، أو الكلام عليه ؛ فإن فيها نفعاً لا يدركه إلا من عاينه .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى : (اعلم : أن فن التاريخ فن عزيز

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٣-٤) .

المذهب ، جم الفوائد ، شريف الغاية ؛ إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، والأنبياء في سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ؛ حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا ^(١) .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه : (من حفظه - أي : التاريخ - . . زاد عقله) ^(٢) .

وقال الجندي رحمه الله تعالى : (قص الله تعالى في كتابه المبين ، كثيراً من أخبار الأمم الماضين ؛ كقوم نوح وهود ، وكمدين وثمود ، وما حكاه عن موسى وهارون ، وفرعون وقارون ، وعن أصحاب الكهف والرقيم ، وعن النمرود وإبراهيم ، وقال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِكَ بِهٖ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، وكفى بهذا دليلاً على جلالة علم التاريخ وفضله ، وفخامة قدر صاحبه ونبله) ^(٣) .

وقال سبط ابن الجوزي رحمه الله تعالى : (إن الفطر السليمة ، والفكر المستقيمة . . تستشرف إلى معرفة البدايات ، وتشرئب إلى إدراك المناسبات .

وَمَنْ تدبر مجاري الأقدار ، ومبادئ الليل والنهار . . صار كأنه عاصر تلك العصور ، وباشر تلك الأمور ، وإليه وقعت الإشارة الإلهية ، والأمانة الربانية ، إلى سيد الأولين والآخرين ، بقوله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَحْنُ بِكَ بِهٖ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

وقال سبحانه في كتابه المجيد : ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ في آيات كثيرة وآيات عزيزة .

فالله تعالى مَنْ عَلَى نبيه عليه الصلاة والسلام ؛ بما قص عليه من أخبار الأمم في سالف الدهور والأعوام ^(٤) .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٩) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٥) .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ١٦) .

(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٢٥-٢٦) .

وقال السخاوي رحمه الله تعالى : ومن أحسن ما بلغني من الشعر في مدحه قول القاضي الأَرْجاني^(١) :

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره إذا كان قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالماً حليماً كريماً فاغتنم أطول العمر

وقال الإمام النووي رحمه الله تعالى : (إن معرفة الإنسان بأحوال العلماء .. رفعة وزين ، وإن جهل طلبة العلم وأهله بهم .. لوصمة وشين ، ولقد علمت الأيقاظ أن العلم بذلك جم المصالح والمراشد ، وأن الجهل به إحدى جوارب المناقص والمفاسد .. وفي المعرفة بهم معرفة من هو أحق بالافتداء ، وأحرى بالافتداء)^(٢) .

وكفى بهؤلاء العلماء شهوداً ، ولو أردنا أن نسوق باقي الأقوال .. لطال بنا الكلام .

من هو المتأهل لكتابة التاريخ ؟

لقد ذكر العلماء رحمهم الله تعالى شروطاً يجب توافرها فيمن كتب في هذا الفن ؛ فإن من حاد عنها . وقع في الزلل والغلط ، وقد ألمح العلامة ابن خلدون إلى بعضها ، ثم تمم بعده الإمام السخاوي هذا البحث في كتابه العظيم « الإعلان بالتوبيخ » .

ولنبداً بما ذكره العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى ؛ حيث غرض بعض الأخطاء التي يقع فيها من ليس له أدنى علم وفهم بالتاريخ ، فقال : (فقد زلت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء ، وعلقت أفكارهم ، ونقلها عنهم الكافة ؛ من ضعفة النظر ، والغفلة عن القياس ، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية ، واندرجت في محفوظاتهم ؛

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٤٥) .

(٢) طبقات الفقهاء الشافعية (٧٤/١ - ٧٥) .

حتى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً ، وناظره مرتبكاً ، وعد من مناحي العامة .

فإذاً ؛ يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة ، وطبائع الموجودات ، واختلاف الأمم والبقاع والأعصار ، في السير والأخلاق والعوائد ، والنحل والمذاهب ، وسائر الأحوال ، والإحاطة بالحاضر من ذلك ، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق ، أو بون ما بينهما من الخلاف ، وتعليل المتفق منها والمختلف ، والقيام على أصول الدول والملل ، ومبادئ ظهورها ، وأسباب حدوثها ، ودواعي كونها ، وأحوال القائمين بها وأخبارهم ؛ حتى يكون مستوعباً لأسباب كل خبره .

وحينئذ يعرض خبر المنقول ، على ما عنده من القواعد والأصول ؛ فإن وافقها وجرى على مقتضاها . . كان صحيحاً ، وإلا . . زيفه واستغنى عنه (١) .

شروط المؤرخ

ولقد عقد الإمام السخاوي رحمه الله تعالى فصلاً خاصاً بشروط المؤرخ فقال : وأما شرط المعنني به :

١ - فالعدالة مع الضبط التام الناشئ عنه مزيد الإتيان والتحري ، ولا سيما فيما يراه في كلام كثير من جهلة المعتنين بسير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (٢) .

وقد قال الخطيب رحمه الله تعالى في « جامع » : ويجمعون - أي : أهل الحديث - أيضاً : ما روي عن سلف المسلمين ، من أخبار الأمم المتقدمين ، وأقاصيص الأنبياء ، وسير الأولياء ، والذي نستحبه : ألا يتعرض لجمع شيء من ذلك إلا بعد الفراغ من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم ساق عن ابن عياش القطان : قلت لأحمد : أشتهي أن أجمع حديث الأنبياء ؟ فقال لي : حتى تفرغ من حديث نبينا صلى الله عليه وسلم (٣) .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٨) .

(٢) الإعلان بالتاريخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٣) .

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/٤٦٤-٤٦٥) .

كذا صرح هو وغيره : بأنه ينبغي التحرز فيما يكتب من أخبار الأوائل والكتب القديمة ، وما يكون من الحوادث والملاحم ؛ لتردد الأمر فيها بين تجويز الإبطال أو الجزم ؛ كـ « الكتاب » المنسوب لدانيال ، بل ليس يصح في ذكر الملاحم المرتقبة والفتن المسطرة . . إلا اليسير مما اتصل بنا أسانيده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم .

وبالجملة : فأكثر ذلك إلى الوهاء أقرب^(١) .

٢- أن يكون المؤرخ ذا دين وصلاح وخير ، غير مداهن ومداح بعيدٍ عن الورع ؛ كما قال الذهبي رحمه الله تعالى : (قوم أعرض أهل الجرح والتعديل عن كشف حالهم ؛ خوفاً من السيف والضرب ، وما زال هذا في كل دولة قائمة ، يصف المؤرخ محاسنها ، ويغضي عن مساوئها .

هذا إذا كان المؤرخ ذا دين وخير ، فإن كان مداحاً مداهناً . . لم يلتفت إلى الورع ، بل ربما أخرج مساوئ الكبير وهناته في هيئة المدح والمكارم والعظمة ، فلا قوة إلا بالله)^(٢) .

قال السخاوي : (بل ربما يُخفي من ترجمته ما يظهر خلافه ، ولا يسمح بترجمته بعد موته بما ترجمه به في حياته)^(٣) .

٣- أن يكون ذكياً ، متحريراً لألفاظه مع أقرانه ، ومورياً بالصريح إلى إشاراته ، وذلك بعداً من وقوع البغضاء بين القرناء^(٤) .

٤- أن يكون عالماً بطريق النقل ؛ حتى لا يجزم إلا بما يتحققه .

فإن لم يحصل له مستند معتمد في الرواية . . لم يجز له النقل ، ولا يكتفي بالنقل الشائع ؛ خصوصاً إن ترتبت على ذلك مفسدة من الطعن في حق أحد من أهل العلم والصلاح .

(١) الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ (ص ٦٣-٦٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤١٢/٨) .

(٣) الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ (ص ٦٦-٦٧) .

(٤) الإعلان بالتبويب لمن ذم التاريخ (ص ٦٧) .

بل إن كان في الواقعة أمر قادح في حق المستور . . فينبغي له : ألا يبالغ في إفشائه ، ويكتفي بالإشارة ؛ لئلا يكون المذكور وقعت منه فلتة ، فإذا ضبطت عليه . . لزمه عارها أبداً .

٥ - عدم التعرض لما قد يقع من العالم في مستقبل العمر والتشهير به ، ويكون في مستدبر العمر قد رجع عنها ؛ كما قال السخاوي رحمه الله تعالى : (وكذا يتجنب التعرض للوقائع المنقصة الصادرة في شبوية من صيره الله تعالى بعد ذلك مقتدىً به ، فمن ذا سلم ؟! وإنما الاعتبار بحاله الآن ، وما أحسن قول سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى : إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذي فضل - يعني : غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - . . إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه ، فمن كان فضله أكثر من نقصه . . وهب نقصه لفضله)^(١) .

٦ - أن يكون عارفاً بمقادير الناس ، وبأحوالهم ، وبمنازلهم ، فلا يرفع الوضيع ، ولا يضع الرفيع^(٢) .

٧ - أن يكون عالماً بمراتب العلوم ، ولا سيما الفروع والأصول ، ويفهم الألفاظ ومواقعها ؛ خوفاً من إطلاق ألفاظ لا تليق بالترجمين ، فيحصل التعرض له بالتنقيص والتعزير الذي يشين^(٣) .

٨ - أن يكون ورعاً تقياً ؛ بحيث لا يأخذ بالتوهم والقرائن التي تختلف ؛ خوفاً من الدخول في قوله صلى الله عليه وسلم : « إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث »^(٤) ، ومتى لم يكن ورعاً مع كونه معروفاً بالعلم . . اشتد البلاء به ، بخلاف العكس ؛ فالورع والتقوى يحجزه ، ويوجب له الفحص والاجتهاد وترك المجازفة^(٥) .

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٦٩ - ٧٠) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٠) .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري (٥١٤٣) ، ومسلم (٢٥٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧١ - ٧٢) .

٩- ألا يطيل الترجمة إلا بالقدر الذي يحتاج إليه .

قال السخاوي رحمه الله تعالى : (فرب محتاط لنفسه لا يذكر إلا ما وجدته منقولاً ، ولكنه يأتي إلى من يبغضه : فينقل جميع ما ذكر من مذامه ، ويحذف كثيراً مما يراه من ممدحه ، ويعكس الحال فيمن يحبه ، ويظن المسكين أنه لم يأت بذنب ؛ فإنه لا يجب عليه تطويل ترجمة أحد ، ولا استيفاء ما ذكر من ممدحه ، ولا يظن المغتر أن تقصيره لترجمته بهذه النية استزراء به ، وخيانة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين في تأدية ما قيل في حقه من حمد وذم)^(١) .

وقال رحمه الله تعالى أيضاً : (قال التقي المقرئ : العلم في الجملة على قسمين : عقلي ونقلي ، فينبغي أن يتفرغ المرء بعد إتقان ما يجب معرفته منهما لمطالعة التاريخ وتدبر مواعظه ؛ فإنه يحصل بتدبره لمن أزال الله تعالى أكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة العلم بما صار إليه أبناء جنسه من الفناء والبيود ، بعد التخلو في الأموال والجنود ، فيخطيء بالعزوف عن الدنيا ، والرغبة في الآخرة)^(٢) .

أخطاء المؤرخين

ومما سبق يتبين لنا : أن الإطالة والإسهاب في المواضيع التاريخية ، وعدم التثبت والتحقيق في جمع الروايات . . يولد مؤرخاً مقلداً ، بل مقلداً سيئاً ، فكأنه حاطب ليل لا يدري من أين يأخذ ، ولا أين يضع .

وقد ذكر العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى بعض تلك المآخذ التي قد يخطيء فيها المؤرخ فقال : (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع ؛ لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ، ولم يعرضوها على أصولها ، ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ؛

(١) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٧٤) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٣٥) .

فضّلوا عن الحق ، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات ؛ إذ هي مظنة الكذب ، ومطية الهذر ، ولا بد من ردها إلى الأصول ، وعرضها على القواعد^(١) .

الإمام السيوطي وكتابه « تاريخ الخلفاء »

عُلمَ من المقالة السابقة للعلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى ، وبالنظر إلى سيرة الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه « تاريخ الخلفاء » أنه مؤرخ ، حاذق ، عالم ، قد كان له قَصَبُ السبق مع تأخر زمانه ، فكان مثلاً للمؤرخ المثبت ، وعالماً عارفاً بأحواله ، مطلعاً على كل زمان ، وبالأخص أحوال زمانه .

فقد رام رحمه الله تعالى الاختصار في تراجمه للخلفاء ، ولم يأت فيها إلا بالمهم المفيد لمن أراد التعرف على صاحب الترجمة .

ومن خلال تتبع نص « تاريخ الخلفاء » مع أصله « تاريخ الإسلام » .. نجد أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى قد ابتعد عن كل ما فيه إشكال أو اختلاف من أعداد ونحوها مما نبه عليه العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى كما سبق .

وقد جرد الإمام السيوطي رحمه الله تعالى كتابه من الاختلافات حول ما يدور في تراجم بعض الخلفاء ؛ كالخلاف الواقع في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وخلافة يزيد ، وخلافة هارون الرشيد .. إلى غير ذلك مما يذكره أهل التاريخ .

والحاصل : أن من أراد التعرف على خلفاء الإسلام ، ويحصل خلاصة القول فيهم .. ففي كتاب الإمام السيوطي غنية ، ومن طلب ما وراء ذلك .. فليقصد المطولات من المؤلفات .

منهج الإمام السيوطي في هذا المختصر

أما عن منهج الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في هذا المختصر .. فهو لم

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٩ - ١٠) .

يكن عجالة رام فيها مجرد التأليف ، وأن يذكر اسمه في سلك من ألف في هذا الفن ، بل عمد رحمه الله تعالى إلى أفضل كتب التاريخ ثقة وضبطاً ، وتمحيصاً وتحقيقاً ؛ كتاب « تاريخ الإسلام » للإمام الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، فمشى فيه على طريقته ونهجه .

فإن كتاب الذهبي رحمه الله تعالى مرتب على السنوات ، وفي ضمنها يذكر أحداث تلك السنوات ؛ فالأعوام والسنوات كانت المحور الأساس لترتيب كتابه ، وكان ذكر الخلفاء فيه تابعاً لترتيب تلك السنوات .

أما « تاريخ الخلفاء » : فكانت تراجم الخلفاء هي المحور لترتيب كتابه ، والسنوات تابعة له .

فيبدأ بذكر اسم الخليفة ، ونسبه ، وذكر زوجته وأولاده ، وذكر سنة ولادته إن تحصل له ، وسنة توليه ، ثم يذكر الأحداث في خلافته مرتبة على السنوات إلى حين وفاته ، وهكذا مشى في كل تراجمه .

ثم في آخر ترجمة كل خليفة يذكر وفيات الأعلام الذين ماتوا خلال ولاية هذا الخليفة ، وهو أيضاً تابع فيه للإمام الذهبي رحمه الله تعالى .

إلا أنه لم يكن ما عند الذهبي فقط بغيته ، بل صار يحشد من كتب التاريخ الموثوقة ما تحصّل له ؛ لإثراء المادة التي يكتب فيها ؛ كـ « الأوراق » للصولي وكان عنده كاملاً ، و « المسالك » لابن فضل الله ، وغيرهما .

حتى إذا بلغ سنة (٧٠٠ هـ) . . التفت الإمام السيوطي إلى « البداية والنهاية » لابن كثير رحمه الله تعالى ، ثم من بعده إلى « إنباء الغمر بأبناء العمر » للحافظ ابن حجر العسقلاني ، وغيرها من كتب ابن تغري بردي والمقريزي وغيرهما .

فإذا كان عصره . . سرّد أخباراً لم نقف عليها إلا في كتابه هذا ، وكان من بعده من العلماء إنما يأخذون هذه الأخبار منه ، فكان مرجعاً لهم .

سبب أفراد العلماء لتراجم الخلفاء

لعل ما ذكره الإمامان ابن خلدون والسخاوي رحمهما الله تعالى في كتابيهما . . يُبيّن لنا الارتباط الوثيق بين علم التاريخ وعلم السياسة ، فالخلفاء والوزراء والقواد والولاة كانوا يمثلون السياسة الإسلامية ؛ فمعرفة أحوالهم وأفعالهم ، وتتبع أقوالهم . . يرشدنا إلى أن سياسة الناس كانت عندهم في المرتبة الأولى ، وكان لها الحيز الأول في تفكيرهم ، وتدبير أمور رعاياهم .

وأيضاً فقد قالوا قديماً : (الناس على دين ملوكهم) ، فأحوال الناس إنما تعرف من صنيع سلاطينهم .

وإلى هذا أشار العلامة ابن خلدون رحمه الله تعالى فقال : (إن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه ؛ كما يقال في الأمثال الحكمية : « الناس على دين الملك » ، وأهل الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر . . فلا بد من أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ، ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك ، فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول ، فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ، ومزجت من عوائدهم وعوائدها . . خالفت أيضاً بعض الشيء ، وكانت للأولى أشد مخالفة ، ثم لا يزال التدرج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة)^(١) .

وقال الإمام السخاوي رحمه الله تعالى : (ويستفاد من أنباء هذا الفن ما لعله مندرج في علوم آخر ؛ كالسياسة العلم الذي يتعرف منه أنواع الرياسات والسياسات ، والاجتماعات الفاضلة والمردية وتوابع ذلك)^(٢) .

ولهذا كثرت اهتمامات الباحثين في هذا المجال بتراجم الخلفاء قديماً وحديثاً .

(١) مقدمة ابن خلدون (ص ٢٩) .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ (ص ٤٥) .

بعض المؤلفات في تراجم الخلفاء

- « تاريخ الخلفاء » للمدائني الإمام الأخباري النسابة : علي بن محمد بن عبد الله أبي الحسن البغدادي (ت ٢٢٤هـ) .
- « تاريخ الخلفاء » لمحمد بن حبيب بن أمية الأخباري المؤرخ : أبي جعفر البغدادي ، صاحب كتاب « المحبّر » و « المنمق » (ت ٢٤٥هـ) .
- « تاريخ الخلفاء » لابن أبي الدنيا ، الإمام الحافظ المحدث : عبد الله بن محمد بن عبيد البغدادي ، صاحب التصانيف (ت ٢٨١هـ) .
- « أخبار الخلفاء » للدولابي الإمام المحدث المؤرخ : محمد بن أحمد بن حماد أبي بشر (ت ٣٢٠هـ) .
- « تاريخ الخلفاء » لنفطويه الإمام النحوي الأخباري : إبراهيم بن محمد بن عرفة أبي عبد الله العتكي (ت ٣٢٣هـ) .
- « تاريخ الخلفاء » للخطّبي الأديب الأخباري : إسماعيل بن علي بن إسماعيل أبي محمد ، كان عارفاً بأخبار الخلفاء (ت ٣٥٠هـ) .
- « تاريخ الخلفاء » للسرخسي العلامة الفقيه : زهير بن الحسن بن علي أبي نصر الشافعي (ت ٤٥٤هـ) .
- « الأنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء » للقضاعي الإمام المحدث القاضي : محمد بن سلامة أبي عبد الله ، صاحب كتاب « الشهاب » (ت ٤٥٤هـ) .
- « أسماء الخلفاء والولاة » لابن حزم الفقيه الحافظ المؤرخ : علي بن أحمد بن سعيد أبي محمد الأندلسي الظاهري (ت ٤٥٦هـ) .
- « الإنباء في تاريخ الخلفاء » لابن العمراني العلامة المؤرخ : محمد بن علي بن محمد (ت نحو ٥٨٠هـ) .

- « بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء » للسروجي العلامة المؤرخ : علي بن عبد الله بن محمد بن أبي السرور (ت ٦٤٨ هـ) .

- « ملخص تاريخ الخلفاء » للعلامة المؤرخ : علي بن أنجب بن الساعي البغدادي (ت ٦٧٤ هـ) .

- « الاكتفاء من تاريخ الخلفاء » للعلامة المؤرخ الشاعر : ابن نباتة ، محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن الحسين أبي بكر (ت ٧٦٨ هـ) .

- « نظم السلوك في تواريخ الخلفاء والملوك » للبسطامي الفقيه العلامة المؤرخ : عبد الرحمن بن علي بن أحمد الحنفي (ت ٨٤٣ هـ) .

- « تاريخ الخلفاء » للنويري المؤرخ الخطيب المالكي : محمد بن محمد بن محمد بن علي كمال الدين (٨٥٧ هـ) التزم فيه ذكر الوفاة واسم الأب والأم والولد ، والنسب والمذهب ، ونقش الخاتم ، ومن كان في دولته ومن كان في أيامه إلى قريب الثلاث مئة .

- « مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة » ليوسف بن تغري بردي العلامة المؤرخ الطاهري : جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤ هـ) .

- « بهجة السالك والمسلك في تاريخ الخلفاء والسلاطين والملوك » للجعفر بن المؤرخ العلامة : محمد بن محمد بن محمد بن الحسن القاهري (ت ٨٨٧ هـ) .

وممن نظم تواريخ الخلفاء :

- العلامة المؤرخ : محمد بن أحمد بن محمد الباعوني (ت ٨٧١ هـ) له « فرائد السلوك في تاريخ الخلفاء والملوك » .

- العلامة المؤرخ : محمد بن يوسف بن محمد الباعوني ابن أخ السابق (ت ٩١٦ هـ) وسماها « الإشارة الوفية إلى الخصائص الأشرفية » وهي ذيل للمنظومة السابقة .

خاتمة شكر

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس »^(١) فكان لزاماً علينا أن تنطق ألسنتنا بالشكر ، وأن نمد أيدينا بالدعاء لهذه الدار العامرة وللقائمين عليها لما تقدمه من خدمات للكتب العلمية وطلبة العلم ، أمدّها الله بمدد من عنده ، وأعانها على متابعة الطريق ؛ فإنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

الناشر

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١) ، والترمذي (١٩٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

ترجمة
الإمام الحافظ العلامة
جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي
رحمته الله تعالى^(١)
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)

اسمه ونسبه

هو الإمام الحافظ ، المحدث ، الفقيه ، العلامة ، الحبر الفهامة : جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر بن محمد بن سابق الدين أبي بكر بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام ، الخضير ، السيوطي^(٢) ، المصري ، الشافعي^(٣) .

(١) مصادر الترجمة : « التحدث بنعمة الله » للإمام السيوطي ، و « حسن المحاضرة » (٢٨٩-٢٩٧) ، و « الضوء اللامع » (٦٥-٧٠ / ٤) ، و « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » (١٠-٧٩ / ٧٩) و « الكواكب السائرة » (٢٢٧-٢٣٢ / ١) ، و « النور السافر » (ص ٩٠ - ٩٤) ، و « البدر الطالع » (ص ٣٣٧) ، و « الأعلام » (٣٠١-٣٠٢ / ٣) ، و « معجم المؤلفين » (٨٢-٨٥ / ٢) ، و الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية « للأستاذ الفاضل البحاث إِيَاد خَالِد الطِبَاع .

(٢) نسبة الخضير : لم يتحقق الإمام السيوطي رحمه الله تعالى إلّا أن تكون هذه النسبة ، إلّا أنه رأى في كتب البلدان والأنساب أن الخضيرية محلة ببغداد ، وحدثه من سمع أباه يذكر أن جده الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق ، فلا يبعد أن تكون النسبة إلى المحلة المذكورة . ورجّح العلامة أحمد تيمور باشا رحمه الله - كما نقله الأستاذ المحقق إِيَاد خَالِد الطِبَاع عنه في كتابه « الإمام الحافظ السيوطي » (ص ٣٤-٣٥) : (أن في أسبوط مسجداً في المحلة المسماة بالخضيرية ، ولعله المدرسة التي بناها أحد أجداده في أسبوط) .

وأما نسبة السيوطي - ويقال : الأسبوطي - : فإلى بلدة بصعيد مصر ، والذي تحرر لدى الإمام السيوطي أن فيها خمس لغات : أسبوط بضم الهمزة وفتحها ، وسُبوْط بثلاث السين .

(٣) كذا ذكر المؤلف نسبه في « حسن المحاضرة » (٢٨٩ / ١) وترجم لنفسه فيه فقال : (وإنما ذكرت ترجمتي في هذا الكتاب ؛ اقتداءً بالمحدثين قبلي ، فقلّ أن أُلّف أحدٌ منهم تاريخاً إلّا وذكر ترجمته فيه ؛ وممن وقع له ذلك : الإمام عبد الغافر الفارسي في « تاريخ نيسابور » ، وياقوت الحموي في « معجم الأدياء » ، ولسان الدين بن الخطيب في « تاريخ غرناطة » ، والحافظ تقي الدين الفاسي في « تاريخ مكة » ، والحافظ =

مولده ونشأته العلمية

ولد الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى بعد المغرب ، ليلة الأحد ، مستهل شهر رجب ، سنة (٨٤٩ هـ) ، بالقاهرة ، وكان يُلقَّب بابن الكتب ؛ لأن أباه كان من أهل العلم ، واحتاج إلى مطالعة كتاب ، فأمر أمه أن تأتیه بالكتاب من بين كتبه ، فذهبت لتأتي به ، ففاجأها المخاض وهي بين الكتب ، فوضعت^(١) .

وسماه والده في اليوم السابع من ولادته بعبد الرحمن^(٢) ، وفي ذلك لطائف ؛ كما قاله المؤلف رحمه الله تعالى في « التحدث بنعمة الله » :

منها : أنه أحبُّ الأسماء إلى الله تعالى ، وأنه موافقٌ لاسم أمير الملائكة إسرافيل ، وأنه موافقٌ لاسم ولد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنهما .

قال السيوطي رحمه الله تعالى : وأظن الوالد قصد ذلك ؛ فإن اسمه أبو بكر ، فسماني باسم عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق .

ومنها : أن هذا الاسم يجري مجرى اللقب ؛ لأن اللقب المحبوب : ما أشعر بمدح أو رِفعة ، وكفى مدحاً ورفعةً الإضافة إلى الرحمن على وجه العبودية له .

ومنها : أنه أول اسم سمى به آدم أول ولده .

ومنها : أن المسمى به يصير من القوم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ وَرَبَّكَدُّ الرِّمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هُونَكَ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ۖ ﴾ . إلى آخر الآيات .

ولقبه والده بجلال الدين ، وكناه شيخه قاضي القضاة عز الدين أحمد بن إبراهيم الكناني لما عُرض عليه وقال له : ما كنتك ؟ قال : لا كنية لي ، فقال : أبو الفضل ، وكتبه بخطه^(٣) .

= أبو الفضل ابن حجر في « قضاة مصر » ، وأبو شامة في « الروضتين » وهو أورعهم وأزهدهم .

(١) انظر « النور السافر » (ص ٩٠) .

(٢) كما هي السُّنة النبوية المشرفة ، وقد غفل عنها كثيرٌ من الناس ، وغفلوا أيضاً عن تحسين الأسماء وقد أمروا بذلك ، وهو من حق الأبناء على الآباء .

(٣) انظر « النور السافر » (ص ٩٠) .

وكان والد الإمام السيوطي من العلماء الأفاضل ، والقضاة الأماثل ، وقد ترجم له في « حسن المحاضرة » : أنه ولد بسيوط بعد ثمان مئة ، واشتغل ببلده ، وتولى بها القضاء قبل قدومه إلى القاهرة ، ثم قدمها ولازم العلامة القاياتي^(١) ، وأجازه بالتدريس ، وأخذ عن الحافظ ابن حجر ، والشيخ عز الدين المقدسي^(٢) وغيرهم .

كان على جانبٍ عظيم من الدِّين والتحري في الأحكام ، وعدم الاجتماع بالناس ، مواظباً على قراءة القرآن ، يختم كل جمعة ختمة ، وألف بعض التصانيف .

توفي ليلة الاثنين بمرض ذات الجنب ، في شهر صفر ، سنة (٨٥٥ هـ) ، وصلى عليه قاضي القضاة شرف الدين المناوي ، رحمهم الله تعالى وأحسن إليهم جميعاً^(٣) .

توفي والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر ، وقد وصل في القرآن إذ ذاك إلى سورة (التحريم) ، وأسند وصايته إلى جماعة منهم : الكمال بن الهمام ، فقرّره في وظيفة الشيوخونية ، ولحظه بنظره ، وختم القرآن العظيم ، وله من العمر دون ثمانين سنين^(٤) .

(١) الإمام العلامة شمس الدين محمد بن علي القاياتي ، ولد سنة (٧٨٥ هـ) تقريباً ، وأخذ عن السراج البلقيني والبدر الطيندي والعز ابن جماعة وغيرهم ، برع في الفقه والعربية والأصولين والمعاني ، انتفع به خلق ، وكان قاضي القضاة ومحقق الوقت وعلامة الآفاق ، توفي سنة (٨٥٠ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٣٩٠ / ٩) .

(٢) الإمام العلامة قاضي الأقاليم عز الدين أبو البركات عبد العزيز بن الإمام العلامة علاء الدين أبي الحسن علي البغدادي مولداً ، ثم المقدسي الحنبلي ، الإمام العالم المفسر ، ولد ببغداد سنة (٧٧٠ هـ) ، واشتغل بها ، ثم قدم دمشق وأخذ عن ابن اللحام الفقه ، وبرع وصنف ، وولي القضاء في دمشق وبغداد ومصر وبيت المقدس ؛ لذلك سمي قاضي الأقاليم ، توفي في دمشق سنة (٨٤٦ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٣٧٧ / ٩) .

(٣) حسن المحاضرة (٣٨٠ / ١) .

(٤) شذرات الذهب (٧٥ / ١٠) .

شيوخه

وقد أحضره والده - وعمره ثلاث سنين - مجلس شيخ الإسلام ابن حجر مرة واحدة ، وحضر وهو صغير مجلس الشيخ المحدث زين الدين رضوان العقبي^(١) ، ودرسَ الشيخ سراج الدين عمر الوردی^(٢) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى في « حسن المحاضرة » : (وَحُمِلْتُ فِي حَيَاةِ أَبِي إِلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الْمَجْدُوبِ ؛ رَجُلٌ كَانَ مِنْ كِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ بِجَوَارِ الْمَشْهَدِ النَّفِيسِيِّ^(٣) ، فَبَرَّكَ عَلَيَّ ، وَنَشَأْتُ يَتِيمًا ، فَحَفِظْتُ الْقُرْآنَ دُونَ ثَمَانِي سَنِينَ ، ثُمَّ حَفِظْتُ « الْعَمْدَةَ » ، وَ« مِنْهَاجَ الْفَقْهِ وَالْأَصُولِ »^(٤) ، وَ« أَلْفِيَةَ ابْنِ مَالِكٍ » ، وَشَرَعْتُ فِي الْإِسْتِغَالِ بِالْعِلْمِ مِنْ مُسْتَهْلِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَتِينَ ؛ فَأَخَذْتُ الْفَقْهَ وَالنَّحْوَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الشُّيُوخِ ، وَأَخَذْتُ الْفَرَائِضَ عَنِ الْعَلَامَةِ فَرَضِي زَمَانِهِ الشَّيْخِ شَهَابِ الدِّينِ الشَّارْمَسَاحِيِّ^(٥) الَّذِي كَانَ يَقَالُ : إِنَّهُ بَلَغَ السَّنَّ الْعَالِيَةَ ، وَجَاوَزَ الْمِئَةَ بِكَثِيرٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ ، قَرَأْتُ عَلَيْهِ فِي « شَرْحِهِ عَلَى الْمَجْمُوعِ » .

وَأُجِزْتُ بِتَدْرِيسِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مُسْتَهْلِ سَنَةِ سِتٍّ وَسَتِينَ .

وقد ألفتُ في هذه السَّنة ، فكان أول شيءٍ ألفتُهُ : « شرح الاستعاذة

(١) هو الإمام المحدث رضوان بن محمد بن يوسف العقبي ، ثم القاهري ، محدث العصر ، ولد سنة (٧٦٩هـ) بمدينة عقبة بالجيزة ، فنشأ وحفظ القرآن وتلا بالسبع على الشيخ إسماعيل الأنباري ، وحضر دروس البلقيني وابن الملتن والصدر المناوي والعز ابن جماعة ، واشتدت عنايته بالرواية ، وانفرد بالديار المصرية بمعرفة شيوخها وما عندهم من المسموعات ، وعرف العالي والنازل ، وكتب بخطه الكثير من الكتب والأجزاء ، توفي سنة (٨٥٢هـ) رحمه الله تعالى . انظر « الضوء اللامع » (٣/ ٢٢٦-٢٢٩) .

(٢) النور السافر (ص ٩١) .

(٣) نسبة للسيدة نفيسة الحسنية صاحبة المشهد المشهور بمصر ، والدها الأمير حسن ، ولي إمرة المدينة للمنصور ، ثم حبسه ، ودخلت هي مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر ، ولما توفيت سنة (٢٠٨هـ) .. هَمَّ زوجها بحمل جنازتها إلى المدينة ، فأبى أهل مصر ، فدفنت بين القاهرة ومصر ، رحمها الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٣/ ٤٣) .

(٤) أي : « منهاج الطالبين » للنووي ، و« منهاج الأصول » للبيضاوي .

(٥) الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن علي الشارماساحي ، وهي نسبة إلى قرية شارماساح بلد قرب دمياط ، كان شيخ علم الفرائض ، توفي سنة (٨٦٥هـ) . انظر « نظم العقيان » (ص ٤٣ - ٤٤) .

والبسملة » وأوقفتُ عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقيني^(١) ، فكتب عليه تقریظاً .

ولازمته في الفقه إلى أن مات ، فلازمته ولده ، فقرأتُ عليه من أول « التدريب » لوالده إلى (الوكالة)^(٢) ، وسمعتُ عليه من أول « الحاوي الصغير » إلى (العدد) ، ومن أول « المنهاج » إلى (الزكاة) . . . وأجازني بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين ، وحضر تصديري .

فلما توفي سنة ثمانٍ وسبعين . . لزمْتُ شيخ الإسلام شرف الدين المناوي^(٣) ، فقرأتُ عليه قطعة من « المنهاج » .

ولزمْتُ في الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقي الدين الشبلي الحنفي ، فواظبته أربع سنين ، وكتب لي تقریظاً على « شرح ألفية ابن مالك » ، وعلى « جمع الجوامع » تأليفي ، وشهد لي غير مرة بالتقدم في العلوم بلسانه وبنانه^(٤) . ولم ينفك عن الشيخ إلى أن مات رحمه الله تعالى .

(١) قاضي القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني ، حامل لواء الشافعية ، ولد سنة (٧٩١ هـ) تولى مشيخة الخشابية ، والتفسير بالبرقوفية ، وتولى القضاء الأكبر ، وتكرر عزله وإعادته ، توفي سنة (٨٦٨ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٩ / ٤٥٤) .

(٢) التدريب في الفروع ، للإمام الفقيه سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني المتوفى سنة (٨٠٥) ، بلغ فيه إلى (كتاب الرضاع) ، ثم أكمله ولده علم الدين ، رحمهما الله تعالى .

(٣) قاضي القضاة شرف الدين يحيى بن محمد بن محمد بن محمد المناوي ، شيخ الإسلام ، ولد سنة (٧٩٨ هـ) ، ولازم الشيخ ولي الدين العراقي ، وتصدى للإفتاء ، وتخرج به الأعيان ، توفي سنة (٨٧١ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « حسن المحاضرة » (١ / ٣٨٤) .

(٤) حسن المحاضرة (١ / ٢٩١) ، ثم قال عن شيخه الشبلي رحمه الله تعالى : (ورجع إلى قولي مجرداً في حديث ؛ فإنه أورد في « حاشيته على الشفا » حديث أبي الحمراء في الإسراء ، وعزاه إلى تخريج ابن ماجه ، فاحتجْتُ إلى إبراده بسنده ، فكشفت « ابن ماجه » في مظنته فلم أجده ، فمررت على الكتاب كله ، فلم أجده ، فاتهمتُ نظري ، فمررت مرة ثانية فلم أجده ، فعدتُ ثالثة فلم أجده ، ورأيت في « معجم الصحابة » لابن قانع ، فبحثتُ إلى الشيخ وأخبرته ، فبمجرد ما سمع مني ذلك . . أخذ نسخته ، وأخذ القلم فضرب على لفظ « ابن ماجه » وألحق « ابن قانع » في الحاشية ، فأعظمتُ ذلك ، وهبته لعظم منزلة الشيخ في قلبي ، واحتقاري في نفسي ، فقلت : ألا تصبرون لعلكم تراجعون ١٩ فقال : لا ؛ إنما قلدتُ في قولي : « ابن ماجه » البرهان الحلبي) .

ولزم الشيخ العلامة : محيي الدين الكافيجي أربع عشرة سنة^(١) ، وأخذ عنه
الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعاني وغير ذلك ، وكتب له إجازةً
عظيمة .

وحضر عند الشيخ سيف الدين الحنفي^(٢) دروساً عديدةً في « الكشاف » ،
و« التوضيح » ، و« حاشيته عليه » ، و« تلخيص المفتاح » ، و« العضد » .

قال رحمه الله تعالى عن نفسه : (وسافرتُ بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام ،
والحجاز ، واليمن ، والهند ، والمغرب ، والتكرور ، ولما حججتُ .. شربتُ
من ماء زمزم لأمر : منها : أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين
البُلُقيني ، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر .

وأفتيتُ من مستهل سنة إحدى وسبعين ، وعقدتُ إملاء الحديث من مستهل
سنة اثنتين وسبعين)^(٣) .

وقرأ على الشمس السيرامي « صحيح مسلم » إلا قليلاً منه^(٤) ، و« الشفا » ،
و« ألفية ابن مالك » فما أتمها إلا وقد صَنَّفَ ، وسمع عليّ شيخه المذكور كثيراً
من الكتب^(٥) .

(١) الإمام العلامة محيي الدين أبو عبد الله محمد بن سليمان بن مسعود الرومي ، الكافيجي - بكسر الفاء وفتح
التحتية : نسبة إلى « كافي ابن الحاجب » لكثرة قراءته وإقرائه لها - الحنفي ، الإمام المحقق علامة الوقت ،
ولد قبل سنة (٨٠٠ هـ) ، برع وتقدم في التفسير والحديث والأصليين والعربية وغير ذلك ، توفي سنة
(٨٧٢ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « حسن المحاضرة » (٤٧٦ / ١) .

(٢) هو العلامة الشيخ سيف الدين الحنفي محمد بن محمد بن محمد بن قطلوبغا ، العلامة الورع الزاهد
العابد ، ولد تقريباً على رأس سنة (٨٠٠ هـ) ، وأخذ عن قارئ « الهداية » ، ولازم ابن الهمام ، وهو محقق
الديار المصرية ، توفي سنة (٨٨١ هـ) ، وهو آخر شيوخ المؤلف موتاً ، رحمهم الله تعالى . انظر « حسن
المحاضرة » (٤١٣ / ١) .

(٣) حسن المحاضرة (٢٩١ - ٢٩٢) .

(٤) العلامة نظام الدين يحيى بن يوسف - وقيل : سيف وهو الأشهر - ابن عيسى السيرامي الأصل والمولد ،
المصري الدار والوفاء ، الحنفي شيخ الشيوخ ، برع في الفقه والأصليين والعربية ، وشارك في عدة فنون ،
وتصدر للإفتاء والتدريس ، وتخرج به الكثير ، توفي سنة (٨٣٣ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات
الذهب » (٣٠١ - ٣٠٠ / ٩) .

(٥) شذرات الذهب (٧٥ / ١٠) .

وقرأ على الشمس المرزباني الحنفي^(١) « الكافية » و« شرحها » ، ومقدمة « إيساغوجي » و« شرحها » للكاتب ، وسمع عليه من « المتوسط »^(٢) ، و« الشافية » و« شرحها » للجاربدي ، ومن « ألفية العراقي » ، ولزمه حتى مات سنة سبع وستين .

وقد ذكر تلميذه الداودي في ترجمة شيخه السيوطي أسماء شيوخه إجازةً وقراءةً وسماعاً مرتبين على حروف المعجم ، فبلغت عدتهم أحداً وخمسين نفساً^(٣) .

وقال في « حسن المحاضرة » : (وأما مشايخي في الرواية سماعاً وإجازة . . فكثير ، أوردتهم في « المعجم » الذي جمعتهم فيه ، وعدتتهم نحو مئة وخمسين ، ولم أكثر من سماع الرواية ؛ لاشتغالي بما هو أهم ؛ وهو قراءة الدراية)^(٤) .

وقد أورد الأستاذ المحقق إياد خالد الطباع حفظه الله أسماء شيوخه من الرجال والنساء حتى أوصلهم إلى أربعةٍ ومئتي شيخ ، خمسهم - اثنان وأربعون - من النساء ، ونلاحظ من خلال التتبع : أن شيوخه هم أعيان عصره ، وفضلاء دهره ، وأكابر علماء زمانه في التفسير والحديث والفقه ، والمنطق والكلام ، والأدب واللغة ، والنحو والبلاغة .

وقد تنوّعت مذاهب شيوخه : كالإمام الشُّمْنِي الحنفي^(٥) ، والكافيجي

(١) العلامة محمد بن سعد الدين بن خليل ، الشمس المرزباني الحنفي ، الفقيه اللغوي الأصولي ، توفي سنة (٨٦٧هـ) رحمه الله تعالى . انظر « الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » (ص ٥٩) .

(٢) المتوسط : هو شرح على « كافي ابن الحاجب » تأليف السيد ركن الدين حسن بن محمد الإسترابادي المتوفى سنة (٧١٧هـ) رحمه الله تعالى .

(٣) شذرات الذهب (٧٦/١٠) .

(٤) حسن المحاضرة (٢٩٢/١) .

(٥) الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن العلامة كمال الدين محمد الشُّمْنِي الحنفي ، إمام النحلة في زمانه ، وشيخ التفسير والفقه والحديث وغير ذلك من العلوم العديدة ، توفي رحمه الله تعالى سنة (٨٧٢هـ) . انظر « شذرات الذهب » (٤٦٧-٤٦٤/٩) .

الحنفي ، والإمام نجم الدين عبد الرحمن بن عبد الوارث المالكي^(١) ، والعلامة الإمام عز الدين الكناني الحنبلي^(٢) .

وتنوعت روايته عن مشايخ من أمصارٍ مختلفة ؛ مما جعله يحوز قصب السبق في أكثر الميادين ؛ وكأنَّ لسان حاله يقول : (من الطويل)
أولئك أهل الفضل حتى ولو فنوا لهم بركات في الدُّنا ومنافع
أولئك أشياخي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريئ المجمع

صفاته

تميز الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى : بذهنٍ ثاقب ، وحافظةٍ قلَّ أن يوجد لها نظير ، وتبحرٍ في علومٍ كثيرة ، قلَّما تجدها مجموعةً في شخصٍ واحد .
وهو أعجوبة زمانه ، ومؤلفاته التي لا تكاد تحصر خير دليلٍ على تبحره وإتقانه .
واسمع ما قاله عن نفسه في « حسن المحاضرة » : (ورزقتُ التبحر في سبعة علوم : التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعاني ، والبيان ، والبديع على طريقة العرب والبلغاء ، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة ، والذي أعتقده : أن الذي وصلتُ إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه ، والنقول التي اطلعتُ عليها فيها . . لم يصل إليه ولا وقف عليه أحدٌ من أشياخي ؛ فضلاً عمَّن دونهم ، وأما الفقه . . فلا أقول ذلك فيه ، بل شيخي^(٣) فيه أوسع نظراً ، وأطول باعاً . . .)^(٤) .

(١) العلامة عبد الرحمن بن عبد الوارث القرشي البكري المصري المالكي ، ولد سنة (٧٨٣ هـ) بمصر ، قرأ القرآن ، وحفظ « الإمام » لابن دقيق العيد و « مختصر ابن الحاجب » ، وأخذ عن علماء عصره ، كثير التواضع ، عالي الهمة ، ذو سطوة على المفسدين ، وكان من القضاة ، توفي سنة (٨٦٨ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « الضوء اللامع » (٩٠ / ٤) .

(٢) قاضي القضاة أحمد بن إبراهيم بن نصر الله الكناني العسقلاني الأصل ، المصري المولد ، قاضٍ مشي على طريقة السلف ، تفرد بمذهب الإمام أحمد في عصره ، ولد سنة (٨٠٠ هـ) ، أخذ عن علماء عصره ، وولي قضاء الحنابلة بمصر ، توفي سنة (٨٧٦ هـ) رحمه الله تعالى . انظر « شذرات الذهب » (٤٧٩ / ٩ - ٤٨٠) .

(٣) العلامة علم الدين البلقيني رحمه الله تعالى .

(٤) حسن المحاضرة (٢٩٢ / ١) .

قال عنه العلامة ابن العماد رحمه الله في « شذرات الذهب » : (وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه ؛ رجالاً وغريباً ، ومتناً وسنداً ، واستنباطاً للأحكام منه ، وأخبر عن نفسه : أنه يحفظ مئتي ألف حديث ، قال : ولو وجدت أكثر .. لحفظته ...)^(١) .

وإليك مثلاً يدل على تبحره وعلو همته ، وتصميمه وحفظه وإتقانه ؛ حيث قال رحمه الله تعالى في مقدمة كتابه « الأشباه والنظائر » في النحو : (ولم أزل من زمن الطلب أعطني بكتبها قديماً وحديثاً - أي : اللغة العربية - وأسعى في تحصيل ما دثر منها سعياً حثيثاً ، إلى أن وقفتُ منها على الجُم الغفير ، وأحطتُ بغالب الموجود ؛ مطالعةً وتأملًا ، بحيث لم يفتني سوى النزر ، وألفتُ فيها الكتب المطولة والمختصرة ...) إلى أن قال : (وكان مما سودتُ من ذلك كتابَ ظريف ، لم أُسبق إلى مثله ، وديوان منيف ؛ لم ينسج ناسج على شكله ... ولم يكن انتهى المقصود منه ؛ لاحتياجه إلى إلحاق ، ولا سُود بتسطير جميع ما أرصد له من بياض الأوراق ، فحبسته بضع عشرة سنة ، وحُرم منه الكاتبون والمطالعون ، ثم قَدَّر الله أني أُصِبتُ بفقده ؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون ، فاستخرتُ الله تعالى في إعادة تأليفه ثانياً ، والعود - إن شاء الله تعالى - أحمدُ ، وعزمتُ على تجديده ، طالباً من الله سبحانه المعونة ، فهو أجلُّ مَنْ في المهمَّات يُقصد)^(٢) .

ومن يطلع على معجم شيوخه وما قرأه عليهم من الكتب .. يدفع قول القائل : إنه استبدَّ بالأخذ من بطون الدفاتر والكتب ، بل الناظر في تاريخ حياته ، وعدد مؤلفاته سيسجل موقف إعجاب بتلك الشخصية الموسوعية الفذة ، هذه الشخصية الفياضة بالعلم والمعرفة ، أخرجتْ إلى الحضارة مئات المؤلفات والبحوث ؛ والتي تعجز عن إعادتها مراكز البحوث الدولية الآن .

(١) شذرات الذهب (٧٦ / ١٠) . وذكر النجم الغزي رحمه الله تعالى في « الكواكب السائرة » (٢٢٩ / ١) : (وروي النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، والشيخ السيوطي يسأله عن بعض الأحاديث ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : « هاتِ يا شيخُ الشُّنة ») .
(٢) الأشباه والنظائر (٢٢ / ١) .

ومؤلفاته الكبرى في : علوم القرآن ، والحديث ، والفقه ، والنحو ،
والبلاغة ، والطبقات ؛ كلها من أمارات المصادر في بابها ، وعليها المدار في
موضوعاتها .

وما جمع في كتبه من مصادر قد لا توجد اليوم حتى بين المخطوطات ؛ مما
جعل كتبه هي الأصل ، فحفظ لنا بكتبه كثيراً من الأخبار والآثار والنقول .

وآراؤه في كتبه ، وأقواله واجتهاداته : جعلته متفرداً في عصره ، وادعائه
الاجتهاد والتجديد على خطورتها لم ينزعهما عنه إلا حاسدٌ أو مشاحن .

واتفق مترجموه على الإقرار له بهما ، والاعتراف بفضله وعلمه وتقدمه ؛ مع
ما كان عليه من التواضع وحبِّ الصالحين ، والتأني في المسائل والفتاوى ،
وورعه وزهده ، وبُعده عن عطايا الملوك .

وكان إذا احتاج شيئاً من النفقة . . باع من كتبه وأكل من ثمنها ، وكلُّ مَنْ وصل
إلى هذه المرتبة لا بدَّ له من حسَّاد ، وهذا من طباع البشر ، فلا نتعرَّض لشيء
من هذا ؛ فأقوال الأقران في بعضهم غير مقبولة ، رحمهم الله تعالى وعفا عنهم .
وقد تحدَّى أهل زمانه بسبعة أسئلة طرحها عليهم ، وأجاب عليها رحمه الله
تعالى^(١) .

قال عن نفسه في « حسن المحاضرة » : (وقد كملت عندي الآن آلات
الاجتهاد بحمد الله تعالى ، أقول تحدُّثاً بنعمة الله تعالى ، لا فخراً ، وأي شيء في
الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر ؟! وقد أزف الرحيل ، وبدا الشيب ، وذهب
أطيب العمر ، ولو شئت أن أكتب في كل مسألة مصنفاً بأقوالها وأدلتها النقلية
والقياسية ، ومداركها ونقوضها وأجوبتها ، والموازنة بين اختلاف المذاهب
فيها . . لقدرتُ على ذلك من فضل الله ، لا بحولي ولا بقوتي ، فلا حول ولا قوة
إلا بالله ، ما شاء الله ، لا قوة إلا بالله)^(٢) .

(١) انظر « الإمام الحافظ السيوطي » للأستاذ المحقق إِيَاد خَالِد الطَبَاع (ص ٧٣ - ٨٦) .

(٢) حسن المحاضرة (٢٩٢/١) .

مؤلفاته

وهي النافعة ، الكثيرة الكاملة الجامعة ، المتقنة المحررة ، المعتمدة
المعتبرة ، فقد بلغها تلميذه الداوودي إلى خمس مئة مؤلف ، وشهرتها تغني عن
ذكرها .

وقد اشتهر أكثر مصنفاته في حياته في أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، وكان آيةً في
سرعة التأليف ؛ حتى قال تلميذه الداوودي رحمه الله تعالى : عاينتُ الشيخَ وقد
كتب في يوم واحدٍ ثلاثة كراريس تأليفاً وتحريراً ، وكان مع ذلك يملي الحديث ،
ويجيب عن المتعارض منه بأجوبة حسنة^(١) .

لكن بعد استقصاء مؤلفاته : ما بين مطول ومختصر ، ورسالة وفتيا . . فقد
بلغت - كما أحصاها الأستاذ المحقق إياذ خالد الطباع حفظه الله - (١١٩٤)
مؤلفاً .

نذكر من أهمها :

في القرآن وما يتعلق به : « الإتيان في علوم القرآن » ، و« الدر المنثور في
التفسير بالمأثور » ، و« لباب النقول في أسباب النزول » ، و« تناسق الدرر في
تناسب السور » .

وفي الحديث وما يتعلق به : كتب شروحاً على الكتب الستة ، و« تدريب
الراوي في شرح تقريب النواوي » ، و« شرح ألفية العراقي » ، و« جمع
الجوامع » ، و« الجامع الصغير » ، و« الخصائص الكبرى » و« الصغرى » ،
و« شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور » ، و« البدور السافرة عن أمور
الآخرة » . . . إلى غير ذلك .

وفي الفقه وما يتعلق به : « الأشباه والنظائر » ، ونظم « الروضة » المسمى :
« الخلاصة » ، و« الأزهار الغضة في حواشي الروضة » ، و« شرح التنبيه » ،
و« شرح الروض » . . . إلى آخره .

(١) شذرات الذهب (٧٦/١٠) .

وفي الأجزاء المفردة : في مسائل مختلفة ، وله أجزاء كثيرة ؛ منها :
« المصباح في صلاة التراويح » ، و« بسط الكف في إتمام الصف » ، و« نتيجة
الفكر في الجهر بالذكر » ، و« الإنصاف في تمييز الأوقاف » .

وفي فن العربية وما يتعلق به : « شرح ألفية ابن مالك » المسمى : « البهجة
المرضية في شرح الألفية » ، و« جمع الجوامع » وشرحه « همع الهوامع » ،
و« الفتح القريب على مغني اللبيب » ، والنكت على : « الألفية » ،
و« الكافية » ، و« الشذور » ، و« النزهة » .

وفي فن الأصول والبيان والتصوف : « شرح الكوكب الوقّاد في الاعتقاد » ،
و« عقود الجمان في المعاني والبيان » ، و« تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة
الشاذلية » ، و« درج المعالي في نصرة الغزالي على المنكر المتغالي » ، و« الخبر
الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال » .

وفي التاريخ والأدب : كتب عدة ؛ كتب في الطبقات ك« طبقات الحفاظ » ،
و« النحاة » ، و« المفسرين » ، و« الأصوليين » ، و« الكتّاب » ، و« تاريخ
الخلفاء » وهو كتابنا هذا ، و« معجم شيوخه الكبير » ، و« ديوان خطب » ،
و« ديوان شعر » ، و« شرح بانث سعاد » ، وغير ذلك كثير .

حسبي وفي تعدادها لم أطمع

قال العلامة ابن العماد رحمه الله تعالى : (ومناقبه لا تحصر كثرة ، ولو لم
يكن له من الكرامات إلا كثرة المؤلفات مع تحريرها وتدقيقها . . لكفى ذلك شاهداً
لِمَنْ يُؤْمَنُ بالقدرة ، وله شعْرٌ كثير ، جيده كثير ، ومتوسطه أكثر ، وغالبه في
الفوائد العلمية . . .)^(١) .

ومن هذه الفوائد أنه قال :

(من مخلع البسيط)

عن أبيه صاحب الخطابة
الأكل والمشى والكتابة

حدثنا شيخنا الكناني
أسرع أخا العلم في ثلاث

(١) شذرات الذهب (٧٨/١٠) .

(من الطويل)

وله أيضاً فيما يُسنُّ قبوله من الأشياء :

عن المصطفى سُبْحُ يُسْنُّ قبولها إذا ما بها قد أتحف المرء خلانُ
فحلُّوْ وألبانُ ودهنُ وسادة ورزقٌ لمحتاجٍ وطيبٌ وريحانُ

(من الخفيف)

وقال في إملاء الحديث :

عابَ الإملاءَ للحديثِ رجالٌ قد سَعَوْا في الضلال سعيًا حثيثا
إنما ينكر الأمالي قومٌ لا يكادون يفقهون حديثا

(من السريع)

وقال أيضاً :

لَمْ لا نرْجِي العفوَ من ربنا وكيف لا نطمع في حلمه
وفي الصحيحين أتى إنه بعبْدِهِ أرحمُ من أمِّهِ

ولم نتعرض لتلامذته لكثرتهم ، ولا لمناصبه رحمه الله تعالى ؛ فقد كُتبت فيه
مؤلفات عديدة ، وقصْدُنا الإيجاز ، ومهما كتبنا . . فلن نوفيَ هذا العَلمَ شيئاً
يسيراً من قدره ، بل هذه رشفةٌ من بحره الواسع ، وقطرة من غيْته الهامع .

وفاته

ولما بلغ الأربعين . . أخذ في التجرد للعبادة والانقطاع إلى الله تعالى ،
والاشتغال به صِرْفاً ، والإعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحداً منهم ،
وشرع في تحرير مؤلفاته ، وترك الإفتاء والتدريس ، واعتذر عن ذلك بمؤلَّفِ
سماء به « التنفيس » .

وأقام في روضة المقياس جنوب القاهرة ، وانقطع عن الخلق في منزله ؛ حتى
لم يكن يفتح طاقات بيته على النيل مدة سكناه .

مرض رحمه الله تعالى في آخر حياته بورم شديد في ذراعه اليسرى ، فمكث
سبعة أيام ، وتوفي رحمه الله تعالى سحر ليلة الجمعة ، التاسع عشر من جمادى
الأولى ، سنة (٩١١ هـ) في منزله ، وقد استكمل من العمر إحدى وستين وعشرة
أشهر وثمانية عشر يوماً .

ونُقل عنه : أنه قرأ (سورة يس) عند احتضاره ، وصلى عليه خلائق بجامع الأباريقي بالروضة ، عقيب صلاة الجمعة ، وصلى عليه مرة ثانيةً خلائق لا يحصون ، وكان له مشهد عظيم^(١) .

وُدفن بحوش قوصون ، خارج باب القرافة ، وقبره مشهور يزار ، ومعروف عند أهل تلك المنطقة^(٢) ، وصُلِّي عليه صلاة الغائب في دمشق بالجامع الأموي يوم الجمعة ، الثامن من رجب من تلك السنة .

وممّن رثاه بقصيدة الفقيه الشاعر عبد الباسط بن خليل الحنفي المتوفى سنة (٩٢٠ هـ) ومنها^(٣) :

ماتَ جلالُ الدِّينِ غيثُ الورى	مجتهدُ العصرِ إمامُ الوجودِ
وحافظُ السُّنةِ مهدي الهدى	ومرشدُ الضال بنفع يعودُ
فيا عيوني انهملي بعده	ويا قلوبُ انفطري بالوقودِ
وأظلمي يا دنيا إذ حُوقَ ذا	بل حُوقَ أن ترعدَ فيك الرعودِ
وحُوقَ للضوء بأن ينطفئ	وحُوقَ للقائم فيك القعودِ
مصيبةٌ حلَّتْ فحلَّتْ بنا	وأورثتْ نارَ اشتعالِ الكبودِ
صَبَّرْنَا اللهُ عليها وأو	لاهْ نعيمًا حل دار الخلودِ
وعَمَّه منه بوبل الرضا	والغيث بالرحمة بين اللحدِ

وبموته فقدت الأمة الإسلامية علماً من أعلامها الأفذاذ على مرِّ التاريخ ، قلَّ أن يجود الزمان بمثله ، بل عجزت بطون الأمهات أن تلد بعده مثله ، ولعل تلك الأم التركية الأصل ، التي حملت في بطنها الجلال ، وربَّتهُ يتيماً ، ودفنته وقد بلغتِ الكبر . . لم تدرك أن ولدها سيكون في يومٍ من الأيام مالىء الدنيا وشاغل الناس^(٤) .

(١) انظر « الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » (ص ٤٣٦) .

(٢) انظر تفصيل الأستاذ إياد خالد الطباع حول مكان دفن الإمام السيوطي وتوضيحه ما توهمه كثير من الناس في كتابه « الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية » (ص ٤٣٧) .

(٣) الكواكب السائرة (٢٣٢ / ١) .

(٤) الإمام السيوطي معلمة العلوم الإسلامية (ص ٤٣٨) .

رحمه الله تعالى رحمةً واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وحشرنا وإياه تحت
لواء سيد المرسلين ، فبمثل هؤلاء ترتفع الهامات ، وبمثل هؤلاء تكون
المكرمات ، وبمثل هؤلاء تستمطر الرحمات ، وبمثل هؤلاء تكون الحجج
البالغات ، وبمثلهم يستشفع إلى رب البريات .

فنسألك اللهم أن تنزل على قبره شآبيب البركات والرحمات والمغفرات ،
بجاه سيد الكائنات ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه النجوم الزاهرات .

والحمد لله رب العالمين

وصف النسخ الخطية

لقد منَّ الله تعالى علينا بست نسخ خطية نفيسة ومطبوعة نادرة ، وهذا توصيفها :

النسخة الأولى : نسخة مصورة من مكتبة لاله لي ، بإستنبول برقم (٢٠٠٥) ، وقد اعتمدناها أصلاً .

وهي نسخة نفيسة جداً .

تقع في (٢٥٢) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢١) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة ، عناوينها بالحمرة ، وعليها بعض الحواشي ، خطها نسخي جميل .

كتبت سنة (٩٧٦هـ) ، بخط أحمد بن محمد بن يوسف الجوجري ، وهي منسوخة عن نسخة تلميذ الإمام السيوطي الشيخ جرامرد رحمهما الله تعالى .
ورمزنا لها بـ (أ) .

النسخة الثانية : نسخة مصورة من مكتبة السلطان طرخان والدّه بإستنبول ، رقم (٢٢٧) .

وهي نسخة في غاية النفاسة والضبط .

تقع في (١٥٨) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٦) سطراً ، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٩) كلمة ، عناوينها باللون الأزرق اللازوردي ، وتقبيدات النص بالأحمر ، في أولها فهرسة للموضوعات ، وخطها نسخي جميل .

كتبت سنة (٩٨٧هـ) ، عن نسخة تلميذ الإمام السيوطي الشيخ جرامرد الناصري ، دون ذكرٍ لاسم ناسخها .

ورمزنا لها بـ (ب) .

النسخة الثالثة : نسخة مصورة من مكتبة قراه چلبى زاده بإستنبول ، رقم (٢٦٥) .

وهي نسخة جيدة .

تقع في (١٨٨) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٥) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٥) كلمة ، عناوينها باللون الأحمر ، وعليها بعض الحواشي لكاتبها ، وخطها نسخي .

كتبت سنة (٩٨٥ هـ) بمكة المكرمة ، بخط : عبد الكريم بن علي السمهودي الحسيني .

ورمزنا لها بـ (ج) .

النسخة الرابعة : نسخة مصورة من مكتبة بني جامع بإستنبول ، رقم (٨٢٩) .

وهي نسخة نفيسة جداً ، مضبوطة بالشكل الكامل .

تقع في (٤٧٨) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (١٣) سطراً ، ومتوسط كلمات السطر الواحد (٩) كلمات ، عناوينها باللون الأحمر ، لم يذكر عليها اسم ناسخها وتاريخ النسخ .

ورمزنا لها بـ (د) .

النسخة الخامسة : نسخة مصورة من مكتبة فضل أحمد بإستنبول ، رقم (١٠٣٤) .

وهي نسخة في غاية الدقة والنفاسة :

تقع في (٢١٠) ورقات ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٣) سطراً ،

ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة ، عناوينها باللون الأحمر ،
وعليها بعض الحواشي والتقييدات ، خطها معتاد .

كتبت في حياة الإمام السيوطي سنة (٨٩٥هـ) ، وقد حصل شطب لاسم
ناسخها !! وعليها مقابلة ومطالعة باسم : عبد اللطيف بن محمد ؛ المعروف :
برضا زاده .

ورمزنا لها بـ (هـ) .

النسخة السادسة : نسخة مصورة من مكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، رقم
(١٤) تاريخ .

وهي نسخة جيدة .

تقع في (١٥٢) ورقة ، عدد أسطر الورقة الواحدة (٢٩) سطراً ، ومتوسط
كلمات السطر الواحد (١٣) كلمة ، عناوينها باللون الأحمر .

كتبت سنة (٩٦٥هـ) ، وقد كشط اسم ناسخها .

وتم الاستئناس بها أثناء العمل .

ورمزنا لها بـ (و) .

النسخة السابعة : مطبوعة قديمة ، طبعت بمدينة لاهور عاصمة البنجاب سنة
(١٣٠٤هـ) .

طبعت على نفقة التجار : فقير الله وعبد العزيز وعبد القادر بن أحمد
الجامي ، رزقهم الله إيماناً كاملاً .

تتكون من (٣٧١) صفحة ، وعدد أسطر الصفحة الواحدة (٢٧) سطراً ،
ومتوسط كلمات السطر الواحد (١٢) كلمة .

وجاء فيها : تاريخ الطبعة لمصححه ومحشيه الأحقر : غلام رسول عادل
جرهي بعد إتمامه لعام الطبع (١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م) .

وجاء أيضاً : لقد قام المحشي بتعريف وشرح لجميع الكلمات الغامضة ،
وكتب عقد الهبة للناشر ، وبالتالي لا يسمح لأحد طباعة الكتاب دون إذن ؛
وإلا . . فهو مسؤول بما يترتب على المخالفة القانونية .
ورمزنا لها بـ (ط) .

منهج العمل في الكتاب

لقد بذلنا بحمد الله وتوفيقه جهداً علمياً وتحقيقياً ؛ ليخرج الكتاب على النحو الذي أراده المصنف ، وتجلّى عملنا في الخطوات التالية :

- مقابلة النسخ جميعها مقابلة دقيقة ومحكمة ، وإثبات بعض الفروق مما له أهمية ، أو فائدة ، أو يعطي معنى آخر .

- ترصيع الكتاب بعلامات الترقيم وفق منهج الدار ، ووضع عنونات بين معكوفين [] لبعض الفقرات ، وجعلنا النص بلونين .

- تخريج مواده العلمية كلها ، وهي تنقسم إلى قسمين :

أ - الأحاديث النبوية الشريفة : فكان تخريجنا للحديث بالرجوع إلى المصادر التي أحالنا عليها المصنف رحمه الله ، فعرضناها على المصدر المطبوع ، وأثبتنا الفرق إن وجد ، وإن لم يكن ذاك المصدر مطبوعاً . أحلنا على مصدر آخر يستفيد من المصدر المتقدم ، وإلا . . خرجناه تخريجاً مستقلاً يتناسب مع هدف الكتاب .

ب - وأما الأخبار : فخرجناها من مظانها التي نبه عليها الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في آخر الكتاب ، بالإضافة إلى غيرها وذلك تتيماً للفائدة .

- ضبط الأعلام والكلمات والأنساب التي تُشكّل .

- جمع ترجمة وافية للمؤلف الإمام السيوطي رحمه الله تعالى ، وصنع مقدمة عن أهمية علم التاريخ ، وشروط المؤرخ ، وأهم ما أُلّف في هذا الموضوع ، وأهمية هذا الكتاب .

- صناعة فهرس لمحتوى الكتاب .

وبعد : فهذا جهدنا المتواضع أمام هذا الإمام العظيم ، والجهنذ النحرير ، وقد تمحور عملنا فيه لبيان مكانته العلمية وإخراجه كما أراده مؤلفه ، فما كان فيه

من صواب.. . فذاك من الله العلي القدير ، وإن وجد فيه زلل أو خطل.. . فهو منا
عن غير تقصير ، فرحم الله امرأ وجد فيه صواباً فأنا لنأمن دعائه ، أو وجد فيه خطأ
فأرشدنا إلى صوابه .

وقد امتازت طبعتنا هذه بخصائص :

أولها : مقابلة الكتاب على ست نسخ خطية ، اثنتان منها منسوخة عن
نسخة المصنف رحمه الله تعالى .

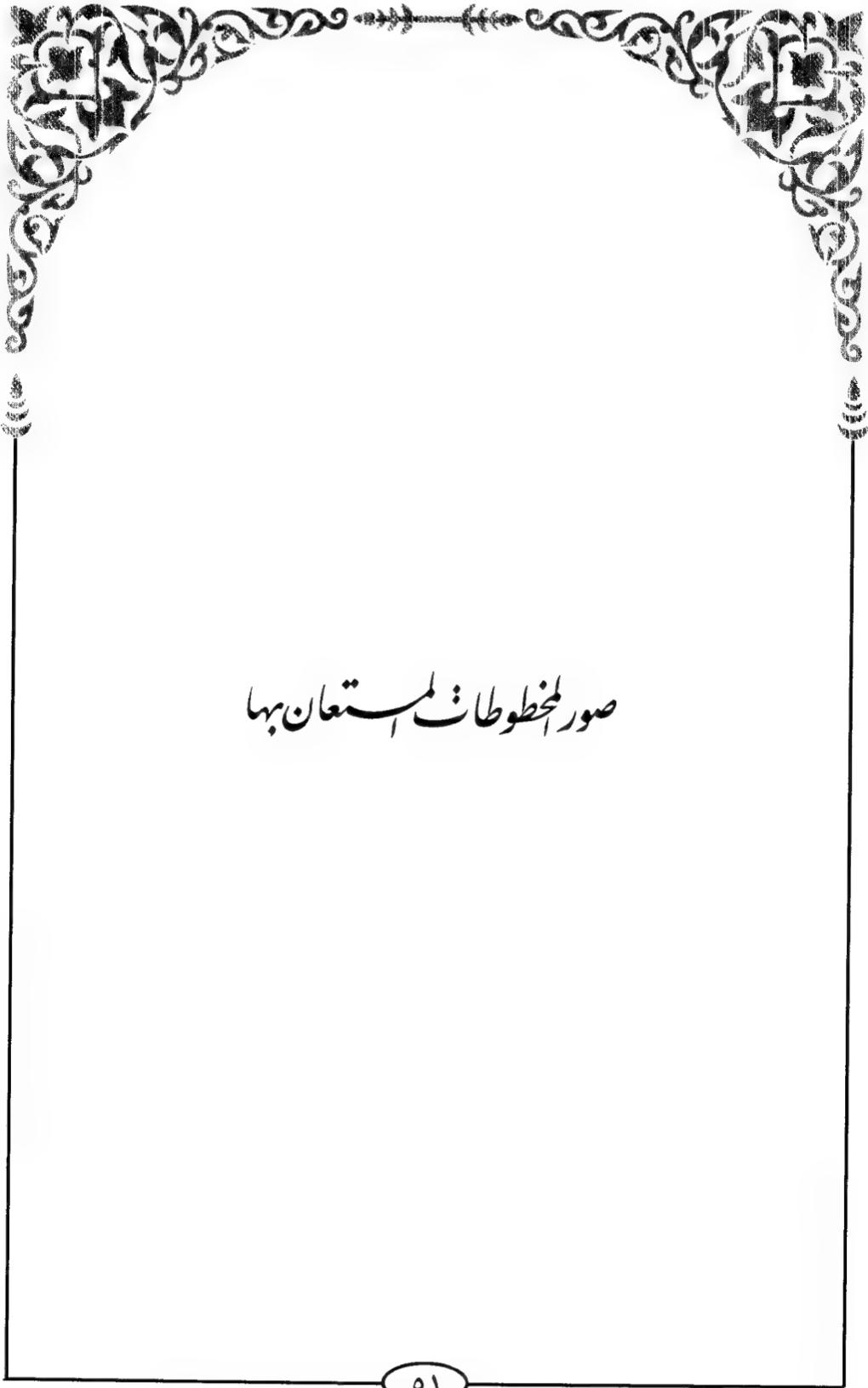
ثانيها : الرجوع إلى المصادر التي أخذ عنها المصنف ، فهذا توثيق يعادل
توثيق النسخ الخطية ؛ بل يزيد عليه بإصلاح ما وقع فيها من خلل إن كان .

ثالثها : أن الكتاب قد مر على أكثر من لجنة علمية في دار المنهاج ، وهذا
يدل على أن الأخطاء فيه تكاد تكون قليلة أو نادرة ، ولسنا ندعي الكمال ولكن
هذا جهدنا ، وما كان قصدنا إلا رضا الله تعالى ، والله من وراء القصد .

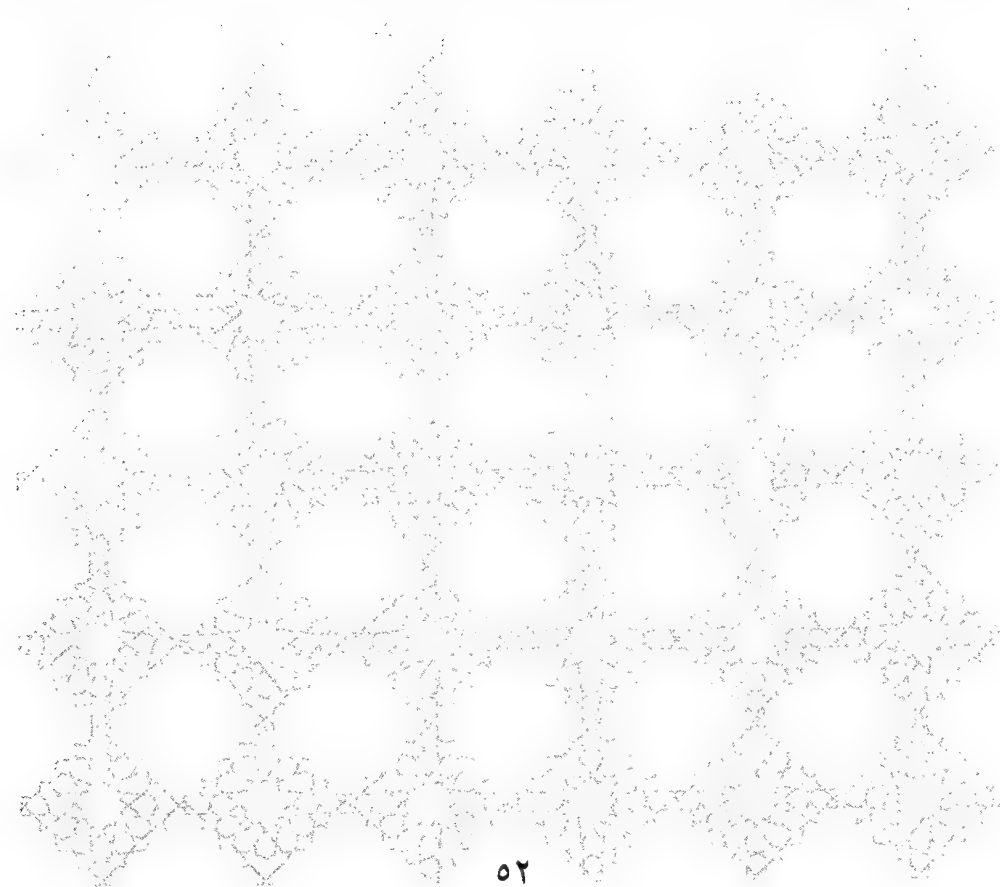
والحمد لله رب العالمين

اللجنة العلمية

بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي



صور لمخطوطات استعانبها



[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰
 ۲۰۱
 ۲۰۲
 ۲۰۳
 ۲۰۴
 ۲۰۵
 ۲۰۶
 ۲۰۷
 ۲۰۸
 ۲۰۹
 ۲۱۰
 ۲۱۱
 ۲۱۲
 ۲۱۳
 ۲۱۴
 ۲۱۵
 ۲۱۶
 ۲۱۷
 ۲۱۸
 ۲۱۹
 ۲۲۰
 ۲۲۱
 ۲۲۲
 ۲۲۳
 ۲۲۴
 ۲۲۵
 ۲۲۶
 ۲۲۷
 ۲۲۸
 ۲۲۹
 ۲۳۰
 ۲۳۱
 ۲۳۲
 ۲۳۳
 ۲۳۴
 ۲۳۵
 ۲۳۶
 ۲۳۷
 ۲۳۸
 ۲۳۹
 ۲۴۰
 ۲۴۱
 ۲۴۲
 ۲۴۳
 ۲۴۴
 ۲۴۵
 ۲۴۶
 ۲۴۷
 ۲۴۸
 ۲۴۹
 ۲۵۰
 ۲۵۱
 ۲۵۲
 ۲۵۳
 ۲۵۴
 ۲۵۵
 ۲۵۶
 ۲۵۷
 ۲۵۸
 ۲۵۹
 ۲۶۰
 ۲۶۱
 ۲۶۲
 ۲۶۳
 ۲۶۴
 ۲۶۵
 ۲۶۶
 ۲۶۷
 ۲۶۸
 ۲۶۹
 ۲۷۰
 ۲۷۱
 ۲۷۲
 ۲۷۳
 ۲۷۴
 ۲۷۵
 ۲۷۶
 ۲۷۷
 ۲۷۸
 ۲۷۹
 ۲۸۰
 ۲۸۱
 ۲۸۲
 ۲۸۳
 ۲۸۴
 ۲۸۵
 ۲۸۶
 ۲۸۷
 ۲۸۸
 ۲۸۹
 ۲۹۰
 ۲۹۱
 ۲۹۲
 ۲۹۳
 ۲۹۴
 ۲۹۵
 ۲۹۶
 ۲۹۷
 ۲۹۸
 ۲۹۹
 ۳۰۰
 ۳۰۱
 ۳۰۲
 ۳۰۳
 ۳۰۴
 ۳۰۵
 ۳۰۶
 ۳۰۷
 ۳۰۸
 ۳۰۹
 ۳۱۰
 ۳۱۱
 ۳۱۲
 ۳۱۳
 ۳۱۴
 ۳۱۵
 ۳۱۶
 ۳۱۷
 ۳۱۸
 ۳۱۹
 ۳۲۰
 ۳۲۱
 ۳۲۲
 ۳۲۳
 ۳۲۴
 ۳۲۵
 ۳۲۶
 ۳۲۷
 ۳۲۸
 ۳۲۹
 ۳۳۰
 ۳۳۱
 ۳۳۲
 ۳۳۳
 ۳۳۴
 ۳۳۵
 ۳۳۶
 ۳۳۷
 ۳۳۸
 ۳۳۹
 ۳۴۰
 ۳۴۱
 ۳۴۲
 ۳۴۳
 ۳۴۴
 ۳۴۵
 ۳۴۶
 ۳۴۷
 ۳۴۸
 ۳۴۹
 ۳۵۰
 ۳۵۱
 ۳۵۲
 ۳۵۳
 ۳۵۴
 ۳۵۵
 ۳۵۶
 ۳۵۷
 ۳۵۸
 ۳۵۹
 ۳۶۰
 ۳۶۱
 ۳۶۲
 ۳۶۳
 ۳۶۴
 ۳۶۵
 ۳۶۶
 ۳۶۷
 ۳۶۸
 ۳۶۹
 ۳۷۰
 ۳۷۱
 ۳۷۲
 ۳۷۳
 ۳۷۴
 ۳۷۵
 ۳۷۶
 ۳۷۷
 ۳۷۸
 ۳۷۹
 ۳۸۰
 ۳۸۱
 ۳۸۲
 ۳۸۳
 ۳۸۴
 ۳۸۵
 ۳۸۶
 ۳۸۷
 ۳۸۸
 ۳۸۹
 ۳۹۰
 ۳۹۱
 ۳۹۲
 ۳۹۳
 ۳۹۴
 ۳۹۵
 ۳۹۶
 ۳۹۷
 ۳۹۸
 ۳۹۹
 ۴۰۰
 ۴۰۱
 ۴۰۲
 ۴۰۳
 ۴۰۴
 ۴۰۵
 ۴۰۶
 ۴۰۷
 ۴۰۸
 ۴۰۹
 ۴۱۰
 ۴۱۱
 ۴۱۲
 ۴۱۳
 ۴۱۴
 ۴۱۵
 ۴۱۶
 ۴۱۷
 ۴۱۸
 ۴۱۹
 ۴۲۰
 ۴۲۱
 ۴۲۲
 ۴۲۳
 ۴۲۴
 ۴۲۵
 ۴۲۶
 ۴۲۷
 ۴۲۸
 ۴۲۹
 ۴۳۰
 ۴۳۱
 ۴۳۲
 ۴۳۳
 ۴۳۴
 ۴۳۵
 ۴۳۶
 ۴۳۷
 ۴۳۸
 ۴۳۹
 ۴۴۰
 ۴۴۱
 ۴۴۲
 ۴۴۳
 ۴۴۴
 ۴۴۵
 ۴۴۶
 ۴۴۷
 ۴۴۸
 ۴۴۹
 ۴۵۰
 ۴۵۱
 ۴۵۲
 ۴۵۳
 ۴۵۴
 ۴۵۵
 ۴۵۶
 ۴۵۷
 ۴۵۸
 ۴۵۹
 ۴۶۰
 ۴۶۱
 ۴۶۲
 ۴۶۳
 ۴۶۴
 ۴۶۵
 ۴۶۶
 ۴۶۷
 ۴۶۸
 ۴۶۹
 ۴۷۰
 ۴۷۱

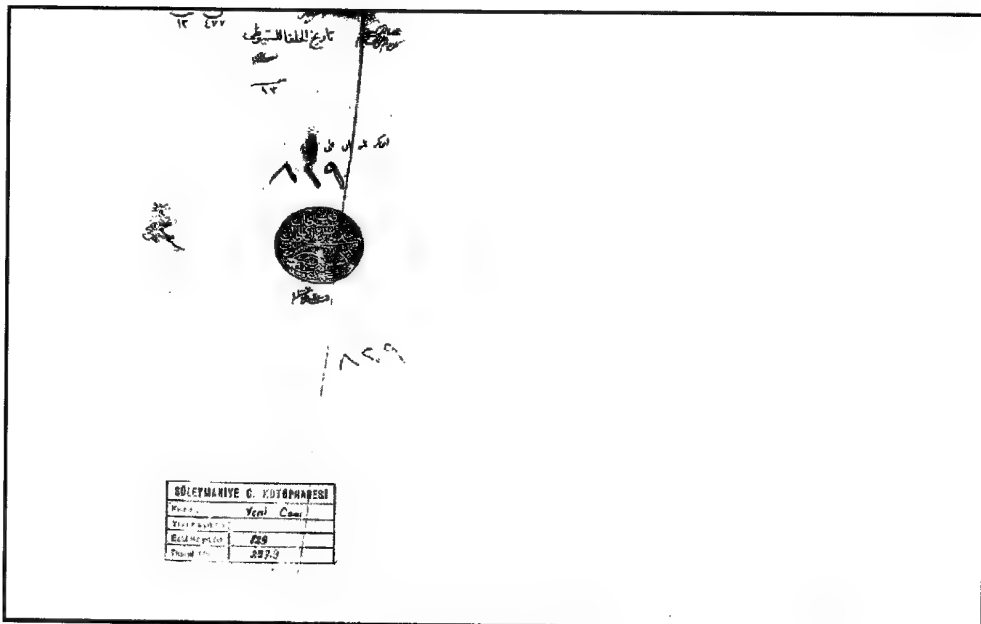
راموز الورقة الأولى للنسخة (ج)

122

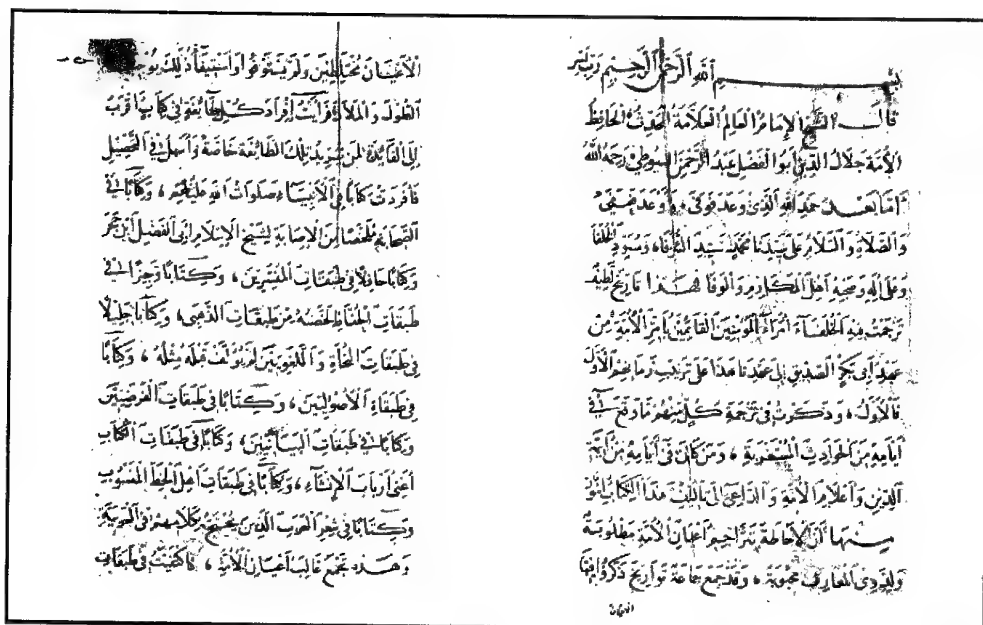
[illegible][illegible]

4

راموز الورق الأخيرة للنسخة (ج)



راموز ورقه العنوان للنسخة (د)



راموز الورقة الاولى للنسخة (د)

السابعة كانت سنة التوارخ التي انشأ من وعلما بالانقلاب
علا، وفي المائة الثامنة كانت سنة تولدنا التي انشأ
بالسنة الهائلة التي انشأ على هذا، والآن ان الله ان يفضال
تجده قبل وقوع سنة المائة السابعة بعام، يوم مصادق عليه
وسم اخيرا الكتاب، والمهد الذي الوفاة

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (د)

[illegible]

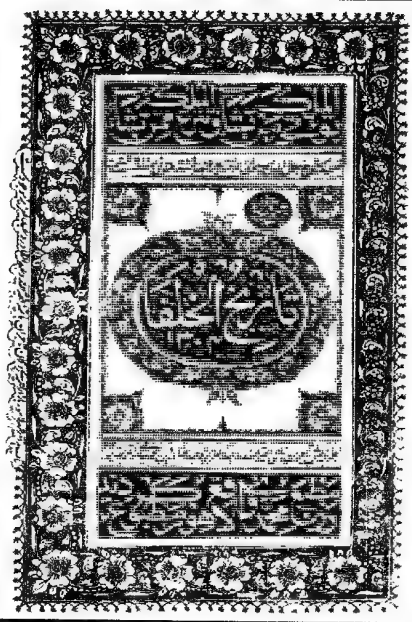
راموز ورقۃ العنوان للنسخة (هـ)

الحمد لله الذي جعل في هذا الكتاب منافع كثيرة
 لا يحصى عددها ولا يحيط بها عقل ولا قلم
 فمن أراد أن يتفهم ما فيه من النعمان
 فليقرأه بقلب سليم وقلوبه متوجهة
 إلى الله تعالى وحده لا شريك له
 آمين

في هذا الكتاب منافع كثيرة لا يحصى عددها
 ولا يحيط بها عقل ولا قلم فمن أراد أن يتفهم
 ما فيه من النعمان فليقرأه بقلب سليم
 وقلوبه متوجهة إلى الله تعالى وحده لا شريك له
 آمين

في هذا الكتاب منافع كثيرة لا يحصى عددها
 ولا يحيط بها عقل ولا قلم فمن أراد أن يتفهم
 ما فيه من النعمان فليقرأه بقلب سليم
 وقلوبه متوجهة إلى الله تعالى وحده لا شريك له
 آمين

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (و)



راموز ورقة العنوان للنسخة (ط)

[illegible][illegible]

راموز الورق في الأولى للنسخة (ط)

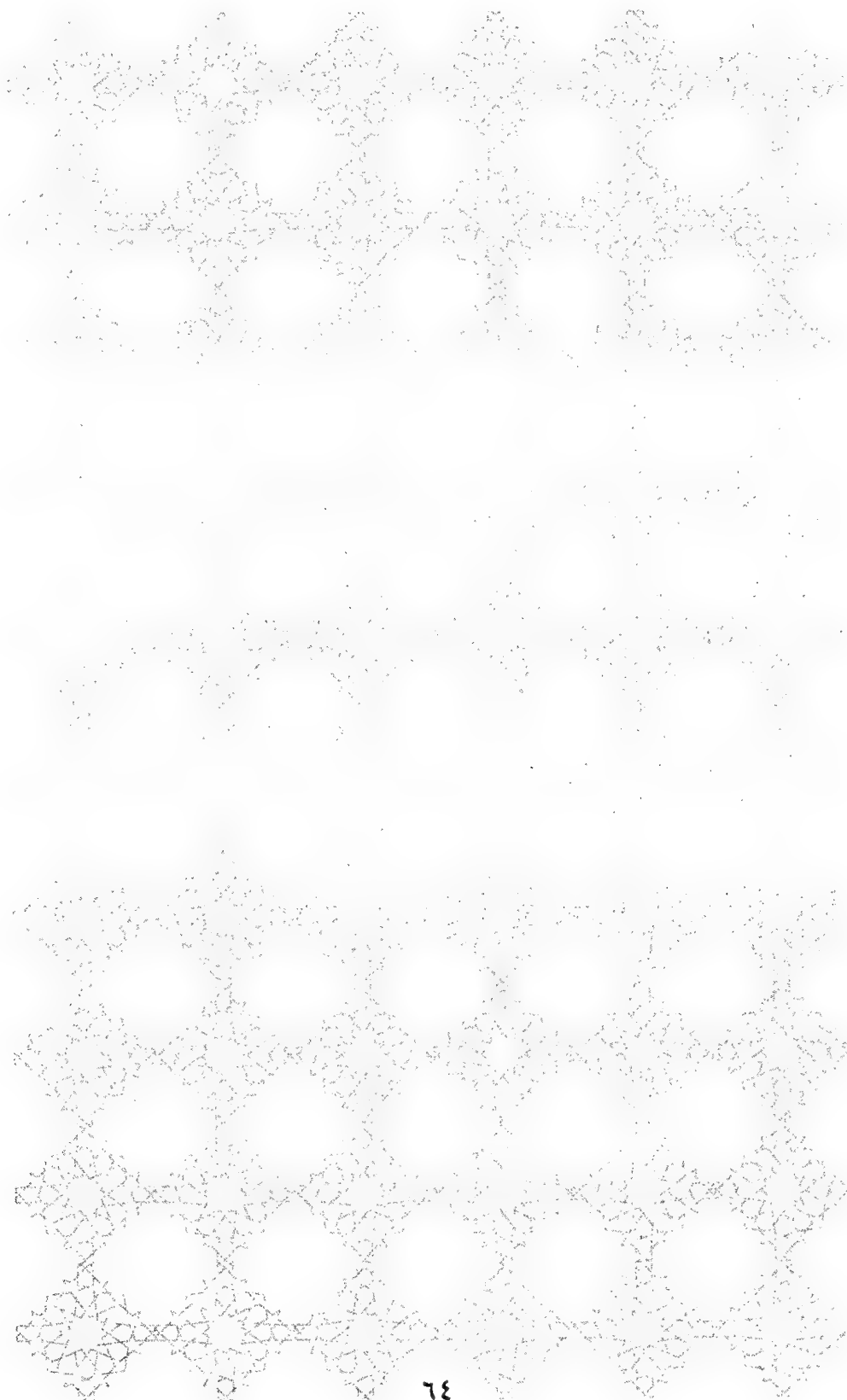
توضیح در بیان کلمات و اصطلاحات	
۱- کلمه	کلمه
۲- کلمه	کلمه
۳- کلمه	کلمه
۴- کلمه	کلمه
۵- کلمه	کلمه
۶- کلمه	کلمه
۷- کلمه	کلمه
۸- کلمه	کلمه
۹- کلمه	کلمه
۱۰- کلمه	کلمه
۱۱- کلمه	کلمه
۱۲- کلمه	کلمه
۱۳- کلمه	کلمه
۱۴- کلمه	کلمه
۱۵- کلمه	کلمه
۱۶- کلمه	کلمه
۱۷- کلمه	کلمه
۱۸- کلمه	کلمه
۱۹- کلمه	کلمه
۲۰- کلمه	کلمه
۲۱- کلمه	کلمه
۲۲- کلمه	کلمه
۲۳- کلمه	کلمه
۲۴- کلمه	کلمه
۲۵- کلمه	کلمه
۲۶- کلمه	کلمه
۲۷- کلمه	کلمه
۲۸- کلمه	کلمه
۲۹- کلمه	کلمه
۳۰- کلمه	کلمه
۳۱- کلمه	کلمه
۳۲- کلمه	کلمه
۳۳- کلمه	کلمه
۳۴- کلمه	کلمه
۳۵- کلمه	کلمه
۳۶- کلمه	کلمه
۳۷- کلمه	کلمه
۳۸- کلمه	کلمه
۳۹- کلمه	کلمه
۴۰- کلمه	کلمه
۴۱- کلمه	کلمه
۴۲- کلمه	کلمه
۴۳- کلمه	کلمه
۴۴- کلمه	کلمه
۴۵- کلمه	کلمه
۴۶- کلمه	کلمه
۴۷- کلمه	کلمه
۴۸- کلمه	کلمه
۴۹- کلمه	کلمه
۵۰- کلمه	کلمه
۵۱- کلمه	کلمه
۵۲- کلمه	کلمه
۵۳- کلمه	کلمه
۵۴- کلمه	کلمه
۵۵- کلمه	کلمه
۵۶- کلمه	کلمه
۵۷- کلمه	کلمه
۵۸- کلمه	کلمه
۵۹- کلمه	کلمه
۶۰- کلمه	کلمه
۶۱- کلمه	کلمه
۶۲- کلمه	کلمه
۶۳- کلمه	کلمه
۶۴- کلمه	کلمه
۶۵- کلمه	کلمه
۶۶- کلمه	کلمه
۶۷- کلمه	کلمه
۶۸- کلمه	کلمه
۶۹- کلمه	کلمه
۷۰- کلمه	کلمه
۷۱- کلمه	کلمه
۷۲- کلمه	کلمه
۷۳- کلمه	کلمه
۷۴- کلمه	کلمه
۷۵- کلمه	کلمه
۷۶- کلمه	کلمه
۷۷- کلمه	کلمه
۷۸- کلمه	کلمه
۷۹- کلمه	کلمه
۸۰- کلمه	کلمه
۸۱- کلمه	کلمه
۸۲- کلمه	کلمه
۸۳- کلمه	کلمه
۸۴- کلمه	کلمه
۸۵- کلمه	کلمه
۸۶- کلمه	کلمه
۸۷- کلمه	کلمه
۸۸- کلمه	کلمه
۸۹- کلمه	کلمه
۹۰- کلمه	کلمه
۹۱- کلمه	کلمه
۹۲- کلمه	کلمه
۹۳- کلمه	کلمه
۹۴- کلمه	کلمه
۹۵- کلمه	کلمه
۹۶- کلمه	کلمه
۹۷- کلمه	کلمه
۹۸- کلمه	کلمه
۹۹- کلمه	کلمه
۱۰۰- کلمه	کلمه

[illegible]

راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ط)

تاريخ الخلفاء

تأليف
الإمام الحافظ
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
رحمه الله تعالى
(٨٤٩ - ٩١١ هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ
رَبِّ يَسِّرْ ، يَا لَطِيفُ

[خُطْبَةُ الْكِتَابِ]

قال الشيخ الإمام العالم العلامة المحدث الحافظ الأئمة
جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي رحمه الله :

أما بعد حمد الله الذي وعد فوقنا ، وأوعد فعفا ، والصلاة والسلام على سيدنا
محمد سيد الشرفا ، ومسود الخلفا ، وعلى آله وصحبه أهل المكارم والوفاء . . فهذا
تاريخ لطيف ، ترجمت فيه الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ؛ من عهد
أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى عهدنا هذا ، على ترتيب زمانهم الأول فالأول .
وذكرت في ترجمة كل منهم : ما وقع في أيامه من الحوادث المستغربة ، ومن
كان في أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة .

[الداعي إلى تأليف الكتاب]

والداعي إلى تأليف هذا الكتاب أمور ؛ منها : أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة
مطلوبة ، ولذوي المعارف محبوبة ، وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الأعيان
مختلطين ، ولم يستوفوا ، واستيفاء ذلك يوجب الطول والملال ، فرأيت أن أفراد
كل طائفة في كتاب أقرب إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة ، وأسهل في
التحصيل .

فأفردت كتاباً في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، وكتاباً في الصحابة
ملخصاً من « الإصابة » لشيخ الإسلام أبي الفضل ابن حجر ، وكتاباً حافلاً في
طبقات المفسرين ، وكتاباً وجيزاً في طبقات الحفاظ ؛ لخصته من « طبقات
الذهبي » ، وكتاباً جليلاً في طبقات النحاة واللغويين ، لم يؤلف قبله مثله ، وكتاباً

في طبقات الأصوليين ، وكتاباً جليلاً في طبقات الأولياء ، وكتاباً في طبقات
الفرضيين ، وكتاباً في طبقات البيانين ، وكتاباً في طبقات الكتّاب ؛ أعني :
أرباب الإنشاء ، وكتاباً في طبقات أهل الخط المنسوب ، وكتاباً في شعراء العرب
الذين يحتج بكلامهم في العربية ، وهذه تجمع غالب أعيان الأمة .

واكتفيت في طبقات الفقهاء بما ألفه الناس في ذلك ؛ لكثرة والاستغناء به ،
وكذلك اكتفيت في القراء بـ « طبقات الذهبي » ، وفي الصوفية بـ « طبقات ابن
الملقن » ، وأما القضاة . . فهم داخلون فيمن تقدم .

ولم يبق من الأعيان إلا الخلفاء مع تشوف النفوس إلى أخبارهم ، فأفردتُ لهم
هذا الكتاب ، ولم أورد أحداً ممن ادّعى الخلافة خروجاً^(١) ولم يتم له الأمر ؛
ككثير من العلويين ، وقليل من العباسيين .

[أسباب عدم ذكر العبيدين]

ولم أورد أحداً^(٢) من الخلفاء العبيديين ؛ لأن إمامتهم غير صحيحة لأمر :
منها : أنهم غير قرشيين ، وإنما يسميهم بالفاطميين جهلة العوام ، وإلا . .
فجدهم مجوسي .

قال القاضي عبد الجبار البصري : (اسم جد الخلفاء المصريين : سعيد ،
وكان أبوه يهودياً حداداً بسلامية)^(٣) .

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : (القَدَّاح : جد عبيد الله الذي يسمى
بالمهدي كان مجوسياً ، ودخل عبيد الله المغرب وادّعى أنه علوي ، ولم يعرفه
أحد من علماء النسب ، وسماهم جهلة الناس الفاطميين)^(٤) .

وقال ابن خلكان : أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جد

(١) في (د ، هـ) : (دعا إلى نفسه خروجاً) .

(٢) من هنا بدأ السقط في (أ) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٢ / ٢٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٣ / ٢٤) .

خلفاء مصر ، حتى إن العزيز بن المُعز في أول ولايته صعد المنبر يوم الجمعة ،
فوجد هناك ورقة فيها مكتوب :

إِنَّا سَمِعْنَا نَسْباً مُنْكَرًا يُتْلَى عَلَى الْمُنْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا تَدَّعِي صَادِقًا فَادْكُرْ أَبَا بَعْدَ الْأَبِ السَّابِعِ
وَإِنْ تُرَدِّدُ تَحْقِيقَ مَا قُلْتَهُ فَانْسُبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ لَا دَعِ الْأَنْسَابَ مُسْتَوْرَةً وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ
فَإِنَّ أَنْسَابَ بَنِي هَاشِمٍ يَقْصُرُ عَنْهَا طَمَعُ الطَّامِعِ^(١)

وكتب العزيز إلى الأموي صاحب الأندلس^(٢) كتاباً سبّه فيه وهجاه ، فكتب
إليه الأموي : (أما بعد : فإنك قد عرفتنا فهجوتنا ، ولو عرفناك . . لأجبنك ،
فاشتد ذلك على العزيز وأفحمه عن الجواب)^(٣) يعني : أنه دَعِيَ لا تعرف
قبيلته .

وقال الذهبي : (المحققون متفقون على أن عبيد الله المهدي ليس بعلوي ،
وما أحسن ما قال حفيده المعز صاحب القاهرة وقد سأله ابن طَبَّاطْبَا العلوي عن
نسبهم ، ف جذب نصف سيفه من الغمد وقال : هذا نسبي ، ونثر على الحاضرين
والأمراء الذهب وقال : هذا حسبي)^(٤) .

ومنها : أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام ؛ منهم : من أظهر سب
الأنبياء ، ومنهم : من أباح الخمر ، ومنهم : من أمر بالسجود له ، والخير
منهم : رافضي خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضي الله عنهم ، ومثل هؤلاء
لا تنعقد لهم بيعة ، ولا تصح لهم إمامة .

قال القاضي أبو بكر الباقلاني : (كان المهدي عبيد الله باطنياً خبيثاً ، حريصاً

(١) وفيات الأعيان (٣٧٣/٥) ، والنقل من « تاريخ الإسلام » (١٣١/٢٧) ، ونسب المقرئ في الأبيات في
« المقفى الكبير » (٧٤-٧٣/٤) إلى عبد الرحمن بن محمد بن خالد بن خالد بن يزيد .

(٢) هو الحكم بن عبد الرحمن بن عبد الله ، وهو المرواني ، المتوفى سنة (٣٦٦ هـ) ، انظر « النجوم
الزاهرة » (١٤٩/٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٣٠/٢٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٠٨/٢٤) .

على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ؛ ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده على أسلوبه ؛ أباحوا الخمر والفروج ، وأشاعوا الرفض (١) .

وقال الذهبي : (كان القائم بن المهدي شراً من أبيه ، زنديقاً ملعوناً ، أظهر سب الأنبياء) (٢) .

قال : (وكان العبيديون على ملة الإسلام شراً من التتر) (٣) .

وقال أبو الحسن القاسبي : (إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل ؛ ليردهم عن الترضي عن الصحابة ، فاختاروا الموت ، ويا حبذا لو كان رافضياً فقط !! ولكنه زنديق) (٤) .

وقال القاضي عياض : (سئل أبو محمد القيرواني الكُرّاني (٥) من علماء المالكية : عمن أكرهه بنو عبيد - يعني خلفاء مصر - على الدخول في دعوتهم أو يقتل ؟

قال : يختار القتل ، ولا يعذر أحد بهذا ، إلا من (٦) كان أول دخولهم قبل أن يعرف أمرهم ، وأما بعد . . فقد وجب الفرار ، فلا يعذر أحد بالخوف بعد إقامته ؛ لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع لا يجوز ، وإنما أقام من أقام من الفقهاء على المباينة لهم ؛ لئلا يُحِلُّوا (٧) للمسلمين حدودهم فيفتنهم عن دينهم) (٨) .

وقال يوسف الرُّعَيْنِي : (أجمع العلماء بالقيروان : على أن حال بني عبيد حال المرتدين والزنادقة ؛ لِمَا أظهرُوا من خلاف الشريعة) (٩) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٣ / ٢٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١ / ٢٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٣٤ / ٢٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٠٩ - ١٠٨ / ٢٤) .

(٥) في (ب ، د ، هـ) : (الكتراني) ، وفي (ج) : (الكثراني) ، والمثبت من « ترتيب المدارك » .

(٦) كذا في (ب) ، وفي سائر النسخ : (الأمر) ، وانظر « ترتيب المدارك » .

(٧) كذا في (ج) ، وفي بقية النسخ : (يخلوا) .

(٨) ترتيب المدارك (٢٩١ / ٢) ، وفيه : (لئلا يخلو بالمسلمين عدوهم . . .) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥١١ / ٢٨) .

(٩) ترتيب المدارك (٢٩١ / ٢) ، تاريخ الإسلام (٥١٢ / ٢٨) .

قال ابن خلكان: وقد كانوا يدعون علم المغيبات، وأخبارهم في ذلك مشهورة، حتى إن العزيز صعد يوماً إلى المنبر فرأى ورقة مكتوب فيها: [من مخلص البسيط]

بالظلم والجور قد رَضِينَا وليس بالكفر والحماسة
إن كنت أعطيت علمَ غيب فقل لنا كاتب البطاقة^(١)

وكتبت إليه امرأة قصة فيها: (بالذي أعز اليهود بمنشا^(٢))، والنصارى بـابن نسطور^(٣)، وأذل المسلمين بك؛ إلا نظرت في أمري^(٤).

وكان ولّى منشا اليهودي عاملاً بالشام، وابن نسطور النصراني بمصر.

ومنها: أن مبايعتهم صدرت والإمام العباسي قائم موجود سابق البيعة، فلا تصح؛ إذ لا تصح البيعة لإمامين في وقت واحد، والصحيح المتقدم.

ومنها: أن الحديث ورد بأن هذا الأمر إذا وصل إلى بني العباس.. لا يخرج عنهم حتى يسلموه إلى عيسى ابن مريم أو المهدي^(٥)، فعلم أن من تسمى بالخلافة مع قيامهم خارج باغ.

فهذه الأمور لم أذكر أحداً من العبيدين ولا غيرهم من الخوارج، وإنما ذكرت الخليفة المتفق على صحة^(٦) إمامته وعقد بيعته.

وقد قدمت في أول الكتاب فصلاً فيها فوائد مهمة، وما أوردته من الوقائع الغريبة والحوادث العجيبة.. فهو ملخص من «تاريخ الحافظ الذهبي»، والعهد في أمره عليه.

والله المستعان

(١) وفيات الأعيان (٣٧٣/٥)، وانظر «تاريخ الإسلام» (١٣١/٢٧)، وإلى هنا انتهى السقط من (أ).

(٢) هو منشا بن إبراهيم؛ كما في «الكامل» (٤٤٨/٧).

(٣) هو عيسى بن نسطور؛ كما في «الكامل» (٤٤٨/٧).

(٤) انظر «سير أعلام النبلاء» (١٦٨/١٥)، وفي «الكامل» (٤٧٥/٧): (أن أهل مصر كتبوا قصة

وجعلوها في يد صورة عملوها من قراطيس فيها: بالذي أعز اليهود بمنشا...).

(٥) وسيذكره المصنف (ص ٨٢).

(٦) في (أ): (المتفق على خلافته وعلى صحة).

في بيان كونه صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وسر ذلك

قال البزار في « مسنده » : حدثنا عبد الله بن وضَّاح الكوفي ، حدثنا يحيى بن اليمان ، حدثنا إسرائيل^(١) ، عن أبي اليقظان ، عن أبي وائل ، عن حذيفة قال : قالوا : يا رسول الله ؛ ألا تستخلف علينا ؟ قال : « إِنِّي إِنِ اسْتَخَلَفْتُ عَلَيْكُمْ فَتَعْصُونَ خَلِيفَتِي .. يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ » أخرجه الحاكم في « المستدرک » ، وأبو اليقظان ضعيف^(٢) .

وأخرج الشيخان عن عمر أنه قال حين طعن : (إن أسْتَخلف .. فقد استخلفَ من هو خير مني - يعني أبا بكر - وإن أترككم .. فقد ترككم من هو خير مني ؛ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم)^(٣) .

وأخرج أحمد ، والبيهقي في « دلائل النبوة » بسند حسن عن عمرو بن سفيان قال : لما ظهر عليُّ يوم الجمل .. قال : (أيها الناس ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعهد إلينا في هذه الإمارة شيئاً ، حتى رأينا من الرأي أن نستخلف أبا بكر ، فأقام واستقام حتى مضى لسبيله ، ثم إن أبا بكر رأى من الرأي أن يستخلف عمرَ ، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجِرائه^(٤) ، ثم إن أقواماً طلبوا الدنيا فكانت أمور يقضي الله فيها)^(٥) .

وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقي في « الدلائل » عن أبي وائل قال : قيل

(١) كذا في النسخ الخطية ، والصواب : (شريك) ؛ كما في مصادر التخریج ، والله أعلم .

(٢) مسند البزار (٢٨٩٥) ، ومستدرک الحاكم (٧٠ / ٣) ، وأخرجه الترمذي (٣٨١٢) ، وقال : هذا حديث حسن ، وهو حديث شريك ، وانظر « علل الدارقطني » (٢١٥ / ٣) ، وشريك : هو ابن عبد الله بن الحارث النخعي القاضي ، وأبو اليقظان : هو عثمان بن عمير البجلي ، وأبو وائل : هو شقيق بن سلمة .

(٣) صحيح البخاري (٧٢١٨) ، وصحيح مسلم (١٨٢٣) .

(٤) أي : ثبت واستقر .

(٥) مسند أحمد (١١٤ / ١) ، ودلائل النبوة (٢٢٣ / ٧) من طريق الأسود بن قيس ، عن عمرو بن سفيان ... إلخ ، وعند أحمد : عن الأسود ، عن رجل .

لعلي : ألا تستخلف علينا ؟ قال : (ما استخلفَ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستخلفُ ، ولكن إن يُرد الله بالناس خيراً . . فسيجمعهم بعدي على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم)^(١) .

قال الذهبي : وعند الرافضة أباطيل في أنه عهد إلى علي رضي الله عنه .

وقد قال هُزَيْل بن شُرَحْبِيل^(٢) : أكان أبو بكر يتأمر على وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! ود أبو بكر أنه وجد عهداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرم^(٣) أنفه بخِزَام . أخرج ابن سعد والبيهقي في « الدلائل »^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال علي : (لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم . . نظرنا في أمرنا : فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قَدَّمَ أبا بكر في الصلاة ، فرضينا لدُنْيَانَا مَنْ رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، فقدَّمنا أبا بكر)^(٥) .

وقال البخاري في « تاريخه » : روي عن ابن جُمُهَان عن سَفِينَةَ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر وعثمان : « هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ بَعْدِي » قال البخاري : ولم يُتَابَعِ عليُّ هذا ؛ لأن عمر وعلياً قالَا : (لم يستخلف النبي صلى الله عليه وسلم) انتهى^(٦) .

والحديث المذكور أخرجه ابن حبان قال : حدثنا أبو يعلى ، حدثنا يحيى الجِمَّانِي ، حدثنا حَشْرَج ، عن سعيد بن جُمُهَان ، عن سَفِينَةَ قال : لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد . . وضع في البناء حجراً وقال لأبي بكر : « ضَعْ حَجْرَكَ إِلَى جَنْبِ حَجْرِي » ثم قال لعمر : « ضَعْ حَجْرَكَ إِلَى جَنْبِ حَجْرِي »

(١) مستدرک الحاكم (٧٩ / ٣) ، ودلائل النبوة (٢٢٣ / ٧) .

(٢) كذا في (هـ) ، وفي باقي النسخ : (هذيل) ، والصواب المثبت ؛ كما ضبطه الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٣٦١ / ٥) ، والله أعلم .

(٣) الخزم : ثقب الأنف .

(٤) الطبقات الكبرى (١٦٧ / ٣) ، ودلائل النبوة (٢٢٧ / ٧) .

(٥) الطبقات الكبرى (١٦٧ / ٣) .

(٦) التاريخ الكبير (١١٧ / ٣) .

أبي بكر « ثم قال لعثمان : « ضَع حَجْرَكَ إِلَى جَنْبِ حَجَرِ عُمَرَ » ثم قال : « هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءُ بَعْدِي » .

قال أبو زرعة : (إسناده لا بأس به) ، وقد أخرجه الحاكم في « المستدرک » وصححه ، والبيهقي في « الدلائل » وغيرهما^(١) .

قلت : ولا منافاة بينه وبين قول عمر وعلي : إنه لم يستخلف ؛ لأن مرادهما : أنه عند الوفاة لم ينص على استخلاف أحد ، وهذه إشارة وقعت قبل ذلك ؛ فهو كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي » أخرجه الحاكم من حديث العرياض بن سارية^(٢) .

وكقوله صلى الله عليه وسلم : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ »^(٣) ، وغير ذلك من الأحاديث المشيرة إلى الخلافة .

فَضَائِلُ

في بيان أن الأئمة من قريش والخلافة فيهم

قال أبو داود الطيالسي في « مسنده » : حدثنا سُكَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ سِيَارِ بْنِ سَلَامَةَ ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْأُئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا حَكَمُوا فَعَدَلُوا ، وَوَعَدُوا فَوْفَوْا ، وَاسْتُرْحِمُوا فَرَحِمُوا » أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى في « مسنديهما » ، والطبراني^(٤) .

وقال الترمذي : حدثنا أحمد بن مَنِيع ، حدثنا زيد بن الحُبَاب ، حدثنا

(١) المجروحين (٣٣٨/١) ، ومستدرک الحاكم (١٣/٣) ، ودلائل النبوة (٥٥٣/٢) ، والضعفاء الكبير (٢٩٧/١) ، وأبو يعلى : هو الموصلي أحمد بن علي ، ويحيى : هو ابن عبد الحميد .

(٢) مستدرک الحاكم (٩٧/١) ، وأخرجه أبو داود (٤٦٠٧) ، والترمذي (٢٦٧٦) ، وابن ماجه (٤٢) .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) ، والحاكم في « المستدرک » (٧٥/٣) من حديث سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

(٤) مسند الطيالسي (٩٢٦) ، ومسند أحمد (٤٢١/٤) ، ومسند أبي يعلى (٣٦٤٥) ، والطبراني في « الكبير » (٢٥٢/١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه بنحوه .

معاوية بن صالح ، حدثنا أبو مريم الأنصاري ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المُلْكُ في قُريش ، والقضاءُ في الأنصار ، والأذان في الحبشة » إسناده صحيح^(١) .

وقال الإمام أحمد في « مسنده » : حدثنا الحَكَم بن نافع ، حدثنا إسماعيل بن عِيَّاش ، عن ضَمُضَم بن زُرعة ، عن شُريح ، عن كَثِير بن مُرَّة ، عن عتبة بن عَبْدٍ : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الخِلافةُ في قُريش ، والحُكْمُ في الأنصار ، والدَّعوة في الحبشة » رجاله موثقون^(٢) .

وقال البزار : حدثنا إبراهيم بن هانئ ، حدثنا الفيض بن الفضل ، حدثنا مِسْعَر ، عن سلمة بن كُهَيْل ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الأمراءُ من قُريش ؛ أبرارُها أمراءُ أبرارِها ، وفجَّارُها أمراءُ فجَّارِها »^(٣) .

فَضَائِلُ

[في مدة الخلافة الراشدة]

قال الإمام أحمد : حدثنا بَهْز ، حدثنا حَمَّاد بن سلمة ، حدثنا سعيد بن جُمهان ، عن سَفِينة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخلافةُ ثلاثون عاماً ، ثم يكون بعد ذلك المُلْكُ » أخرجه أصحاب السنن ، وصححه ابن حبان وغيره^(٤) .

قال العلماء : لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم إلا الخلفاء الأربعة وأيام الحسن .

وقال البزار : حدثنا محمد بن مسكين ، حدثنا يحيى بن حسان ، حدثنا

(١) سنن الترمذي (٣٩٣٦) ، وأبو مريم : هو عبد الرحمن بن ماعز .

(٢) مسند أحمد (١٨٥ / ٤) ، وشريح : هو ابن عبيد الحضرمي .

(٣) مسند البزار (٧٥٩) ، وأبو صادق : هو عبد الله بن ناجد ، وقيل : مسلم بن يزيد .

(٤) مسند أحمد (٢٢٠ / ٥) ، وسنن أبي داود (٤٦٤٦) ، وسنن الترمذي (٢٢٢٦) ، والنسائي في

« الكبرى » (٨١٥٥) ، وصحيح ابن حبان (٦٩٤٣) ، ومستدرک الحاكم (١٤٥ / ٣) .

يحيى بن حمزة [عن أبي وهب]^(١) ، عن مكحول ، عن أبي ثعلبة ، عن أبي عبيدة بن الجراح قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ دِينِكُمْ بَدْءُ نَبْوَةٍ وَرَحْمَةٍ ، ثُمَّ يَكُونُ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يَكُونُ مَلَكُوتٌ وَجَبَرِيَّةٌ » حديث حسن^(٢) .

وقال عبد الله بن أحمد : حدثنا محمد بن أبي بكر المُقَدَّمي ، حدثنا يزيد بن زريع ، حدثنا ابن عَوْن ، عن الشَّعْبِي ، عن جابر بن سَمُورَةَ ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ عَزِيزًا ، يُنْصَرُونَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ عَلَيْهِ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً ، كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ » أخرجه الشيخان وغيرهما ، وله طرق وألفاظ^(٣) .

منها : « لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ صَالِحًا » ، ومنها : « لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ مَاضِيًا » رواهما أحمد^(٤) .

ومنها عند مسلم : « لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمْ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا »^(٥) .

ومنها عنده : « إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضِي حَتَّى يَمْضِيَ فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً »^(٦) .

ومنها عنده : « لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا مَنِيعًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً »^(٧) .

ومنها عند البزار : « لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا حَتَّى يَمْضِيَ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً ؛ كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ »^(٨) .

(١) ما بين معقوفين زيادة من مطبوع البزار .

(٢) مسند البزار (١٢٨٢) ، وأبو وهب : هو عبيد الله بن عبيد الله الكلاعي ، ومكحول : هو الشامي ، وأبو ثعلبة : هو الخُشْنِي الصخابي .

(٣) مسند أحمد (٩٨ / ٥) ، وصحيح البخاري (٧٢٢٢) ، وصحيح مسلم (٧ / ١٨٢١) ، وسنن أبي داود (٤٢٨٠) ، وابن عون : هو عبد الله ، والشعبي : هو عامر بن شراحيل .

(٤) مسند أحمد (٩٧ / ٥) .

(٥) صحيح مسلم (٦ / ١٨٢١) .

(٦) صحيح مسلم (١٨٢١) .

(٧) صحيح مسلم (٩ / ١٨٢١) .

(٨) مسند البزار (٤٢٨٤) .

ومنها عند أبي داود زيادة : فلما رجع إلى منزله . . أثنه قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : « ثم يكون الهرج »^(١) .

ومنها عنده : « لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم تجتمع عليه الأمة »^(٢) .

[بيان المراد من قوله صلى الله عليه وسلم : « اثنا عشر »]

وعند أحمد والبخاري بسند حسن عن ابن مسعود أنه سئل : كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال : سألنا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « اثنا عشر ؛ كعدة نُبَاء بني إسرائيل »^(٣) .

قال القاضي عياض : (لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها : أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة ، وقوة الإسلام ، واستقامة أموره ، والاجتماع على من يقوم بالخلافة ، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس ، إلى أن اضطرب أمر بني أمية ، ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد^(٤) ، فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية ، فاستأصلوا أمرهم)^(٥) .

قال شيخ الإسلام ابن حجر في « شرح البخاري » : (كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه ؛ لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة : « كلهم يجتمع عليه الناس » .

وإيضاح ذلك : أن المراد بالاجتماع : انقيادهم لبيعته ، والذي وقع : أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين^(٦) ، فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ، ثم اجتمع الناس على

(١) سنن أبي داود (٤٢٨١) .

(٢) سنن أبي داود (٤٢٧٩) .

(٣) مسند أحمد (٣٩٨ / ١) ، ومسند البخاري (١٩٣٧) .

(٤) وكانت خلافته سنة (١٢٥ هـ) .

(٥) إكمال المعلم (٢١٧ / ٦) .

(٦) وكانت هذه الواقعة في سنة (٣٧ هـ) .

معاوية عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ، ولم ينتظم للحسين أمر ، بل قُتل قبل ذلك .

ثم لما مات يزيد . . وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة : الوليد ، ثم سليمان ، ثم يزيد ، ثم هشام ، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز ؛ فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين ، والثاني عشر هو : الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام ، فولي نحو أربع سنين ، ثم قاموا عليه فقتلوه .

وانتشرت الفتن ، وتغيرت الأحوال من يومئذ ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك ؛ لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تَطُل مدته ، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ، ولما مات يزيد . . ولي أخوه إبراهيم ، فغلبه مروان ، ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قُتل .

ثم كان أول خلفاء بني العباس السفاح ، ولم تَطُل مدته مع كثرة من ثار عليه ، ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته ، لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس ، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسماوا بالخلافة بعد ذلك ، وانفرد الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في البلاد ، بعد أن كانوا في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، يميناً وشمالاً مما غلب عليه المسلمون ، ولا يتولى أحد في بلد من البلاد كلها الإمارة على شيء منها إلا بأمر الخليفة (١) .

ومن انفراد الأمر : أنه كان في المئة الخامسة بالأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة ، ومعهم صاحب مصر العبيدي ، والعباسي ببغداد خارجاً عمن كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج .

قال : (فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله : « ثم يكون الهرج » يعني :

(١) فتح الباري (٢١٤/١٣) .

القتل الناشئ عن الفتن وقوعاً فاشياً ، ويستمر ويزداد ، وكذا كان (١) .

وقيل : (إن المراد : وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة ، يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ، ويؤيد هذا : ما أخرجه مسدد في « مسنده الكبير » عن أبي الجلد أنه قال : « لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة ، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم » (٢) .

وعلى هذا : فالمراد بقوله : « ثم يكون الهرج » أي : الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده (انتهى) (٣) .

قلت : وعلى هذا : فقد وجد من الاثني عشر : الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز : هؤلاء ثمانية ، ويحتمل أن يضم إليهم : المهدي (٤) من العباسيين ؛ لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وكذلك : الظاهر (٥) ؛ لما أتاه من العدل ، ويبقى الاثنان المنتظران : أحدهما المهدي ؛ لأنه من آل بيت محمد صلى الله عليه وسلم .

فَصْلٌ

في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية

قال الترمذي : حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا أبو داود الطيالسي ، حدثنا القاسم بن الفضل الحُدّاني ، عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن بن علي بعدما بايع معاوية فقال : سَوَدت وجوه المؤمنين ، فقال : لا تؤنبني رحمك الله ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم أرى بني أمية على منبره فساء ذلك ،

(١) فتح الباري (٢١٤ / ١٣) .

(٢) مسند مسدد ؛ كما في « المطالب العالية » (٤٤٨٤) .

(٣) فتح الباري (٢١٣ / ١٣) .

(٤) هو محمد بن الوائق ، وكانت خلافته سنة (٢٥٥ هـ) ، وسيأتي (ص ٥٦٠) .

(٥) هو محمد بن الناصر لدين الله ، كانت خلافته سنة (٦٢٢ هـ) ، وسيأتي (ص ٦٩٩) .

فنزلت : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ، ونزلت : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ « يملكها بعدك بنو أمية يا محمد » .

قال القاسم : فعددنا ؛ فإذا هي ألف شهر لا تزيد ولا تنقص ، قال الترمذي : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم ، وهو ثقة ، ولكن شيخه مجهول^(١) .

وأخرج هذا الحديث الحاكم في « مستدركه » ، وابن جرير في « تفسيره »^(٢) ، قال الحافظ أبو الحجاج : وهو حديث منكر ، وكذا قال ابن كثير^(٣) .

وقال ابن جرير في « تفسيره » : حدثت عن محمد ابن زبالة ، حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد ، حدثني أبي عن جدي قال : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الحكم بن أبي العاصي ينزون على منبره نزو القردة ، فسأه ذلك ، فما استجمع ضاحكاً حتى مات ، وأنزل الله في ذلك : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾) ، إسناده ضعيف^(٤) ؛ لكن له شواهد من حديث عبد الله بن عمر^(٥) ، ويعلى بن مرة^(٦) ، والحسين بن علي^(٧)

(١) سنن الترمذي (٣٣٥٠) .

(٢) مستدرك الحاكم (١٧٥ / ٣) ، وتفسير الطبري (٢٦٠ / ٣٠) .

(٣) تفسير ابن كثير (٥٣٠ / ٤) ، ونقل فيه حكم المزي على الحديث .

(٤) تفسير الطبري (١١٢ / ١٥ - ١١٣) ، وفيه : (رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني فلان ينزون) ، ومحمد ابن زبالة : هو محمد بن الحسن بن زبالة .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » ؛ كما في « الدر المنثور » (٣٠٩ / ٥) ، ولفظه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ولد الحكم بن أبي العاصي على المنابر كأنهم القردة » ، وهو من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وجاء في : (ب ، ج ، د ، هـ) : (عمرو) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في « تفسيره » (١٣٣٢٣) ، ولفظه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أريت بني أمية على منابر الأرض ، وسيتملكونكم ؛ فتجدونهم أرباب سوء » ، واهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك ، وفي مطبوع « الدر المنثور » : (يعلى بن مرة عن علي رضي الله عنه) .

(٧) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٣١٠ / ٥) وعزاه لابن مردويه ، ولفظه : أن رسول الله صلى الله =

وغيرهم ، وقد أوردتها بطرقها في كتابي « التفسير المسند » ، وأشارت إليها في كتابي « أسباب النزول »^(١) .

فَصْنَعُ

في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس

قال البزار : حدثنا يحيى بن مُعَلَّى بن منصور ، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فُديك ، عن محمد بن عبد الرحمن العامري ، عن سهيل ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « فيكم النبوة والمملكة » العامري ضعيف^(٢) ، وقد أخرجه أبو نعيم في « دلائل النبوة » ، وابن عدي في « الكامل » ، وابن عساكر من طرق عن ابن أبي فُديك به^(٣) .

وقال الترمذي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، عن ثور بن يزيد ، عن مكحول ، عن كُريب ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس : « إذا كان غداة الاثنين . . فأتني أنت وولدك ؛ حتى أدعو لهم بدعوة ينفعك الله بها وولدك » فغدا وغدونا معه ، وألّسنا كساءً ، ثم قال : « اللهم ؛ اغفر للعباس وولده مغفرة ظاهرة وباطنة ، لا تُغادر ذنباً ، اللهم ؛ احفظه في ولده » هكذا أخرجه الترمذي في « جامعه »^(٤) .

وزاد رزين العبدري في آخره : « واجعل الخلافة باقية في عقبه »^(٥) .

= عليه وسلم أصبح وهو مهموم ، فقيل : ما لك يا رسول الله ؟ فقال : « إني رأيت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري » فقيل : يا رسول الله ؛ لا تهتم ؛ فإنها دنيا تنالهم .

(١) أسباب النزول (١/٢١٧-٢١٨) .

(٢) مسند البزار (٩١٠٣) ، وسهيل : هو ابن أبي صالح ذكوان .

(٣) دلائل النبوة (٥١٧/٦) ، والكامل (٢٦٢/٤) ، وتاريخ دمشق (٣٧٤/٢٦) .

(٤) سنن الترمذي (٣٧٦٢) ، وفيه : (حتى أدعوك بدعوة . . .) .

(٥) انظر « جامع الأصول » (٢٣/٩) .

قلت : هذا الحديث والذي قبله أصلح ما ورد في هذا الباب .

وقال الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم أبو النضر^(١) ، عن يزيد بن ربيعة ، عن أبي الأشعث ، عن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت بني مروان يتعاورون على منبري فساءني ذلك ، ورأيت بني العباس يتعاورون على منبري فسرني ذلك »^(٢) .

التعاور : التداول .

وقال أبو نعيم في « الحلية » : حدثنا محمد بن الْمُظَفَّر ، حدثنا عمر بن الحسن بن علي ، حدثنا عبد الله بن محمد بن عُبَيْد^(٣) ، حدثنا محمد بن صالح العَدَوِي ، حدثنا ابن جعفر التميمي ، حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العَمِّي ، أخبرني علي بن زيد بن جُدْعَان ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلَقَّاهُ العباس ، فقال : « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ » قال : بلى يا رسول الله ، قال : « إِنَّ اللَّهَ افْتَتَحَ بِي هَذَا الْأَمْرَ ، وَبَذَرْتُكَ يَخْتِمُهُ » ، إسناده ضعيف^(٤) .

وقد ورد من حديث علي بإسناد أضعف من هذا ، أخرجه ابن عساكر من طريق محمد بن يونس الكُدَيْمِي - وهو وضاع - عن إبراهيم بن سعيد الأشقر^(٥) ، عن خلف بن خليفة ، عن أبي هاشم ، عن محمد بن الحنفية ، عن علي رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس : « إِنَّ اللَّهَ فَتَحَ هَذَا الْأَمْرَ بِي ، وَيَخْتِمُهُ بَوْلَدِكَ »^(٦) .

(١) في النسخ : (إسحاق عن إبراهيم أبي النضر) ، والمثبت من « المعجم الكبير » ، و« تهذيب الكمال » (٣٨٩/٢) .

(٢) المعجم الكبير (٩٦/٢) . وأبو الأشعث : هو شراحيل بن آده .

(٣) في النسخ : (عبد الله بن أحمد بن عبيد) ، والمثبت من « الحلية » ، وعبد الله بن محمد : هو الأموي أبو بكر ابن أبي الدنيا ، انظر « تهذيب الكمال » (٧٢/١٦) .

(٤) حلية الأولياء (٣١٥/١) ، وابن جعفر : اسمه لاهز ؛ كما في « تهذيب الكمال » (١٦٦/١٨) .

(٥) في (أ) : (الأشقر) ، والمثبت كما في بقية النسخ ، وفي « تاريخ دمشق » : (الشقري) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٤٩/٢٦) ، وأبو هاشم : هو الرُّمَّانِي يحيى بن دينار ، وقيل : يحيى بن الأسود .

وورد أيضاً من حديث ابن عباس ، أخرجه الخطيب في « التاريخ » ، ولفظه :
« بَكُم يُفْتَحُ هَذَا الْأَمْرُ ، وَبَكُم يُخْتَمُ »^(١) ، وسيأتي بسنده في ترجمة المهدي بالله^(٢) .

وورد أيضاً من حديث عمار بن ياسر ، أخرجه الخطيب^(٣) .

وقال في « الحلية » : حدثنا محمد بن المظفر ، حدثنا نصر بن محمد ، حدثنا علي بن أحمد السَّوَّاق ، حدثنا عمر بن راشد ، حدثنا عبد الله بن محمد بن صالح ، عن أبيه ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَكُونُ مَنْ وَلَدَ الْعَبَّاسِ مَلُوكٌ يَكُونُ أَمْرُ أُمْتِي ، يُعِزُّ اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ » ، عمر بن راشد ضعيف^(٤) .

وقال أبو نعيم في « الدلائل » : حدثنا الحسن بن إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا المنتصر بن نصر بن المنتصر ، حدثنا أحمد بن راشد بن خثيم ، [ثنا عمي سعيد بن خثيم]^(٥) ، عن حنظلة ، عن طاووس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني أم الفضل قالت : مررتُ بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّكَ حَامِلٌ بِغَلَامٍ ، فَإِذَا وَلَدْتَ . . فَأَتْنِي بِهِ » فلما ولدت . . أتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى ، وألبأه من ريقه^(٦) ، وسماه عبد الله ، وقال : « أَذْهَبِي بِأَبِي الْخُلَفَاءِ » فأخبرت العباس ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هُوَ مَا أَخْبَرْتُكَ ، هَذَا أَبُو الْخُلَفَاءِ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ السَّفَّاحُ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ الْمَهْدِيُّ ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمْ مَنْ يَصْلِي بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ »^(٧) .

(١) تاريخ بغداد (٣/٣٤٩) .

(٢) انظر ترجمة المهدي بالله (ص ٥٦٠) ، ولم يذكر الحديث هناك ، والله أعلم .

(٣) تاريخ بغداد (٤/١١٧) ، ولفظه : بينا النبي صلى الله عليه وسلم راكب ؛ إذ حانت منه التفاتة ؛ فإذا هو العباس ، فقال : « يا عباس » قال : لبيك يا رسول الله ، قال : « إِنْ اللَّهُ فَتَحَ هَذَا الْأَمْرَ لِي ، وَسِيخْتَمَهُ بِغَلَامٍ مِنْ وَلَدِكَ ، يَمْلُوهَا عِدْلًا كَمَا مَلَتْ جُورًا ، وَهُوَ الَّذِي يَصْلِي بِعِيسَى » .

(٤) حلية الأولياء (١/٣١٦) .

(٥) ما بين معقوفين زيادة من « دلائل النبوة » .

(٦) ألبأه : أطعمه .

(٧) دلائل النبوة (٤٨٧) ، وانظر « الخصائص الكبرى » (٢/٢٠٢) ، حنظلة : هو ابن سليمان ، =

وقال الديلمي في « مسند الفردوس » : أخبرنا عَبْدُوس بن عبد الله كتابة ، أخبرنا الحسين بن فَجْجُويه ، حدثنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المُقْرِئ ، حدثنا العباس بن علي النسائي ، حدثنا يحيى بن يعلى الرازي ، حدثنا سهل بن تَمَّام ، حدثنا الحارث بن سِبْل ، حدثتنا أم النعمان ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « سَتَكُونُ لولد العباس رايةٌ ، ولن تَخْرَجَ من أيديهم ما أَقَامُوا الْحَقَّ »^(١) .

وقال الدارقطني في « الأفراد » : حدثنا عبيد الله بن عبد الصمد بن المهتدي ، حدثنا محمد بن هارون السعدي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الأنصاري ، عن أبي يعقوب بن سليمان الهاشمي ، سمعت المنصور يقول : حدثني أبي ، عن جدي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للعباس : « إِذَا سَكَنَ بَنُوكَ السَّوَادَ ، وَلَبِسُوا السَّوَادَ ، وَكَانَ شِيعَتُهُمْ أَهْلُ خُرَّاسَانَ . لم يَزَلْ الأَمْرُ فِيهِمْ حَتَّى يَدْفَعُوهُ إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » ، أحمد بن إبراهيم ليس بشيء ، وشيخه مجهول ، والحديث ضعيف بمرّة ، حتى إن ابن الجوزي ذكره في « الموضوعات »^(٢) .

وله شاهد أخرجه الطبراني في « الكبير » عن أحمد بن داود المكي ، عن محمد بن إسماعيل بن عون النيلي ، عن الحارث بن معاوية بن الحارث ، عن أبيه ، عن جده أبي أمه ، عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً : « الْخِلَافَةُ فِي وَلَدِ عَمِّي صِنُو أَبِي ، حَتَّى يُسَلِّمُوهَا إِلَى الْمَسِيحِ » وأخرجه الديلمي من وجه آخر عن أم سلمة رضي الله عنها^(٣) .

= وطاووس : هو ابن كيسان ، وأم الفضل : هي بنت الحارث الهلالية الصحابية .

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣٤٢٢) وعزاه للديلمي .

(٢) الموضوعات (٣٤٤/١) من طريق الدارقطني ، وأخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٣٥٥/١٨) من طريق عبيد الله بن عبد الصمد ، به ، وزاد بين أبي يعقوب بن سليمان وبين منصور : زينب بنت سليمان بن علي . وأخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٣٥/١٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣٥/٢٢) من طريق طلحة بن عبيد الله ، عن أبي يعقوب بن سليمان بن منصور ، عن زينب بنت سليمان بن منصور قالت : حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما .

(٣) المعجم الكبير (٤٢٠/٢٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٧٤/١٩) ، ومسند الفردوس (٥٣٧١) ، وعندهم : (حتى يسلموها إلى الدجال) .

وقال العُقيلي في كتاب « الضعفاء » : حدثنا أحمد بن محمد النَّصِيبِي ، حدثنا إبراهيم بن المُسْتَمِرِّ العُرُوقِي ، حدثنا أحمد بن سعيد الجُبَيْرِي ، حدثنا عبد العزيز بن بَكَّار بن عبد العزيز بن أبي بكرة ، عن أبيه ، عن جده [عن] أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً : « يَلِي وَلَدُ الْعَبَّاسِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ تَلِيهِ بَنُو أُمَيَّةَ يَوْمِينَ ، وَلِكُلِّ شَهْرٍ شَهْرَيْنِ »^(١) .

هَذَا حَدِيثٌ أوردته ابن الجوزي في « الموضوعات » وأعلَّه ببَكَّار^(٢) ، وليس كما قال ؛ فَإِنْ بَكَّاراً لم يَتَّهِمُ بِكَذِبٍ وَلَا وَضَعٍ ، بل قال فيه ابن عدي : هو من جملة الضعفاء الذين يُكْتَبُ حَدِيثُهُمْ ، ثم قال : وأرجو أنه لا بأس به^(٣) .

ولعمري !! فليس معنى الحديث ببعيد ؛ فَإِنْ دولة العباسيين في حال علوها ونفوذ كلمتها في أقطار الأرض شرقاً وغرباً ، ما عدا أقصى المغرب . . كانت من سنة بضع وثلاثين ومئة إلى سنة بضع وتسعين ومئتين حتى تولى المقتدر ، وفي أيامه انخرم النظام وخرجت المغرب بأسرها عن أمره ، ثم تتابع الفساد والاختلال في دولته وبعده كما سيأتي^(٤) ، فكانت أيام شموخ مملكتهم مئة وبضعاً وستين سنة ، وهي ضعف أيام بني أمية الشامخة ؛ فإنها كانت اثنتين وتسعين سنة ، منها تسع سنين الأمر فيها لابن الزبير أكثر ، فَصَفَّتْ ثلاثة وثمانين سنة وكسراً ، وهي ألف شهر سواء .

ثم وجدت للحديث شاهداً ؛ قال الزبير بن بَكَّار في « الموفقيات » : حدثني علي بن صالح ، عن جدي عبد الله بن مصعب ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمعاوية : (لا تملكون يوماً . . إلا ملكنا يومين ، ولا شهراً . . إلا ملكنا شهرين ، ولا حولاً . . إلا ملكنا حولين) .

وقال الزبير بن بَكَّار في « الموفقيات » : حدثني علي بن المغيرة عن ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

(١) الضعفاء الكبير (٥ / ٣) .

(٢) الموضوعات (٣٤٥ / ١) .

(٣) الكامل في الضعفاء (٤٣ / ٢) .

(٤) انظر ما سيأتي (ص ٥٨٧) .

(الرايات السود لنا أهل البيت) ، وقال : (لا يجيء هلاكها إلا من قبل المغرب) .

وقال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : أنبأنا أبو القاسم بن بيان ، أخبرنا أبو علي بن شاذان ، أخبرنا جعفر بن محمد الواسطي ، حدثنا محمد بن يونس الكُدَيْمي ، حدثنا عبد الله بن سَوَّار العَنْبَري ، حدثنا أبو الأشهب جعفر بن حيان ، عن أبي رجاء العُطَارِدي ، عن عبد الله بن عباس ، عن أبيه رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اللهم ؛ انصُرِ العَبَّاسَ وولَدَ العَبَّاسِ » قالها ثلاثاً ، ثم قال : « يا عمُّ ؛ أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ المَهْدِيَّ من وَلَدِكَ ، مُوفَّقاً رَاضِياً مَرْضِياً ؟ ! » ، الكُدَيْمي وضاع^(١) .

وقال ابن سعد في « الطبقات » : حدثنا محمد بن عمر ، أخبرنا عمر بن عقبة اللَّيْثي ، عن شعبة مولى ابن العباس ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أرسل العباس بن عبد المطلب إلى بني عبد المطلب فجمعهم عنده ، وكان عليّ عنده بمنزلة لم يكن أحد بها ، فقال العباس : يا بن أخي ؛ إني قد رأيت رأياً لم أحب أن أقطع فيه شيئاً حتى أستشيرك . فقال علي : ما هو ؟ قال : ندخل على النبي صلى الله عليه وسلم فنسأله إلى من هذا الأمر من بعده ؛ فإن كان فينا . . لم نُسلمه - والله - ما بقي منا في الأرض طارف ، وإن كان في غيرنا . . لم نطلبها بعد أبداً ؟ قال علي : يا عم ؛ وهل هذا الأمر إلا إليك ، وهل أحد ينازعكم في هذا الأمر ؟ !)^(٢) .

فَضْلُكَ

[إذا أراد الله أن يخلق خلقاً للخلافة . . مسح ناصيته بيمينه]

قال الديلمي في « مسند الفردوس » : أخبرنا أبو منصور ابن خَيْرُون ، أخبرنا

(١) تاريخ دمشق (٢٦/٢٩٨-٢٩٩) ، أبو القاسم : هو علي بن أحمد بن محمد الرزاز ، وأبو علي : هو الحسين بن أحمد بن إبراهيم ، وأبو رجاء : هو عمران بن ملحان .

(٢) الطبقات الكبرى (٢/٢١٦) .

أحمد بن علي ، حدثنا بُشَيْرُ بن عبد الله الرومي ، حدثنا أبو بكر محمد بن جعفر الفامي - يعرف بِغُنْدَرٍ - قال : قُرِئَ عليّ أبي شاعر مَسْرُة بن عبد الله : حدثنا الحسن بن يزيد ، حدثنا ابن المبارك ، حدثنا الأعمش ، حدثنا إبراهيم بن جعفر الأنصاري ، حدثنا أنس بن مالك مرفوعاً : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا لِلْخِلَافَةِ . . مَسَحَ عَلَيَّ نَاصِيَتِهِ بِيَمِينِهِ » ، مسرة ذاهب الحديث متروك^(١) .

وقد ورد من حديث أبي هريرة أخرجه الديلمي من ثلاث طرق عن ابن أبي ذئب ، عن صالح مولى التَّوْءمة ، عن أبي هريرة مرفوعاً^(٢) .
وأخرجه الحاكم في « مستدركه » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) .

فَصْلٌ

في شأن البردة النبوية التي تداولها الخلفاء إلى آخر وقت

أخرج السُّلَفي في « الطُّيُوريات » بسنده إلى الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء : أن كعب بن زهير رضي الله عنه لما أنشد النبيّ صلى الله عليه وسلم قصيدته (بانت سعاد) . . رَمَى إليه ببردة كانت عليه ، فلما كان زمن معاوية رضي الله عنه . . كتب إلى كعب : (بعنا بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرة آلاف درهم) ، فأبى عليه ، فلما مات كعب . . بعث معاوية إلى أولاده بعشرين ألف درهم ، وأخذ منهم البردة التي هي عند الخلفاء إلى اليوم ، وهكذا قاله خلائق آخرون^(٤) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع « الفردوس » ، وهو عند الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٥٠ / ٢) ، ومن طريقه ابن الجوزي في « الموضوعات » (٢٨٩ / ٢) ، أبو منصور : هو محمد بن عبد الملك بن حسن ، وأحمد بن علي : هو ابن ثابت الخطيب البغدادي ، والحسن بن يزيد : هو الحسن بن عرفة بن يزيد ، والأعمش : هو سليمان بن مهران .

(٢) مسند الفردوس (٩٥٩) ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (١٩٨ / ٤) ، وابن عدي في « الكامل » (٣٦٤ / ٦) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » (٢٨٩ / ٢) من طريق مصعب بن عبد الله التوفلي عن ابن أبي ذئب ، وقال ابن عدي : (هذا حديث منكر بهذا الإسناد ، والبلاء فيه من مصعب ، والله أعلم) .
وصالح هذا : هو ابن نبهان المدني .

(٣) مستدرك الحاكم (٣٣٣ / ٣) موقوفاً .

(٤) لم نقف عليه في مطبوع « الطيوريات » ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٣٧٣ / ٤) : (وهذا من =

وأما الذهبي.. فقال في « تاريخه » : (أما البردة التي عند الخلفاء آل العباس.. فقد قال يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق في قصة غزوة تبوك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراها أبو العباس السَّفاح بثلاث مئة دينار)^(١) .

قلت : فكأن التي اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بني أمية^(٢) .

وأخرج الإمام أحمد في « الزهد » عن عروة بن الزبير رضي الله عنه : (أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يخرج فيه للوفد رداء حَضْرَمِي ؛ طوله أربع أذرع ، وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خَلِقَ وطووه بثياب تلبس يوم الأضحى والفطر) ، في إسناده ابن لهيعة^(٣) .

وقد كانت هذه البردة عند الخلفاء يتوارثونها ويطرحونها على أكتافهم في المواكب جلوساً وركوباً ، وكانت على المقتدر حين قتل وتلوث بالدم ، وأظن أنها فقدت في فتنة التتار ، فإننا لله وإنا إليه راجعون^(٤) .

فَضْلُكَ

في فوائد منشورة تقع في التراجم ولكن ذكرها ههنا في موضع واحد أنسب وأفيد قال ابن الجوزي : ذكر الصولي أن الناس يقولون : إن كل سادس يقوم للناس.. يخلع ، قال : فتأملت هذا فرأيتُه عجباً ، اعتقد الأمر لنبينا صلى الله عليه وسلم ، ثم قام بعده أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والحسن فخلع . ثم معاوية ، ويزيد ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان ، وعبد الملك ، وابن الزبير فخلع .

= الأمور المشهورة جداً ، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه .

(١) تاريخ الإسلام (٦٤٣ / ١) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٤٢ / ٢) .

(٢) انظر « السيرة الحلبية » (٢٤٠ / ٣) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « الزهد » ، وأخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٧٦٥) .

(٤) انظر « السيرة الحلبية » (٢٤٠ / ٣) .

ثم الوليد ، وسليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد ، وهشام ، والوليد
فخلع ، ثم لم ينتظم لبني أمية أمر .

فولي السَّفاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشد ، والأمين
فخلع .

ثم المأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمتوكل ، والمنتصر ، والمستعين
فخلع .

ثم المعتز ، والمهتدي ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمكتفي ، والمقتدر
فخلع مرتين ، ثم قتل .

ثم القاهر ، والراضي ، والمتقي ، والمستكفي ، والمطيع ، والطائع
فخلع .

ثم القادر ، والقائم ، والمقتدي ، والمستظهر ، والمسترشد ، والراشد
فخلع ، هذا آخر كلام ابن الجوزي^(١) .

قال الذهبي : (وما ذكره من خرم بأشياء :

أحدها : قوله : « وعبد الملك وابن الزبير » وليس الأمر كذلك ، بل ابن
الزبير خامس وبعده عبد الملك ، أو كلاهما خامس ، أو أحدهما خليفة والآخر
خارج ؛ لأن ابن الزبير سابق البيعة عليه ، وإنما صحت خلافة عبد الملك من
حين قتل ابن الزبير .

والثاني : تركه لعدّ يزيد الناقص ، وأخيه إبراهيم الذي خلع ، ومروان ،
فيكون الأمين باعتبار عددهم تاسعاً .

قلت : قد تقدم أن مروان ساقط من العدد^(٢) ؛ لأنه باغ ، ومعاوية بن يزيد
كذلك ؛ لأن ابن الزبير بويع له بعد موت يزيد ، وخالف عليه معاوية بالشام فهما
واحد ، وإبراهيم الذي بعد يزيد الناقص لم يتم له أمر ؛ فإن قوماً بايعوه

(١) المنتظم (٣٣٢/١٧ - ٣٣٣) .

(٢) تقدم (ص ٧٦) .

بالخلافة ، وآخرين لم يبايعوه ، وقوم كانوا يدعونه بالإمرة دون الخلافة ، ولم
يقم سوى أربعين^(١) يوماً أو سبعين يوماً ، فعلى هذا مروان الحمار سادس ؛ لأنه
الثاني عشر من معاوية ، والأمين بعده سادس .

والثالث : أن الخلع ليس مقتصرأ على كل سادس ؛ فإن المعتز خلع ، وكذا
القاهر والمتقي والمستكفي^(٢) .

قلت : لا انخرام بهذا ؛ فإن المقصود أن السادس لا بد من خلعه ، ولا ينافي
هذا كون غيره أيضاً يخلع .

ويقال زيادة على ما ذكره ابن الجوزي : ولي بعد الراشد المقتفي ،
والمستنجد ، والمستضيء ، والناصر ، والظاهر ، والمستنصر ، وهو السادس
فلم يُخلع ، ثم المستعصم وهو الذي قتله التتار ، وكان آخر دولة الخلفاء ،
وانقطعت الخلافة بعده ثلاث سنين ونصف .

ثم أقيم بعده المستنصر ، فلم يقم في الخلافة ، بل بويع بمصر وسار إلى
العراق ، فصاف التتار فقتل أيضاً ، وتعطلت الخلافة بعده سنة كاملة .

ثم أقيمت الخلافة بمصر ؛ فأولهم : الحاكم ، ثم المستكفي ، ثم الواثق ،
ثم الحاكم ، ثم المعتضد ، ثم المتوكل وهو السادس فخلع .

وولي المستعصم ، ثم خلع بعد خمسة عشر يوماً ، وأعيد المتوكل ، ثم خلع
وبويع الواثق ، ثم المستعصم^(٣) ، ثم خلع وأعيد المتوكل ، فاستمر إلى أن
مات ، ثم المستعين ، ثم المعتضد ، ثم المستكفي ، ثم القائم وهو السادس من
المستعصم الأول ومن المستعصم الثاني فخلع ، ثم المستنجد خليفة العصر وهو
الحادي والخمسون من خلفاء بني العباس .

(١) في (أ) : (ثمانين) ، وانظر «المنتظم» (٢٥٩/٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٦/٣٠٣-٣٠٤) .

(٣) في (ب) : (المستصر) ، وفي بقية النسخ : (المعصم) ، والمثبت هو الصواب ؛ كما سيأتي عند
المصنف (ص ٧٦١ ، ٧٦٤) ، والله أعلم .

فوائد

[فيما اتفق فيه الخلفاء]

يقال : لبني العباس فاتحة وواسطة وخاتمة ؛ فالفاتحة : المنصور ،
والواسطة : المأمون ، والخاتمة : المعتضد^(١) .

خلفاء بني العباس كلهم أبناء سراري إلا السفاح والمهدي والأمين .
ولم يَلِ الخلافة هاشمي ابن هاشمية إلا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ،
وابنه الحسن ، والأمين ، قاله الصولي^(٢) .
لم يَلِ الخلافة من اسمه علي إلا علي بن أبي طالب ، وعلي المكتفي ، قاله
الذهبي^(٣) .

قلت : غالب أسماء الخلفاء أفراد ، والمثنى منهم قليل ، والمتكرر كثيراً :
عبد الله وأحمد ومحمد ، وجميع ألقاب الخلفاء أفراد إلى المستعصم آخر الخلفاء
العراقيين .

ثم كررت الألقاب في الخلفاء المصريين ، فكرر المستنصر ، والمستكفي ،
والواثق ، والحاكم ، والمعتضد ، والمتوكل ، والمستعصم ، والمستعين ،
والقائم ، والمستنجد .

وكلها لم تكرر غير مرة واحدة ، إلا المستكفي والمعتضد فكررا مرة أخرى ،
فتلقب بهما من الخلفاء العباسيين ثلاثة .

ولم يتلقب أحد من بني العباس بلقب أحد من بني عبيد إلا القائم ،
والحاكم ، والظاهر ، والمستنصر ، وأما المهدي والمنصور . فسبق التلقب به
لبني العباس قبل وجود بني عبيد .

قال بعضهم : وما تلقب أحد بالقاهر فأفلح ، لا من الخلفاء ولا من الملوك .
قلت : وكذا المستكفي والمستعين لُقِبَ بكل منهما اثنان من بني العباس ،

(١) انظر « مآثر الإنافة » (٣ / ٣٧٠) .

(٢) انظر « الوافي بالوفيات » (٩٢ / ٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٨٢ / ١٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٠ / ٢٢) .

فخلعوا ونفيا ، والمعتضد من أجل الألقاب وأبركه لمن لُقّب به .

لم يَلِ الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا المقتفي بعد الراشد ، والمستنصر بعد المستعصم ، قاله الذهبي^(١) .

قال : (ولم يَلِ الخلافة ثلاثة إخوة إلا أولاد الرشيد : الأمين والمأمون والمعتصم ، وأولاد المتوكل : المنتصر والمعز والمعتمد ، وأولاد المقتدر : الراضي والمتقي والمطيع) .

قال : (وولي الأمر من أولاد عبد الملك أربعة ولا نظير لذلك إلا في الملوك)^(٢) .

قلت : جاء له نظير في الخلفاء بعد الذهبي ، فولي الخلافة من أولاد المتوكل محمد أربعة ، بل خمسة : المستعين والمعتضد والمستكفي والقائم والمستنجد خليفة العصر .

[أوليات الخلفاء]

ولم يَلِ الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وأبو بكر الطائع بن المطيع ، حصل لأبيه فالج ، فنزل لابنه عنها طوعاً .

قال العلماء : أول من ولي الخلافة وأبوه حي : أبو بكر ، وهو أول من عهد بها ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سمى المصحف مصحفاً .

أول من سمي أمير المؤمنين : عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهو أول من اتخذ الدّرة ، وأول من ورّخ من الهجرة ، وأول من أمر بصلاة التراويح ، وأول من وضع الديوان .

أول من حمى الحمى : عثمان ، وهو أول من أقطع الإقطاعات ؛ أي : أكثر من ذلك ، وأول من زاد الأذان الأول في الجمعة ، وأول من رَزَق المؤذنين ،

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٧ - ٤٠٨) .

وأول من أُرْتُج عليه في الخطبة ، وأول من اتخذ صاحب شرطة .
أول من استخلف ولي العهد في صحته : معاوية ، وهو أول من اتخذ
الخصيان لخاص خدمته .

أول من حملت إليه الرؤوس : عبد الله بن الزبير .

أول من ضرب اسمه على السكة : عبد الملك بن مروان .

أول من منع من ندائه باسمه : الوليد بن عبد الملك .

أول ما حدثت الألقاب لبني العباس .

وقال ابن فضل الله : زعم بعضهم أن لبني أمية ألقاباً مثل ألقاب بني العباس .

قلت : ذكر بعض المؤرخين أن لقب معاوية : الناصر لدين الله^(١) ، ولقب
يزيد : المستنصر^(٢) ، ولقب معاوية ابنه : الراجع إلى الحق^(٣) ، ولقب مروان :
المؤتمن بالله^(٤) ، ولقب عبد الملك : الموفق لأمر الله^(٥) ، ولقب ابنه الوليد :
المنتقم بالله^(٦) ، ولقب عمر بن عبد العزيز : المعصوم بالله^(٧) ، ولقب يزيد بن
عبد الملك : القادر بصنع الله^(٨) ، ولقب يزيد الناقص : الشاكر لأنعم الله^(٩) .

أول من تفرقت الكلمة في دولته : السفاح .

أول خليفة قَرَّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم : المنصور ، وهو أول
خليفة استعمل موالیه في الأعمال وقدمهم على العرب .

أول من أمر بتصنيف الكتب في الرد على المخالفين : المهدي .

(١) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٦٤ / ١) .

(٢) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٦٦ / ١) .

(٣) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٧٠ / ١) .

(٤) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٧٥ / ١) .

(٥) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٧٨ / ١) .

(٦) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٨١ / ١) .

(٧) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٨٩ / ١) .

(٨) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (٩٣ / ١) .

(٩) مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة (١٠٦ / ١) .

أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف والأعمدة : الهادي .

أول من لعب بالصَّوَالِجَةِ^(١) في الميدان : الرشيد .

أول ما دعي وكتب للخليفة بلقبه : في أيام الأمين .

أول من أدخل الأتراك الديوان : المعتصم .

أول من أمر بتغيير أهل الذمة زيهم : المتوكل .

أول من تحكمت الأتراك من قتله : المتوكل ، وظهر بذلك تصديق الحديث

النبوي ؛ كما أخرج الطبراني بسند جيد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اَتَرَكُوا الثَّرْكَ مَا تَرَكُوكُمْ ؛ فَإِنْ أَوَّلَ مَنْ يَسْلُبُ أُمَّتِي مُلْكَهُمْ وَمَا خَوَّلَهُمُ اللَّهُ : بَنُو قَنْطُورَاءَ »^(٢) .

أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة وصغر القلائس : المستعين .

أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب : المعتز .

أول خليفة قهر وحجر عليه ووكل به : المعتمد .

أول من ولي الخلافة من الصبيان : المقتدر .

آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال : الراضي ؛ وهو آخر خليفة له شِعْرٌ

مدوّن ، وآخر خليفة خطب وصلّى بالناس دائماً ، وآخر خليفة جالس النُدماء ، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه ، وعطاياه وخدمه ، وجراياته وخزائنه ، ومطابخه ومشاربه ، ومجالسه وحجابه وأموره جاريةً على ترتيب الخلافة الأولى ، وهو آخر خليفة سافر بزي الخلفاء القدماء .

أول ما كررت الألقاب : من المستنصر الذي تولى بعد المستعصم .

في « الأوائل » للعسكري : (أول خليفة ولي في حياة أمه : عثمان بن عفان

رضي الله عنه ، ثم الهادي ، ثم الرشيد ، ثم الأمين ، ثم المتوكل ، ثم

(١) الصوالجة - جمع صَوْلَجَان - : وهو عصا يعطف طرفها ، يضرب بها الكرة على الدواب .

(٢) المعجم الكبير (١٨١ / ١٠) ، والمعجم الأوسط (٥٦٣٤) ، وبنو قنطوراء : الترك .

المنتصر ، ثم المستعين ، ثم المعتز ، ثم المعتضد ، ثم المطيع ، ولم يَلِ الخلافة أحد في حياة أبيه غير أبي بكر الصديق رضي الله عنه ^(١) ، وزيد عليه الطائع .

وقال الصولي : (لا تعرف امرأة ولدت خليفتين إلا ولادة : أم الوليد ، وسليمان ابني عبد الملك ، وشاه فرند ^(٢) : أم يزيد الناقص ، وإبراهيم ابني الوليد ، والخيزران : أم الهادي ، والرشيد) .

قلت : ويزاد أم العباس ، وحمزة ، وأم داوود ، وسليمان أولاد المتوكل الأخير ^(٣) .

فصل ثالث

[في أسماء المتخلفين العبيدين]

المتسمون بالخلافة من العبيدين أربعة عشر ؛ ثلاثة بالمغرب : المهدي ، والقائم ، والمنصور ، وأحد عشر بمصر : المعز ، والعزیز ، والحاكم ، والظاهر ، والمستنصر ، والمستعلي ، والآخر ، والحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاقد .

وكان ابتداء مملكتهم : من سنة بضع وتسعين ومئتين ، وانقراضها : في سنة سبع وستين وخمس مئة .

قال الذهبي : (وهي الدولة المجوسية أو اليهودية لا العلوية ، والباطنية لا الفاطمية ، وكانوا أربعة عشر متخلفاً لا مستخلفاً) انتهى ^(٤) .

(١) الأوائل (ص ١٣٥-١٣٧) .

(٢) في النسخ (شاهين) ، ولعل المثبت هو الصواب ، وانظر «الكامل» لابن الأثير (٤/٤٩٩) ، و«تاريخ الإسلام» (٣١١/٨) ، و«النجوم الزاهرة» (١/٢٩٩) ، وما ذكره المصنف في ترجمة يزيد الناقص ، والله أعلم .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن المعتضد ، وهو قبل الأخير .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٧٥/٣٩) .

فصل ١٧٣

[في خلفاء المغرب من الأمويين]

المتسمون بالخلافة من الأمويين بالمغرب كانوا أحسن حالاً من العبيديين بكثير ؛ إسلاماً وسنة ، وعدلاً وفضلاً وعلماً ، وجهاداً وغزواً ، وهم كثير ؛ حتى إنه اجتمع بالأندلس في عصر واحد ستة كلهم تسمى بالخلافة .

فصل ١٧٤

[في المؤلفات بتواريخ الخلفاء]

- أفرد تواريخ الخلفاء بالتأليف جماعة من المتقدمين ، منها :
- « تاريخ الخلفاء » لِنَفْطُويه النحوي ، مجلدان ، انتهى إلى أيام القاهرة .
- و « الأوراق » للصُّولي ، ذكر فيه العباسيين فقط وانتهى إلى^(١) .
- وقفت عليه .
- و « تاريخ خلفاء بني العباس » لابن الجوزي ، رأيته أيضاً انتهى فيه إلى أيام الناصر .
- و « تاريخ الخلفاء » لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المَرْوَزِي الكاتب ، أحد فحول الشعراء ، مات في سنة ثمانين ومئتين .
- و « تاريخ خلفاء بني العباس » للأمير أبي موسى هارون بن محمد العباسي .

فصل ١٧٥

[فيمن حفظ القرآن من الخلفاء]

أخرج الخطيب في « التاريخ » بسنده عن محمد بن عبَّاد قال : (لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان ، والمأمون)^(٢) .

(١) بياض في غير (ب ، ج) ، وفيهما : (فقط وقفت عليه) وكانت وفاة العلامة المؤرخ الصولي سنة (٣٣٥ هـ) في خلافة المطيع أبي الفضل بن المقتدر بالله .

(٢) تاريخ بغداد (١٠ / ١٩٠) .

قلت : وهذا الحصر ممنوع ، بل حفظه أيضاً الصديق رضي الله عنه على الصحيح ، وصرح به جماعة منهم النووي في « تهذيبه »^(١) ، وعلي رضي الله عنه ورد من طريق أنه حفظه كله بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم^(٢) .

فائدة

[في لفظبيعة الخلفاء]

قال ابن الساعي : (حضرت مبايعة الخليفة الظاهر ، فكان جالساً في شبّاك القبة ؛ بثياب بيض وعليه الطرحة ، وعلي كتفه بردة النبي صلى الله عليه وسلم ، والوزير قائماً بين يديه على منبر ، وأستاذ الدار دونه بمرقاة ؛ وهو الذي يأخذ البيعة على الناس .

ولفظ المبايعة : أبايع سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام : أبا نصر محمد الظاهر بأمر الله على كتاب الله وسنة نبيه ، واجتهاد أمير المؤمنين ، وأن لا خليفة سواه) انتهى^(٣) .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٤٠٨ / ٢) .

(٢) أخرجه ابن أبي داود في « المصاحف » (٣١) من طريق محمد بن سيرين قال : (لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم . . أقسم عليّ ألا يرتدي برداء إلا لجمعة ؛ حتى يجمع القرآن في مصحف ، ففعل ، فأرسل إليه أبو بكر بعد أيام : أكرهت إمارتي يا أبا الحسن ؟ قال : لا والله ؛ إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة ، فبايعه ثم رجع) . قال أبو بكر : لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث ، وهولين الحديث ، وإنما رووا : (حتى أجمع القرآن) يعني : أتم حفظه ؛ فإنه يقال للذي يحفظ القرآن : قد جمع القرآن .

(٣) تاريخ الإسلام (١١ / ٤٥ - ١٢) .



الخلاف في الراشدة

خِلافة الصِّدِّيق

رضي الله عنه

[١١-١٣هـ] (١)

أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه : عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي ، يلتقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُرَّة .

قال النووي في « تهذيبه » : وما ذكرناه من أن اسم أبي بكر عبد الله . . هو الصحيح المشهور ، وقيل : اسمه عتيق ، والصواب الذي عليه كافة العلماء : أن عتيقاً لقبٌ له لا اسم ، ولُقِّبَ عتيقاً : لعنقه من النار ؛ كما ورد في حديث رواه الترمذي (٢) .

وقيل : لعناقة وجهه ؛ أي : حسنه وجماله ، قاله الليث بن سعد وجماعة .
وقيل : لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به ، قاله مصعب بن الزبير وغيره .
وأجمعت الأمة على تسميته بالصديق ؛ لأنه بادر إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولازم الصدق ، فلم يقع منه هناة ما ، ولا وقفة في حال من الأحوال .

وكانت له في الإسلام المواقف الرفيعة ؛ منها :

- قصته يوم ليلة الإسراء ، وثباته وجوابه للكفار في ذلك .
- وهجرته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك عياله وأطفاله ، وملازمته في الغار وسائر الطريق .

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (١٦٩/٣) ، و« تاريخ الطبري » (٢٢٣/٣) ، و« المستظم »

(٥٣/٤) ، و« أسد الغابة » (٣٠٩/٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٠٥/٣) ، و« الإصابة » (٣٣٣/٢) .

(٢) سنن الترمذي (٣٦٧٩) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها : أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « أنت عتيق الله من النار » .

- ثم كلامه يوم بدر ، ويوم الحديبية حين اشتبه على غيره الأمر في تأخر دخول مكة .

- ثم بكاؤه حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »^(١) .

- ثم ثباته في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطبته الناس وتسكينهم .

- ثم قيامه في قضية البيعة بمصلحة المسلمين .

- ثم اهتمامه وثباته في بعث جيش أسامة بن زيد إلى الشام ، وتصميمه في ذلك .

- ثم قيامه في قتال أهل الردة ، ومناظرته للصحابة حتى حجَّهم بالدلائل ، وشرح الله صدورهم لما شرح له صدره من الحق ؛ وهو قتال أهل الردة .

- ثم تجهيزه الجيوش إلى الشام لفتوحه وإمدادهم .

- ثم ختم ذلك بمهم من أحسن مناقبه ، وأجل فضائله ؛ وهو استخلافه على المسلمين عمر رضي الله عنه ، وكم للصديق من موقف وأثر ومناقب وفضائل لا تحصى !! هذا كلام النووي^(٢) .

وأقول : قد أردت أن أبسط ترجمة الصديق بعض البسط ذاكرة جملة كثيرة مما وقفت عليه من حاله ، وأرتب ذلك فصلاً .

فَضَائِلُهُ

في اسمه ولقبه

تقدمت الإشارة إلى ذلك^(٣) ، قال ابن كثير : (اتفقوا على أن اسمه :

(١) أخرجه البخاري (٣٩٠٤) ، ومسلم (٢٣٨٢) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٣٨٩/٢ - ٣٩١) .

(٣) تقدم قريباً (ص ٩٩) .

عبد الله بن عثمان إلا ما روى ابن سعد عن ابن سيرين : أن اسمه عتيق^(١) ،
والصحيح : أنه لقبه^(٢) .

ثم اختلف في وقت تلقيبه به ، وفي سببه ؛ فقليل : لعناقة وجهه ؛ أي :
جماله ، قاله الليث بن سعد وأحمد ابن حنبل وابن معين وغيرهم .

وقال : أبو نعيم الفضل بن دكين : لقدمه في الخير .

وقيل : لعناقة نسبه ؛ أي : طهارته ؛ إذ لم يكن في نسبه شيء يعاب به .

وقيل : سمي به أولاً ، ثم سمي بعبد الله ؛ روى الطبراني عن القاسم بن
محمد : أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن اسم أبي بكر فقالت : (عبد الله) ،
فقال : إن الناس يقولون : عتيق ؟ قالت : (إن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد
سماهم : عتيقاً ومعتقاً ومعتقاً)^(٣) .

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن موسى بن طلحة قال : قلت لأبي طلحة :
لِمَ سمي أبو بكر عتيقاً ؟ قال : (كانت أمه لا يعيش لها ولد ، فلما ولدته . .
استقبلت به البيت ، ثم قالت : اللهم ؛ إن هذا عتيق من الموت ، فهبه لي)^(٤) .
وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال : (إنما سمي عتيقاً ؛ لحسن
وجهه)^(٥) .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (اسم أبي بكر الذي
سماه به أهله : عبد الله ؛ ولكن غلب عليه اسم عتيق) ، وفي لفظ : (ولكن
النبي صلى الله عليه وسلم سماه عتيقاً)^(٦) .

وأخرج أبو يعلى في « مسنده » ، وابن سعد ، والحاكم وصححه عن عائشة

(١) الطبقات الكبرى (١٥٦ / ٣) .

(٢) في كتابه المفقود « سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه » ، والله أعلم .

(٣) المعجم الكبير (٥٣ / ١) .

(٤) تاريخ دمشق (٢١ / ٣٠) .

(٥) المعجم الكبير (٥٤ / ١) .

(٦) تاريخ دمشق (٦ / ٣٠) .

قالت : (والله ؛ إني لفي بيتي ذات يوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الفناء ، والستر بيني وبينهم ؛ إذ أقبل أبو بكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَرَّه أَنْ يَنْظَرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ . فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ » وإن اسمه الذي سماه أهله لعبد الله ، فغلب عليه اسم عتيق (١) .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا أبا بكر ، أنت عتيقُ الله من النارِ » فَمِنْ يَوْمِئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا (٢) .

وأخرج البزار والطبراني بسند جيد عن عبد الله بن الزبير قال : (كان اسم أبي بكر عبد الله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت عتيقُ الله من النارِ » فسمي عتيقاً (٣) .

وأما الصديق . . ف قيل : كان يلقب به في الجاهلية ؛ لِمَا عُرِفَ مِنْهُ مِنَ الصِّدْقِ ، ذكره ابن مُسْدِي ، وقيل : لمبادرته إلى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به .

قال ابن إسحاق : عن الحسن البصري وقادة : (وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء) .

أخرج الحاكم في « المستدرك » عن عائشة رضي الله عنها قالت : (جاء المشركون إلى أبي بكر فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؛ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ؟ ! قال : وقال ذلك ؟ قالوا : نعم ، فقال : لقد صدق ؛ إني لأصدقه بأبعد من ذلك : بخبر السماء غدوة وروحة ؛ فلذلك سمي أبو بكر : الصديق) ، إسناده جيد (٤) .

(١) مسند أبي يعلى (٤٨٩٩) ، والطبقات الكبرى (١٥٦/٣) ، ومستدرك الحاكم (٦٢/٣) .

(٢) سنن الترمذي (٣٦٧٩) ، ومستدرك الحاكم (٣٧٦/٣) .

(٣) مسند البزار (٢٢١٣) ، والمعجم الكبير (٥٣/١) .

(٤) مستدرك الحاكم (٦٢/٣) .

وقد ورد ذلك من حديث أنس وأبي هريرة أسندهما ابن عساكر^(١) ، وأم هانئ أخرجه الطبراني^(٢) .

وقال سعيد بن منصور في « سننه » : حدثنا أبو معشر ، عن أبي وهب مولى أبي هريرة قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به فكان بذى طوى... قال : « يا جبريل ؛ إن قومي لا يصدقوني » قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق^(٣) ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » موصولاً عن أبي وهب عن أبي هريرة^(٤) .

وأخرج الحاكم عن النزال بن سبرة قال : قلنا لعلي : يا أمير المؤمنين ؛ أخبرنا عن أبي بكر ، فقال : (ذاك امرؤ سماه الله الصديق ؛ على لسان جبريل ، وعلى لسان محمد صلى الله عليه وسلم ، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، رضيته لديننا فريضته لديننا) ، إسناده جيد^(٥) .

وأخرج الدارقطني والحاكم عن أبي يحيى قال : لا أحصي كم سمعت علياً يقول على المنبر : (إن الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صديقاً)^(٦) .

وأخرجه الطبراني بسند صحيح عن حكيم بن سعد قال : (سمعت علياً يحلف ؛ لأنزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق)^(٧) .

وفي حديث أحد : « استكن ؛ فإنما عليك نبيٌ وصديقٌ وشهيدان »^(٨) .

(١) تاريخ دمشق (٥٥ / ٣٠) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه عن سيدنا أنس رضي الله عنه أبو نعيم في « أخبار أصبهان » (٣٠٩ / ١) ، وعن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٥٦ / ٣) .

(٢) المعجم الكبير (٥٥ / ١) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٥٦ / ٣) من طريق أبي معشر رحمه الله تعالى .

(٤) المعجم الأوسط (٧١٧٣) .

(٥) مستدرک الحاكم (٦٢ / ٣) ، واللفظ للعشاري في « فضائل أبي بكر » (١١) ، وانظر « كنز العمال » (٣٦٦٩٨) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٥ / ٣٠) من طريق الدارقطني ، أبو يحيى : هو حكيم بن سعد ، وتصحّف الاسم في كل المطبوعات إلى : (يحيى) !!

(٧) المعجم الكبير (٥٥ / ١) ، وأخرجه الحاكم (٦٢ / ٣) .

(٨) أخرجه البخاري (٣٦٩٩) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه .

وأم أبي بكر : بنت عم أبيه ، اسمها : سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ،
وتكنى أم الخير ، قاله الزهري ، أخرجه ابن عساكر^(١) .

فَضْلُ

في مولده ومنشئه

ولد بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بستين وأشهر ؛ فإنه مات وله ثلاث
وستون سنة .

قال ابن كثير : (وأما ما أخرجه خليفة بن خياط عن يزيد بن الأصم : أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « أَنَا أَكْبَرُ أَوْ أَنْتَ ؟ » قال : « أَنْتَ أَكْبَرُ وَأَنَا
أَسْنُ مِنْكَ »^(٢) . فهو مرسل غريب جداً ، والمشهور خلافه ، وإنما صح ذلك
عن العباس^(٣) .

وكان منشؤه بمكة ، لا يخرج منها إلا لتجارة ، وكان ذا مال جزيل في قومه ،
ومروءة تامة ، وإحسان وتفضل فيهم ؛ كما قال له ابن الدَّغْنَةِ : (إِنَّكَ لَتَصِل
الرحم ، وتصدق الحديث ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر ،
وتقري الضيف)^(٤) .

قال النووي : (وكان من رؤساء قريش في الجاهلية وأهل مشاورتهم ،
ومحبباً فيهم ، ومألفاً لهم ، فلما جاء الإسلام .. أثره على ما سواه ، ودخل فيه
أكمل دخول)^(٥) .

وأخرج الزبير بن بكار وابن عساكر عن معروف بن خَزْبُوذ قال : (إن أبا بكر
الصديق رضي الله عنه أحدُ عشرة من قريش اتصل لهم شرف الجاهلية بشرف

(١) تاريخ دمشق (١٤ / ٣٠) .

(٢) تاريخ خليفة (ص ١٢١) ، وقال ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ٧٨٠) : (وهذا الخبر لا يعرف
إلا بهذا الإسناد ، وأحسبه وهماً) ، وقال ابن حجر في « الفتح » (٢٥١ / ٧) : (هو كما ظن) .

(٣) لعله في كتابه المفقود « سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه » ، والله أعلم .

(٤) أخرجه البخاري (٢٢٩٧) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٢ / ٣٩٢) .

الإسلام ؛ فكان إليه أمر الديات والغرم (١) وذلك أن قريشاً لم يكن لها مَلِكٌ ترجع الأمور كلها إليه ، بل كان في كل قبيلة ولاية عامة تكون لرئيسها .

فكانت في بني هاشم السقاية والرفادة ، ومعنى ذلك : أنه لا يأكل ولا يشرب أحد إلا من طعامهم وشرابهم .

وكانت في بني عبد الدار الحجابة واللواء والندوة ؛ أي : لا يدخل البيت أحد إلا بإذنهم ، وإذا عقدت قريش راية حرب . . عقدها لهم بنو عبد الدار ، وإذا اجتمعوا لأمر إبراهيم أو نقضاً . . لا يكون اجتماعهم لذلك إلا في دار الندوة ، ولا ينفذ إلا بها ، وكانت لبني عبد الدار .

فُضِّلَ

[خُلِّقَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

كان أبو بكر من أعف الناس في الجاهلية ؛ أخرج ابن عساكر بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : (والله ؛ ما قال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام ، لقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية) (٢) .

وأخرج أبو نعيم بسند جيد عنها قالت : (لقد حرّم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية) (٣) .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن الزبير قال : (ما قال أبو بكر شعراً قط) (٤) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي العالية الرياحي قال : قيل لأبي بكر الصديق في مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شربت الخمر في الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله ، فقليل : ولم ؟ قال : كنت أصون عرضي وأحفظ

(١) جمهرة نسب قريش (٢/ ٥٨٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠/ ٣٣٤ - ٣٣٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٤) .

(٣) معرفة الصحابة (١٠٩ و ١١٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٤) .

مروءتي ؛ فإن من شرب الخمر . . كان مضيعاً في عرضه ومروءته ، قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « صَدَقَ أبو بكرٍ ، صَدَقَ أبو بكرٍ » مرتين ، مرسل غريب سنداً ومتناً^(١) .

فَضْلُكَ

في صفته

أخرج ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها : أن رجلاً قال لها : صفي لنا أبا بكر ، فقالت : (رجل أبيض ، نحيف خفيف العارضين ، أجناً^(٢) ، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حَقْوِيهِ^(٣) ، معروق الوجه^(٤) ، غائر العينين ، ناتئ الجبهة ، عاري الأشجاع^(٥) ، هذه صفته)^(٦) .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر كان يخضب بالحناء والكتم)^(٧) .

وأخرج عن أنس قال : (قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر ، فغلفها بالحناء والكتم)^(٨) .

فَضْلُكَ

في إسلامه

أخرج الترمذي وابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد الخدري قال : قال

(١) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣٣٣) .

(٢) الجنأ : ميل الظهر .

(٣) الحقو : الخاصرة .

(٤) معروق الوجه : قليل لحم الوجه .

(٥) الأشجاع : مفاصل الأصابع ؛ أي : كان اللحم عليها قليلاً .

(٦) الطبقات الكبرى (٣ / ١٧٢) .

(٧) الطبقات الكبرى (٣ / ١٧٢) ، والكتم : من نبات الجبل ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقاً .

(٨) الطبقات الكبرى (٣ / ١٧٤) ، والأشمط : الذي خالط شعره بياض .

أبو بكر رضي الله عنه : (أَلَسْتُ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَا ؟ ! أَلَسْتُ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ؟ ! أَلَسْتُ صاحب كذا ؟ ! أَلَسْتُ صاحب كذا ؟ !)^(١) .

وأخرج ابن عساكر من طريق الحارث ، عن علي رضي الله عنه قال : (أول من أسلم من الرجال : أبو بكر)^(٢) .

وأخرج خيثمة بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال : (أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق)^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن أبي أروى الدؤسي الصحابي رضي الله عنه قال : (أول من أسلم : أبو بكر الصديق)^(٤) .

وأخرج الطبراني في « الكبير » وعبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن الشعبي قال : سألت ابن عباس : أي الناس كان أول إسلاماً ؟ قال : أبو بكر الصديق ؛ ألم تسمع قول حسان :

إذا تذكرتَ شَجَواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها إلا النبي وأوفاهما بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا^(٥)

وأخرج أبو نعيم عن فرات بن السائب قال : سألت ميمون بن مهران قلت : علي أفضل عندك أم أبو بكر وعمر ؟ قال : فارتعد حتى سقطت عصاه من يده ، ثم قال : (ما كنت أظن أن أبقى إلى زمان يعدل بهما ، لله دَرُّهما !! كانا رأسي الإسلام) .

قال : فقلت : فأبو بكر كان أول إسلاماً أو علي ؟ قال : (والله ؛ لقد آمن

(١) سنن الترمذي (٣٦٦٧) ، وصحيح ابن حبان (٦٨٦٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٨ / ٣٠) .

(٣) حديث خيثمة (ص ١٣٠) .

(٤) الطبقات الكبرى (١٥٧ / ٣) .

(٥) المعجم الكبير (٨٩ / ١٢) ، والزهد لأحمد (١١٢) ، وانظر ما قاله الرازي في « العلل »

(٤٤٧ / ٦) ، والأبيات في « ديوان حسان » (١٢٥ / ١) .

أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا الراهب حين مر به ، واختلف فيما بينه وبين خديجة حتى أنكحها إياه ، وذلك كله قبل أن يولد علي (١) .

وقد قال : إنه أول من أسلم خلائق من الصحابة والتابعين وغيرهم ، بل ادعى بعضهم الإجماع عليه ، وقيل : أول من أسلم : علي ، وقيل : خديجة .

ويجمع بين الأقوال : بأن أبا بكر : أول من أسلم من الرجال ، وعلياً : أول من أسلم من الصبيان ، وخديجة : أول من أسلم من النساء ، وأول من ذكر هذا الجمع : الإمام أبو حنيفة رحمه الله ، أخرجه عنه (٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة وابن عساكر عن سالم بن أبي الجعد قال : قلت لمحمد ابن الحنفية : هل كان أبو بكر أول القوم إسلاماً ؟ قال : (لا) ، قلت : فبم علا أبو بكر وسبق حتى لا يذكر أحد غير أبي بكر ؟ قال : (لأنه كان أفضلهم إسلاماً حين أسلم حتى لحق بربه) (٣) .

وأخرج ابن عساكر بسند جيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص أنه قال لأبيه سعد : أكان أبو بكر الصديق أولكم إسلاماً ؟ قال : (لا) ؛ ولكنه أسلم قبله أكثر من خمسة ، ولكن كان خيرنا إسلاماً (٤) .

قال ابن كثير : (الظاهر : أن أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا قبل كل أحد ؛ زوجته خديجة ، ومولاه زيد ، وزوجة زيد أم أيمن ، وعلي ، وورقة) انتهى .

وأخرج ابن عساكر عن عيسى بن يزيد قال : قال أبو بكر الصديق : (كنت جالساً بفناء الكعبة ، وكان زيد بن عمرو بن نفيل قاعداً ، فمر به أمية ابن أبي الصلت ، فقال : كيف أصبحت يا باغي الخير ؟ قال : بخير ، قال : هل

(١) حلية الأولياء (٩٢/٤ - ٩٣) .

(٢) بياض في الأصول كلها ، وذكر السخاوي في « فتح المغيث » (١٢٦/٤) أن الحاكم أخرجه في « تاريخ نيسابور » .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٢٥٩٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦/٣٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٥/٣٠) .

كل دين يوم القيامة إلا ما قضى الله في الحنيفة بور

أما إن هذا النبي الذي يُنتظر . . منا أو منكم ؟ قال : ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبي ينتظر ولا يبعث ، قال : فخرجت أريد ورقة بن نوفل ، وكان كثير النظر إلى السماء ، كثير همهمة الصدر ، فاستوقفته ، ثم قصص عليه الحديث ، فقال : نعم يا بن أخي ؛ إنا أهل الكتب والعلماء ، ألا إن هذا النبي الذي ينتظر من أوسط العرب نسباً - ولي علم بالنسب - وقومك أوسط العرب نسباً ، قلت : يا عم ؛ وما يقول النبي ؟ قال : يقول ما قيل له ، إلا أنه لا يظلم ولا يظالم ، قال : فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . . آمنت به وصدقته ^(١) .

وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام . . إلا كانت له عنه كُوبة وتردد ونظر ، إلا أبا بكر ما عتم عنه حين ذكرته له ، وما تردد فيه » ^(٢) .

عتم : أي : تلبث .

قال البيهقي : (وهذا لأنه كان يرى دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويسمع آثاره قبل دعوته ، فحين دعاه . . كان قد سبق له فيه تفكر ونظر ، فأسلم في الحال) .

ثم أخرج عن أبي مسرة : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا برز . . سمع من يناديه : يا محمد ، فإذا سمع الصوت . . انطلق هارباً ، فأسرَّ ذلك إلى أبي بكر ؛ وكان صديقاً له في الجاهلية) ^(٣) .

وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كَلَّمْتُ في الإسلام أحداً . . إلا أبى عليّ ورَجَعَنِي الكلام ، إلا

(١) تاريخ دمشق (٣٥ / ٣٠) ، والبيت في « ديوان أمية » (ص ٣٩٣) .

(٢) سيرة ابن إسحاق (١٧٨) .

(٣) دلائل النبوة (١٦٤ / ٢ - ١٦٥) .

ابن أبي قحافة ؛ فَإِنِّي لَمْ أَكَلِّمَهُ فِي شَيْءٍ . . . إِلَّا قَبْلَهُ وَاسْتَقَامَ عَلَيْهِ » (١) .

وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« هل أنتم تاركو لي صاحبي ؟ إني قلت : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِيَّيَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ فقلتُم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت » (٢) .

فَصْنَعُ

في صحبته ومشاهده

قال العلماء : صحب أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلى أن توفي ؛ لم يفارقه سفيراً ولا حضراً إلا فيما أذن له صلى الله عليه وسلم في الخروج فيه من حج أو غزو ، وشهد معه المشاهد كلها ، وهاجر معه وترك عياله وأولاده ؛ رغبة في الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو رفيقه في الغار ، قال تعالى : ﴿ ثَاقِبَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَلْقَى اللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وقام بنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع ، وله الآثار الجميلة في المشاهد ، وثبت يوم أحد ويوم حنين وقد فر الناس ؛ كما سيأتي في (فصل شجاعته رضي الله عنه) .

أخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : (تباشرت الملائكة يوم بدر فقالوا : أما ترون أبا بكر الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ؟) (٣) .

وأخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم عن علي قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ولأبي بكر : « مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل » (٤) .

(١) أخبار أصبهان (٢٩٧/٢) ، وتاريخ دمشق (٤٤/٣٠) .

(٢) صحيح البخاري (٤٦٤٠) .

(٣) تاريخ دمشق (٩٦/٣٠) .

(٤) مسند أحمد (١٤٧/١) ، ومسند أبي يعلى (٣٤٠) ، ومستدرک الحاكم (٦٨/٣) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن سيرين : أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق كان يوم بدر مع المشركين ، فلما أسلم . . قال لأبيه : لقد أَهَدَفْتُ لي يوم بدر فصرفت عنك ولم أقتلك ، فقال له أبو بكر : (لكنك لو هَدَفْتُ لي . . لم أنصرف عنك)^(١) .

قال ابن قتيبة : (معنى « أَهَدَفْتُ » : أشرفت ؛ ومنه قيل للبناء المرتفع : هدف)^(٢) .

فَضْلُكَ

في شجاعته وأنه أشجع الصحابة

أخرج البزار في « مسنده » عن علي أنه قال : (أخبروني من أشجع الناس ؟) قالوا : أنت ، قال : (أما إني ما بارزت أحداً . . إلا انتصفت منه ، ولكن أخبروني بأشجع الناس) .

قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : (أبو بكر ؛ إنه لما كان يوم بدر . . جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً ، فقلنا : من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لئلا يهوي إليه أحد من المشركين ، فوالله ؛ ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهراً بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يهوي إليه أحد . . إلا أهوى إليه ، فهذا أشجع الناس) .

قال علي : (ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش فهذا يجؤه^(٣) ، وهذا يتلته^(٤) ، وهم يقولون : أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً ؟ ! قال : فوالله ؛ ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ، ويجأ هذا ، ويتلثل هذا وهو يقول : ويلكم : ﴿ أَنْقَتُوا رِجَالًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ .

(١) تاريخ دمشق (١٢٨/٣٠) ، وفيه : (لو أَهَدَفْتُ) .

(٢) غريب الحديث (٥٧٨/١) .

(٣) يجؤه : يضربه .

(٤) يتلته : يخيسه ويذله .

ثم رفع علي بردة كانت عليه ، فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال :
(أنشدكم بالله ؛ أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟) فسكت القوم ، فقال : (ألا
تجيبوني ؟ فوالله ؛ لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون^(١) ، ذاك رجل
يكتم إيمانه ، وهذا رجل أعلن إيمانه)^(٢) .

وأخرج البخاري عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو بن
العاصي عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
(رأيت عقبة بن أبي مُعيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، فوضع
رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً ، فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه ، فقال :
﴿ أَنْقَتُلُونْ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾)^(٣) .

وأخرج الهيثم بن كليب في « مسنده » عن أبي بكر قال : (لما كان يوم
أحد . . انصرف الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكنت أول من
فاء)^(٤) وسيأتي تنمة الحديث في مسند ما رواه^(٥) .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما اجتمع أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً . . ألحَّ أبو بكر على
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الظهور ، فقال : « يا أبا بكر ؛ إِنَّا قَلِيلٌ » فلم
يزل أبو بكر يلح على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وتفرق المسلمون في نواحي المسجد ، كل رجل في
عشيرته ، وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى
رسوله ، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين ، فضربوا في نواحي

(١) في « مسند البزار » ، و « كنز العمال » (٣٥٦٩٠) : (خير من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون) .

(٢) مسند البزار (٧٦١) .

(٣) صحيح البخاري (٣٦٧٨) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٠٠٢٥) وعزاه للشاشي ، وأخرجه ابن حبان في « صحيحه »
(٦٩٨٠) .

(٥) انظر ما سيأتي (ص ١٨٣) ولكنه أشار إليه ولم يذكره .

المسجد ضرباً شديداً) (١) وسيأتي تتمه الحديث في ترجمة عمر رضي الله عنه (٢) .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : (لما أسلم أبو بكر . . أظهر إسلامه ، ودعا إلى الله وإلى رسوله) (٣) .

فَضْلُهُ

في إنفاقه ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أجود الصحابة قال تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِيهَا الْآنَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يُتْرَكْ . . . ﴾ إلى آخر السورة ، قال ابن الجوزي : (أجمعوا على أنها نزلت في أبي بكر) (٤) .

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما نفّعي مالٌ قط ما نفّعي مالٌ أبي بكرٍ » فبكى أبو بكر ، وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله ؟! (٥) .

وأخرج أبو يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً مثله (٦) . قال ابن كثير : وروي أيضاً من حديث علي (٧) ، وابن عباس (٨) ، وأنس (٩) ، وجابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم (١٠) .

وأخرجه الخطيب عن سعيد بن المسيب مرسلأ ، وزاد : (وكان رسول الله

(١) تاريخ دمشق (٤٦/٣٠) .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٢١٠-٢١٣) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٤/٣٠) .

(٤) انظر « زاد المسير » (١٥٢/٩) .

(٥) مسند أحمد (٢٥٣/٢) .

(٦) مسند أبي يعلى (٤٤١٨) .

(٧) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٥٨/٣) .

(٨) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٧٥/٥) .

(٩) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢/٣٠) .

(١٠) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٣٤١/٦) .

صلى الله عليه وسلم يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه (١) .

وأخرج ابن عساكر من طرق عن عائشة وعروة بن الزبير : (أن أبا بكر رضي الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار - وفي لفظ : أربعون ألف درهم - فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٢) .

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : (أسلم أبو بكر يوم أسلم وفي منزله أربعون ألف درهم ، فخرج إلى المدينة في الهجرة وما له غير خمسة آلاف ، كل ذلك ينفق في الرقاب والعون على الإسلام) (٣) .

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر أعتق سبعة كلهم يُعَذَّب في الله) (٤) .

وأخرج ابن شاهين في « السنة » ، والبغوي في « تفسيره » ، وابن عساكر عن ابن عمر قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وعنده أبو بكر الصديق ، وعليه عباءة قد خلَّلها في صدره بخلال ، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ؛ ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خلَّلها في صدره بخلال ؟! فقال : « يا جبريل ؛ أنفق ماله عليّ قبل الفتح » ، قال : فإن الله يقرأ عليه السلام ويقول : « قل له : أراضٍ أنت عني في فرك هذا أم ساخط ؟ » فقال أبو بكر : أسخط عليّ ربي ؟! أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ ، غريب وسنده ضعيف جداً (٥) .

وأخرج أبو نعيم عن أبي هريرة وابن مسعود مثله ، وسندهما ضعيف أيضاً ، وأخرج ابن عساكر نحوه من حديث ابن عباس (٦) .

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٣٩٧) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٩ / ٣٠) .

(٢) تاريخ دمشق (٦٦ / ٣٠ - ٦٧) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨ / ٣٠) من طريق ابن الأعرابي رحمه الله تعالى .

(٤) تاريخ دمشق (٦٧ / ٣٠) .

(٥) شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (١٢٤) ، وتفسير البغوي (٣٤ / ٨) ، وتاريخ دمشق (٧١ / ٣٠) .

(٦) تاريخ دمشق (٧٣ / ٣٠) ، وهو من طريق الخطيب في « تاريخه » ولفظه الآتي .

وأخرج الخطيب بسندٍ واهٍ أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « هَبَطَ عَلَيَّ جَبْرِيلُ وَعَلَيْهِ طِنْفِيسَةٌ وَهُوَ مُتَخَلِّلٌ بِهَا ، فَقُلْتُ : يَا جَبْرِيلُ ؛ مَا هَذَا ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ تَتَخَلَّلَ فِي السَّمَاءِ كَتَخَلَّلَ أَبِي بَكْرٍ فِي الْأَرْضِ »^(١) .

قال ابن كثير : (منكر جداً ، قال : ولولا أن هذا والذي قبله يتداوله كثير من الناس . . . لكان الإعراض عنهما أولى)^(٢) .

وأخرج أبو داود والترمذي عن عمر بن الخطاب قال : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، قلت : اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده ، فقال : « يَا أَبَا بَكْرٍ ؛ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ ؟ » قال : أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قلت : لا أسبقه إلى شيء أبداً) قال الترمذي : حسن صحيح^(٣) .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن الحسن البصري : أن أبا بكر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بصدقته فأخفاها ، فقال : يا رسول الله ؛ هذه صدقتي ، والله عندي معاد ، وجاء عمر بصدقته فأظهرها ، فقال : يا رسول الله ؛ هذه صدقتي ولي عند الله معاد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا بَيْنَ صَدَقَتَيْكُمَا كَمَا بَيْنَ كَلِمَتَيْكُمَا » ، إسناده جيد لكنه مرسل^(٤) .

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ . . . إِلَّا وَقَدْ كَافَأْنَاهُ ، إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَا نَفَعَنِي مَالٌ أَحَدٌ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ »^(٥) .

وأخرج البزار عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : جئت بأبي قحافة إلى

(١) تاريخ بغداد (٤٤١ / ٥) .

(٢) لعله في كتابه المفقود « سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه » ، والله أعلم .

(٣) سنن أبي داود (١٦٧٨) ، وسنن الترمذي (٣٦٧٥) .

(٤) حلية الأولياء (٣٢ / ١) .

(٥) سنن الترمذي (٣٦٦١) .

النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « هَلَّا تَرَكْتَ الشَّيْخَ حَتَّى آتِيَهُ ؟ » قال : بل هو أحق أن يأتيك ، قال : « إِنَّا نَحْفَظُهُ لِأَيَادِي ابْنِهِ عِنْدَنَا » (١) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا أَحَدٌ عِنْدِي أَعْظَمَ يَدًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، وَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، وَأَنْكَحَنِي ابْنَتُهُ » (٢) .

فَضْلُهُ

في علمه وأنه أعلم الصحابة وأذكاهم

قال النووي في « تهذيبه » ومن خطه نقلت : (استدل أصحابنا على عظم علمه بقوله رضي الله عنه في الحديث الثابت في « الصحيحين » : « والله ؛ لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله ؛ لو منعوني عقلاً كانوا يؤدُّونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لقاتلتهم على منعه » (٣) .

واستدل الشيخ أبو إسحاق بهذا وغيره في « طبقاته » : على أن أبا بكر أعلم الصحابة ؛ لأنهم كلهم وقفوا عن فهم الحكمة في المسألة إلا هو ، ثم ظهر لهم بمباحثته لهم أن قوله هو الصواب ، فرجعوا إليه .

وروينا عن ابن عمر أنه سئل : من كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : « أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ، ما أعلم غيرهما » .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال : « إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَيْرٌ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ » فبكى أبو بكر وقال : بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدٍ خَيْرٍ ، فكان

(١) مسند البزار (٧٩) ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٥٠ / ٩) ، وقال : (وفيه عبد الله بن عبد الملك الفهري ، ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) .

(٢) تاريخ دمشق (٦٠ / ٣٠) .

(٣) صحيح البخاري (١٤٠٠) ، وصحيح مسلم (٢٠) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَمْنِ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي . . لَا تَأْخُذْتُ أَبَا بَكْرٍ ، وَلَكِنْ أَخُوهُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدُّهُ ، لَا يَبْقِيَنَّ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » (هذا كلام النووي ^(١)) .

وقال ابن كثير : (كان الصديق رضي الله عنه أقرأ الصحابة - أي : أعلمهم بالقرآن - لأنه صلى الله عليه وسلم قدّمه إماماً للصلاة بالصحابة مع قوله : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَأُوهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ») ^(٢) .

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَوْمَّهُمْ غَيْرُهُ » ^(٣) .

وكان مع ذلك أعلمهم بالسنة ؛ كما رجع إليه الصحابة في غير موضع يبرز عليهم بنقل سنن عن النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها هو ، ويستحضرها عند الحاجة إليها ليست عندهم ، وكيف لا يكون كذلك وقد واطب صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من أول البعثة إلى الوفاة ؟! وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعقلهم .

وإنما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة إلا القليل ؛ لقصر مدته ، وسرعة وفاته بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا : فلو طالت مدته . . لكثر ذلك عنه جداً ، ولم يترك الناقلون عنه حديثاً إلا نقلوه عنه ، ولكن كان الذين في زمانه من الصحابة لا يحتاج أحدهم أن ينقل عنه ما قد شاركه هو في روايته ، فكانوا ينقلون عنه ما ليس عندهم .

وأخرج أبو القاسم البغوي عن ميمون بن مهران قال : (كان أبو بكر إذا ورد عليه الخصم . . نظر في كتاب الله ؛ فإن وجد فيه ما يقضي بينهم . . قضى به ، وإن

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٤) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (٣٩٦/٢) - (٣٩٧) ، (٤٠٥/٢-٤٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٦٧٣) ، وأبو داود (٥٨٢) ، والترمذي (٢٣٥) ، وابن ماجه (٩٨٠) ، والنسائي (٧٧/٢) من حديث سيدنا أبي مسعود البديري رضي الله عنه ، وانظر « البداية والنهاية » (٢٣٦/٥) .

(٣) سنن الترمذي (٣٦٧٣) .

لم يكن في الكتاب ، وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الأمر سنة . . قضى به ، فإن أعياه . . خرج فسأل المسلمين وقال : أتاني كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فإن أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . . جمع رؤوس الناس وخيارهم فاستشارهم ، فإن أجمع أمرهم على رأي . . قضى به (١) .

وكان عمر رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإن أعياه أن يجد في القرآن والسنة . . نظر هل كان لأبي بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء . . قضى به ، وإلا . . دعا رؤوس المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر . . قضى به .

وكان الصديق رضي الله عنه مع ذلك أعلم الناس بأنساب العرب ، لا سيما قريش . أخرج ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة ، عن شيخ من الأنصار قال : (كان جبير بن مطعم من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة ، وكان يقول : إنما أخذت النسب من أبي بكر الصديق ، وكان أبو بكر الصديق من أنسب العرب) (٢) .

وكان الصديق مع ذلك غاية في علم تعبير الرؤيا ، وقد كان يعبر الرؤيا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد قال محمد بن سيرين - وهو المقدم في هذا العلم بالاتفاق - : (كان أبو بكر أعبر هذه الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم) أخرجه ابن سعد (٣) .

وأخرج الديلمي في « مسند الفردوس » وابن عساكر عن سُمرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُؤَوَّلَ الرُّؤْيَا أَبَا بَكْرٍ » قال ابن كثير : غريب (٤) .

(١) أخرجه الدارمي (١٦٣) .

(٢) السيرة النبوية (١١/١) .

(٣) الطبقات الكبرى (١٦١/٣) ، وجاء في مطبوعه : (أغير) ، وفي « أنساب الأشراف » (١٠/٦٦) ، و« تاريخ دمشق » (٣٢٨/٣٠) ما يدل على أنه أراد تعبير الرؤيا .

(٤) تاريخ دمشق (٢١٨/٣٠) ، ولم نقف عليه في مطبوع « الفردوس » ، ولفظ الديلمي : « أُمِرْتُ أَنْ أُؤَوَّلِي » =

وكان من أفصح الناس وأخطبهم ؛ قال الزبير بن بكار : سمعت بعض أهل العلم يقول : (خطباء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما)^(١) .

وسيأتي في حديث السقيفة قول عمر رضي الله عنه : (وكان من أعلم الناس بالله وأخوفهم له)^(٢) .

وسيأتي من كلامه في ذلك ، وفي تعبير الرؤيا ، ومن خطبه جملة في فصل مستقل^(٣) .

ومن الدال على أنه أعلم الصحابة : حديث صلح الحديبية ، حيث سأل عمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك الصلح وقال : (علام تُعطي الدنيا في ديننا ؟ !) فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم ذهب إلى أبي بكر فسأله عما سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجابه الصديق بمثل ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم سواء بسواء . أخرجه البخاري وغيره^(٤) .

وكان مع ذلك أسدَّ الصحابة رأياً وأكملهم عقلاً ؛ أخرج تمام الرازي في « فوائده » وابن عساكر عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أتاني جبريلُ فقال : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَسْتَشِيرَ أَبَا بَكْرٍ »^(٥) .

وأخرج الطبراني وأبو نعيم وغيرهما عن معاذ بن جبل : أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يسرح معاذاً إلى اليمن . . استشار ناساً من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وأسيد بن حضير ، فتكلم القوم كل

= الرؤيا أبا بكر « كما في « كنز العمال » (٣٢٥٥٢) ، وهو كذلك عند أحمد في « فضائل الصحابة » (٦٢٣) ، وأورده الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص ٥٨) بلفظ : « أمرت أن أوول الرؤيا على أبي بكر » .
(١) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٣٠٥٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣٥ / ٣٠) من طريق الزبير بن بكار رحمه الله تعالى .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ١٥٣) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٩٦ ، ٢٠٢) .

(٤) صحيح البخاري (٣١٨٢) ، وصحيح مسلم (١٧٨٥) من حديث سيدنا سهل بن حنيف رضي الله عنه .

(٥) فوائد تمام (١٤٧٨) ، وتاريخ دمشق (١٢٩ / ٣٠) .

إنسان برأيه ، فقال : « ما تَرَى يا معاذُ ؟ » فقلت : أرى ما قال أبو بكر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الله يكره فوق سمائه أن يُخطأ أبو بكر »^(١) .

ورواه ابن أبي أسامة في « مسنده » بلفظ : « إنَّ الله يكره في السماء أن يُخطأ أبو بكر الصديق في الأرض »^(٢) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله يكره أن يخطأ أبو بكر » رجاله ثقات^(٣) .

فَضَائِلُ

[في أن الصديق رضي الله عنه حافظ لكتاب الله]

قال النووي في « تهذيبه » : (الصديق رضي الله عنه أحد الصحابة الذين حفظوا القرآن كله)^(٤) ، وذكر هذا أيضاً جماعة منهم ابن كثير في « تفسيره »^(٥) .

وأما حديث أنس : (جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة)^(٦) . . فمراده من الأنصار ؛ كما أوضحته في كتاب « الإتيقان »^(٧) .

وأما ما أخرجه ابن أبي داود عن الشعبي قال : (مات أبو بكر الصديق ولم يجمع القرآن كله)^(٨) . . فهو مدفوع ، أو مؤول على أن المراد : جمعه في المصحف على الترتيب الذي صنعه عثمان رضي الله عنه .

(١) المعجم الكبير (٦٧/٢٠) ، وأخبار أصبهان (١٧٤/٢) ، وفضائل الصحابة (٦٥٩) ، ومسند الشاشي (١٣٤١) ، ويسر : يرسل .

(٢) بغية الباحث (٩٥٦) .

(٣) المعجم الأوسط (٣٩٤٩) .

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (٤٠٨/٢) .

(٥) انظر « فضائل القرآن » (ص ٥٤) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٨١٠) ، ومسلم (٢٤٦٥) .

(٧) الإتيقان في علوم القرآن (٢٢٣/١) .

(٨) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٠١٤) ، ومن طريقه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٩٧/١٠) .

في أنه أفضل الصحابة وخيرهم

أجمع أهل السنة على أن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، ثم سائر العشرة ، ثم باقي أهل بدر ، ثم باقي أهل أحد ، ثم باقي أهل البيعة ، ثم باقي الصحابة ، هكذا حكى الإجماع عليه أبو منصور البغدادي .

روى البخاري عن ابن عمر قال : (كنا نختار بين الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فنختار أبا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان رضي الله عنهم)^(١) . زاد الطبراني في « الكبير » : (فيعلم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينكره)^(٢) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال : (كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً)^(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة قال : (كنا معاشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول : أفضل هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم نسكت)^(٤) .

وأخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال : قال عمر لأبي بكر : يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك . . فلقد سمعته يقول : « ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر »^(٥) .

وأخرج البخاري عن محمد بن علي بن أبي طالب قال : قلت لأبي : أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : (أبو بكر) ، قلت : ثم

(١) صحيح البخاري (٣٦٥٥) .

(٢) المعجم الكبير (٢٨٥ / ١٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٤٦ / ٣٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٤٧ / ٣٠) .

(٥) سنن الترمذي (٣٦٨٤) .

من ؟ قال : (عمر) - وخشيت أن يقول : عثمان - قلت : ثم أنت ؟ قال : (ما أنا إلا رجل من المسلمين)^(١) .

وأخرج أحمد وغيره عن علي قال : (خير هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر وعمر)^(٢) ، قال الذهبي : (هذا متواتر عن علي ، فلعن الله الرافضة ما أجهلهم)^(٣) .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عمر بن الخطاب قال : (أبو بكر سيدنا وخيرنا ، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٤) .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن عمر صعد المنبر ثم قال : (ألا إن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، فمن قال غير هذا . . فهو مُفْتَرٍ ، عليه ما على المفتري)^(٥) .

وأخرج أيضاً عن ابن أبي ليلى قال : قال علي : (لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر . . إلا جلدته حد المفتري)^(٦) .

وأخرج عبد بن حميد في « مسنده » ، وأبو نعيم وغيرهما من طرق عن أبي الدرداء : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما طَلَعَت الشمسُ ولا غَرَبَت على أحدٍ أفضلَ من أبي بكرٍ إلا أن يكون نبياً »^(٧) .

وفي لفظ : « على أحدٍ بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكرٍ »^(٨) .

وقد ورد أيضاً من حديث جابر ؛ ولفظه : « ما طَلَعَت الشمسُ على أحدٍ منكم أفضلَ منه » أخرجه الطبراني وغيره^(٩) ، وله شواهد من وجوه آخر تقضي له

(١) صحيح البخاري (٣٦٧١) .

(٢) مسند أحمد (١١٠ / ١) ، والمعجم الكبير (١٠٧ / ١) .

(٣) تاريخ الإسلام (١١٥ / ٣) .

(٤) سنن الترمذي (٣٦٥٦) ، ومستدرک الحاكم (٦٦ / ٣) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٤٣ / ٣٠) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٨٣ / ٣٠) .

(٧) مسند عبد بن حميد (٢١٢) ، وحلية الأولياء (٣٢٥ / ٣) .

(٨) هو لفظ أبي نعيم في « حلية الأولياء » .

(٩) المعجم الأوسط (٧٣٠٢) .

بالصحة أو الحسن ، وقد أشار ابن كثير إلى الحكم بصحته .

وأخرج الطبراني عن سلمة بن الأكوع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبو بكر الصديق خيرُ الناسِ إلا أن يكون نبي »^(١) .

وفي « الأوسط » عن سعد بن زرارة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ روحَ القدسِ جبريلَ أخبرني : أنَّ خيرَ أمتِكَ بعدَكَ أبو بكرٍ »^(٢) .

وأخرج الشيخان عن عمرو بن العاصي قال : قلت : يا رسول الله ؛ أي الناس أحب إليك ؟ قال : « عائشة » قلت : من الرجال ؟ قال : « أبوها » قلت : ثم من ؟ قال : « ثم عمرُ بن الخطاب »^(٣) ، وقد ورد هذا الحديث بدون : « ثم عمر » من رواية أنس^(٤) ، وابن عمر^(٥) ، وابن عباس^(٦) .

وأخرج الترمذي ، والنسائي ، والحاكم وصحَّحه عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لعائشة : أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : (أبو بكر) ، قلت : ثم من ؟ قالت : (ثم عمر) ، قلت : ثم من ؟ قالت : (أبو عبيدة ابن الجراح)^(٧) .

وأخرج الترمذي وغيره عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر : « هذانِ سيِّدا كُھولِ أهلِ الجنَّةِ من الأوَّلِينَ والآخِرِينَ إلا النبيَّينَ والمرسلينَ »^(٨) ، وأخرج مثله عن علي^(٩) ، وفي الباب عن ابن عباس^(١٠) ،

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤٧/٩) ، وعزاه للطبراني .

(٢) المعجم الأوسط (٦٤٤٨) .

(٣) صحيح البخاري (٤٣٥٨) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٤) .

(٤) أخرجه الترمذي (٣٨٩٠) ، وابن ماجه (١٠١) .

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٢٥/١١) ، ومن طريقه به ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٧-١٣٦/٣٠) .

(٦) أخرجه الحارث بن أبي أسامة ؛ كما في « بغية الباحث » (٩٥٨) .

(٧) سنن الترمذي (٣٦٥٧) ، والنسائي في « الكبرى » (٨٢٠١) ، ومستدرك الحاكم (٧٣/٣) .

(٨) سنن الترمذي (٣٦٦٤) ، ومسند البزار (٧٢٢٤) ، والمختارة (٢٢٦٠) .

(٩) سنن الترمذي (٣٦٦٥) ، ومسند أحمد (٨٠/١) .

(١٠) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢١٦/١٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨١/٣٠) .

وابن عمر^(١) ، وأبي سعيد الخدري^(٢) ، وجابر بن عبد الله^(٣) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن عمار بن ياسر قال : (من فضل على أبي بكرٍ وعمرَ أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فقد أزرى على المهاجرين والأنصار)^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟ » قال : نعم ، فقال : « قل وأنا أسمع » فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيّف وقد طاف العدوّ به إذ صعد الجبلا
وكان حبّ رسول الله قد علّموا من البريّة لم يعدل به رجلاً
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتّى بدت نواجزه ، ثم قال :
« صدقت يا حسان ؛ هو كما قلت »^(٥) .

فَصْنَعُ

[في أن أبا بكر رضي الله عنه أرحم الناس بالامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم]
روى أحمد والترمذي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرحم أمتي بأمتي : أبو بكرٍ ، وأشدّهم في أمر الله : عمر ، وأصدقهم حياءً : عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام : معاذ بن جبل ، وأفرضهم : زيد بن ثابت ، وأقروهم : أبي بن كعب ، ولكل أمة أمينٌ ، وأمين هذه الأمة : أبو عبيدة ابن الجراح »^(٦) .

(١) أخرجه البزار في « مسنده » (٥٧٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٢ / ٤٤ - ١٧٣) .

(٢) أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٢١٩) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٤٣١) .

(٣) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٨٨٠٨) .

(٤) المعجم الأوسط (٨٣٢) .

(٥) الطبقات الكبرى (١٥٩ / ٣) ، والبيتان في « ديوان حسان » (١٢٥ / ١) .

(٦) مسند أحمد (٢٨١ / ٣) ، وسنن الترمذي (٣٧٩٠) .

وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن عمر ، وزاد فيه : « وأقضاهم : علي » (١) .
وأخرجه الديلمي في « مسند الفردوس » من حديث شداد بن أوس ، وزاد :
« وأبو ذر : أزهّد أمتي وأصدقها ، وأبو الدرداء : أعبد أمتي وأتقها ،
ومعاوية بن أبي سفيان : أحلم أمتي وأجودها » (٢) .

وقد سئل شيخنا العلامة الكافيّجي عن هذه التفضيلات : هل تنافي التفضيل
السابق ؟ فأجاب : بأنه لا منافاة .

فَضْلُ

فيما أنزل من الآيات في مدحه أو تصديقه أو أمرٍ من شأنه

اعلم : أني رأيت لبعضهم كتاباً في أسماء من نزل فيهم القرآن غير محرر
ولا مستوعب ، وقد ألفت في ذلك كتاباً حافلاً مستوعباً محرراً ، وأنا ألخص هنا
ما يتعلق منه بالصادق رضي الله عنه .

قال تعالى : ﴿ تَأْتِيكُمُ الْبَرَكَاتُ إِذْ أَنْتُمْ فِي الْفَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ ، أجمع المسلمون على أن
الصاحب المذكور : أبو بكر ، وسيأتي فيه أثره (٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ قال : (عليّ أبي بكر ؛ إن النبي صلى الله عليه وسلم لم نزل
السكينة عليه) (٤) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن مسعود : (أن أبا بكر اشترى بلالاً من أمية بن
خلف وأبي بن خلف ببردةٍ وعشر أواق ، فأعتقه لله ، فأنزل الله : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا

(١) مسند أبي يعلى (٥٧٦٣) .

(٢) مسند الفردوس (١٧٨٧) ، وأخرجه الحارث بن أبي أسامة ؛ كما في « بغية الباحث » (٩٦٥) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٢٧) .

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (١٠٠٤٧) .

يَقْشَى... ﴿إِلَى قَوْلِهِ : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ : سعي أبي بكر وأمّية وأبي﴾ (١) .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتقد على الإسلام بمكة ، فكان يعتقد عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أي بني ؛ أراك تعتق أناساً ضعافاً ، فلو أنك تعتق رجالاً جُلُداً يقومون معك ، ويمنعونك ويدفعون عنك ؟! قال : (أي أبت ؛ إنما أريد ما عند الله) ، قال : فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية نزلت فيه : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾... ﴿إِلَى آخِرِهَا﴾ (٢) .

وأخرج ابن أبي حاتم والطبراني عن عروة : (أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أعتق سبعة كلهم يعذب في الله ، وفيه نزلت : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾... ﴿إِلَى آخِرِ السُّورَةِ﴾ (٣) .

وأخرج البزار عن عبد الله بن الزبير قال : (نزلت هذه الآية : ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدُكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ تُمْزَى﴾... ﴿إِلَى آخِرِ السُّورَةِ﴾ في أبي بكر الصديق رضي الله عنه) (٤) .
وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر لم يكن يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين) (٥) .

وأخرج البزار وابن عساكر عن أسيد بن صفوان - وكانت له صحبة - قال : قال علي بن أبي طالب : (والذي جاء بالحق) : محمد ، (وصدق به) : أبو بكر الصديق ، قال ابن عساكر : هكذا الرواية (بالحق) ولعلها قراءة لعلي (٦) .
وأخرج الحاكم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قال : (نزلت في أبي بكر وعمر) (٧) .

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٥٩) .

(٢) تفسير الطبري (٤٧١/٢٤) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٣٦٧) ، والمعجم الكبير (٣٣٦/١) .

(٤) مسند البزار (٢٢٠٩) .

(٥) صحيح البخاري (٦٦٢١) .

(٦) مسند البزار (٩٢٨) ، وتاريخ دمشق (٣٣٦/٣٠) ، وفي «البحر المحيط» (٤٢٨/٧) : قال علي ، وأبو العالية ، والكلبي وجماعة : (﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ : هو الرسول ، ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ : هو أبو بكر) .

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/٢٤/١٢) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٧) مستدرک الحاكم (٧٠/٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شوذب قال : (نزلت : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ في أبي بكر رضي الله عنه)^(١) ، وله طرق أخرى ذكرتها في « أسباب النزول »^(٢) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر وابن عباس في قوله : ﴿ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : (نزلت في أبي بكر وعمر)^(٣) .

وأخرج عبد بن حميد في « تفسيره » عن مجاهد قال : لما نزلت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ . قال أبو بكر : (يا رسول الله ؛ ما أنزل الله عليك خيراً .. إلا أشركنا فيه !!) ، فنزلت : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾^(٤) .

وأخرج ابن عساكر عن علي بن الحسين : (أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾)^(٥) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (نزلت في أبي بكر الصديق : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ . إلى قوله : ﴿ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾)^(٦) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال : (عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أبا بكر وحده ؛ فإنه خرج من المعاتبة ، ثم قرأ : ﴿ إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ﴾)^(٧) .

(١) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٧٠٦/٧) وعزاه لابن أبي حاتم .

(٢) أسباب النزول (٩١/٢) .

(٣) المعجم الأوسط (٨٢٠) .

(٤) أورده السيوطي في « الدر المنثور » (٦٢٢/٦) ، وعزاه لعبد بن حميد .

(٥) تاريخ دمشق (٣٣٨/٣٠) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٣٨/٣٠) .

(٧) تاريخ دمشق (٩٢/٣٠) .

في الأحاديث الواردة في فضله مقروناً بعمر سوى ما تقدّم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ . . عَدَا عَلَيْهِ الذَّبُّ ، فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً ، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي ، فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ الذَّبُّ فَقَالَ : مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ ، يَوْمَ لَا رَاعِي لَهَا غَيْرِي ؟ ! وَبَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا ، فَالْتَقَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ : إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا ؛ وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ » ، قَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَإِنِّي أُوْمِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » وما ثمَّ أبو بكر وعمر ^(١) أي : لم يكونا في المجلس ، شهد لهما بالإيمان بذلك ؛ لعلمه بكمال إيمانهما .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ ، وَوَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؛ فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ . . فَجَبْرَيْلُ وَمِيكَائِيلُ ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . . فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ » ^(٢) .

وأخرج أصحاب السنن وغيرهم عن سعيد بن زيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ . . » وذكر تمام العشرة ^(٣) .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ أَهْلَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا لِيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ ؛ كَمَا تَرَوْنَ النُّجُومَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، وَإِنْ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ مِنْهُمْ وَأَنْعَمَا » ^(٤) .

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٣) و(٣٦٩٠) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٨) .

(٢) سنن الترمذي (٣٦٨٠) .

(٣) سنن أبي داود (٤٦٥٠) ، وسنن الترمذي (٣٧٤٨) ، وسنن ابن ماجه (١٣٣) ، والنسائي في « الكبرى » (٨١٩٣) ، ومسنند أحمد (١٨٧/١) .

(٤) سنن الترمذي (٣٦٥٨) ، وأخرجه ابن ماجه (٩٦) ، وأنعمنا : أي : فضلا وزادا .

وأخرجه الطبراني من حديث جابر بن سمرة^(١) وأبي هريرة^(٢) .

وأخرج الترمذي عن أنس : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس ، فيهم أبو بكر وعمر ، ولا يرفع إليه أحدٌ منهم بصره إلا أبو بكر وعمر ؛ فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ، ويتبسمان إليه ويتبسم إليهما)^(٣) .

وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر ؛ أحدهما عن يمينه ، والآخر عن شماله ، وهو أخذ بأيديهما ، وقال : « هَكَذَا تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٤) ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة^(٥) .

وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ »^(٦) .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الله بن حنطب : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال : « هَٰذَا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ »^(٧) .
وأخرجه الطبراني من حديث ابن عمر^(٨) ، وابن عمرو^(٩) .

وأخرج البزار والحاكم عن أبي أروى الدوسي قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر وعمر ، فقال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي آيَدَنِي بِكُمَا »^(١٠) .

(١) المعجم الكبير (٢/٢٥٤) .

(٢) المعجم الكبير (القطعة المفقودة) (١٩/٤٤٧) .

(٣) سنن الترمذي (٣٦٦٨) .

(٤) سنن الترمذي (٣٦٦٩) .

(٥) المعجم الأوسط (٨٢٥٨) .

(٦) سنن الترمذي (٣٦٩٢) ، ومستدرک الحاكم (٦٨/٣) .

(٧) سنن الترمذي (٣٦٧١) ، ومستدرک الحاكم (٦٩/٣) ، قال الترمذي : (هذا حديث مرسل ؛

عبد الله بن حنطب : لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم) .

(٨) المعجم الأوسط (٤٩٩٩) .

(٩) مسند الشاميين (٤٩٤) .

(١٠) مستدرک الحاكم (٣/٧٤) ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٧٧) .

ورود هذا أيضاً من حديث البراء بن عازب أخرجه الطبراني في «الأوسط»^(١).

وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أتاني جبريلُ أنفأ ، فقلت : يا جبريلُ ؛ حَدَّثني بفضائلِ عمرَ بن الخطاب ، فقال : لو حَدَّثتك بفضائلِ عمرَ منذ ما لبث نوحٌ في قومهِ . . ما نفدت فضائلُ عمر ، وإن عمرَ حسنةٌ من حسناتِ أبي بكرٍ»^(٢).

وأخرج أحمد عن عبد الرحمن بن غنم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر وعمر : «لو اجتمعتما في مشورةٍ . . ما خالفتكما»^(٣) ، وأخرجه الطبراني من حديث البراء بن عازب^(٤).

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر أنه سئل : مَنْ كان يفتي الناس في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : (أبو بكر وعمر ، لا أعلم غيرهما)^(٥).

وأخرج عن القاسم بن محمد قال : (كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يفتون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٦).

وأخرج الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن لكل نبيٍّ خاصّةً من أمتِهِ ، وإن خاصّتي من أصحابي : أبو بكر وعمرُ»^(٧).

وأخرج ابن عساكر عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «رَحِمَ الله أبا بكرٍ ؛ زَوَّجني ابنتَهُ ، وحَمَلَنِي إلى دار الهجرة ، وأَعْتَقَ بلالاً ،

(١) المعجم الأوسط (٧٢٩٩).

(٢) مسند أبي يعلى (١٦٠٣).

(٣) مسند أحمد (٢٢٧/٤).

(٤) المعجم الأوسط (٧٢٩٩).

(٥) الطبقات الكبرى (٢٨٩/٢).

(٦) الطبقات الكبرى (٢٨٩/٢).

(٧) المعجم الكبير (٧٧/١٠).

رَحِمَ اللهُ عَمَرَ ؛ يَقُولُ الْحَقُّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا ، تَرَكَ الْحَقُّ وَمَا لَهُ مِنْ صَدِيقٍ ، رَحِمَ اللهُ
عُثْمَانَ ؛ تَسْتَحْيِيهِ الْمَلَائِكَةُ ، رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا ، اللَّهُمَّ ؛ أَدِرِ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ
دَارَ»^(١) .

وأخرج الطبراني عن سهل رضي الله عنه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم من حجة الوداع . . صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أَيُّهَا
النَّاسُ ؛ إِنْ أَبَا بَكْرٍ لَمْ يَسْؤُنِي قَطُّ ، فَاعْرِفُوا لَهُ ذَلِكَ ، أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنِّي رَاضٍ عَنْ
أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ ، وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ، وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ ، وَسَعْدَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَوْفٍ ، وَالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ ، فَاعْرِفُوا ذَلِكَ لَهُمْ »^(٢) .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن ابن أبي حازم قال : جاء
رجل إلى علي بن الحسين ، فقال : (ما كان منزلة أبي بكر وعمر من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كمنزلتهما منه الساعة)^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن بسطام بن مسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأبي بكر وعمر : « لَا يَتَأَمَّرُ عَلَيْكُمَا أَحَدٌ بَعْدِي »^(٤) .

وأخرج ابن عساكر عن أنس مرفوعاً : « حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ إِيْمَانٌ ، وَبَغْضُهُمَا
كُفْرٌ »^(٥) .

وأخرج عن ابن مسعود قال : (حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ وَمَعْرِفَتُهُمَا مِنْ
السُّنَّةِ)^(٦) .

وأخرج عن أنس مرفوعاً : « إِنِّي لَأَرْجُو لَأُمَّتِي فِي حُبِّهِمَا لِأَبِي بَكْرٍ وَعَمَرَ مَا
أَرْجُو لَهُمْ فِي قَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »^(٧) .

(١) تاريخ دمشق (٦٣/٣٠) ، وأخرجه الترمذي (٣٧١٤) .

(٢) المعجم الكبير (١٠٤/٦) .

(٣) الزهد لأحمد (ص ١١١-١١٢) .

(٤) الطبقات الكبرى (١٩٣/٣) .

(٥) تاريخ دمشق (١٤٤/٣٠) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٩٣/٣٠) .

(٧) تاريخ دمشق (٣٩٦/٣٠) .

في الأحاديث الواردة في فضله وحده سوى ما تقدم

أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ : يَا عَبْدَ اللَّهِ ؛ هَذَا خَيْرٌ ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ . . دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ . . دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ . . دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ . . دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ » فقال أبو بكر : ما على من يُدعى من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال : « نَعَمْ ؛ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ »^(١) .

وأخرج أبو داود والحاكم وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي »^(٢) .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ أَمَّنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ وَمَالِهِ : أَبَا بَكْرٍ ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي . . لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ، وَلَكِنْ أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ »^(٣) .

وقد ورد هذا الحديث من رواية ابن عباس^(٤) ، وابن الزبير^(٥) ، وابن مسعود^(٦) ، وجندب بن عبد الله^(٧) ، والبراء^(٨) ، وكعب بن

(١) صحيح البخاري (٣٦٦٦) ، وصحيح مسلم (١٠٢٧) .

(٢) أبو داود (٤٦٥٢) ، ومستدرک الحاكم (٧٣/٣) ، ولفظ الحاكم : « أَخَذَ جَبْرِيلُ بِيَدِي فَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي » ، فقال أبو بكر : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَرَاهُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إِنَّكَ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهُ مِنْ أُمَّتِي » .

(٣) صحيح البخاري (٤٦٦) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٢) .

(٤) أخرجه النسائي في « الكبرى » (٨١٠٢) .

(٥) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤/٤) .

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٨٣) .

(٧) أخرجه النسائي في « الكبرى » (١١١٢٣) .

(٨) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٣٤/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٩/٣٠) .

مالك^(١) ، وجابر بن عبد الله^(٢) ، وأنس^(٣) ، وأبي واقد الليثي^(٤) ،
وأبي المعلّى^(٥) ، وعائشة^(٦) ، وأبي هريرة^(٧) ، وابن عمر^(٨) رضي الله عنهم ،
وقد سردت طرقهم في « الأحاديث المتواترة » .

وأخرج البخاري عن أبي الدرداء قال : (كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أقبل أبو بكر فسلم وقال : إني كان بيني وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعتُ إليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ ، فأقبلتُ إليك ، فقال : « يَغْفِرُ الله لك يا أبا بكرٍ » ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فلم يجده ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم ، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمرّ حتى أشفقَ أبو بكر ، فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله ؛ أنا كنت أظلم منه ، مرتين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وقال أبو بكرٍ : صَدَقْتَ ، ووَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فهل أنتم تَارِكُو لي صَاحِبِي ؟ ! » مرتين ، فما أُوذِي بعدها)^(٩) .

وأخرج ابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله عنه نحوه ؛ وفيه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا تُؤْذُونِي فِي صَاحِبِي ؛ فَإِنَّ اللهَ بَعَثَنِي بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ فَقُلْتُمْ : كَذَبْتَ ، وقال أبو بكرٍ : صَدَقْتَ ، ولولا أَنَّ اللهَ سَمَّاهُ صَاحِباً . لَا تَخَذْتَهُ خَلِيلاً ، ولكن أخوة الإسلام »^(١٠) .

وأخرج ابن عساكر عن المقدام قال : استبَّ عقيل بن أبي طالب وأبو بكر ،

-
- (١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٤١ / ١٩) .
 - (٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٩ / ٣٠) .
 - (٣) أخرجه البزار في « مسنده » (٦٥٥٧) .
 - (٤) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٤٦ / ٣) .
 - (٥) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٧٨ / ٣) .
 - (٦) أخرجه الطحاوي في « شرح مشكل الآثار » (٣٥٤٦) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٠٥٥) .
 - (٧) أخرجه الترمذي (٣٦٦١) .
 - (٨) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣٧٢ / ١٢) .
 - (٩) البخاري (٣٦٦١) .
 - (١٠) الكامل (٢٧٨ / ٤) .

قال : وكان أبو بكر سباباً أو نساباً ، غير أنه تحرّج من قرابته من النبي صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ، وشكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فقال : « أَلَا تَدْعُونَ لِي صَاحِبِي ؟ ! ما شأنكم وشأنه ؟ ! فوالله ؛ ما منكم رجلٌ إلّا على باب بيته ظُلْمَةٌ إلّا باب أبي بكرٍ ؛ فإنّ على بابهِ النورَ ، فوالله ؛ لقد قلتُم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقتُ ، وأمستُم الأموالَ وجادَ لي بماله ، وخذَلتموني ووأساني واتَّبعني » (١) .

وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ . . لم يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فقال أبو بكر : إن أحد شِقِّي ثوبي يَسْتَرخي إلّا أن أتعاهد ذلك منه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكَ لَسْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ خِيَلَاءَ » (٢) .

[خصال توجب الجنة]

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ جَنَازَةً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مِسْكِيناً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، قال : « فَمَنْ عَادَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ مَرِيضاً ؟ » قال أبو بكر : أنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما اجْتَمَعَن في امرئٍ . . إلّا دَخَلَ الْجَنَّةَ » (٣) .

وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس بن مالك ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ فحديث أنس أخرجه (٤) وفي آخره : « وَجِبَتْ لَكَ الْجَنَّةُ » (٥) .

(١) تاريخ دمشق (١١٠/٣٠) .

(٢) صحيح البخاري (٣٦٦٥) ، وأخرجه مسلم (٤٤/٢٠٨٥) دون قصة أبي بكر .

(٣) صحيح مسلم (١٠٢٨) .

(٤) في النسخ بعد قوله : (أخرجه) : بياض في الأصل ، ولا عبرة لما جاء في كثير من مطبوعات « تاريخ الخلفاء » : (أخرجه البيهقي في الأصل) ؟ ! إذ ليس للإمام البيهقي كتاب اسمه « الأصل » !!

(٥) أخرجه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٤٠/١٨ - ٤١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩٧/٣٠) .

وحديث عبد الرحمن أخرجه البزار ؛ ولفظه : صَلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ، ثم أقبل على أصحابه بوجهه فقال : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ الْيَوْمَ صَائِماً ؟ » قال عمر : يا رسول الله ، لم أحدث نفسي بالصوم البارحة فأصبحت مفطراً ، فقال أبو بكر : ولكن حدثت نفسي بالصوم البارحة فأصبحت صائماً .

فقال : « هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ الْيَوْمَ عَادَ مَرِيضاً ؟ » فقال عمر : يا رسول الله ؛ لم نبرح فكيف نعود المريض ؟! فقال أبو بكر : بلغني أن أخي عبد الرحمن بن عوف شاك ، فجعلت طريقي عليه ؛ لأنظر كيف أصبح .

فقال : « هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ أَطْعَمَ الْيَوْمَ مَسْكِيناً ؟ » فقال عمر : صلينا يا رسول الله ثم لم نبرح ، فقال أبو بكر : دخلت المسجد ؛ فإذا بسائل ، فوجدت كسرة من خبز الشعير في يد عبد الرحمن ، فأخذتها فدفعتها إليه .

فقال : « أَنْتَ ؛ فَأَبْشِرْ بِالْجَنَّةِ » ثم قال كلمة أرضى بها عمر : « عمر زَعَمَ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ خَيْراً قَطُّ إِلَّا سَبَقَهُ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ »^(١) .

وأخرج أبو يعلى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت في المسجد أصلي ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر ، فوجدني أدعو ، فقال : « سَلِّ . . تُعْطَهُ » ثم قال : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضّاً . . فَلْيَقْرَأْهُ بَقْرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ » فرجعت إلى منزلي ، فأتاني أبو بكر فبشرني ، ثم أتاني عمر فوجد أبا بكر خارجاً قد سبقه ، فقال : إنك لسبّاق بالخير^(٢) .

[مكانة الصديق عند الصحابة رضي الله عنهم]

وأخرج أحمد بسند حسن عن ربيعة الأسلمي رضي الله عنه قال : جرى بيني وبين أبي بكر كلام ، فقال لي كلمة كرهتها وندم ، فقال لي : يا ربيعة ؛ رُدَّ عَلَيَّ

(١) مسند البزار (٢٢٦٧) ، بغير هذا السياق ولم يذكر فيه عمر رضي الله عنه ، وأخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (١٢٤٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩٧ / ٣٠) بلفظ المصنف .

(٢) مسند أبي يعلى (١٧) .

مثلها حتى تكون قصاصاً ، قلت : لا أفعل ، قال : لتقولنَّ أو لأستعدينَّ عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت : ما أنا بفاعل ، فانطلق أبو بكر ، وجاء أناس من أسلم ، فقالوا لي : رحم الله أبا بكر ، في أيِّ شيء يستعدي عليك وهو الذي قال لك ما قال ؟!

فقلت : أتدرون من هذا ؟ هذا أبو بكر الصديق ، هذا ثاني اثنين ، وهذا ذو شيبة المسلمين ، إياكم لا يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب ، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه ، فيغضب الله عز وجل لغضبهما ، فيهلك ربعة .

وانطلق أبو بكر رضي الله عنه ، فتبعته وحدي حتى أتني رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان ، فرفع إليَّ رأسه فقال : « يا ربعة ؛ ما لك وللصديق ؟ » فقلت : يا رسول الله ؛ كان كذا وكذا ، فقال لي كلمة كرهتها ، فقال لي : قل كما قلت حتى يكون قصاصاً ، فأبيت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أجل ؛ لا تردَّ عليه ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكرٍ » فقلت : غفر الله لك يا أبا بكر^(١) .

وأخرج الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « أنت صاحبني على الحوض ، وصاحبني في الغار »^(٢) .

وأخرج عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبو بكرٍ صاحبني ، ومؤنسي في الغار » ، إسناده حسن^(٣) .

وأخرج البيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ في الجنة طيراً كأمثال البَخاتي » قال أبو بكر : إنها لناعمة

(١) مسند أحمد (٤/٥٨-٥٩) .

(٢) الترمذي (٣٦٧٠) .

(٣) فضائل الصحابة (٦٠٣) .

يا رسول الله ؟ قال : « أَنْعَمُ مِنْهَا مَنْ يَأْكُلُهَا ، وَأَنْتَ مِمَّنْ يَأْكُلُهَا »^(١) ، وقد ورد هذا الحديث من رواية أنس^(٢) .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُرج بي إلى السماء ، فما مررت بسماءٍ . . إلا وجدتُ فيها اسمي : محمدٌ رسولُ الله ، وأبو بكرٍ الصديقُ خَلْفِي » إسناده ضعيف^(٣) ؛ لكنه ورد أيضاً من حديث ابن عباس^(٤) ، وابن عمر^(٥) ، وأنس^(٦) ، وأبي سعيد^(٧) ، وأبي الدرداء^(٨) رضي الله عنهم بأسانيدٍ ضعيفةٍ يشدُّ بعضها بعضاً .

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن سعيد بن جبيرة قال : قُرئت عند النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَأْتِيَنَّهَا أَلْفُ نَفْسٍ الْمُطْمَئِنَّةِ ﴾ فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ إن هذا لحسنٌ !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إِنَّ الْمَلَكَ سَيَقُولُهَا لَكَ عند الموتِ »^(٩) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قال : لما نزلت : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَذَّبْنَا عَلَيْهِمْ أَيْنَ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ والله لو أمرتني أن أقتل نفسي . . لفعلت ، قال : « صَدَقْتَ »^(١٠) .

وأخرج أبو القاسم البغوي : حدثنا داوود بن عمرو ، حدثنا عبد الجبار بن الورد ، عن ابن أبي مليكة قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غديراً ، فقال : « لَيْسَبْخُ كُلِّ رَجُلٍ إِلَى صَاحِبِهِ » قال : فسبح كل رجلٍ منهم إلى

(١) البعث والنشور (٣٥٤) .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٢١ / ٣) .

(٣) مسند أبي يعلى (٦٦٠٧) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٤٤ / ٥) .

(٥) أخرجه البزار في « مسنده » ؛ كما في « مجمع الزوائد » (٣٣٦ / ٨) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٤ / ٣٠) .

(٧) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٤٤ / ٥) .

(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٤ / ٣٠) .

(٩) تفسير ابن أبي حاتم (١٩٢٨٨) .

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٦٦) .

صاحبه ، حتى بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، فسيح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر حتى اعتنقه ، وقال : « لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله . . لانتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنه صاحبي »^(١) .

تابعه وكيع عن عبد الجبار بن الورد ، أخرجه ابن عساكر^(٢) ، وعبد الجبار ثقة ، وشيخه ابن أبي مليكة إمام ، إلا أنه مرسل ، وهو غريب جداً .

قلت : أخرجه الطبراني في « الكبير » ، وابن شاهين في « السنة » من وجه آخر موصولاً عن ابن عباس^(٣) .

[خصال الخير مجموعة في الصديق رضي الله عنه]

وأخرج ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » ، وابن عساكر من طريق صدقة بن ميمون القرشي ، عن سليمان بن يسار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خِصَالُ الْخَيْرِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَستونَ خِصْلَةٍ ، إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ . . جَعَلَ فِيهِ خِصْلَةً مِنْهَا يُدْخِلُهُ بِهَا الْجَنَّةَ » قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ أفِي شَيْءٍ مِنْهَا ؟ قال : « نَعَمْ ، جَمْعاً مِنْ كُلِّ »^(٤) .

وأخرج ابن عساكر من طريق آخر عن صدقة القرشي ، عن رَجَالٍ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خِصَالُ الْخَيْرِ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَستونَ » فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ لي منها شيءٌ قال : « كُلُّهَا فِيكَ ، فَهَنِيئاً لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ »^(٥) .

وأخرج ابن عساكر من طريق مُجَمَّع بن يعقوب الأنصاري عن أبيه قال : (إن كانت حلقة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشتبك حتى تصير كالأسوار ، وإن مجلس أبي بكر منها لفارغ ، ما يطمع فيه أحد من الناس ، فإذا جاء أبو بكر . .

(١) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (١٨١) ، وابن عساكر في « تاريخه » (١٥٢ / ٣٠) .

(٢) تاريخ دمشق (١٥١ / ٣٠ - ١٥٢) .

(٣) المعجم الكبير (٢٦٠ / ١١) ، وشرح مذاهب أهل السنة (١١٦) .

(٤) مكارم الأخلاق (٢٩) ، وتاريخ دمشق (١٠٣ / ٣٠) .

(٥) تاريخ دمشق (١٠٤ / ٣٠) ، ورجال : هو ابن عُفُوَّة .

جلس ذلك المجلس ، وأقبل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه ، وألقى إليه حديثه ، وسمع الناس (١) .

وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَشُكْرُهُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ أُمَّتٍ » (٢) ، وأخرج مثله من حديث سهل بن سعد (٣) .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « النَّاسُ كُلُّهُمْ يُحَاسِبُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ » (٤) .

فَضْلُهُ

فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله

أخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : (أبو بكر سيدنا) (٥) .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن عمر رضي الله عنه قال : (لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض . . لرجح بهم) (٦) .

وأخرج ابن أبي خيثمة وعبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن عمر رضي الله عنه قال : (إن أبا بكر كان سابقاً مبرزاً) (٧) .

وقال عمر : (لوددت أني شعرة في صدر أبي بكر) أخرجه مسدد في « مسنده » (٨) .

(١) تاريخ دمشق (١٣٠ / ٣٠) .

(٢) تاريخ دمشق (١٤١ / ٣٠) .

(٣) تاريخ دمشق (١٤٢ / ٣٠) .

(٤) تاريخ دمشق (١٥٢ / ٣٠) .

(٥) صحيح البخاري (٣٧٥٤) .

(٦) شعب الإيمان (٣٦) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣٩ / ٣٠) ، من طريق ابن أبي خيثمة ، وأحمد في « الزهد » (ص ١١١) .

(٨) مسند مسدد ؛ كما في « المطالب العالية » (٣٨٧٦) .

وقال : (وددت أني من الجنة حيث أرى أبا بكر) أخرجه ابن أبي الدنيا وابن عساكر^(١) .

وقال : (لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك) أخرجه أبو نعيم^(٢) .

وأخرج ابن عساكر عن علي : أنه دخل على أبي بكر وهو مسجّي ، فقال : (ما أحد ألقى الله بصحيفته أحب إليّ من هذا المسجّي)^(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « حدثني عمر بن الخطاب : أنه ما سابق أبا بكر إلى خير قط . . إلا سبقه به »^(٤) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن علي قال : (والذي نفسي بيده ؛ ما استبقنا إلى خير قط . . إلا سبقنا إليه أبو بكر)^(٥) .

وأخرج في « الأوسط » أيضاً عن أبي جُحيفة قال : قال عليّ : (خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر ، لا يجتمع حُبّي وبغضُ أبي بكر وعمر في قلب مؤمن)^(٦) .

وأخرج في « الكبير » عن ابن عمرو قال : (ثلاثة من قریش أصبح قریش وجوهاً ، وأحسنها أخلاقاً ، وأثبتها جناناً : إن حدثوك . . لم يكذبوك ، وإن حدثتهم . . لم يكذبوك ؛ أبو بكر الصديق ، وأبو عبيدة ابن الجراح ، وعثمان بن عفان)^(٧) .

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم النخعي قال : (كان أبو بكر يسمى الأواه ؛ لرأفته ورحمته)^(٨) .

(١) المتمنين (٨٧) ، وتاريخ دمشق (٣٣٩ / ٣٠) .

(٢) حلية الأولياء (١٣٤ / ٥) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٤٢ / ٣٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٦٥ / ٣٠) .

(٥) المعجم الأوسط (٧١٦٨) .

(٦) المعجم الأوسط (٣٩٢٠) .

(٧) المعجم الكبير (٥٦ / ١) .

(٨) الطبقات الكبير (١٥٧ / ٣) .

وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال : (مكتوب في الكتاب الأول :
مثل أبي بكر الصديق مثل القطر ؛ أينما وقع .. نفع) (١) .

وأخرج ابن عساكر عن الربيع بن أنس قال : (نظرنا في صحابة الأنبياء ، فما
وجدنا نبياً كان له صاحب مثل أبي بكر الصديق) (٢) .

وأخرج عن الزهري قال : (من فضل أبي بكر : أنه لم يشك في الله ساعة
قط) (٣) .

وأخرج عن الزبير بن بكار قال : (سمعت بعض أهل العلم يقول : خطباء
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق ، وعلي بن
أبي طالب) (٤) .

وأخرج عن أبي حصين قال : (ما ولد لآدم في ذريته بعد النبيين والمرسلين
أفضل من أبي بكر ، ولقد قام أبو بكر يوم الردة مقام نبي من الأنبياء) (٥) .

فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ

[في خصائص أبي بكر الصديق رضي الله عنه]

أخرج الدينوري في « المجالسة » ، وابن عساكر عن الشعبي قال :
(خصَّ الله تبارك وتعالى أبا بكر الصديق بأربع خصال لم يخصص بها أحداً من
الناس : سماه الصديق ولم يسم أحداً الصديق غيره ، وهو صاحب الغار مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفيقه في الهجرة ، وأمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود) (٦) .

وأخرج ابن أبي داود في كتاب « المصاحف » عن أبي جعفر قال : (كان

(١) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣٣٨) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠ / ١٢٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣١٧) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣٣٥) ، وتقديم (ص ١١٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣٩٥) .

(٦) المجالسة وجواهر العلم (٢٨١٥) ، وتاريخ دمشق (٣٠ / ٢٦٦) .

أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا يراه (١) .

وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال : (كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير ، فكان يشاوره في جميع أموره ، وكان ثانيه في الإسلام ، وثانيه في الغار ، وثانيه في العريش يوم بدر ، وثانيه في القبر ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحداً) (٢) .

فَضَائِلُ

في الأحاديث والآيات المشيرة إلى خلافته وكلام الأئمة في ذلك

أخرج الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اقْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي : أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ » (٣) ، وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء (٤) ، والحاكم من حديث ابن مسعود (٥) .

وأخرج أبو القاسم البغوي بسند حسن عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَكُونُ خَلْفِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً : أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْبَثُ إِلَّا قَلِيلًا » (٦) صدرُ هذا الحديث مجمع على صحته ، وارد من طرق عدة ، وقد تقدم شرحه في أول هذا الكتاب (٧) .

وفي « الصحيحين » في الحديث السابق : أنه صلى الله عليه وسلم لما خطب قُرْبَ وفاته وقال : « إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ . . . » الحديث ، وفي آخره : « لَا يَبْقَيْنَ

(١) المصاحف (٢٢) .

(٢) مستدرک الحاكم (٦٣ / ٣) .

(٣) سنن الترمذي (٣٦٦٢) ، ومستدرک الحاكم (٧٥ / ٣) .

(٤) مسند الشاميين (٩١٣) .

(٥) مستدرک الحاكم (٧٦ - ٧٥ / ٣) .

(٦) معجم الصحابة (١٣٨٩) .

(٧) تقدم (ص ٧٥) .

بَابُ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ^(١) ، وفي لفظ لهما : « لَا يَبْقَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلَّا خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ »^(٢) .

قال العلماء : هذا إشارة إلى الخلافة ؛ لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين ، وقد ورد هذا اللفظ من حديث أنس رضي الله عنه ؛ ولفظه : « سَدُّوا هَذِهِ الْأَبْوَابَ الشَّارِعَةَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ » أخرجه ابن عدي^(٣) .

ومن حديث عائشة رضي الله عنها أخرجه الترمذي وغيره^(٤) ، ومن حديث ابن عباس في « زوائد المسند »^(٥) ، ومن حديث معاوية بن أبي سفيان أخرجه الطبراني^(٦) ، ومن حديث أنس أخرجه البزار^(٧) .

وأخرج الشيخان عن جبير بن مُطْعِم رضي الله عنه قال : أتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه ، قالت : أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تقول الموت ، قال : « إِنْ لَمْ تَجِدْنِي . . فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ »^(٨) .

وأخرج الحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه قال : بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنْ سَلُّهُ : إِلَى مَنْ نَدَفَعُ صَدَقَاتِنَا بَعْدَكَ ؟ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَقَالَ : « إِلَى أَبِي بَكْرٍ »^(٩) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيئاً ، فقال لها : « تَعُودِينَ » فقالت : يا رسول الله ؛ إِنْ عَدْتُ فَلَمْ أَجِدْكَ ؟ تُعَرِّضُ بِالْمَوْتِ ، فقال : « إِنْ جِئْتُ فَلَمْ تَجِدْنِي . . فَأْتِي

(١) تقدم (ص ١١٧) .

(٢) صحيح البخاري (٣٩٠٤) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٢) من حديث سيدنا أبي سعيد رضي الله عنه .

(٣) الكامل (٢٠٧/٤) .

(٤) سنن الترمذي (٣٦٧٨) ، وصحيح ابن حبان (٦٨٥٧) .

(٥) مسند أحمد (٢٧٠/١) .

(٦) المعجم الأوسط (٧٠١٧) .

(٧) مسند البزار (٦٥٥٧) .

(٨) صحيح البخاري (٣٦٥٩) ، وصحيح مسلم (٢٣٨٦) .

(٩) مستدرک الحاكم (٧٧/٣) .

أبا بكرٍ ؛ فإنه الخليفةُ من بعدي»^(١) .

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه : « ادْعِي لي أبا بكر وأخاك ؛ حتى أكتبَ كتاباً ؛ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مَتَمَنٍّ ، ويقول قائل : أنا أولى ، ويَأْبَى اللهُ والمؤمنونَ إِلَّا أبا بكرٍ »^(٢) .

وأخرجه أحمد وغيره من طرق عنها^(٣) ، وفي بعضها : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه : « ادْعِي لي عبدَ الرحمن بن أبي بكرٍ . . أكتبُ لأبي بكرٍ كتاباً ؛ لا يَخْتَلِفُ عليه أحدٌ بعدي » ثم قال : « دَعِيهِ ؛ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَخْتَلِفَ المؤمنونَ في أبي بكرٍ »^(٤) .

وأخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها سُئِلَتْ : مَنْ كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفاً لو استخلف ؟ قالت : (أبو بكر) ، فقيل لها : ثم مَنْ بعد أبي بكر ؟ قالت : (عمر) ، قيل لها : مَنْ بعد عمر ؟ قالت : (أبو عبيدة ابن الجراح)^(٥) .

[رضيه لديننا أفلا نرضاه لدينانا]

وأخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه ، فقال : « مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيَصِلْ بالناسِ » قالت عائشة : يا رسول الله ؛ إنه رجل رقيق ، إذا قام مقامك . . لم يستطع أن يصلِّي بالناسِ ، قال : « مُرِي أبا بكرٍ فَلْيَصِلْ بالناسِ » فعادت فقال : « مُرِي أبا بكرٍ فَلْيَصِلْ بالناسِ ؛ فَإِنَّكَ نَصَوَاحِبُ يَوْسُفَ » فأتاه الرسول ، فصلَّى بالناسِ في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا الحديث متواتر^(٦) .

(١) تاريخ دمشق (٣٠/٢٢٠-٢٢١) .

(٢) صحيح مسلم (٢٣٨٧) .

(٣) مسند أحمد (٤٧/٦) و(١٤٤/٦) ، والنسائي في « الكبرى » (٧٠٨١) .

(٤) أخرجه الطيالسي في « مسنده » (١٥٠٨) .

(٥) صحيح مسلم (٢٣٨٥) .

(٦) صحيح البخاري (٦٧٨) ، وصحيح مسلم (٤٢٠) .

ورد أيضاً من حديث عائشة^(١) ، وابن مسعود^(٢) ، وابن عباس^(٣) ، وابن عمر^(٤) ، وعبد الله بن زمعة^(٥) ، وأبي سعيد^(٦) ، وعلي بن أبي طالب^(٧) ، وحفصة رضي الله عنهم^(٨) ، وقد سقت طرقهم في «الأحاديث المتواترة» .

وفي بعضها عن عائشة رضي الله عنها : (لقد راجعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته . . إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وإلا أني كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه . . إلا تشاءم الناس به ، فأردتُ أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر)^(٩) .

وفي حديث ابن زمعة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالصلاة وكان أبو بكر غائباً ، فتقدم عمر فصلى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، لا ، لا ، لا ، يَأْبَى الله والمسلمون إلاّ أبا بكرٍ ، يُصلي بالناس أبو بكرٍ »^(١٠) .

وفي حديث ابن عمر : كَبُرَ عمر ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره ، فأطلع رأسه مغضباً فقال : « أَيْنَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ؟ ! »^(١١) .

قال العلماء : في هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الإطلاق ، وأحقهم بالخلافة ، وأولاهم بالإمامة .

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤) ، ومسلم (٤١٨) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٨٨ / ٤) .

(٣) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٥٦ / ١) ، وابن ماجه (١٢٣٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٨٢) ، وابن سعد في « الطبقات » (١٩٦ / ٢ - ١٩٧) .

(٥) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٩٥ / ٢) ، والمقدسي في « المختارة » (٣١٤) .

(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٩٧ / ٢) .

(٧) أخرجه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٢٦٥ / ٣٠) .

(٨) أخرجه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٢٦٥ / ٣٠) .

(٩) أخرجه البخاري (٤٤٤٥) ، ومسلم (٩٣ / ٤١٨) .

(١٠) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٢٢ / ٤) ، وأبو داود (٤٦٦٠) .

(١١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (١٩٦ / ٢ - ١٩٧) ، ومن طريقه ابن عساکر في « تاريخ دمشق »

(٢٦٤ / ٣٠) .

قال الأشعري : (قد علم بالضرورة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصديق أن يصلي بالناس مع حضور المهاجرين والأنصار ؛ مع قوله : « يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ »^(١) ، فدل على أنه كان أقرأهم ؛ أي : أعلمهم بالقرآن) انتهى^(٢) .

وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على أنه أحق بالخلافة ؛ منهم : عمر ، وسيأتي قوله في (فصل المبايعة)^(٣) .

ومنهم : علي ، وأخرج ابن عساكر عنه قال : (لقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلي بالناس وإني لشاهدٌ وما أنا بغائب وما بي مرض ، فرضينا لدنيا ما رضي به النبي صلى الله عليه وسلم لدينا)^(٤) .

قال العلماء : وقد كان معروفاً بأهلية الإمامة في زمان النبي صلى الله عليه وسلم .

وأخرج أحمد وأبو داود وغيرهما عن سهل بن سعد قال : كان قتالٌ بين بني عمرو بن عوف ، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم بعد الظهر ؛ ليصلح بينهم وقال : « يا بلال ؛ إن حضرت الصلاة ولم آتِ .. فمُر أبا بكرٍ فَلْيَصِلْ بالناس » فلما حضرت صلاة العصر .. أقام بلال الصلاة ، ثم أمر أبا بكر فصرأ^(٥) .

وأخرج أبو بكر الشافعي في « الغيلانيات » ، وابن عساكر عن حفصة رضي الله عنها : أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أنت مرضت .. قدمت أبا بكر ؟ قال : « لستُ أنا أقدمه ؛ ولكن الله يُقدِّمه »^(٦) .

(١) تقدم (ص ١١٧) .

(٢) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (٣٣١/٥) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ١٥٠) .

(٤) تقدم (ص ٧١) .

(٥) مسند أحمد (٣٣٢/٥) ، وسنن أبي داود (٩٤١) ، وهو عند البخاري (٧١٩٠) ، ومسلم (٤٢١) .

(٦) الغيلانيات (٦٩٢) ، وتاريخ دمشق (٢٦٥/٣٠) .

وأخرج الدارقطني في «الأفراد» ، والخطيب ، وابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَقَدِّمَكَ ثَلَاثًا ، فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا تَقْدِيمَ أَبِي بَكْرٍ »^(١) .

وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ ما أزال أراني أطأ في عذرات الناس ؟ قال : « لَتَكُونَنَّ مِنَ النَّاسِ بِسَبِيلٍ » قال : ورأيت في صدري كالرُّقْمَتَيْنِ ؟ قال : « سنتين »^(٢) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي بكرة قال : (أتيت عمر وبين يديه قوم يأكلون ، فرمى ببصره في مؤخر القوم إلى رجل ، فقال : ما تجد فيما تقرأ قبلك من الكتب ؟ قال : خليفة النبي صلى الله عليه وسلم صديقه)^(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن الزبير قال : (أرسلني عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أسأله عن أشياء ، فجئته ، فقلت له : اشفني فيما اختلف فيه الناس ، هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر ؟ فاستوى الحسن قاعداً فقال : أَوْفِي شَكِّ هُوَ لَا أَبَا لَكَ ؟ ! إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ لَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ ، وَلَهُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِاللَّهِ وَأَتَقَى لَهُ وَأَشَدَّ لَهُ مَخَافَةً مِنْ أَنْ يَمُوتَ عَلَيْهَا لَوْ لَمْ يُمْرِهِ)^(٤) .

وأخرج ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال : (قال لي الرشيد : يا أبا بكر ؛ كيف استخلف الناس أبا بكر الصديق ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ سكت الله ، وسكت رسوله ، وسكت المؤمنون ، قال : والله ؛ ما زدني إلا غمًّا !!

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام ، فدخل عليه بلال فقال : يا رسول الله ؛ مَنْ يَصْلِي بِالنَّاسِ ؟ قال : « مر أبا بكر يصلي بالناس » فصلي أبو بكر بالناس ثمانية أيام ، والوحي ينزل ، فسكت

(١) تاريخ بغداد (٢١٣/١١) ، وتاريخ دمشق (٣٢٢/٤٥) من طريق الدارقطني ، وأورده المصنف في

« اللآلئ المصنوعة » (٣٢٦/١) وعزاه للدارقطني في « الأفراد » .

(٢) الطبقات الكبرى (١٦٢/٣) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٩٦/٣٠) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٩٧/٣٠) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله ، وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعجبه فقال : بارك الله فيك (١) .

[آيات استنبط العلماء منها خلافة الصديق رضي الله عنه]

وقد استنبط جماعة من العلماء خلافة الصديق من آيات من القرآن ؛ فأخرج البيهقي عن الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ رِثَدٍ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ قال : (هو - والله - أبو بكر وأصحابه ؛ لما ارتدت العرب .. جاهدتهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم إلى الإسلام) (٢) .

وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال : (لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم .. ارتدت العرب ... فذكر قتال أبي بكر لهم ... إلى أن قال : فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه : ﴿ سَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾) (٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم عن جوير في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال : هم بنو حنيفة ، قال ابن أبي حاتم وابن قتيبة : (هذه الآية حجة على خلافة الصديق ؛ لأنه الذي دعا إلى قتالهم) (٤) .

وقال الشيخ أبو الحسن الأشعري : (سمعت أبا العباس بن سريج يقول : خلافة الصديق في القرآن في هذه الآية ، قال : لأن أهل العلم أجمعوا على أنه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا إليه إلا دعاء أبي بكر لهم وللناس إلى قتال أهل الردة ومن منع الزكاة ، قال : فدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر ، وافترض طاعته ؛ إذ أخبر الله أن المتولي عن ذلك يعذب عذاباً أليماً) .

قال ابن كثير : (ومن فسر القوم : بأنهم فارس والروم .. فالصديق هو الذي

(١) الكامل (٢٦/٤) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٠/٣٠) ، وانظر « دلائل النبوة » (٣٦٢/٦) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٩/٣٠) .

(٤) انظر « تاريخ دمشق » (٢٩٦/٣٠) .

جهاز الجيوش إليهم ، وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان ؛ وهما فرعا الصديق) .

وقال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ... ﴾
الآية ، قال ابن كثير : (هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق)^(١) .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المَهْري قال : (إن ولاية أبي بكر وعمر في كتاب الله ؛ يقول الله : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... ﴾ الآية)^(٢) .

وأخرج الخطيب عن أبي بكر بن عياش قال : (أبو بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ لِّلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ... ﴾ إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فمن سماه الله صادقاً . . . فليس يكذب ؛ هم قالوا : يا خليفة رسول الله) ، قال ابن كثير : (استنباط حسن)^(٣) .

وأخرج البيهقي عن الزُّعْفراني قال : (سمعت الشافعي يقول : أجمع الناس على خلافة أبي بكر ؛ وذلك أنه اضطر الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر ، فولَّوه رقابهم)^(٤) .

وأخرج أسد السنة في « فضائله » عن معاوية بن قررة قال : (ما كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكُّون أن أبا بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كانوا يسمونه إلا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كانوا يجتمعون على خطأ أو ضلالة)^(٥) .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ما رآه المسلمون حسناً . . . فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً . . . فهو عند الله

(١) البداية والنهاية (١٨٣/٦) .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٤٧٦٤) .

(٣) تاريخ بغداد (٣٧٦/١٤) .

(٤) معرفة السنن والآثار (٩٢/١) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٧/٣٠) .

سيء ، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر (١) .

وأخرج الحاكم وصححه الذهبي عن مرة الطيب قال : جاء أبو سفيان ابن حرب إلى علي فقال : (ما بال هذا الأمر في أقل قريش قلة ، وأذلها ذلاً - يعني : أبا بكر - والله ؛ لئن شئت . . لأملأها عليه خيلاً ورجالاً ؟ !) فقال علي : (لطال ما عادت الإسلام وأهله يا أبا سفيان . . فلم يضره ذلك شيئاً ؛ إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً) (٢) .

فَصْنَعُ

في مبايعته

روى الشيخان : أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب الناس مرجعه من الحج ، فقال في خطبته :

(قد بلغني أن فلاناً منكم يقول : لو مات عمر . . بايعت فلاناً ، فلا يغترنَّ امرؤ أن يقول : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة [وتمت] ، ألا وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله وقى شرها ، وليس فيكم اليوم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر ، وإنه كان من خيرنا حين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن علياً والزبير ومن معهما تخلفوا في بيت فاطمة ، وتخلف الأنصار عنا بأجمعها في سقيفة بني ساعدة ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت له : يا أبا بكر ؛ انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا رجلاً صالحاً ، فذكروا لنا الذي صنع القوم ، قالوا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلت : نريد إخواننا من الأنصار ، فقالوا : لا عليكم ألا تقرّبوهم ، واقضوا أمركم يا معشر المهاجرين ، فقلت : والله ؛ لنأتينهم .

فانطلقنا حتى جئناهم في سقيفة بني ساعدة ؛ فإذا هم مجتمعون ، وإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد ، فقلت :

(١) مستدرک الحاكم (٧٨/٣) .

(٢) مستدرک الحاكم (٧٨/٣) .

ما له ؟ قالوا : وجع ، فلما جلسنا . . قام خطيبهم ، فأتى على الله بما هو أهله وقال :

أما بعد : فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يا معشر المهاجرين رهط منا ، وقد دَفَّت دافة منكم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويحضنونا من الأمر .
فلما سكت . . أردت أن أتكلم ، وكنت قد زَوَّرت مقالة أعجبتني أردت أن أقولها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري منه بعض الحدِّ ، وهو كان أحلم مني وأوقر ، فقال أبو بكر : على رسلك ، فكرهت أن أغضبه ، وكان أعلم مني ، والله ؛ ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري . . إلا قالها في بديهة مثلها وأفضل منها حتى سكت ، فقال :

أما بعد : فما ذكرتم فيكم من خير . . فأنتم أهله ، ولم تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدي ويدي أبي عبيدة ابن الجراح [وهو جالس بيننا] فلم أكره مما قال غيرها ، وكان والله ؛ أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم . . أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

فقال قائل من الأنصار : أنا جذيلها المُحَكَّك ، وعُذيقها المُرَجَّب ، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش ، وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات حتى خشيتُ الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته وبايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، أما والله ؛ ما وجدنا فيما حضرنا أمراً هو أوفق من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة . . أن يُحدِّثوا بعدنا بيعة ؛ فإما أن نبايعهم على ما لا نرضى ، وإما أن نخالفهم فيكون فيه فساد^(١) .

وأخرج النسائي ، وأبو يعلى ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قالت الأنصار : منا أمير ومنكم أمير ، فاتاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا معشر الأنصار ؛ أستم تعلمون أن

(١) صحيح البخاري (٦٨٣٠) ، وصحيح مسلم (١٦٩١) بقطعة منه ، وانظر « الجمع بين الصحيحين » (٢٦) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟! فأياكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟ فقالت الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر (١) .

[بدء المبايعة وأول من بايع]

وأخرج ابن سعد ، والحاكم وصححه ، والبيهقي عن أبي سعيد الخدري قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واجتمع الناس في دار سعد بن عباد وفيهم أبو بكر وعمر . . فقام خطباء الأنصار ، فجعل الرجل منهم يقول : يا معشر المهاجرين ؛ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم . . قرن معه رجلاً منا ، فترى أن يلي هذا الأمر رجلاً منا ومنكم ، فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك .

فقام زيد بن ثابت فقال : أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ، ونحن كنا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ، ثم أخذ بيد أبي بكر فقال : هذا صاحبكم ، فبايعه عمر ، ثم بايعه المهاجرون والأنصار ، فصعد أبو بكر المنبر ، فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا بالزبير فجاء فقال : قلت : ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فقام فبايعه ، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً ، فدعا به فجاء ، فقال : قلت : ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على بنته ، أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال : لا تثريب يا خليفة رسول الله ، فبايعه (٢) .

[خطبة الصديق رضي الله عنه بعد البيعة]

وقال ابن إسحاق في « السيرة » : حدثني الزهري قال : حدثني أنس بن مالك

(١) سنن النسائي (٢/٧٤) ، ومستدرک الحاكم (٣/٦٧) ، وانظر « المقصد العلي » (٨٤٧) .
(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٤-١٩٥) ، ومستدرک الحاكم (٣/٧٦) ، والسنن الكبرى (٨/١٤٣) .

قال : (لما بويج أبو بكر في السقيفة ، وكان الغد . . جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن الله قد جمع أمركم على خيركم ؛ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد : أيها الناس ؛ فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت . . فأعينوني ، وإن أسأت . . فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله . . إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط . . إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله . . فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله)^(١) .

وأخرج موسى بن عقبة في « مغازيه » ، والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال : (خطب أبو بكر فقال : والله ؛ ما كنت حريصاً على الإمارة يوماً ولا ليلة قط ، ولا كنت راغباً فيها ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ؛ ولكنني أشفت من الفتنة ، وما لي في الإمارة من راحة ، ولقد قلدت أمراً عظيماً ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله .

فقال علي والزبير : ما غضبنا إلا لأننا أخرنا عن المشورة ، وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها ؛ إنه لصاحب الغار ، وإنا لنعرف شرفه وخيره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي)^(٢) .

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم التيمي قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أتى عمر أبا عبيدة ابن الجراح فقال : ابسط يدك فلأبايعك ؛ فإنك

(١) سيرة ابن هشام (٦٦١/٢) .

(٢) مستدرک الحاكم (٦٦/٣) ، وأخرجه البيهقي في « الكبرى » (١٥٢/٨) ، من طريق موسى بن عقبة ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٢٥٠/٥) : (إسناده جيد) .

أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أبو عبيدة
لعمر : ما رأيت لك فهة قبلها منذ أسلمت ؛ أتبايعني وفيكم الصديق وثاني
اثنين ؟! (١) .

الفهة : ضعف الرأي .

وأخرج ابن سعد أيضاً عن محمد : أن أبا بكر قال لعمر : (ابسط يدك نبايع
لك ، فقال له عمر : أنت أفضل مني ، فقال له أبو بكر : أنت أقوى مني ، فقال
عمر : فإن قوتي لك مع فضلك ، فبايعه) (٢) .

وأخرج أحمد عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف قال : (توفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ، فجاء فكشف عن وجهه فقبله
وقال : فدي لك أبي وأمي ما أطيبك حياً وميتاً !! مات محمدٌ ورب الكعبة . . .)
فذكر الحديث .

قال : وانطلق أبو بكر وعمر يتقاولان حتى أتوهم (٣) ، فتكلم أبو بكر فلم
يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم . .
إلا ذكره ، وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو سلك
الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً . . لسلك وادي الأنصار » ولقد علمت يا سعد
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد : « قريش ولاؤه هذا الأمر ، فبر
الناس تبع لبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم » ، فقال له سعد : صدقت ، نحن
الوزراء وأنتم الأمراء (٤) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري قال : (لما بويع أبو بكر . . رأى
من الناس بعض الانقباض ، فقال : أيها الناس ؛ ما يمنعكم ؟ ألسن أحقكم
بهذا الأمر ؟ ألسن أول من أسلم ؟ ألسن ألسن . . فذكر خصالاً) (٥) .

(١) الطبقات الكبرى (١٦٦/٣) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٣/٣) .

(٣) يتقاولان : يذهبان مسرعين ، كأن كل واحد منهما يقود الآخر لسرعته .

(٤) مسند أحمد (٥/١) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٧/٣٠) ، وتقدم نحوه (ص ١٠٦-١٠٧) .

وأخرج أحمد عن رافع الطائي قال : حدثني أبو بكر عن بيعته وما قالته الأنصار وما قاله عمر ، قال : (فبايعوني وقبلتها منهم ، وتخوفتُ أن تكون فتنة تكون بعدها ردة)^(١) .

وأخرج ابن إسحاق ، وابن عائد في « مغازيه » عنه أنه قال لأبي بكر : ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين ؟ ! قال : (لم أجد من ذلك بداً ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة) .

وأخرج أحمد عن قيس بن أبي حازم قال : إني لجالس عند أبي بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ، فذكر قصة ، فنودي في الناس : الصلاة جامعة ؛ وهي أول صلاة في المسلمين نودي لها : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس ، فصعد المنبر ، ثم قال : (أيها الناس ؛ لوددت أن هذا كفانيه غيري ، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم . ما أطيقها ؛ إن كان لمعصوماً من الشيطان ، وإن كان لينزل عليه الوحي من السماء)^(٢) .

وأخرج ابن سعد عن الحسن البصري قال : لما بويع أبو بكر . . قام خطيباً فقال : (أما بعد : فإني وليت هذا الأمر وأنا له كاره ، ووالله ؛ لوددت أن بعضكم كفانيه ، ألا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم . . لم أقم به ؛ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به ، ألا وإنما أنا بشر ، ولست بخير من أحدكم فراعوني ، فإذا رأيتموني استقمتم . . فاتبعوني ، وإذا رأيتموني زُغت . . فقوموني ، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا رأيتموني غضبت . . فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم)^(٣) .

وأخرج ابن سعد ، والخطيب في « رواة مالك » عن عروة قال : لما ولي أبو بكر . . خطب الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد : فإني قد

(١) مسند أحمد (٨ / ١) ، وقال ابن كثير في « البداية والنهاية » (٢٤٨ / ٥) : (وهذا إسناد جيد قوي) .

(٢) مسند أحمد (١٣ / ١) .

(٣) الطبقات الكبرى (١٩٤ / ٣) .

وليت أمركم ولست بخيركم ، ولكنه نزل القرآن ، وسنّ النبي صلى الله عليه وسلم السنن ، وعلمنا فعلمنا ، فاعلموا أيها الناس : أن أكيس الكيس التقى ، وأعجز العجز الفجور ، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى أخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندي القوي حتى أخذ منه الحق ، أيها الناس ؛ إنما أنا متّع ولست بمبتدع ، فإذا أحسنت . . فأعينوني ، وإن أنا زُغت . . فقوموني ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم (١) .

قال مالك : (لا يكون أحد إماماً أبداً إلا على هذا الشرط) (٢) .

وأخرج الحاكم في « مستدركه » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ارتجت مكة ، فسمع أبو قحافة ذلك فقال : ما هذا ؟ قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أمر جليل ، فمن قام بالأمر بعده ؟ قالوا : ابنك ، قال : فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة ؟ قالوا : نعم ، قال : لا واضع لما رفعت ، ولا رافع لما وضعت) (٣) .

وأخرج الواقدي من طرق عن عائشة وابن عمر وسعيد بن المسيب وغيرهم : (أن أبا بكر بُوع يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة من الهجرة) (٤) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عمر قال : (لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر حتى لقي الله ، ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله ، ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله) (٥) .

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٧) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤٠٧٣) وعزاه للخطيب في « رواة مالك » .

(٢) أورده الدارقطني في « المؤلف والمختلف » (١/ ٤١٠) .

(٣) مستدرك الحاكم (٣/ ٢٤٥) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٩) من طريق الواقدي .

(٥) المعجم الأوسط (٧٩٢٣) .

فيما وقع في خلافته

والذي وقع في أيامه من الأمور الكبار : تنفيذ جيش أسامة ، وقتال أهل الردة ، ومانعي الزكاة ، ومسيلمة ، وجمع القرآن .

أخرج الإسماعيلي عن عمر رضي الله عنه قال : (لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ارتد من ارتد من العرب ، وقالوا : نصلي ولا نزكي ، فأتيت أبا بكر فقلت : يا خليفة رسول الله ؛ تألف الناس وارفق بهم ؛ فإنهم بمنزلة الوحش ، فقال : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ؟ ! جباراً في الجاهلية خواراً في الإسلام ؟ ! بماذا عسيت أن تألفهم ؟ ! بشعر مفتعل ، أو بسحر مفترى ؟ ! هيهات هيهات !! مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحي ، والله ؛ لأجاهدنيهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقلاً .

قال عمر : فوجدته في ذلك أمضى مني وأصرم ، وأدب الناس على أمور هانت على كثير من مؤنتهم حين وليتهم ^(١) .

[أول اختلاف وقع بين الصحابة]

وأخرج أبو القاسم البغوي ، وأبو بكر الشافعي في « فوائده » ، وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . اشترأبَّ النفاق ، وارتدت العرب ، وانحازت الأنصار ، فلو نزل بالجبال الراسيات ما نزل بأبي . . لهاضها ، فما اختلفوا في نقطة . . إلا طار أبي بفنائها وفصلها ، قالوا : أين يدفن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فما وجدنا عند أحد من ذلك علماً ، فقال أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من نبيٍّ يُقبَضُ . . إلا دُفِنَ تحتَ مضجعه الذي مات فيه » .

قالت : واختلفوا في ميراثه ، فما وجدوا عند أحد من ذلك علماً ، فقال

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٦٨٣٨) وعزاه للإسماعيلي .

أبو بكر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورُثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً »^(١) .

قال الأصمعي : (الهيض : الكسر للعظم ، واشرب : رفع رأسه) .

قال بعض العلماء : وهذا أول اختلاف وقع بين الصحابة رضي الله عنهم ، فقال بعضهم : ندفنه بمكة بلده الذي ولد بها ، وقال آخرون : بل بمسجده ، وقال آخرون : بل بالبقيع ، وقال آخرون : بل ببيت المقدس مدفن الأنبياء ، حتى أخبرهم أبو بكر بما عنده من العلم .

قال ابن زنجويه : (وهذه سنة تفرّد بها الصديق من بين المهاجرين والأنصار ، ورجعوا إليه فيها) .

[إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه]

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (والذي لا إله إلا هو ؛ لولا أن أبا بكر استخلف . . ما عبد الله ، ثم قال الثانية ، ثم قال الثالثة ، فقيل له : مه يا أبا هريرة !! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجّه أسامة بن زيد في سبع مئة إلى الشام ، فلما نزل بذي حُشْب . . قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتدت العرب حول المدينة ، واجتمع إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : رُدَّ هؤُلاء ؛ تَوَجَّه هؤُلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ؟ !

فقال : والذي لا إله إلا هو ؛ لو جرّت الكلاب بأرجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما رددت جيشاً وجّهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا حللت لواءً عقده ، فوجه أسامة ، فجعل لا يمر بقبيل^(٢) يريدون الارتداد . . إلا قالوا : لولا أن لهؤُلاء قوة . . ما خرج مثل هؤُلاء من عندهم ؛ ولكن ندعهم

(١) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣١١) من طريق أبي القاسم البغوي ، والغيلانيات (٨٩٩) .

(٢) القبيل : الجماعة من الثلاثة فصاعداً .

حتى يلقوا الروم ، فلقوا الروم فهزموهم وقتلوهم ، ورجعوا سالمين ، فثبتوا على الإسلام^(١) .

وأخرج عن عروة قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه : « أَنْفِذُوا جَيْشَ أَسَامَةَ » فسار حتى بلغ الْجُرْفَ ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول : لا تعجل ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقیل ، فلم يبرح حتى قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قبض .. رجع إلى أبي بكر ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني وأنا على غير حالكم هذه ، وأنا أتخوف أن تكفر العرب ؛ فإن كفرت .. كانوا أول من يقاتل ، وإن لم تكفر .. مضيت ؛ فإن معي سراوات الناس وخيارهم .

فخطب أبو بكر الناس ، ثم قال : والله ؛ لأن تخطفني الطير .. أحب إلي من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثه^(٢) .

[قتال أهل الردة]

قال الذهبي : (لما اشتهرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بالنواحي .. ارتد طوائف كثيرة من العرب عن الإسلام ، ومنعوا الزكاة ، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم ، فأشار عليه عمر وغيره أن يفتروا عن قتالهم ، فقال : والله ؛ لو منعوني عِقَالاً أو عَنَاقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. لقاتلتهم على منعها .

فقال عمر : كيف تقاتل الناس ؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ قَالَهَا .. عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَدَمَهُ إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ » ؟ !
فقال أبو بكر : والله ؛ لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ؛ فإن الزكاة حق المال ، وقد قال : « إِلَّا بِحَقِّهَا » .

(١) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣١٦) من طريق البيهقي ، وانظر « البداية والنهاية » (٦ / ٣٠٥) .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٤ / ٦٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨ / ٦٢) .

قال عمر : فوالله ؛ ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق ^(١) ، أخرجه ^(٢) .

وعن عروة قال : (خرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حتى بلغ نَقْعاً حذاء نجد ، وهربت الأعراب بذراريهم ، فكلم الناس أبا بكر وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذرية والنساء ، وأمّر رجلاً على الجيش ، ولم يزلوا به حتى رجع ، وأمّر خالد بن الوليد ، وقال له : إذا أسلموا وأعطوا الصدقة : فمَنْ شاء منكم . . فليرجع ، ورجع أبو بكر إلى المدينة) ^(٣) .

وأخرج الدارقطني عن ابن عمر قال : (لما برز أبو بكر واستوى على راحلته . . أخذ علي بن أبي طالب بزمامها وقال : إلى أين يا خليفة رسول الله ؟ أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : « شِمَّ سَيْفَكَ » ^(٤) ، ولا تُفجعنا بنفسِكَ » وارجع إلى المدينة ، فوالله ؛ لئن فُجعنا بك . . لا يكون للإسلام نظام أبداً) ^(٥) .

وعن حنظلة بن علي الليثي : (أن أبا بكر بعث خالداً ، وأمره أن يقاتل الناس على خمس ، من ترك واحدة منهم . . قاتله كما يقاتل من ترك الخمس جميعاً : على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان) ^(٦) .

وسار خالد ومن معه في جمادى الآخرة ، فقاتل بني أسد وغطفان ، وقتل من

(١) تاريخ الإسلام (٢٧/٣) .

(٢) كذا في النسخ بياض بعد قوله : (أخرجه) ، وفي هامش (ب) : (هنا سقط في خط المؤلف) ، والحديث أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ، ومسلم (٢٠) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٣/٢٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/٣) .

(٤) شِمَّ سيفك : أغمدته .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤١٦٧) ، وعزاه للدارقطني في « غرائب مالك » .

(٦) أخرجه المروزي في « تعظيم قدر الصلاة » (٩٧٥) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١١٤١٠) وعزاه لأحمد في « السنة » ، وزاد فيه : (والحج) .

قتل ، وأسر من أسر ، ورجع الباقر إلى الإسلام ، واستشهد بهذه الواقعة من الصحابة : عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم^(١) .

وفي رمضان من هذه السنة : ماتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين ، وعمرها أربع وعشرون سنة^(٢) .

قال الذهبي : (وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم نسب إلا منها ؛ فإن عقب ابنته زينب انقرضوا ، قاله الزبير بن بكار)^(٣) . وماتت قبلها بشهر أم أيمن^(٤) .

وفي شوال : مات عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه^(٥) .

[قتال مسيلمة وموته وذكر بعض من مات في الإمامة]

ثم سار خالد بجموعه إلى الإمامة لقتال مسيلمة الكذاب في أواخر العام ، فالتقى الجمعان ، ودام الحصار أياماً ، ثم قُتل الكذاب إلى لعنة الله ، قتله وحشي قاتل حمزة .

واستشهد فيها خلق من الصحابة : أبو حذيفة بن عتبة^(٦) ، وسالم مولى أبي حذيفة^(٧) ، وشجاع بن وهب ، وزيد بن الخطاب ، وعبد الله بن سهيل ، ومالك بن عمرو ، والطفيل بن عمرو الدوسي ، ويزيد بن قيس ، وعامر بن

(١) انظر « البداية والنهاية » (٣١٧/٦) .

(٢) واختلف في سنّها يوم مات ، فقيل : مات عن تسع وعشرين ، قاله ابن سعد في « الطبقات » (٢٩/٨) ، والدولابي في « الذرية الطاهرة » (٢٠١) ، والطبري في « تاريخه » (٢٤٠/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٠/٣) ، وقيل : مات عن ثلاثين ، قاله ابن أبي خيثمة في « تاريخه » (٣٨٨/٣) ، وقيل : مات عن إحدى وعشرين ، قاله الحاكم في « المستدرک » (١٦٣/٣) ، وقيل غير ذلك ، انظر « تاريخ دمشق » (١٦٠-١٦١/٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٤/٣) ، وجمهرة نسب قريش (٥٤٩/٢) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٩/٣) ، ونقل عن الواقدي : أنها توفيت في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنهما ، وانظر « الإصابة » (٤١٦/٤-٤١٧) .

(٥) تاريخ الإسلام (٤٩/٣) .

(٦) اسمه : مهشم ، وقيل : هشيم ، وقيل : هاشم .

(٧) هو سالم بن عبيد ، وقيل : معقل .

البُكير ، وعبد الله بن مَخرمة ، والسائب بن عثمان بن مظعون ، وعَبَّاد بن بشر ،
ومعن بن عدي ، وثابت بن قيس بن شَمَّاس ، وأبو دُجَانة سِمَاك بن خَرَشَة ،
وجماعة آخرون تنمة سبعين .

وكان لمسيلمة يوم قتل مئة وخمسون سنة ، ومولده قبل مولد عبد الله والد
النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي سنة اثنتي عشرة : بعث الصديقُّ العلاء بن الحضرمي إلى البحرين ،
وكانوا قد ارتدوا ، فالتقوا بجُوائى^(١) ، فنُصر المسلمون ، وبعث عكرمة بن
أبي جهل إلى عُمان وكانوا قد ارتدوا ، وبعث المهاجر بن أبي أمية إلى أهل
النُّجَير^(٢) وكانوا ارتدوا ، وبعث زياد بن ليلى الأنصاري إلى طائفة من المرتدة .

وفيها : مات أبو العاصي بن الربيع^(٣) ؛ زوج زينب بنت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، والصَّعب بن جثَّامة الليثي ، وأبو مرثد الغنوي^(٤) .

وفيها : بعد فراغ قتال أهل الردة بعث الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد
إلى أرض البصرة ، فغزا الأُبُلَّة فافتتحها ، وافتتح مدائن كسرى التي بالعراق
صلحاً وحرباً .

وفيها : أقام الحج أبو بكر الصديق ، ثم رجع فبعث عمرو بن العاصي
والجنود إلى الشام ، فكانت وقعة أجنادين ، في جمادى الأولى ، سنة ثلاث
عشرة ، ونصر الله المسلمين ، وبشر بها أبو بكر وهو بأخر رمق .

واستشهد بها عكرمة بن أبي جهل ، وهشام بن العاصي في طائفة .

وفيها : كانت وقعة مرج الصُّفَر وهزم المشركون ، واستشهد بها الفضل بن
العباس في طائفة .

(١) الجوائى : هو حصن بالبحرين .

(٢) النجير : هو حصن باليمن قرب حضرموت .

(٣) اسمه : لقيط ، وقيل : الزبير .

(٤) اسمه : كَنَاز بن الحصين .

ذكر جمع القرآن

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت قال : (أرسل إليّ أبو بكر مَقْتَلَ أَهْلِ الْيَمَامَةِ وعنده عمر ، فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استَحَرَّ يوم اليمامة بالناس ، وإنني لأخشى أن يستَحِرَّ القتل بالقرءاء في المَواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعه ، وإنني لأرى أن تجمع القرآن .

قال أبو بكر : فقلت لعمر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير ، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ، فرأيت الذي رأى عمر ، قال زيد : وعمر عنده جالس لا يتكلم . فقال أبو بكر : إنك شاب عاقل ولا نهملك ، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فَتَتَّبِعِ الْقُرْآنَ فَاجْمَعْهُ .

فوالله ؛ لو كلفني نقلَ جبل من الجبال . . ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن ، فقلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ؟!

فقال أبو بكر : هو والله خير ، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر ، فتتبعْتُ القرآن أجمعه من الرِّقَاعِ والأَكْتافِ ، والعُسْبِ وصدور الرجال ، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة بن ثابت لم أجدهما مع غيره : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ . . . ﴾ إلى آخرها^(١) ، فكانت الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم^(٢) .

وأخرج أبو يعلى عن علي قال : (أعظم الناس أجراً في المصاحف : أبو بكر ؛ إن أبا بكر كان أول من جمع بين اللوحين)^(٣) .

(١) أخرج عبد الرزاق في « المصنف » (١٥٥٦٨) ، وأحمد (١٨٩/٥) ، والطبراني في « الكبير » (٨٢/٤) عن سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (لما كتبت المصاحف . . فقدتُ آية كنت أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا . . . وَمَا بَدَّلُوا بَيْدِيلًا ﴾ قال : وكان خزيمة يدعى ذا الشهادتين) . وانظر تفصيل الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » (٥١٨-٥١٩) و (١٥/٩) .

(٢) صحيح البخاري (٤٦٧٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٠/٣٠) من طريق أبي يعلى .

فَصَائِلُ فِي أَوَّلِيَّاتِهِ

منها : أنه أول من أسلم ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سماه مصحفاً ،
وتقدم دليل ذلك^(١) ، وأول من سمي خليفة .

أخرج أحمد ، عن ابن أبي مليكة قال : قيل لأبي بكر : يا خليفة الله ، قال :
(أنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا راض به)^(٢) .

ومنها : أنه أول من ولي الخلافة وأبوه حي ، وأول خليفة فرض له رعيته
العطاء .

أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما استُخلف أبو بكر . .
قال : (لقد علم قومي أن حِرْفَتِي لم تكن تعجزُ عن مُؤَنَةِ أهلي ، وشُغْلَتُ بأمر
المسلمين ، فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ، ويحترف للمسلمين فيه)^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن عطاء بن السائب قال : (لما بويع أبو بكر . . أصبح
وعلي ساعده أبراد ، وهو ذاهب إلى السوق ، فقال عمر : أين تريد ؟ قال :
السوق ، قال : تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين ؟ قال : فمن أين أطعم
عيالي ؟ فقال عمر : انطلق . . يفرض لك أبو عبيدة ، فانطلقا إلى أبي عبيدة ،
فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة
الشتاء والصيف ، إذا أخلقت شيئاً . . رددته وأخذت غيره ، ففرضا له كل يوم
نصف شاة وما كساه في الرأس والبطن)^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن ميمون قال : لما استخلف أبو بكر . . جعلوا له ألفين ،
فقال : (زيدوني ؛ فإن لي عيالاً وقد شغلتموني عن التجارة) فزادوه خمس
مئة^(٥) .

(١) تقدم (ص ١٠٧، ١٦٣، ٩٠) .

(٢) مسند أحمد (١٠/١) .

(٣) صحيح البخاري (٢٠٧٠) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣/١٦٨) ، واللفظ من « كنز العمال » (١٤٠٦٧) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣/١٦٩) .

وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي بن أبي طالب قال : (لما احتضر أبو بكر . . قال : يا عائشة ؛ انظري اللقحة التي كنا نشرب من لبنها^(١) ، والجفنة التي كنا نصطح فيها ، والقטיפه التي كنا نلبسها ؛ فإننا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلي أمر المسلمين ، فإذا مت . . فاردديه إلى عمر ، فلما مات أبو بكر . . أرسلت به إلى عمر ، فقال عمر : رحمك الله يا أبا بكر ؛ لقد أتعبت من جاء بعدك)^(٢) .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أبي بكر بن حفص قال : قال أبو بكر لما احتضر لعائشة : (يا بنية ؛ إنا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا ديناراً ولا درهماً ؛ ولكننا أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وإنه لم يبق عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير ، إلا هذا العبد الحبشي ، وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القטיפه ، فإذا مت . . فابعثي بهن إلى عمر)^(٣) .
ومنها : أنه أول من اتخذ بيت المال .

أخرج ابن سعد عن سهل بن أبي حثمة وغيره : أن أبا بكر رضي الله عنه كان له بيت مال بالشُّنح ليس يحرسه أحد ، ف قيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟ قال : عليه قفل ، وكان يعطي ما فيه حتى يفرغ ، فلما انتقل إلى المدينة . . حوَّله فجعله في داره ، فقدم عليه مال ، فكان يقسمه على فقراء الناس ، فيسوي بين الناس في القسم ، وكان يشتري الإبل والخيول والسلاح فيجعله في سبيل الله ، واشترى قطائف أتت بها من البادية ففرقها في أرامل أهل المدينة ، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن . . دعا عمر الأمراء ، ودخل بهم بيت مال أبي بكر - منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان - ففتحوا بيت المال ، فلم يجدوا فيه لا ديناراً ولا درهماً^(٤) .

قلت : وبهذا الأثر يرد قول العسكري في « الأوائل » : (إن أول من اتخذ

(١) اللقحة : الناقة ذات اللبن .

(٢) المعجم الكبير (٦٠ / ١) .

(٣) المختصرين (٣٦) مختصراً ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٧٩ / ٣) بتمامه ، ويقال : انجرد الثوب ؛ إذا صار خَلَقاً بالياً .

(٤) الطبقات الكبرى (١٩٥ / ٣) .

بيت المال عمر ، وإنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا لأبي بكر رضي الله عنه (١) .

وقد رددت عليه في كتابي الذي صنفته في الأوائل (٢) ، ثم رأيت العسكري تنبه له في موضع آخر من كتابه فقال : (إن أول من ولي بيت المال : أبو عبيدة ابن الجراح لأبي بكر) (٣) .

ومنها : قال الحاكم : (أول لقب في الإسلام : لقب أبي بكر ؛ عتيق) (٤) .

فَصْنَعُ

[في تنفيذه رضي الله عنه عِدَّة النبي صلى الله عليه وسلم]

أخرج الشيخان عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو جاء مال البحرين . . أعطيتك هكذا ، وهكذا ، وهكذا » فلما جاء مال البحرين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . قال أبو بكر : من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين أو عِدَّة . . فليأتنا ، فجئت فأخبرته ، فقال : خذ ، فأخذت ، فوجدتها خمس مئة ، فأعطاني ألفاً وخمس مئة (٥) .

فَصْنَعُ

في نُبْدٍ من حلمه وتواضعه

أخرج ابن عساكر عن أنيسة قالت : (نزل فينا أبو بكر ثلاث سنين قبل أن يُستخلف ، وسنة بعد ما استخلف ، فكان جواري الحي يأتينه بغنمهن فيحلبهن لهن) (٦) .

(١) الأوائل (ص ١٠٥) .

(٢) الوسائل إلى معرفة الأوائل (ص ١٠١) .

(٣) الأوائل (ص ٢٤٣) .

(٤) معرفة علوم الحديث (ص ٢١٠) .

(٥) صحيح البخاري (٢٥٩٨) ، وصحيح مسلم (٢٣١٤) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٠/٣٢٢) .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن ميمون بن مهران قال : (جاء رجل إلى أبي بكر الصديق فقال : السلام عليك يا خليفة رسول الله ، قال : من بين هؤلاء أجمعين !؟)^(١) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي صالح الغفاري : (أن عمر بن الخطاب كان يتعهد عجوزاً ؛ كبيرة عمياء في بعض حواشي المدينة من الليل ، فيستقي لها ويقوم بأمرها ، فكان إذا جاءها . . وجد غيره قد سبقه إليها ، فأصلح ما أرادت ، فجاءها غير مرة كيلاً يسبق إليها ، فرصده عمر ؛ فإذا هو بأبي بكر الذي يأتيها ، وهو يومئذ خليفة ، فقال عمر : أنت هو لعمرى)^(٢) .

وأخرج أبو نعيم وغيره عن عبد الرحمن الأصبهاني قال : (جاء الحسن بن علي إلى أبي بكر وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انزل عن مجلس أبي ، فقال : صدقت ؛ إنه مجلس أبيك ، وأجلسه في حجره وبكى ، فقال علي : والله ؛ ما هذا عن أمري ، فقال : صدقت ، والله ؛ ما اتهمتك)^(٣) .

فَصْنَعِي

[في حجه رضي الله عنه]

أخرج ابن سعد عن ابن عمر قال : (استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر على الحج في أول حجة كانت في الإسلام ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة المقبلة ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستُخلف أبو بكر . . استعمل عمر بن الخطاب على الحج ، ثم حج أبو بكر من قابل ، فلما قبض أبو بكر واستُخلف عمر . . استعمل عبد الرحمن بن عوف على الحج ، ثم

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٥٧٣٥) ، وعزاه لأحمد في « الزهد » .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠ / ٣٢٢) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٦ / ٣٠٧) من طريق أبي نعيم ، وأخرجه ابن الأعرابي في « معجمه » (٨٣١) .

لم يزل عمر يحج سنه كلها حتى قبض ، فاستُخلف عثمان فاستعمل
عبد الرحمن بن عوف على الحج (١) .

فُضِّلَ

في مرضه ووفاته ، ووصيته ، واستخلافه عمر

أخرج سيف والحاكم عن ابن عمر قال : (كان سبب موت أبي بكر وفاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كَمَدَ ، فما زال جسمه يَخْرِي حتى مات) (٢) .
يَخْرِي : أي ينقص .

وأخرج ابن سعد والحاكم بسند صحيح عن ابن شهاب : أن أبا بكر
والحارث بن كَلْدَةَ كانا يأكلان خَزِيرَةَ أُهْدِيَتْ لأبي بكر ، فقال الحارث لأبي
بكر : (ارفع يدك يا خليفة رسول الله ، والله ؛ إن فيها لسم سنة ، وأنا وأنت
نموت في يوم واحد) ، فرفع يده ، فلم يزالا عليّين حتى ماتا في يوم واحد عند
انقضاء السنة (٣) .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : (ماذا نتوقع من هذه الدنيا الدنية وقد سُمِّ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسُمِّ أبو بكر ؟) (٤) .

وأخرج الواقدي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان أول بدء
مرض أبي بكر : أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان
يوماً بارداً ، فحُمَّ خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى صلاة ، وتوفي ليلة الثلاثاء ،
لثمان بقين من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة ، وله ثلاث وستون سنة) (٥) .

(١) الطبقات الكبرى (١٦٢/٣) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٤٠٨/٣٠) من طريق سيف بن عمر ، ومستدرك الحاكم (٦٣/٣) - ٦٤ .

(٣) الطبقات الكبرى (١٨٢/٣) ، ومستدرك الحاكم (٦٤/٣) ، والخزيرة : نوع من الأطعمة ، يصنع من
اللحم ، يقطع قطعاً صفاراً ، ثم يصب عليه ماء كثير ، فإذا نضج . . ذر عليه الدقيق .

(٤) مستدرك الحاكم (٦٤/٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (١٨٥/٣) ، ومستدرك الحاكم (٦٣/٣) .

[استخلافه لعمر رضي الله عنهما]

وأخرج ابن سعد وابن أبي الدنيا عن أبي السَّفَر قال : (دخلوا على أبي بكر في مرضه ، فقالوا : يا خليفة رسول الله ؛ ألا ندعو لك طبيباً ينظر إليك ؟ قال : قد نظر إليّ ، فقالوا : ما قال لك ؟ قال : إني فعّال لما أريد ^(١) .

وأخرج الواقدي من طرق : (أن أبا بكر لما ثقل . . دعا عبد الرحمن بن عوف فقال : أخبرني عن عمر بن الخطاب ، فقال : ما تسألني عن أمر . . إلا وأنت أعلم به مني !! فقال أبو بكر : وإن ، فقال عبد الرحمن : هو والله أفضل من رأيك فيه .

ثم دعا عثمان بن عفان ، فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : أنت أخبرنا به ، فقال : على ذلك ، فقال : اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته ، وأنه ليس فينا مثله .

وشاور معهما سعيد بن زيد وأسيد بن الحضير وغيرهما من المهاجرين والأنصار ، فقال أسيد : اللهم أعلمه الخير بعدك ؛ يرضى للرضا ويسخط للسخط ، الذي يُسرُّ خيرٌ من الذي يعلن ، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه .

[عهد الصديق ووصيته رضي الله عنه]

ودخل عليه بعض الصحابة ، فقال له قائل منهم : ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا وقد ترى غلظه ؟ فقال أبو بكر : أبا الله تخوفوني ؟ ! أقول : اللهم ؛ استخلفت عليهم خير أهلك ، أبلغ عني ما قلت من وراءك .

ثم دعا عثمان فقال : اكتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها ، وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها ؛ حيث يؤمن الكافر ، ويوقن الفاجر ، ويصدق

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ١٨١-١٨٢) ، والمحضرين (٣٩) ، وأبو السَّفَر : هو سعيد بن يُحْمَد .

الكاذب : إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، وإني لم أَلْ الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً ، فإن عدل . . فذلك ظني به وعلمي فيه ، وإن بدّل . . فلكل امرئ ما اكتسب ، والخير أردتُ ، ولا أعلم الغيب : ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ والسلام عليكم ورحمة الله .

ثم أمر بالكتاب فحتمه ، ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوماً ، فبايع الناس ورضوا به ، ثم دعا أبو بكر عمر خالياً ، فأوصاه بما أوصاه به ، ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر يديه فقال : اللهم ؛ إني لم أرد بذلك إلا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأياً ، فوليتُ عليهم خيرهم وأقواهم عليهم ، وأحرصهم عليّ ما أرشدهم ، وقد حضرني من أمرك ما حضر ، فاخلفني فيهم ؛ فهم عبادك ، ونواصيهم بيدك ، أصلح لهم ولاتهم ، واجعله من خلفائك الراشدين ، وأصلح له رعيته (١) .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود قال : (أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر ، وصاحبة موسى حين قالت : استأجره ، والعزير حين تفرس في يوسف فقال لامرأته : أكرمي مثواه) (٢) .

وأخرج ابن عساكر عن سيّار أبي حمزة قال : (لما ثقل أبو بكر . . أشرف على الناس من كُوة فقال : أيها الناس ؛ إني قد عهدت عهداً أفترضون به ؟ فقال الناس : رضينا يا خليفة رسول الله ، فقام علي فقال : لا نرضى إلا أن يكون عمر ، قال : فإنه عمر) (٣) .

وأخرج أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت : (إن أبا بكر لما حضرته الوفاة . . قال : أيُّ يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين ، قال : فإن مت من ليلتي . . فلا تنتظروا بي الغد ؛ فإن أحب الأيام والليالي إليّ أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٤) .

(١) الطبقات الكبرى (١٨٣/٣ - ١٨٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٥٤/٣) ، ومستدرک الحاكم (٩٠/٣) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٥٣/٤٤) .

(٤) مسند أحمد (٨/١) .

وأخرج مالك عن عائشة رضي الله عنها : (أن أبا بكر نحلها جاداً عشرين وسقاً من ماله بالغابة ، فلما حضرته الوفاة . . قال : يا بنية ؛ والله ما من الناس أحد أحب إليّ غنى منك ، ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك ، وإنني كنت نحلتك جاداً عشرين وسقاً ، فلو كنت جددتيه واحتزتيه . . كان لك ، وإنما هو اليوم مال وارث ، وإنما هما أخواك وأختاك ، فاقسموه على كتاب الله ، فقلت : يا أبت ؛ والله لو كان كذا وكذا . . لتركته ، إنما هي أسماء ، فمن الأخرى ؟ قال : ذو بطن ابنة خارجة ، أراها جارية)^(١) .

وأخرجه ابن سعد ، وقال في آخره : (قال : ذات بطن ابنة خارجة ، قد أُلقي في روعي أنها جارية ، فاستوصي بها خيراً ، فولدت أم كلثوم)^(٢) .

وأخرج ابن سعد عن [خالد بن أبي عزة]^(٣) : أن أبا بكر أوصى بخُمُس ماله ، وقال : (أخذ من مالي ما أخذ الله من فيء المسلمين)^(٤) .

وأخرج من وجه آخر عنه قال : (لأن أوصي بالخمس . . أحب إليّ من أن أوصي بالربع ، ولأن أوصي بالربع . . أحب إليّ من أن أوصي بالثلث ، ومن أوصى بالثلث . . لم يترك شيئاً)^(٥) .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن الضحاك : (أن أبا بكر وعلياً أوصيا بالخمس من أموالهما لمن لا يرث من ذوي قرابتهما)^(٦) .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن عائشة رضي الله عنها قالت : (والله ؛ ما ترك أبو بكر ديناراً ولا درهماً ضرب الله سكته)^(٧) .

(١) الموطأ (١٤٤٣) ، وجاداً عشرين : جداد عشرين .

(٢) الطبقات الكبرى (١٧٨/٣) .

(٣) وفي النسخ : (عن عروة) ، والمثبت من « الطبقات » ، وأخرجه من طريق ابن سعد بهذا الإسناد ابن

عساكر في « تاريخه » (٤٢٣/٣٠) .

(٤) الطبقات الكبرى (١٧٧/٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (١٨٢/٣) .

(٦) سنن سعيد بن منصور (٣٣٤) .

(٧) الزهد (ص ١٠٩) .

وأخرج ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما ثقل أبو بكر .
تمثلت بهذا البيت :

[من الطويل]

لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حُشِرَتْ يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ؛ ولكن قلبي : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ انظروا ثوبي هذين فاغسلوهما وكفنوني فيهما ؛ فإن الحي أحوج إلى الجديد من الميت (١) .

وأخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها قالت : (دخلت على أبي بكر وهو في الموت فقلت :

[من الرجز]

مَنْ لَا يَزَالُ دَمْعُهُ مَقْنَعاً فَإِنَّهُ فِي مَرَّةٍ مَدْفُوقٌ

فقال : لا تقولي هذا ؛ ولكن قلبي : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ ثم قال : في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : يوم الاثنين ، قال : أرجو فيما بيني وبين الليل ، فتوفي ليلة الثلاثاء ، ودُفن قبل أن يصبح (٢) .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن بكر بن عبد الله المزني قال :
لما حضر أبو بكر . . . قعدت عائشة رضي الله عنها عند رأسه فقالت : [من مخلع البسيط]

وكل ذي إبل موردها (٣) وكل ذي سلب مسلوب

ففهمها أبو بكر فقال : (ليس كذلك يا ابتاه ؛ ولكنه كما قال الله تعالى :
﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ . . . ﴾ الآية (٤) .

(١) الطبقات الكبرى (١٧٩/٣) ، والمحتضرين (٣٦) ، والبيت لحاتم الطائي في « ديوانه » (ص ٦٥) .

(٢) مسند أبي يعلى (٤٤٥١) ، الدفق : السيلان .

(٣) كذا في (ب ، ج ، د) ، وفي : (أ ، هـ) : (موردا) ، وفي مصادر التخريج : (موروثها) ، والله أعلم .

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٨١/٣) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٢٧/٣٠) ، والبيت لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص ٥٠) .

وأخرج أحمد ، عن عائشة رضي الله عنها : أنها تمثلت بهذا البيت وأبو بكر يقضي :

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

فقال أبو بكر : (ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(١) .

وأخرج عبد الله بن أحمد في « زوائد الزهد » عن عبادة بن نسي قال : لما حضرت أبا بكر الوفاة . قال لعائشة : (اغسلي ثوبي هذين وكفيني بهما ؛ فإنما أبوك أحد رجلين : إما مكسوا أحسن الكسوة ، أو مسلوب أسوأ السلب)^(٢) .

وأخرج ابن أبي الدنيا عن ابن أبي مليكة : (أن أبا بكر أوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عميس ، ويعينها عبد الرحمن بن أبي بكر)^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب : (أن عمر رضي الله عنه صلى على أبي بكر بين القبر والمنبر ، وكبر عليه أربعاً)^(٤) .

وأخرج عن عروة والقاسم بن محمد : (أن أبا بكر أوصى عائشة أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توفي . . حُفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُلصق اللحد بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٥) .

وأخرج عن ابن عمر قال : (نزل في حفرة أبي بكر : عمر وطلحة وعثمان وعبد الرحمن بن أبي بكر)^(٦) .

وأخرج من طرق عدة : (أنه دفن ليلاً)^(٧) .

وأخرج عن ابن المسيب : (أن أبا بكر لما مات . . ارتجت مكة ، فقال

(١) مسند أحمد (٧/١) ، وعنده : (ربيع اليتامى) ، والشمال : الغيات الذي يقوم بأمر قومه .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧١٣) ، وعزاه لأحمد في « الزهد » .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (١٨٦/٣) .

(٤) الطبقات الكبرى (١٨٩/٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (١٩٢/٣) .

(٦) الطبقات الكبرى (١٩١/٣) .

(٧) الطبقات الكبرى (١٩٠/٣) .

أبو قحافة : ما هذا ؟ قالوا : مات ابنك ، قال : رزء جليل ، مَنْ قام بالأمر بعده ؟ قالوا : عمر ، قال : صاحبه (١) .

وأخرج عن مجاهد : (أن أبا قحافة ردَّ ميراثه من أبي بكر على ولد أبي بكر ، ولم يعش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا ستة أشهر وأياماً ، ومات في المحرم ، سنة أربع عشرة ، وهو ابن سبع وتسعين سنة) (٢) .

قال العلماء : لم يلِ الخلافة أحد في حياة أبيه إلا أبو بكر ، ولم يرث خليفة أبوه إلا أبو بكر .

وأخرج الحاكم عن ابن عمر قال : (ولي أبو بكر سنتين وسبعة أشهر) (٣) .

وفي « تاريخ ابن عساكر » بسنده عن الأصمعي قال : قال خُفَّاف بن نَذْبَة السلمي يبكي أبا بكر رضي الله تعالى عنه :

[من السريع]

ليسَ لحَيٍّ فاعلمنهُ بقاء	وكلُّ دُنْيا أمرُها للفناء
والمُلْكُ في الأقوامِ مُستودعٌ	عاريةٌ والشرطُ فيه الأداء
والمرءُ يسعى وله راصدٌ	تَندُبُهُ العينُ ونارُ الصدا
يَهْرُمُ أو يُقتلُ أو قَهْرُهُ	يَشْكُوهُ سُقْمٌ ليس فيه شفاء
إنَّ أبا بكرٍ هو الغَيْثُ إذْ	لم تُزرعِ الجوزاءُ بقللاً بماء
تالله لا يُدركُ أيامه	ذو مئزرٍ ناشٍ ولا ذو رداء
مَنْ يَسعَ كي يُدركَ أيامه	مجتهدُ الشَّدِّ بأرضٍ فضاء (٤)

فَصَحْحُ

فيما روي عنه من الحديث المسند

قال النووي في « تهذيبه » : (روى الصديق عن رسول الله صلى الله عليه

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٢-١٩٣) ، والرزء : المصيبة .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٣) .

(٣) مستدرک الحاكم (٣/٦٥) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠/٤٤٣) ، والأبيات في « ديوانه » ضمن « شعراء إسلاميون » (ص ٥٠٩-٥١١) .

وسلم مئة حديث واثنين وأربعين حديثاً ، وسبب قلة روايته : أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث ، واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها ^(١) .

قلت : وقد ذكر عمر رضي الله عنه في حديث البيعة السابق : أن أبا بكر لم يترك شيئاً أنزل في الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأنهم . . إلا ذكره ^(٢) ، وهذا أدل دليل على كثرة محفظة من السنة وسعة علمه بالقرآن .

روى عنه : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وابن عوف ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وابن عمرو ، وابن عباس ، وأنس ، وزيد بن ثابت ، والبراء بن عازب ، وأبو هريرة ، وعقبة بن الحارث ، وعبد الرحمن ابنه ، وزيد بن أرقم ، وعبد الله بن مغفل ، وعقبة بن عامر الجهني ، وعمران بن حصين ، وأبو برزة الأسلمي ، وأبو سعيد الخدري ، وأبو موسى الأشعري ، وأبو الطفيل الليثي ، وجابر بن عبد الله ، وبلال ، وعائشة ابنته ، وأسماء ابنته .

ومن التابعين : أسلم مولى عمر ، وأوسط البجلي ^(٣) وخلائق .

وقد رأيت أن أسرد أحاديثه هنا على وجه وجيز مبيناً عقب كل حديث من خرّجه ، وسأفردّها بطرقها في مسند إن شاء الله تعالى .

١- حديث الهجرة ، الشيخان وغيرهما ^(٤) .

٢- حديث البحر : « هو الطَّهَوْرُ ماؤه الحِلُّ مَيْتُهُ » الدارقطني ^(٥) .

٣- حديث : « السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ » أحمد ^(٦) .

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٣٩١) .

(٢) تقدم (ص ١٥٤) .

(٣) وهو : أوسط بن إسماعيل .

(٤) صحيح البخاري (٤٦٦٣) ، ومسلم (٢٣٨١) .

(٥) سنن الدارقطني (٣٤/١) مرفوعاً ، و(٣٥/١) موقوفاً ، وصحح الموقوف في « العلل » (١/ ٢٢١) .

(٦) مسند أحمد (٣/١) .

٤- حديث : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل كتفاً ، ثم صلى ولم يتوضأ) البزار وأبو يعلى^(١) .

٥- حديث : « لا يتوضأ أحدكم من طعامٍ أكَلَه حلَّ له أكَلُه » البزار^(٢) .

٦- حديث : (نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ضرب المصلين) أبو يعلى والبزار^(٣) .

٧- حديث : (أن آخر صلاة صلاها النبي صلى الله عليه وسلم خلفي في ثوب واحد) أبو يعلى^(٤) .

٨- حديث : « مَنْ سَرَّه أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أَنْزَلَ . . فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبْدٍ » أحمد^(٥) .

٩- حديث : أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : علمني دعاء أدعوه به في صلاتي ، قال : « قل : اللهم ؛ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي ؛ إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » البخاري ومسلم^(٦) .

١٠- حديث : « مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ . . فهو في ذِمَّة الله ؛ فلا تخفروا الله في عَهْدِهِ ، فَمَنْ قَتَلَهُ . . طلبه الله حتى يُكَبَّه في النارِ على وجهه » ابن ماجه^(٧) .

١١- حديث : « ما قبض نبي قط حتى يؤمّه رجلٌ من أمته » البزار^(٨) .

١٢- حديث : « ما من رجلٍ يُذنب ذنباً فيتوضأ فيحسنُ الوضوءَ ، ثم يصليّ

(١) مسند البزار (١٩) ، ومسند أبي يعلى (٢٤) .

(٢) مسند البزار (٧٧) .

(٣) مسند أبي يعلى (٨٨) ، ومسند البزار (٣٩) .

(٤) مسند أبي يعلى (٥١) .

(٥) مسند أحمد (٧/١) ، وأخرجه ابن ماجه (١٣٨) .

(٦) صحيح البخاري (٨٣٤) ، وصحيح مسلم (٢٧٠٥) .

(٧) سنن ابن ماجه (٣٩٤٥) .

(٨) مسند البزار (٣) .

- رَكَعَتَيْنِ فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهُ . . . إِلَّا غَفَرَ لَهُ « أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان^(١) .
- ١٣- حديث : « ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه »
الترمذي^(٢) .
- ١٤- حديث : « لعن الله اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »
أبو يعلى^(٣) .
- ١٥- حديث : « إن الميت يُنضح عليه الحميم بيكاء الحي » أبو يعلى^(٤) .
- ١٦- حديث فرائض الصدقات بطوله ، البخاري وغيره^(٥) .
- ١٧- حديث : « اتقوا النار ولو بشق تمرّة ؛ فإنها تُقيم العِوج ، وتدفع ميتة
الشوء ، وتقع من الجائع موقِعها من الشبعان » أبو يعلى^(٦) .
- ١٨- حديث عن ابن أبي مليكة قال : كان ربما سقط الخطام من يد أبي بكر
الصدّيق ، فيضرب بذراع ناقته فينيخها ، فقالوا له : أفلا أمرتنا نناولكه ؟ فقال :
(إن حبّي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني ألا أسأل الناس شيئاً) أحمد^(٧) .
- ١٩- حديث : (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس حين
نَفِست بمحمد بن أبي بكر أن تغتسل وتُهلّ) البزار والطبراني^(٨) .
- ٢٠- حديث : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الحج أفضل ؟ فقال :
« العَجُّ والشَّجُّ » الترمذي وابن ماجه^(٩) .

(١) مسند أحمد (٢/١) ، وسنن أبي داود (١٥٢١) ، سنن الترمذي (٤٠٦) ، وسنن ابن ماجه (١٣٩٥) ، وسنن النسائي (١٠٢٤٧) ، وصحيح ابن حبان (٦٢٣) .

(٢) سنن الترمذي (١٠١٨) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « المسند » .

(٤) مسند أبي يعلى (٤٧) .

(٥) صحيح البخاري (١٤٥٤) ، وسنن أبي داود (١٥٦٧) ، وسنن ابن ماجه (١٨٠٠) .

(٦) مسند أبي يعلى (٨٥) .

(٧) مسند أحمد (١١/١) .

(٨) مسند البزار (٧٨) ، والمعجم الكبير (١٣٨/٢٤) .

(٩) سنن الترمذي (٨٢٧) ، وسنن ابن ماجه (٢٩٢٤) ، والعج : رفع الصوت بالتليّة ، والشج : سيلان
دماء الهدي .

- ٢١- حديث : أنه قَبِلَ الْحَجَرُ وقال : (لولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك . . ما قبلتك) الدارقطني^(١) .
- ٢٢- حديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ببراءة إلى أهل مكة : « لا يَحُجُّ بعد العامِ مُشْرِك ، ولا يَطُوفُ بالبيتِ عُريان . . . » الحديث ، أحمد^(٢) .
- ٢٣- حديث : « مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ ، وَمِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ » أبو يعلى^(٣) .
- ٢٤- حديث انطلاقه صلى الله عليه وسلم إلى دار أبي الهيثم ابن التيهان بطوله ، أبو يعلى^(٤) .
- ٢٥- حديث : « الدَّهَبُ بِالذَّهَبِ ، مِثْلًا بِمِثْلٍ ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ ، مِثْلًا بِمِثْلٍ ، وَالزَّائِدُ وَالْمُسْتَزِيدُ فِي النَّارِ » أبو يعلى والبخاري^(٥) .
- ٢٦- حديث : « مَلْعُونٌ مَنْ ضَارَّ مُؤْمِنًا أَوْ مَكْرَهَ » الترمذي^(٦) .
- ٢٧- حديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ : بَخِيلٌ ، وَلَا خَبٌّ وَلَا خَائِنٌ ، وَلَا سَيِّئٌ الْمَلَكَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ : الْمَمْلُوكُ إِذَا أَطَاعَ اللَّهَ وَأَطَاعَ سَيِّدَهُ » أحمد^(٧) .
- ٢٨- حديث : « الْوَلَاءُ لِمَنْ أَغْتَقَ » الضياء المقدسي في « المختارة »^(٨) .
- ٢٩- حديث : « لَا نُورَتْ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةً » البخاري^(٩) .

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٢٥٠٦) وعزاه لابن أبي شيبة والدارقطني في « العلل » ، وانظر « علل الدارقطني » (١٦٧/١ - ١٦٨) .

(٢) مسند أحمد (٣/١) .

(٣) مسند أبي يعلى (١١٨) .

(٤) مسند أبي يعلى (٧٨) .

(٥) مسند أبي يعلى (٥٥) ، ومسند البخاري (٤٥) .

(٦) سنن الترمذي (١٩٤٠) .

(٧) مسند أحمد (٤/١) ، والخَبُّ : الرجل الخداع ، وسىء الملكة : هو من يتجاوز الحد في تعذيب الممالك .

(٨) المختارة (١٧) .

(٩) صحيح البخاري (٤٠٣٦) .

٣٠- حديث : « إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَطْعَمَ نَبِيًّا طُعْمَةً ثُمَّ قَبَضَهُ . . جَعَلَهَا لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ » أبو داود^(١) .

٣١- حديث : « كُفِّرُ بِاللَّهِ تَبَرُّؤٌ مِنْ نَسَبٍ وَإِنْ دَقَّ » البزار^(٢) .

٣٢- حديث : « أَنْتَ وَمَالُكَ لِأَيِّكَ » قال أبو بكر : وإنما يعني بذلك النفقة ، البيهقي^(٣) .

٣٣- حديث : « مَنْ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . حَرَّمَهُمَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ » البزار^(٤) .

٣٤- حديث : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ . . » الحديث ، الشيخان وغيرهما^(٥) .

٣٥- حديث : « نِعِمَّ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَسَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ ، سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ » أحمد^(٦) .

٣٦- حديث : « مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ عَلَى رَجُلٍ خَيْرٍ مِنْ عُمَرَ » الترمذي^(٧) .

٣٧- حديث : « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا ، فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً . . فعليه لعنةُ اللهِ ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ أَحَدًا حِمَى اللَّهِ . . فَقَدْ انْتَهَكَ مِنْ حِمَى اللَّهِ شَيْئًا بَغِيرَ حَقِّهِ ، فعليه لعنةُ اللهِ » أحمد^(٨) .

٣٨- حديث قصة ماعز ورجمه ، أحمد^(٩) .

(١) سنن أبي داود (٢٩٧٣) .

(٢) مسند البزار (٧٠) .

(٣) السنن الكبرى (٤٨١ / ٧) .

(٤) مسند البزار (٢٢) .

(٥) صحيح البخاري (١٣٩٩) ، وصحيح مسلم (٢٠) ، وسنن أبي داود (١٥٥٦) ، وسنن الترمذي (٢٦٠٧) .

(٦) مسند أحمد (٨ / ١) .

(٧) سنن الترمذي (٣٦٨٤) .

(٨) مسند أحمد (٦ / ١) .

(٩) مسند أحمد (٨ / ١) .

٣٩- حديث : « مَا أَصْرٌ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً »
الترمذي^(١) .

٤٠- حديث : (أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاوِرٌ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ) الطبراني^(٢) .

٤١- حديث : (نَزَلَتْ : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ ...) الحديث ،
الترمذي وابن حبان وغيرهما^(٣) .

٤٢- حديث : (إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ ...) الحديث ، أحمد والأربعة وابن حبان^(٤) .

٤٣- حديث : « مَا ظَنُّكَ بِاِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا » الشيخان^(٥) .

٤٤- حديث : « اللَّهُمَّ ؛ طَعْنًا وَطَاعُونًا » أبو يعلى^(٦) .

٤٥- حديث : « شَيَّبَتْنِي هُودٌ ... » الحديث ، الدارقطني في « العلل »^(٧) .

٤٦- حديث : « الشُّرْكُ أَخْفَى فِي أُمَّتِي مِنْ دَيْبِ النَّمْلِ ... » الحديث ،
أبو يعلى وغيره^(٨) .

٤٧- حديث : (قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ عَلِمَنِي شَيْئًا أَقُولُهُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا
أَمْسَيْتُ ...) الحديث ، الهيثم بن كليب في « مسنده » ، وهو عند الترمذي
وغيره من مسند أبي هريرة^(٩) .

٤٨- حديث : « عَلَيْكُمْ بِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ وَالْإِسْتِغْفَارِ ؛ فَإِنَّ إِبْلِيسَ قَالَ : أَهْلَكْتُ

(١) سنن الترمذي (٣٥٥٩) ، وأخرجه أبو داود (١٥١٤) .

(٢) المعجم الكبير (٦٣ / ١) .

(٣) سنن الترمذي (٣٠٣٩) ، وصحيح ابن حبان (٢٩١٠) ، ومسند أبي يعلى (٢١) .

(٤) مسند أحمد (٢ / ١) ، وسنن أبي داود (٤٣٣٨) ، وسنن الترمذي (٢١٦٨) ، وسنن ابن ماجه

(٤٠٠٥) ، والنسائي في « الكبرى » (١١١٥٧) ، وصحيح ابن حبان (٣٠٤) .

(٥) صحيح البخاري (٣٦٥٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٨١) .

(٦) مسند أبي يعلى (٦٢) .

(٧) في (ج) : (العلل وغيره) ، العلل (٢٠٠ / ١) ، وأخرجه الترمذي (٣٢٩٧) .

(٨) مسند أبي يعلى (٥٨) ، والمقدسي في « المختارة » (٦٢) .

(٩) سنن الترمذي (٣٣٩٢) ، وسنن أبي داود (٥٠٦٧) .

- الناس بالذنوب ، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار ، فلما رأيت ذلك ..
أهلكتهم بالأهواء ، فهم يحسبون أنهم مهتدون » أبو يعلى^(١) .
- ٤٩- حديث : (لما نزلت : ﴿ لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ .. قلت : يا رسول الله ؛ والله لا أكلمك إلا كأخي السرار) البزار^(٢) .
- ٥٠- حديث : « كلٌ ميسر لما خُلِقَ له » أحمد^(٣) .
- ٥١- حديث : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا ، أوردَّ عليَّ شيئاً أمرتُ به .. فليَبْوَأَ بَيْتاً في جَهَنَّمَ » أبو يعلى^(٤) .
- ٥٢- حديث : (ما نجا هذا الأمر ...) الحديث في : (لا إله إلا الله) أحمد وغيره^(٥) .
- ٥٣- حديث : « اخرجُ فنادِ في الناس : مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .. وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ » فخرجتُ فلقيني عمر ... الحديث ، أبو يعلى^(٦) ، وهو محفوظ من حديث أبي هريرة^(٧) ، غريب جداً من حديث أبي بكر .
- ٥٤- حديث : « صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي لَا يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ : الْمُرْجِيَّةُ ، وَالْقَدَرِيَّةُ » الدارقطني في « العلل »^(٨) .
- ٥٥- حديث : « سَلُّوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ » أحمد والنسائي وابن ماجه^(٩) ، وله طرق كثيرة عنه .
- ٥٦- حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أمراً .. قال :

(١) مسند أبي يعلى (١٣٦) .
(٢) مسند البزار (٥٦) .
(٣) مسند أحمد (٥ / ١) .
(٤) مسند أبي يعلى (٧٣) .
(٥) مسند أحمد (٦ / ١) ، ومسند البزار (٤) ، ومسند أبي يعلى (٩) .
(٦) مسند أبي يعلى (١٠٥) .
(٧) أخرجه مسلم في « صحيحه » (٣١) .
(٨) العلل (٢٨١ / ١) .
(٩) مسند أحمد (٣ / ١) ، وسنن النسائي (١٠٧٢٠) ، وسنن ابن ماجه (٣٨٤٩) .

« اللَّهُمَّ ؛ خِزْلِي ، واخْتَرِلِي » الترمذي^(١) .

٥٧- حديث : دعاء الدِّين : « اللَّهُمَّ ؛ فَارِجَ الْهَمِّ... » الحديث ، البزار والحاكم^(٢) .

٥٨- حديث : « كُلُّ جَسَدٍ نَبَتٍ مِنْ سُحْتٍ .. فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ »^(٣) ، وفي لفظ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ جَسَدٌ غُذِيَ بِحَرَامٍ » أبو يعلىٰ^(٤) .

٥٩- حديث : « لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْجَسَدِ إِلَّا وَهُوَ يَشْكُو ذَرْبَ اللِّسَانِ » أبو يعلىٰ^(٥) .

٦٠- حديث : « يَنْزِلُ اللَّهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ، فَيَغْفِرُ فِيهَا لِكُلِّ بَشَرٍ ، مَا خَلَا كَافِرًا أَوْ رَجُلًا فِي قَلْبِهِ شَحْنَاءٌ » الدارقطني^(٦) .

٦١- حديث : « إِنَّ الدَّجَالَ يَخْرُجُ بِالمَشْرِقِ مِنْ أَرْضٍ يُقَالُ لَهَا : خُرَاسَانُ ، يَتَّبِعُهُ أَقْوَامٌ كَأَنَّ وَجُوهُهُمْ المَجَانُّ المُطَرَّقة » الترمذي وابن ماجه^(٧) .

٦٢- حديث : « أُعْطِيَ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ... » الحديث ، أحمد^(٨) .

٦٣- حديث الشفاعة بطوله في تردد الخلائق إلى نبي بعد نبي ، أحمد^(٩) .

٦٤- حديث : « لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا ، وَسَلَكَ الْأَنْصَارُ وَادِيًا .. لَسَلَكَتْ وَادِي الْأَنْصَارِ » أحمد^(١٠) .

(١) سنن الترمذي (٣٥١٦) .

(٢) مسند البزار (٦٢) ، ومستدرک الحاكم (٥١٥ / ١) .

(٣) مسند أبي يعلىٰ (٨٣) .

(٤) مسند أبي يعلىٰ (٨٣) .

(٥) مسند أبي يعلىٰ (٥) .

(٦) أخرجه ابن حجر في « الأملالي المطلقة » (١٢٢ / ١) وقال : (أخرجه الدارقطني في « السنة ») .

(٧) سنن الترمذي (٢٢٣٧) ، وسنن ابن ماجه (٤٠٧٢) .

(٨) مسند أحمد (٦ / ١) .

(٩) مسند أحمد (٤ / ١) .

(١٠) مسند أحمد (٥ / ١) .

٦٥- حديث : « قريشٌ ولأهٌ هذا الأمرِ ؛ برَّهم تبعٌ لبرَّهم ، وفاجرهم تبعٌ لفاجرهم » أحمد^(١) .

٦٦- حديث : أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بالأنصار عند موته وقال : « اقبلوا من مُحسنهم ، وتجاوزوا عن مُسيئهم » البزار والطبراني^(٢) .

٦٧- حديث : « إِنِّي لأَعْلَمُ أرضاً يُقال لها : عُمان ، يَنْضح بناحيَّها البحرُ ، بها حيٌّ من العربِ لو أَتاهم رَسُولي . . ما رَمَوْه بسهمٍ ولا حَجَرٍ » أحمد وأبو يعلى^(٣) .

٦٨- حديث : أن أبا بكر مرَّ بالحسن وهو يلعب مع الغلمان ، فاحتمله على رقبته وقال : (بأبي شبيهٌ بالنبي ، ليس شبيهاً بعلي) البخاري^(٤) ، قال ابن كثير : وهو في حكم المرفوع ؛ لأنه في قوة قوله : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يشبه الحسن) .

٦٩- حديث : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور أم أيمن) مسلم^(٥) .

٧٠- حديث قتل السارق في الخامسة ، أبو يعلى والديلمي^(٦) .

٧١- حديث قصة أحد ، الطيالسي والطبراني^(٧) .

٧٢- حديث : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ إذ رأيته يدفع عن نفسه شيئاً ولا أرى شيئاً ، قلت : يا رسول الله ؛ ما الذي تدفع ؟ قال : « الدُّنيا تطولت لي ، فقلت : إِلَيْكَ عَنِّي ، فقالت لي : أَمَا إِنَّكَ لَسْتَ بِمُدْرِكِي » البزار^(٨) .

(١) مسند أحمد (٥ / ١) .

(٢) مسند البزار (٣٠) ، والمعجم الكبير (٦٣ / ١) .

(٣) مسند أحمد (٤٤ / ١) ، ومسند أبي يعلى (١٠٦) .

(٤) صحيح البخاري (٣٥٤٢) .

(٥) صحيح مسلم (٢٤٥٤) .

(٦) مسند أبي يعلى (٢٨) .

(٧) مسند الطيالسي (٦) .

(٨) مسند البزار (٤٤) .

هكذا ما أورده ابن كثير في « مسند الصديق » من الأحاديث المرفوعة ، وقد فاته أحاديث أخرى تتبعها لتكملة العدة التي ذكرها النووي :

٧٣- حديث : « اقْتُلُوا الْفَرْدَ كائناً ما كانَ مِنَ النَّاسِ » الطبراني في « الأوسط » (١) .

٧٤- حديث : « انْظُرُوا دُورَ مَنْ تَعْمُرُونَ ، وَأَرْضَ مَنْ تَسْكُنُونَ ، وَفِي طَرِيقِ مَنْ تَمْشُونَ » الديلمي (٢) .

٧٥- حديث : « أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ وَكُلَّ بَقَرِيٍّ مَلَكاً ، فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي . . قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلِكُ : إِنْ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ » الديلمي (٣) .

٧٦- حديث : « الْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا ، وَالْغُسْلُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ كَفَّارَةٌ . . . الْحَدِيثُ ، الْعَقِيلِيُّ فِي « الضَّعْفَاء » (٤) .

٧٧- حديث : « إِنَّمَا حَرُّ جَهَنَّمَ عَلَى أُمَّتِي مِثْلُ الْحَمَامِ » الطبراني (٥) .

٧٨- حديث : « إِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ » ابن لال في « مكارم الأخلاق » (٦) .

٧٩- حديث : « بَشِّرْ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا بِالْجَنَّةِ » الدارقطني في « الأفراد » (٧) .

(١) المعجم الأوسط (٥٤٤٦) ، وأورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٢٣٦/٦) ، ولفظه : « اقْتُلُوا الْفَرْدَ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاسِ » ، وقال : (رواه الطبراني في « الأوسط » وفيه صالح بن مريم ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات) ، والمراد بالفرد : من فارق الجماعة ؛ كما أوضحه حديث عرفة الذي أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٤١/٤) .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٤٨٤٣) وعزاه للديلمي .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢١٨١) وعزاه للديلمي .

(٤) الضعفاء الكبير (٢٢٠/٢) .

(٥) المعجم الأوسط (٦٦٠٣) .

(٦) أخرجه أحمد في « مسنده » (٥/١) ، والبيهقي في « السنن » (١٩٦/١٠) ، وهو موقوف ، وقال البيهقي : (وقد روي مرفوعاً) ، وقال الدارقطني في « العلل » : (والصحيح منه : قول من وقفه) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٧٣/٤٩) من طريق الدارقطني ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٣٨٩٢) وعزاه للدارقطني في « الأفراد » ، وانظر « أطراف الغرائب والأفراد » للمقدسي (ص ٧٥) .

٨٠ - حديث : « الدِّينُ رَايَةُ اللَّهِ الثَّقِيلَةُ ، مَنْ هَذَا الَّذِي يُطِيقُ حَمْلَهَا ؟ ! »
الديلمي^(١) .

٨١ - حديث : « (سُورَةُ يَس) تُدْعَى الْمُعِمَّةُ . . . » الحديث ، الديلمي
والبيهقي في « الشعب »^(٢) .

٨٢ - حديث : « السُّلْطَانُ الْعَادِلُ الْمَتَوَاضِعُ ظِلُّ اللَّهِ وَرُوحُهُ فِي الْأَرْضِ ،
وَيَرْفَعُ لَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلِيَّةٌ عَمَلٌ صَدِيقًا » أبو الشيخ ابن حيان في كتاب
« الثَّوَاب »^(٣) .

٨٣ - حديث : « قَالَ مُوسَى لِرَبِّهِ : مَا جَزَاءُ مَنْ عَزَى الثَّكْلَى ؟ قَالَ : أُظِلُّهُ فِي
ظِلِّي » ابن شاهين في « الترغيب » والديلمي^(٤) .

٨٤ - حديث : « اللَّهُمَّ ؛ اشْدُدِ الْإِسْلَامَ بِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ » الطبراني في
« الأوسط »^(٥) .

٨٥ - حديث : « مَا صِيدَ صَيْدٌ ، وَلَا عَضِدَتْ عِضَاءٌ ، وَلَا قُطِعَتْ شَيْجَةٌ . .
إِلَّا بِقَلَّةِ التَّسْبِيحِ » ابن راهويه في « مسنده »^(٦) .

٨٦ - حديث : « لَوْ لَمْ أُبْعَثْ فِيكُمْ . . لُبُعْتُ عُمْرَ . . . » الحديث ،
الديلمي^(٧) .

٨٧ - حديث : « لَوْ أَتَجَرَ أَهْلُ الْجَنَّةِ . . لَا تَجَرُوا بِالْبَزِّ » أبو يعلى^(٨) .

(١) مسند الفردوس (٣٠٩٨) .

(٢) شعب الإيمان (٢٤٦٥) .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (١٤٥٨٩) وعزاه لأبي الشيخ ، وانظر ما قال الرازي في
« العلل » (٥٩١ / ٦) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٢٩٥٧) وعزاه لابن شاهين في « الترغيب » ، وعزاه للديلمي
الزرقاني في « شرح الموطأ » (٤٤١ / ٤) .

(٥) المعجم الأوسط (٦٤٥٣) .

(٦) مسند إسحاق ابن راهويه ؛ كما في « المطالب العالية » (٣٤٠٥) ، وقال ابن حجر : (هذا معضل أو
مرسل) .

(٧) مسند الفردوس (٥١٢٧) .

(٨) مسند أبي يعلى (١١١) ؛ ولفظه : « إن أهل الجنة لا يتبايعون ، ولو تبايعوا . . ما تبايعوا إلا بالبز » .

٨٨- حديث : « مَنْ خَرَجَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ أَوْ إِلَى غَيْرِهِ وَعَلَى النَّاسِ إِمَامٌ . فعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والناسِ أجمعينَ ، فاقتُلوه » الديلمي (١) .

٨٩- حديث : « مَنْ كَتَبَ عَنِّي عِلْماً أَوْ حَدِيثاً . لَمْ يَزَلْ يُكْتَبْ لَهُ الْأَجْرُ مَا بَقِيَ ذَلِكَ الْعِلْمُ أَوْ الْحَدِيثُ » الحاكم في « التاريخ » (٢) .

٩٠- حديث : « مَنْ مَشَى حَافِياً فِي طَاعَةِ اللهِ . لَمْ يَسْأَلْهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِ » الطبراني في « الأوسط » (٣) .

٩١- حديث : « مَنْ سَرَّه أَنْ يُظْلَلَهُ اللهُ مِنْ فَوْرِ جَهَنَّمَ وَيَجْعَلَهُ فِي ظِلِّهِ . فَلَا يَكُنْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ غَلِيظاً ، وَلِيَكُنْ بِهِمْ رَحِيماً » ابن لال في « مكارم الأخلاق » ، وأبو الشيخ ابن حيان في « الثواب » (٤) .

٩٢- حديث : « مَنْ أَصْبَحَ يَتَوَى لَه طَاعَةً . كَتَبَ اللهُ لَهُ أَجْرَ يَوْمِهِ وَإِنْ عَصَاهُ » الديلمي (٥) .

٩٣- حديث : « مَا تَرَكَ قَوْمُ الْجِهَادِ . إِلَّا عَمَّهِمُ اللهُ بِالْعَذَابِ » الطبراني في « الأوسط » (٦) .

٩٤- حديث : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُفْتَرٍ » الديلمي ولم يسنده (٧) .

٩٥- حديث : « لَا تَحْقِرَنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّ صَغِيرَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ اللهِ كَبِيرٌ » الديلمي (٨) .

(١) مسند الفردوس (٥٤٩٣) .

(٢) أورده السيوطي في « اللآلئ المصنوعة » (١٨٥ / ١) وعزاه للحاكم ، والمتقي الهندي في « كنز العمال »

(٢٨٩٥١) وعزاه لابن عساكر في « تاريخه » .

(٣) المعجم الأوسط (٦١٨٧) .

(٤) أخرجه يعقوب بن سفيان في « المعرفة والتاريخ » (١٧٦ / ٢) ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب »

(١١٢٦٠) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٥٩٨٥) وعزاه لابن لال وأبي الشيخ .

(٥) مسند الفردوس (٥٧٧٣) .

(٦) المعجم الأوسط (٣٨٣٩) .

(٧) مسند الفردوس (٧٦١٥) .

(٨) مسند الفردوس (٧٨١٣) .

٩٦- حديث : « يقولُ الله : إن كُنتُم تريدونَ رَحْمَتِي . . فارحمُوا خَلْقِي »
أبو الشيخ ابن حيان والديلمي^(١) .

٩٧- حديث : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإزار ، فأخذ بعضلة الساق ، فقلت : يا رسول الله ؛ زدني ، فأخذ بمقدّم العضلة ، فقلت : زدني ، قال : « لا خير فيما هو أسفلَ من ذلك » قلت : هلكنّا يا رسول الله ، قال : « يا أبا بكرٍ ، سدّد وقارب . . تنجُ » أبو نعيم في « الحلية »^(٢) .

٩٨- حديث : « كَفِّي وكفّ عليّ في العدلِ سواءً » الديلمي وابن عساكر^(٣) .

٩٩- حديث : « لا تُغفلوا التَّعوذَ من الشَّيطانِ ؛ فإنَّكم إن لم تكونوا ترونه . . فإنّه ليسَ عنكم بغافلٍ » الديلمي ولم يسنده^(٤) .

١٠٠- حديث : « مَنْ بَنَى لله مَسْجِداً . . بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الجَنَّةِ » الطبراني في « الأوسط »^(٥) .

١٠١- حديث : « مَنْ أَكَلَ من هذه البَقْلَةِ الخَبِيثَةِ . . فلا يقربَنَّ مَسْجِدَنَا » الطبراني في « الأوسط »^(٦) .

١٠٢- حديث رفع اليدين في الافتتاح والركوع والرفع ، البيهقي في « السنن »^(٧) .

١٠٣- حديث : (أنه صلى الله عليه وسلم أهدى جملاً لأبي جهل)
الإسماعيلي في « معجمه »^(٨) .

(١) مسند الفردوس (٨١٠٣) ، وأخرجه ابن عدي في « الكامل » (٣٠ / ٣) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٥٩٩١) وعزاه لأبي الشيخ والديلمي .

(٢) حلية الأولياء (٣٦١ / ٤) .

(٣) مسند الفردوس (٨٢٦٥) ، وتاريخ دمشق (٣٦٩ / ٤٢) .

(٤) مسند الفردوس (٧٤١٧) .

(٥) المعجم الأوسط (٧١١٤) .

(٦) المعجم الأوسط (٦١٣) ، والبقلة الخبيثة : الثوم .

(٧) السنن الكبرى (٧٣ / ٢) .

(٨) معجم شيوخ أبي بكر الإسماعيلي (٣١٢ / ١ - ٣١٣) .

١٠٤- حديث : « النظرُ إلى عليٍّ عبادةٌ » ابن عساكر (١) .

فَضْلُكَ

فيما ورد عن الصديق من تفسير القرآن

أخرج أبو القاسم البغوي عن ابن أبي مليكة قال : سئل أبو بكر عن آية ؟ فقال : (أَيُّ أَرْضٍ تَسْعَنِي ، أَوْ أَيُّ سَمَاءٍ تَظْلِنِي إِذَا قُلْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ يَرِدِ اللَّهُ !؟) (٢) .

وأخرج أبو عبيد عن إبراهيم التيمي قال : سئل أبو بكر عن قوله تعالى : ﴿ وَفَكَهْمَةٌ وَأَبَآءٌ ﴾ ؟ فقال : (أَيُّ سَمَاءٍ تَظْلِنِي ، أَوْ أَيُّ أَرْضٍ تَقْلِنِي إِنْ قُلْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَا أَعْلَمُ !؟) (٣) .

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي بكر أنه سئل عن الكلالة ؟ فقال : (إِنِّي سَأَقُولُ فِيهَا بَرَأْيِي ؛ فَإِنْ يَكُنْ صَوَابًا . . فَمِنْ اللَّهِ ، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً . . فَمَنِّي وَمِنْ الشَّيْطَانِ ، أَرَاهُ مَا خَلَا الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ) ، فلما استخلف عمر قال : (إِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَنْ أَرُدَّ شَيْئًا قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ) (٤) .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن الأسود بن هلال قال : قال أبو بكر لأصحابه : (مَا تَقُولُونَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ و ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ ؟ قالوا : ثم استقاموا : فلم يذنبوا ، ولم يلبسوا إيمانهم بخطيئة ، قال : لقد حملتموها على غير المحمل ، ثم قال : قالوا : ربنا الله ثم استقاموا : فلم يميلوا إلى إله غيره ، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك) (٥) .

وأخرج ابن جرير عن عامر بن سعد البجلي ، عن أبي بكر الصديق في قوله

(١) تاريخ دمشق (٤٢/ ٣٥٠) .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في « سننه » (٣٩) (التفسير) .

(٣) فضائل القرآن (ص ٣٧٥) .

(٤) السنن الكبرى (٦/ ٢٢٣) .

(٥) حلية الأولياء (١/ ٣٠) .

تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ قال : (النظر إلى وجه الله تعالى) (١) .
وأخرج ابن جرير عن أبي بكر في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال : (قد قالها الناس ، فمن مات عليها . . فهو ممن استقام) (٢) .

فَضْلُكَ

فيما روي عن الصديق رضي الله عنه من الآثار الموقوفة (٣)

قولاً أو قضاء ، أو خطبة أو دعاء

أخرج اللالكائي في « السنة » عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى أبي بكر فقال : أرأيت الزنا بقدر ؟ قال : (نعم) ، قال : فإن الله قدّره عليّ ثم يعذبني ؟ قال : (نعم يا بن اللخناء ؛ أما والله ؛ لو كان عندي إنسان . . أمرت أن يجرأ أنفك) (٤) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « مصنفه » عن الزبير : أن أبا بكر قال وهو يخطب الناس : (يا معشر الناس ؛ استحيوا من الله ، فوالذي نفسي بيده ؛ إنني لأظلم حين أذهب إلى الغائط في الفضاء مغطياً رأسى ؛ استحياء من ربي) (٥) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن عمرو بن دينار قال : قال أبو بكر : (استحيوا من الله ، فوالله ؛ إنني لأدخل الكنيف فأسند ظهري إلى الحائط ؛ حياء من الله) (٦) .

وأخرج أبو داود في « سننه » عن أبي عبد الله الصنابحي : (أنه صلى وراء

(١) تفسير الطبري (١٠٤/١١ - ١٠٥) .

(٢) تفسير الطبري (١١٤/٢٤) ، ولكن عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وانظر « الدر المنثور » (٣٢١/٧) .

(٣) في (أ) و (ج) : (فيما ورد . . .) .

(٤) شرح أصول الاعتقاد (١٢٠٥) .

(٥) مصنف ابن أبي شيبة (١١٣٣) .

(٦) لم نقف عليه في مطبوع « المصنف » ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٤٤١٨٢) وعزاه لعبد الرزاق .

أبي بكر المغرب ، فقرأ في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورة من قصار المفصل ، وقرأ في الثالثة : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا . . . ﴾ (الآية) (١) .

وأخرج ابن أبي خيثمة وابن عساكر عن ابن عيينة قال : كان أبو بكر إذا عزى رجلاً . . . قال : (ليس مع العزاء مصيبة ، وليس مع الجزع فائدة ، الموت أهون مما قبله ، وأشد مما بعده ، اذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . تصغر مصيبتكم ، وأعظم الله أجركم) (٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة والدارقطني عن سالم بن عبيد - وهو صحابي - قال : (كان أبو بكر الصديق يقول لي : قم بيني وبين الفجر حتى أتسحر) (٣) .

وأخرج عن أبي قلابة وأبي السَّفر قالا : (كان أبو بكر الصديق يقول : أجيفوا الباب حتى تنسحر) (٤) .

وأخرج البيهقي وأبو بكر بن زياد النيسابوري في كتاب « الزيادات » عن حذيفة بن أسيد قال : (لقد أدركت أبا بكر وعمر وما يضحَّيان ؛ إرادة أن يستن بهما) (٥) .

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال : (شهدت على أبي بكر الصديق أنه قال : كلوا الطافي من السمك) (٦) .

وأخرج الشافعي في « الأم » عن أبي بكر الصديق : (أنه كره بيع اللحم بالحيوان) (٧) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع « السنن » ، وأورده المزي في « تحفة الأشراف » (٦٦٠٧) استدراكاً من رواية أبي الطيب الأشتاني ، وقال : (ولم يذكر أبو القاسم) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣٦ / ٣٠) من طريق ابن أبي خيثمة .

(٣) المصنف (٩٠٢٢) ، وسنن الدارقطني (١٦٦ / ٢) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٧٦١٨) من طريق أبي قلابة .

(٥) السنن الكبرى (٢٦٥ / ٩) .

(٦) لم نقف عليه في مطبوع « السنن » ، وأورده المزي في « تحفة الأشراف » (٦٦٠٢) استدراكاً من رواية

أبي الحسن ابن العبد عن أبي داود ، وأخرجه الدارقطني في « السنن » (٢٧٠ / ٤) ، وانظر « فتح الباري » (٦١٥ / ٩) .

(٧) الأم (١٦٧ / ٤ - ١٦٨) .

وأخرج البخاري عنه : (أنه جعل الجد بمنزلة الأب) يعني : في الميراث^(١) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « مصنفه » عن عطاء ، عن أبي بكر قال : (الجد بمنزلة الأب ، ما لم يكن أب دونه ، وابن الابن بمنزلة الابن ما لم يكن ابن دونه)^(٢) .

وأخرج عن القاسم : أن أبا بكر أتى برجل انتفى من أبيه ، فقال أبو بكر : (اضرب الرأس ؛ فإن الشيطان في الرأس)^(٣) .

وأخرج عن أبي مالك قال : كان أبو بكر إذا صلى على الميت . . قال : (اللهم ؛ عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة ، والذنب عظيم ، وأنت غفور رحيم)^(٤) .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن عمر : أن أبا بكر قضى بعاصم بن عمر بن الخطاب لأم عاصم وقال : (ريحها وشمها ولطفها خير له منك)^(٥) .

وأخرج البيهقي عن قيس بن أبي حازم قال : (جاء رجل إلى أبي بكر فقال : إن أبي يريد أن يأخذ مالي كله يجتاحه ؟ فقال لأبيه : إنما لك من ماله ما يكفيك ، فقال : يا خليفة رسول الله ؛ أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنت ومالك لأبيك » فقال : نعم ؛ وإنما يعني بذلك النفقة)^(٦) .

وأخرج أحمد عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده : (أن أبا بكر وعمر كانا لا يقتلان الحر بالعبد)^(٧) .

(١) صحيح البخاري معلقاً قبل (٦٧٣٧) ، وفيه : (وقال أبو بكر وابن عباس وابن الزبير : « الجد : أب ») .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٨٦١) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٦٤١) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (١١٤٧٥) .

(٥) سنن سعيد بن منصور (٢٢٧٢) .

(٦) السنن الكبرى (٤٨١ / ٧) .

(٧) لم نقف عليه في مطبوع « المسند » ، وأخرجه البيهقي في « السنن » (٣٤ / ٨) .

وأخرج البخاري عن ابن أبي مليكة ، عن جده : (أن رجلاً عضَّ يد رجل فأنذر ثنيته ، فأهدرها أبو بكر)^(١) .

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن عكرمة : أن أبا بكر قضى في الأذن بخمس عشرة من الإبل ، وقال : (يوارى شينها الشعر والعمامة)^(٢) .

[أوصيك بعشر خلال]

وأخرج البيهقي وغيره عن أبي عمران الجوني : أن أبا بكر بعث جيوشاً إلى الشام ، وأمر عليهم يزيد بن أبي سفيان فقال : (إني موصيك بعشر خلال : لا تقتلوا امرأة ، ولا صبيّاً ، ولا كبيراً هرمّاً ، ولا تقطع شجراً مثمراً ، ولا تخربن عامراً ، ولا تعقرن شاة ولا بغيراً إلا لمأكلة ، ولا تفرقن^(٣) نحلاً^(٤) ولا تحرقه ، ولا تغلل ، ولا تجبن)^(٥) .

وأخرج أحمد ، وأبو داود ، والنسائي عن أبي برزة الأسلمي قال : (غضب أبو بكر من رجل ، فاشتد غضبه جداً ، فقلت : يا خليفة رسول الله ؛ اضرب عنقه ، قال : ويلك !! ما هي لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٦) .

[بعض أقضية الصديق رضي الله عنه]

وأخرج سيف في كتاب « الفتوح » عن شيوخه : أن المهاجر بن أبي أمية - وكان أميراً على اليمامة - رُفِعَ إليه امرأتان مغنيتان ؛ غنت إحداهما بستم النبي صلى الله عليه وسلم : فقطع يدها ونزع ثناياها ، وغنت الأخرى بهجاء

(١) صحيح البخاري (٢٢٦٦) ، وأندر : أسقط .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٧٣٨٠) ، والسنن الكبرى (٨٥ / ٨) .

(٣) كذا في النسخ : (ولا تفرقن) بالفاء ، وفي المصادر : (ولا تفرقن) ، والله أعلم .

(٤) كذا في (ب) بالحاء المهملة ، وفي باقي النسخ : (نحلاً) بالخاء المعجمة ، والمثبت هو الصواب ؛ كما في « شرح الموطأ » للزرقاني (١٧ / ٣) ، والله أعلم .

(٥) السنن الكبرى (٨٩ / ٩) من طريق مالك ، وهو عند مالك في « الموطأ » (٩٧١) .

(٦) مسند أحمد (٩ / ١) ، وسنن أبي داود (٤٣٦٣) ، وسنن النسائي (١٠٨ / ٧) .

المسلمين : فقطع يدها ونزع ثنيتها ، فكتب إليه أبو بكر : (بلغني الذي فعلت في المرأة التي تغت بستم النبي صلى الله عليه وسلم ، فلولا ما سبقتنني فيها . . لأمرتك بقتلها ؛ لأن حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطى ذلك من مسلم . . فهو مرتد ، أو معاهد . . فهو محارب غادر ، وأما التي تغت بهجاء المسلمين : فإن كانت ممن يدعي الإسلام . . فأدبْ وتقدمْ دون المثلة ، وإن كانت ذمية . . فلعمري ؛ لما صفحت عنه من الشرك أعظم ، ولو كنت تقدمت إليك في مثل هذا . . لبلغت مكروهاً ، فاقبل الدعة ، وإياك والمثلة في الناس ؛ فإنها مأثمٌ ومنفرةٌ إلا في قصاص)^(١) .

وأخرج مالك والدارقطني عن صفية بنت أبي عبيد : (أن رجلاً وقع على جارية بكر واعترف ، فأمر به فجُلد ، ثم نفاه إلى فُدك)^(٢) .

وأخرج أبو يعلى عن محمد بن حاطب قال : جِيءَ إلى أبي بكر برجل قد سرق وقد قطعت قوائمه ، فقال أبو بكر : (ما أجد لك شيئاً إلا ما قضى فيك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أمر بقتلك ؛ فإنه كان أعلم بك) فأمر بقتله^(٣) .

وأخرج مالك عن القاسم بن محمد : أن رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قَدَمَ ، فنزل على أبي بكر ، فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه ، فكان يصلي من الليل ، فيقول أبو بكر : وأبيك ؛ ما ليلك بليل سارق !! ثم إنهم افتقدوا حلياً لأسماء بنت عُميس امرأة أبي بكر ، فجعل يطوف معهم ويقول : اللهم ؛ عليك بمن بيّت أهل هذا البيت الصالح ، فوجدوا الحلي عند صائغ زعم أن الأقطع جاءه به ، فاعترف الأقطع ، أو شهد عليه ، فأمر به أبو بكر ففُطعت يده اليسرى ، وقال أبو بكر : (والله ؛ لدعاؤه على نفسه أشدّ عندي عليه من سرقة)^(٤) .

(١) وأخرجه الطبري في « تاريخه » (٣/ ٣٤١-٣٤٢) من طريق سيف ، وأورده المتقي الهندي في « كنز

العمال » (١٣٩٩٢) وعزاه لسيف في « الفتوح » .

(٢) الموطأ (١٥١٥) ، والعلل للدارقطني (١/ ٢٧١) .

(٣) مسند أبي يعلى (٢٨) ، وأخرجه النسائي (٨٩/٨) .

(٤) الموطأ (١٥٣٤) .

وأخرج الدارقطني عن أنس : (أن أبا بكر قطع في مجنّ ثمنه خمسة دراهم)^(١) .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن أبي صالح قال : لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن . . جعلوا يبكون ، فقال أبو بكر : (هكذا كنا ، ثم قست القلوب) قال أبو نعيم : أي : قويت واطمأنت بمعرفة الله تعالى^(٢) .

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : قال أبو بكر : (ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته)^(٣) .

وأخرج أبو عبيد في « الغريب » عن أبي بكر قال : (طوبى لمن مات في النأنة) أي : في أول الإسلام قبل تحرك الفتن^(٤) .

وأخرج الأربعة ومالك عن قبيصة قال : (جاءت الجدة إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها ؟ فقال : ما لك في كتاب الله ، وما علمت لك في سنة نبي الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ، فارجعي حتى أسأل الناس ، فسأل الناس .

فقال المغيرة بن شعبة : حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاهما السدس ، فقال أبو بكر : هل معك غيرك ؟ فقام محمد بن مسلمة فقال مثل ما قال المغيرة ، فأنفذه لها أبو بكر)^(٥) .

وأخرج مالك والدارقطني عن القاسم بن محمد : (أن جدتين أتتا أبا بكر تطلبان ميراثهما ؛ أم أم وأم أب ، فأعطى الميراث أم الأم ، فقال له عبد الرحمن بن سهل الأنصاري - وكان ممن شهد بدرأ وهو أخو بني حارثة - : يا خليفة رسول الله ؛ أعطيت التي لو أنها ماتت . . لم يرثها ؟! فقسمه بينهما)^(٦) .

(١) سنن الدارقطني (١٨٦/٣) .

(٢) حلية الأولياء (٣٣/١ - ٣٤) .

(٣) صحيح البخاري (٣٧١٣) .

(٤) غريب الحديث (٢١٤-٢١٥/٣) .

(٥) سنن أبي داود (٢٨٩٤) ، وسنن الترمذي (٢١٠١) ، وسنن ابن ماجه (٢٧٢٤) ، والنسائي في « الكبرى » (٦٣٤٠) ، والموطأ (١٠٨٠) .

(٦) الموطأ (١٠٨١) ، وسنن الدارقطني (٩١/٤) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن عائشة رضي الله عنها حديث امرأة رفاعة التي طلقت منه وتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ، فلم يستطع أن يغشاها ، وأرادت العود إلى رفاعة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا ، حتى تذوقني عسيلته ويذوق عسيلتك » وهذا القدر في الصحيح^(١) ، وزاد عبد الرزاق : فقعدت ، ثم جاءته فأخبرته أن قد مسّها ، فمنعها أن ترجع إلى زوجها الأول ، وقال : « اللهم ؛ إن كان إنما بها أن ترجعَ إلى رفاعة . . فلا يتم لها نكاحه مرة أخرى » ثم أنت أبا بكر وعمر في خلافتهما ، فمنعاهما^(٢) .

وأخرج البيهقي عن عقبة بن عامر : (أن عمرو بن العاصي وشرحبيل بن حسنّة بعثاه بريداً إلى أبي بكر برأس بنان^(٣) بطريق الشام ، فلما قدم على أبي بكر . . أنكر ذلك ، فقال له عقبة : يا خليفة رسول الله ؛ فإنهم يصنعون ذلك بنا ؟ !

قال : أفستتآن بفارس والروم ؟ ! لا يُحمل إليّ رأس ، إنما يكفي الكتاب والخبر^(٤) .

وأخرج البخاري عن قيس بن أبي حازم قال : (دخل أبو بكر على امرأة من أحْمَسَ يقال لها : زينب ، فرآها لا تتكلم ، فقال : ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا : حجّت مصمّته ، قال لها : تكلمي ؛ فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت فقالت : من أنت ؟ قال : امرؤ من المهاجرين ، قالت : أي المهاجرين ؟ قال : من قريش ، قالت : من أي قريش ؟ قال : إنك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم ؟ قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس^(٥) .

(١) صحيح البخاري (٢٦٣٩) ، صحيح مسلم (١٤٣٣) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١١١٣٣) .

(٣) كذا في النسخ ، وفي « البيهقي » ، و « شرح مشكل الآثار » (٤٠٤ / ٧) : (يناق) .

(٤) السنن الكبرى (١٣٢ / ٩) .

(٥) صحيح البخاري (٣٨٣٤) .

وأخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج ، وكان أبو بكر يأكل من خراجه ، فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر ، فقال له الغلام : تدري ما هذا ؟ قال أبو بكر : ما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة ، إلا أنني خدعته ، فلقيني فأعطاني ، فهذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شيء في بطنه)^(١) .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن ابن سيرين قال : (لم أعلم أحداً استقاء من طعامٍ أكله غير أبي بكر . . .) وذكر القصة^(٢) .

وأخرج النسائي عن أسلم : أن عمر اطلع على أبي بكر وهو آخذ بلسانه ، فقال : (هذا الذي أوردني الموارد)^(٣) .

وأخرج أبو عبيد في « الغريب » عن أبي بكر : أنه مرَّ بعد الرحمن وهو يمازُ جاراً له ، فقال له : (لا تمازُ جارك ؛ فإنه يبقى ويذهب عنك الناس)^(٤) .
المماظة : المنازعة والمخاصمة .

[من خطب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر عن موسى بن عقبة : أن أبا بكر الصديق كان يخطب فيقول : (الحمد لله رب العالمين ، أحمده وأستعينه ، ونسأله الكرامة فيما بعد الموت ؛ فإنه قد دنا أجلي وأجلكم ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وسراجاً منيراً ؛ لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، ومن يطع الله ورسوله . . فقد رشد ، ومن يعصهما . . فقد ضلّ ضلالاً مبيناً .

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به ؛ فإن

(١) صحيح البخاري (٣٨٤٢) .

(٢) الزهد (ص ١١٠ - ١١١) .

(٣) النسائي في « الكبرى » (١١٨٤١) .

(٤) غريب الحديث (٢٢٦ / ٣) .

جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص : السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ؛ فإنه من يطع والي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . فقد أفلح ، وأدّى الذي عليه من الحق .

وإياكم واتباع الهوى ؛ فقد أفلح من حُفظ من الهوى والطمع والغضب ، وإياكم والفخر ، وما فخر من خُلِق من تراب ثم إلى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حي وغداً ميت ؟!

فاعملوا يوماً بيوم ، وساعة بساعة ، وتوقوا دعاء المظلوم ، وعدّوا أنفسكم في الموتى ، واصبروا ؛ فإن العمل كله بالصبر ، واحذروا والحذر ينفع ، واعمِلوا والعمل يُقبل ، واحذروا ما حذركم الله من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته .

وافهموا وتفهموا ، واتقوا وتوقّوا ؛ فإن الله قد بيّن لكم ما أهلك به من كان قبلكم ، وما نجى به من نجى قبلكم ، قد بيّن لكم في كتابه حلاله وحرامه ، وما يحب من الأعمال وما يكره ؛ فإني لا آلوكم ونفسي ، والله المستعان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

واعلموا : أنكم ما أخلصتم الله من أعمالكم . . فربّكم أطعتم ، وحظكم حفظتم واغتبطتم ، وما تطوعتم به لربكم^(١) . . فاجعلوه نوافل بين أيديكم ، تستوفوا لسلفكم ، وتعطوا جزاءكم حين فقركم وحاجتكم إليها .

ثم تفكّروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مضوا ؛ قد وردوا على ما قدّموا فأقاموا عليه ، وحلوا في الشقاء والسعادة فيما بعد الموت .

إن الله ليس له شريك ، وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ، ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ؛ فإنه لا خير في خيرٍ بعده النار ، ولا شر في شر بعده الجنة .

أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم ، وصلوا على نبيكم صلى الله

(١) في (أ) : (بدينكم) ، وفي (ط) : (لدينكم) ، وفي « تاريخ دمشق » : (لمدنتكم) .

عليه وسلم ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته (١) .

وأخرج الحاكم والبيهقي عن عبد الله بن عكيم قال : خطبنا أبو بكر الصديق ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : (أوصيكم بتقوى الله ، وأن تشنوا عليه بما هو له أهل ، وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة ؛ فإن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ .

ثم اعلّموا عباد الله : أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم ، وأخذ على ذلك مواثيقكم ، واشترى منكم القليل الفاني بالكثير الباقي ، وهذا كتاب الله فيكم لا يطفأ نوره ، ولا تنقضي عجائبه ، فاستضيئوا بنوره ، وانتصحووا كتابه ، واستضيئوا منه ليوم الظلمة ؛ فإنه إنما خلقكم لعبادته ، ووكل بكم كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون .

ثم اعلّموا عباد الله : أنكم تغدون وتروحون في أجلٍ قد غُيِّبَ عنكم علمه ؛ فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله . . فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، سابقوا في آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم فيردكم إلى أسوأ أعمالكم ؛ فإن قوماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم ، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم ؛ فالوَحَا الوَحَا ، ثم النجاء النجاء ؛ فإن وراءكم طالباً حثيثاً مرّةً سريع (٢) .

وأخرج ابن أبي الدنيا وأحمد في « الزهد » وأبو نعيم في « الحلية » عن يحيى ابن أبي كثير : أن أبا بكر كان يقول في خطبته : (أين الوُضَاءُ الحسنَةُ وجوههم ، المعجبون بشبابهم ؟! أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها ؟! أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب ؟! قد تضعضع أركانهم حين أخنى بهم الدهر ، وأصبحوا في ظلمات القبور ، الوَحَا الوَحَا ، ثم النجاء النجاء) (٣) .

(١) تاريخ دمشق (٣٠/٣٣٥-٣٣٦) .

(٢) مستدرك الحاكم (٢/٣٨٣-٣٨٤) ، وشعب الإيمان (١٠٥٩٣) ، والوَحَا : السرعة .

(٣) قصر الأمل (١٣٤) ، وحلية الأولياء (١/٣٤-٣٥) من طريق أحمد .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن سلمان قال : (أتيت أبا بكر فقلت : اعهد إلي ، فقال : يا سلمان ؛ اتق الله ، واعلم أنه ستكون فتوح ، فلا أعرفن ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك ، أو ألقيته على ظهرك ، واعلم أنه من صلى الصلوات الخمس . فإنه يصبح في ذمة الله ، ويمسي في ذمة الله تعالى ؛ فلا تقتلنَّ أحداً من أهل ذمة الله فتخفر الله في ذمته ، فيكبك الله في النار على وجهك)^(١) .

وأخرج عن أبي بكر رضي الله عنه قال : (يُقْبَضُ الصالحون الأول فالأول ، حتى يبقى من الناس حثالة كحثالة التمر والشعير لا يبالي الله بهم)^(٢) .

وأخرج سعيد بن منصور في « سننه » عن معاوية بن قرة : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يقول في دعائه : (اللهم ؛ اجعل خير عمري آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقائك)^(٣) .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن الحسن قال : بلغني أن أبا بكر كان يقول في دعائه : (اللهم ؛ إني أسألك الذي هو خير لي في عاقبة الأمر ، اللهم ؛ اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلى من جنات النعيم)^(٤) .

وأخرج عن عرفة قال : قال أبو بكر : (من استطاع أن يبكي . فليبك ، وإلا . فليتبأك)^(٥) .

وأخرج عن عروة ، عن أبي بكر قال : (أهلكهن الأحمران : الذهب والزعفران)^(٦) .

وأخرج عن مسلم بن يسار ، عن أبي بكر قال : (إن المسلم ليؤجر في كل

(١) الزهد (ص ٩١) بنحوه .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣١٤٦٦) عن مرداس عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، وأخرجه البخاري (٤١٥٦) من كلام مرداس .

(٣) أخرجه ابن بشران في « أماليه » (٥٥٥) .

(٤) الزهد (ص ١١٢) .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٥٢٣) وعزاه لأحمد في « الزهد » .

(٦) لم نقف عليه في مطبوع « الزهد » ، وأخرجه مسدد ؛ كما في « المطالب العالية » (٢٢٥٢) .

شيء ؛ حتى في النكبة وانقطاع شسعه ، والبضاعة تكون في كمه ، فيفقددها ، فيفزع لها ، فيجدها في ضبئه (١) .

وأخرج عن ميمون بن مهران قال : أتني أبو بكر بغراب وافر الجناحين ، فقلبه ثم قال : (ما صيد من صيد ، ولا عضدت من شجرة . . إلا بما ضيعت من التسبيح) (٢) .

وأخرج البخاري في « الأدب » وعبد الله بن أحمد في زوائد « الزهد » عن الصُّنَابِحِي : أنه سمع أبا بكر يقول : (إن دعاء الأخ لأخيه في الله يُستجاب) (٣) .
وأخرج عبد الله في زوائد « الزهد » عن عبيد بن عمير ، عن ليبد الشاعر : أنه قدم على أبي بكر فقال :
[من الطويل]

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

فقال : (صدقت) ، فقال :

وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مُحَالَةَ زَائِلٌ

فقال : (كذبت ؛ عند الله نعيم لا يزول) ، فلما ولى . . قال أبو بكر :
(ربما قال الشاعرُ الكلمةَ من الحكمة) (٤) .

فَصْنَعِي

في كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه

أخرج أبو أحمد الحاكم عن معاذ بن جبل قال : دخل أبو بكر حائطاً ؛ وإذا بدبسي في ظل شجرة ، فتنفس الصعداء ثم قال : (طوبى لك يا طير ؛ تأكل من الشجر ، وتستظل بالشجر ، وتصير إلى غير حساب ، يا ليت أبا بكر مثلك) (٥) .

(١) الزهد (ص ١٠٩) ، وضبئه : حضنه .

(٢) الزهد (ص ١١٠) .

(٣) الأدب المفرد (٦٢٤) ، والزهد لأحمد (ص ١١١) .

(٤) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٨٩٣٢) وعزاه لأحمد في « الزهد » ، والبيت في « ديوان ليبد » (ص ١٤٥) .

(٥) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٠١) وعزاه لأبي أحمد الحاكم .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن أبي عمران الجوني قال : قال أبو بكر الصديق : (لوددت أنني شعرة في جنب عبد مؤمن)^(١) .

وأخرج ابن عساكر عن الأصمعي قال : كان أبو بكر إذا مُدح . . قال : (اللهم ؛ أنت أعلم مني بنفسي ، وأنا أعلم بنفسي منهم ، اللهم ؛ اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون)^(٢) .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن مجاهد قال : (كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة . . كأنه عود من الخشوع ، قال : وحُذِّثُ أن أبا بكر كان كذلك)^(٣) .

وأخرج عن الحسن قال : قال أبو بكر : (والله ؛ لوددتُ أنني كنت هذه الشجرة تُؤكل وتُعصّد)^(٤) .

وأخرج عن قتادة قال : بلغني أن أبا بكر قال : (وددتُ أنني خضرة تأكلني الدواب)^(٥) .

وأخرج عن ضمرة بن حبيب قال : حضرت الوفاة ابناً لأبي بكر الصديق ، فجعل الفتى يلحظ إلى وسادة ، فلما توفي . . قالوا لأبي بكر : رأينا ابنك يلحظ إلى وسادة !! فدفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة ، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يُرَجِّع ويقول : (إنا لله وإنا إليه راجعون ، يا فلان ؛ ما أحسب جلدك يتسع لها)^(٦) .

وأخرج عن ثابت البناني : أن أبا بكر كان يتمثل^(٧) :

(١) الزهد (ص ١٠٨) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠/ ٣٣٢) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « الزهد » ، وأخرجه البيهقي في « السنن » (٢ / ٢٨٠) .

(٤) الزهد (ص ١١٢) .

(٥) الزهد (ص ١١٢) .

(٦) الزهد (ص ١١٣) .

(٧) الزهد (ص ١١٣) ، وقد أخرجه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٣٧٢) وروايته :

(مجزوء الرمل)

لا تزال تنعي حبيباً حتى تكونه وقد يرجو الفتى الرجا يموت دونه

وأخرج ابن سعد عن ابن سيرين قال : لم يكن أحدٌ بعد النبي صلى الله عليه وسلم أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ، ولم يكن أحدٌ بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر ، وإن أبا بكر نزلت به قضية فلم نجد لها في كتاب الله أصلاً ، ولا في السنة أثراً ، فقال : (أجتهد رأيي ، فإن يكن صواباً .. فمن الله ، وإن يكن خطأ .. فمني وأستغفر الله) (١) .

فَضْلُكَ

فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا

أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن المسيب قال : رأت عائشة رضي الله عنها كأنه وقع في بيتها ثلاثة أقمار ، فقصتها على أبي بكر وكان من أعبر الناس ، فقال : (إن صدقت رؤياك .. ليدفنن في بيتك خير أهل الأرض ثلاثاً) ، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يا عائشة ؛ هذا خير أقمارك) (٢) .

وأخرج أيضاً عن عمرو بن شرحبيل قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيتني أردفتُ غنمَ سودٍ ، ثم أردفتُها غنمٌ بيضٌ حتى ما ترى السود فيها » فقال أبو بكر : يا رسول الله ؛ أما الغنم السود : فإنها العرب يُسلمون ويكثرُونَ ، والغنم البيض : الأعاجم يسلمون حتى لا ترى العرب فيهم من كثرتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كَذَلِكَ عَبْرَهَا الْمَلَكُ سَحَرًا » (٣) .

وله عن ابن أبي ليلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رَأَيْتُنِي عَلَى بَثْرٍ أَنْزَعُ فِيهَا ، فَوَرَدَتْنِي غَنَمٌ سَوْدٌ ، ثُمَّ رَدَفَتْهَا غَنَمٌ عُفْرٌ » فقال أبو بكر : دعني أعبرها .. فذكر نحوه (٤) .

ولقد يرجو الفتى الرجا والموت دونه

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٦٢-١٦٣) .

(٢) أخرجه مالك في « الموطأ » (٥٥٢) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الدلائل » (٦/٣٣٦-٣٣٧) .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣١١٩) .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن سيرين قال : (كان أعبر هذه الأمة بعد نبيها : أبو بكر)^(١) .

وأخرج ابن سعد عن ابن شهاب قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فقصها على أبي بكر فقال : « رأيتُ كأنِّي استبَقْتُ أنا وأنت درجة ، فسبقتُ بمرقأتين ونصف » قال : يا رسول الله ؛ يقبضك الله إلى مغفرة ورحمة ، وأعيش بعدك سنتين ونصفاً^(٢) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن أبي قلابة : أن رجلاً قال لأبي بكر الصديق : رأيت في النوم أني أبول دماً ، قال : (أنت رجل تأتي امرأتك وهي حائض ، فاستغفر الله ولا تعد)^(٣) .

فصل في

[في قيادة عمرو بن العاصي لسرية فيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهم]

أخرج البيهقي في « الدلائل » عن عبد الله بن بريدة قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاصي في سرية فيهم أبو بكر وعمر ، فلما انتهوا إلى مكان الحرب . أمرهم عمرو ألا ينوروا ناراً ، فغضب عمر ، فهم أن يأتيه ، فنهاه أبو بكر وأخبره : أنه لم يستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلا لعلمه بالحرب ، فهذا عنه)^(٤) .

وأخرج البيهقي من طريق أبي معشر عن بعض مشيختهم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنِّي لأؤمِّر الرجل على القوم فيهم مَنْ هو خيرٌ منه ؛ لأنه أيقظُ عيناً وأبصرُ بالحرب »^(٥) .

(١) تقدم تخريجه (ص ١١٨) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ١٦٢) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٢٧٠) .

(٤) دلائل النبوة (٤/ ٤٠٠) .

(٥) دلائل النبوة (٤/ ٤٠٠) .

فَضْلُكَ

[في أدبه وذكائه رضي الله عنه]

أخرج خليفة بن خياط ، وأحمد ابن حنبل ، وابن عساكر عن يزيد ابن الأصم : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر : « أنا أكبرُ أو أنت ؟ » قال : أنت أكبر وأكرم ، وأنا أسن منك ، مرسل غريب جداً^(١) ، فإن صح . . عُدَّ هذا الجواب من فرط ذكائه وأدبه ، والمشهور : أن هذا الجواب للعباس^(٢) .

وقد وقع أيضاً لسعيد بن يربوع ، أخرجه الطبراني ؛ ولفظه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « أئنا أكبرُ ؟ » قال : أنت أكبر وأخير مني ، وأنا أقدم^(٣) .

وأخرج أبو نعيم : أن أبا بكر قيل له : يا خليفة رسول الله ؛ ألا تستعمل أهل بدر ؟ قال : (إني أرى مكانهم ؛ ولكنني أكره أن أدنسهم بالدنيا)^(٤) .

وأخرج أحمد في « الزهد » عن إسماعيل بن محمد : أن أبا بكر قسم قسمًا فسوّى فيه بين الناس ، فقال له عمر : (تسوي بين أصحاب بدر وسواهم من الناس ؟) فقال أبو بكر : (إنما الدنيا بلاغ ، وخير البلاغ أوسعها ، وإنما فضلهم في أجورهم)^(٥) .

فَضْلُكَ

[في صيامه وفي نقش خاتمه رضي الله عنه]

أخرج أحمد في « الزهد » عن أبي بكر بن حفص قال : (بلغني أن أبا بكر كان يصوم الصيف ويفطر الشتاء)^(٦) .

(١) تاريخ خليفة (ص ١٢١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥ / ٣٠) من طريق أحمد ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٠٥) وعزاه لأحمد في « تاريخه » .

(٢) أخرجه الحاكم (٣ / ٣٢٠) .

(٣) المعجم الكبير (٦ / ٦٦) .

(٤) حلية الأولياء (١ / ٣٧) .

(٥) الزهد (ص ١١٠) .

(٦) الزهد (ص ١١٢) .

وأخرج ابن سعد عن حبان الصائغ قال : (كان نقش خاتم أبي بكر : نعم القادر الله)^(١) .

فصل ثالث

[في أربعة أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم مع أبنائهم رضي الله عنهم]
أخرج الطبراني عن موسى بن عقبة قال : (لا نعلم أربعة أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم وأبناءهم إلا هؤلاء الأربعة : أبو قحافة ، وابنه أبو بكر الصديق ، وابنه عبد الرحمن ، وأبو عتيق بن عبد الرحمن ، واسمه : محمد)^(٢) .

وأخرج ابن منده وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما أسلم أبو أحد من المهاجرين إلا أبو أبي بكر)^(٣) .

فصل رابع

[في أن أبا بكر رضي الله عنه كان أسن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم]
أخرج ابن سعد والبخاري بسند حسن عن أنس قال : (كان أسن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر الصديق ، وسهيل بن عمرو ابن بيضاء)^(٤) .

فصل خامس

[في ضياع الأمانة]

أخرج البيهقي في « الدلائل » عن أسماء بنت أبي بكر قالت : (لما كان عام

(١) الطبقات الكبرى (١٩٣ / ٣) .

(٢) المعجم الكبير (٥٤ / ١) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٤ / ٣٠) من طريق ابن منده ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٧٤٣٠) وعزاه لابن منده .

(٤) الطبقات الكبرى (١٨٦ / ٣) ، ومسند البزار (٧٤٦٥) .

الفتح . . خرجت ابنةً لأبي قحافة ، فلقيتها الخيل وفي عنقها طوق من ورق ، فاقطعته إنسان من عنقها ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد . . قام أبو بكر فقال : أنشد بالله والإسلام طوق أختي ، فوالله ما أجابه أحد ، ثم قال : الثانية فما أجابه أحد ، فقال : يا أخية ؛ احتسبي طوقك ، فوالله ؛ إن الأمانة اليوم في الناس لقليل (١) .

فَكَانَ

[فيمن كان فرد زمانه في فنه]

رأيت بخط الحافظ الذهبي : من كان فرد زمانه في فنه :
أبو بكر الصديق : في النسب ، عمر بن الخطاب : في القوة في أمر الله ،
عثمان بن عفان : في الحياء ، علي : في القضاء .

أبي بن كعب : في القراءة ، زيد بن ثابت : في الفرائض ، أبو عبيدة ابن الجراح : في الأمانة ، ابن عباس : في التفسير ، أبو ذر : في صدق اللهجة ،
خالد بن الوليد : في الشجاعة .

الحسن البصري : في التذكير ، وهب بن منبه : في القصص ، ابن سيرين :
في التعبير ، نافع : في القراءة ، أبو حنيفة : في الفقه ، ابن إسحاق : في
المغازي ، مقاتل : في التأويل ، الكلبي : في قصص القرآن .

الخليل : في العروض ، فضيل بن عياض : في العبادة ، سيبويه : في
النحو ، مالك : في العلم ، الشافعي : في فقه الحديث ، أبو عبيد : في
الغريب ، علي ابن المديني : في العلل ، يحيى بن معين : في الرجال ،
أبو تمام : في الشعر ، أحمد ابن حنبل : في السنة ، البخاري : في نقد
الصحيح ، الجنيد : في التصوف ، محمد بن نصر المروزي : في الاختلاف .

الجبائي : في الاعتزال ، الأشعري : في الكلام ، محمد بن زكريا الرازي :

(١) دلائل النبوة (٩٥/٥ - ٩٦) .

في الطب ، أبو معشر : في النجوم ، إبراهيم الكرمانى : في التعبير ، ابن نباتة :
في الخطب ، أبو الفرج الأصبهاني : في المحاضرة ، أبو القاسم الطبراني : في
العوالي ، ابن حزم : في الظاهر ، أبو الحسن البكري : في الكذب .
الحريري : في مقاماته ، ابن منده : في سعة الرحلة ، المتنبي : في الشعر ،
الموصلى : في الغناء ، الصولي : في الشطرنج ، الخطيب البغدادي : في سرعة
القراءة ، علي بن هلال : في الخط ، عطاء السليمي : في الخوف ، القاضي
الفاضل : في الإنشاء ، الأصمعي : في النوادر ، أشعب : في الطمع ، معبد :
في الغناء ، ابن سينا : في الفلسفة^(١) .

(١) وزاد الدميري في « مختصر شرح لامية العجم » (ص ١٠٤-١٢٨) : (ابن الكلبي الصغير : في النسب ،
أبو الحسن المدائني : في الأخبار ، أبو عبيدة : في الشعبية ، محمد بن جبر الطبري : في علوم الأثر ،
عبد الرزاق : في ارتحال الناس إليه ، إياس : في التفرس ، عبد الحميد : في الوفاء والكتابة ، أبو مسلم
الخراساني : في علو الهمة والحزم ، عمارة : في التيه ، الفضل بن يحيى : في الجود ، جعفر بن يحيى : في
التوقيع ، المأمون : في حب العفو ، عمرو بن العاصي : في الدهاء ، الوليد : في شرب الخمر ، أبو موسى
الأشعري : في سلامة الباطن ، العماد الكاتب : في الجناس ، ابن الجوزي : في الوعظ ، ابن زيدون : في
سعة العبارة ، ابن القريّة : في البلاغة ، الجاحظ : في الأدب والبيان ، البديع الهمداني : في الحفظ ،
أبو نواس : في المجون والخلاعة ، ابن حجاج : في سخف الألفاظ ، الزمخشري : في تعاطي العربية ،
النسفي : في الجدل ، جرير : في الهجاء ، حماد الراوية : في شعر العرب ، معاوية : في الحلم ، الفارابي :
في نقل كلام القدماء ومعرفة تفسيره ، حنين بن إسحاق : في ترجمة اليوناني إلى العربي ، ثابت بن قرة
الصائبي : في تهذيب ما نقل عن الرياضي إلى العربي ، الإمام الفخر : في الاطلاع على العلوم ، السيف
الآمدي : في التحقيق ، النصير الطوسي : في المجسطي ، ابن الهيثم : في الرياضي ، الكاتيبي : في المنطق ،
أبو العلاء المعري : في الاطلاع على اللغة ، أبو العيناء : في الأجوبة المسكتة ، مزبّد : في البخل ، القاضي
أحمد بن دؤاد : في المروءة وحسن التقاضي ، ابن المعتز : في التشبيه ، ابن الرومي : في التطير ، الغزالي :
في الجمع بين المعقول والمنقول ، أبو الوليد ابن رشد : في تلخيص كتب الأقدمين الفلسفية والطبية ، محيي
الدين بن عربي : في علم التصوف) .

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

[١٣-٢٣هـ] (١)

هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العُزَّى بن رِيّاح بن قُرْط بن رَزّاح بن عدي بن كعب بن لؤي ، أمير المؤمنين ، أبو حفص القرشي العدوي الفاروق . أسلم في السنة السادسة من النبوة ، وله سبع وعشرون سنة ، قاله الذهبي (٢) .

وقال النووي : (ولد عمر بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من أشرف قريش ، وإليه كانت السفارة في الجاهلية ؛ فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم . . بعثوه سفيراً - أي : رسولاً - وإذا نافرهم منافر ، أو فاخرهم مفاخر . . بعثوه منافراً أو مفاخرأ ، وأسلم قديماً بعد أربعين رجلاً ، وإحدى عشرة امرأة ، وقيل : بعد تسعة وثلاثين رجلاً وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل : بعد خمسة وأربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، فما هو إلا أن أسلم ، فظهر الإسلام بمكة ، وفرح به المسلمون .

قال : وهو أحد السابقين الأولين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الخلفاء الراشدين ، وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة حديث وتسعة وثلاثون حديثاً .

روى عنه : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، وسعد ، وابن عوف ، وابن مسعود ،

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (٣ / ٢٦٥) ، و « تاريخ الطبري » (٣ / ٤٢٨) ، و « تاريخ دمشق » (٣ / ٤٤) ، و « المنتظم » (٤ / ٤٣١) ، و « أسد الغابة » (٤ / ١٤٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٣ / ٢٥٣) ، و « الإصابة » (٢ / ٥١١) ، و « البداية والنهاية » (٧ / ١٣٣) .
(٢) تاريخ الإسلام (٣ / ٢٥٣) .

وأبو ذر ، وعمر بن عَبَّسَة ، وابنه عبد الله ، وابن عباس ، وابن الزبير ،
 وأنس ، وأبو هريرة ، وعمر بن العاصي ، وأبو موسى الأشعري ، والبراء بن
 عازب ، وأبو سعيد الخدري ، وخلائق آخرون من الصحابة وغيرهم رضي الله
 عنهم^(١) .

أقول : وأنا ألخص هنا فصلاً فيها جملة من الفوائد تتعلق بترجمته .

فَصْلٌ فِي

في الأخبار الواردة في إسلامه

أخرج الترمذي عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اللهم ؛
 أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك : بعمر بن الخطاب ، أو بأبي جهل بن
 هشام »^(٢) ، وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود^(٣) ، وأنس^(٤) رضي الله
 عنهم .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 « اللهم ؛ أعز الإسلام بعمر »^(٥) .

وأخرج الحاكم عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
 « اللهم ؛ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة »^(٦) ، وأخرجه الطبراني في
 الأوسط من حديث أبي بكر الصديق^(٧) ، وفي « الكبير » من حديث
 ثوبان^(٨) .

وأخرج أحمد عن عمر قال : (خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٨/٢ - ١١) .

(٢) سنن الترمذي (٣٦٨١) .

(٣) المعجم الكبير (١٥٩/١٠) .

(٤) المعجم الأوسط (١٨٦٠) .

(٥) مستدرک الحاكم (٨٣/٣) .

(٦) مستدرک الحاكم (٨٣/٣) .

(٧) المعجم الأوسط (٦٤٥٣) .

(٨) المعجم الكبير (٩٧/٢) .

وسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقامت خلفه ، فاستفتح « سورة الحاقة » ، فجعلت أتعجب من تأليف القرآن ، فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقرأ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَاهُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ . . . ﴾ الآيات ، فوقع في قلبي الإسلام كل موقع (١) .

وأخرج ابن أبي شيبة عن جابر قال : (كان أول إسلام عمر : أن عمر قال : ضرب أختي المخاض ليلاً ، فخرجت من البيت ، فدخلت في أستار الكعبة ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر وعليه بُنَان ، فصلى ما شاء الله ثم انصرف ، فسمعت شيئاً لم أسمع مثله ، فخرج فاتبعته ، فقال : « من هذا ؟ » قلت : عمر ، قال : « يا عمر ؛ ما تدعني ليلاً ولا نهاراً » فخشيت أن يدعو عليّ ، فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، فقال : « يا عمر ؛ أسرّه » فقلت : لا والذي بعثك بالحق ؛ لأعلنه كما أعلنت الشرك (٢) .

[قصة عمر مع ختنه وأخته رضي الله عنهم]

وأخرج ابن سعد ، وأبو يعلى ، والحاكم ، والبيهقي في « الدلائل » عن أنس رضي الله عنه قال : (خرج عمر متقلداً السيف ، فلقيه رجل من بني زهرة ، فقال له : أين تعمد يا عمر ؟ قال : أريد أن أقتل محمداً ، قال : وكيف تأمن من بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً ؟ فقال : ما أراك إلا قد صبت ؟ قال : أفلا أدلك على العجب ؛ إن ختنك وأختك قد صبوا وتركا دينك !!

فمشى عمر فاتاهما وعندهما خَبَاب ، فلما سمع بحسن عمر . . تواری في البيت ، فدخل فقال : ما هذه الهَيْئَةُ ؟ وكانوا يقرؤون « طه » قالوا : ما عدا حديثاً تحدثناه بيننا ، قال : فلعلكما قد صبوتما ؟! فقال له ختنه : يا عمر ؛ إن كان الحق في غير دينك ؟ فوثب عليه عمر فوطئه وطئاً شديداً ، فجاءت أخته لتدفعه عن زوجها ، ففحّحها نفحة بيده ، فدمي وجهها ، فقالت وهي غضبي :

(١) مسند أحمد (١٧/١) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩-٣٧) ، والْبُنَان : سراويلٌ صغير يُستر العورة المغلظة .

وإن كان الحق في غير دينك ؟ إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فقال عمر : أعطوني الكتاب الذي هو عندكم فأقرأه - وكان عمر يقرأ الكتاب - فقالت أخته : إنك رجس ، وإنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقم فاغتسل أو توضأ ، فقام فتوضأ ، ثم أخذ الكتاب فقرأ : ﴿ طه . . . ﴾ حتى انتهى إلى : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ فقال عمر : دلوني على محمد ، فلما سمع خباب قول عمر . . . خرج فقال : أبشر يا عمر ؛ فإنني أرجو أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس : « اللهم ؛ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب ، أو بعمر بن هشام » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصل الدار التي في أصل الصفا ، فانطلق عمر حتى أتى الدار وعلى بابها حمزة وطلحة وناس ، فقال حمزة : هذا عمر ، إن يرد الله به خيراً . . . يسلم ، وإن يرد غير ذلك . . . يكن قتله علينا هيناً ، قال : والنبي صلى الله عليه وسلم داخل يُوحى إليه ، فخرج حتى أتى عمر ، فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف فقال : « ما أنت بمُنتهٍ يا عمرُ حتى يُنزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة ؟ ! » فقال عمر : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت عبده ورسوله ^(١) .

وأخرج البزار ، والطبراني ^(٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » ، والبيهقي في « الدلائل » عن أسلم قال : قال لنا عمر : (كنت أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا في يوم حار بالهجرة في بعض طريق مكة . . . إذ لقيني رجل ، فقال : عجباً لك يا بن الخطاب ، إنك تزعم أنك وأنت وقد دخل عليك الأمر في بيتك !! قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت ، فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب ، قيل : من هذا ؟ قلت : عمر ، فتبادروا فاخطفوا مني وقد كانوا يقرؤون صحيفةً بين أيديهم تركوها أو نسوها ، فقامت أختي تفتح

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٤٨- ٢٤٩) ، ومسند أبي يعلى ؛ كما في « المطالب العالية » (٤٢٣٠) ، ومستدرک الحاكم (٥٩/ ٤) ، ودلائل النبوة (٢/ ٢١٩- ٢٢٠) .
(٢) في (ب) : (والطبراني في « الكبير ») .

الباب ، فقلت : يا عدوة نفسها ؛ أصبوت ؟ وضربت بها بشيء في يدي على رأسها ، فسال الدم وبكت ، فقالت : يا ابن الخطاب ؛ ما كنت فاعلاً . فافعل ؛ فقد صبوت .

قال : ودخلت حتى جلست على السرير فنظرت إلى الصحيفة ، فقلت : ما هذا ؟ ناولينيها ، قالت : لست من أهلها ، أنت لا تطهر من الجنابة ، وهذا كتاب لا يمسه إلا المطهرون ، فما زلت بها حتى ناولتنيها ففتحتها ؛ فإذا فيها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فلما مررت باسم من أسماء الله تعالى ذعرت منه ، فألقيت الصحيفة ، ثم رجعت إلى نفسي فتناولتها ؛ فإذا فيها : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ فذعرت ، فقرأت إلى : ﴿ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله ، فخرجوا إليّ متبادرين وكبروا ، وقالوا : أبشر ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال : « اللهم ؛ أعز دينك بأحب الرجلين إليك : إما أبو جهل وإما عمر » ودلوني على النبي صلى الله عليه وسلم في بيت بأسفل الصفا .

فخرجت حتى قرعت الباب ، فقالوا : من ؟ قلت : ابن الخطاب ، وقد علموا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما اجتراً أحد يفتح الباب ؛ حتى قال صلى الله عليه وسلم : « افتحوا له » ففتحوالي ، فأخذ رجلان بعضدي حتى أتيا بي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « خلّوا عنه » ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه ، ثم قال : « أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهده » فتشهدت ، فكبر المسلمون تكبيرة سُمعت بفجاج مكة ، وكانوا مستخفين ، فلم أشأ أن أرى رجلاً يضرب ويضرب . . . إلا رأيت ولا يصيبني من ذلك شيء ، فجئت خالي - وكان شريفاً - فقرعت عليه الباب ، فقال : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب وقد صبوت ، قال : لا تفعل ، ثم دخل وأجاف الباب دوني ، فقلت : ما هذا بشيء ، فذهبت إلى رجل من عظماء قريش ، فناديت فخرج إلي ، فقلت له مثل مقالتي لخالي ، وقال لي مثل ما قال خالي ، فدخل وأجاف الباب دوني ، فقلت : ما هذا بشيء ، إن المسلمين يضربون وأنا لا أضرب !!

فقال لي رجل : أتحب أن يعلم بإسلامك ؟ قلت : نعم ، قال : فإذا جلس

الناس في الحجر . . فَأْتِ فلاناً - لرجل لم يكن يكتُم السر - فقل له فيما بينك وبينه : إني قد صبوت ؛ فإنه قلَّ ما يكتُم السر ، فجئت وقد اجتمع الناس في الحجر ، فقلت فيما بيني وبينه : إني قد صبوت ، قال : أَوَقَدْ فعلت ؟ قلت : نعم ، فنادى بأعلى صوته : إن ابن الخطاب قد صبأ ، فبادروا إلي ، فما زلت أضربهم ويضربوني ، واجتمع عليَّ الناس ، قال خالي : ما هذه الجماعة ؟ قيل : عمر قد صبأ ، فقام على الحجر فأشار بكمه : ألا إني قد أجرتُ ابن أختي ، فتكشفوا عني ، فكنت لا أشاء أن أرى رجلاً من المسلمين يضرب ويضرب إلا رأيته ، فقلت : ما هذا بشيء حتى يصيبني ، فأتيت خالي فقلت : جوارك رَدُّ عليك ، فما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام ^(١) .

[سبب تسميته بالفاروق رضي الله عنه]

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » ، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (سألت عمر رضي الله عنه : لأي شيء سميت الفاروق ؟ فقال : أسلم حمزة قبلي بثلاثة أيام ، فخرجت إلى المسجد ، فأسرع أبو جهل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يسبه ، فأخبر حمزة ، فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التي فيها أبو جهل ، فاتكأ على قوسه مقابل أبي جهل ، فنظر إليه ، فعرف أبو جهل الشرفي وجهه ، فقال : ما لك يا أبا عمار ؟ فرفع القوس فضرب بها أخذه فقطعه ، فسالت الدماء ، فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختفٍ في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي ، فانطلق حمزة فأسلم .

وخرجت بعده بثلاثة أيام ؛ فإذا فلان المخزومي ، فقلت : أرغبت عن دين آبائك واتبعت دين محمد ؟ قال : إن فعلت . . فقد فعله من هو أعظم عليك حقاً مني .

قلت : ومن هو ؟ قال : أختك وختنك ، فانطلقت فوجدت هممة ،

(١) مسند البزار (٢٧٩) ، وحلية الأولياء (٤١ / ١) ، ودلائل النبوة (٢١٦ / ٢ - ٢١٧) .

فدخلت فقلت : ما هذا ؟ فما زال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربتة وأدميته ، فقامت إليّ أختي فأخذت برأسي وقالت : قد كان ذلك على رغم أنفك .

فاستحييت حين رأيت الدماء ، فجلست وقلت : أروني هذا الكتاب ، فقالت : إنه لا يمسه إلا المطهرون ، فقممت فاغتسلت ، فأخرجوا إليّ صحيفة فيها : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قلت : أسماء طيبة طاهرة ﴿ طه ﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى . . . ﴿ إلى قوله : ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ فتعظمت في صدري وقلت : من هذا فرّت قريش ؟! فأسلمت ، وقلت : أين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فإنه في دار الأرقم .

فاتيت فضربت الباب ، فاستجمع القوم ، فقال لهم حمزة : ما لكم ؟ قالوا : عمر ، قال : عمر ؟ افتحوا له الباب ، فإن أقبل . . قبلنا منه ، وإن أدبر . . قتلناه ، فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج ، فتشهد عمر ، فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد .

قلت : يا رسول الله ؛ ألسنا على الحق ؟ قال : « بلى » ، قلت : فقيم الاختفاء ؟ فخرجنا صفين : أنا في أحدهما ، وحمزة في الآخر ؛ حتى دخلنا المسجد ، فنظرت قريش إلي وإلي حمزة فأصابتهم كآبة شديدة ، فسماني رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ ، وفرق بين الحق والباطل (١) .

وأخرج ابن سعد ، عن ذكوان قال : قلت لعائشة : من سمى عمر الفاروق ؟ قالت : (النبي صلى الله عليه وسلم) (٢) .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما أسلم عمر . . نزل جبريل فقال : يا محمد ؛ لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر) (٣) .

وأخرج البزار والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما

(١) تاريخ دمشق (٢٩/٤٤ - ٣٠) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٥٣) وعزاه لأبي نعيم في « الدلائل » .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٥١/٣) .

(٣) سنن ابن ماجه (١٠٣) ، ومستدرک الحاكم (٨٤/٣) .

أسلم عمر . . قال المشركون : قد انتصف القوم اليوم منا ، وأنزل الله : ﴿ يَكَايُهَا
الَّتِي حَسَبْتَكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

وأخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ما زلنا أعزة منذ أسلم
عمر) (٢) .

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان إسلام
عمر فتحاً ، وكانت هجرته نصراً ، وكانت إمامته رحمة ، ولقد رأيتنا وما نستطيع
أن نصلي في البيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم . . قاتلهم حتى تركونا فصلينا) (٣) .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة قال : (لما أسلم عمر . . كان الإسلام
كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلما قُتل عمر . . كان الإسلام كالرجل المدبر
لا يزداد إلا بعداً) (٤) .

وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أول من جهر
بالإسلام : عمر بن الخطاب) ، إسناده حسن (٥) .

وأخرج ابن سعد عن صهيب قال : (لما أسلم عمر رضي الله عنه . . ظهر
الإسلام ، ودعا إليه علانية ، وجلسنا حول البيت حلقاً ، وطفنا بالبيت ، وانتصفنا
ممن غلظ علينا ، ورددنا عليه بعض ما يأتي به) (٦) .

وأخرج ابن سعد عن أسلم مولى عمر قال : (أسلم عمر في ذي الحجة ،
السنة السادسة من النبوة ، وهو ابن ست وعشرين سنة) (٧) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع مسند البزار ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٨٢) ،
والمستدرک » (٨٥ / ٣) .

(٢) صحيح البخاري (٣٨٦٣) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٥٠ / ٣) ، والمعجم الكبير (١٦٥ / ٩) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣٤٦ / ٣) ، ومستدرک الحاكم (٨٤ / ٣) .

(٥) المعجم الكبير (١٦ / ١١) . وفي المطبوع : (إسناده صحيح حسن) ، وانظر « مجمع الزوائد »
(٦٣ / ٩) .

(٦) الطبقات الكبرى (٢٤٩ / ٣) .

(٧) الطبقات الكبرى (٢٥٠ / ٣) .

فَضَائِلُ فِي هِجْرَتِهِ

أخرج ابن عساكر عن علي قال : (ما علمت أحداً هاجر إلا مختفياً إلا عمر بن الخطاب ؛ فإنه لما همَّ بالهجرة .. تقلَّد سيفه ، وتنگب قوسه ، وانتضى في يده أسهماً ، وأتى الكعبة وأشرف قريش بفنائها ، فطاف سبعاً ، ثم صلى ركعتين عند المقام ، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة ، فقال : شاهت الوجوه ، من أراد أن تشكله أمه ، ويستم ولده ، وترمل زوجته .. فليلقني وراء هذا الوادي ، فما تبعه منهم أحد) (١) .

وأخرج عن البراء رضي الله عنه قال : (أول من قدم علينا من المهاجرين : مصعب بن عمير ، ثم ابن أم مكتوم ، ثم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، فقلنا : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هو على أثري ، ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه معه) (٢) .

قال النووي : (شهد عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان ممن ثبت معه يوم أحد) (٣) .

فَضَائِلُ فِي الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي فَضْلِهِ

غير ما تقدم في ترجمة الصديق رضي الله عنه

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ . رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ ؛ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَيَّ جَانِبَ قَصْرِ ، فَقُلْتُ : لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ ؟ قَالُوا : لِعِمْرَ ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا » فَبَكَى وَقَالَ : عَلَيْكَ أَغَارِيَا رَسُولَ اللَّهِ ! ؟ (٤) .

(١) تاريخ دمشق (٤٤/٥١-٥٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٣٨٠) .

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١٣/٢) .

(٤) صحيح البخاري (٣٤٧٦) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٥) .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ . . شَرِبْتُ - يَعْنِي اللَّبْنَ - حَتَّى أَنْظُرَ إِلَى الرَّيِّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي ، ثُمَّ نَاولَتْهُ عَمْرٌ » قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « العلم »^(١) .

وأخرج الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ . . رَأَيْتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ ؛ فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عَمْرٌ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ » قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « الدين »^(٢) .

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَا بَنَ الْخَطَابِ ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ . . إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ »^(٣) .

وأخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ كَانَ فِيما قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ نَاسٌ مُحَدِّثُونَ ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ . . فَإِنَّهُ عَمْرٌ » أي : ملهمون^(٤) .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمْرٍ وَقَلْبِهِ » قال ابن عمر : وما نَزَلَ بِالنَّاسِ أَمْرٌ قَطُّ فَقَالُوا وَقَالَ . . إِلَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ عَمْرٌ^(٥) .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه ، عن عتبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ . . لَكَانَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَابِ »^(٦) .

(١) صحيح البخاري (٨٢) ، وصحيح مسلم (٢٣٩١) .

(٢) صحيح البخاري (٢٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٠) ، والثُّدْيُ : جمع ثدي .

(٣) صحيح البخاري (٤٩٢٣) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٦) .

(٤) صحيح البخاري (٣٢٨٢) .

(٥) سنن الترمذي (٣٦٨٢) .

(٦) سنن الترمذي (٣٦٨٦) ، ومستدرک الحاكم (٨٥ / ٣) .

وأخرجه الطبراني عن أبي سعيد الخدري^(١) ، وعصمة بن مالك^(٢) ،
وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر^(٣) .

[وُضِعَ الْحَقُّ عَلَى لِسَانِ عَمْرِو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى شَيَاطِينِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ قَدْ فَرَّوْا مِنْ عَمْرٍ »^(٤) .

وأخرج ابن ماجه والحاكم عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ مَنْ يَصَافِحُهُ الْحَقُّ عَمْرٌ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْلَمُ عَلَيْهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ »^(٥) .

وأخرج ابن ماجه والحاكم وصححه عن أبي ذر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمْرِو يَقُولُ بِهِ »^(٦) .

وأخرج أحمد والبخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى لِسَانِ عَمْرِو وَقَلْبِهِ »^(٧) .

وأخرجه الطبراني من حديث عمر بن الخطاب^(٨) ، وبلال^(٩) ، ومعاوية بن أبي سفيان^(١٠) ، وعائشة^(١١) رضي الله عنهم ، وأخرجه ابن عساكر من حديث ابن عمر^(١٢) .

(١) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٧١ / ٩) وعزاه للطبراني في « الأوسط » ولم نقف عليه في مطبوع « الأوسط » .

(٢) المعجم الكبير (١٨٠ / ١٧) .

(٣) تاريخ دمشق (١١٦ / ٤٤) .

(٤) سنن الترمذي (٣٦٩١) .

(٥) سنن ابن ماجه (١٠٤) ، ومستدرک الحاكم (٨٤ / ٣) .

(٦) سنن ابن ماجه (١٠٨) ، ومستدرک الحاكم (٨٦ / ٣ - ٨٧) ، وأخرجه أبو داود (٢٩٦٢) .

(٧) مسند أحمد (٤٠١ / ٢) ، ومسند البزار (٧٦٢١) .

(٨) المعجم الأوسط (٦٦٩٢) .

(٩) المعجم الكبير (٣٥٤ / ١) .

(١٠) المعجم الكبير (٣١٢ / ١٩) .

(١١) المعجم الأوسط (٩١٣٧) .

(١٢) تاريخ دمشق (١٠٣ / ٤٤) .

وأخرج ابن منيع في « مسنده » عن علي رضي الله عنه قال : (كنا أصحاب محمد لا نشك أن السكينة تنطق على لسان عمر)^(١) .

وأخرج البزار عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عمرٌ سراجُ أهل الجنة »^(٢) .

وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي هريرة^(٣) ، والصَّعب بن جَثَّامة^(٤) .

وأخرج البزار عن قدامة بن مظعون ، عن عمه عثمان بن مظعون قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هذا غَلَقُ الفتنَةِ - وأشار بيده إلى عمر - لا يزال بينكم وبين الفتنَةِ بابٌ شديدُ الغَلَقِ ما عاشَ هذا بينَ أظهرِكُم »^(٥) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « أقرئ عمرَ السلامَ ، وأخبره أن غضبَه عزٌّ ، ورضاهُ حُكم »^(٦) .

[فرار الشياطين من سيدنا عمر رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْ عَمْرٍ »^(٧) .

وأخرج أحمد من حديث بريدة : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَفْرُقُ مِنْكَ يَا عَمْرُ »^(٨) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله

(١) أحمد بن منيع ؛ كما في « المطالب العالية » (٣٨٨٣) .

(٢) لم نقف عليه في مطبوع « مسند البزار » ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٨٧) .

(٣) تاريخ دمشق (١٦٧/٤٤) .

(٤) تاريخ دمشق (١٦٧/٤٤) .

(٥) لم نقف عليه في مطبوع « مسند البزار » ، وأورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٨٨٥) .

(٦) المعجم الأوسط (٦٢٩٧) .

(٧) تاريخ دمشق (٨٢/٤٤) .

(٨) مسند أحمد (٣٥٣/٥) .

صلى الله عليه وسلم : « ما في السماء ملكٌ . . إلا وهو يوقرُ عمرَ ، ولا في الأرضِ شيطانٌ . . إلا وهو يفرقُ من عمرَ »^(١) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللهَ باهى بأهلِ عِرفَةَ عاتمةَ ، وباهى بعمرَ خاصَّةَ »^(٢) .

وأخرج في « الكبير » مثله من حديث ابن عباس رضي الله عنهما^(٣) .

وأخرج الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحقُّ بعدي مع عمرَ حيثُ كانَ »^(٤) .

وأخرج الشيخان عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنه قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أنا نائمٌ . . رأيتُني على قليبٍ عليها دلوٌ ، فنزعت منها ما شاء اللهُ ، ثم أخذها أبو بكرٍ ، فنزعَ ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعِهِ ضعفٌ والله يغفرُ له ، ثم جاء عمرُ فاستقى فاستحالت في يده غرباً ، فلم أرَ عبقرياً من الناسِ يفري فرَّيه حتى روي الناسُ وضربوا بعطنٍ »^(٥) .

قال النووي في « تهذيبه » : (قال العلماء : هذا إشارة إلى خلافة أبي بكر وعمر ، وكثرة الفتوح وظهور الإسلام في زمن عمر)^(٦) .

وأخرج الطبراني عن سديسة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الشيطانَ لم يلقَ عمرَ منذ أسلمَ . . إلا خَرَّ لوجهِهِ »^(٧) .

(١) تاريخ دمشق (٨٥/٤٤) .

(٢) المعجم الأوسط (١٢٥١) .

(٣) المعجم الكبير (١٨٢/١١) .

(٤) المعجم الكبير (٢٨٠/١٨) ، ومستند الفردوس (٤١٤٧) .

(٥) صحيح البخاري (٧٠٢٠) ، وصحيح مسلم (٢٣٩٣) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه أيضاً البخاري (٧٠٢١) ، ومسلم (٢٣٩٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) تهذيب الأسماء واللغات (١٧/٢) .

(٧) المعجم الكبير (٣٠٥/٢٤) ، وسديسة : بفتح السين ، وقيل : بضمها .

وأخرجه الدارقطني في « الأفراد » من طريق سديسة عن حفصة^(١) .

وأخرج الطبراني عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال لي جبريل : لبيك الإسلام على موت عمر »^(٢) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَبْغَضَ عَمْرًا . فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمْرًا . فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَإِنَّ اللَّهَ بَاهَىٰ بِالنَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ عَامَّةً ، وَبَاهَىٰ بِعَمْرٍ خَاصَّةً ، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا . إِلَّا كَانَ فِي أُمَّتِهِ مُحَدَّثٌ ، وَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ . فَهُوَ عَمْرٌ » قالوا : يا رسول الله ؛ كيف محدث ؟ قال : « تَتَكَلَّمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ لِسَانِهِ » إسناده حسن^(٣) .

فَصَحْحُ

في أقوال الصحابة والسلف فيه

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : (ما على ظهر الأرض رجل أحب إلي من عمر) أخرجه ابن عساکر^(٤) .

وقيل لأبي بكر في مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟ قال : (أقول له : وليت عليهم خيرهم) أخرجه ابن سعد^(٥) .

وقال علي رضي الله عنه : (إذا ذكر الصالحون . . فحيلا بعمر ، ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر) أخرجه الطبراني في « الأوسط »^(٦) .

وقال ابن عمر رضي الله عنه : (ما رأيت أحدا قط بعد رسول الله صلى الله

(١) أخرجه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٨٦/٤٤) من طريق الدارقطني ، وانظر « أطراف الغرائب والأفراد » (٥٧٨٤) .

(٢) المعجم الكبير (٦٧/١) .

(٣) المعجم الأوسط (٦٧٢٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٤٧/٤٤) .

(٥) الطبقات الكبرى (٢٥٤/٣) .

(٦) المعجم الأوسط (٥٥٤٩) .

عليه وسلم من حين قبض أجدد ولا أجود من عمر) أخرجه ابن سعد^(١) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (لو أن علم عمر وضع في كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض في كفة . . لرجح علم عمر بعلمهم ، ولقد كانوا يرون أنه ذهب بتسعة أعشار العلم) أخرجه الطبراني في « الكبير » والحاكم^(٢) .

وقال حذيفة رضي الله عنه : (كأن علم الناس كان مدسوساً في جحر مع عمر)^(٣) .

وقال حذيفة : (والله ؛ ما أعرف رجلاً لا تأخذه في الله لومة لائم إلا عمر رضي الله عنه)^(٤) .

وقالت عائشة رضي الله عنها وذكرت عمر : (كان والله أحوذياً نسيج وحده)^(٥) .

وقال معاوية رضي الله عنه : (أما أبو بكر . . فلم يُرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر . . فأرادته الدنيا ولم يردها ، وأما نحن . . فتمرغنا فيها ظهراً لبطن) أخرجه الزبير بن بكار في « الموفقيات » .

وقال جابر رضي الله عنه : (دخل عليّ عليّ عمر وهو مسجّي ، فقال : رحمة الله عليك ، ما من أحد أحب إليّ أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحيفة النبي صلى الله عليه وسلم من هذا المسجّي) أخرجه الحاكم^(٦) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (إذا ذكر الصالحون . . فحيهلاً بعمر ؛ إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله ، وأفقهنا في دين الله تعالى) أخرجه الطبراني والحاكم^(٧) .

(١) الطبقات الكبرى (٢٧٢ / ٣) .

(٢) المعجم الكبير (١٦٢ / ٩) ، ومستدرک الحاكم (٨٦ / ٣) .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٢٦٨٥) .

(٤) أخرجه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٣٣٢ / ٤٤) .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٨٢١٠) ، والأحوذي : المنقطع القرين .

(٦) مستدرک الحاكم (٩٣ - ٩٤) .

(٧) المعجم الكبير (١٦٣ / ٩) ، ومستدرک الحاكم (٩٣ / ٣) .

وسئل ابن عباس عن أبي بكر فقال : (كان كالخير كله) ، وسئل عن عمر فقال : (كان كالطير الحذر الذي يرى أن له بكل طريق شركاً يأخذه) ، وسئل عن علي ، فقال : (ملئ عزمًا وحزمًا وعلمًا ونجدة) أخرجه في « الطوريات »^(١) .

وأخرج الطبراني عن عُمير بن ربيعة : أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار : (كيف تجد نعتي ؟ قال : أجد نعتك قرناً من حديد ، قال : وما قرن من حديد ؟ قال : أمير شديد ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم يكون من بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة ، قال : ثم مه ؟ قال : ثم يكون البلاء)^(٢) .

وأخرج أحمد والبخاري والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (فضل عمر بن الخطاب الناس بأربع : بذكر الأسرى يوم بدر ؛ أمرَ بقتلهم ، فأنزل الله : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ...﴾ الآية ، وبذكر الحجاب ؛ أمرَ نساء النبي صلى الله عليه وسلم أن يحتجبن ، فقالت له زينب : وإنك علينا يا بن الخطاب والوحي ينزل في بيوتنا ، فأنزل الله : ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَّعًا...﴾ الآية ، وبدعوة النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم ؛ أئد الإسلام بعمر » ، وبرأيه في أبي بكر ؛ كان أول من بايعه)^(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن مجاهد قال : (كنا نحدث أن الشياطين كانت مصفدة في إمارة عمر ، فلما أصيب... بثت)^(٤) .

وأخرج عن سالم بن عبد الله قال : (أبطأ خبر عمر على أبي موسى ، فأتى امرأة في بطنها شيطان ، فسألها عنه فقالت : حتى يجيء شيطاني ، فجاء فسألته عنه فقال : تركته مؤتزراً بكساء يهنأ إبل الصدقة ، وذاك رجل لا يراه شيطان... إلا خرَّ لمنخريه ، الملك بين عينيه ، وروح القدس ينطق بلسانه)^(٥) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠ / ٣٨٦) .

(٢) المعجم الكبير (١ / ٨٤) .

(٣) مسند أحمد (١ / ٤٥٦) ، ومسند الزوار (١٧٤٨) ، والمعجم الكبير (٩ / ١٦٧) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٤ / ٨٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٤ / ٨٩) .

فَضَائِلُ

[في أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما مقدّمان في الخلافة على غيرهما]

قال سفيان الثوري : (من زعم أن علياً كان أحق بالولاية من أبي بكر وعمر . . فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار)^(١) .

وقال شريك : (ليس يقدم علياً على أبي بكر وعمر أحد فيه خير)^(٢) .

وقال أبو أسامة : (تدرون من أبو بكر وعمر ؟ هما أبوا الإسلام وأمه)^(٣) .

وقال جعفر الصادق : (أنا بريء ممن ذكر أبا بكر وعمر إلا بخير)^(٤) .

فَضَائِلُ

في موافقات عمر رضي الله عنه

قد وصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين^(٥) .

أخرج ابن مردويه عن مجاهد قال : (كان عمر يرى الرأي فينزل به القرآن)^(٦) .

وأخرج ابن عساكر عن علي قال : (إن في القرآن لرأياً من رأي عمر)^(٧) .

وأخرج عن ابن عمر مرفوعاً : « ما قالَ الناسُ في شيءٍ وقالَ فيه عمرٌ . . إلّا جاءَ القرآنُ بنحوِ ما يقولُ عمرٌ »^(٨) .

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٣٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٥ / ٤٤) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٦ / ٤٤) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٧ / ٤٤) .

(٥) جمعها الإمام السيوطي في منظومة وسماها « قطف الثمر في موافقات عمر » ، وهي ضمن كتابه « الحاوي للفتاوي » (٣٧٧ - ٣٧٨) .

(٦) أورده المصنف في « الدر المنثور » (٢٩٠ / ١) وعزاه لابن مردويه .

(٧) تاريخ دمشق (٩٥ / ٤٤) .

(٨) تاريخ دمشق (١٠٤ / ٤٤) .

[وافقت ربي في ثلاث]

١ - ٣ - وأخرج الشيخان عن عمر قال : (وافقت ربي في ثلاث : قلت : يا رسول الله ؛ لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ، فنزلت : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ ، وقلت : يا رسول الله ؛ يدخل على نسائك البر والفاجر ، فلو أمرتهن يحتجن ، فنزلت آية الحجاب ، واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم عليه في الغيرة ، فقلت : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن ، فنزلت كذلك)^(١) .

٤ - وأخرج مسلم عن عمر قال : (وافقت ربي في ثلاث : في الحجاب ، وفي أسارى بدر ، وفي مقام إبراهيم)^(٢) ، ففي هذا الحديث خصلة رابعة .

٥ - وفي « التهذيب » للزمي : (نزل القرآن بموافقته : في أسرى بدر ، وفي الحجاب ، وفي مقام إبراهيم ، وفي تحريم الخمر)^(٣) .

فزاد خصلة خامسة ، وحديثها في « السنن » و« مستدرک الحاكم » أنه قال : (اللهم ؛ بين لنا في الخمر بياناً شافياً)^(٤) .

[وافقت ربي في أربع]

٦ - وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن أنس قال : قال عمر : (وافقت ربي في أربع : نزلت هذه الآية : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ . . . الآية ، فلما نزلت . . قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فنزلت : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾)^(٥) .

(١) صحيح البخاري (٤٠٢) ، وهذا لفظ البخاري ، وعند مسلم هو اللفظ الآتي بعده .

(٢) صحيح مسلم (٢٣٩٩) .

(٣) تهذيب الكمال (٢١ / ٣٢٤) .

(٤) سنن أبي داود (٣٦٧٠) ، وسنن الترمذي (٣٠٤٩) ، وسنن النسائي (٨ / ٢٨٦) ، ومستدرک الحاكم (٢ / ٢٧٨) .

(٥) أورده ابن كثير في « تفسيره » (٧ / ٢٤٢) بسند ابن أبي حاتم .

فزاد في هذا الحديث خصلة سادسة ، وللحديث طريق آخر عن ابن عباس أوردته في « التفسير المسند »^(١) .

[موافقته في قصة عبد الله بن أبي]

ثم رأيت في كتاب « فضائل الإمامين » لأبي عبد الله الشيباني قال : وافق عمر ربه في أحد وعشرين موضعاً ، فذكر هذه الستة وزاد :

٧- قصة عبد الله ابن أبي ، قلت : حديثها في « الصحيح » عنه قال : (لما توفي عبد الله بن أبي . . دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فقامت حتى وقفت في صدره فقلت : يا رسول الله ؛ أعلیٰ عدو الله ابن أبي القائل يوم كذا وكذا ؟! فوالله ؛ ما كان إلا يسيراً حتى نزلت : ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَداً . . ﴾ (الآيات)^(٢) .

[موافقته في قضايا شتى]

٨- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ . . ﴾ الآيات .

٩- ﴿ يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ . . ﴾ الآيات .

قلت : هما مع آية المائدة خصلة واحدة ، والثلاثة في الحديث السابق .

١٠- لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم . . قال عمر : (سواء عليهم) فأنزل الله ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ . . ﴾ الآيات .

قلت : أخرجه الطبراني عن ابن عباس^(٣) .

١١- لما استشار صلى الله عليه وسلم الصحابة في الخروج إلى بدر . . أشار عمر بالخروج ، فنزلت : ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ . . ﴾ الآيات .

١٢- لما استشار الصحابة في قصة الإفك . . قال عمر : من زوجها

(١) الدر المنثور (٦/٩٤) وعزاه للطبراني ، وهو عند الطبراني في « الكبير » (١١/٤٣٨) .

(٢) صحيح البخاري (١٣٦٦) ، وصحيح مسلم (٢٤٠٠) .

(٣) المعجم الكبير (١١/٤٣٨) .

يا رسول الله ؟ قال : « الله » قال : أفظن أن ربك دلس عليك فيها ؟ سبحانه
هذا بهتان عظيم ، فنزلت كذلك .

١٣ - قصته في الصيام لما جامع زوجته بعد الانتباه ، وكان ذلك محرماً في أول
الإسلام ، فنزل : ﴿ أَهْلَ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ . . . ﴾ الآية .
قلت : أخرجه أحمد في « مسنده »^(١) .

١٤ - قوله : ﴿ مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ . . . ﴾ الآية .

قلت : أخرجه ابن جرير وغيره من طرق عديدة ، وأقربها للموافقة : ما
أخرجه ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن أبي ليلى : أن يهودياً لقي عمر فقال :
إن جبريل الذي يذكر صاحبكم عدو لنا ، فقال عمر : (من كان عدواً لله وملائكته
ورسوله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين) فنزلت على لسان عمر^(٢) .

١٥ - قوله تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . ﴾ الآية .

قلت : أخرج قصتها ابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي الأسود قال : اختصم
رجلان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقضى بينهما ، فقال الذي قضى عليه :
ردنا إلى عمر بن الخطاب ، فأتيا إليه ، فقال الرجل : قضى لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم على هذا ، فقال : ردنا إلى عمر ، فقال : أكذاك ؟ ! قال :
نعم ، فقال عمر : مكانكما حتى أخرج إليكما ، فخرج إليهما مشتملاً على سيفه
فضرب الذي قال : ردنا إلى عمر ، فقتله ، وأدبر الآخر ، فقال : يا رسول الله ؛
قتل عمر والله صاحبي ، فقال : « ما كنت أظن أن يجترىء عمر على قتل
مؤمن » ، فأنزل الله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ . . . ﴾ الآية ، فأهدر دم الرجل ،
وبرىء عمر من قتله^(٣) .

وله شاهد موصول أورده في « التفسير المسند »^(٤) .

(١) مسند أحمد (٢٤٦ / ٥) من حديث سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٩٦١) .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٥٥٦٠) .

(٤) الدر المنثور (٥٨٥ / ٢) وعزاه لدحيم عن ضمرة .

١٦ - الاستئذان في الدخول ؛ وذلك أنه دخل عليه غلامه وكان نائماً ، فقال :
(اللهم ؛ حرم الدخول) فنزلت آية الاستئذان .

١٧ - قوله في اليهود : (إنهم قوم بُهت) .

١٨ - قوله تعالى : ﴿ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴾ .

قلت : أخرج قصتها ابن عساكر في « تاريخه » عن جابر بن عبد الله ، وهي في « أسباب النزول »^(١) .

١٩ - رفع تلاوة (الشيخ والشيخة إذا زنيا . . .) الآية^(٢) .

٢٠ - قوله يوم أحد لما قال أبو سفيان : أفي القوم فلان ؟ : (ألا نجيبه ؟)
فوافقه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلت : أخرج قصته أحمد في « مسنده »^(٣) .

قال : ويضم إلى هذا ما أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب « الرد على الجهمية » من طريق ابن شهاب عن سالم بن عبد الله : أن كعب الأحبار قال : (ويل لملك الأرض من ملك السماء ، فقال عمر : إلا من حاسب نفسه ، فقال كعب : والذي نفسي بيده ؛ إنها في التوراة لتابعها ، فخر عمر ساجداً)^(٤) .

ثم رأيت في « الكامل » لابن عدي من طريق عبد الله بن نافع - وهو ضعيف -

(١) تاريخ دمشق (٢٢٩/٤٠) ، لباب النقول في أسباب النزول (ص ٢٥١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥٣) .

(٣) مسند أحمد (٢٨٧/١) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر يوم أحد ، قال : فأنكرنا ذلك !! فقال ابن عباس : بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى . . . فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل : اعلُ هبلُ - مرتين ، يعني آلهته - أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : يا رسول الله ؛ ألا أجيبه ؟ قال : « بلى » قال : فلما قال : اعلُ هبلُ ، قال عمر : الله أعلُ وأجلُ ، قال : فقال أبو سفيان : يا بن الخطاب ؛ إنه قد أنعمتَ عيُنُها ، فعادِ عنها ، أو فعادِ عنها ، فقال : أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟ فقال عمر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو بكر ، وهأنا ذا عمر ، قال : فقال أبو سفيان : يوم بيوم بدر ، الأيام دول ، وإن الحرب سجال ، قال : فقال عمر : لا سواء ؛ قتلاتنا في الجنة ، وقتلاكُم في النار . . . إلخ .

(٤) الرد على الجهمية (٨٩) .

عن أبيه ، عن ابن عمر : أن بلالاً كان يقول إذا أذن : أشهد أن لا إله إلا الله حي على الصلاة ، فقال له عمر : قل في أثرها : أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قُلْ كَمَا قَالَ عُمَرُ »^(١) .

فَضَائِلُ

في كرامات عمر

[يا سارية الجبل]

أخرج البيهقي ، وأبو نعيم كلاهما في « دلائل النبوة » ، واللالكائي في « شرح السنة » ، والديرعاقولي في « فوائده » ، وابن الأعرابي في « كرامات الأولياء » ، والخطيب في « رواة مالك » عن نافع ، عن ابن عمر قال : (وجه عمر جيشاً ورأس عليهم رجلاً يدعى سارية ، فبينما عمر يخطب . . جعل ينادي : يا سارية ؛ الجبل ، ثلاثاً ، ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هُزِمْنَا ، فبينما نحن كذلك . . إذ سمعنا صوتاً ينادي : يا سارية ؛ الجبل ، ثلاثاً ، فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله ، قال : قيل لعمر : إنك كنت تصيح بذلك)^(٢) ، قال ابن حجر في « الإصابة » : (إسناده حسن)^(٣) .

وأخرج ابن مردويه من طريق ميمون بن مهران عن ابن عمر قال : (كان عمر يخطب يوم الجمعة ، فعرض في خطبته أن قال : يا سارية ؛ الجبل ، من استرعى الذئب . . ظلم ، فالتفت الناس بعضهم إلى بعض ، فقال لهم علي : ليخرجن مما قال ، فلما فرغ . . سأله ، فقال : وقع في خلدي أن المشركين هزموا إخواننا ، وأنهم يَمُرُّون بجبل ، فإن عدلوا إليه . . قاتلوا من وجه واحد ، وإن جازوا . . هلكوا ، فخرج مني ما تزعمون أنكم سمعتموه ، قال : فجاء البشير بعد شهر ،

(١) الكامل (١٦٥/٤) .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٢٧٠/٦) ، واعتقاد أهل السنة (٢٥٣٧) ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٨٨) وعزاه للديرعاقولي وابن الأعرابي .

(٣) الإصابة (٣/٢) .

فذكر أنهم سمعوا صوت عمر في ذلك اليوم ، قال : فعدلنا إلى الجبل ففتح الله علينا^(١) .

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن عمرو بن الحارث قال : (بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال : يا ساري ؛ الجبل ، مرتين أو ثلاثاً ، ثم أقبل على خطبته ، فقال بعض الحاضرين : لقد جن ، إنه لمجنون ، فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه ، فقال : إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً بيتاً ، أنت تخطب إذ أنت تصيح يا ساري ؛ الجبل ، أي شيء هذا ؟

قال : إني والله ؛ ما ملكت ذلك ، رأيتهم يقاتلون عند جبل يُؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم ، فلم أملك أن قلت : يا ساري الجبل ؛ ليلحقوا بالجبل ، فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه : إن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم ، حتى إذا حضرت الجمعة . . سمعنا منادياً ينادي : يا ساري الجبل ، مرتين ، فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم ، فقال أولئك الذين طعنوا عليه : دعوا هذا الرجل ؛ فإنه مصنوع له^(٢) .

[أدرك أهلك فقد احترقوا]

وأخرج أبو القاسم بن بشران في « فوائده » من طريق موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : (قال عمر بن الخطاب لرجل : ما اسمك ؟ قال : جمرة ، قال : ابن من ؟ قال : ابن شهاب ، قال : ممن ؟ قال : من الحرقة ، قال : أين مسكنك ؟ قال : الحرة ، قال : بأيها ؟ قال : بذات لظي ، فقال عمر : أدرك أهلك ؛ فقد احترقوا ، فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا^(٣) .

وأخرج مالك في « الموطأ » عن يحيى بن سعيد نحوه^(٤) ، وأخرجه ابن دريد

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٨٩) وعزاه لابن مردويه .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٧٩٠) وعزاه لأبي نعيم في « الدلائل » .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٥٩٨٢) وعزاه لابن بشران في « أماليه » .

(٤) الموطأ (١٧٩٠) .

في « الأخبار المنشورة » ، وابن الكلبي في « الجامع » وغيرهم^(١) .

[رسالة سيدنا عمر رضي الله عنه إلى نيل مصر]

وقال أبو الشيخ في كتاب « العظمة » : حدثنا أبو الطيب ، حدثنا علي بن داود ، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثنا ابن لهيعة ، عن قيس بن الحجاج ، عمن حدثه قال : (لما فُتحت مصر . . أتني عمرو بن العاصي حين دخل يوم من أشهر العجم ، فقالوا : أيها الأمير ؛ إن ليلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها ، قال : وما ذاك ؟

قال : إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر . . عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الثياب والحلي أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها في هذا النيل .

فقال لهم عمرو : إن هذا لا يكون أبداً في الإسلام ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، فأقاموا والنيل لا يجري قليلاً ولا كثيراً حتى هموا بالجلء ، فلما رأى ذلك عمرو . . كتب إلى عمر بن الخطاب بذلك .

فكتب له : أن قد أصبت بالذي فعلت ، وإن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وبعث بطاقة في داخل كتابه ، وكتب إلى عمرو : إني قد بعثت إليك بطاقة في داخل كتابي فألقها في النيل ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاصي . . أخذ البطاقة ، ففتحها ؛ فإذا فيها :

من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر ، أما بعد : فإن كنت تجري من قبلك . . فلا تجر ، وإن كان الله يجريك . . فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك .

فألقى البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة ، فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم^(٢) .

(١) انظر « الإصابة » (٢٦٣ / ١) .

(٢) العظمة (٩٣٧) ، وأبو الطيب : هو أحمد بن روح الشعراني .

[كشفه الكذب ، ودعاؤه على أهل العراق]

وأخرج ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال : (إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول : احبس هذه ، ثم يحدثه بالحديث فيقول : احبس هذه ، فيقول له : كل ما حدثتك حق إلا ما أمرتني أن أحبسه)^(١) .

وأخرج عن الحسن قال : (إن كان أحدٌ يعرف الكذب إذا حدث به أنه كذب . . فهو عمر بن الخطاب)^(٢) .

وأخرج البيهقي في « الدلائل » عن أبي عذبة^(٣) الحمصي قال^(٤) : أخبر عمر : (أن أهل العراق قد حصبوا أميرهم ، فخرج غضبان ، فصلى فسها في صلاته ، فلما سلم قال : اللهم ؛ إنهم قد لبسوا عليّ فالبس عليهم ، وعجل عليهم بالغلام الثقيي يحكم فيهم بحكم الجاهلية : لا يقبل من محسنهم ، ولا يتجاوز عن مسيئتهم) .

قلت : أشار به إلى الحجاج ، قال ابن لهيعة : (وما وُلِدَ الحجاج يومئذ)^(٥) .

فَصْنَعُ

في بُذْ من سيرته

أخرج ابن سعد عن الأحنف بن قيس قال : كنا جلوساً بباب عمر ، فمرت جارية فقالوا : سُرِّية أمير المؤمنين ، فقال : (ما هي لأمر المؤمنين بسُرِّية ولا تحل له ؛ إنها من مال الله) .

(١) تاريخ دمشق (٢٨٢/٤٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٨١/٤٤) .

(٣) في (ج ، د ، هـ ، ط) : (أبي هذبة) ، وفي (ب) : (أبي عبد الله) ، وفي (أ) : بياض ، وانظر «الميزان» (٥٥١/٤) .

(٤) في (ج ، د ، هـ ، و) : (وأخرج عن شريح بن عبيد عن حدثه قال : أخبر عمر) . انظر «تاريخ دمشق» (١٦٨/١٢) .

(٥) دلائل النبوة (٤٨٧/٦-٤٨٨) .

فقلنا : فماذا يحل له من مال الله تعالى ؟ قال : (إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حُلَّتَيْن : حلة للشتاء وحلة للصيف ، وما أحج به وأعتمر ، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين)^(١) .

وقال خزيمة بن ثابت : (كان عمر إذا استعمل عاملاً .. كتب له واشترط عليه : ألا يركب برذوناً ، ولا يأكل نقياً ، ولا يلبس رقيقاً ، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات ، فإن فعل .. فقد حلت عليه العقوبة)^(٢) .

[زهده في المطعم والملبس]

وقال عكرمة بن خالد وغيره : إن حفصة وعبد الله وغيرهما كلموا عمر فقالوا : (لو أكلت طعاماً طيباً .. كان أقوى لك على الحق ؟ قال : أكلُّكم على هذا الرأي ؟ قالوا : نعم ، قال : قد علمت نصيحتكم ؛ ولكنني تركت صاحبي على جادة ، فإن تركت جادتهما .. لم أدركهما في المنزل ، قال : وأصاب الناس سنة ، فما أكل عامئذٍ سمناً ولا سميناً)^(٣) .

وقال ابن أبي مليكة : كلم عتبة بن فرقد عمر في طعامه ، فقال : (ويحك !! أكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمع بها ؟)^(٤) .

وقال الحسن : دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً ، فقال : (ما هذا ؟ قال : قَرِمْنَا إليه ، قال : أوكلما قرمت إلى شيء .. أكلته ؟ ! كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى)^(٥) .

وقال أسلم : قال عمر : (لقد خطر على قلبي شهوة السمك الطري ، قال : فرحل يرفاً راحلته ، وسار أربعاً مقبلاً ومدبراً ، واشترى مِكتلاً ، فجاء به ، وعمد إلى الراحلة فغسلها ، فأتى عمر فقال : انطلق حتى أنظر إلى الراحلة ، فنظر

(١) الطبقات الكبرى (٢٥٦/٣) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧٦/٤٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٩١/٤٤) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٩٦/٤٤) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٠٠/٤٤) ، والقرم : شدة الشهوة إلى اللحم .

وقال : نسيت أن تغسل هذا العرق الذي تحت أذننها ، عذبت بهيمة في شهوة عمر ، لا والله ؛ لا يذوق عمر مكتلك (١) .

وقال قتادة : (كان عمر يلبس - وهو خليفة - جبةً من صوف مرقوعة بعضها بأدم ، ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدّب الناس بها ، ويمر بالنكث والنوى فيلقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به) (٢) .

وقال أنس : (رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه) (٣) .

وقال أبو عثمان النهدي : (رأيت على عمر إزاراً مرقوعاً بأدم) (٤) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : (حججت مع عمر ، فما ضرب فسطاطاً ولا خباء ، كان يلقي الكساء والنطع على الشجرة ويستظل تحته) (٥) .

[تهذيبه لنفسه]

وقال عبد الله بن عيسى : (كان في وجه عمر بن الخطاب خطان أسودان من البكاء) (٦) .

وقال الحسن : (كان عمر يمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياماً) (٧) .

وقال أنس : (دخلت حائطاً ، فسمعت عمر يقول وبينني وبينه جدار : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ؟ ! بخ ، والله لتتقين الله بني الخطاب أو ليعذبنك) (٨) .

(١) تاريخ دمشق (٣٠١ / ٤٤) ، ويرفأ : هو مولى عمر وحاجبه ، والمكتل : هو ما يعمل من الخوص ، يحمل فيه التمر وغيره .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠٣ / ٤٤) ، والنكث : الخيط الخلق من صوف أو شعر أو وبر .

(٣) الطبقات الكبرى (٣ / ٣٠٤) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٣ / ٤٤) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣ / ٣٠٤) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٣ / ٤٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣ / ٢٦٩) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٥٩) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٥ / ٤٤) .

(٦) أخرجه أحمد في « فضائل الصحابة » (٣١٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٨ / ٤٤) .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٥٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٩ / ٤٤) .

(٨) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٢) ، وأخرجه مالك في « الموطأ » (١٨٣٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٠ / ٤٤) .

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة : رأيت عمر أخذ تبنه من الأرض فقال : (يا ليتني هذه التبنه ؛ ليتني لم أك شيئاً ، ليت أمي لم تلدني !!)^(١) .

وقال عبيد الله بن عمر بن حفص : حمل عمر بن الخطاب قربةً على عنقه ، فقليل له في ذلك ، فقال : (إن نفسي أعجبتني فأردت أن أذلّها)^(٢) .

وقال محمد بن سيرين : قدم صهر لعمر بن الخطاب عليه ، فطلب أن يعطيه من بيت المال ، فانتهره عمر وقال : (أردت أن ألقى الله ملكاً خائناً ؟) ثم أعطاه من صلب ماله عشرة آلاف درهم^(٣) .

وقال النخعي : (كان عمر يتجر وهو خليفة)^(٤) .

وقال أنس : تفرقر بطن عمر من أكل الزيت عام الرمادة ، وكان قد حرّم على نفسه السمن ، فنقر بطنه بإصبعه وقال : (إنه ليس عندنا غيره حتى يحيا الناس)^(٥) .

وقال سفيان بن عيينة : قال عمر بن الخطاب : (أحب الناس إلي : من رفع إلي عيوبي)^(٦) .

وقال أسلم : (رأيت عمر بن الخطاب يأخذ بأذن الفرس ، ويأخذ بيده الأخرى أذنه ثم ينزو على متن الفرس)^(٧) .

وقال ابن عمر : (ما رأيت عمر غضب قط : فذكر الله عنده ، أو خوف ، أو قرأ عنده إنسان آية من القرآن . . إلا وقف عما كان يريد)^(٨) .

وقال بلال لأسلم : (كيف تجدون عمر ؟ فقال : خير الناس ، إلا أنه إذا

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٣٣٤) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٥٦٢١) .

(٢) تاريخ دمشق (٣١٨ / ٤٤) .

(٣) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٨٣) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣١ / ٤٤) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٥٨) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٥ / ٤٤) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٩١) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٧ / ٤٤) .

(٦) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٣) .

(٧) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٣) .

(٨) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٨٨) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٠ / ٤٤) .

غضب.. فهو أمر عظيم ، فقال بلال : لو كنت عنده إذا غضب.. قرأت عليه القرآن حتى يذهب غضبه (١) .

وقال الأحوص بن حكيم عن أبيه : أتني عمر بلحم فيه سمن ، فأبى أن يأكلهما ، وقال : (كل واحد منهما آدم) (٢) ، أخرج هذه الآثار كلها ابن سعد . وأخرج ابن سعد عن الحسن قال : قال عمر : (هَانْ شَيْءٌ أَصْلَحَ بِهِ قَوْمًا أَنْ أَبْدَلَهُمْ أَمِيرًا مَكَانَ أَمِيرٍ) (٣) .

فَصْنَعُ

في صفته رضي الله عنه

أخرج ابن سعد والحاكم عن زِرِّ قال : (خرجت مع أهل المدينة في يوم عيد ، فرأيت عمر يمشي حافياً ، شيخاً أصلع آدم ، أعسر يسر ، طوالاً مشرفاً على الناس كأنه على دابة) .

قال الواقدي : (لا يعرف عندنا : أن عمر كان آدم إلا أن يكون رآه عام الرمادة ؛ فإنه كان تغير لونه حين أكل الزيت) (٤) .

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر : أنه وصف عمر فقال : (رجل أبيض تعلوه حمرة ، طوال أصلع أشيب) (٥) .

وأخرج عن عبيد بن عمير قال : (كان عمر يفوق الناس طولاً) (٦) .

وأخرج عن سلمة بن الأكوع قال : (كان عمر رجلاً أيسر) (٧) يعني : يعتدل بيديه جميعاً .

(١) الطبقات الكبرى (٢٨٨/٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨٢/٤٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٩٧/٣) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٦٤/٣) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣٠١/٣) ، ومستدرک الحاكم (٨١/٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣٠١/٣) .

(٦) الطبقات الكبرى (٣٠٢/٣) .

(٧) الطبقات الكبرى (٣٠٢/٣) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي رجاء العطاردي قال : (كان عمر رجلاً طويلاً ، جسيماً ، أصلع شديد الصلع ، أبيض شديد الحمرة ، في عارضيه خفة ، سبَلته كبيرة ، وفي أطرافها ضُبهة)^(١) .

وفي « تاريخ ابن عساكر » من طرق : (أن أمَّ عمر بن الخطاب حَتْمَةُ بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل بن هشام ، فكان أبو جهل خاله)^(٢) .

فَضْلُكَ

في خلافته رضي الله عنه

ولي الخلافة بعهد من أبي بكر في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث عشرة .

قال الزهري : (استخلف عمر يوم توفي أبو بكر ؛ وهو يوم الثلاثاء ، لثمان بقين من جمادى الآخرة) أخرجه الحاكم^(٣) .

[كثرة الفتوحات في عهده]

فقام بالأمر أتم قيام ، وكثرت الفتوح في أيامه .

ففي سنة أربع عشرة : فتحت دمشق ما بين صلح وعنوة ، وحمص وبعلبك صلحاً ، والبصرة والأبلة كلاهما عنوة .

وفيها : جمع عمر الناس على صلاة التراويح ، قاله العسكري في « الأوائل »^(٤) .

وفي سنة خمس عشرة : فتحت الأردن كلها عنوة ، إلا طبرية ؛ فإنها فتحت صلحاً .

(١) تاريخ دمشق (١٧ / ٤٤) ، السبلة : مقدم اللحية وما انحدر منها على الصدر ، والصهبة : الشقرة .

(٢) تاريخ دمشق (٩ / ٤٤) .

(٣) مستدرك الحاكم (٨١ - ٨٠ / ٣) .

(٤) الأوائل (ص ١٠٥) .

وفيها : كانت وقعة اليرموك والقادسية .

قال ابن جرير : (وفيها : مَصَّر سعد الكوفة)^(١) .

وفيها : فَرَضَ عمر الفروض ، ودَوَّن الدواوين ، وأعطى العطاء على السابقة^(٢) .

وفي سنة ست عشرة : فتحت الأهواز والمدائن ، وأقام بها سعد الجمعة في إيوان كسرى ؛ وهي أول جمعة جمعت بالعراق ، وذلك في صفر .
وفيها : كانت وقعة جَلُولاء ، وهُزِمَ فيها يَزْدَجَرْد بن كسرى وتقهقر إلى الري .

وفيها : فُتحت تكريت .

وفيها : سار عمر ففتح بيت المقدس ، وخطب بالجابية خطبته المشهورة .
وفيها : فتحت قَنَسرين عنوة ، وحلب وأنطاكية وَمَنبِج صلحاً ، وسَرُوج عنوة .

وفيها : فتحت قَرْقِسياء صلحاً .

وفيها : في ربيع الأول : كتب التاريخ من الهجرة بمشورة علي .

وفي سنة سبع عشرة : زاد عمر في المسجد النبوي .

[استسقاء سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنهما]

وفيها : كان القحط بالحجاز ، وسمي عام الرمادة ، واستسقى عمر للناس بالعباس .

(١) تاريخ الطبري (٥٩٨ / ٣) .

(٢) تاريخ الطبري (٦١٣ / ٣) ، والمراد به (السابقة) : السبق إلى الإسلام .

أخرج ابن سعد عن نيار الأسلمي : (أن عمر لما خرج يستسقي . . خرج وعليه بُرد رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(١) .

وأخرج عن ابن أبي عون قال : أخذ عمر بيد العباس ثم رفعها وقال : (اللهم ؛ إنا نستشفع إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المَحَل ، وأن تسقينا الغيث) فلم يبرحوا حتى سقوا ، وأطبقت السماء عليهم أياماً^(٢) .
وفيها : فتحت الأهواز صلحاً .

وفي سنة ثمان عشرة : فتحت جُنْدِسابور صلحاً ، وحُلوان عنوة .
وفيها : كان طاعون عَمَواس .
وفيها : فتحت الرُّها وسُمَيساط عنوة ، وحرَّان ونَصِيبين وطائفة من الجزيرة عنوة ، وقيل : صلحاً ، والموصل ونواحيها عنوة .

وفي سنة تسع عشرة : فتحت قيسارية عنوة^(٣) .

وفي سنة عشرين : فتحت مصر عنوة ، وقيل : مصر كلها صلح إلا الإسكندرية فعنوة ، وقال علي بن رباح : المغرب كله عنوة .
وفيها : فتحت تُسْتَر^(٤) .

وفيها : هلك قيصر عظيم الروم .

(١) الطبقات الكبرى (٢٩٨/٣) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٩٩/٣) .

(٣) كذا في « تاريخ الإسلام » (١٨٧/٣) . وعند الطبري (٦٠٣/٣) ، وابن الأثير في « الكامل » (٣٤٤/٢) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٥٣/٧) : (أن فتح قيسارية كان سنة « ١٥ هـ ») .

(٤) كذا في « تاريخ الإسلام » (١٩٨/٣) . وعند الطبري (٧٧/٤) ، وابن الجوزي في « المنتظم » (٢٣٢/٤) ، وابن الأثير في « الكامل » (٣٨٨/٢) ، وابن كثير في « البداية والنهاية » (٨٦/٧) : (أن الفتح كان سنة « ١٧ هـ ») ، وقال الطبري : (وقال بعضهم : فتحت سنة « ١٦ هـ » ، وبعضهم يقول : في سنة « ١٩ هـ ») .

وفيها : أجليّ عمر اليهود عن خير وعن نجران ، وقسم خير ووادي القرى .

وفي سنة إحدى وعشرين : فتحت الإسكندرية عنوة ، ونهاوند عنوة^(١) ، ولم يكن للأعاجم بعدها جماعة ، وبرقة وغيرها .

وفي سنة اثنتين وعشرين : فتحت أذربيجان عنوة ، وقيل : صلحاً ، والدّينور عنوة ، وماء سندان^(٢) عنوة ، وهَمَذان عنوة ، وأطرابُلُس المغرب ، والري وعسكر وقومس .

وفي سنة ثلاث وعشرين : كان فتح كِرْمان وسِجِسْتان ومَكْران من بلاد الجبل ، وأصبهان ونواحيها .

وفي آخرها : كانت وفاة سيدنا عمر رضي الله عنه بعد صدوره من الحج شهيداً .

قال سعيد بن المسيب : لما نفر عمر من منى . . أناخ بالأبطح ، ثم استلقى ورفعَ يديه إلى السماء ثم قال : (اللهم ؛ كبرت سني ، وضعفت قوتي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط) فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتل . أخرجه الحاكم^(٣) .

وقال أبو صالح السمان : قال كعب لعمر : أجذك في التوراة تقتل شهيداً ؟ قال : (وأنتي لي بالشهادة وأنا بجزيرة العرب ؟)^(٤) .

(١) كذا في « تاريخ الإسلام » (٢٧٥ / ٣) . وفي « مرآة الجنان » (٧٧ / ١) ، و « العبر » (٢٦ / ١) : (أنها

كانت في سنة « ٢٢ هـ ») . وجاء في « العبر » : (صلحاً) .

(٢) في « معجم البلدان » (٤١ / ٥) : (ماسَبْدان) .

(٣) مستدرک الحاكم (٩١ / ٣ - ٩٢) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٠٣ / ٤٤) .

وقال أسلم : قال عمر : (اللهم ؛ ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك) أخرجه البخاري^(١) .

وقال معدان بن أبي طلحة : خطب عمر فقال : (رأيت كأن ديكاً نقرني نقرةً أو نقرتين ، وإنني لا أراه إلا حضور أجلي ، وإن قوماً يأمروني أن أستخلف ، وإن الله لم يكن ليضيع دينه ولا خلافته ؛ فإن عجل بي أمر . . فإلخلفة شورى بين هؤلاء الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راضٍ) أخرجه الحاكم^(٢) .

[قصة غلام المغيرة واستشهاد سيدنا عمر]

وقال الزهري : (كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لسبي قد احتلم في دخول المدينة ، حتى كتب المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يذكر له غلاماً عنده صنعا ، ويستأذنه أن يدخله المدينة ، ويقول : إن عنده أعمالاً كثيرة فيها منافع للناس ؛ إنه حداد نقاش نجار ، فأذن له أن يرسل به إليه ، وضرب عليه المغيرة مئة درهم في الشهر .

فجاء إلى عمر يشتكي شدة الخراج ، فقال : ما خراجك بكثير ، فانصرف ساخطاً يتذمر ، فلبث عمر ليالي ، ثم دعاه فقال : ألم أخبر أنك تقول : لو أشاء . . لصنعت رحى تطحن بالريح ، فالتفت إلى عمر عابساً وقال : لأصنعن لك رحى يتحدث الناس بها .

فلما ولى . . قال عمر لأصحابه : أوعدني العبد أنفاً ، ثم اشتمل أبو لؤلؤة على خنجر ذي رأسين نصابه في وسطه ، فكمن في زاوية من زوايا المسجد في الغلس ، فلم يزل هناك حتى خرج عمر يوقظ الناس للصلاة ، فلما دنا منه . . طعنه ثلاث طعنات) أخرجه ابن سعد^(٣) .

(١) صحيح البخاري (١٨٩٠) .

(٢) مستدرک الحاكم (٩٠/٣ - ٩١) مختصراً ، وهو عند مسلم (٥٦٧) بتمامه ، وانظر « الصواعق المحرقة » (٣٠٣/١ - ٣٠٤) .

(٣) الطبقات الكبرى (٣٢٠/٣) .

وقال عمرو بن ميمون الأودي : (إن أبا لؤلؤة عبد المغيرة طعن عمر بخنجر له رأسان ، وطعن معه اثني عشر رجلاً ؛ مات منهم ستة ، فألقى عليه رجل من أهل العراق ثوباً ، فلما اغتم فيه . . قتل نفسه)^(١) .

وقال أبو رافع : (كان أبو لؤلؤة عبداً للمغيرة يصنع الأرحاء ، وكان المغيرة يستغله كل يوم أربعة دراهم ، فلقي عمر فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن المغيرة قد أثقل عليّ ، فكلّمه .

فقال : أحسن إلى مولاك - ومن نية عمر : أن يكلم المغيرة فيه - فغضب وقال : يسع الناس كلهم عدله غيري ، وأضمر قتله ، واتخذ خنجراً وشحذه وسمّه .

وكان عمر يقول : أقيموا صفوفكم قبل أن يكبر ، فجاء فقام حذاءه في الصف ، وضربه في كتفه وفي خاصرته ، فسقط عمر ، وطعن ثلاثة عشر رجلاً معه ، فمات منهم ستة ، وحُمل عمر إلى أهله ، وكادت الشمس تطلع ، فصلى عبد الرحمن بن عوف بالناس بأقصر سورتين ، وأُتي عمر بنبيذ فشربه ، فخرج من جرحه ، فلم يتيبن ، فسقوه لبناً فخرج من جرحه ، فقالوا : لا بأس عليك ، فقال : إن يكن بالقتل بأس . . فقد قتلت .

فجعل الناس يشنون عليه ويقولون : كنت وكنت ، فقال : أما والله ؛ وددت أني خرجت منها كفافاً ؛ لا علي ولا لي ، وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لي .

وأثنى عليه ابن عباس ، فقال : لو أن لي طلاع الأرض ذهباً . . لافتديت به من هول المُطلع ، وقد جعلتها شورى في : عثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ، وأمر صهيياً أن يصلي بالناس ، وأجل الستة ثلاثاً) أخرجه الحاكم^(٢) .

وقال ابن عباس : (كان أبو لؤلؤة مجوسياً) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠٨ / ٤٤) .

(٢) مستدرک الحاكم (٩١ / ٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧٧ - ٢٧٨) .

[وصايا سيدنا عمر رضي الله عنه]

وقال عمرو بن ميمون : (قال عمر : الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدّعي الإسلام ، ثم قال لابنه : يا عبد الله ؛ انظر ما عليّ من الدّين ، فحسبوه فوجدوه ستةً وثمانين ألفاً أو نحوها ، فقال : إن وقّى مال آل عمر . فأدّه من أموالهم ، وإلا . فاسأل في بني عدي ، فإن لم تفِ أموالهم . فاسأل في قریش ، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة فقل : يستأذن عمر أن يدفن مع صاحبيه ، فذهب إليها ، فقالت : كنت أريده - تعني المكان - لنفسي ، ولأوثرنه اليوم على نفسي ، فأتى عبد الله فقال : قد أذنت ، فحمد الله تعالى .

وقيل له : أوص يا أمير المؤمنين واستخلف ، قال : ما أرى أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض . . . فسمى الستة وقال : يشهد عبد الله بن عمر معهم وليس له من الأمر شيء ؛ فإن أصابت الإمرة سعداً . . فهو ذاك ، وإلا . . فليستعن به أيكم ما أمّر ؛ فإنني لم أعزله من عجز ولا خيانة .

ثم قال : أوصي الخليفة من بعدي بتقوى الله ، وأوصيه بالمهاجرين والأنصار ، وأوصيه بأهل الأمصار خيراً في مثل ذلك من الوصية .

فلما توفي . . خرجنا به نمشي ، فسلم عبد الله بن عمر وقال : عمر يستأذن ، فقالت عائشة : أدخلوه ، فأدخل فوُضِعَ هناك مع صاحبيه ، فلما فرغوا من دفنه ورجعوا . . اجتمع هؤلاء الرهط ، فقال عبد الرحمن بن عوف : اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم ، فقال الزبير : قد جعلت أمري إلى علي ، وقال سعد : قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن ، وقال طلحة : قد جعلت أمري إلى عثمان .

قال : فخلا هؤلاء الثلاثة ، فقال عبد الرحمن : أنا لا أريدها ، فأيكما يبرأ من هذا الأمر ونجعله إليه والله عليه والإسلام . . لينظرون أفضلهم في نفسه ، وليحرصن على صلاح الأمة ، فسكت الشيخان علي وعثمان .

فقال عبد الرحمن : اجعلوه إليّ والله عليّ ؛ لا ألوكم عن أفضلكم ؟

قالا : نعم ، فخلا بعلي وقال : لك من القدم في الإسلام والقراة من

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت ، الله عليك لئن أمرتك . . لتعدلن ، ولئن أمرت عليك . . لتسمعن ولتطيعن ؟ قال : نعم ، ثم خلا بالآخر فقال له كذلك ، فلما أخذ ميثاقهما . . بايع عثمان ، وبايعه علي (١) .

وفي « مسند أحمد » عن عمر أنه قال : إن أدركني أجلي وأبو عبيدة ابن الجراح حي . . استخلفته ؛ فإن سألتني ربي : لِمَ استخلفته ؟ قلت : سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ أَمِينًا ، وَأَمِينِي أَبُو عُبَيْدَةَ ابْنُ الْجَرَّاحِ » فَإِنْ أَدْرَكَنِي أَجْلِي وَقَدْ تَوَفَّى أَبُو عُبَيْدَةَ . . استخلفت معاذ بن جبل ؛ فإن سألتني ربي : لِمَ استخلفته ؟ قلت : سمعت رسولك صلى الله عليه وسلم يقول : « إِنَّهُ يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيِ الْعُلَمَاءِ نَبَذَةً » (٢) ، وقد ماتا في خلافته .

وفي « المسند » أيضاً عن أبي رافع : أنه قيل لعمر عند موته في الاستخلاف فقال : (قد رأيت من أصحابي حرصاً سيئاً ، ولو أدركني أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه . . لو ثقّ به : سالم مولى أبي حذيفة ، وأبو عبيدة ابن الجراح) (٣) .

[موته ، ومن صلى عليه ، ونقش خاتمه]

أصيب عمر يوم الأربعاء ، لأربع بقين من ذي الحجة ، ودفن يوم الأحد مستهل المحرم ، وله ثلاث وستون سنة ، وقيل : ست وستون سنة ، وقيل : إحدى وستون ، وقيل : ستون ، ورجحه الواقدي ، وقيل : تسع وخمسون ، وقيل : خمس أو أربع وخمسون ، وصلى عليه صهيب في المسجد .

وفي « تهذيب المزي » : (كان نقش خاتم عمر : كفى بالموت واعظاً) (٤) .

(١) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣١٢/٣ - ٣١٥) ، واللفظ من « تاريخ الإسلام » (٣/٢٧٨ - ٢٧٩) .

(٢) مسند أحمد (١٨/١) .

(٣) مسند أحمد (٢٠/١) .

(٤) تهذيب الكمال (٣٢٣/٢١) .

وأخرج الطبراني عن طارق بن شهاب قال : قالت أم أيمن يوم قتل عمر :
(اليوم وَهَى الإسلام)^(١) .

وأخرج عن عبد الرحمن بن يسار قال : (شهدت موت عمر بن الخطاب ،
فانكسفت الشمس يومئذ) ، رجاله ثقات^(٢) .

فَضَائِلُ

في أوليات عمر

قال العسكري : (هو أول من سمي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ
من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سَنَ قيام شهر رمضان ، وأول
من عَسَّ بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر
ثمانين ، وأول من حرم المتعة ، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من
جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، وأول من اتخذ الديوان ، وأول
من فتح الفتوح ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر في بحر أيلة إلى
المدينة ، وأول من احتبس صدقة في الإسلام ، وأول من أعال الفرائض ، وأول
من أخذ زكاة الخيل^(٣)) ، وأول من قال : « أطال الله بقاءك » قاله لعلي ، وأول من
قال : « أَيَّدَكَ الله » ، قاله لعلي (هذا آخر ما ذكره العسكري)^(٤) .

وقال النووي في « تهذيبه » : (هو أول من اتخذ الدرة)^(٥) ، وكذا ذكره ابن
سعد في « الطبقات » قال : ولقد قيل بعده : لدرة عمر أهيب من سيفكم .

قال : (وهو أول من استقضى القضاة في الأمصار ، وأول من مصر
الأمصار : الكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومصر والموصل)^(٦) .

(١) المعجم الكبير (٨٦/٢٥) .

(٢) المعجم الكبير (٧١/١) .

(٣) الأوائل (ص ١٠٣-١٢٢) .

(٤) الأوائل (ص ٢٩٥-٢٩٨) .

(٥) تهذيب الأسماء واللغات (٣٠/٢) .

(٦) الطبقات الكبرى (٢٦٢/٣-٢٦٣) .

وأخرج ابن عساكر عن إسماعيل بن زياد قال : مر علي بن أبي طالب على المساجد في رمضان وفيها القناديل فقال : (نَوَّرَ اللهُ على عمر في قبره كما نَوَّرَ علينا مساجدنا) (١) .

فَضَائِلُ

[في أعماله رضي الله عنه]

قال ابن سعد : (اتخذ عمر دار الدقيق ، فجعل فيها الدقيق والسويق ، والتمر والزبيب ، وما يحتاج إليه ؛ يعين به المنقطع ، ووضع فيما بين مكة والمدينة بالطريق ما يصلح من ينقطع به ، وهدم المسجد النبوي وزاد فيه ، ووسعه وفرشه بالحصباء ، وهو الذي أخرج اليهود من الحجاز إلى الشام ، وأخرج أهل نجران إلى الكوفة ، وهو الذي أخرج مقام إبراهيم إلى موضعه اليوم وكان ملصقاً بالبيت) (٢) .

فَضَائِلُ

[في نُبذ من أخباره وقضياه]

[من سماه أمير المؤمنين رضي الله عنه]

أخرج البخاري في « الأدب » ، والعسكري في « الأوائل » ، والطبراني في « الكبير » ، والحاكم من طريق ابن شهاب : أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر بن سليمان بن أبي حثمة : لأي شيء كان يكتب : من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد أبي بكر ، ثم كان عمر كتب أولاً من خليفة أبي بكر ، فَمَنْ أَوَّلُ من كتب : من أمير المؤمنين ؟

فقال : حدثني الشَّفاء - وكانت من المهاجرات - : أن أبا بكر كان يكتب : من خليفة رسول الله ، وعمر : من خليفة خليفة رسول الله ، حتى كتب عمر إلى

(١) تاريخ دمشق (٢٨٠/٤٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٢٦٣-٢٦٤) .

عامل العراق : أن يبعث إليه رجلين جليدين يسألهما عن العراق وأهله ، فبعث إليه : لبيد بن ربيعة ، وعدي بن حاتم ، فقدمتا المدينة ودخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاصي ، فقالا : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال عمرو : أنتما والله أصبتما اسمه ، فدخل عليه عمرو فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال : ما بدا لك في هذا الاسم ؟ لتخرجن مما قلت ، فأخبره وقال : أنت الأمير ، ونحن المؤمنون ، فجرى الكتاب بذلك من يومئذ (١) .

وقال النووي في « تهذيبه » : (سماه بهذا الاسم : عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين وفدا إليه من العراق ، وقيل : سماه به المغيرة بن شعبة ، وقيل : إن عمر قال للناس : « أنتم المؤمنون وأنا أميركم » فسُمِّي أمير المؤمنين ، وكان قبل ذلك يقال له : خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعدلوا عن تلك العبارة لطولها) (٢) .

وأخرج ابن عساكر عن معاوية بن قُرّة قال : (كان يكتب : من أبي بكر خليفة رسول الله ، فلما كان عمر بن الخطاب . . أرادوا أن يقولوا : خليفة خليفة رسول الله ، قال عمر : هذا يطول : قالوا : لا ؛ ولكننا أمَرناك علينا فأنت أميرنا ، قال : نعم ، أنتم المؤمنون وأنا أميركم ، فكتب : أمير المؤمنين) (٣) .

وأخرج البخاري في « تاريخه » عن ابن المسيب قال : (أول من كتب التاريخ : عمر بن الخطاب لسنتين ونصف من خلافته ، فكتب لست عشرة من الهجرة بمشورة علي) (٤) .

وأخرج السلفي في « الطيوريات » بسند صحيح عن ابن عمر ، عن عمر : أنه أراد أن يكتب السنن ، فاستخار الله شهراً ، فأصبح وقد عزم له ، ثم قال : (إني

(١) الأدب المفرد (١٠٢٣) ، والأوائل (ص ١٠٣ - ١٠٤) ، والمعجم الكبير (٦٤ / ١) ، ومستدرک الحاكم (٨١ / ٣ - ٨٢) .

(٢) تهذيب الأسماء واللغات (٢٦ / ٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٩٧ / ٣٠) .

(٤) التاريخ الكبير (٩ / ١) .

ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتاباً ، فأقبلوا عليه وتركوا كتاب الله (١) .

وأخرج ابن سعد عن شداد قال : كان أول كلام تكلم به عمر حين صعد المنبر أن قال : (اللهم ؛ إني شديد فليني ، وإني ضعيف فقوني ، وإني بخيل فسخني) (٢) .

وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر أنه قال : (إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم من ماله ؛ إن أيسرت . . استعفت ، وإن افتقرت . . أكلت بالمعروف ؛ فإن أيسرت . . قضيت) (٣) .

وأخرج ابن سعد عن عمران : (أن عمر بن الخطاب كان إذا احتاج . . أتى صاحب بيت المال فاستقرضه ، فربما أعسر ، فيأتيه صاحب بيت المال يتقاضاه فيلزمه ، فيحتال له عمر ، وربما خرج عطاؤه فقضاه) (٤) .

وأخرج ابن سعد عن ابن للبراء بن معرور : أن عمر خرج يوماً حتى أتى المنبر وكان قد اشتكى شكوى ، فنُعت له العسل وفي بيت المال عُكَّة فقال : (إن أذنتم لي فيها . . أخذتها ، وإلا . . فهي عليّ حرام) فأذنوا له (٥) .

وأخرج عن سالم بن عبد الله : (أن عمر كان يدخل يده في دُبْرَةِ البعير ويقول : إني لخائف أن أسأل عما بك) (٦) .

وأخرج عن ابن عمر قال : (كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء . . تقدم إلى أهله ، فقال : لا أعلمنَّ أحداً وقع في شيء مما نهيت عنه . . إلا أضعفت عليه العقوبة) (٧) .

وروينا من غير وجه : أن عمر بن الخطاب خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة

(١) أخرجه الخطيب في « تقييد العلم » (ص ٤٩ - ٥٠) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٥٥ / ٣) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٥٦ / ٣) .

(٤) الطبقات الكبرى (٢٥٧ / ٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (٢٥٧ / ٣) .

(٦) الطبقات الكبرى (٢٦٧ / ٣) ، والدبرة : جراحة تحدث للبعير من الرحل أو غيره .

(٧) الطبقات الكبرى (٢٦٩ / ٣) .

وكان يفعل ذلك كثيراً ؛ إذ مر بامرأة من نساء العرب مُغلَقاً عليها بابها وهي تقول :

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ تَسْرِي كَوَاكِبُهُ وَأَرْقَنِي أَنْ لَا ضَجِيعَ أَلَا عُبُهُ
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ تُخْشَى عَوَاقِبُهُ لَزَعَزَعَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ
وَلَكِنِّي أَخْشَى رَقِيماً مُوَكَّلاً بِأَنْفُسِنَا لَا يَفْتَرُ الدَّهْرُ كَاتِبُهُ
مَخَافَةُ رَبِّي وَالْحَيَاءُ يَصُدُّنِي وَأَكْرِمُ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَائِبُهُ
فكتب إلى عماله بالغزو : (ألا يجمر أحد أكثر من أربعة أشهر)^(١) .

[الفرق بين الخليفة والملك]

وأخرج ابن سعد عن زاذان ، عن سلمان : (أن عمر قال له : أملك أنا أم خليفة ؟ فقال له سلمان : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ، ثم وضعته في غير حقه . فأنت ملك غير خليفة ، فاستعبر عمر)^(٢) .
وأخرج عن سفيان بن أبي العوجاء^(٣) قال : قال عمر بن الخطاب : (والله ؛ ما أدري أخليفة أنا أم ملك ؛ فإن كنت ملكاً . فهذا أمر عظيم) .
فقال قائل : يا أمير المؤمنين ؛ إن بينهما فرقاً ، قال : (ما هو ؟) ، قال :
الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ، ولا يضعه إلا في حق ، وأنت بحمد الله كذلك ،
والملك يعسف الناس ؛ فيأخذ من هذا ويعطي هذا ، فسكت عمر^(٤) .
وأخرج عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (ركب عمر فرساً فانكشف ثوبه
عن فخذه ، فرأى أهل نجران بفخذه شامة سوداء ، فقالوا : هذا الذي نجد في
كتابنا أنه يخرجنا من أرضنا)^(٥) .

(١) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٢٥٩٣) ، وسعيد بن منصور في « السنن » (٢٤٦٣) ، وابن أبي الدنيا في « العيال » (٤٩٤) ، والبيهقي في « الكبرى » (٢٩/٩) ، بالفاظ مختلفة ، والتجوير : أن يجمع الغزاة في الثغر ولا يؤذن لهم في القفول إلى أهاليهم .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٨٥ / ٣) .

(٣) في النسخ : (العرجاء) ، والتصويب من المصادر .

(٤) الطبقات الكبرى (٢٨٥ / ٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣٠٣ / ٣) .

وأخرج عن سعد الجاري : أن كعب الأحبار قال لعمر : (إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها ، فإذا مت . . لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة)^(١) .

وأخرج عن أبي معشر قال : حدثنا أشياخنا : أن عمر قال : (إن هذا الأمر لا يصلح إلا بالشدّة التي لا جبرية فيها ، وباللين الذي لا وهن فيه)^(٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن حكيم بن عمير قال : كتب عمر بن الخطاب : (ألا لا يجلدن أمير جيش ولا سرية أحداً الحد حتى يطلع الدرب ؛ لئلا تحمله حمية الشيطان أن يلحق بالكفار)^(٣) .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن الشعبي قال : (كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب : إن رسلي أتتني من قبلك ، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليقة بشيء من الخير^(٤) ، تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تشقق مثل اللؤلؤ ، ثم تخضر فتكون مثل الزمرد الأخضر ، ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ، ثم تينع فتتضج فتكون كأطيب فالودج أكل ، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم ، وزاداً للمسافر ، فإن تكن رسلي صدقتني . . فلا أدري هذه الشجرة إلا من شجر الجنة .

فكتب إليه عمر : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم ، إن رسلك قد صدقوك ، هذه الشجرة عندنا هي الشجرة التي أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها ، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلهاً من دون الله ؛ فإن ﴿ مَثَلْ عَيْسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقُوهٖ مِنْ تُرَابٍ . . . ﴾ (الآية)^(٥) .

[سياسته رضي الله عنه مع عماله وأمرائه]

وأخرج ابن سعد عن ابن عمر : (أن عمر أمر عمّاله فكتبوا أموالهم ؛ منهم

(١) الطبقات الكبرى (٣/٣٠٧-٣٠٨) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٣١٩) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٦٤) .

(٤) في (أ ، ج) : (الشجر) .

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٧٢٢) .

سعد بن أبي وقاص ، فشاطرهم عمر أموالهم ؛ فأخذ نصفاً ، وأعطاهم نصفاً (١) .

وأخرج عن الشعبي : (أن عمر كان إذا استعمل عاملاً . . كتب ماله) (٢) .

وأخرج عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف قال : (مكث عمر زماناً لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة ، فأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم فقال : قد شغلت نفسي في هذا الأمر ، فما يصلح لي منه ؟ فقال علي : غداء وعشاء ، فأخذ بذلك عمر) (٣) .

وأخرج عن ابن عمر : (أن عمر أنفق في حجته ستة عشر ديناراً ، فقال : يا عبد الله ؛ أسرفنا في هذا المال) (٤) .

[امرأة تشكو زوجها]

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن قتادة والشعبي قال : (جاءت عمرَ امرأةٌ فقالت : زوجي يقوم الليل ويصوم النهار ، فقال عمر : لقد أحسنتِ الثناء على زوجك ، فقال كعب بن سور : لقد شكت ، فقال عمر : كيف ؟ قال : تزعم أنه ليس لها من زوجها نصيب ، قال : فإذا قد فهمت ذلك . . فاقض بينهما ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أحل الله له من النساء أربعاً ؛ فلها من كل أربعة أيام يوم ، ومن كل أربع ليال ليلة) (٥) .

[قصة المرأة التي تأخر عنها زوجها]

وأخرج عن ابن جريج قال : (أخبرني مَنْ أصدّق : أن عمر بينا هو يطوف
سمع امرأة تقول :

[من الطويل]

تَطَاوَلْ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهُ وَأَرَقْنِي أَنْ لَا حَيْبَ إِلَّا عَيْبُهُ

(١) الطبقات الكبرى (٢٨٦/٣) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٨٦/٣) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٨٦/٣) .

(٤) الطبقات الكبرى (٢٨٧/٣) .

(٥) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٨٧) عن الشعبي ، و (١٢٥٨٨) عن قتادة .

فلولا حذارُ الله لا شيءَ مثله لززعَ من هذا السريرِ جَوَانِبُهُ

فقال عمر : وما لكِ ؟ قالت : أغربت زوجي منذ أشهر ، وقد اشتقت إليه ، قال : أردتِ سوءاً ؟ قالت : معاذ الله ، قال : فاملكي عليك نفسك ، فإنما هو البريد إليه ، فبعث إليه ، ثم دخل على حفصة فقال : إني سائلُك عن أمرٍ قد أهمني فأفرجيه عني ؛ في كم تشتاق المرأةُ إلى زوجها ؟ فخفضت رأسها واستحييت ، قال : فإن الله لا يستحيي من الحق ، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر ؛ وإلا . . فأربعة أشهر ، فكتب عمر : ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر (١) .

[رجل يشكو لسيدنا عمر رضي الله عنه ما يلقي من النساء]

وأخرج عن جابر بن عبد الله : أنه جاء إلى عمر يشكو إليه ما يلقي من النساء ، فقال عمر : (إنا لنجد ذلك ؛ حتى إني لأريد الحاجة فتقول لي : ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن ، فقال له عبد الله بن مسعود : أما بلغك أن إبراهيم عليه السلام شكا إلى الله خلق سارة ، فقيل له : إنها خلقت من ضلع ، فالبسها على ما كان فيها ، ما لم تر عليها خربة في دينها ؟ !) (٢) .

وأخرج عن عكرمة بن خالد قال : (دخل ابنُ لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثياباً حسناً ، فضربه عمر بالدرة حتى أبكاه ، فقالت له حفصة : لم ضربته ؟ قال : رأيته قد أعجبته نفسه ، فأحببت أن أصغرها إليه) (٣) .

وأخرج عن معمر ، عن ليث بن أبي سليم : أن عمر بن الخطاب قال : (لا تسموا الحكم ولا أبا الحكم ؛ فإن الله هو الحكم ، ولا تسموا الطريق السكة) (٤) .

وأخرج البيهقي في « شعب الإيمان » عن الضحاك قال : قال أبو بكر :

(١) مصنف عبد الرزاق (١٢٥٩٣) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٣٢٧٢) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٩٥٤٨) .

(٤) مصنف عبد الرزاق (١٩٨٥٩) ، وقد قيل : إنه لا سكة إلا سكك الجنة .

(والله ؛ لوددت أنني كنت شجرة إلى جانب الطريق ، فمر عليّ بعير فأخذني ، فأدخلني فاه ، فلاكني ثم ازدردني ، ثم أخرجني بعراً ولم أكن بشراً) ، فقال عمر : (يا ليتني كنت كبش أهلي ، سمّوني ما بدا لهم ، حتى إذا كنت كأسمن ما يكون . . زارهم بعض من يحبون ، فذبحوني لهم ، فجعلوا بعضي شواء ، وبعضي قديداً ، ثم أكلوني ولم أكن بشراً)^(١) .

[انزل عن منبر أبي]

وأخرج ابن عساكر عن أبي البَخْتَرِي قال : (كان عمر بن الخطاب يخطب على المنبر ، فقام إليه الحسين بن علي فقال : انزل عن منبر أبي ، فقال عمر : منبر أبيك لا منبر أبي ، من أمرك بهذا ؟ فقام علي ، فقال : ما أمره بهذا أحد ، أما لأوجعك يا غُدر ، فقال : لا توجع ابن أخي فقد صدق : منبر أبيه) ، إسناده صحيح^(٢) .

وأخرج الخطيب في « الرواة عن مالك » من طريقه عن ابن شهاب ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب : (أن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كانا يتنازعا في المسألة بينهما حتى يقول الناظر إليهما : لا يجتمعان أبداً ، فما يفترقان إلا علي أحسنه وأجمله)^(٣) .

وأخرج^(٤) ابن سعد عن الحسن قال : أول خطبة خطبها عمر : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد : فقد ابتليت بكم وابتليت بي ، وخلفت فيكم بعد صاحبي ، فمن كان بحضرتنا . . باشرناه بأنفسنا ، ومن غاب عنا . . ولَّيناه أهل القوة والأمانة ، فمن يحسن . . نزده حسناً ، ومن يسيء . . نعاقبه ، ويغفر الله لنا ولكم)^(٥) .

(١) شعب الإيمان (٧٨٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠٧/٣٠) ، وأبو البختري : هو سعيد بن فيروز .

(٣) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٩٥١٣) وعزاه للخطيب في « رواة مالك » .

(٤) من هنا بدأ السقط في (د ، هـ) .

(٥) الطبقات الكبرى (٢٥٥/٣) .

[إنشأؤه للديوان رضي الله عنه]

وأخرج عن جُبَيْر بن الحُوَيْرِث : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان ، فقال له علي : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئاً .

وقال عثمان : أرى مالاً كثيراً يسع الناس ، وإن لم يحصوا حتى تعرف من أخذ ممن لم يأخذ . خشيت أن ينتشر الأمر .

فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة : يا أمير المؤمنين ؛ قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دُونُوا ديواناً ، وجندوا جنوداً ، فدَوَّنْ ديواناً وجنّد جنوداً .

فأخذ بقوله ، فدعا عَقِيل بن أَبِي طالب ، ومَخْرمة بن نوفل ، وجُبَيْر بن مطعم - وكانوا من نَسَاب قريش - فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا فبدؤوا ببني هاشم ، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه ، ثم عمر وقومه على الخلافة ، فلما نظر فيه عمر . . قال : ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الأقرب فالأقرب ، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله)^(١) .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : (دَوَّن عمر الديوان في المحرم سنة عشرين)^(٢) .

وأخرج عن الحسن قال : (كتب عمر إلى حذيفة : أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم ، فكتب إليه : إنا قد فعلنا وبقي شيء كثير ، فكتب إليه عمر : إنه فيئهم الذي أفاء الله عليهم ، ليس هو لعمر ولا لآل عمر ، اقسمه بينهم)^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن جبیر بن مطعم قال : (بينما عمر واقف على جبال عرفة . . سمع رجلاً يصرخ يقول : يا خليفة يا خليفة ، فسمعه رجل آخر وهم يعتافون ، فقال : ما لك فك الله لهواتك ؟ فأقبلتُ على الرجل فصحتُ عليه .

قال جبیر : فإني الغد واقف مع عمر على العقبة يرميها ؛ إذ جاءت حصاة

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٥) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٦) .

(٣) الطبقات الكبرى (٣ / ٢٧٨-٢٧٩) ، وإلى هنا ينتهي السقط في (د ، هـ) .

عائرة^(١) فنفت رأس عمر ففصدت ، فسمعت رجلاً من الجبل يقول : أُشِعِرْتُ ورب الكعبة ، لا يقف عمر هذا الموقف بعد العام أبداً . قال جبير : فإذا هو الذي صرخ فينا بالأمس ، فاشتد ذلك علي^(٢) .

[نعي الجن لسيدنا عمر رضي الله عنه]

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما كان آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين إذ صَدَرْنَا عن عرفة . . مررت بالمَحْصَب ، فسمعت رجلاً على راحلته يقول : أين كان عمر أمير المؤمنين ؟ فسمعت رجلاً آخر يقول : ههنا كان أمير المؤمنين ، فأناخ راحلته ثم رفع عقيرته فقال : [من الطويل]

عليكَ سَلامٌ من إمامٍ وبارَكَتْ يدُ الله في ذاك الأديم الممزَّقِ
فَمَنْ يَسعَ أو يَرْكبَ جَنَاحِي نِعامٍ لِيُدرِكَ ما قَدَّمْتَ بالأمسِ يُسَبِّقِ
قَضَيْتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها بوائِقَ في أكمامها لم تُفَتِّقِ

فلم يحرك ذاك الراكب ولم يدر من هو ، فكنا نتحدث أنه من الجن ، فقدم عمر من تلك الحجة ، فطعن فمات^(٣) .

وأخرج عن عبد الرحمن بن أبزى ، عن عمر أنه قال : (هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد ، ثم في أهل أحد ما بقي منهم أحد ، وفي كذا وكذا ، وليس فيها لطيق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء)^(٤) .

وأخرج عن النخعي : أن رجلاً قال لعمر : ألا تستخلف عبد الله بن عمر ؟ فقال : (قاتلك الله !! والله ؛ ما أردت الله بهذا ، أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته !؟)^(٥) .

(١) في غير (د) : (غائرة) ، والعائرة : التي لا يعرف لها رام .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٣٠٨-٣٠٩) ، ويعتافون : يقومون بالعيافة ، وهي زجر الطير .

(٣) الطبقات الكبرى (٣/٣٠٩) ونسبت هذه الأبيات للشماخ وغيره ، انظر « ديوان الشماخ » (٤٤٨-٤٤٩) ، وانظر تخريجها فيه .

(٤) الطبقات الكبرى (٣/٣١٧) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣/٣١٨) .

وأخرج عن شداد بن أوس ، عن كعب قال : (كان في بني إسرائيل ملك إذا ذكرناه . . ذكرنا عمر ، وإذا ذكرنا عمر . . ذكرناه ، وكان إلى جنبه نبي يوحى إليه ، فأوحى الله إلى النبي أن يقول له : اعهد عهدك واكتب إليّ وصيتك ؛ فإنك ميت إلى ثلاثة أيام ، فأخبره النبي بذلك ، فلما كان اليوم الثالث . . وقع بين الجذر وبين السرير ، ثم جأر إلى ربه ، فقال : اللهم ؛ إن كنت تعلم أنني كنت أعدل في الحكم ، وإذا اختلفت الأمور . . اتبعت هداك ، وكنت وكنت . . فزد في عمري حتى يكبر طفلي ، وتربو أمتي ، فأوحى الله إلى النبي : أنه قد قال كذا وكذا وقد صدق ، وقد زدته في عمره خمس عشرة سنة ، ففي ذلك ما يكبر طفله وتربو أمته ، فلما طعن عمر . . قال كعب : لئن سأل عمر ربه . . ليبينه الله ، فأخبر بذلك عمر فقال : اللهم ؛ اقبضني إليك غير عاجز ولا ملوم (١) .

وأخرج عن سليمان بن يسار : (أن الجن ناحت على عمر) (٢) .

وأخرج الحاكم عن مالك بن دينار قال : سُمع صوت بجبل تبالة حين قُتل عمر رضي الله عنه :

لَيْبِكَ عَلَى الْإِسْلَامِ مَنْ كَانَ بَاكِياً فَقَدْ أَوْشَكُوا صَرَغِي وَمَا قَدَّمَ الْعَهْدُ
وَأَدْبَرَتِ الدُّنْيَا وَأَدْبَرَ خَيْرُهَا وَقَدْ مَلَّهَا مَنْ كَانَ يَوْقُنُ بِالْوَعْدِ (٣)

وأخرج ابن أبي الدنيا عن يحيى بن أبي راشد البصري قال : قال عمر لابنه : (اقصدوا في كفني ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير . . أبدلني ما هو خير منه ، وإن كنت على غير ذلك . . سلّبي فأسرع سلّبي ، واقصدوا في حفرتي ؛ فإنه إن كان لي عند الله خير . . أوسع لي فيها مد بصري ، وإن كنت على غير ذلك . . ضيقها عليّ حتى تختلف أضلاعي ، ولا تخرج معي امرأة ، ولا تزكوني بما ليس فيّ ؛ فإن الله هو أعلم بي ، فإذا خرجتم . . فأسرعوا بي المشي ؛ فإنه إن كان لي عند الله

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٢٨) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٤٧) .

(٣) مستدرک الحاكم (٣/ ٩٤) ، وفي الشعر إقواء .

خير.. قدمتموني إلى ما هو خير لي ، وإن كنت على غير ذلك.. ألقيتم عن رقابكم شرّاً تحملونه (١) .

فَصْنَعُ

[في رؤية سيدنا عمر رضي الله عنه في المنام]

أخرج ابن عساكر عن ابن عباس : أن العباس قال : (سألت الله حولاً بعدما مات عمر أن يُرينيه في المنام ، فرأيتُه بعد حول وهو يسלט العرق عن جبينه ، فقلت : بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ؛ ما شأنك ؟ فقال : هذا أوان فرغت ، وإن كاد عرش عمر ليهد لولا أنني لقيت رؤوفاً رحيماً) (٢) .

وأخرج أيضاً عن زيد بن أسلم : (أن عبد الله بن عمرو بن العاصي رأى عمر في المنام فقال له : كيف صنعت ؟ قال : متى فارقتمكم ؟ قال : منذ اثنتي عشرة سنة ، قال : إنما انفلتُ الآن من الحساب) (٣) .

وأخرج ابن سعد عن سالم بن عبد الله بن عمر قال : سمعت رجلاً من الأنصار يقول : (دعوت الله أن يريني عمر في النوم ، فرأيتُه بعد عشر سنين وهو يمسخ العرق عن جبينه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما فعلت ؟ قال : الآن فرغت ، ولولا رحمة ربي.. لهلك) (٤) .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : رثت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل عمرَ رضي الله عنه ، فقالت :

عَيْنُ جُودِي بَعْبُرة وَنَحِيبِ	لَا تَمَلِّي عَلَى الْإِمَامِ الصَّلِيبِ
فَجَعَلْتَنِي الْمَنُونِ بِالْفَارِسِ الْمَعِ	لَمْ يَوْمَ الْهَيَاجِ وَالتَّأْنِيبِ
عَصْمَةُ الدِّينِ وَالْمُعِينِ عَلَى الدَّهْرِ	رَوْغِيثُ الْمَلْهُوفِ وَالْمَكْرُوبِ

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤٦/٤٤) من طريق ابن أبي الدنيا ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٠٣٥) وعزاه لابن أبي الدنيا في « القبور » .

(٢) تاريخ دمشق (٤٨٢/٤٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٨٣/٤٤) .

(٤) الطبقات الكبرى (٣٤٩/٣) .

قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَاءِ وَالْبُؤْسِ مَوْتُوا إِذْ سَقَتْنَا الْمَنُونَ كَأَسْ شَعُوبٍ^(١)

فَضْلًا

[فِيمَنْ مَاتَ فِي عَهْدِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

مَاتَ فِي أَيَّامِ عَمْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْأَعْلَامِ : عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، وَالْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ ، وَقَيْسُ بْنُ السَّكَنِ ، وَأَبُو قَحَافَةَ وَالِدُ الصَّدِيقِ ، وَسَعْدُ بْنُ عِبَادَةَ ، وَسَهِيلُ بْنُ عَمْرٍو ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومِ الْمُؤَذِّنِ ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ أَخُو الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ ، وَقَيْسُ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ أَحَدُ مَنْ جُمِعَ الْقُرْآنُ ، وَنُوفَلُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَخُوهُ أَبُو سَفْيَانَ ، وَمَارِيَةُ أُمُّ السَّيِّدِ إِبْرَاهِيمَ ، وَأَبُو عَبِيدَةَ ابْنُ الْجِرَاحِ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، وَشُرْحَبِيلُ ابْنُ حَسَنَةَ ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ ، وَأَبُو جَنْدَلُ بْنُ سَهِيلٍ ، وَأَبُو مَالِكِ الْأَشْعَرِيُّ ، وَصَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِّ ، وَأَبِي بْنُ كَعْبٍ ، وَبِلَالُ الْمُؤَذِّنِ ، وَأُسَيْدُ بْنُ الْحُضَيْرِ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَالِكِ أَخُو أَنْسٍ ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَعِيَاضُ بْنُ غُنَمٍ ، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيَّهَانِ ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَالْجَارُودُ سَيِّدُ بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ مُقَرَّرٍ ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ، وَالْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، وَسُودَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، وَعُثَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ ، وَغِيلَانُ الثَّقَفِيِّ ، وَأَبُو مُحَجَّجِ الثَّقَفِيِّ ، وَخَلَّاقُ آخَرُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

(١) مستدرک الحاكم (٩٤ / ٣) .

خليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان

رضي الله عنه

[٢٣-٣٥هـ] (١)

عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الأموي ، أبو عمرو ، ويقال : أبو عبد الله ، وأبو ليلى .

ولد في السنة السادسة من الفيل ، وأسلم قديماً ؛ وهو ممن دعاه الصديق إلى الإسلام ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة الأولى والثانية .

وتزوج رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ، وماتت عنده في ليالي غزوة بدر ، فتأخر عن بدر لتمريضها بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب له بسهمه وأجره ، فهو معدود في البدرين بذلك .

وجاء البشير بنصر المسلمين ببدر يوم دفنوها بالمدينة (٢) ، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها أختها أم كلثوم ، وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة .

قال العلماء : ولا يُعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ؛ ولذلك سمي : ذا النورين ، فهو من السابقين الأولين ، وأول المهاجرين ، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، وأحد الصحابة الذين جمعوا القرآن ، بل قال ابن عباد : (لم يجمع القرآن من الخلفاء : إلا هو والمأمون) (٣) .

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (٥٣/٣) ، و« تاريخ الطبري » (٢٤٢/٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣/٣٩) ، و« المنتظم » (٣٣٤/٤) ، و« أسد الغابة » (٥٨٤/٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦٧/٣) ، و« الإصابة » (٤٥٥/٢) .

(٢) انظر « الطبقات الكبرى » (٥٣/٣) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٩٠/١٠) ، ولا تعارض بين هذا القول وبين القول بأن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه هو أول من جمع القرآن ؛ لأن المراد : أن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن بين =

وقال ابن سعد : (استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان)^(١) .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث وستة وأربعون حديثاً .
روى عنه : زيد بن خالد الجهني ، وابن الزبير ، والسائب بن يزيد ،
وأنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، وسلمة بن الأكوع ، وأبو أمامة الباهلي ، وابن
عباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن مغفل ، وأبو قتادة ، وأبو هريرة ، وآخرون من
الصحابة رضي الله عنهم ، وخلائق من التابعين .

أخرج ابن سعد عن عبد الرحمن بن حاطب قال : (ما رأيت أحداً من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حدث أتم حديثاً ولا أحسن من
عثمان بن عفان ، إلا أنه كان رجلاً يهاب الحديث)^(٢) .

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : (كان أعلمهم بالمناسك : عثمان ،
وبعده ابن عمر)^(٣) .

[سبب تسميته بذئ النورين رضي الله عنه]

وأخرج البيهقي في « سننه » عن عبد الله بن عمر بن أبان الجعفي قال : (قال
لي خالي حسين الجعفي : تدري لِمَ سُمي عثمان ذا النورين ؟ قلت : لا ، قال :
لم يجمع بين ابنتي نبي منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة غير عثمان ؛ فلذلك
سمي ذا النورين)^(٤) .

وأخرج أبو نعيم عن الحسن قال : (إنما سمي عثمان ذا النورين ؛ لأنه
لا يعلم أحد أغلق بابه على ابنتي نبي غيره)^(٥) .

= لوحين ، ونسخه في قطع الأديم ، وأن سيدنا عثمان رضي الله عنه جمع المسلمين على ترتيب السور .

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٥٣) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٥٣-٥٤) .

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٥٧) .

(٤) السنن الكبرى (٧/ ٧٣) .

(٥) معرفة الصحابة (٢٣٨) .

وأخرج ابن عساكر عن علي بن أبي طالب : أنه سئل عن عثمان فقال : (ذاك امرؤ يدعى في الملاء الأعلى ذا النورين ؛ كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه)^(١) .

وأخرج الماليني بسند فيه ضعف عن سهل بن سعد قال : (قيل لعثمان : ذو النورين ؛ لأنه ينتقل من منزل إلى منزل في الجنة ، فتبرق له برقتين ؛ فلذلك قيل له ذلك)^(٢) .

قال ابن سعد : (كان يكنى في الجاهلية : أبا عمرو ، فلما كان الإسلام .. ولدت له رقية عبد الله فاكتنى به)^(٣) .

وأمه : أروى بنت كُريز [بن ربيعة]^(٤) بن حبيب بن عبد شمس ، وأمها : أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم^(٥) ، توءمة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأم عثمان بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم^(٦) .

قال ابن إسحاق : (وكان أول الناس إسلاماً بعد أبي بكر ، وعلي ، وزيد بن حارثة)^(٧) .

[بعض صفاته الخلقية رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر من طرق : (أن عثمان كان رجلاً ربعة ؛ ليس بالقصير ولا بالطويل ، حسن الوجه ، أبيض مشرباً صفرة ، بوجهه نكتات جدري ، كبير اللحية ، عظيم الكراديس^(٨) ، بعيد ما بين المنكبين ، خذل الساقين^(٩) ، طويل

(١) تاريخ دمشق (٤٧/٣٩) من طريق خيشمة بن سليمان ، وأورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٦٩٨) ، وابن حجر في « الإصابة » (٤٥٥/٢) ، وعزواه إلى خيشمة في « فضائل الصحابة » .

(٢) انظر « فيض القدير » (٣٠٢/٤) .

(٣) الطبقات الكبرى (٥١/٣) .

(٤) ما بين معقوفين زيادة من « الطبقات » .

(٥) الطبقات الكبرى (٥١/٣) .

(٦) تاريخ دمشق (٦/٣٩) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٠/٣٩) من طريق ابن إسحاق .

(٨) الكراديس : رؤوس العظام ؛ أي : ضخمة الأعضاء .

(٩) الخذل : الممتلىء العظيم ؛ أي : عظيم الساقين .

الذراعين ، شعره قد كسا ذراعيه ، جعد الرأس ، أضلع^(١) ، أحسن الناس ثغراً ، جمته أسفل من أذنيه ، يخضب بالصفرة ، وكان قد شد أسنانه بالذهب^(٢) .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن حزم المازني قال : (رأيت عثمان بن عفان فما رأيت قط ذكراً ولا أنثى أحسن وجهاً منه)^(٣) .

وأخرج عن موسى بن طلحة قال : (كان عثمان بن عفان أجمل الناس)^(٤) .
وأخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصحفة فيها لحم ، فدخلت ؛ فإذا رقية رضي الله عنها جالسة ، فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ، ومرة أنظر إلى وجه عثمان ، فلما رجعت . . سألتني النبي صلى الله عليه وسلم قال لي : « دَخَلْتَ عليهما ؟ قلت : نعم ، قال : « فَهَلْ رَأَيْتَ زَوْجاً أَحْسَنَ مِنْهُمَا ؟ قلت : لا يا رسول الله »^(٥) .

وأخرج ابن سعد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي قال : (لما أسلم عثمان بن عفان . . أخذه عمه الحكم بن أبي العاصي بن أمية فأوثقه رباطاً ، وقال : ترغب عن ملة آبائك إلى دين محدث ؟ ! والله ؛ لا أحلك أبداً حتى تدع ما أنت عليه ، فقال عثمان : والله ؛ لا أدعه أبداً ولا أفارقه ، فلما رأى الحكم صلابته في دينه . . تركه)^(٦) .

وأخرج أبو يعلى عن أنس قال : أول من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بأهله : عثمان بن عفان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « صَحَبَهُمَا اللَّهُ ، إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ »^(٧) .

وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما زوج النبي صلى الله

(١) الأضلع : الشديد الغليظ .

(٢) تاريخ دمشق (١٢ / ٣٩ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) .

(٣) تاريخ دمشق (١٧ / ٣٩) ، وقال الطبراني (١ / ٧٦) : (وهذا كان قبل نزول الحجاب) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٣ / ٣٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٢١ / ٣٩) .

(٦) الطبقات الكبرى (٥٢ / ٣) .

(٧) مسند أبي يعلى ؛ كما في « إتحاف الخيرة المهرة » (٦٦٢٧) عن قتادة ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩ / ٣٠) من طريق أبي يعلى .

عليه وسلم بنته أم كلثوم لعثمان . . قال لها : « إِنَّ بَعْلَكَ أَشْبَهَ النَّاسِ بِجَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ وَأَبِيكَ مُحَمَّدٍ » (١) .

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّا نُشَبِّهُ عُثْمَانَ بِأَبِينَا إِبْرَاهِيمَ » (٢) .

فَضْلُهُ

في الأحاديث الواردة في فضله غير ما تقدم

أخرج الشيخان عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : « أَلَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحْيِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ ؟ ! » (٣) .

وأخرج البخاري عن أبي عبد الرحمن السلمي : أن عثمان حين حوَصِرَ أشرف عليهم فقال : أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ . . فله الجنة » فجهازتهم ؟ !

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حَفَرَ بَثْرَ رُومَةٍ . . فله الجنة » فحفرتها ؟ ! فصدقوه بما قال (٤) .

[ما ضَرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم]

وأخرج الترمذي عن عبد الرحمن بن حَبَّاب قال : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يَحْثُ عَلَى جَيْشِ الْعُسْرَةِ ، فقال عثمان بن عفان : يا رسول الله ؛ عَلَيَّ مِثْلُ بَعِيرٍ بِأَحْلَاسِهَا وَأَقْتَابِهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ثم حض على الجيش ، فقال

(١) الكامل (١٣٤/٥) .

(٢) الكامل (١٣٢/٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٢٨/٣٩) .

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠١) ، وهو من أفراد مسلم ، انظر « الجمع بين الصحيحين » (٣٤٠٤) ، وأخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٠٣) .

(٤) صحيح البخاري (٢٧٧٨) .

عثمان : يا رسول الله ؛ علي مئتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، ثم حض على الجيش ، فقال عثمان : يا رسول الله ؛ علي ثلاث مئة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول : « ما على عثمان ما عمل بعد هذه »^(١) .

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سُمرة قال : جاء عثمان إلى النبي صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها وهو يقول : « ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم » مرتين^(٢) .

وأخرج الترمذي عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان .. كان عثمان بن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ عثمانَ في حاجةِ الله وحاجةِ رسوله » فضرب بإحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم^(٣) .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال : « يقتل فيها هذا مظلوماً » لعثمان^(٤) .

وأخرج الترمذي ، والحاكم وصححه ، وابن ماجه عن مرة بن كعب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة فقربها ، فمر رجل مقنع في ثوب فقال : « هذا يومئذ على الهدى » فقامت إليه ؛ فإذا هو عثمان بن عفان ، فأقبلت إليه بوجهي فقلت : هذا ؟ قال : « نعم »^(٥) .

وأخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه

(١) سنن الترمذي (٣٧٠٠) ، والأحلاس : جمع جلس ، وهو كساء رقيق يجعل تحت البرذعة ، والأقتاب : جمع قتب ، وهو رحل صغير على قدر السنام .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٠١) ، ومستدرک الحاكم (١٠٢ / ٣) .

(٣) سنن الترمذي (٣٧٠٢) .

(٤) سنن الترمذي (٣٧٠٨) .

(٥) سنن الترمذي (٣٧٠٤) ، ومستدرک الحاكم (١٠٢ / ٣) ، وسنن ابن ماجه (١١١) .

وسلم قال : « يا عثمان ؛ إنه لعلَّ الله يُقَمِّصُكَ قَمِيصاً ، فَإِنْ أَرَادُوكَ عَلَى خَلْعِهِ . . فلا تَخْلَعْهُ »^(١) .

وأخرج الترمذي عن عثمان أنه قال يوم الدار : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليَّ عهداً فأنا صابر عليه)^(٢) .

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة قال : (اشترى عثمان الجنة من النبي صلى الله عليه وسلم مرتين ببيع الخَلَق : حيث حفر بئر رومة ، وحيث جهز جيش العسرة)^(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عثمانٌ من أشبه أصحابي بي خَلْقاً »^(٤) .

وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال : لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان . . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زَوَّجُوا عثمانَ ؛ لو كان لي ثالثةٌ . . لزوجته ، وما زَوَّجْتُهُ إِلَّا بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ »^(٥) .

وأخرج ابن عساكر عن علي رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان : « لو أَنَّ لي أربعين ابنةً . . زوجتك واحدةً بعد واحدةٍ ؛ حتى لا يَبْقَى مِنْهُنَّ واحدةٌ »^(٦) .

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مرَّ بي عثمانٌ وعِنْدِي مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، فقال : شهيدٌ يقتله قومه ، إِنَّا نَسْتَحْيِي مِنْهُ »^(٧) .

وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ

(١) سنن الترمذي (٣٧٠٥) ، ومستدرک الحاكم (٩٩/٣ - ١٠٠) .

(٢) الترمذي (٣٧١١) .

(٣) مستدرک الحاكم (١٠٧/٣) ، وفي مطبوع « مستدرک الحاكم » : (بيع الحق) .

(٤) تاريخ دمشق (٩٧/٣٩) .

(٥) المعجم الكبير (١٨٤/١٧) .

(٦) تاريخ دمشق (٤٢/٣٩) .

(٧) تاريخ دمشق (٩٤-٩٣/٣٩) .

الملائكة لتستحي من عثمان كما تستحي من الله ورسوله» (١) .

وأخرج ابن عساكر عن الحسن : أنه ذكر عنده حياء عثمان فقال : (إن كان ليكون جوف البيت والباب عليه مغلق ، فيضع ثوبه لفيض عليه الماء ، فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه) (٢) .

فَضْلُكَ

في خلافته رضي الله عنه

بوع بالخلافة بعد دفن عمر بثلاث ليال ، فروي : أن الناس كانوا يجتمعون في تلك الأيام إلى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه ، فلا يخلو به رجل ذو رأي . . فيعدل بعثمان أحداً ، ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة . . حمد الله وأثنى عليه ، وقال في كلامه : (إني رأيت الناس يأبون إلا عثمان) أخرجه ابن عساكر عن المسور بن مخرمة (٣) .

وفي رواية : (أما بعد : يا علي ؛ فإنني قد نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ، فلا تجعلنَّ عليّ نفسك سبيلاً ، ثم أخذ بيد عثمان فقال : نبايعك عليّ سنة الله ، وسنة رسوله ، وسنة الخليفين بعده) فبايعه عبد الرحمن ، وبايعه المهاجرون والأنصار (٤) .

وأخرج ابن سعد عن أنس قال : (أرسل عمر إلى أبي طلحة الأنصاري قبل أن يموت بساعة فقال : كن في خمسين من الأنصار مع هؤلاء نفر أصحاب الشورى ؛ فإنهم فيما أحسب سيجتمعون في بيت ، فقم على ذلك الباب بأصحابك ، فلا تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم) (٥) .

(١) مسند أبي يعلى (٦٩٤٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٣٧ / ٣٩) .

(٣) تاريخ دمشق (١٩٢ / ٣٩) .

(٤) تاريخ دمشق (١٩٣ / ٣٩) ، وأصله في « صحيح البخاري » (٧٢٠٧) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣ / ٣٣٧ - ٣٣٨) .

وفي « مسند أحمد » عن أبي وائل قال : قلت لعبد الرحمن بن عوف :
(كيف بايعتم عثمان وتركتم علياً ؟ قال : ما ذنبي ؟ قد بدأت بعلي فقلت :
أبايعك علي كتاب الله وسنة رسوله وسيرة أبي بكر وعمر ؟ فقال : فيما
استطعت ، ثم عرضت ذلك علي عثمان ، فقال : نعم)^(١) .

ويروى : أن عبد الرحمن قال لعثمان خلوة : (إن لم أبايعك . . فمن تشير
علي ؟ قال : علي ، وقال لعلي : إن لم أبايعك . . فمن تشير علي ؟ قال :
عثمان ، ثم دعا الزبير فقال : إن لم أبايعك . . فمن تشير علي ؟ قال : علي أو
عثمان ، ثم دعا سعداً فقال : إن لم أبايعك . . فمن تشير علي ؟ فأما أنا وأنت فلا
نريدها ، فقال : عثمان ، ثم استشار عبد الرحمن الأعيان فرأى هوئ أكثرهم في
عثمان)^(٢) .

وأخرج ابن سعد والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه : أنه قال لما بويع
عثمان : (أمّرنا خير من بقي ولم نأل)^(٣) .

ففي هذه السنة من خلافته : فتحت الري ، وكانت فتحت وانتقضت^(٤) .

وفيها : أصاب الناس رعاف كثير ، فقبل لها : سنة الرعاف^(٥) ، وأصاب
عثمان رعاف حتى تخلف عن الحج وأوصى^(٦) .

وفيها : فتح من الروم حصون كثيرة^(٧) .

(١) مسند أحمد (٧٥ / ١) .

(٢) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٢٣٧ / ٤) ، والنقل عن « تاريخ الإسلام » (٣٠٤ - ٣٠٥ / ٣) .

(٣) الطبقات الكبرى (٥٩ / ٣) ، ومستدرك الحاكم (٩٧ / ٣) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (١٥٠ / ٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٠٧ / ٣) ، و« البداية والنهاية »
(١٢١ / ٧) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣٠٧ / ٣) ، والبداية والنهاية (١٥٠ / ٧) .

(٦) أخرجه البخاري (٣٧١٧) .

(٧) تاريخ الطبري (٢٤٨ / ٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٠٩ / ٣) .

وفيها : ولَّى عثمان الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعزل المغيرة^(١) .

وفي سنة خمس وعشرين : عزل عثمان سعداً عن الكوفة ، وولَّى الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، وهو صحابي أخو عثمان لأمه ، فكان هذا مما نقم عليه ؛ لأنه آثر أقرابه بالولايات ، وقيل : (إن الوليد صلى بهم الصبح أربعاً وهو سكران ، ثم التفت إليهم فقال : أزيدكم ؟)^(٢) .

وفي سنة ست وعشرين : زاد عثمان في المسجد الحرام ووسعه ، واشترى أماكن للزيادة^(٣) .

وفيها : فتحت سابور^(٤) .

وفي سنة سبع وعشرين : غزا معاوية قُبْرُس^(٥) ، فركب البحر بالجيش ، وكان معهم عبادة بن الصامت وزوجته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ، فصرعت عن بغلتها فماتت شهيدة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أخبرها بهذا الجيش ، ودعا لها بأن تكون منهم^(٦) ، فدفنت بقُبْرُس .

وفيها : فتحت أَرْجَان ودارابَجَرْد^(٧) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٠٩/٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١١/٣) ، وهذه القصة أخرجها أبو يعلى (٥٠٤) عن حُضَيْن بن المنذر رحمه الله تعالى .

(٣) تاريخ الطبري (٢٥١/٤) ، وتاريخ الإسلام (٣١٥/٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣١٥/٣) .

(٥) كذا في « مرآة الجنان » (٨٣/١) ، و« العبر » (٢٩/١) . وفي « تاريخ الطبري » (٢٥٨/٤) ، و« المنتظم » (٣٦٤/٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٢٣/٣) ، و« البداية والنهاية » (١٥٣/٧) : أنها كانت في سنة « ٢٨ هـ » .

(٦) والخبر عند البخاري (٢٨٧٨) ، ومسلم (١٩١٢) من حديثها رضي الله عنها .

(٧) تاريخ الإسلام (٣١٨/٣) ، و« العبر » (٢٩/١) ، وفيهما فتحت صلحاً .

وفيها : عزل عثمان عمرو بن العاصي عن مصر ، وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، فغزا إفريقية فافتتحها سهلاً وجبلاً ، فأصاب كل إنسان من الجيش ألف دينار ، وقيل : ثلاثة آلاف دينار^(١) ، ثم فتحت الأندلس في هذا العام^(٢) .

الطَّيْفَانِ

[في تهيب سيدنا عمر رضي الله عنه الغزو في البحر]

كان معاوية يلح على عمر بن الخطاب في غزوة قبرس وركوب البحر لها ، فكتب عمر إلى عمرو بن العاصي : (أن صِف لي البحر وراكبه ، فكتب إليه : إني رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير ؛ إن ركده .. حرق القلوب ، وإن تحرك .. أراغ العقول ، تزداد فيه العقول قلة والسيئات كثرة ، وهم فيه كدود على عود ؛ إن مال .. غرق ، وإن نجا .. برق ، فلما قرأ عمر الكتاب .. كتب إلى معاوية : والله ؛ لا أحمل فيه مسلماً أبداً) .

قال ابن جرير : (فغزا معاوية قبرس في أيام عثمان ، فصالحه أهلها على الجزية)^(٣) .

وفي سنة تسع وعشرين : فتحت إصطخر عنوة وفَسًا وغير ذلك^(٤) .

وفيها : زاد عثمان في مسجد المدينة ووسَّعه ، وبناه بالحجارة المنقوشة ، وجعل عُمده من حجارة ، وسقفه بالساج ، وجعل طوله ستين ومئة ذراع ، وعرضه خمسين ومئة ذراع^(٥) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣ / ٣١٨) ، و « العبر » (١ / ٢٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣ / ٣٢٠) .

(٣) تاريخ الطبري (٤ / ٢٦٢) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣ / ٣٢٥ ، ٣٢٧) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣ / ٣٢٧) .

وفي سنة ثلاثين : فتحت جُور وبلاد كثيرة من أرض خراسان^(١) ، وفتحت نيسابور صلحاً ، وقيل : عنوة ، وطوس وسَرْخَس كلاهما صلحاً ، وكذا مرو وبيهق^(٢) .

ولما فتحت هذه البلاد الواسعة . . كثر الخراج على عثمان ، وأتاه المال من كل وجه حتى اتخذ له الخزائن وأدرَّ الأرزاق ، وكان يأمر للرجل بمئة ألف بدره ، في كل بدره أربعة آلاف أوقية^(٣) .

وفي سنة إحدى وثلاثين^(٤) .

وفي سنة خمس وثلاثين : كان مقتل عثمان .

[قصة استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه]

قال الزهري : (ولي عثمان اثنتي عشرة سنة ؛ يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً ، وإنه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب ؛ لأن عمر كان شديداً عليهم ، فلما وليهم عثمان . . لان لهم ووصلهم ، ثم توانى في أمرهم ، واستعمل أقرباءه وأهل بيته في الست الأواخر ، وكتب لمروان بخمس إفريقية ، وأعطى أقرباءه المال ، وتأول في ذلك الصلة التي أمر الله بها ، وقال : « إن أبا بكر وعمر

(١) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٢٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣١) ، وفي مطبوعه : (وافية) ، والبدره : كيس فيه مقدار من المال يتعامل به ويقدم في العطايا ، ويختلف باختلاف العهود .

(٤) في (أ ، ب) بياض ، وجاء في هامش (ب) : (هنا سقط ينظر) ، وجاء في « تاريخ الإسلام » (٣/ ٣٦٤) : (قال خليفة : أحرم عبد الله بن عامر من نيسابور ، واستخلف قيس بن الهيثم وغيره على خراسان ، وقيل : إن ذلك كان في السنة الماضية .

وفيها : غزوة الأسود ، فغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح من مصر في البحر ، وسار فيه إلى ناحية مصيصة) .

تركنا من ذلك ما هو لهما ، وإنني أخذته فقسمته في أقربائي « فأنكر الناس عليه ذلك) أخرجه ابن سعد^(١) .

وأخرج ابن عساكر من وجه آخر عن الزهري قال : (قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ؟ ما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم خذله أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : قتل عثمان مظلوماً ، ومن قتله .. كان ظالماً ، ومن خذله .. كان معذوراً .

قلت : وكيف كان ذلك ؟! قال : إن عثمان لما ولي .. كره ولايته نفر من الصحابة ؛ لأن عثمان كان يحب قومه ، فولى الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً مما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة ، فكان يجيء من أمرائه ما ينكره أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان عثمان يُستعذب فيهم فلا يعزلهم .

فلما كان في الست الأواخر .. استأثر بني عمه ؛ فولاهم وما أشرك معهم ، وأمرهم بتقوى الله ، ولَّى عبد الله ابن أبي سرح مصر ، فمكث عليها سنين ، فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه ، وقد كان قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود ، وأبي ذر ، وعمار بن ياسر ، فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لحال ابن مسعود ، وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها ، وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان^(٢) لحال عمار بن ياسر .

وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح ، فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه ، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان ، وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان من أهل مصر ممن كان أتى عثمان فقتله ، فخرج من أهل مصر سبع مئة رجل ، فنزلوا المسجد ، وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم .

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٦٠) ، وقال القاضي ابن العربي في « العواصم » (ص ١١١) : (لا تصح) .

(٢) حنقت : اغتاظت .

فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بكلام شديد ، وأرسلت عائشة رضي الله عنها إليه فقالت : تقدم إليك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت ؟! فهذا قد قتل منهم رجلاً فَأَنْصِفْهُمْ من عاملك .

ودخل عليه علي بن أبي طالب فقال : إنما يسألونك رجلاً مكان رجل ، وقد ادعوا قبله دماً ، فاعزله عنهم ، واقض بينهم ، فإن وجب عليه حق . . فَأَنْصِفْهُمْ منه .

فقال لهم : اختاروا رجلاً أولّيه عليكم مكانه ، فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر ، فقالوا : استعمل علينا محمد بن أبي بكر ، فكتب عهده وولاه ، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي سرح .

فخرج محمد ومن معه ، فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة . . إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يُطَلَّب أو يُطَلَّب ، فقال له أصحاب محمد : ما قصتك ؟ وما شأنك ؟ كأنك هارب أو طالب ، فقال لهم : أنا غلام أمير المؤمنين وجّهني إلى عامل مصر .

فقال له رجل : هذا عامل مصر ، قال : ليس هذا أريد ، وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه رجلاً ، فأخذه فجاء به إليه ، فقال : غلام من أنت ؟ فأقبل مرة يقول : أنا غلام أمير المؤمنين ، ومرة يقول : أنا غلام مروان ، حتى عرفه رجل أنه لعثمان .

فقال له محمد : إلى من أرسلت ؟ قال : إلى عامل مصر ، قال : بماذا ؟ قال : برسالة ، قال : معك كتاب ؟ قال : لا ، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً ، وكانت معه إداوة قد ييست فيها شيء يتقلقل ، فحركوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة ؛ فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح .

فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك الكتاب بمحضر منهم ؛ فإذا فيه : إذا أتاك محمد وفلان وفلان . . فاحتل في قتلهم ، وأبطل كتابه ، وقر على عملك حتى يأتيك رأيي ، واحبس من يجيء إليّ يتظلم

منك ليأتيك رأيي في ذلك إن شاء الله تعالى .

فلما قرؤوا الكتاب . . فزعوا وأزمعوا ، فرجعوا إلى المدينة ، وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ، ودفع الكتاب إلى رجل منهم ، وقدموا المدينة ، فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعداً ومن كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم فضُّوا الكتاب بمحضر منهم ، وأخبروهم بقصة الغلام ، وأقرؤوهم الكتاب ، فلم يبق أحد من أهل المدينة . . إلا حنق على عثمان .

وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقاً وغيظاً ، وقام أصحاب محمد فلاحقوا بمنازلهم ، ما منهم أحد إلا وهو مغتمٌ لما قرؤوا الكتاب ، وحاصر الناس عثمان ، وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بنبي تيم وغيرهم .

فلما رأى ذلك علي . . بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري ، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير ، فقال له علي : هذا الغلام غلامك ؟ قال : نعم ، قال : والبعير بعيرك ؟ قال : نعم ، قال : فأنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال : لا ، وحلف بالله ؛ ما كتب هذا الكتاب ، ولا أمر به ، ولا علم به .

قال له علي : فالخاتم خاتمك ؟ قال : نعم ، قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك بكتاب عليه خاتمك لا تعلم به ؟ فحلف بالله ؛ ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ، ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط .

وأما الخط . . فعرفوا أنه خط مروان ، وشكُّوا في أمر عثمان ، وسألوه أن يدفع إليهم مروان ، فأبى وكان مروان عنده في الدار ، فخرج أصحاب محمد من عنده غضاباً ، وشكُّوا في أمره ، وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل ، إلا أن قوماً قالوا : لن يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان ، حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب ، وكيف يأمر بقتل رجل من أصحاب محمد بغير حق ؟ ! فإن يكن عثمان كتبه . . عزلناه ، وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان . . نظرنا ما يكون منا في أمر مروان .

ولزموا بيوتهم ، وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان ، وخشي عليه القتل ،

وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء ، فأشرف على الناس فقال : أفيكم علي ؟ فقالوا : لا ، قال : أفيكم سعد ؟ قالوا : لا ، فسكت ثم قال : ألا أحد يبلغ فيسقيننا ماء ، فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء ، فما كادت تصل إليه ، وجرح في سببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه .

فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله ، فقال : إنما أردنا منه مروان ، فأما قتل عثمان . . فلا ، وقال للحسن والحسين : اذهبا بسيفيكما حتى تقوموا علي باب عثمان ، فلا تدعا أحداً يصل إليه ، وبعث الزبير ابنه ، وبعث طلحة ابنه ، وبعث عدة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا علي عثمان ، ويسألونه إخراج مروان .

فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهم حتى خضب الحسن بالدماء علي بابيه ، وأصاب مروان سهم وهو في الدار ، وخضب محمد بن طلحة ، وشج قنبر مولى علي . . فخشي محمد بن أبي بكر أن تغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة ، فأخذ بيد الرجلين فقال لهما : إن جاءت بنو هاشم ، فرأوا الدماء علي وجه الحسن . . كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد ، ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم به أحد .

فتسور محمد وصاحبه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا علي عثمان ، ولا يعلم أحد ممن كان معه ؛ لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ، ولم يكن معه إلا امرأته ، فقال لهما محمد : مكانكما ؛ فإن معه امرأته حتى أبدأكما بالدخول ، فإذا أنا ضبطته . . فادخلا فتوجاه حتى تقتلاه ، فدخل محمد فأخذ بلحيته ، فقال له عثمان : والله ؛ لو رآك أبوك . . لساء مكانك مني ، فتراخت يده ، ودخل الرجلان عليه فتوجاه حتى قتلاه ، وخرجوا هاربين من حيث دخلوا ، وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها ؛ لما كان في الدار من الجلبة ، وصعدت امرأته إلى الناس ، فقالت : إن أمير المؤمنين قد قتل ، فدخل الناس فوجدوه مذبحاً .

وبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة ، فخرجوا وقد

ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهاهم حتى دخلوا على عثمان ، فوجدوه مقتولاً ، فاسترجعوا ، وقال علي لابنيه : كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟! ورفع يده فلطم الحسن ، وضرب صدر الحسين ، وشم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير ، وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله ، وجاء الناس يهرعون إليه ، فقالوا له : نبايعك فمُدَّ يدك ؛ فلا بد من أمير .

فقال علي رضي الله عنه : ليس ذلك إليكم ؛ إنما ذلك إلى أهل بدر ، فمن رضي به أهل بدر . . فهو خليفة ، فلم يبقَ أحد من أهل بدر . . إلا أتى علياً فقالوا : ما نرى أحداً أحق بها منك ، مديك نبايعك ، فبايعوه .

وهرب مروان وولده ، وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟ قالت : لا أدري ، دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر ، وأخبرت علياً والناس ما صنع محمد ، فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان ، فقال محمد : لم تكذب ، قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله ، فذكر لي أبي ، فقممت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى ، والله ؛ ما قتلت ولا أمسكته ، فقالت امرأته : صدق ولكنه أدخلهما (١) .

وأخرج ابن عساكر عن كنانة مولى صفية وغيره قالوا : (قتل عثمان رجلٌ من أهل مصر أزرق أشقر يقال له : حمار) (٢) .

[شروط من حاصر سيدنا عثمان رضي الله عنه ورفضه لها]

وأخرج أحمد عن المغيرة بن شعبة : أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال : (إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى ، وإني أعرض عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهن :

- إما أن تخرج فتقاتلهم ؛ فإن معك عدداً وقوة ، وأنت على الحق وهم على الباطل .

(١) تاريخ دمشق (٣٩/٤١٥-٤١٩) ، وقد ردها القاضي ابن العربي في «العواصم» (ص ١١٧-١٤٦) فتأمله .

(٢) تاريخ دمشق (٣٩/٤٠٨) .

- وإما أن تخرق لك باباً سوى الباب الذي هم عليه ، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكة ؛ فإنهم لن يستحلوك وأنت بها .

- وإما أن تلحق بالشام ؛ فإنهم أهل الشام وفيهم معاوية .

فقال عثمان رضي الله عنه : أمّا أن أخرج فأقاتل . . فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمته بسفك الدماء ، وأمّا أن أخرج إلى مكة . . فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يلحد رجلٌ من قريشٍ بمكة يكونُ عليه نصفُ عذابِ العالمِ » فلن أكون أنا ، وأمّا أن ألحق بالشام . . فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١) .

[ادخرت عند ربي عشرًا]

وأخرج ابن عساكر عن أبي ثور الفهمي قال : دخلت على عثمان وهو محصور فقال : (لقد اختبأت عند ربي عشرًا : إني لرابع أربعة في الإسلام ، وأنكحني رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ، ثم توفيت فأنكحني ابنته الأخرى ، وما تعنيت ولا تمنيت ، ولا وضعت يميني على فرجي منذ بايعت بها حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا مرت بي جمعة منذ أسلمت . . إلا وأنا أعتق فيها رقبة ، إلا ألا تكون عندي فأعتقها بعد ذلك ، ولا زنيت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولا سرقت في جاهلية ولا إسلام قط ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٢) .

[مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه أول الفتن]

وكان قتل عثمان في أوسط أيام التشريق ، من سنة خمس وثلاثين ، وقيل : قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة ، ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حُشٍّ كوكب بالبقيع ، وهو أول من دفن به ، وقيل : كان قتله يوم

(١) مسند أحمد (٦٧ / ١) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٧ / ٢٨ - ٢٩) .

الأربعاء ، وقيل : يوم الاثنين ، وقيل : لست بقين من ذي الحجة .

وكان له يوم قتل اثنتان وثمانون سنة ، وقيل : إحدى وثمانون سنة ، وقيل :

أربع وثمانون ، وقيل : ست وثمانون ، وقيل : ثمان أو تسع وثمانون ، وقيل : تسعون^(١) .

قال قتادة : (صلى عليه الزبير ودفنه ، وكان أوصى إليه)^(٢) .

وأخرج ابن عدي وابن عساكر من حديث أنس مرفوعاً : « إِنَّ لِلَّهِ سَيْفًا مَغْمُودًا فِي غِمْدِهِ مَا دَامَ عَثْمَانُ حَيًّا ، فَإِذَا قُتِلَ عَثْمَانُ . . جُرِّدَ ذَلِكَ السَّيْفُ فَلَمْ يُغْمَدْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » تفرد به عمرو بن فائد وله مناكير^(٣) .

وأخرج ابن عساكر عن يزيد بن أبي حبيب قال : (بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان عامتهم جُنوا)^(٤) .

وأخرج عن حذيفة قال : (أول الفتن : قتل عثمان ، وآخر الفتن : خروج الدجال ، والذي نفسي بيده ؛ لا يموت رجل وفي قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان . . إلا تبع الدجال إن أدركه ، وإن لم يدركه . . آمن به في قبره)^(٥) .

وأخرج عن ابن عباس قال : (لو لم يطلب الناس بدم عثمان . . لَرُمُوا بالحجارة من السماء)^(٦) .

وأخرج عن الحسن قال : قتل عثمان وعلي غائب في أرض له ، فلما بلغه قال : (اللهم ؛ إني لم أرض ولم أُمال)^(٧) .

وأخرج الحاكم وصححه عن قيس بن عباد قال : سمعت علياً يوم الجمل يقول : (اللهم ؛ إني أبرأ إليك من دم عثمان ، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان ،

(١) انظر هذه الأقوال في « تاريخ دمشق » (٥١٣/٣٩) وما بعدها .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٧٤/١) .

(٣) الكامل (١٤٨/٥) ، وتاريخ دمشق (٤٤٤/٣٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٤٦/٣٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٤٧/٣٩) .

(٦) تاريخ دمشق (٤٤٧/٣٩) .

(٧) تاريخ دمشق (٤٤٩/٣٩) .

وأنكرت نفسي ، وجاؤوني للبيعة ، فقلت : والله ؛ إني لأستحيي أن أبايع قوماً قتلوا عثمان ، وإني لأستحيي من الله أن أبايع وعثمان لم يدفن بعد ، فانصرفوا ، فلما رجع الناس فسألوني البيعة . . قلت : اللهم ؛ إني مشفق مما أقدم عليه ، ثم جاءت عزيمة فبايعت ؛ فلقد قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فكأنما صدع قلبي ، وقلت : اللهم ؛ خذ مني لعثمان حتى ترضى (١) .

وأخرج ابن عساكر عن أبي خُلدة الحنفي قال : سمعت علياً يقول : (إن بني أمية يزعمون أنني قتلت عثمان ، ولا والله الذي لا إله إلا هو ؛ ما قتلت ، ولا مالات ، ولقد نهيت فعصوني) (٢) .

وأخرج عن سمرة قال : (إن الإسلام كان في حصن حصين ، وإنهم ثَلَمُوا في الإسلام ثَلَمَةً بقتلهم عثمان لا تسد إلى يوم القيامة ، وإن أهل المدينة كانت فيهم الخلافة ، فأخرجوها ولم تعد فيهم) (٣) .

وأخرج عن محمد بن سيرين قال : (لم تُفَقَدْ الخيلُ البُلُق في المغازي والجيوش حتى قتل عثمان ، ولم يُخْتَلَف في الأهلّة حتى قتل عثمان ، ولم تُرْ هَذِهِ الحمرة التي في آفاق السماء حتى قتل الحسين) (٤) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن حميد بن هلال قال : (كان عبد الله بن سلام يدخل على محاصري عثمان فيقول : لا تقتلوه ، فوالله ؛ لا يقتله رجل منكم . . إلا لقي الله أجذم لا يده له ، وإن سيف الله لم يزل مغموداً ، وإنكم والله ؛ لئن قتلتموه . . ليسلنّه الله ثم لا يغمده عنكم أبداً ، وما قتل نبي قط . . إلا قتل به سبعون ألفاً ، ولا خليفة . . إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً قبل أن يجتمعوا) (٥) .

وأخرج ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدي قال : (خصلتان لعثمان ليستا

(١) مستدرک الحاكم (٩٥/٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٥٣/٣٩) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٨٣/٣٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٩٣/٣٩) .

(٥) مصنف عبد الرزاق (٢٠٩٦٣) .

لأبي بكر ولا لعمر رضي الله عنهما : صبره نفسه حتى قتل ، وجمعه الناس على المصحف (١) .

وأخرج الحاكم عن الشعبي قال : ما سمعت من مرثي عثمان أحسن من قول كعب بن مالك حيث قال :

فكفَّ يديه ثم أغلق بابَه وأيقنَ أنَّ الله ليسَ بغافلٍ
وقال لأهلِ الدَّار لا تقتلوهُمُ عفا الله عن كلِّ امرئٍ لم يقاتلِ
فكيفَ رأيتَ الله صبَّ عليهمُ الـ عداوةً والبغضاءَ بعد التَّواصلِ
وكيفَ رأيتَ الخيرَ أدبرَ بعده عن الناسِ إِدبارَ الرِّيحِ الجوافِلِ (٢)

فَضَائِلُ

[في خلق سيدنا عثمان رضي الله عنه وذكر نقش خاتمه]

أخرج ابن سعد عن موسى بن طلحة قال : (رأيت عثمان يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران ، فيجلس على المنبر ، فيؤذن المؤذن وهو يتحدث : يسأل الناس عن أسعارهم وعن أخبارهم وعن مرضاهم) (٣) .

وأخرج عن عبد الله الرومي قال : (كان عثمان يلي وضوء الليل بنفسه ، ف قيل له : لو أمرت بعض الخدم فكفوك ، قال : لا ؛ الليل لهم يستريحون فيه) (٤) .

وأخرج ابن عساكر عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : (كان نقش خاتم عثمان : آمنت بالذي خلق فسوَّى) (٥) .

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن ابن عمر : (أن جهجاه الغفاري قام إلى

(١) تاريخ دمشق (٢٥٠/٣٩) .

(٢) مستدرک الحاكم (١٠٥/٣ - ١٠٦) والأبيات في « ديوانه » (ص ٩١-٩٢) ، وريح جافلة : سريعة الهبوب .

(٣) الطبقات الكبرى (٥٦/٣) .

(٤) الطبقات الكبرى (٥٦/٣) .

(٥) تاريخ دمشق (٢٠٩/٣٩) .

عثمان وهو يخطب ، فأخذ العصا من يده فكسرها على ركبته ، فما حال الحول . . حتى أرسل الله في رجله الآكلة ، فمات منها (١) .

فَصَلَّى

في أوليات عثمان رضي الله عنه

قال العسكري في « الأوائل » : (هو أول من أقطع القطائع ، وأول من حمى الحمى ، وأول من خفض صوته بالتكبير ، وأول من خلق المسجد ، وأول من أمر بالأذان الأول في الجمعة ، وأول من رزق المؤذنين ، وأول من أرتج عليه في الخطبة فقال : « أيها الناس ؛ إن أول مركب صعب ، وإن بعد اليوم أياماً ، وإن أعش . . تأتكم الخطبة على وجهها ، وما كنا خطباء وسيعلمنا الله » أخرجه ابن سعد (٢) .

وأول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة ، وأول من فوّض إلى الناس إخراج زكاتهم (٣) ، وأول من ولي الخلافة في حياة أمه ، وأول من اتخذ صاحب شرطة (٤) ، وأول من اتخذ المقصورة في المسجد ؛ خوفاً أن يصيبه ما أصاب عمر) ، لهذا ما ذكره العسكري (٥) .

قال : (وأول ما وقع الاختلاف بين الأمة فخطأ بعضهم بعضاً في زمانه في أشياء نقوموها عليه ، وكانوا قبل ذلك يختلفون في الفقه ولا يخطيء بعضهم بعضاً) (٦) .

قلت : بقي من أوائله : أنه أول من هاجر إلى الله بأهله من هذه الأمة كما تقدم (٧) ، وأول من جمع الناس على حرف واحد في القراءة .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٩ / ٣٣٠) .

(٢) الطبقات الكبرى (٥٩ / ٣) .

(٣) الأوائل (ص ١٢٢ - ١٢٦) .

(٤) الأوائل (ص ١٣٥ - ١٣٨) .

(٥) الأوائل (ص ١٦٣ - ١٦٤) ، وفيه : (أن أول من عمل المقصورة مروان بن الحكم) .

(٦) الأوائل (ص ١٢٦) .

(٧) تقدم (ص ٢٦٢) .

وأخرج ابن عساكر عن حكيم بن عباد بن حنيف قال : (أول منكر ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا وانتهى سمن الناس : طيران الحمام ، والرمي على الجُلَاهِقَات ، فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمان من خلافته ، فقصصها وكسر الجُلَاهِقَات)^(١) .

فَصَائِلُ

[فيمن مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام عثمان من الأعلام : سراقَة بن مالك بن جُعْشَم ، وجَبَّار بن صخر ، وحاطب بن أبي بَلْتَعَة ، وعياض بن زهير ، وأبو أسيد الساعدي ، وأوس بن الصامت ، والحارث بن نوفل ، وعبد الله بن حذافة ، وزيد بن خارجة الذي تكلم بعد الموت ، وليد الشاعر^(٢) ، والمسيب والد سعيد^(٣) ، ومعاذ بن عمرو بن الجَمُوح ، ومَعْبِد بن العباس ، ومُعَيْقِب بن أبي فاطمة الدوسي ، وأبو لبابة بن عبد المنذر^(٤) ، ونُعَيْم بن مسعود الأشجعي ، وآخرون من الصحابة .

ومن غير الصحابة : الحطيئة الشاعر ، وأبو ذؤيب الهذلي الشاعر .

(١) تاريخ دمشق (٢٢٨ / ٣٩) ، والجلاهقات : قوس البندق .

(٢) هو : ليبد بن ربيعة ، أبو عقيل .

(٣) هو : المسيب بن حَزَن بن أبي وهب .

(٤) اختلف في اسمه ، فقليل : اسمه بشير ، وقيل : رفاعه .

خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

[٣٥ - ٤٠ هـ] (١)

علي بن أبي طالب ؛ واسمه : عبد مناف بن عبد المطلب ؛ واسمه : شيبه بن هاشم ؛ واسمه : عمرو بن عبد مناف ؛ واسمه : المغيرة بن قصي ؛ واسمه : زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

أبو الحسن ، وأبو تراب ، كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .
وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهي أول هاشمية ولدت هاشمياً ، وقد أسلمت وهاجرت .

وعلي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة ، وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها ، وأحد السابقين إلى الإسلام ، وأحد العلماء الربانيين ، والشجعان المشهورين ، والزهاد المذكورين ، والخطباء المعروفين ، وأحد من جمع القرآن ؛ عرضه : على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعرض عليه : أبو الأسود الدؤلي ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى .

وهو أول خليفة من بني هاشم ، وأبو السبطين ، أسلم قديماً ، بل قال ابن

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (١٧/٣) ، و« تاريخ الطبري » (١٤٣/٥) ، و« حلية الأولياء » (٦١/١) ، و« المنتظم » (٦٢/٥) ، و« الكامل في التاريخ » (١٩٠/٣) ، و« أسد الغابة » (٩١/٤) ، و« البداية والنهاية » (٣٣٥/٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٦٢١/٣) ، و« تذكرة الحفاظ » (١٠/١) ، و« الإصابة » (٥٠١/٢) .

(٢) انظر ما سيأتي قريباً (ص ٢٨٤) .

عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة : (إنه أول من أسلم) ،
ونقل بعضهم الإجماع عليه .

وأخرج أبو يعلى عن علي رضي الله عنه قال : (بُعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين ، وأسلمت يوم الثلاثاء)^(١) .

وكان عمره حين أسلم عشر سنين ، وقيل : تسع ، وقيل : ثمان ، وقيل دون
ذلك^(٢) .

قال الحسن بن زيد بن الحسن : (ولم يعبد الأوثان قط ؛ لصغره) أخرجه
ابن سعد^(٣) .

ولما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . . أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً ؛
حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه
وسلم ، ثم يلحقه بأهله ، ففعل ذلك .

وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرّاً وأحداً وسائر المشاهد إلا
تبوك ؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة .

وله في جميع المشاهد آثار مشهورة ، وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم اللواء
في مواطن كثيرة .

وقال سعيد بن المسيب : (أصابت علياً يوم أحد ست عشرة ضربة)^(٤) .

[حملة باب خير من كراماته رضي الله عنه]

وثبت في « الصحيحين » : (أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه الراية يوم خيبر ،
وأخبر أن الفتح يكون على يديه)^(٥) .

وأحواله في الشجاعة وآثاره في الحروب مشهورة .

(١) مسند أبي يعلى (٤٤٦) .

(٢) انظر هذه الأقوال في « تاريخ دمشق » (٢٥ / ٢٦) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٠ / ٣) .

(٤) أخرجه ابن الأثير في « أسد الغابة » (١٠٦ / ٤) .

(٥) سيأتي تخريجه (٢٨٥) .

وكان عليّ شيخاً أصلع ، كثير الشعر ، ربعة إلى القصر أقرب ، عظيم البطن ، عظيم اللحية جداً ، قد ملأت ما بين منكبيه ، بيضاء كأنها قطن ، آدم شديد الأدمة .

قال جابر بن عبد الله : (حمل عليّ الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وإنهم جروه بعد ذلك ، فلم يحمله إلا أربعون رجلاً) أخرجه ابن عساكر^(١) .

وأخرج ابن إسحاق في « المغازي » وابن عساكر عن أبي رافع : (أن علياً تناول باباً عند الحصن حصن خيبر ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله علينا ثم ألقاه ، فلقد رأيتنا ثمانية نفر نجهد أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه)^(٢) .

[قصة تكنيته بأبي تراب رضي الله عنه]

وروى البخاري في « الأدب » عن سهل بن سعد قال : إن كانت أحب أسماء علي رضي الله عنه إليه لأبو تراب ، وإن كان ليفرح أن يدعى بها ، وما سماه أبا تراب إلا النبي صلى الله عليه وسلم ؛ غاضب يوماً فاطمة ، فخرج فاضطجع إلى الجدار في المسجد ، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وقد امتلأ ظهره تراباً ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح التراب عن ظهره ويقول : « اجلس أبا تُراب »^(٣) .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس مئة حديث وستة وثمانون حديثاً .

روى عنه : بنوه الثلاثة : الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وأبو موسى ، وأبو سعيد ،

(١) تاريخ دمشق (١١١ / ٤٢) .

(٢) تاريخ دمشق (١١٠ / ٤٢) من طريق ابن إسحاق .

(٣) الأدب المفرد (٨٥٢) ، وهو في « الصحيح » (٦٢٠٤) .

وزيد بن أرقم ، وجابر بن عبد الله ، وأبو أمامة ، وأبو هريرة ، وخلائق من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين .

فَضْلُكَ

في الأحاديث الواردة في فضله

قال أحمد ابن حنبل : (ما ورد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه) أخرجه الحاكم ^(١) .

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسول الله ؛ تخلفني في النساء والصبيان ؟ فقال : « أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؛ غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ؟ » ^(٢) .

وأخرجه أحمد والبخاري من حديث أبي سعيد الخدري ^(٣) ، والطبراني من حديث أسماء بنت عُميس ^(٤) ، وأم سلمة ^(٥) ، وحُبشي بن جُنادة ^(٦) ، وابن عمر ^(٧) ، وابن عباس ^(٨) ، وجابر بن سَمُرَة ^(٩) ، وعلي ^(١٠) ، والبراء بن عازب ، وزيد بن أرقم ^(١١) .

وأخرجنا عن سهل بن سعد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : « لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ ؛ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ،

(١) مستدرک الحاكم (١٠٧/٣) ، واللفظ من « تاريخ الإسلام » (٦٣٨/٣) .

(٢) صحيح البخاري (٣٧٠٦) ، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) .

(٣) مسند أحمد (٣٢/٣) .

(٤) المعجم الكبير (١٤٦/٢٤) .

(٥) المعجم الكبير (٣٧٧/٢٣) .

(٦) المعجم الكبير (١٧/٤) .

(٧) المعجم الأوسط (١٤٦٥) .

(٨) المعجم الكبير (٧٤/١١) .

(٩) المعجم الكبير (١٤٧/٢) .

(١٠) المعجم الأوسط (٤٢٤٨) .

(١١) المعجم الكبير (٢٠٣/٥) .

وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ « فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يُعطاها ؟ فلما أصبح الناس . . غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : « أَيْنَ عَلِيٍّ بَنُ أَبِي طَالِبٍ ؟ » فقليل : هو يشتكي عينيه ، قال : « فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ » فَأَتِي بِهِ ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاه له ، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية^(١) .

يدوكون : أي : يخوضون ويتحدثون .

وقد أخرج هذا الحديث الطبراني من حديث ابن عمر^(٢) ، وعلي^(٣) ، وابن أبي ليلى^(٤) ، وعمران بن حصين^(٥) ، والبخاري من حديث ابن عباس^(٦) .

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَ كُرٍّ ﴾ . . دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال : « اللَّهُمَّ ؛ هَؤُلَاءِ أَهْلِي »^(٧) .

[دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي رضي الله عنه]

وأخرج الترمذي عن أبي سَريحة أو زيد بن أرقم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ . . فَعَلَيْ مَوْلَاهُ »^(٨) .

وأخرجه أحمد عن علي^(٩) ، وأبي أيوب الأنصاري^(١٠) ، وزيد بن أرقم^(١١) ،

(١) صحيح البخاري (٣٧٠١) ، وصحيح مسلم (٢٤٠٤) .

(٢) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٢٦/٩) وعزاه للطبراني .

(٣) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٥٤/٦) وعزاه للبخاري ، وهو عند البخاري في « مسنده » (٤٩٦) .

(٤) المعجم الكبير (٧٧/٧) ، وهو عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(٥) المعجم الكبير (٢٣٦/١٨) .

(٦) مسند البخاري (٥١٤٠) .

(٧) صحيح مسلم (٣٢/٢٤٠٤) .

(٨) سنن الترمذي (٣٧١٣) ، وأبو سريحة : هو حذيفة بن أسيد ، صحابي رضي الله عنه .

(٩) مسند أحمد (٨٤/١) .

(١٠) مسند أحمد (٤١٩/٥) .

(١١) مسند أحمد (٣٦٨/٤) .

وعمره ذي مر^(١) ، وأبو يعلى عن أبي هريرة^(٢) ، والطبراني عن ابن عمر^(٣) ، ومالك بن الحويرث^(٤) ، وحُشبي بن جُنادة^(٥) ، وجري^(٦) ، وسعد بن أبي وقاص^(٧) ، وأبي سعيد الخدري^(٨) ، وأنس^(٩) ، والبزار عن ابن عباس^(١٠) ، وعمار^(١١) ، وبريدة^(١٢) ، وفي أكثرها زيادة : « اللهم ؛ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

ولأحمد عن أبي الطفيل قال : جمع علي الناس في الرحبة ثم قال لهم : أنشد بالله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خُم ما قال . . لما قام ، فقام إليه ثلاثون من الناس فشهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ . . فَعَلِيَّ مَوْلَاهُ ، اللَّهُمَّ ؛ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »^(١٣) .

[أربعة يحبهم الله ورسوله]

وأخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِحُبِّ أَرْبَعَةٍ ، وَأَخْبَرَنِي أَنَّهُ يُحِبُّهُمْ » قيل : يا رسول الله ؛ سَمِّهم لنا ، قال : « عَلِيٌّ مِنْهُمْ - يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثًا - وَأَبُو ذَرٍّ ، وَالْمِقْدَادُ ، وَسَلْمَانُ »^(١٤) .

(١) مسند أحمد (١١٨/١) .

(٢) مسند أبي يعلى (٦٤٢٣) .

(٣) أورده الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٠٩/٩) وعزاه للطبراني .

(٤) المعجم الكبير (٢٩١/١٩) .

(٥) المعجم الكبير (١٦/٤) .

(٦) المعجم الكبير (٣٥٧/٢) .

(٧) لم نقف عليه في مطبوع الطبراني ، وأخرجه ابن ماجه (١٢١) .

(٨) المعجم الأوسط (٨٤٣٤) .

(٩) المعجم الأوسط (٢٢٥٤) .

(١٠) أورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٩٠٨) .

(١١) أورده ابن حجر في « مختصر زوائد البزار » (١٩٠٧) .

(١٢) مسند البزار (٤٣٥٢) .

(١٣) مسند أحمد (٣٧٠/٤) .

(١٤) سنن الترمذي (٣٧١٨) ، ومستدرک الحاكم (١٣٠/٣) .

وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حُبْشي بن جُنادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْ عَلِيٍّ »^(١) .

وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال : أَخِي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء علي تدمع عيناه ، فقال : يا رسول الله ؛ آخيت بين أصحابك ولم تَوَاخِ بَيْنِي وَبَيْنَ أَحَدٍ ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »^(٢) .

وأخرج مسلم عن علي قال : (والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ؛ إنه لعهد النبي الأُمِّي إِلَيَّ أَلَّا يَحْبِنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغُضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ)^(٣) .

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال : (كُنَّا نَعْرِفُ الْمُنَافِقِينَ يَبْغِضُهُمْ عَلِيًّا)^(٤) .

وأخرجه البزار والطبراني في « الأوسط » عن جابر بن عبد الله^(٥) .

وأخرج الترمذي والحاكم عن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا »^(٦) هذا حديث حسن على الصواب ، لا صحيح كما قال الحاكم ، ولا موضوع كما قاله جماعة منهم ابن الجوزي والنووي ، وقد بينت حاله في « التعقبات على الموضوعات »^(٧) .

وأخرج الحاكم وصححه عن علي قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إِلَى الْيَمَنِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ بَعَثْتَنِي وَأَنَا شَابٌ أَقْضِي بَيْنَهُمْ وَلَا أَدْرِي مَا الْقَضَاءُ ، فَضَرَبَ صَدْرِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ ؛ اهْدِ قَلْبَهُ ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ »

(١) سنن الترمذي (٣٧١٩) ، والنسائي في « الكبرى » (٨١٤٧) ، وسنن ابن ماجه (١١٩) .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٢٠) .

(٣) صحيح مسلم (٧٨) .

(٤) سنن الترمذي (٣٧١٧) .

(٥) المعجم الأوسط (٢١٢٥) .

(٦) سنن الترمذي (٣٧٢٣) ، ولفظه : « أَنَا دَارُ الْحِكْمَةِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا » ، ومستدرک الحاكم (١٢٦/٣) من

حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٧) التعقبات على الموضوعات (ص ٥٦) .

فوالذي فلق الحبة ؛ ما شككت في قضاء بين اثنين^(١) .

وأخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له : ما لك أكثر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً ؟ قال : (إني كنت إذا سألته . . أنبأني ، وإذا سكت . . ابتدأني)^(٢) .

[تقدمه بالقضاء والعلم على غيره رضي الله عنه]

وأخرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : (علي أقضانا)^(٣) .

وأخرج الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي)^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال : (إذا حدثنا ثقة عن علي بفتيا . . لا نعدوها)^(٥) .

وأخرج عن سعيد بن المسيب قال : (كان عمر بن الخطاب يتعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن)^(٦) .

وأخرج عنه قال : (لم يكن أحد من الصحابة يقول : سلوني إلا علي)^(٧) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال : (أفرض أهل المدينة وأقضاها علي بن أبي طالب)^(٨) .

(١) مستدرك الحاكم (١٣٥ / ٣) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٩٢ / ٢) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٩٣ / ٢) .

(٤) مستدرك الحاكم (١٣٥ / ٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (٢٩٢ / ٢) .

(٦) الطبقات الكبرى (٢٩٣ / ٢) .

(٧) الطبقات الكبرى (٢٩٢ / ٢) ، ولفظه : (سلوني عن كتاب الله ؛ فإنه ليس من آية . . إلا وقد عرفت بلبيل

نزلت أم بنهار ، في سهل أم في جبل) ، وأخرجه بلفظه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٢٦٩٤٨) .

(٨) تاريخ دمشق (٤٠٥ / ٤٢) .

وأخرج عن عائشة رضي الله عنها : أن علياً ذكر عندها فقالت : (أما إنه أعلم من بقي بالسنة)^(١) .

وقال مسروق : (انتهى علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى : عمر ، وعلي ، وعبد الله بن مسعود)^(٢) .

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة : (كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم ، وكان له السُّطّة في العشيرة ، والقدم في الإسلام ، والصهر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقّه في السنة ، والنجدة في الحرب ، والجود في المال)^(٣) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الناسُ من شَجَرٍ شَتَّى ، وأنا وعليٌّ من شَجَرَةٍ واحدة »^(٤) .

[ما نزل فيه من القرآن وما خُص به رضي الله عنه]

وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : (ما أنزل الله : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها ، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان ، وما ذكر علياً إلا بخير)^(٥) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي)^(٦) .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : (نزلت في علي ثلاث مئة آية)^(٧) .

(١) تاريخ دمشق (٤٠٧/٤٢ - ٤٠٨) .

(٢) أخرجه الحاكم في « المستدرک » (٤٦٥/٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٦٣٨/٣) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٧/٤٢) ، وعنده : (والجودة في الماعون) .

(٤) المعجم الأوسط (٤١٥٠) .

(٥) المعجم الكبير (٢٦٤/١١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (٥٠٢٥) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٦٣/٤٢) .

(٧) تاريخ دمشق (٣٦٤/٤٢) .

وأخرج البزار عن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي : « لا يحلُّ لأحدٍ أن يُجَنَّبَ في هذا المسجدِ غَيْرِي وَغَيْرُكَ »^(١) .

وأخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب . . لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا علي)^(٢) .

وأخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « النَّظَرُ إِلَى عَلِيٍّ عِبَادَةٌ » ، إسناده حسن^(٣) .

وأخرجه الطبراني والحاكم أيضاً من حديث عمران بن حصين^(٤) .

وأخرجه ابن عساكر من حديث أبي بكر الصديق^(٥) ، وعثمان بن عفان^(٦) ، ومعاذ بن جبل^(٧) ، وأنس^(٨) ، وثوبان^(٩) ، وجابر بن عبد الله^(١٠) ، وعائشة رضي الله عنهم^(١١) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس قال : (كانت لعلي ثمان عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأمة)^(١٢) .

وأخرج أبو يعلى عن أبي هريرة قال : (قال عمر بن الخطاب : لقد أعطي عليّ ثلاث خصال ؛ لأن تكون لي خصلة منها . . أحب إليّ من أن أعطي حمر

(١) مسند البزار (١١٩٧) .

(٢) المعجم الأوسط (٤٣١٤) ، ومستدرک الحاكم (١٣٠ / ٣) .

(٣) المعجم الكبير (٧٦ / ١٠) ، ومستدرک الحاكم (١٤١ / ٣ - ١٤٢) .

(٤) المعجم الكبير (١٠٩ / ١٨) ، ومستدرک الحاكم (١٤١ / ٣) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٥٠ / ٤٢) .

(٦) تاريخ دمشق (٣٥٠ / ٤٢) .

(٧) تاريخ دمشق (٣٥٢ / ٤٢) .

(٨) تاريخ دمشق (٣٥٥ / ٤٢) .

(٩) تاريخ دمشق (٣٥٥ / ٤٢) .

(١٠) تاريخ دمشق (٣٥٥ / ٤٢) .

(١١) تاريخ دمشق (٣٥٥ / ٤٢) .

(١٢) المعجم الأوسط (٨٤٣٢) .

النعم ، قيل : وما هي ؟ قال : تزويجه ابنته ، وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر^(١) ، وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه^(٢) .

وأخرج أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن علي قال : (ما رمدت ولا صدعت منذ مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهي ، وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية)^(٣) .

وأخرج أبو يعلى والبخاري عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ آذَى عَلِيًّا . فَقَدْ آذَانِي »^(٤) .

وأخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا . فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي . فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا . فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي . فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ »^(٥) .

وأخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَبَّ عَلِيًّا . فَقَدْ سَبَّنِي »^(٦) .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيًّا تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلِيًّا تَنْزِيلُهُ »^(٧) .

[يهلك فيك اثنان]

وأخرج البخاري وأبو يعلى والحاكم عن علي قال : دعاني رسول الله صلى الله

(١) أخرجه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٤٢ / ١٢٠) من طريق أبي يعلى ، وهو عند أبي يعلى (٥٦٠١) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، إلا أن فيه : (وغلقت الأبواب غير بابه) .

(٢) مسند أحمد (٢٦ / ٢) .

(٣) مسند أحمد (٧٨ / ١) ، ومسند أبي يعلى (٥٩٣) .

(٤) مسند أبي يعلى (٧٧٠) ، ومسند البخاري (١١٦٦) .

(٥) المعجم الكبير (٣٨٠ / ٢٣) .

(٦) مسند أحمد (٣٢٣ / ٦) ، ومستدرک الحاكم (١٢١ / ٣) .

(٧) مسند أحمد (٣٣ / ٣) ، ومستدرک الحاكم (١٢٢ / ٣ - ١٢٣) .

عليه وسلم فقال : « إِنَّ فِيكَ مَثَلًا مِنْ عِيسَى : أَبْغَضْتَهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وَأَحْبَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ » أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ : مُحِبٌّ مَفْرُطٌ يَفْرُطُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَتَائِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي ^(١) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » و« الصغير » عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ ، لَا يَقْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ » ^(٢) .

وأخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي : « أَشَقَى النَّاسِ رَجُلَانِ : أَحْمِرُ ثُمُودٍ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ يَا عَلِيُّ عَلَى هَذِهِ - يَعْنِي : قَرْنَهُ - حَتَّى تَبْتَلَّ مِنْهُ هَذِهِ » يعني : لِحْيَتَهُ ^(٣) ، وقد ورد ذلك من حديث علي ^(٤) ، وصهيب ^(٥) ، وجابر بن سمرة ^(٦) وغيرهم .

وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال : اشتكى الناس علياً ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً فقال : « لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ ؛ إِنَّهُ لَا خُسْنَ فِي ذَاتِ اللَّهِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » ^(٧) .

فَصْنَعُ

[في مبايعته رضي الله عنه]

قال ابن سعد : بويع علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة ، فبايعه جميع من كان بها من الصحابة رضي الله عنهم ، ويقال : إن طلحة والزبير بايعا كارهين

(١) مسند البزار (٧٥٨) ، ومسند أبي يعلى (٥٣٤) ، ومستدرك الحاكم (١٢٣/٣) .

(٢) المعجم الأوسط (٤٨٨٠) ، والصغير (٧٢٠) .

(٣) مسند أحمد (٢٦٣/٤) ، ومستدرك الحاكم (١٤٠-١٤١/٣) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤٨/٤٢) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٤٦/٤٢) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٥٠/٤٢) .

(٧) مستدرك الحاكم (١٣٤/٣) .

غير طائعين ، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها ، فأخذها وخرجها إلى البصرة يطلبون بدم عثمان .

وبلغ ذلك علياً ، فخرج إلى العراق ، فلقي بالبصرة طلحة والزبير وعائشة ومن معهم ؛ وهي وقعة الجمل ، وكانت في جمادى الآخرة ، سنة ست وثلاثين ، وقُتل بها طلحة والزبير وغيرهما ، وبلغت القتلى ثلاثة عشر ألفاً ، وأقام علي بالبصرة خمس عشرة ليلة ، ثم انصرف إلى الكوفة .

ثم خرج عليه معاوية بن أبي سفيان ومن معه بالشام ، فبلغ علياً فسار إليه ، فالتقوا بصِفِّين ، في صفر ، سنة سبع وثلاثين ، ودام القتال بها أياماً ، فرجع أهل الشام المصاحف ، يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاصي ، فكره الناس الحرب ، وتَدَاعَوْا إلى الصلح ، وحكَّموا الحكمين ؛ فحكَّم علي : أبا موسى الأشعري ، وحكَّم معاوية : عمرو بن العاصي ، وكتبوا بينهم كتاباً على أن يوافوا رأس الحول بأذُرْج ، فينظروا في أمر الأمة .

فافترق الناس ، ورجع معاوية إلى الشام ، وعلي إلى الكوفة ، فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، وعسكروا بحرُوراء ، فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم ، فرجع منهم قوم كثير ، وثبت قوم ، وساروا إلى النَّهْرَوان فعرضوا للسييل ، فسار إليهم علي فقتلهم بالنَّهْرَوان ، وقتل منهم ذا الثَّدْيَةِ ؛ وذلك سنة ثمان وثلاثين .

واجتمع الناس بأذُرْج في شعبان من هذه السنة ، وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة ، فقدَّم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه ، فتكلم فخلع علياً ، وتكلم عمرو فأقر معاوية وباع له ، فتفرق الناس على هذا^(١) .

وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعضُّ على إصبعه ، ويقول : (أعصِيْ ويطاع معاوية ؟ !) .

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٩- ٣٠) ، ومدار هذه القصة على أبي مخنف لوط بن يحيى وأبي جناب الكلبي ، وهما متهمان بالوضع . وللمزيد انظر « العواصم » (ص ١٧٠) .

[تأمر ثلاثة من الخوارج على أمراء المسلمين]

وانتدب ثلاثة نفر من الخوارج : عبد الرحمن بن مُلجَم المرادي ، والبرك بن عبد الله التميمي ، وعمرو بن بُكير التميمي ، فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاهدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة : علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاصي ، ويريحوا العباد منهم ، فقال ابن مُلجَم : أنا لكم بعلي ، وقال البرك : أنا لكم بمعاوية ، وقال عمرو بن بكير : أنا أكفيكم عمرو بن العاصي ، فتعاهدوا على ذلك ، واتعدوا ليلة سبع عشرة من رمضان .

ثم توجه كل منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه ، فقدم ابن مُلجَم الكوفة ، فلقي أصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريدون إلى ليلة الجمعة ، سابع عشر رمضان ، سنة أربعين ، فاستيقظ عليٌّ سحرًا فقال لابنه الحسن : (رأيت الليلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ؛ ما لقيت من أمتك من الأود واللدد ؟ ^(١)) فقال لي : « ادع الله عليهم » ، فقلت : اللهم ؛ أبدلني بهم خيراً لي منهم ، وأبدلهم بي شراً لهم مني) .

ودخل ابن النَبَّاح المؤذن على ذلك فقال : الصلاة ، فخرج من الباب ينادي : (أيها الناس ؛ الصلاة الصلاة) ، فاعترضه ابن مُلجَم فضربه بالسيف ، فأصاب جبهته إلى قرنه ، ووصل إلى دماغه ، فشدَّ عليه الناس من كل جانب فأمسك وأوثق .

وأقام عليٌّ الجمعة والسبت ، وتوفي ليلة الأحد ، وغسَّله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ، وصلى عليه الحسن ، ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً ، ثم قطعت أطراف ابن ملجم ، وجعل في قَوْصرة ، وأحرقوه بالنار .

هذا كله كلام ابن سعد ^(٢) ، وقد أحسن في تلخيصه هذه الوقائع ، ولم يوسع فيها الكلام كما صنع غيره ؛ لأن هذا هو اللائق بهذا المقام ، قال

(١) الأود : العوج ، واللدد : الخصومة الشديدة .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٣٣-٣٨) .

صلى الله عليه وسلم : « إذا ذُكر أصحابي . . فَأَمْسِكُوا »^(١) وقال : « بحسب أصحابي القتل »^(٢) .

وفي « المستدرک » عن الشُّدي قال : كان عبد الرحمن بن مُلجم المرادي عشق امرأة من الخوارج يقال لها : قَطَام ، فنكحها ، وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل عليّ ، وفي ذلك قال الفرزدق :

فلم أرَ مَهْرًا ساقه ذو سَمَاحَةٍ كمهرِ قَطَامٍ بَيْنَ غيرِ مُعْجَمٍ
ثلاثةُ آلافٍ وعَبْدٌ وقَيْنَةٌ وضربُ عليٍّ بالحُسامِ المصمِّمِ
فلا مهرَ أغلَى من عليٍّ وإن علا ولا فتكَ إلا دونَ فتكِ ابنِ مُلْجَمٍ^(٣)
قال أبو بكر بن عياش : (عُمِّي قبرُ عليٍّ ؛ لثلاثِ تبشئةِ الخوارج)^(٤) .

وقال شريك^(٥) : (نقله الحسن ابنه إلى المدينة)^(٦) .

وقال المبرد : عن محمد بن حبيب : (أولُ من حوِّل من قبر إلى قبرٍ : عليٌّ رضي الله عنه)^(٧) .

وأخرج ابن عساكر عن سعيد بن عبد العزيز قال : (لما قتل علي بن أبي طالب . . حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينما هم في مسيرهم ليلاً . . إذ نَدَّ الجمل الذي هو عليه ، فلم يدر أين ذهب ، ولم يقدر عليه ، قال : فلذلك يقول أهل العراق : هو في السحاب)^(٨) .

وقال غيره : (إن البعير وقع في بلاد طيء ، فأخذوه فدفنوه) .

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩٦ / ٢) من حديث سيدنا ثوبان رضي الله عنه .

(٢) أخرجه أحمد في « مسنده » (٤٧٢ / ٣) من حديث سيدنا طارق بن شهاب رضي الله عنه .

(٣) مستدرک الحاكم (١٤٣ / ٣ - ١٤٤) ، وهذه الأبيات في « تاريخ الطبري » (١٥٠ / ٥) ، و « البداية والنهاية » (٣٤١ / ٧) لابن أبي مياس المرادي .

(٤) انظر « تاريخ دمشق » (٥٦٥ - ٥٦٦) ، و « تاريخ الإسلام » (٦٥١ / ٣) .

(٥) من هنا بدأ السقط في (د) .

(٦) تاريخ الإسلام (٦٥١ / ٣) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٦٦ / ٤٢) .

(٧) تاريخ دمشق (٥٦٦ / ٤٢) .

(٨) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٣٦٧ / ٥) لابن منظور .

وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة ، وقيل : أربع وستون ، وقيل :
خمس وستون ، وقيل : سبع وخمسون ، وقيل : ثمان وخمسون ، وكان له تسع
عشرة سُريّة .

قَضَائِي

في نبذ من أخبار علي وقضاياه وكلماته

قال سعيد بن منصور في « سننه » : حدثنا هُشيم ، حدثنا حَجَّاج ، حدثني
شيخ من فزارة : سمعت علياً يقول : (الحمد لله الذي جعل عدونا يسألنا عما نزل
به من أمر دينه ؛ إن معاوية كتب إليّ يسألني عن الخنثى ، فكتبت إليه : أن يورثه
من قبل مباله)^(١) ، وقال : حدثنا هُشيم ، عن مغيرة ، عن الشعبي ، عن علي
مثله^(٢) .

[قصة توليته رضي الله عنه وما جرى من أحداث]

وأخرج ابن عساكر عن الحسن قال : لما قدم علي البصرة . . قام إليه ابن
الكَوَّاء وقيس بن عباد فقالا له : ألا تخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه تتولى
على الأمة تضرب بعضهم ببعض ؟ أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده
إليك ؟ فحدثنا فأنت الموثوق المأمون على ما سمعت .

فقال : (أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك . . فلا
والله ؛ إن كنت أول من صدّق به . . فلا أكون أول من كذب عليه ، ولو كان عندي
من النبي صلى الله عليه وسلم عهد في ذلك . . ما تركت أخا بني تيم بن مرة
وعمر بن الخطاب يقومان على منبره ، ولقاتلتها بيدي ولو لم أجد إلا بردي
هذا ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يُقتل قتلاً ، ولم يمت فجأة ،
مكث في مرضه أياماً وليالي يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة ، فيأمر أبا بكر فيصلي

(١) سنن سعيد بن منصور (١٢٥) .

(٢) سنن سعيد بن منصور (١٢٦) .

بالناس وهو يرى مكاني ، ثم يأتيه المؤذن فيؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلّي بالناس وهو يرى مكاني ، ولقد أرادت امرأة من نسائه أن تصرفه عن أبي بكر فأبى وغضب ، وقال : « أَتَنْتَ صَوَاحِبُ يَوْسُفَ ، مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ يَصَلِّيَ بِالنَّاسِ » .

فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم . . نظرنا في أمورنا ، فاخترنا لديننا من رضىه نبي الله صلى الله عليه وسلم لديننا ، وكانت الصلاة أصل الإسلام وهي ^(١) أمير الدين ^(٢) ، وقوام الدين ، فبايعنا أبا بكر ، وكان لذلك أهلاً لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ولم نقطع منه البراءة ، فأدبت إلى أبي بكر حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جنوده ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قبض . . ولاها عمر ، فأخذ بسنة صاحبه وما يعرف من أمره ، فبايعنا عمر ، لم يختلف عليه منا اثنان ، ولم يشهد بعضنا على بعض ، ولم نقطع منه البراءة ، فأدبت إلى عمر حقه ، وعرفت طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما قبض . . تذكرت في نفسي قرابتي ، وسابقتي وسالفتي وفضلي ، وأنا أظن ألا يعدل بي ، ولكن خشي ألا يعمل الخليفة بعده ذنباً إلا لحقه في قبره ، فأخرج منها نفسه وولده ، ولو كانت محابة منه . . لآثر بها ولده ، فبريء منها إلى رهط من قريش ستة أنا أحدهم ، فلما اجتمع الرهط . . تذكرت في نفسي قرابتي وسابقتي وفضلي ، وأنا أظن ألا يعدلوا بي ، فأخذ عبد الرحمن موثقنا على أن نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ، ثم أخذ بيد ابن عفان ، فضرب بيده على يده فنظرت في أمري ؛ فإذا طاعتي قد سبقت بيعتي ، وإذا ميثاقي قد أخذ لغيري ، فبايعنا عثمان ، فأدبت له حقه ، وعرفت له طاعته ، وغزوت معه في جيوشه ، وكنت آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأضرب بين يديه الحدود بسوطي .

فلما أصيب . . نظرت في أمري ؛ فإذا الخليفان اللذان أخذاهما بعهد رسول الله

(١) في غير (ج) : (هو) .

(٢) في (ب ، د ، و) : (أمين) .

صلى الله عليه وسلم إليهما بالصلاة قد مضيا ، وهذا الذي قد أخذ له الميثاق قد أصيب ، فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين ، فوثب فيها من ليس مثلي ، ولا قرابته كقرابتي ، ولا علمه كعلمي ، ولا سابقته كسابقتي ، وكنت أحق بها منه ^(١) .

[بعض من كراماته رضي الله عنه]

وأخرج أبو نعيم في « الدلائل » عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : (عرض علي رجلان في خصومة ، فجلس في أصل جدار ، فقال له رجل : الجدار يقع ؟! فقال علي : امض ؛ كفى بالله حارساً ، فقضى بينهما ، فقام ثم سقط الجدار) ^(٢) .

وفي « الطبوريات » بسنده إلى جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رجل لعلي بن أبي طالب : نسمعك تقول في الخطبة : اللهم ؛ أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين المهديين ؛ فمن هم ؟ فاغرورقت عيناه ، فقال : (هم حبيبي أبو بكر وعمر ، إماما الهدى ، وشيخا الإسلام ، ورجلا قریش ، والمقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من اقتدى بهما .. عُصم ، ومن اتبع آثارهما .. هدي الصراط المستقيم ، ومن تمسك بهما .. فهو من حزب الله) .

وأخرج عبد الرزاق عن حُجْر المَدْرِي قال : (قال لي علي بن أبي طالب : كيف بك إذا أمرت أن تلعنني ؟ قلت : وكائن ذلك ؟ قال : نعم ، قلت : فكيف أصنع ؟ قال : العُني ، ولا تبرأ مني ، قال : فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج - وكان أميراً على اليمن - أن ألعن علياً ، فقلت : إن الأمير أمرني أن ألعن علياً ، فالعنوه لعنه الله ، فما فطن لها إلا رجل) ^(٣) .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » ، وأبو نعيم في « الدلائل » عن زاذان : (أن

(١) تاريخ دمشق (٤٤١/٤٢ - ٤٤٤) وقد جمع المصنف هنا بين روايتين لهذا الخبر .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٣٦٤٧١) وعزاه لأبي نعيم في « الدلائل » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣١٠/٥٦) من طريق عبد الرزاق .

علياً حَدَّثَ بِحَدِيثٍ فَكَذَّبَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَدْعُو عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ كَاذِباً ؟
قَالَ : ادْعُ ، فَدَعَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَبْرَحْ حَتَّى ذَهَبَ بِصَرِّهِ (١) .

[قصة الأرغفة الثمانية ودقة قضائه رضي الله عنه]

وأخرج عن زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ قَالَ : (جَلَسَ رَجُلَانِ يَتَغَدَّيَانِ : مَعَ أَحَدِهِمَا خَمْسَةُ
أَرْغِفَةٍ ، وَمَعَ الْآخَرِ ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ ، فَلَمَّا وَضَعَا الْغَدَاءَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا . . مَرَّ بِهِمَا رَجُلٌ
فَسَلَّمَ ، فَقَالَا : اجْلِسْ لِلْغَدَاءِ ، فَجَلَسَ وَأَكَلَ مَعَهُمَا ، وَاسْتَوَا فِي أَكْلِهِمَا الْأَرْغِفَةُ
الْثَمَانِيَّةُ ، فَقَامَ الرَّجُلُ ، وَطَرَحَ إِلَيْهِمَا ثَمَانِيَّةَ دِرَاهِمٍ ، وَقَالَ : خَذَاهَا عَوْضاً مِمَّا
أَكَلْتُ لَكُمَا ، وَنَلْتَهُ مِنْ طَعَامِكُمَا ، فَتَنَازَعَا .

فَقَالَ صَاحِبُ الْخَمْسَةِ الْأَرْغِفَةِ : لِي خَمْسَةُ دِرَاهِمٍ وَلَكَ ثَلَاثَةٌ ، وَقَالَ صَاحِبُ
الْأَرْغِفَةِ الثَّلَاثَةِ : لَا أَرْضَى إِلَّا أَنْ تَكُونَ الدِّرَاهِمُ بَيْنَنَا نَصْفَيْنِ .

فَارْتَفَعَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ، فَقَضَا عَلَيْهِ قَصَّتَهُمَا ، فَقَالَ لَصَاحِبِ الثَّلَاثَةِ :
قَدْ عَرَضَ عَلَيْكَ صَاحِبُكَ مَا عَرَضَ ، وَخَبَزَهُ أَكْثَرَ مِنْ خَبْزِكَ فَارْضَ بِالْثَلَاثَةِ .

فَقَالَ : وَاللَّهِ ؛ لَا رَضِيْتُ عَنْهُ إِلَّا بِمَرِّ الْحَقِّ ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لَيْسَ
لَكَ فِي مَرِّ الْحَقِّ إِلَّا دِرْهَمٌ وَاحِدٌ ، وَلَهُ سَبْعَةُ دِرَاهِمٍ .

فَقَالَ الرَّجُلُ : سُبْحَانَ اللَّهِ !! قَالَ : هُوَ ذَلِكَ ، قَالَ : فَعَرَفَنِي الْوَجْهَ فِي مَرِّ
الْحَقِّ حَتَّى أَقْبِلَهُ .

فَقَالَ عَلِيٌّ : أَلَيْسَ لِلْثَمَانِيَّةِ أَرْغِفَةُ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرُونَ ثَلَاثاً أَكَلْتُمُوهَا وَأَنْتُمْ ثَلَاثَةُ
أَنْفُسٍ ؟ وَلَا يَعْلَمُ الْأَكْثَرُ مِنْكُمْ أَكْلاً وَلَا الْأَقْلَ ، فَتَحْمِلُونَ فِي أَكْلِكُمْ عَلَى السَّوَاءِ ،
قَالَ : فَأَكَلْتُ أَنْتَ ثَمَانِيَّةَ أَثْلَاثٍ ، وَإِنَّمَا لَكَ تِسْعَةُ أَثْلَاثٍ ، وَأَكَلَ صَاحِبُكَ ثَمَانِيَّةَ
أَثْلَاثٍ ، وَلَهُ خَمْسَةُ عَشَرَ ثَلَاثاً ، أَكَلَ مِنْهَا ثَمَانِيَّةً وَبَقِيَ سَبْعَةٌ ، وَأَكَلَ لَكَ وَاحِداً مِنْ
تِسْعَةٍ ، فَلَكَ وَاحِدٌ وَوَاحِدُكَ ، وَلَهُ سَبْعَةٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : رَضِيْتُ الْآنَ (٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن عطاء قال : (أَتَى عَلِيٌّ بِرَجُلٍ وَشَهِدَ

(١) المعجم الأوسط (١٧٩١) .

(٢) أورده المزي في « تهذيب الكمال » (٤٨٦ / ٢٠) .

عليه رجلا أنه سرق ، فأخذ في شيء من أمور الناس وتهدّد شهود الزور ، وقال : (لا أُوتى بشاهد زور . . إلا فعلت به كذا وكذا) ثم طلب الشاهدين فلم يجدهما ، فخلّى سبيله^(١) .

[اضرب ظلّه]

وقال عبد الرزاق في « المصنف » : حدثنا الثوري عن سليمان الشيباني ، عن رجل ، عن علي : أنه أتى برجل فقيل له : (زعم هذا أنه احتلم بأمي ؟ فقال : اذهب فأقمه في الشمس فاضرب ظلّه)^(٢) .

[نقش خاتمه رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر من طريق جعفر بن محمد عن أبيه : (أن خاتم علي بن أبي طالب كان من ورق نقشه : نِعَمَ الْقَادِرُ اللَّهُ)^(٣) .
وأخرج عن عمرو بن عثمان بن عفان قال : (كان نقش خاتم علي : الملك لله)^(٤) .

وأخرج عن المدائني قال : (لما دخل علي الكوفة . . دخل عليه رجل من حكماء العرب ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ؛ لقد زنت الخلافة وما زانتك ، ورفعته وما رفعتك ، وهي كانت أحوج إليك منك إليها)^(٥) .

وأخرج عن مجمّع : (أن علياً كان يكنس بيت المال ، ثم يصلي فيه ؛ رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين)^(٦) .

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤٢٦) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١١٤٢٦) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٢ / ٤٤٥) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٢ / ٤٤٥) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٢ / ٤٤٥) .

(٦) تاريخ دمشق (٤٢ / ٤٧٨) .

[وضعه رضي الله عنه لأسس النحو]

وقال أبو القاسم الزجاجي في « أماليه » : حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري ، حدثنا أبو حاتم السجستاني ، حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي ، حدثنا سعيد بن مسلم الباهلي ، حدثنا أبي ، عن جدي ، عن أبي الأسود الدؤلي - أو قال : عن جدي أبي الأسود - عن أبيه قال : (دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فرأيتَه مطرقاً مفكراً ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ !)

قال : إني سمعت ببلدكم هذا لحناً ، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية ، فقلت : إن فعلت هذا . . أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة .

ثم أتيت بعد ثلاث فألقى إليّ صحيفة فيها :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلام كله : اسم وفعل وحرف ، فالاسم : ما أنبأ عن المسمى ، والفعل : ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف : ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل .

ثم قال لي : تتبعه وزد فيه ما وقع لك ، واعلم يا أبا الأسود : أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، وشيء ليس بظاهر ولا مضمر ، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر .

قال أبو الأسود : فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه ، فكان من ذلك حروف النصب ، فذكرت منها : إن وأن وليت ولعل وكأن ، ولم أذكر لكن ، فقال لي : لم تركتها ؟ فقلت : لم أحسبها منها ، فقال : بلى هي منها ، فزدها فيها ^(١) .

[بعض حكمه ونصحه رضي الله عنه لحملة القرآن]

وأخرج ابن عساكر عن ربيعة بن ناجد قال : قال علي : (كونوا في الناس كالنحلة في الطير ؛ إنه ليس في الطير شيء . . إلا وهو يستضعفها ، ولو يعلم

(١) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٢٩٤٥٦) وعزاه لأبي القاسم الزجاجي في « أماليه » .

الطير ما في أجوافها من البركة.. لم يفعلوا ذلك بها ، خالطوا الناس بألستكم وأجسادكم ، وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم ؛ فإن للمرء ما اكتسب ، وهو يوم القيامة مع من أحب (١) .

وأخرج عن علي قال : (كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل ؛ فإنه لن يقل عمل مع التقوى ، وكيف يقل عمل يتقبل ؟) (٢) .

وأخرج عن يحيى بن جعدة قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (يا حملة القرآن ؛ اعملوا به ، فإنما العالم : من علم ثم عمل بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، تخالف سريرتهم علانيتهم ، ويخالف عملهم علمهم ، يجلسون حلقاً ، فيباهي بعضهم بعضاً ، حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه ، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله) (٣) .

وأخرج عن علي قال : (التوفيق خير قائد ، وحسن الخلق خير قرين ، والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ، ولا وحشة أشد من العجب) (٤) .

وأخرج عن الحارث قال : (جاء رجل إلى علي رضي الله عنه فقال : أخبرني عن القدر ، فقال : طريق مظلّم لا تسلكه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : بحر عميق لا تلجّه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : سر الله قد خفي عليك فلا تفشه ، قال : أخبرني عن القدر ، قال : يا أيها السائل ؛ إن الله خلقك لما شاء أو لما شئت ؟ قال : بل لما شاء ، قال : فيستعملك فيما شاء) (٥) .

وأخرج عن علي قال : (إن للنكبات نهايات ، لا بد لأحد إذا نُكب .. من أن ينتهي إليها ، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة .. أن ينام لها حتى تنقضي مدتها ؛

(١) تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٢/٥١١) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٩) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٢/٥٠٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٢-٥١٣) .

فإن في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهاها (١) .

وأخرج عن علي أنه قيل له : (ما السخاء ؟ قال : ما كان منه ابتداء ، فأما ما كان عن مسألة . . فحياء وتكرم) (٢) .

وأخرج عن علي : (أنه أتاها رجل فأثنى عليه فأطراه ، وكان قد بلغه عنه قبل ذلك ، فقال له علي : إني لست كما تقول ، وأنا فوق ما في نفسك) (٣) .

وأخرج عن علي قال : (جزاء المعصية : الوهن في العبادة ، والضيق في المعيشة ، والتعس في اللذة ، قيل : وما التعس في اللذة ؟ قال : لا ينال شهوة حلالاً . . إلا جاءه ما ينغصه إياها) (٤) .

وأخرج عن علي بن ربيعة : (أن رجلاً قال لعلي : ثبّتك الله ، وكان يبغيضه ، قال : علي صدرك) (٥) .

[ذكر شيء من شعره رضي الله عنه]

وأخرج عن الشعبي قال : (كان أبو بكر يقول الشعر ، وكان عمر يقول الشعر ، وكان علي أشعر الثلاثة) (٦) .

وأخرج عن نبيط الأشجعي قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : [من الوافر]

إذا اشتَمَلْتُ على اليأسِ القلوبُ	وضاقَ لما به الصدرُ الرَّحيبُ
وأوطنتِ المكارهُ واطمأنَّتِ	وأرستَ في أماكِنِها الخطوبُ
ولم يرَ لانكشافِ الضرِّ وجهٌ	ولا أغنى بحيلته الأريبُ
أتاك على قنوطٍ منك غوثُ	يجيءُ به القريبُ المستجيبُ

(١) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٤) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٨) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٨) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٢/٥١٩) .

(٦) تاريخ دمشق (٤٢/٥٢٠) .

وكلُّ الجادّثاتِ إذا تَناهَتْ فموصولٌ بها الفرَجُ القريبُ^(١)
وأخرج عن الشعبي قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لرجل وكره له
صحبة رجل :

وإِيَّاكَ وإِيَّاهُ	فلا تَصَحَبْ أَخَا الجَهِلِ
حَلِيمًا حِينَ أَخَاهُ	فكم مِن جَاهِلٍ أَرَدَى
إذا [ما] هو ماشاهُ ^(٢)	يُقاسُ المرءُ بالمرءِ
مقاييسُ وأشباهُ	وللشيءِ مِن الشيءِ
دليلٌ حِينَ يلقاهُ ^(٣)	وللقلبِ على القلبِ

وأخرج عن المبرد قال : كان مكتوباً على سيف علي بن أبي طالب رضي الله
عنه :

وصَفُّوها لك ممزوجٌ بتكديرٍ	للناسِ حرصٌ على الدنيا بتدبيرٍ
لكنهم رُزقوها بالمقاديرِ	لم يُرزقوها بعقلٍ عندما قُسمت
ومائتي نالَ دنياهُ بتقصيرِ	كم مِن أديبٍ لبيبٍ لا تُساعدهُ
طارَ البزاةُ بأرزاقِ العصافيرِ ^(٤)	لو كان عن قوّةٍ أو عن مغالَبَةٍ

وأخرج عن حمزة بن حبيب الزيات قال : كان علي بن أبي طالب
يقول :

فإنَّ لكل نصيحٍ نصيحاً	فلا تَفشِ سِرَّكَ إلا إليك
لِ لا يدَعُونَ أديماً صحيحاً ^(٥)	فإنِّي رأيتُ غُواةَ الرِّجاءِ

(١) تاريخ دمشق (٤٢/٥٢٣-٥٢٤) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من « تاريخ دمشق » .

(٣) تاريخ دمشق (٤٢/٥٢٥-٥٢٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٤٢/٥٢٥) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٢/٥٢٨) .

[احفظ عني أربعاً وأربعاً]

وأخرج عن عقبة بن أبي الصهباء قال : (لما ضرب ابن مُلجم علياً . دخل عليه الحسن وهو باك ، فقال له علي : يا بني ؛ احفظ عني أربعاً وأربعاً ، قال : وما هن يا أبت ؟

قال : إن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكرم الكرم حسن الخلق .

قال : فالأربع الآخر ؟ قال : إياك ومصاحبة الأحمق ؛ فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب ؛ فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل ؛ فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر ؛ فإنه يبيعك بالتافه ^(١) .

وأخرج ابن عساكر عن علي : أنه أتاه يهودي فقال له : (متى كان ربنا ؟) فتمعّر وجه علي ، فقال : (لم يكن فكان ، هو كان ولا كينونة ، كان بلا كيف ، كان ليس له قبل ولا غاية ، انقطعت الغايات دونه ، فهو غاية كل غاية) فأسلم اليهودي ^(٢) .

[قضاء شريح لليهودي على أمير المؤمنين]

وأخرج الدراج في جزئه المشهور بسند مجهول عن ميسرة ، عن شريح القاضي قال : (لما توجه علي إلى صفين . . افتقد درعاً له ، فلما انقضت الحرب ورجع إلى الكوفة . . أصاب الدرع مع يهودي ، فقال لليهودي : الدرع درعي لم أبع ولم أهب .

فقال اليهودي : درعي وفي يدي ، فقال : نصير إلى القاضي ، فتقدّم عليّ فجلس إلى جنب شريح وقال : لولا أن خصمي يهودي . . لاستويت معه في

(١) تاريخ دمشق (٤٢/٥٦١-٥٦٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٧/٢٣٧) .

المجلس ؛ ولكنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أصغروهم من حيث أصغَرَهُم الله » .

فقال شريح : قل يا أمير المؤمنين ، فقال : نعم ؛ هذه الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي ، لم أبع ولم أهب ، فقال شريح : أيش تقول يا يهودي ؟ قال : درعي وفي يدي .

فقال شريح : ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال : نعم ، قنبر والحسن يشهدان أن الدرع درعي ، فقال شريح : شهادة الابن لا تجوز للأب ، فقال علي : رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؟ ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ » فقال اليهودي : أمير المؤمنين قدَّمَنِي إلى قاضيه ، وقاضيه قضى عليه ، أشهد أن هذا هو الحق ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وأن الدرع درعك ^(١) .

فَصَلِّ

[في كلامه رضي الله عنه في تفسير القرآن]

وأما كلامه في تفسير القرآن . فكثير ، وهو مستوفى في كتابنا « التفسير المسند » بأسانيده .

وقد أخرج ابن سعد عن علي قال : (والله ؛ ما نزلت آية . . إلا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً ناطقاً) ^(٢) .

وأخرج ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال : قال علي رضي الله عنه : (سلوني عن كتاب الله ؛ فإنه ليس من آية . . إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل) ^(٣) .

(١) أخرجه وكيع في « أخبار القضاة » (٢٠٠ / ٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٤٠ / ٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (٢٩٢ / ٢) .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٩٢ / ٢) ، وتاريخ دمشق (٣٩٨ / ٤٢) .

وأخرج ابن أبي داود عن محمد بن سيرين قال : (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم . . أبطأ علي عن بيعة أبي بكر ، فلقه أبو بكر فقال : أكرهت إمارتي ؟ فقال : لا ؛ ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن ، فزعموا أنه كتبه على تنزيله ، قال محمد : لو أصيب ذلك الكتاب . . كان فيه العلم)^(١) .

فَضْلُكَ

في نبذ من كلماته الوجيزة المختصرة البديعة

قال علي رضي الله عنه : (الحزم سوء الظن) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان^(٢) .

وقال : (القريب : من قرَّبته المودة وإن بعد نسه ، والبعيد : من بعدته العداوة وإن قرب نسه ، ولا شيء أقرب من يد إلى جسد ؛ وإن اليد إذا فسدت . . قطعت ، وإذا قطعت . . حُسمت) أخرجه أبو نعيم^(٣) .

[خمسٌ خذوهنَّ عني]

وقال : (خمسٌ خذوهنَّ عني : لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ، ولا يرجو إلا ربه ، ولا يستحيي من لا يعلم أن يتعلم ، ولا يستحيي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ؛ إذا ذهب الصبر . . ذهب الإيمان ، وإذا ذهب الرأس . . ذهب الجسد) أخرجه سعيد بن منصور في « سننه »^(٤) .

وقال : (الفقيه كل الفقيه : من لم يَقْنُطْ الناس من رحمة الله ، ولم يرخَّصْ

(١) كتاب المصاحف (٣١) ، واللفظ من « تاريخ الإسلام » (٦٣٧ / ٣) .

(٢) أورده المتقي الهندي في « كنز العمال » (٧١٥٤) وعزاه لأبي الشيخ في « الثواب » .

(٣) تاريخ أصبهان (١٣٦ / ١) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧٦ / ١) ، والبيهقي في « الشعب » (٩٧١٨) .

لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ؛ إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ، ولا علم لا فهم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها) أخرجه ابن الضريس في « فضائل القرآن »^(١) .

وقال : (وأبردها على الكبد إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول : الله أعلم) أخرجه ابن عساكر^(٢) .

وقال : (من أراد أن ينصف الناس من نفسه . . فليحب لهم ما يحب لنفسه) أخرجه ابن عساكر^(٣) .

[سبع من الشيطان]

وقال : (سبع من الشيطان : شدة الغضب ، وشدة العطاس ، وشدة التثاؤب ، والقيء ، والرعاف ، والنجوى ، والنوم عند الذكر)^(٤) .

وقال : (كلوا الرمان بشحمه ؛ فإنه دباغ المعدة) أخرجه عبد الله^(٥) بن أحمد في « زوائد المسند »^(٦) .

وقال : (قراءتك على العالم وقراءة العالم عليك سواء) أخرجه الحاكم في « التاريخ »^(٧) .

وقال : (يأتي على الناس زمان المؤمن فيه أذل من الأمة) أخرجه سعيد بن منصور^(٨) .

(١) فضائل القرآن (٦٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٥١٠ / ٤٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٥١٧ / ٤٢) .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٢٩٠) .

(٥) إلى هنا انتهى السقط في (د) .

(٦) مسند أحمد (٣٨٢ / ٥) .

(٧) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٢٣٦) .

(٨) أخرجه البيهقي في « الزهد الكبير » (١٣٥) .

[رثاء أبي الأسود لسيدنا علي رضي الله عنه]

ولأبي الأسود الدؤلي يرثي علياً رضي الله عنه : [من الوافر]

أَلَا يَا عَيْنُ وَيَحْكُ أَسْعِدِينَا	أَلَا تَبْكِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَتَبْكِي أَمْ كَلْثُومٌ عَلَيْهِ	بَعْبَرَتَهَا وَقَدْ رَأَتْ الْيَقِينَ
أَلَا قُلْ لِلْخَوَارِجِ حَيْثُ كَانُوا	فَلَا قَرَّتْ عَيُونُ الْحَاسِدِينَ
أَفِي شَهْرِ الصِّيَامِ فَجَعْتُمُونَا	بَخِيرِ النَّاسِ طُرّاً أَجْمَعِينَ
قَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكَبَ الْمَطَايَا	وَذَلَّلَهَا وَمَنْ رَكَبَ السَّفِينَا
وَمَنْ لَبَسَ النَّعَالَ وَمَنْ حَذَّاهَا	وَمَنْ قَرَأَ الْمَثَانِي وَالْمِينَا
وَكُلُّ مَنَاقِبِ الْخَيْرَاتِ فِيهِ	وَحُبُّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَا
لَقَدْ عَلِمْتُ قَرِيشٌ حَيْثُ كَانَتْ	بَأَنَّكَ خَيْرُهُمْ حَسَباً وَدِينَا
إِذَا اسْتَقْبَلَتْ وَجَهَ أَبِي حَسِينِ	رَأَيْتَ الْبَدْرَ فَوْقَ النَّاضِرِينَا
وَكُنَّا قَبْلَ مَقْتَلِهِ بِخَيْرِ	نَرَى مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ فِينَا
يَقِيمُ الْحَقُّ لَا يَرْتَابُ فِيهِ	وَيَعْدِلُ فِي الْعِدَى وَالْأَقْرَبِينَا
وَلَيْسَ بِكَاتِمٍ عِلْماً لَدَيْهِ	وَلَمْ يُخْلَقْ مِنَ الْمُتَجَبِّرِينَا
كَأَنَّ النَّاسَ إِذْ فَقَدُوا عَلِيّاً	نَعَامٌ حَارَ فِي بَلَدِ سِنِينَا
فَلَا تَشَمْتُ مَعَاوِيَةَ بْنَ صَخْرِ	فَلِإِنَّ بَقِيَّةَ الْخُلَفَاءِ فِينَا ^(١)

فَصْنَعُوا

[فيمن مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام علي رضي الله عنه من الأعلام موتاً وقتلاً : حذيفة بن اليمان ،
والزبير بن العوام ، وطلحة^(٢) ، وزيد بن صوحان ، وسلمان الفارسي ،

(١) الأبيات في « أسد الغابة » (١٣٣/٤) ، وانظر « ديوانه » (ص ١٥٢ و ٢٩٢ و ٤٤٨) ، وفي (أ)
و (د) : (والمثينا) .

(٢) هو : سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه ، أحد العشرة المبشرين بالجنة .

وهند بن أبي هالة ، وأويس القرني ، وخباب بن الأرت ، وعمار بن ياسر ،
وسهل بن حنيف ، وصهيب الرومي ، ومحمد بن أبي بكر الصديق ، وتميم
الداري ، وخَوَّات بن جبير ، وشُرَّحِيل ابن السَّمْط ، وأبو مسعود البدري ،
وصفوان بن عَسَّال ، وعمرو بن عَبَّسَة ، وهشام بن حكيم ، وأبو رافع مولى النبي
صلى الله عليه وسلم ، وآخرون .

خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب

رضي الله عنهما

[ستة أشهر ^(١)]

أبو محمد ، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته ، وآخر الخلفاء بنصه ^(٢) .

أخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال : (الحسن والحسين : اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سمّت العرب بهما في الجاهلية) ^(٣) .

ولد الحسن رضي الله عنه في نصف رمضان ، سنة ثلاث من الهجرة ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث .

روى عنه : عائشة رضي الله عنها ، وخلائق من التابعين ؛ منهم : ابنه الحسن ، وأبو الحوراء ربيعة بن شيبان ^(٤) ، والشعبي ^(٥) ، وأبو وائل ^(٦) .

[شبهه بالنبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض فضائله رضي الله عنه]

وكان شبيهاً بالنبي صلى الله عليه وسلم ، سماه النبي صلى الله عليه وسلم

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (٣٥٢ / ٦) ، و « مروج الذهب » (١٨١ / ٣) ، و « مقاتل الطالبين » (ص ٤٦) ، و « المتكلم » (٢٢٥ / ٥) ، و « الكامل » (٤٦٠ / ٣) ، و « أسد الغابة » (١٠ / ٢) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٣ / ٤) ، و « سير أعلام النبلاء » (٢٤٥ / ٣) ، و « الإصابة » (٣٢٧ / ١) .

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون بعد ذلك الملك » أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٢١ / ٥) ، والترمذي (٢٢٢٦) ، قال ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٧ / ٨) : وإنما كملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي .

(٣) « الطبقات الكبرى » (٣٥٧ / ٦) .

(٤) في النسخ : (ستان) ، والصواب المثبت ، وانظر « تقريب التهذيب » (ص ١٤٧) ، والله أعلم .

(٥) هو : عامر بن شراحيل .

(٦) هو : شقيق بن سلمة .

الحسن ، وَعَقَّ عنه يوم سابعه ، وحلق شعره وأمر أن يتصدق بزنة شعره فضة ، وهو خامس أهل الكساء^(١) .

قال العسكري : (لم يكن هذا الاسم يعرف في الجاهلية)^(٢) .

وقال المفضل : (إن الله حجب اسم الحسن والحسين حتى سُمي بهما النبي صلى الله عليه وسلم ابنه)^(٣) .

وأخرج البخاري عن أنس قال : (لم يكن أحد أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علي)^(٤) .

وأخرج الشيخان عن البراء قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه وهو يقول : « اللهم ؛ إِنِّي أَحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ »^(٥) .

وأخرج البخاري عن أبي بكرة قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول : « إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ ؛ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ »^(٦) .

وأخرج البخاري عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا »^(٧) يعني : الحسن والحسين .

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله

(١) والمراد بهم : ما أخرجه أحمد في « مسنده » (٢٩٢ / ٦) ، والترمذي (٣٧٨٧) عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ في بيت أم سلمة ، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساء وعلي خلف ظهره فجلله بكساء ثم قال : « اللهم ؛ هؤلاء أهل بيتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً » قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : « أنت على مكانك وأنت إلى خير » .

(٢) أورده ابن الأثير في « أسد الغابة » (١١ / ٢) ، والإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٣٩٢ / ١) .

(٣) أورده ابن الأثير في « أسد الغابة » (١٥ / ٢) .

(٤) صحيح البخاري (٣٧٥٢) .

(٥) صحيح البخاري (٣٧٤٩) ، وصحيح مسلم (٢٤٢٢) .

(٦) صحيح البخاري (٢٧٠٤) .

(٧) صحيح البخاري (٣٧٥٣) .

صلى الله عليه وسلم : « الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنَّةِ »^(١) .

وأخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وحسن وحسين على وركيه فقال : « هَٰذَانِ ابْنَايَ وَابْنَا ابْنَتِي ، اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا ، وَأَحِبَّ مِنْ يُحِبُّهُمَا »^(٢) .

وأخرج عن أنس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسنُ والحسينُ »^(٣) .

وأخرج الحاكم عن ابن عباس قال : أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته ، فلقى رجل فقال : نِعَمَ المركب ركبت يا غلام !! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وَنِعَمَ الرَّكِيبُ هُوَ »^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن الزبير قال : (أشبه أهل النبي صلى الله عليه وسلم به وأحبهم إليه : الحسن بن علي ، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته - أو قال : ظهره - فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، ولقد رأيته وهو راکع ، فيفرج له بين رجله حتى يخرج من الجانب الآخر)^(٥) .

وأخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي ، فإذا رأى الصبي حمرة اللسان . . يهش إليه)^(٦) .

وأخرج الحاكم عن زهير بن الأقرم قال : قام الحسن بن علي يخطب ، فقام رجل من أزد شنوءة فقال : أشهد لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعه في حبوته وهو يقول : « مَنْ أَحَبَّنِي . . فليُحِبَّهُ ، وليُبلغِ الشاهدُ الغائبَ » ولولا

(١) سنن الترمذي (٣٧٦٨) ، ومستدرک الحاكم (١٦٦/٣ - ١٦٧) .

(٢) سنن الترمذي (٣٧٦٩) .

(٣) سنن الترمذي (٣٧٧٢) .

(٤) مستدرک الحاكم (١٧٠/٣) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣٥٩/٦) .

(٦) الطبقات الكبرى (٣٥٩/٦) .

كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . ما حدثت به أحداً^(١) .

كان الحسن رضي الله عنه له مناقب كثيرة : سيداً حليماً ، ذا سكينه ووقار وحشمة ، جواداً ممدحاً ، يكره الفتن والسيوف ، تزوج كثيراً ، وكان يجيز الرجل الواحد بمئة ألف^(٢) .

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال : (لقد حج الحسن خمساً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه)^(٣) .

وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال : (ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ إذا تكلم . . ألاّ يسكت من الحسن بن علي ، وما سمعت منه كلمة فحش قط إلا مرة ؛ فإنه كان بين الحسين وعمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض ، فعرض الحسين أمراً لم يرضه عمرو ، فقال الحسن : فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه ، قال : فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه قط)^(٤) .

[حلمه رضي الله عنه على مروان وهو أمير]

وأخرج ابن سعد عن عمير بن إسحاق قال : (كان مروان أميراً علينا ، فكان يسب علينا كل جمعة على المنبر ، وحسن يسمع فلا يرد شيئاً ، ثم أرسل إليه رجلاً يقول له : بعليّ وبعلي وبعلي وبك وبك وبك ، وما وجدت مثلك إلا مثل البغلة يقال لها : من أبوك ؟ فتقول : أُمي الفرس ، فقال له الحسن : ارجع إليه فقل له : إني والله ؛ لا أمحو عنك شيئاً مما قلت بأن أسبك ، ولكن موعدني وموعدك الله ؛ فإن كنت صادقاً . جزاك الله بصدقك ، وإن كنت كاذباً . فالله أشد نقمة)^(٥) .

(١) مستدرک الحاكم (٣/١٧٣-١٧٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤/٣٦-٣٧) .

(٣) مستدرک الحاكم (٣/١٦٩) .

(٤) الطبقات الكبرى (٦/٣٦٨) .

(٥) لم نقف عليه في مطبوع « الطبقات » ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٧/٢٤٣) من طريق ابن سعد .

وأخرج ابن سعد عن رزيق بن سوار قال : (كان بين الحسن وبين مروان كلام ، فأقبل عليه مروان ، فجعل يغلظ له ، وحسن ساكت ، فامتخط مروان يمينه ، فقال له الحسن : ويحك ؛ أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج ؟ أف لك !! فسكت مروان)^(١) .

وأخرج ابن سعد عن أشعث بن سوار ، عن رجل قال : (جلس رجل إلى الحسن فقال : إنك جلست إلينا على حين قيام منا ، أفتأذن ؟)^(٢) .

وأخرج ابن سعد عن علي بن زيد بن جدعان قال : (خرج الحسن من ماله لله مرتين ، وقاسم الله ماله ثلاث مرات ، حتى إن كان ليعطي نعلًا ويمسك نعلًا ، ويعطي خفًا ويمسك خفًا)^(٣) .

[كثرة زواجه وطلاقه لتكثير نسله رضي الله عنه]

وأخرج ابن سعد عن علي بن الحسين قال : (كان الحسن مطلقاً للنساء ، وكان لا يفارق امرأة . إلا وهي تحبه ، وأحصن تسعين امرأة)^(٤) .

وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : (كان الحسن يتزوج ويطلق ، حتى خشيت أن يورثنا عداوة في القبائل)^(٥) .

وأخرج ابن سعد عن جعفر بن محمد ، عن أبيه قال : قال علي : (يا أهل الكوفة ؛ لا تزوجوا الحسن ؛ فإنه رجل مطلق) ، فقال رجل من همدان : والله لنزوجنه ؛ فما رضي . . أمسك ، وما كره . . طلق^(٦) .

وأخرج ابن سعد عن عبد الله بن حسن قال : (كان الحسن رجلاً كثير نكاح

(١) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٦٩) .

(٢) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٦٨) .

(٣) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧٤) .

(٤) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧٥) .

(٥) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧٥) .

(٦) الطبقات الكبرى (٦/ ٣٧٥) .

النساء ، وَكُنَّ قَلَمًا يَحْظِينَ عِنْدَهُ ، وَكَانَ قَلَّ امْرَأَةً تَزُوجُهَا إِلَّا أَحْبَبْتَهُ وَصَبَتْ بِهِ (١) .

وأخرج ابن عساكر عن جويرة بن أسماء قال : (لما مات الحسن .. بكى مروان في جنازته ، فقال له حسين : أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه ؟! فقال : إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا ، وأشار بيده إلى الجبل) (٢) .

وأخرج ابن عساكر عن المبرد قال : (قيل للحسن بن علي : إن أبا ذر يقول : الفقير أحب إلي من الغنى ، والسقم أحب إلي من الصحة ، فقال : رحم الله أبا ذر !! أما أنا أقول : من اتكل على حسن اختيار الله له .. لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له ، وهذا حد الوقوف على الرضا بما تصرف به القضا) (٣) .

[نزوله عن الخلافة رضي الله عنه وتحقيق المعجزة]

ولي الحسن رضي الله عنه الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة ، فأقام فيها ستة أشهر وأياماً ، ثم سار إليه معاوية والأمر إلى الله ، فأرسل إليه الحسن : يبذل له تسليم الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده ، وعلى ألا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه ، وعلى أن يقضي عنه ديونه .

فأجابه معاوية إلى ما طلب ، فاصطلحا على ذلك ، فظهرت المعجزة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم : « يُصْلَحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ونزل له عن الخلافة .

وقد استدلل البلقيني بنزوله عن الخلافة التي هي أعظم المناصب : على جواز النزول عن الوظائف .

(١) الطبقات الكبرى (٣٨٦/٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٥٢/١٣) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٥٣/١٣) .

وكان نزوله عنها في سنة إحدى وأربعين ، في شهر ربيع الأول ، وقيل :
الآخر ، وقيل : في جمادى الأولى ، فكان أصحابه يقولون له : يا عار
المؤمنين ، فيقول : (العار خير من النار) .

وقال له رجل : (السلام عليك يا مُذل المؤمنين ، فقال : لست بمذل
المؤمنين ؛ ولكنني كرهت أن أقتلكم على الملك)^(١) .

ثم ارتحل الحسن عن الكوفة إلى المدينة فأقام بها .

وأخرج الحاكم عن جبير بن نفير قال : (قلت للحسن : إن الناس يقولون :
إنك تريد الخلافة ؟ فقال : قد كان جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ،
ويسالمون من سالمته ، تركتها ابتغاء وجه الله ، وحقق دماء أمة محمد صلى الله
عليه وسلم ، ثم أبتزها بأتياس أهل الحجاز)^(٢) .

[وفاة الحسن رضي الله عنه]

توفي الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموماً ، سمته زوجته جعدة بنت
الأشعث بن قيس ، دس إليها يزيد بن معاوية أن تسمه ويتزوجها ، ففعلت ، فلما
مات الحسن . . بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها ، فقال : إنا لم نرضك
للحسن فنرضاك لأنفسنا !

وكانت وفاته سنة تسع وأربعين ، وقيل : في خامس ربيع الأول سنة
خمسین ، وقيل : سنة إحدى وخمسين ، وجهد به أخوه أن يخبره من سقاه فلم
يخبره ، وقال : (الله أشد نقمة إن كان الذي أظن ، وإلا . . فلا يقتل بي - والله -
بريء) .

وأخرج ابن سعد عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : رأى الحسن كأن بين
عينيه مكتوباً ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ فاستبشر به أهل بيته ، فقصّوها على سعيد بن

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٦٠٤ / ٤) .

(٢) مستدرک الحاكم (١٧٠ / ٣) .

المسيب ، فقال : (إن صدقت رؤياه . . فقل ما بقي من أجله ، فما بقي إلا أياماً حتى مات)^(١) .

[كرامة لمن رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق]

وأخرج البيهقي وابن عساكر من طريق أبي المنذر هشام بن محمد عن أبيه قال : أضاق الحسن بن علي ، وكان عطاؤه في كل سنة مئة ألف ، فحبسها عنه معاوية في إحدى السنين ، فأضاق إضاقة شديدة ، قال : فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ، ثم أمسكت ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال : « كيف أنت يا حسن ؟ » فقلت : بخير يا أبت ، وشكوت إليه تأخر المال عني ، فقال : « أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ ! » فقلت : نعم يا رسول الله ، فكيف أصنع ؟

فقال : « قل : اللهم ؛ اقذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك ، اللهم ؛ وما ضعفت عنه قوتي ، وقصر عنه عملي ، ولم تنته إليه رغبتني ، ولم تبلغه مسألتني ، ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين . . فخصني به يا رب العالمين » .

قال : فوالله ؛ ما ألححت به أسبوعاً حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمس مئة ألف ، فقلت : الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من دعاه .

فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال : « يا حسن ؛ كيف أنت ؟ » فقلت : بخير يا رسول الله ، وحدثته حديثي ، فقال : « يا بني ؛ هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق »^(٢) .

[نصحه لأخيه الحسين وتثبيت الحسين له رضي الله عنهما]

وفي « الطيوريات » عن سليم بن عيسى قارئ أهل الكوفة قال : (لما

(١) الطبقات الكبرى (٣ / ٣٨٦) .

(٢) تاريخ دمشق (١٣ / ١٦٧) من طريق البيهقي .

حضرت الحسن الوفاة . . جزع ، فقال له الحسين : يا أخي ؛ ما هذا الجزع ؟ !
إنك ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى علي ؛ وهما أبواك ، وعلى
خديجة وفاطمة ؛ وهما أماك ، وعلى القاسم والطاهر ؛ وهما خالاك ، وعلى
حمزة وجعفر ؛ وهما عماك .

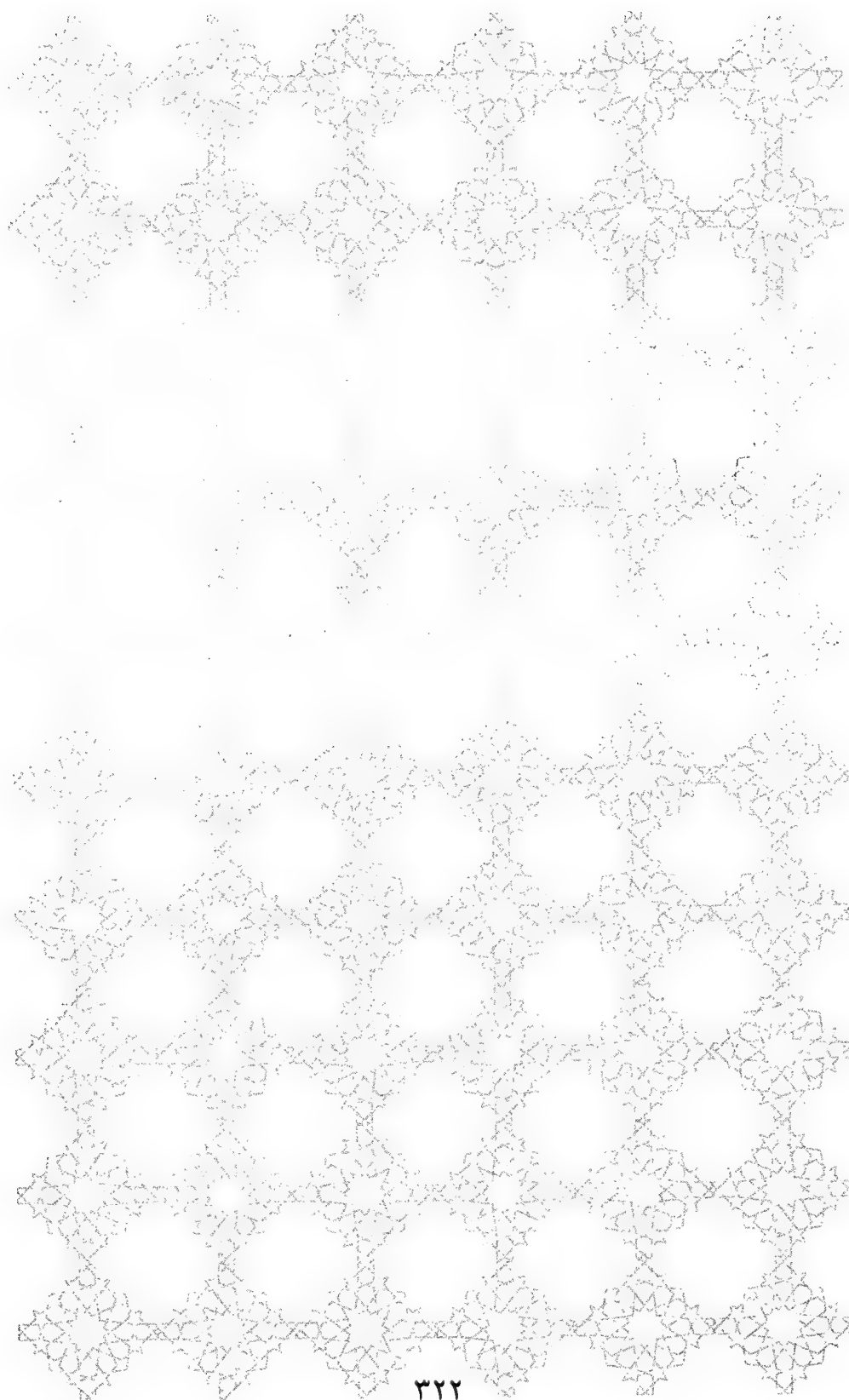
فقال له الحسن : أي أخي ؛ إنني أدخل في أمر من أمر الله لم أدخل في مثله ،
وأرى خلقاً من خلق الله لم أر مثله قط (١) .

قال ابن عبد البر : وروينا من وجوه : (أنه لما احتضر . . قال لأخيه : يا
أخي ؛ إن أباك استشف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ، ووليها أبو بكر ، ثم
استشف لها ، فصرفت عنه إلى عمر ، ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه ،
فصرفت عنه إلى عثمان ، فلما قتل عثمان . . بويع ، ثم نوزع حتى جرّد السيف
فما صفت له ، وإني والله ؛ ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة ، فلا أعرفن
ما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك ، وقد كنت طلبت إلى عائشة رضي الله عنها
أن أدفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : نعم ، فإذا مت . . فاطلب
ذلك إليها ، وما أظن القوم إلا سيمنعونك ، فإن فعلوا . . فلا تراجعهم ، فلما
مات . . أتى الحسين عائشة رضي الله عنها ، فقالت : نعم وكرامة ، فمنعهم
مروان ، فلبس الحسين ومن معه السلاح حتى ردّه أبو هريرة ، ثم دفن في البقيع
إلى جنب أمه رضي الله عنهما (٢) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٧ / ١٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٠ / ٤) .

الدولة الأموية



خلافة معاوية بن أبي سفيان

رضي الله عنها

[٤١-٦٠هـ]^(١)

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الأموي ، أبو عبد الرحمن .

أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة ، وشهد حيناً ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه ، وكان أحد الكتّاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مئة حديث وثلاثة وستون حديثاً .

روى عنه من الصحابة : ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، وأبو الدرداء^(٢) ، وجريز البجلي ، والنعمان بن بشير وغيرهم .

ومن التابعين : ابن المسيب ، وحמיד بن عبد الرحمن وغيرهما .

[وصفه وما ورد في فضله رضي الله عنه]

وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم ، وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت .

أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عُميرة الصحابي رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لمعاوية : « اللهم ؛ اجعله هادياً مَهْدِياً »^(٣) .

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (١٥/٦) ، و« تاريخ الطبري » (٣٢٣/٥) ، و« مروج الذهب » (١٨٨/٣) ، و« معرفة الصحابة » لأبي نعيم (٢٤٩٦/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٢٠٧/١) ، و« تاريخ دمشق » (٥٥/٥٩) ، و« المتظم » (١٨٥/٥) ، و« الكامل في التاريخ » (٥/٤) ، و« أسد الغابة » (٢٠٩/٥) ، و« تهذيب الكمال » (١٧٦/٢٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٠٦/٤) ، و« البداية والنهاية » (١١٧/٨) ، و« الإصابة » (٤١٢/٣) .

(٢) اسمه : عويمر بن زيد بن قيس .

(٣) سنن الترمذي (٣٨٤٢) .

وأخرج أحمد في « مسنده » عن العرياض بن سارية : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم ؛ علم معاوية الكتاب والحساب ، وقه العذاب » (١) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » ، والطبراني في « الكبير » عن عبد الملك بن عُمير قال : قال معاوية : ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معاوية ؛ إذا ملكت . . فأحسن » (٢) .

وكان معاوية رجلاً طويلاً أبيض ، جميلاً مهيأً .

وكان عمر ينظر إليه فيقول : (هذا كسرى العرب) (٣) .

وعن علي قال : (لا تكرهوا إمرة معاوية ؛ فإنكم لو فقدتموه . . لرأيتم الرؤوس تندرج عن كواهلها) (٤) .

وقال المقبري : (تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية ؟ !) (٥) .

وكان يضرب بحلمه المثل ، وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية .

قال ابن عون : (كان الرجل يقول لمعاوية : والله ؛ لتستقيمن بنا يا معاوية ، أولنقومنك ، فيقول : بماذا ؟ فيقولون : بالخشب ، فيقول : إذن نستقيم) (٦) .
وقال قبيصة بن جابر : (صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ، ولا أبطأ جهلاً ، ولا أبعد أناة منه) (٧) .

ولما بعث أبو بكر الجيوش إلى الشام . . سار معاوية مع أخيه يزيد بن

(١) مسند أحمد (١٢٧/٤) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٣٥٨) ، والمعجم الكبير (٣٦١/١٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٥/٥٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١١/٤) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٢/٥٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١١/٤) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٥/٥٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١١/٤) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٤/٥٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١٥/٤) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٧/٥٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١٥/٤) .

أبي سفيان ، فلما مات يزيد . . استخلفه عليّ دمشق ، فأقره عمر ، ثم أقره عثمان وجمع له الشام كله ، فأقام أميراً عشرين سنة ، وخليفة عشرين سنة .
قال كعب الأحبار : (لن يملك أحد هذه الأمة ما ملك معاوية)^(١) .

قال الذهبي : (توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية ، قال : وصدق كعب فيما نقله ؛ فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض ، بخلاف غيره ممن بعده ؛ فإنه كان لهم مخالف ، وخرج عن أمرهم بعض الممالك)^(٢) .

خرج معاوية عليّ علي - كما تقدم - وتسمي بالخلافة^(٣) ، ثم خرج علي الحسن ، فنزل له الحسن عن الخلافة ، فاستقر فيها من ربيع الآخر أو جمادى الأولى ، سنة إحدى وأربعين ، فسُمي هذا العام : عام الجماعة ؛ لاجتماع الأمة فيه عليّ خليفة واحد .

وفيه : ولّي معاوية مروان بن الحكم المدينة^(٤) .

وفي سنة ثلاث وأربعين : فتحت الرُّحَج وغيرها من بلاد سِجِسْتان ، ووَدَّان من برقة ، وكُور^(٥) من بلاد السودان .

وفيهما : استلحق معاوية زياد ابن أبيه^(٦) ، وهي أول قضية غير فيها حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الإسلام ، ذكره الثعالبي وغيره .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٦/٥٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣١٤/٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١٥/٤) .

(٣) انظر ما تقدم (ص ٢٩٤) .

(٤) كذا في « تاريخ الإسلام » (٨/٤) ، وفي « تاريخ الطبري » (١٧٢/٥) ، و« البداية والنهاية » (٢٥/٨) : أنه كان في سنة (٤٢ هـ) .

(٥) كذا في (أ ، ب ، د ، هـ ، و) ، وفي (ج) : (كور) . وجاء في « معجم البلدان » (٤٨٦/٤) : (أن التي افتتحها عقبة بن عامر هي « كُور » قال : هي إقليم من بلاد السودان جنوب فزان) ، وانظر « فتوح مصر » (ص ٣٣١) .

(٦) جاء خبر الاستلحاق عند الطبري (٢١٤/٥) ، وفي « المنتظم » (٢١٠/٥) ، و« الكامل في التاريخ » (٢٩٩/٣) ، و« البداية والنهاية » (٢٩/٨) : (أنه في سنة « ٤٤ هـ ») .

وفي سنة خمس وأربعين : فتحت القيقان .

وفي سنة خمسين : فتحت قُهستان عنوة^(١) .

وفيها : دعا معاوية أهل الشام إلى البيعة بولاية العهد من بعده لابنه يزيد فبايعوه^(٢) ، وهو أول من عهد بالخلافة لابنه ، وأول من عهد بها في صحته .

ثم إنه كتب إلى مروان بالمدينة أن يأخذ البيعة له ، فخطب مروان فقال : (إن أمير المؤمنين رأى أن يستخلف عليكم ولده يزيد سنة أبي بكر وعمر) .

فقام عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق فقال : (بل سنة كسرى وقيصر ، إن أبا بكر وعمر لم يجعلها في أولادهما ولا في أحد من أهل بيتهما) .

[أخذ البيعة ليزيد]

ثم حج معاوية سنة إحدى وخمسين ، وأخذ البيعة لابنه ، فبعث إلى ابن عمر فتشهد وقال : (أما بعد : يا بن عمر ؛ إنك كنت تحدثني أنك لا تحب تبیت ليلة سوداء ليس عليك فيها أمير ، وإنني أحذرك أن تشق عصا المسلمين ، أو تسعى في فساد ذات بينهم) .

فحمد ابن عمر الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد : فإنه قد كانت قبلك خلفاء لهم أبناء ، ليس ابنك بخير من أبنائهم ، فلم يروا في أبنائهم ما رأيت في ابنك ؛ ولكنهم اختاروا للمسلمين حيث علموا الخيار ، وإنك تحذرنى أن أشق عصا المسلمين ولم أكن لأفعل ، إنما أنا رجل من المسلمين ، فإذا اجتمعوا على أمر . . فإنما أنا رجل منهم) ، فقال : (يرحمك الله) فخرج ابن عمر .

ثم أرسل إلى ابن أبي بكر ، فتشهد ثم أخذ في الكلام ، فقطع عليه كلامه

(١) كذا في « تاريخ الإسلام » (٢١/٤) ، وجاء خبر فتحها عند الطبري (٢٨٦/٥) ، و« المنتظم » (٢٤٣/٥) ، و« الكامل » (٣٣٨/٣) في سنة (٥١ هـ) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٤٧/٤) ، وجاء خبر البيعة عند الطبري (٣٠١/٥) ، و« المنتظم » (٢٨٥/٥) ، و« الكامل » (٣٤٩/٣) ، و« البداية والنهاية » (٨٢/٨) في سنة (٥٦ هـ) .

وقال : (إنك والله ؛ لوددت أنا وكلناك في أمر ابنك إلى الله ، وإنا والله لا نفعل ، والله ؛ لترددَ هذا الأمر شورى في المسلمين ، أو لتفرقنها عليك جذعة) ثم وثب ومضى .

فقال معاوية : (اللهم ؛ اكفنيه بما شئت ، ثم قال : على رسلك أيها الرجل ، لا تشرفن على أهل الشام ؛ فإني أخاف أن يسبقوني بنفسك حتى أخبر العشيّة أنك قد بايعت ، ثم كن بعد على ما بدا لك من أمرك) .

ثم أرسل إلى ابن الزبير ، فقال : (يا ابن الزبير ؛ إنما أنت ثعلب رواغ ، كلما خرج من جحر . . دخل آخر ، وإنك عمدت إلى هذين الرجلين ، فنفخت في مناخرهما ، وحملتهما على غير رأيهما) .

فقال ابن الزبير : (إن كنت قد مللت الإمارة . . فاعتزلها ، وهلم ابنك فلنبايعه ، أرايت إذا بايعتُ ابنك معك . . لأيكما نسمع ونطيع ؟ لا نجتمع البيعة لكما أبداً) ثم راح .

وصعد معاوية المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (إنا وجدنا أحاديث الناس ذات عوار ، زعموا أن ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير لن يبايعوا يزيد ، وقد سمعوا وأطاعوا وبايعوا له) .

فقال أهل الشام : والله ؛ لا نرضى حتى يبايعوا له على رؤوس الأشهاد ، وإلا . . ضربنا أعناقهم .

فقال : (سبحان الله !! ما أسرع الناس إلى قریش بالشر !! لا أسمع هذه المقالة من أحد منكم بعد اليوم) ثم نزل .

فقال الناس : بايع ابن عمر وابن أبي بكر وابن الزبير ، وهم يقولون : لا والله [ما بايعنا] ، فيقول الناس : بلى ، وارتحل معاوية ، فلحق بالشام^(١) .

وعن ابن المنكدر قال : (قال ابن عمر حين بويع يزيد : إن كان خيراً . . رضيينا ، وإن كان بلاء . . صبرنا)^(٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٤/١٤٨-١٥٠) وما بين معقوفين زيادة منه .

(٢) أخرجه ابن سعد في « الطبقات الكبرى » (٤/١٧٠) .

[قصة أم معاوية وزواجها بأبي سفيان رضي الله عنهم]

وأخرج الخرائطي في « الهواتف » عن حميد بن وهب قال : (كانت هند بنت عتبة بن ربيعة عند الفاكه بن المغيرة ، وكان من فتيان قريش ، وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس من غير إذن ، فخلا البيت ذات يوم ، فقام الفاكه وهند فيه ، ثم خرج الفاكه لبعض حاجاته ، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجعه ، فلما رأى المرأة . . ولئى هارباً ، فأبصره الفاكه ، فانتهى إليها فضربها برجله ، وقال : من هذا الذي كان عندك ؟ .

قالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهت حتى أنبهتني ، فقال لها : الحقى بأهلك ، وتكلم فيها الناس .

فخلا بها أبوها فقال لها : يا بنية ؛ إن الناس قد أكثروا فيك فأنبئني بذاك ؛ فإن يكن الرجل صادقاً . . دسيت إليه من يقتله فتقطع عنا القالة ، وإن يكن كاذباً . . حاكمته إلى بعض كهان اليمن .

قال : فحلفت له بما كانوا يحلفون به في الجاهلية أنه كاذب عليها .

فقال عتبة للفاكه : إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم ، فحاكمني إلى بعض كهان اليمن ، فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم ، وخرج عتبة في جماعة من بني عبد مناف ، ومعهم هند ونسوة معها تأنس بهن ، فلما شارفوا البلاد . . تنكرت حال هند وتغير وجهها .

فقال لها أبوها : يا بنية ؛ إنني قد أرى ما بك من تغير الحال ؛ وما ذاك إلا لمكروه عندك ؟ ! قالت : لا والله يا أبتاه ؛ وما ذاك لمكروه ، ولكني أعرف أنكم تأتون بشراً يخطيء ويصيب ، فلا آمنه أن يسمني بسيماء تكون علي سبة في العرب .

فقال لها : إنني سوف أختبره لك قبل أن ينظر في أمرك ، فصفر لفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبة من الحنطة وأوكأ عليها بسير ، وصبّحوا الكاهن ، فنحر لهم وأكرمهم .

فلما تغدوا . . قال له عتبة : إنا قد جئناك في أمر ، وقد خبأت لك خبئاً أختبرك

به ، فانظر ما هو ؟ قال : برة في كمره ، قال : أريد أبين من هذا ، قال : حبة من بر في إحليل مهر .

فقال عتبة : صدقت ، انظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يدنو من إحداهن ويضرب كتفها ويقول : انهضي حتى دنا من هند فضرب كتفها وقال : انهضي غير وسخاء ولا زانية ، ولتلدن ملكاً يقال له : معاوية .

فنظر إليها الفاكه فأخذ بيدها ، فنثرت يدها من يده وقالت : إليك ، فإله ؛ لأحرصن أن يكون ذلك من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان ، فجاءت بمعاوية (١) .

[وفاة سيدنا معاوية ووصيته رضي الله عنه]

مات معاوية في رجب سنة ستين ، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير ، وقيل : إنه عاش سبعا وسبعين سنة .

وكان عنده شيء من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلامة أظفاره ، فأوصى أن تجعل في فمه وعينه ، وقال : (افعلوا ذلك ، وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين) (٢) .

فَضْلُكَ

في نبذ من أخباره

أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن سعيد بن جُمهان قال : (قلت لسفيانة : إن بني أمية يزعمون أن الخلافة فيهم ؟ قال : كذب بنو الزرقاء ، بل هم ملوك من أشد الملوك ، وأول الملوك معاوية) (٣) .

وأخرج البيهقي وابن عساكر عن إبراهيم بن سويد الأرمني قال : (قلت لأحمد ابن حنبل : من الخلفاء ؟ قال : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، قلت :

(١) هواتف الجنان (ص ٧٤-٧٦) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٩/٥٩) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١٥٧) ، وأخرجه الترمذي (٢٢٢٦) .

فمعاوية ؟ قال : لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي (١) .

وأخرج السلفي في « الطيوريات » عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل قال :
(سألت أبي عن علي ومعاوية ، فقال : اعلم أن علياً كان كثير الأعداء ، ففتش له
أعداؤه عيباً فلم يجدوا ، فجاءوا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كياداً منهم
له) .

[محاورة جارية بن قدامة لسيدنا معاوية رضي الله عنه]

وأخرج ابن عساكر عن عبد الملك بن عُمير قال : (قدم جاريةُ بن قدامة
السعدي على معاوية ، فقال : من أنت ؟ قال : جارية بن قدامة ، قال : وما
عسيت أن تكون ؟ هل أنت إلا نحلة ؟ قال : لا تفعل ؛ فقد شبهتني بها حامية
اللسعة ، حلوة البساق ، والله ؛ ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب ، وما أمية إلا
تصغير أمة) (٢) .

وأخرج عن الفضل بن سويد قال : (وفد جارية بن قدامة على معاوية ، فقال
له معاوية : أنت الساعي مع علي بن أبي طالب ، والموقد النار في شعلك ،
تجوس قرى عربية تسفك دماءهم ؟

قال جارية : يا معاوية ؛ دع عنك علياً ، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ،
ولا غششناه منذ نصحبناه (٣) .

قال : ويحك يا جارية !! ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية .

قال : أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك ؛ إذ سموك معاوية ، قال : لا أم
لك .

(١) تاريخ دمشق (١٣٨/٥٩) من طريق البيهقي ، وزاد في آخره : (ورحم الله معاوية ، قال البيهقي :
هكذا وجدته في الكتاب وعليه « صح » يعني دعاءه) .

(٢) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٣٦٥/٥) لابن منظور ،
وأورده المزني في « تهذيب الكمال » (٤٨٢/٤) .

(٣) في (ج) : (صحبناه) .

قال : أم ما ولدتني ، إن قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفين في أيدينا !!
قال : إنك لتهددني ؟!

قال : إنك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ، ولكن أعطيتنا عهداً ومواثيق ، فإن وفيت لنا . . وفينا لك ، وإن ترغب إلى غير ذلك . . فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً ، وأدرعاً شداداً ، وأسنة حداداً ؛ فإن بسطت إلينا فتراً من غدر . . دلفنا إليك بباع من ختر .

قال معاوية : لا أكثر الله في الناس أمثالك ^(١) .

وأخرج عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الصحابي : أنه دخل على معاوية ، فقال له معاوية : أأست من قتلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكني ممن حضره فلم ينصره ، قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار ، فقال معاوية : أما لقد كان حقه واجباً عليهم أن ينصروه ، قال : فما منعك يا أمير المؤمنين من نصره ومعك أهل الشام ؟ فقال معاوية : أما طلبتي بدمه نصرته له ؟ فضحك أبو الطفيل ثم قال : أنت وعثمان كما قال الشاعر :
[من البسيط]

لا أَلْفَيْنَكَ بعد الموتِ تندُبُنِي وفي حَيَاتِي ما زوَدَتْنِي زادي ^(٢)

[أوليائه رضي الله عنه]

وقال الشعبي : (أول من خطب الناس قاعداً : معاوية ؛ وذلك حين كثر شحمه وعظم بطنه) أخرجه ابن أبي شيبه ^(٣) .

وقال الزهري : (أول من أحدث الخطبة قبل الصلاة في العيد : معاوية) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » ^(٤) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٣٦٥ / ٥) لابن منظور ، وأورده المزي في « تهذيب الكمال » (٤٨٢ / ٤) ، والختر : الغدر .

(٢) تاريخ دمشق (١١٦ / ٢٦) ، والبيت لعبيد بن الأبرص في « ديوانه » (ص ١٨٧) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبه (٥٢٣٦) ، واللفظ من « تاريخ دمشق » (٢٠٢ / ٥٩) .

(٤) مصنف عبد الرزاق (٥٦٤٦) .

وقال سعيد بن المسيب : (أول من أحدث الأذان في العيد : معاوية) أخرجه ابن أبي شيبة^(١) .

وقال : (أول من نقص التكبير : معاوية) أخرجه^(٢) .

وفي « الأوائل » للعسكري قال : (معاوية أول من وضع البريد في الإسلام^(٣) ، وأول من اتخذ الخصيان لخاص خدمته^(٤) ، وأول من عبث به رعيته^(٥) ، وأول من قيل له : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله^(٦) ، وأول من اتخذ ديوان الخاتم ، وولاه عبید الله بن أوس الغساني ، وسلم إليه الخاتم ، وعلى فضّه : لكل عمل ثواب ، واستمر ذلك في الخلفاء العباسيين إلى آخر وقت ، وسبب اتخاذه له : أنه أمر لرجل بمئة ألف ، ففك الكتاب وجعله مئتي ألف ، فلما رفع الحساب إلى معاوية . . أنكر ذلك ، واتخذ ديوان الخاتم من يومئذ^(٧) ، وهو أول من اتخذ المقصورة بالجامع^(٨) ، وأول من أذن في تجريد الكعبة ، وكانت كسوتها قبل ذلك تطرح عليها شيئاً فوق شيء .

وأخرج الزبير بن بكار في « الموفقيات » عن ابن أخي الزهري قال : (قلت للزهري : من أول من استحلف في البيعة ؟ قال : معاوية استحلفهم بالله ، فلما كان عبد الملك بن مروان . . استحلفهم بالطلاق والعناق) .

وأخرج العسكري في كتاب « الأوائل » عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال : (قدم معاوية مكة أو المدينة ، فأتى المسجد ، فقعده في حلقة فيها : ابن عمر ، وابن عباس ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأقبلوا عليه وأعرض ابن

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٦٩٠٥) .

(٢) كذا في النسخ بياض ، والخبر أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٣ / ٥٩) .

(٣) الأوائل (ص ١٦٢) .

(٤) الأوائل (ص ١٦٨) .

(٥) الأوائل (ص ١٦٤) .

(٦) الأوائل (ص ١٦٦) .

(٧) الأوائل (ص ٦٩ - ٧٠) .

(٨) الأوائل (ص ١٦٣) .

عباس ، فقال : وأنا أحق بهذا الأمر من هذا المعرض وابن عمه .

فقال ابن عباس : ولم ؟ التقدم في الإسلام ، أم سابقة مع رسول الله ، أم قرابة منه ؟

قال : لا ؛ ولكن ابن عم المقتول ، قال : فهذا أحق به - يريد ابن أبي بكر - قال : إن أباه مات موتاً ؟ قال : فهذا أحق به - يريد ابن عمر - قال : إن أباه قتله كافر ، قال : فذاك أدحض لحجتك أن كان المسلمون عتبوا على ابن عمك فقتلوه (١) .

[معاتبته للأنصار وردهم عليه رضي الله عنهم]

وقال عبد الله بن محمد بن عقيل : قدم معاوية المدينة فلقية أبو قتادة الأنصاري ، فقال معاوية : تلقاني الناس كلهم غيركم يا معشر الأنصار ؟ قال : لم يكن لنا دواب ، قال : فأين النواضح ؟ قال : عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر .

ثم قال أبو قتادة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا : « إِنَّكُمْ سَتَرُونَ بَعْدِي أَثَرَةً » قال معاوية : فما أَمَرَكُم ؟ قال : أَمَرْنَا أَنْ نَصْبِر ، قال : فاصبروا ، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال : [من الوافر]

أَلَا أَلِغَ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَا كَلَامِي (٢)
فإِنَّا صَابِرُونَ وَمُنْظَرُوكُمْ إِلَى يَوْمِ التَّغَابُنِ وَالْخِصَامِ (٣)

[سياسة سيدنا معاوية رضي الله عنه]

وأخرج ابن أبي الدنيا وابن عساكر عن جبلة بن سحيم قال : دخلت على معاوية بن أبي سفيان وهو في خلافته وفي عنقه حبل وصبي يقوده ، فقلت :

(١) الأوائل (ص ٣١) .

(٢) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في « مصنفه » (١٩٩٠٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٦ / ٣٤) .

يا أمير المؤمنين ؛ أتفعل هذا ؟ قال : يا لكع !! اسكت ؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ كَانَ لَهُ صَبِيٌّ . . فَلْيَتَصَابَ لَهُ » ، قال ابن عساكر : غريب جداً^(١) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن الشعبي قال : دخل شاب من قریش على معاوية فأغلظ له ، فقال له : (يا بن أخي ؛ أنهاك عن السلطان ، إن السلطان يغضب غضب الصبي ، ويأخذ أخذ الأسد)^(٢) .

وأخرج عن الشعبي قال : (قال زياد : استعملت رجلاً فكثر خراجه ، فخشي أن أعاقبه ففر إلى معاوية ، فكتبت إليه : إن هذا أدب سوء لمن قبلي .

فكتب إلي : أنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس سياسة واحدة : أن نلين جميعاً فيمرح الناس في المعصية ، ولا أن نشد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ؛ ولكن تكون للشدة والفظاظة ، وأكون أنا لللين والرفقة)^(٣) .

وأخرج عن الشعبي قال : سمعت معاوية يقول : (ما تفرقت أمة قط إلا ظهر أهل الباطل على أهل الحق ، إلا هذه الأمة)^(٤) .

[ثلاثة أبيات بثلاث مئة ألف]

وفي « الطيوريات » عن سليمان المخزومي قال : (أذن معاوية للناس إذناً عاماً ، فلما احتفل المجلس . . قال : أنشدوني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه ، فسكتوا ، ثم طلع عبد الله بن الزبير فقال : هذا مَقُولُ العرب وعلاَمَتُها ، أبا خبيب .

قال : مَهْمِم ؟ قال : أنشدني ثلاثة أبيات لرجل من العرب كل بيت قائم بمعناه ، قال : بثلاث مئة ألف .

(١) العيال (٢٣٤) ، ولم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٣٧٤ / ٥) لابن منظور .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١٩٤) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١٩٥) .

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣١١٩٦) .

قال : وتسايي ؟ قال : أنت بالخيار وأنت واف كاف ، قال : هات ، فأنشده
للأفوه الأودي :

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَمْ أَرِ غَيْرَ خِتَالٍ وَقَالَ

قال : صدق هيه ، قال :

وَلَمْ أَرِ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ وَقَعًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُعَادَاةِ الرِّجَالِ

قال : صدق هيه ، قال :

وَذَقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ طُرًّا فَمَا طَعَمُ أَمْرٍ مِنَ السُّؤَالِ

قال : صدق ، ثم أمر له بثلاث مئة ألف ^(١) .

[خطبة مروان بالمدينة لاستخلاف يزيد]

وأخرج البخاري ، والنسائي ، وابن أبي حاتم في « تفسيره » واللفظ له من
طرق : أن مروان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبل معاوية فقال : (إن الله
قد أرى أمير المؤمنين في ولده يزيد رأياً حسناً ، وإن يستخلفه . . فقد استخلف
أبو بكر وعمر - وفي لفظ : سنة أبي بكر وعمر - فقال عبد الرحمن بن أبي بكر :
سنة هرقل وقيصر ، إن أبا بكر والله ما جعلها في أحد من ولده ، ولا أحد من أهل
بيته ، ولا جعلها معاوية إلا رحمة وكرامة لولده .

فقال مروان : أأست الذي قال لوالديه : أف لكما ؟! فقال عبد الرحمن :

أأست ابن اللعين الذي لعن أباك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟!

فقال عائشة رضي الله عنها : كذب مروان ، ما فيه نزلت ؛ ولكن نزلت في
فلان بن فلان ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في
صلبه ؛ فمروان يفيض من لعنة الله ^(٢) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩٨/٢٨) ، والجريري في « المجلس الصالح » (٣/٣٤٧ -
٣٤٨) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٤) ، ومهيم : كلمة يستفهم بها ، معناها : ما حالك وما شأنك ؟ .
(٢) البخاري (٤٨٢٧) ، والنسائي (١١٤٩١) ، وتفسير ابن أبي حاتم (١٨٥٧٢) .

وأخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن عروة قال : قال معاوية : (لا حلم إلا التجارب)^(١) .

[دهاة العرب أربعة وكذا قضاتها]

وأخرج ابن عساكر عن الشعبي قال : (دهاة العرب أربعة : معاوية ، وعمرو بن العاصي ، والمغيرة بن شعبة ، وزيد ، فأما معاوية . فللحلم والأناة ، وأما عمرو . فللمعضلات ، وأما المغيرة . فللمبادهة ، وأما زيد . فللكبير والصغير)^(٢) .

وأخرج أيضاً عنه قال : (كان القضاة أربعة والدهاة أربعة ، فأما القضاة : فعمرو ، وعلي ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأما الدهاة : فمعاوية ، وعمرو بن العاصي ، والمغيرة ، وزيد)^(٣) .

[صحبة الرجال]

وأخرج عن قبيصة بن جابر قال : (صحبت عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً أقرأ لكتاب الله ، ولا أفقه في دين الله منه ، وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لحزبل مال عن غير مسألة منه ، وصحبت معاوية فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ، ولا أبطأ جهلاً ، ولا أبعد أناة منه ، وصحبت عمرو بن العاصي فما رأيت رجلاً أنصع طرفاً ، ولا أحلم جليساً منه ، وصحبت المغيرة بن شعبة فلو أن مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر . . لخرج من أبوابها كلها)^(٤) .

[من الأجوبة المسكتة]

وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال : أن عقيل بن أبي طالب سأل علياً

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٢٦١٣٦) .

(٢) تاريخ دمشق (١٨٢ / ١٩) ، وزيد : هو المعروف بزياد ابن أبيه .

(٣) تاريخ دمشق (١٨٢ / ١٩) .

(٤) تاريخ دمشق (١٨٢ / ١٩ - ١٨٣) .

فقال : (إني محتاج وإني فقير فأعطني ، قال : اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم ، فألحَّ عليه ، فقال لرجل : خذ بيده فانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل : دق هذه الأقفال ، وخذ ما في هذه الحوانيت .

قال : تريد أن تتخذني سارقاً؟! قال : وأنت تريد أن تتخذني سارقاً أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم؟!

قال : لآتين معاوية ، قال : أنت وذاك ، فأتى معاوية فسأله فأعطاه مئة ألف ، ثم قال : اصعد المنبر ؛ فاذا ذكر ما أولاك علي وما أوليتك ، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إني أخبركم أنني أردت علياً علي دينه فاختر دينه ، وأني أردت معاوية علي دينه فاخترني علي دينه ^(١) .

وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمد ، عن أبيه : أن عقيلاً دخل على معاوية ، فقال معاوية : (هذا عقيل وعمه أبو لهب ، فقال عقيل : هذا معاوية وعمته حمالة الحطب) ^(٢) .

وأخرج ابن عساكر عن الأوزاعي قال : (دخل خُريم بن فَاتِك علي معاوية ومئزره مشمّر ، وكان حسن الساقين ، فقال معاوية : لو كانت هاتان الساقان لامرأة ، فقال خُريم : في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين) ^(٣) .

[من مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام معاوية من الأعلام : صفوان بن أمية ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وصفية ، وميمونة ، وسودة ، وجويرية ، وعائشة أمهات المؤمنين رضي الله عنهم ، ولبيد الشاعر ، وعثمان بن طلحة الحَجَبِي ، وعمرو بن العاصي ، وعبد الله بن سلام الحَبر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو موسى الأشعري ، وزيد بن ثابت ، وأبو بكرة ، وكعب بن مالك ، والمغيرة بن شعبة ، وجريير البَجَلِي ،

(١) تاريخ دمشق (٤١/٢١-٢٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٤١/٢٣) .

(٣) تاريخ دمشق (١٦/٣٥٣) .

وأبو أيوب الأنصاري ، وعمران بن حُصين ، وسعيد بن زيد ، وأبو قتادة الأنصاري ، وفَضَّالَة بن عبيد ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، وجُبَيْر بن مُطْعِم ، وأسامة بن زيد ، وثوبان ، وعمرو بن حزم ، وحسان بن ثابت ، وحكيم بن حزام ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو اليَسَر ، وقُثَم بن العباس ، وأخوه عبيد الله ، وعقبة بن عامر ، وأبو هريرة^(١) في سنة تسع وخمسين - وكان يدعو : (اللهم ؛ إني أعوذ بك من رأس الستين ، وإمارة الصبيان)^(٢) فاستجيب له - وخلائق آخرون رضي الله عنهم .

(١) اسمه : عبد الرحمن بن صخر ، وقيل غير ذلك على أقوال كثيرة .

(٢) أخرجه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٦) نحوه ، والطبراني في « الأوسط » (١٤١٩) .

خلافة يزيد بن معاوية

[٦٠-٦٣هـ] (١)

أبو خالد الأموي ، ولد سنة خمس أو ست وعشرين ، وكان ضخماً كثير اللحم ، كثير الشعر ، وأمه : ميسون بنت بحدل الكلبية .

روى عن أبيه ، وعنه : ابنه خالد ، وعبد الملك بن مروان .

جعله أبوه ولي عهده ، وأكره الناس على ذلك ، كما تقدم (٢) .

قال الحسن البصري : (أفسد أمر الناس اثنان : عمرو بن العاصي يوم أشار على معاوية برفع المصاحف ، فحملت وقال : أين القراء ؟ فحكّم الخوارج ، فلا يزال هذا التحكيم إلى يوم القيامة .

والمغيرة بن شعبة ؛ فإنه كان عامل معاوية على الكوفة ، فكتب إليه معاوية : إذا قرأت كتابي هذا . . فأقبل معزولاً ، فأبطأ عنه ، فلما ورد عليه . . قال : ما أبطأ بك ؟ قال : أمر كنت أوطئه وأهيئه ، قال : وما هو ؟ قال : البيعة ليزيد من بعدك ، قال : أوفعلت ؟ قال : نعم ، قال : ارجع إلى عملك ، فلما خرج . . قال له أصحابه : ما وراءك ؟ قال : وضعت رجل معاوية في غرز غي لا يزال فيه إلى يوم القيامة ، قال الحسن : فمن أجل ذلك بايع هؤلاء لأبنائهم ، ولولا ذلك . . لكانت شورى إلى يوم القيامة (٣) .

وقال ابن سيرين : (وفد عمرو بن حزم إلى معاوية فقال له : أذكرك الله في أمة محمد صلى الله عليه وسلم بمن تستخلف عليها ، فقال : نصحت وقلت

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٤٩٩/٥) ، و« مروج الذهب » (٢٦٢/٣) ، و« تاريخ دمشق » (٣٩٤/٦٥) ، و« المنتظم » (٣٢٢/٥) ، و« الكامل » (١٢٦/٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦٩/٥) ، و« فوات الوفيات » (٣٢٧/٤) ، و« مرآة الجنان » (١٣٩/١) ، و« البداية والنهاية » (٢٢٦/٨) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٣٢٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٧٢/٥) .

برأيك ؛ وإنه لم يبق إلا ابني وأبناؤهم ، وابني أحق (١) .

وقال عطية بن قيس : خطب معاوية فقال : (اللهم ؛ إن كنتُ إنما عهدتُ ليزيد لما رأيتُ من فضله . . فبلغه ما أمّلت وأعنه ، وإن كنتُ إنما حملني حب الوالد لولده ، وإنه ليس لما صنعتُ به أهلاً . . فاقبضه قبل أن يبلغ ذلك) ، فلما مات معاوية . . بايعه أهل الشام ، ثم بعث إلى أهل المدينة من يأخذ له البيعة ، فأبى الحسين وابن الزبير أن يبايعا ، وخرجا من ليلتهما إلى مكة .

[خروج سيدنا الحسين رضي الله عنه إلى العراق]

فأما ابن الزبير . . فلم يبايع ولا دعا إلى نفسه ، وأما الحسين . . فكان أهل الكوفة يكتبون إليه يدعونه إلى الخروج إليهم زمن معاوية وهو يأبى ، فلما بويع يزيد . . أقام على ما هو مهموماً يجمع الإقامة مرة ، ويريد المسير إليهم أخرى ، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج ، وكان ابن عباس يقول له : (لا تفعل) (٢) .

وقال له ابن عمر : (لا تخرج ؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الله بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ، وإنك بضعة منه ولا تنالها - يعني الدنيا - فاعتنقه وبكى وودّعه ، فكان ابن عمر يقول : غلبنا حسين بالخروج ، ولعمري ؛ لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة) (٣) .

وكلمه في ذلك أيضاً جابر بن عبد الله ، وأبو سعيد ، وأبو واقد الليثي وغيرهم ، فلم يطع أحداً منهم ، وصمّم على المسير إلى العراق ، فقال له ابن عباس : (والله ؛ إنني لأظنك ستقتل بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان) فلم يقبل منه ، فبكى ابن عباس وقال : (أقررت عين ابن الزبير) .

ولما رأى ابن عباس عبد الله بن الزبير . . قال له : (قد أتى ما أحبيت ؛ لهذا

(١) تاريخ الإسلام (٢٧٢/٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٧/٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٨/٥) .

[من الرجز]

الحسين يخرج وبتركك والحجاز) ثم تمثل :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري^(١)

[خذلان أهل العراق واستشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه]

وبعث أهل العراق إلى الحسين الرسل والكتب يدعونه إليهم ، فخرج من مكة متوجهاً إلى العراق في عشر ذي الحجة ومعه طائفة من آل بيته رجالاً ونساء وصبياناً ، فكتب يزيد إلى واليه بالعراق عبيد الله بن زياد بقتاله ، فوجه إليه جيشاً أربعة آلاف عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فخذله أهل الكوفة كما هو شأنهم مع أبيه من قبله ، فلما أرهقه السلاح . . عرض عليهم الاستسلام والرجوع ، أو المضي إلى يزيد فيضع يده في يده ، فأبوا إلا قتله ، فقتل وجيء برأسه في طست حتى وضع بين يدي ابن زياد ، لعن الله قاتله وابن زياد معه ويزيد أيضاً .

وكان قتله بكربلاء ، وفي قتله قصة فيها طول لا يحتمل القلب ذكرها ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، وقتل معه ستة عشر رجلاً من آل بيته^(٢) .

ولما قتل الحسين . . مكثت الدنيا سبعة أيام والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة ، والكواكب يضرب بعضها بعضاً^(٣) .

وكان قتله يوم عاشوراء ، [قتل بكربلاء ، وتعرف أيضاً بالطف ، قتله سنان بن أنس النخعي وهو جد شريك القاضي ، ويقال : بل قتله رجل من مذحج ، وقيل : بل قتله شمّر بن ذي الجوشن وكان أبرص ، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير ، جز رأسه وأتى به عبيد الله بن زياد وقال :

[من الرجز]

أوقر ركابي فضة أو ذهباً إنني قتلْتُ الملك المحجَّبا

(١) الرجز لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ١٢٦) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٢١١ / ١٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٩ / ٥) .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٢٢٧ / ١٤) ، و « تاريخ الإسلام » (١٥ / ٥) ، وأخرجه الطبراني في « الكبير » (١١٤ / ٣) من حديث عيسى بن الحارث الكندي .

قتلتُ خير الناسِ أمّاً وأباً وخيرهم إذ ينسبون نسباً

وقال يحيى بن معين : (أهل الكوفة يقولون : إن الذي قتل الحسين عمر بن سعد بن أبي وقاص ، قال يحيى : كان إبراهيم بن سعد يروي فيه حديثاً أنه لم يقتله عمر بن سعد)^(١) .

قال أبو عمر بن عبد البر : (إنما ينسب قتل الحسين إلى عمر بن سعد ؛ لأنه كان الأمير على الخيل التي أخرجها عبيد الله بن زياد إلى قتال الحسين ، وأمر عليهم عمر بن سعد ، ووعد أنه يوليه إن ظفر بالحسين وقتله ، وكان في تلك الخيل - والله أعلم - قوم من بني مضر من اليمن ، والله أعلم)^(٢) .

وكسفت الشمس ذلك اليوم ، واحمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ، ثم لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله .

وقيل : إنه لم يُقلب حجر بيت المقدس يومئذ . إلا وجد تحته دم عبيط ، وصار الورس الذي في عسكرهم رماداً ، ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها النيران ، وطبخوها فصارت مثل العلقم ، وتكلم رجل في الحسين بكلمة ، فرماه الله بكوكبين من السماء ، فطمس بصره^(٣) .

[قصر الإمارة والرؤوس]

قال الثعالبي : (روت الرواة من غير وجه عن عبد الملك بن عمير الليثي قال : رأيت في هذا القصر - وأشار إلى قصر الإمارة بالكوفة - رأس الحسين بن علي بين يدي عبيد الله بن زياد على ترس ، ثم رأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار بن أبي عبيد ، ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ، ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك ، فحدثت بهذا الحديث عبد الملك فتطير منه ، وفارق مكانه)^(٤) .

(١) أورده ابن عبد البر في « الاستيعاب » (ص ١٨٤) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من (ب) ، وليست في باقي النسخ ، وانظر « الاستيعاب » (ص ١٨٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٥/٥ - ١٦) .

(٤) لطائف المعارف (ص ١٤٢) .

[موت سيدنا الحسين ونوح الجن عليه رضي الله عنه]

وأخرج الترمذي عن سلمى قالت : دخلت على أم سلمة وهي تبكي ، فقلت : ما يبكيك ؟ قالت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وعلى رأسه ولحيته التراب ، فقلت : ما لك يا رسول الله ؟ قال : « شهدت قتل الحسين آنفاً » (١) .

وأخرج البيهقي في « الدلائل » عن ابن عباس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف النهار أشعث أغبر ، وبیده قارورة فيها دم ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، ما هذا ؟ قال : « هذا دم الحسين وأصحابه ، لم أزل ألتقطه منذ اليوم » فأحصي ذلك اليوم فوجدوه قُتل يومئذ (٢) .

وأخرج أبو نعیم في « الدلائل » عن أم سلمة قالت : (سمعت الجن تبكي على حسين وتنوح عليه) (٣) .

وأخرج ثعلب في « أماليه » عن أبي جناب الكلبي قال : أتيت كربلاء فقلت لرجل من أشرف العرب بها : بلغني أنكم تسمعون نوح الجن ؟ قال : ما تلقى أحداً إلا أخبرك أنه سمع ذلك ، قلت : فأخبرني ما سمعت أنت ؟ قال : سمعتهم يقولون :

مَسَّحَ الرَّسُولُ جَبِينَهُ فَلَهُ بَرِيقٌ فِي الْخُدُودِ
أَبَوَاهُ مِنْ عَلِيٍّ قَرِيبَ شَسَّ وَجَدُهُ خَيْرَ الْجُدُودِ (٤)

ولما قتل الحسين وبنو أبيه . . بعث ابن زياد برؤوسهم إلى يزيد ، فسُرَّ بقتلهم أولاً ، ثم ندم لما مقته المسلمون على ذلك ، وأبغضه الناس ، وحقَّ لهم أن ييغضوه (٥) .

أخرج أبو يعلى في « مسنده » بسند ضعيف عن أبي عبيدة قال : قال

(١) سنن الترمذي (٣٧٧١) .

(٢) دلائل النبوة (٤٧١ / ٦) ، وأخرجه أحمد في « مسنده » (٢٨٣ / ١) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧ / ٥) .

(٤) مجالس ثعلب (٣٣٩ / ٢) .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠ / ٥) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَزَالُ أَمْرُ أُمَّتِي قَائِمًا بِالْقِسْطِ حَتَّى يَكُونَ أَوَّلُ مَنْ يَثْلُمُهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ يَقَالُ لَهُ : يَزِيدُ »^(١) .

وأخرج الروياني في « مسنده » عن أبي الدرداء : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أَوَّلُ مَنْ يَبْدُلُ سُنَّتِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةَ يَقَالُ لَهُ : يَزِيدُ »^(٢) .

وقال نوفل بن أبي الفرات : (كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فذكر رجل يزيد ، فقال : قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية ، فقال : تقول : أمير المؤمنين ؟ ! وأمر به فضرب عشرين سوطاً)^(٣) .

[خروج أهل المدينة على يزيد ووقعة الحرة]

وفي سنة ثلاث وستين : بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه ، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ، ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير ، فجاؤوا ، وكانت وقعة الحرة على باب طيبة ، وما أدراك ما وقعة الحرة ؟ ! ذكرها الحسن مرة فقال : (والله ؛ ما كاد ينجو منهم أحد ، قتل فيها خلق من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم ، ونهبت المدينة ، وافتض فيها ألف عذراء ، فإنا لله وإنا إليه راجعون)^(٤) .

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَخَافَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ . . أَخَافَهُ اللَّهُ ، وَعَلَيْهِ لعنةُ اللَّهِ والملائكةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ » رواه مسلم^(٥) .

(١) مسند أبي يعلى (٨٧١) .

(٢) المستدرک الساقط من « مسند الروياني » (٢٥٣) ، وأخرجه ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٣٧٠٢٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٠/٦٥) من حديث سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٨٠/٣) و (٢٧٣/٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٧٥/٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٦/٥) .

(٥) لم نقف عليه عند مسلم بهذا اللفظ ؛ ولفظ مسلم (١٣٨٦) : عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَهْلَ هَذِهِ الْبَلَدَةِ بَسْوَءً - يَعْنِي الْمَدِينَةَ - . . أَذَابَهُ اللَّهُ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ » ، ولفظ المتن أخرجه أحمد في « مسنده » (٥٥/٤) من حديث سيدنا السائب بن خلاد رضي الله عنه .

وكان سبب خلع أهل المدينة له : أن يزيد أسرف في المعاصي .

أخرج الواقدي من طرق : أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل قال : (والله ؛ ما خرجنا على يزيد . . حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء : أن رجلاً ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ، ويشرب الخمر ويدع الصلاة !؟)^(١) .

قال الذهبي : (ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات . . اشتد عليه الناس ، وخرج عليه غير واحد ، ولم يبارك الله في عمره)^(٢) .

[محاصرة سيدنا ابن الزبير وموت يزيد]

وسار جيش الحرة إلى مكة لقتال ابن الزبير ، فمات أمير الجيش بالطريق ، فاستخلف عليهم أميراً ، وأتوا مكة فحاصروا ابن الزبير ، وقاتلوه ورموه بالمنجنيق ؛ وذلك في صفر سنة أربع وستين .

واحترقت من شرارة من نيرانهم أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدي به إسماعيل وكانا في السقف ، وأهلك الله يزيد في نصف ربيع الأول من هذا العام ، فجاء الخبر بوفاته والقتال مستمر ، فنأى ابن الزبير : (يا أهل الشام ؛ إن طاغيتكم قد هلك) ، فانفلوا وذلوا وتخطفهم الناس .

ودعا ابن الزبير إلى بيعة نفسه وتسمى بالخلافة ، وأما أهل الشام فبايعوا معاوية بن يزيد ، ولم تطل مدته كما سيأتي^(٣) .

ومن شعر يزيد : [من المديد]

أَبَ هَذَا الْهَمُّ فَاکْتَنَعَا وَأَمَرَ النَّوْمُ فَامْتَنَعَا^(٤)
رَاعِيًّا لِلنَّجْمِ أَرْقُبْهُ فَإِذَا مَا كَوُكَبٌ طَلَعَا

(١) الطبقات الكبرى (٧٠/٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٠/٥) .

(٣) انظر ما سيأتي قريباً (ص ٣٤٧) .

(٤) اكتنع الليل : حضر ودنا .

حَامَ حَتَّى إِنَّنِي لَأَرَى أَنَّهُ بِالْغُورِ قَدْ وَقَعَا
 وَلَهَا بِالْمَاطِرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
 نَزْهَةً حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ نَزَلْتَ مِنْ جِلْقٍ يَبْعَا
 فِي قَبَابٍ وَشَطٍ دَسْكَرَةِ حَوْلَهَا الزَيْتُونُ قَدْ يَنْعَا^(١)

أخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمرو قال : (أبو بكر الصديق أصبتم اسمه ، عمر الفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ، ابن عفان ذو النورين قتل مظلوماً يؤتى كفلين من الرحمة ، معاوية وابنه ملكا الأرض المقدسة ، والسفاح وسلام ، ومنصور وجابر ، والمهدي والأمين ، وأمير الغضب . . كلهم من بني كعب بن لؤي ، كلهم صالح لا يوجد مثله)^(٢) ، قال الذهبي : (له طرق عن ابن عمرو ، ولم يرفعه أحد)^(٣) .

وأخرج الواقدي عن أبي جعفر الباقر قال : (أول من كسا الكعبة الديباج : يزيد بن معاوية)^(٤) .

[من مات في عهده]

مات في أيام يزيد من الأعلام سوى الذين قتلوا مع الحسين وفي وقعة الحرة :
 أم سلمة أم المؤمنين ، وخالد بن عَرْفُطَةَ ، وَجَرَّهْدُ الأَسْلَمِي ، وجابر بن عَتِيك ،
 وبريدة بن الحُصَيْب ، ومسلمة بن مخلد ، وعلقمة بن قيس النَخْعِي الفقيه ،
 ومسروق ، والمسور بن مَخْرَمَةَ ، وغيرهم رضي الله عنهم .
 وعدة المقتولين بالحرة من قريش والأنصار : ثلاث مئة وستة رجال .

(١) الدسكرة : بناء كالقصر حوله بيوت ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٨٦ - ٨٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٧٤/٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٠٩/٦٥) ؛ وفيه : (وأمير العصب) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٧٢/٥) .

(٤) انظر « فتح الباري » (٤٥٩/٣) .

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

[٦٤هـ] (١)

أبو عبد الرحمن ، ويقال : أبو يزيد ، ويقال : أبو ليلي ، استخلف بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة أربع وستين ، وكان شاباً صالحاً .
ولما استخلف . . كان مريضاً ، فاستمر مريضاً إلى أن مات ، ولم يخرج إلى الناس ، ولا فعل شيئاً من الأمور ، ولا صلى بالناس .
وكانت مدة خلافته أربعين يوماً ، وقيل : شهرين ، وقيل : ثلاثة أشهر .
ومات وله إحدى وعشرون سنة ، وقيل : عشرون .
ولما احتضر . . قيل له : ألا تستخلف ؟ قال : ما أصبت من حلاوتها ، فلم أتحمل مرارتها !

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٥٠٣/٥) ، و« تاريخ دمشق » (٢٩٦/٥٩) ، و« المنتظم » (٣٢/٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥٠/٥) ، و« البداية والنهاية » (٢٣٧/٨) .

خلافته ابن الزبير

رضي الله عنه

[٦٤-٧٣هـ] ^(١)

عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأسدي ، كنيته أبو بكر ، وقيل : أبو خبيب - بضم الخاء المعجمة - وقيل : أبو بكر ، صحابي بن صحابي .

أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأمه : أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ، وأم أبيه : صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولد بالمدينة بعد عشرين شهراً من الهجرة ، وقيل : في السنة الأولى ، وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة ، وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً ؛ لأن اليهود كانوا يقولون : سحرناهم فلا يولد لهم ولد ، فحنَّكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمر لأكَّها ، وسماه عبد الله ، وكناه أبا بكر باسم جده الصديق وكنيته .

وكان صَوَّاماً قَوَّاماً طويلاً الصلاة ، وَصُولاً للرحم ، عظيم الشجاعة ، قسم الدهر ثلاث ليال : ليلة يصلي قائماً حتى الصباح ، وليلة راکعاً ، وليلة ساجداً حتى الصباح .

روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون حديثاً .

روى عنه : أخوه عروة ، وابن أبي مليكة ^(٢) ، وعباس بن سهل ، وثابت

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (٤٧٣/٦) ، و « الاستيعاب » (ص ٣٩٩) ، و « تاريخ دمشق » (١٤٠/٢٨) ، و « أسد الغابة » (٢٤٥/٣) ، و « تهذيب الكمال » (٥٠٨/١٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٣٥/٥) ، و « سير أعلام النبلاء » (٣٦٣/٣) ، و « البداية والنهاية » (٣٣٢/٨) ، و « الإصابة » (٣٠١/٢) .

(٢) هو : عبد الله .

البُناني^(١) ، وعطاء^(٢) ، وعبيدة السِّلْماني^(٣) ، وخلائق آخرون .

[البيعة لسيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]

وكان ممن أبى البيعة ليزيد بن معاوية ، وفرَّ إلى مكة ولم يدع إلى نفسه ، لكن لم يبايع ، فوجد عليه يزيد وجداً شديداً ، فلما مات يزيد . . بويع له بالخلافة ، وأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وجدَّد عمارة الكعبة ، فجعل لها بابين على قواعد إبراهيم ، وأدخل فيها ستة أذرع من الحجر ؛ لِمَا حدثته حالته عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٤) .

ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ومصر ؛ فإنه بويع بهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدته ، فلما مات . . أطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه ، ثم خرج مروان بن الحكم ، فغلب على الشام ثم مصر ، واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين ، وقد عهد إلى ابنه عبد الملك .

والأصح كما قال الذهبي : أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين ، بل هو باغ خارجٌ على ابن الزبير ، ولا عهده إلى ابنه بصحيح ، وإنما صحت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير .

وأما ابن الزبير . . فإنه استمر بمكة خليفة إلى أن تغلب عبد الملك ، فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً ، فحصره بمكة أشهراً ورمى عليه بالمنجنق ، وخذل ابن الزبير أصحابه ، وتسللوا إلى الحجاج ، فظفر به ثم قتله وصلبه ؛ وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى - وقيل : الآخرة - سنة ثلاث وسبعين .

(١) هو : ثابت بن أسلم .

(٢) هو : عطاء بن أبي رباح .

(٣) هو : عبيدة بن عمرو .

(٤) وهو ما أخرجه البخاري (١٥٨٦) ، ومسلم (١٣٣٣) من حديث سيدتنا عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عائشة ؛ لولا أن قومك حديثو عهد بشرك . . لهدمت الكعبة فالزقتها بالأرض ، وجعلت لها بابين ، باباً شرقياً وباباً غربياً ، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر ؛ فإن قريشاً اقتصرتها حيث بنت الكعبة » .

أخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر قال : (إني لفوق أبي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير ، فنزلت صاعقة كأني أنظر إليها تدور كأنها خمار أحمر قد حرقت أصحاب المنجنيق نحواً من خمسين رجلاً)^(١) .

وكان ابن الزبير فارس قريش في زمانه ، له المواقف المشهودة^(٢) .

[ذكر شيء من فضائل سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما]

أخرج أبو يعلى في « مسنده » عن ابن الزبير : أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم ، فلما فرغ . . قال له : « يا عبدَ الله ؛ اذهبْ بهذا الدم فأهْرِقه حيثُ لا يَرَاكَ أحدٌ » فلما ذهب . . شربه ، فلما رجع قال : « ما صنَعْتَ بالدم ؟ » قال : عمدت إلى أخفى موضع علمت فجعلته فيه ، قال : « لعلكَ شَرِبْتَهُ » قال : نعم ، قال : « ويلٌ للناسِ منك ، وويلٌ لك من الناسِ » فكانوا يرون أن القوة التي به من ذلك الدم^(٣) .

وأخرج عن نَوْف البكالي قال : (إني لأجد في كتاب الله المنزل : أن ابن الزبير فارس الخلفاء)^(٤) .

وقال عمرو بن دينار : (ما رأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير)^(٥) .

وكان يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت إليه^(٦) .

وقال مجاهد : (ما كان باب من العبادة يعجز الناس عنه إلا تكلفه ابن الزبير ،

(١) تاريخ دمشق (٢٢٢ / ٢٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٣٦ / ٥) .

(٣) أخرجه أبو يعلى كما في « المطالب العالية » (٣٨٢١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٣ / ٢٨) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٦ / ٢٨) .

(٥) تاريخ دمشق (١٦٩ / ٢٨) .

(٦) تاريخ دمشق (١٧٢ / ٢٨) .

ولقد جاء سيل طبق البيت ، فجعل يطوف سباحة (١) .

وقال عثمان بن طلحة : (كان ابن الزبير لا ينازع في ثلاثة : لا شجاعة ، ولا عبادة ، ولا بلاغة) (٢) .

وكان صيتاً ، إذا خطب .. تجاوب الجبلان (٣) .

وأخرج ابن عساكر عن عروة : أن النابغة الجعدي أنشد عبد الله بن الزبير :
[من الطويل]

حَكَيْتَ لَنَا الصَّدِيقَ لَمَّا وَلَيْتُنَا وَعُثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَأَحَ مَعْدُمُ
وَسَوَّيْتُ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحَقِّ فَاسْتَوَى فَعَادَ صَبَاحاً حَالِكُ اللَّوْنِ أَسْحَمُ (٤)

وأخرج عن هشام بن عروة وخبيب قالا : (أول من كسا الكعبة الديباج : عبد الله بن الزبير ، وكان كسوتها المسوح والأنطاع) (٥) .

وأخرج عن عمر بن قيس قال : (كان لابن الزبير مئة غلام ، يتكلم كل غلام منهم بلغة أخرى ، وكان ابن الزبير يكلم كل واحد منهم بلغته ، وكنت إذا نظرت إليه في أمر دنياه .. قلت : هذا رجل لم يرد الله طرفه عين ، وإذا نظرت إليه في أمر آخرته .. قلت : هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين) (٦) .

وأخرج عن هشام بن عروة قال : (كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير : السيف ، فكان لا يضعه من فيه ، فكان أبوه إذا سمع ذلك منه يقول : أما والله ؛ ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام) (٧) .

(١) تاريخ دمشق (١٧٨/٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٤٤٠/٥) .

(٢) تاريخ دمشق (١٧٩/٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٤٤٠/٥) .

(٣) تاريخ دمشق (١٧٩/٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٤٤٠/٥) عن عبد الواحد بن أيمن .

(٤) تاريخ دمشق (١٩١/٢٨) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ١٥١-١٥٢) .

(٥) تاريخ دمشق (٢١٣-٢١٤) .

(٦) تاريخ دمشق (٢١٥/٢٨) .

(٧) تاريخ دمشق (٢٢٢/٢٨) .

[قصة إنَّ وراكبها]

وأخرج عن أبي عبيدة قال : جاء عبد الله بن الزبير الأسدي إلى عبد الله بن الزبير بن العوام فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن بيني وبينك رحماً من قبل فلانة .

فقال ابن الزبير : نعم ؛ هذا كما ذكرت ، وإن فكرت في هذا . . أصبت الناس بأسرهم يرجعون إلى أب واحد وإلى أم واحدة .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن نفقتي نفدت .

قال : ما كنت ضمننت لأهلك أنها تكفيك إلى أن ترجع إليهم .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ فإن ناقتي قد نقت .

قال : أنجد بها برد خفها ، وارقعها بسبت ، واخصفها بهُلْب ، وسر عليها البردين .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنما جئتكم مستحماً ولم آتكم مستوصفاً ، لعن الله ناقة حملتني إليك .

فقال ابن الزبير : إنَّ وراكبها^(١) ، فخرج الأسدي وأنشأ يقول : [من الوافر]

أرى الحاجات عند أبي حبيب نُكْدَنَ وَلَا أُمِيَّةَ فِي الْبِلَادِ
من الأعياصِ أو من آل حَرْب أَغَرَّ كَغَرَّةِ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
وقلتُ لصُحْبَتِي أدنوا رِكابِي أَفَارِقُ بَطْنَ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
وما لي حين أقطعُ ذاتِ عَرْقٍ إلى ابن الكاهليَّةِ من مَعَادِ^(٢)

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن الزهري قال : (لم يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس إلى المدينة قط ولا يوم بدر ، وحمل إلى أبي بكر رأس فكره ذلك ، وأول من حملت إليه الرؤوس : عبد الله بن الزبير)^(٣) .

(١) أي : نعم وراكبها ، واستدل بها النحاة على أن حرف (إن) حرف جواب بمعنى (نعم) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٨ / ٢٦١) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ١٤٧) ، وقوله : (نُكْدَنَ) أي : منعن ، وفي النسخ : (نُكْدَنَ ، يَكْدَنَ) غير (أ) ففيها : (تكون) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٩٧٠٢) .

وفي أيام ابن الزبير كان خروج المختار الكذاب^(١) الذي ادعى النبوة ، فجهز ابن الزبير لقتاله إلى أن ظفر به في سنة سبع وستين وقتله ، لعنه الله .

[من مات في عهده رضي الله عنه]

مات في أيام ابن الزبير من الأعلام : أُسَيد بن ظُهير ، وعبد الله بن عمرو بن العاصي ، والنعمان بن بشير ، وسليمان بن صُرَد ، وجابر بن سَمُرَة ، وزيد بن أرقم ، وعدي بن حاتم ، وابن عباس ، وأبو واقد الليثي ، وزيد بن خالد الجهني ، وأبو الأسود الدؤلي ، وآخرون .

(١) هو : المختار بن أبي عبيد الثقفي ، انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢٦ / ٥) .

خلفته عبد الملك بن مروان

[٧٣-٨٦هـ] (١)

ابن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، أبو الوليد ، ولد سنة ست وعشرين ، بويح بعهد من أبيه في خلافة ابن الزبير ، فلم تصح خلافته ، وبقي متغلباً على مصر والشام ، ثم غلب على العراق وما والاها إلى أن قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين ، فصحت خلافته من يومئذ ، واستوثق له الأمر .

ففي هذا العام : هدم الحجاج الكعبة وأعادها على ما هي عليه الآن (٢) ، ودس على ابن عمر من طعنه بحربة مسمومة فمرض منها ومات .

وفي سنة أربع وسبعين : سار الحجاج إلى المدينة وأخذ يتعنت أهلها ، ويستخف ببقايا من فيها من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وختمهم في أعناقهم وأيديهم يذلهم بذلك ؛ كأنس وجابر بن عبد الله وسهل بن سعد الساعدي ، فإننا لله وإننا إليه راجعون (٣) .

وفي سنة خمس وسبعين : حج بالناس عبد الملك الخليفة ، وسير الحجاج أميراً على العراق .

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (٢٢١/٧) ، و« تاريخ الطبري » (٤١٨/٦) ، و« مروج الذهب » (٢٩١/٣) ، و« تاريخ بغداد » (٣٨٨/١٠) ، و« الكامل في التاريخ » (١٩٣/٤) ، و« تهذيب الكمال » (٤٠٨/١٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١٣٥/٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٤٦/٤) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٠٨/١٩) ، و« البداية والنهاية » (٦١/٩) .

(٢) كذا في « تاريخ الإسلام » (٣١٥/٥) . وفي « الكامل » (٤١٢/٣) ، و« البداية والنهاية » (٢/٩) : (أنه سنة ٧٤هـ) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٦٦/٥) .

وفي سنة سبع وسبعين : فتحت هِرَقْلَة ، وهدم عبد العزيز بن مروان جامع مصر وزيد فيه من جهاته الأربع .

وفي سنة اثنتين وثمانين : فتح حصن سِنَان من ناحية المَصِيصَة ، وكانت غزوة أرمينية ، وصُنْهاجة بالمغرب .

وفي سنة ثلاث وثمانين : بنيت مدينة واسط ، بناها الحجاج .

وفي سنة أربع وثمانين : فتحت المَصِيصَة وأوربة من المغرب .

وفي سنة خمس وثمانين : بنيت مدينة [دَبِيل]^(١) ، ومدينة بَرْدَعَة ، بناهما عبد العزيز بن حاتم بن النعمان الباهلي .

وفي سنة ست وثمانين : فتح حصن بولق ، وحصن الأخرم .
وفيهما : كان طاعون الفتيات ، وسمي بذلك : لأنه بدأ في النساء .
وفيهما : مات الخليفة عبد الملك في شوال ، وخلف سبعة عشر ولداً .

[من فضائل وصفات عبد الملك بن مروان]

قال أحمد بن عبد الله العجلي : (كان عبد الملك أبخر الفم ، وإنه ولد لسته أشهر)^(٢) .

(١) في النسخ : (أردبيل) ، ولعل الصواب ما أثبت ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٣ / ٦) ، وهي مدينة في أرمينية ، والله أعلم .

(٢) تاريخ الإسلام (١٤٢ / ٦) .

وقال ابن سعد : (كان عابداً ناسكاً بالمدينة قبل الخلافة)^(١) .

وقال يحيى الغساني : (كان عبد الملك بن مروان كثيراً ما يجلس إلى أم الدرداء ، فقالت له مرة : بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطّلاء بعد النّسك والعبادة ، قال : إي والله ؛ والدّماء قد شربتها)^(٢) .

وقال نافع : (لقد رأيت المدينة وما بها شاب أشدّ تشميراً ولا أفقه ولا أنسك ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان)^(٣) .

وقال أبو الزناد : (فقهاء المدينة : سعيد بن المسيب ، وعبد الملك بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب)^(٤) .

وقال ابن عمر : (ولد الناس أبناء ، وولد مروان أباً)^(٥) .

وقال عبادة بن نسي : قيل لابن عمر : إنكم معشر أشياخ قريش يوشك أن تنقضوا ، فمن نسأل بعدكم ؟ فقال : (إن لمروان ابناً فقيهاً فاسألوه)^(٦) .

وقال سحيم مولى أبي هريرة : (دخل عبد الملك وهو شاب على أبي هريرة رضي الله عنه ، فقال أبو هريرة : هذا يملك العرب)^(٧) .

وقال عبدة بن رياح الغساني : قالت أم الدرداء لعبد الملك : (ما زلت أتخيل هذا الأمر فيك منذ رأيتك ، قال : وكيف ذاك ؟ قالت : ما رأيت أحسن منك محدثاً ، ولا أعلم منك مستمعاً)^(٨) .

وقال الشعبي : (ما جالست أحداً .. إلا وجدت لي عليه الفضل

(١) الطبقات الكبرى (٢٣١ / ٧) .

(٢) تاريخ دمشق (١٥١ / ٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٤٢ / ٦) ، الطّلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى صار على الثلث وذهب ثلثاه .

(٣) تاريخ دمشق (١١٩ / ٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٣٨ - ١٣٩ / ٦) .

(٤) تاريخ دمشق (١٢٠ / ٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٣٩ / ٦) .

(٥) تاريخ دمشق (١٢١ / ٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٣٩ / ٦) .

(٦) تاريخ الإسلام (١٣٨ / ٦) .

(٧) تاريخ الإسلام (١٣٨ / ٦) .

(٨) تاريخ دمشق (١٢٣ / ٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٣٩ / ٦) .

إلا عبد الملك بن مروان ؛ فإني ما ذاكرته حديثاً . . إلا زادني فيه ، ولا شعراً . .
إلا زادني فيه (١) .

وقال الذهبي : (سمع عبد الملك من : عثمان ، وأبي هريرة ،
وأبي سعيد ، وأم سلمة ، وبريرة ، وابن عمر ، ومعاوية .

روى عنه : عروة ، وخالد بن معدان ، ورجاء بن حيوة ، والزهري ،
ويونس بن ميسرة ، وربيعة بن يزيد ، وإسماعيل بن عبيد الله ، وحرز بن
عثمان ، وطائفة) (٢) .

وقال بكر بن عبد الله المزني : (أسلم يهودي اسمه يوسف ، وكان قرأ
الكتب ، فمر بدار مروان فقال : ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار !! فقلت
له : إلى متى ؟ قال : حتى تجيء رايات سود من قبل خراسان .

وكان صديقاً لعبد الملك بن مروان ، فضرب يوماً على منكبه وقال : اتق الله
في أمة محمد إذا ملكتهم ، فقال : دعني ويحك !! ما شأني وشأن ذلك ؟ فقال :
اتق الله في أمرهم .

قال : وجهز يزيد جيشاً إلى أهل مكة ، فقال عبد الملك : أعوذ بالله ، أبيعث
إلى حرم الله ؟ ! فضرب يوسف منكبه وقال : جيشك إليهم أعظم) (٣) .

وقال يحيى الغساني : (لما نزل مسلم بن عقبة المدينة . . دخلت مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم ، فجلست إلى جنب عبد الملك ، فقال لي عبد الملك :
أمن هذا الجيش أنت ؟ قلت : نعم .

قال : ثكلتك أمك !! أتدري إلى من تسير ؟ إلى أول مولود ولد في الإسلام ،
وإلى ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى ابن ذات النطاقين ، وإلى
من حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما والله ؛ إن جثته نهراً . . وجدته

(١) تاريخ دمشق (٣٧/١٢٤) ، وتاريخ الإسلام (٦/١٣٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٦/١٣٧-١٣٨) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٧/١٢٧) ، وتاريخ الإسلام (٦/١٤٠) .

صائماً ، ولئن جئته ليلاً . لتجدنه قائماً ، فلو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله . .
لأكبهم الله جميعاً في النار .

فلما صارت الخلافة إلى عبد الملك . . وجَّهنا مع الحجاج حتى قتلناه (١) .
وقال ابن أبي عائشة : (أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره ،
فأطبقه وقال : هذا آخر العهد بك) (٢) .

[ذكر أوليات عبد الملك بن مروان]

وقال مالك : (سمعت يحيى بن سعيد يقول : أول من صلى في المسجد
ما بين الظهر والعصر : عبد الملك بن مروان وفتيان معه ، كانوا إذا صلى الإمام
الظهر . . قاموا فصلوا إلى العصر ، فقبل لسعيد بن المسيب : لو قمنا فصلينا كما
يصلي هؤلاء ؟ فقال سعيد : ليست العبادة بكثرة الصلاة والصوم ؛ وإنما العبادة
التفكر في أمر الله ، والورع عن محارم الله) (٣) .

وقال مصعب بن عبد الله : (أول من سمي في الإسلام عبد الملك :
عبد الملك بن مروان) (٤) .

وقال يحيى بن بكير : (سمعت مالكا يقول : أول من ضرب الدنانير :
عبد الملك ، وكتب عليها القرآن) (٥) .

وقال مصعب : (كتب عبد الملك على الدنانير : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، وفي
الوجه الآخر : لا إله إلا الله ، وطوقه بطوق فضة ، وكتب فيه : ضرب بمدينة
كذا ، وكتب خارج الطوق : محمد رسول الله ، أرسله بالهدى ودين الحق) (٦) .

(١) تاريخ الإسلام (١٤٠/٦) .

(٢) تاريخ بغداد (٣٨٨/١٠) ، وتاريخ الإسلام (١٤٠/٦) .

(٣) تاريخ دمشق (١٢٤/٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٣٩/٦) .

(٤) تاريخ دمشق (١١٣/٣٧) ، وتاريخ الإسلام (١٣٨/٦) .

(٥) تاريخ الإسلام (١٤١/٦) .

(٦) تاريخ الإسلام (١٤١/٦) .

وفي «الأوائل» للعسكري بسنده : (كان عبد الملك أول من كتب في صدور الطوامير : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع التاريخ ، فكتب ملك الروم : إنكم قد أحدثتم في طواميركم شيئاً من ذكر نبيكم فاتركوه ، وإلا . . أتاكم من دنانيرنا ذكر ما تكرهون ؟ فعظم ذلك على عبد الملك ، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية فشاوره ، فقال : حرم دنانيرهم واضرب للناس سككاً فيها ذكر الله وذكر رسوله ، ولا تعفهم مما يكرهون في الطوامير ، ف ضرب الدنانير سنة خمس وسبعين .

قال العسكري : (أول خليفة بخل : عبد الملك ، وكان يسمى رشح الحجارة ؛ لبخله ، ويكنى أبا الذَّبَّان ؛ لبخره)^(١) .

قال : (وهو أول من غدر في الإسلام)^(٢) ، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء^(٣) ، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف)^(٤) .

ثم أخرج بسنده عن ابن الكلبي قال : (كان مروان بن الحكم ولَّى العهد عمرو بن سعيد بن العاصي بعد ابنه ، فقتله عبد الملك ، وكان قتله أول غدر في الإسلام) ، فقال بعضهم : [من البسيط]

يا قومُ لا تُغلبوا عن رأيكم فلقد	جَرَبْتُمُ الْغَدَرَ مِنْ أَبْنَاءِ مَرَوَانَا
أَمْسَوْا وَقَدْ قَتَلُوا عَمْرًا وَمَا رَشَدُوا	يَدْعُونَ غَدْرًا بَعْدَ اللَّهِ كَيْسَانَا
يُقَتِّلُونَ الرِّجَالَ الْبُزْلَ ضَاحِيَةً	لَكِي يُولُّوا أُمُورَ النَّاسِ وَلِدَانَا
تَلَاعَبُوا بَكْتَابِ اللَّهِ وَاتَّخَذُوا	هَوَاهُمُ فِي مَعَاصِي اللَّهِ قُرْبَانَا ^(٥)

وأخرج بإسناد فيه الكُدُيمي - وهو متهم بالكذب - عن ابن جريج ، عن أبيه قال : خطبنا عبد الملك بن مروان بالمدينة بعد قتل ابن الزبير عام حج سنة خمس

(١) الأوائل (ص ١٧٢) ، والطوامير : الصحائف .

(٢) الأوائل (ص ١٦٢) .

(٣) الأوائل (ص ١٧١) .

(٤) الأوائل (ص ١٧٠) .

(٥) الأوائل (ص ١٦٩) .

وسبعين ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه : (أما بعد : فلست بالخليفة المستضعف - يعني عثمان - ولا الخليفة المدهن ؛ يعني معاوية ، ولا الخليفة المأفون - يعني يزيد - ألا وإن من كان قبلي من الخلفاء كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وإني لا أداوي أدواء هذه الأمة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم ، تكلفونا أعمال المهاجرين الأولين ولا تعملون مثل أعمالهم ؟! فلن تزدادوا إلا عقوبة حتى يحكم السيف بيننا وبينكم .

هذا عمرو بن سعيد قرابته قرابته ، وموضعه موضعه ، قال برأسه هكذا ، فقلنا بأسيافنا هكذا ، ألا وإنا نحمل لكم كل شيء ، إلا وثوباً على منبر ، أو نصب راية ، ألا وإن الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله ؛ لا يفعل أحد فعله . . إلا جعلتها في عنقه ، والله ؛ لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا . . إلا ضربت عنقه) ثم نزل^(١) .

ثم قال العسكري : (وعبد الملك أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية ، وأول من رفع يديه على المنبر)^(٢) .

قلت : فتمت له عشرة أوائل ؛ منها خمسة مذمومة .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » بسنده عن محمد بن سيرين قال : (أول من أحدث الأذان في الفطر والأضحى : بنو مروان ؛ فإما أن يكون عبد الملك ، أو أحداً من أولاده)^(٣) .

وأخرج عبد الرزاق عن ابن جريج قال : (أخبرني غير واحد : أن أول من كسا الكعبة الديباج : عبد الملك بن مروان ، وإن من أدرك ذلك من الفقهاء قالوا : أصاب ، ما نعلم لها من كسوة أوفق منه)^(٤) .

(١) الأوائل (ص ١٧٠-١٧١) .

(٢) الأوائل (ص ١٧٥) .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣٧١٤٥) .

(٤) مصنف عبد الرزاق (٩٠٨٥) .

وقال يوسف بن الماجشون : (كان عبد الملك إذا قعد للحكم . . قيم على رأسه بالسيوف)^(١) .

وقال الأصمعي : (قيل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ؛ عجل عليك الشيب ؟ فقال : وكيف لا ؛ وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة !؟)^(٢) .

وقال محمد بن حرب الزيادي : (قيل لعبد الملك بن مروان : من أفضل الناس ؟ قال : من تواضع عن رفعة ، وزهد عن قدرة ، وأنصف عن قوة)^(٣) .

[أعفني من أربع وقل ما شئت]

وقال ابن عائشة : (كان عبد الملك إذا دخل عليه رجل من أفق من الآفاق . . قال : أعفني من أربع ، وقل بعدها ما شئت : لا تكذبني ؛ فإن الكذب لا رأي له ، ولا تجبني فيما لا أسألك عنه ؛ فإن فيما أسألك عنه شغلاً ، ولا تطرني ؛ فإني أعلم بنفسك منك ، ولا تحملني على الرعية ؛ فإني إلى الرفق بهم أحوج)^(٤) .

[احتضار عبد الملك ووصيته]

وقال المدائني : (لما أيقن عبد الملك بالموت . . قال : والله ؛ لوددت أنني كنت منذ ولدت إلى يومي هذا حملاً .

ثم أوصى بنيه بتقوى الله ، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف ، وقال : كونوا بني أم بررة ، وكونوا في الحرب أحراراً ، وللمعروف مناراً ؛ فإن الحرب لم تُدَنِ منية قبل وقتها ، وإن المعروف يبقَى أجره وذكره ، واحلولوا في مرارة ، ولينوا في

(١) تاريخ دمشق (٣٧/١٤٠) ، وتاريخ الإسلام (١٤١/٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٧/١٣٩) ، وتاريخ الإسلام (١٤١/٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٤٢/٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٧/١٤٢) ، وتاريخ الإسلام (١٤١/٦) .

شدة ، وكونوا كما قال ابن عبد الأعلى الشيباني : [من الكامل]

إِنَّ القِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعَ فَرَامَهَا بالكسر ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ أَيْدٍ
عَزَّتْ فَلَمْ تَكْسِرْ وَإِنْ هِيَ بُدِدَتْ فَالْكَسْرُ وَالتَّوْهِينُ لِلْمَتَبَدِّدِ

يا وليد ؛ اتق الله فيما أخلفك فيه . . . إلى أن قال : وانظر الحجاج فأكرمه ؛ فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر ، وهو سيفك يا وليد ، ويدك على من ناوأك ، فلا تسمعن فيه قول أحد ، وأنت إليه أحوج منه إليك ، وادع الناس إذا مت إلى البيعة ، فمن قال برأسه هكذا . . فقل بسيفك هكذا ^(١) .

وقال غيره : (لما احتضر عبد الملك . . دخل عليه ابنه الوليد ، فتمثل : [من الكامل]

كَمْ عَائِدٍ رَجُلًا وَلَيْسَ يَعُودُهُ إِلَّا لِيَعْلَمَ هَلْ يَرَاهُ يَمُوتُ

فبكى الوليد ، فقال : ما هذا ؟! أتحن حنين الأمة ؟! إذا مت . . فشمرو وأتزر ، والبس جلد النمر ، وضع سيفك على عاتقك ، فمن أبدى ذات نفسه . . فاضرب عنقه ، ومن سكت . . مات بدائه ^(٢) .

قلت : لو لم يكن من مساوىء عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة ، يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً ، وشتماً وحبساً ، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى فضلاً عن غيرهم ، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً ، يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه .

ومن شعر عبد الملك : [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ عُمِّرْتُ فِي الدَّهْرِ بُرْهَةً وَدَانَتْ لِي الدُّنْيَا بِوُقْعِ الْبَوَاتِرِ
فَأُضْحِي الَّذِي قَدْ كَانَ مِمَّا يَسْرُنِي كَلَمَحٍ مَضَى فِي الْمُزْمَنَاتِ الْغَوَابِرِ
فِيَا لَيْتَنِي لَمْ أُعَنَّ فِي الْمَلِكِ سَاعَةً وَلَمْ أَلَّهِ فِي اللَّذَاتِ عَيْشَ نَوَاضِرِ
وَكُنْتُ كَذِي طِمْرَيْنِ عَاشَ بُلْغَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى زَارَ ضَنْكَ الْمَقَابِرِ ^(٣)

(١) تاريخ الإسلام (١٤٣/٦ - ١٤٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٤٣/٦) .

(٣) الأبيات في « تاريخ دمشق » (١٥٠/٣٧) ، و « تاريخ الإسلام » (١٤٢/٦) ، وهي عند ابن عساكر في « التاريخ » (٢١٨/٥٩) و « البداية والنهاية » (١٤١/٨) لسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

[شدة تصبر عبد الملك بن مروان]

وفي « تاريخ ابن عساكر » : عن إبراهيم بن عدي قال : (رأيت عبد الملك بن مروان وأتته أمور أربعة في ليلة ، فما تنكر ولا تغير وجهه : قتل عبيد الله بن زياد بالعراق ، وقتل حبيش بن دكجة بالحجاز ، وانتقاض ما كان بينه وبين ملك الروم ، وخروج عمرو بن سعيد إلى دمشق)^(١) .

وفيه عن الأصمعي قال : (أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك بن مروان ، والحجاج بن يوسف ، وابن القريّة)^(٢) .

[قسمة تركة والنصيب دينار واحد]

وأسند السلفي في « الطيوريات » : (أن عبد الملك بن مروان خرج يوماً فلقيته امرأة ، فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما شأنك ؟ قالت : توفي أخي وترك ست مئة دينار ، فدفع إلي من ميراثه دينار واحد ، فقليل : هذا حقك ، فعُمي الأمر فيها على عبد الملك ، فأرسل إلى الشعبي فسأله ، فقال : نعم ، لهذا توفي وترك ابنتين فلهما الثلثان أربع مئة ، وأماً فلها السدس مئة ، وزوجة فلها الثمن خمسة وسبعون ، واثنى عشر أخاً فلهم أربعة وعشرون ، وبقي لهذه دينار) .

[ميزات في الجواري]

وقال ابن أبي شيبة في « المصنف » : حدثنا أبو سفيان الحِميري ، حدثنا خالد بن محمد القرشي قال : (قال عبد الملك بن مروان : من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ . . فليتخذها بربرية ، ومن أراد أن يتخذها للولد . . فليتخذها فارسية ، ومن أراد أن يتخذها للخدمة . . فليتخذها رومية)^(٣) .

(١) تاريخ دمشق (٥٤/٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٠٣/٣٤) ، وابن القريّة اسمه : أيوب .

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٣١٣٥٦) ، وأبو سفيان : هو سعيد بن يحيى .

[الأخطل هو شاعر بني أمية]

وقال أبو عبيدة^(١) : (لما أنشد الأخطل كلمته لعبد الملك التي يقول فيها :

شمسُ العداوةِ حتى يُستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قَدَرُوا
قال : خذ بيده يا غلام فأخرجه ، ثم ألقِ عليه من الخلع ما يغمره ، ثم قال :
إن لكل قوم شاعراً ، وإن شاعر بني أمية الأخطل)^(٢) .

وقال الأصمعي : دخل الأخطل على عبد الملك فقال : ويحك ! صف لي السكر ، قال : أوله لذة ، وآخره صداع ، وبين ذلك ساعة لا أصف لك مبلغها ، فقال : ما مبلغها ؟ قال : لَمُلُكك يا أمير المؤمنين أهون علي من شسع نعلي ، وأنشأ يقول^(٣) :

إذا ما نَديمي عَلَّني ثم عَلَّني ثلاث زجاجاتٍ لهن هديرُ
خرجتُ أجزُّ الذيلِ مني كأنني عليك أمير المؤمنين أميرُ

قال الثعالبي : (كان عبد الملك يقول : ولدت في رمضان ، وفطمت في رمضان ، وختمت القرآن في رمضان ، وبلغت الحلم في رمضان ، ووليت في رمضان ، وأنتني الخلافة في رمضان ، وأخشى أن أموت في رمضان ، فلما دخل شوال وأمن . . مات) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام عبد الملك من الأعلام : ابن عمر ، وأسماء بنت أبي بكر الصديق ، وأبو سعيد بن المعلّى ، وأبو سعيد الخدري ، ورافع بن خديج ، وسلمة بن الأكوع ، والعرباض بن سارية ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن

(١) في (د ، هـ) : (أبو عبيد) ، وفي مطبوع « تاريخ دمشق » : (ابن عبيدة) ، وهو عمر بن شبّه بن عبيدة بن زيد ، أبو زيد النحوي ، ولعله الصواب .

(٢) تاريخ دمشق (١١٢ / ٤٨) ، والبيت في « ديوانه » (ص ٩٢) .

(٣) تاريخ دمشق (١١٢ / ٤٨ - ١١٣) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ١٠٤) .

جعفر بن أبي طالب ، والسائب بن يزيد ، وأسلم مولى عمر ، وأبو إدريس
الخولاني ، وشريح القاضي ، وأبان بن عثمان بن عفان ، والأعشى الشاعر ،
وأيوب بن القرية الذي يضرب به المثل في الفصاحة ، وخالد بن يزيد بن معاوية ،
وزر بن حبيش ، وسنان بن سلمة بن المحبق ، وسويد بن غفلة ، وأبو وائل ،
وطارق بن شهاب ، ومحمد ابن الحنفية ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ،
وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود ، وعتبة بن النذر ، وعمرو بن حريث ،
وعمر بن سلمة الجرمي ، وآخرون .

خلافة الوليد بن عبد الملك

[٨٦-٩٦هـ] ^(١)

أبو العباس ، قال العيشي ^(٢) : (كان أبواه يترفانه ، فشَبَّ بلا أدب) .

قال روح بن زنباع : (دخلت يوماً على عبد الملك وهو مهموم فقال : فكرت فيمن أوليه أمر العرب ، فلم أجده ، فقلت : أين أنت عن الوليد ؟ قال : إنه لا يحسن النحو ، فسمع ذلك الوليد ، فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو ، وجلس معهم في بيت ستة أشهر ، ثم خرج وهو أجهل مما كان ، فقال عبد الملك : أما إنه قد أعذر) ^(٣) .

وقال أبو الزناد : (كان الوليد لحاناً ، قال على منبر المسجد النبوي : يا أهل المدينة) ^(٤) .

وقال أبو عكرمة الضبي : قرأ الوليد على المنبر : (يا ليتها كانت القاضية) وتحت المنبر عمر بن عبد العزيز وسليمان بن عبد الملك ، فقال سليمان : ودعتها والله ^(٥) ، وكان الوليد جباراً ظالماً .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن ابن شَوْذَب قال : (قال عمر بن

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٤٩٥ / ٦) ، و « مروج الذهب » (٣٦٥ / ٣) ، و « تاريخ دمشق » (١٦٤ / ٦٣) ، و « فوات الوفيات » (٢٥٤ / ٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٩٦ / ٦) ، و « سير أعلام النبلاء » (٣٨٥ / ٧) ، و « البداية والنهاية » (١٦١ / ٩) .

(٢) في بعض مطبوعات « تاريخ الخلفاء » : (الشعبي) !! والخبر في « تاريخ دمشق » (١٦٧ / ٦٣) من حديث ابن عائشة عن أبيه ، وابن عائشة هو : عبيد الله بن محمد بن حفص ، يقال له : ابن عائشة ، والعائشي ، والعيشي . انظر « تقريب التهذيب » (ص ٣١٥) ، وفي مطبوع « تاريخ الإسلام » (٤٩٧ / ٦) : (العتيبي) !!

(٣) تاريخ دمشق (١٦٩ / ٦٣) .

(٤) في (أ) و (هـ) : (يا هل) ، والخبر في « تاريخ دمشق » (١٧٩ / ٦٣) .

(٥) تاريخ دمشق (١٧٨ / ٦٣) .

عبد العزيز : الوليد بالشام ، والحجاج بالعراق ، وعثمان بن حيان^(١) بالحجاز ،
وقرة بن شريك بمصر ، امتلأت الأرض والله جوراً^(٢) .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن إبراهيم أبي زرعة : أن الوليد قال
له : أيحاسب الخليفة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنت أكرم على الله أم داوود ؟
إن الله جمع له النبوة والخلافة ثم توَّعَّده في كتابه فقال : ﴿ يَدَاوُدُ إِنَّا
جَعَلْنَاكَ... ﴾ الآية^(٣) .

لكنه أقام الجهاد في أيامه ، وفتحت في خلافته فتوحات عظيمة ، وكان مع
ذلك يختن الأيتام ، ويرتب لهم المؤدبين ، ويرتب للزمنى من يخدمهم ،
وللأضرء من يقودهم ، وعمر المسجد النبوي ووسعه ، ورزق الفقهاء والفقراء
والضعفاء ، وحرّم عليهم سؤال الناس ، وفرض لهم ما يكفيهم ، وضبط الأمور
أتم ضبط .

وقال ابن أبي عبلة : (رحم الله الوليد ، وأين مثل الوليد ؟ ! افتتح الهند
والأندلس ، وبنى مسجد دمشق ، وكان يعطيني قصاع الفضة أقسمها على قراء
مسجد بيت المقدس)^(٤) .

ولي الوليد الخلافة بعهد من أبيه ، في شوال ، سنة ست وثمانين .

ففي سنة سبع وثمانين : شرع في بناء جامع دمشق ، وكتب بتوسيع المسجد
النبوي وبنائه .

وفيها : فتحت بيكند وبُخارى وسردانية وممطورة وقُميقم وبحيرة الفرسان
عنوة .

(١) في (أ) : (جنادة) ، وفي بقية النسخ : (جارة) ، والمثبت من « حلية الأولياء » (٣٠٩/٥) ،
وانظر « تهذيب الكمال » (٣٦٠-٣٦١ / ١٩) ولعله الصواب ، والله أعلم .

(٢) حلية الأولياء (٣٠٩/٥) .

(٣) أورده ابن كثير في « تفسيره » (٤١ / ٤) بسند ابن أبي حاتم .

(٤) تاريخ دمشق (١٧٦ / ٦٣) ، وابن أبي عبلة : هو إبراهيم .

وفيها : حج بالناس عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فوقف يوم النحر غلطاً ، وتألم لذلك .

وفي سنة ثمان وثمانين : فتحت جُرثومة وطُوانة .

وفي سنة تسع وثمانين : فتحت جزيرتا مَيُورَقة ومَنُورَقة .

وفي سنة إحدى وتسعين : فتحت نَسَف وكَشْ وشُومان ومدائن وحصون من بحر أذربيجان .

وفي سنة اثنتين وتسعين : فتح إقليم الأندلس بأسره ، ومدينة أرمائيل وقنزبور^(١) .

وفي سنة ثلاث وتسعين : فتحت الدَّيْلُ وغيرها ، ثم الكيرج وبرهم^(٢) ، وبَاجَة والبيضاء ، وخُوارزم وسَمَرْقند والسَّغْد .

وفي سنة أربع وتسعين : فتحت كابل وفرغانة ، والشاش وسندرة وغيرها .

وفي سنة خمس وتسعين : فتحت المُولتان ومدينة الباب .

(١) في النسخ : (قتربون) ، والتصويب من المصادر .

(٢) في (أ) : (براهم) ، وفي « تاريخ الإسلام » ٢٥٨/٦ : (وبرَّهما) ، وفي « تاريخ خليفة » (ص ٣٠٥) : (مدينة برهما) .

وفي سنة ست وتسعين : فتحت طويس^(١) وغيرها .

وفيها : مات الخليفة الوليد ، في نصف جمادى الآخرة ، وله إحدى وخمسون سنة .

قال الذهبي : (عاش الجهاد في أيامه ، وفتحت فيها الفتوحات العظيمة كأيام عمر بن الخطاب)^(٢) .

قال عمر بن عبد العزيز : (لما وضعت الوليد في لحده ؛ إذا هو يركض في أكفانه)^(٣) . يعني : ضرب الأرض برجله .

ومن كلام الوليد : (لولا أن الله ذكر آل لوط في القرآن . . ما ظننت أن أحداً يفعل هذا)^(٤) .

[من مات في عهده]

مات في أيام الوليد من الأعلام : عتبة بن عبد السلمي ، والمقدام بن معدي كَرَب ، وعبد الله بن بُشَر المازني ، وعبد الله بن أبي أوفى ، وأبو العالية ، وجابر بن زيد ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد ، والسائب بن يزيد ، والسائب بن خلاد ، وخبيب بن عبد الله بن الزبير ، وبلال بن أبي الدرداء ، وسعيد بن المسيب ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وسعيد بن جبير شهيداً ؛ قتله الحجاج لعنه الله ، وإبراهيم النخعي ، ومطرف ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، والعجاج الشاعر ، وآخرون .

(١) في (ب ، ج) : (طوس) ، وفي « تاريخ الإسلام » (٢٦٤ / ٦) : (طويس) ، وفي « تاريخ خليفة » (ص ٣١٣) ، وفي « تاريخ الطبري » (٤٩٢ / ٦) : (طولس) ، والله أعلم .

(٢) تاريخ الإسلام (٥٠٠ / ٦) .

(٣) تاريخ دمشق (١٨١ / ٦٣) .

(٤) تاريخ دمشق (١٧٨ / ٦٣) .

خلافة سليمان بن عبد الملك

[٩٦-٩٩هـ]^(١)

أبو أيوب ، كان من خيار ملوك بني أمية ، ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه ، في جمادى الآخرة ، سنة ست وتسعين .

روى قليلاً عن أبيه وعبد الرحمن بن هنيدة ، روى عنه : ابنه عبد الواحد والزهرى .

وكان فصيحاً مفوهاً ، مؤثراً للعدل ، محباً للغزو ، ومولده سنة ستين .

ومن محاسنه : أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير ، فكان يمثل أوامره في الخير ، فعزل عمال الحجاج ، وأخرج من كان في سجن العراق ، وأحيا الصلاة لأول مواقيتها ، وكان بنو أمية أماتوها بالتأخير .

قال ابن سيرين : (يرحم الله سليمان ؛ افتتح خلافته بإحيائه الصلاة لمواقيتها ، واختتمها باستخلافه عمر بن عبد العزيز)^(٢) .

وكان سليمان ينهى عن الغناء ، وكان من الأكلة المذكورين ؛ أكل في مجلس سبعين رمانة وخروفاً وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي^(٣) .

قال يحيى الغساني : (نظر سليمان في المرأة فأعجبه شبابه وجماله ، فقال : كان محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ، وكان أبو بكر صديقاً ، وكان عمر فاروقاً ، وكان عثمان حياً ، وكان معاوية حليماً ، وكان يزيد صبوراً ، وكان عبد الملك

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٥٥٥ / ٦) ، و « المتظم » (١٣ / ٧) ، و « الكامل » (١١ / ٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٧٧ / ٦) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٢٧ / ٩) ، و « الوافي بالوفيات » (٤٠٠ / ١٥) ، و « البداية والنهاية » (١٧٧ / ٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٧٩ / ٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٧٩ / ٦) . والمكوك : مكيال قديم يختلف مقداره باختلاف اصطلاح الناس عليه في البلاد ، قيل : يسع صاعاً ونصفاً .

سائباً ، وكان الوليد جبّاراً ، وأنا الملك الشاب ، فما دار عليه الشهر حتى مات (١) .

وكانت وفاته يوم الجمعة ، عاشر صفر ، سنة تسع وتسعين .
وفتح في أيامه : جرجان ، وحصن الحديد ، وسردا وشتى (٢) ، وطبرستان
ومدينة الصقالبة .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأعلام : قيس بن أبي حازم ، ومحمود بن لبيد ،
والحسن بن الحسن بن علي ، وكريب مولى ابن عباس ، وعبد الرحمن بن
الأسود النخعي ، وآخرون .

[نصيحة رجاء لسليمان باستخلاف عمر بن عبد العزيز]

قال عبد الرحمن بن حسان الكِنَاني : مات سليمان غازياً بدابق ، فلما
مرض . . قال لرجاء بن حيوة : من لهذا الأمر بعدي ، أستخلف ابني ؟ قال :
ابنك غائب .

قال : فابني الآخر ؟ قال : صغير ، قال : فمن ترى ؟ قال : أرى أن
تستخلف عمر بن عبد العزيز .

قال : أتخوف إخوتي لا يرضون ؟ قال : فوله عمر ، ومن بعده يزيد بن
عبد الملك ، وتكتب كتاباً وتختم عليه ، وتدعوهم إلى بيعته مختوماً ، قال : لقد
رأيت .

فدعا بقرطاس فكتب فيه العهد ، ودفعه إلى رجاء ، وقال : اخرج إلى

(١) تاريخ الإسلام (٦/ ٣٨٠) .

(٢) في تاريخ الإسلام (٦/ ٢٦٦) : (سَرْدَوْسَل وشتى بنواحي الروم) ، وأغلب الظن أن تكون (شتى)
فعل بمعنى قضى الشتاء ، كما يتبين من مراجعة المصادر ، انظر « تاريخ دمشق » (٥٨ / ٣٢) ، و« تاريخ
خليفة » (ص ٣١٤) .

الناس ، فليبايعوا على ما فيه مختوماً ، فخرج فقال : إن أمير المؤمنين يأمركم أن تبايعوا لمن في هذا الكتاب ، قالوا : ومن فيه ؟ قال : هو مختوم ؛ لا تُخبروا بمن فيه حتى يموت أمير المؤمنين .

قالوا : لا نبايع ، فرجع إليه فأخبره ، فقال : انطلق إلى صاحب الشرطة والخرس ، فاجمع الناس ومُرهم بالبيعة ؛ فمن أبي . . فاضرب عنقه ، ففعل فبايعوا .

قال رجاء : فيينا أنا راجع . . إذا هشام ، فقال لي : يا رجاء ؛ قد علمت موقعك منا ، وأن أمير المؤمنين قد صنع شيئاً ما أدري ما هو ، وإنني تخوفت أن يكون قد أزالها عني ، فإن يكن قد عدلها عني . . فأعلمني ما دام في الأمر نفس حتى أنظر ؟

فقلت : سبحان الله !! يستكمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه ؟! لا يكون ذا أبداً .

ثم لقيت عمر بن عبد العزيز ، فقال لي : يا رجاء ؛ إنه قد وقع في نفسي أمرٌ كبيرٌ من هذا الرجل ، أتخوَّف أن يكون قد جعلها إليّ ، ولست أقوم بهذا الشأن ، فأعلمني ما دام في الأمر نفس ؛ لعلني أتخلص منه ما دام حياً .

قلت : سبحان الله !! يستكمني أمير المؤمنين أمراً أطلعك عليه ؟!

ثم مات سليمان وفتح الكتاب ؛ فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز ، فتغيرت وجه بني عبد الملك ، فلما سمعوا : وبعده يزيد بن عبد الملك . . تراجعوا ، فأتوا عمر فسلموا عليه بالخلافة ، فعقر به ، فلم يستطع النهوض حتى أخذوا بضبعه^(١) ، فدنوا به إلى المنبر وأصعدوه ، فجلس طويلاً لا يتكلم ، فقال رجاء : ألا تقومون إلى أمير المؤمنين فتبايعوه ؟ فبايعوه ، ومدَّ يده إليهم .

ثم قام فحمد الله تعالى ، وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنني لست بقاضٍ ولكني منفذ ، ولست بمبتدعٍ ولكني متبع ، وإن من حولكم من الأمصار والمدن

(١) الضبع : ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاها .

إن هم أطاعوا كما أطعتم . . فأنا واليكم ، وإن هم أبوا . . فلست لكم بوالٍ .
ثم نزل ، فأتاه صاحب المراكب ، فقال : ما هذا ؟ قال : مركب الخليفة ،
قال : لا حاجة لي فيه ، ائتوني بدابتي ، فأتوه بدابته وانطلق إلى منزله ، ثم دعا
بدواة وكتب بيده إلى عمال الأمصار .
قال رجاء : (كنت أظن أنه سيضعف ؛ فلما رأيت صنعه في الكتاب . . علمت
أنه سيقوى)^(١) .

[مشادة بين مروان وسليمان وتدخل عمر بن عبد العزيز]

يروى : (أن مروان بن عبد الملك وقع بينه وبين سليمان في خلافته كلام ،
فقال له سليمان : يا بن اللخناء ، ففتح مروان فاه ليحييه ، فأمسك عمر بن
عبد العزيز بفيه وقال : أنشدك الله ؛ إمامك وأخوك وله السن ، فسكت وقال :
قتلتني والله ؛ لقد زدت في جوفي أحر من النار ، فما أمسى حتى مات)^(٢) .
وأخرج ابن أبي الدنيا ، عن زياد بن عثمان : أنه دخل على سليمان بن
عبد الملك لما مات ابنه أيوب ، فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ إن عبد الرحمن بن
أبي بكر كان يقول : من أحب البقاء . . فليوطن نفسه على المصائب)^(٣) .

(١) ريخ الإسلام (٣٨٢/٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٣١١/٥٧) .

(٣) الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان (٢١) .

خلفاء عمر بن عبد العزيز بن مروان

[٩٩-١٠١هـ] (١)

الخليفة الصالح ، أبو حفص ، خامس الخلفاء الراشدين .

قال سفيان الثوري : (الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز) أخرجه أبو داوود في « سننه » (٢) .

ولد عمر بخلوان قرية بمصر ، وأبوه أمير عليها سنة إحدى - وقيل : ثلاث - وستين ، وأمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

وكان بوجه عمر شجة ؛ ضربته دابة في جبهته وهو غلام ، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول : (إن كنت أشج بني أمية .. إنك لسعيد) أخرجه ابن عساكر (٣) .

وكان عمر بن الخطاب يقول : (من ولدي رجلٌ بوجهه شجةٌ يملأ الأرض عدلاً) أخرجه الترمذي في « تاريخه » ، فصدق ظن أبيه فيه (٤) .

وأخرج ابن سعد : أن عمر بن الخطاب قال : (ليت شعري !! من ذو الشين من ولدي ؛ الذي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ؟) (٥) .

وأخرج عن ابن عمر قال : (كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من

(١) انظر ترجمته في : « الطبقات الكبرى » (٣٢٤/٧) ، و« تاريخ الطبري » (٥٦٥/٦) ، و« مروج الذهب » (١٦/٤) ، و« حلية الأولياء » (٢٥٣/٥) ، و« تاريخ دمشق » (١٢٦/٤٥) و« المنتظم » (٣١/٧) ، و« تهذيب الكمال » (٤٣٣/٢١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٨٧/٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٣٠/٩) ، و« تذكرة الحفاظ » (١١٨/١) ، و« الوافي بالوفيات » (٥٠٦/٢٢) ، و« مرآة الجنان » (٩٦/١) ، و« البداية والنهاية » (١٩٢/٩) .

(٢) سنن أبي داوود (٤٦٣١) .

(٣) تاريخ دمشق (١٥٢/١١) .

(٤) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٢٥/٧) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣٢٥/٧) .

آل عمر ، يعمل بمثل عمل عمر (فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة ، وكانوا يرون أنه هو ، حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز^(١) .

روى عمر بن عبد العزيز عن أبيه ، وأنس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وابن قارظ ، ويوسف بن عبد الله بن سلام ، وعامر بن سعد ، وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبي بكر بن عبد الرحمن ، والربيع بن سبرة ، وطائفة .

روى عنه : الزهري ، ومحمد بن المنكدر ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ومسلمة بن عبد الملك ، ورجاء بن حيوة ، وخلائق كثيرون .

[نشأة عمر بن عبد العزيز وصلاحه]

جمع القرآن وهو صغير ، وبعثه أبوه إلى المدينة يتأدب بها ، فكان يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله يسمع منه العلم ، فلما توفي أبوه . . طلبه عبد الملك إلى دمشق ، وزوجه ابنته فاطمة .

وكان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضاً ، إلا أنه كان يبالغ في التمتع ، فكان الذين يعيونه من حساده لا يعيونه إلا بالإفراط في التمتع ، والاختيال في المشية^(٢) .

فلما ولي الوليد الخلافة . . أمر عمر على المدينة ، فوليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين ، وعزل فقدم الشام .

ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد ، وأن يعهد إلى ولده ، فأطاعه كثير من الأشراف طوعاً وكرهاً ، فامتنع عمر بن عبد العزيز ، وقال : (لسليمان في أعناقنا بيعة) وصمم ، فطين عليه الوليد ، ثم شفع فيه بعد ثلاث ، فأدركوه وقد مالت عنقه^(٣) ، فعرفها له سليمان ، فعهد إليه بالخلافة .

(١) الطبقات الكبرى (٣٢٥ / ٧) ، وانظر « كنز العمال » (٣٧٨٤٦) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (١٣٨ / ٤٥) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٧٠ / ٣٦) ، وفيه : (فطين عليه البيت) .

قال زيد بن أسلم : عن أنس رضي الله عنه : (ما صليت وراء إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى) يعني : عمر بن عبد العزيز ، وهو أمير على المدينة .

قال زيد بن أسلم : (فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود) ، له طرق عن أنس أخرجه البيهقي في « سننه » وغيره^(١) .

وسئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز فقال : (هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمةً وحده)^(٢) .

وقال ميمون بن مهران : (كانت العلماء مع عمر بن عبد العزيز تلامذة)^(٣) .

وأخرج أبو نعيم بسند صحيح عن رياح بن عبيدة قال : (خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ متوكيء على يده ، فقلت في نفسي : إن هذا الشيخ جاف !! فلما صلى ودخل .. لحقته ، فقلت : أصلح الله الأمير ؛ من الشيخ الذي كان يتكىء على يدك ؟

قال : يا رياح ؛ رأيته ؟ قلت : نعم ، قال : ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً ؛ ذاك أخي الخضر ، أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة ، وأني سأعدل فيها)^(٤) .

وأخرج أيضاً عن أبي هاشم : أن رجلاً جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : (رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وأبو بكر عن يمينه ، وعمر عن شماله ، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس ، فقال لك : « يا عمر ؛ إذا عملت .. فاعمل بعمل هذين » لأبي بكر وعمر ، فاستحلف له عمر : بالله لرأيت هذا ؟ فحلف له ، فبكى)^(٥) .

(١) السنن الكبرى (١١٠ / ٢) ، ومسنند أحمد (٢٢٥ / ٣) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٤ / ٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٣٩ / ٥) .

(٤) حلية الأولياء (٢٥٤ / ٥) .

(٥) حلية الأولياء (٣٣٨ / ٥) .

[مبايعة سيدنا عمر بن عبد العزيز وخلافته]

ببيع بالخلافة بعهد من سليمان ، في صفر ، سنة تسع وتسعين كما تقدم^(١) ، فمكث فيها سنتين وخمسة أشهر نحو خلافة الصديق رضي الله عنه ، ملأ فيها الأرض عدلاً ، وردّ المظالم ، وسنّ السنن الحسنة .

ولما قرئ كتاب العهد باسمه .. عُقر وقال : (والله ؛ إن هذا الأمر ما سألته الله قط) ، وقَدّم إليه صاحب المراكب مركب الخليفة فأبى ، وقال : (اتنوني ببغلي) .

قال الحكم بن عمر : (شهدت عمر بن عبد العزيز حين جاءه أصحاب المراكب يسألونه العلوفة ورزق خدمتها ، قال : ابعث بها إلى أمصار الشام يبيعونها فيمن يزيد ، واجعل أثمانها في مال الله ، تكفيني بغلي هذه الشهباء)^(٢) .

وقال عمر بن ذر : (لما رجع عمر من جنازة سليمان .. قال له مولاه : ما لي أراك مغتماً ؟ قال : لمثل ما أنا فيه فليُغتم ؛ ليس أحد من الأمة .. إلا وأنا أريد أن أوصل إليه حقه غير كاتب إليّ فيه ، ولا طالبه مني)^(٣) .

وعن عمرو بن مهاجر وغيره : (أن عمر لما استخلف .. قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنه لا كتاب بعد القرآن ، ولا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا وإني لست بقاض ولكني منفذ ، ولست بمبتدع ولكني متبع ، ولست بخير من أحدكم ولكني أثقلكم حملاً ؛ إن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^(٤) .

وعن الزهري قال : (كتب عمر بن عبد العزيز إلى سالم بن عبد الله يكتب إليه

(١) انظر ما تقدم (ص ٣٧١) .

(٢) تاريخ دمشق (١٦٦/٤٥) .

(٣) تاريخ دمشق (١٦٧/٤٥-١٦٨) .

(٤) تاريخ دمشق (١٧١/٤٥) ، والبداية والنهاية (١٩٩/٩) .

بسيرة عمر بن الخطاب في الصدقات ، فكتب إليه بالذي سأل ، وكتب إليه : إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك . . كنت عند الله خيراً من عمر (١) .

وعن حماد : (أن عمر لما استُخلف . . بكى ، فقال : يا أبا فلان ؛ أتخشى علي ؟ قال : كيف حبك للدرهم ؟ قال : لا أحبه ، قال : لا تخف ؛ فإن الله سيعينك) (٢) .

[سياسته في الخلافة والعودة إلى سيرة الراشدين]

وعن مغيرة قال : (جمع عمر حين استخلف بني مروان فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له فذك ؛ ينفق منها ، ويعول منها على صغير بني هاشم ، ويزوج منها أيهم ، وإن فاطمة سألته أن يجعلها لها فأبى ، فكانت كذلك حياة أبي بكر ، ثم عمر ، ثم أقطعها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ، فرأيت أمراً منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أنني قد رددتها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٣) .

وعن الليث قال : (لما ولي عمر . . بدأ بلحمته وأهل بيته ؛ فأخذ ما بأيديهم ، وسمّى أموالهم مظلماً) (٤) .

وقال أسماء بن عبيد : (دخل عنبسة بن سعيد بن العاصي على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن من كان قبلك من الخلفاء كانوا يعطوننا عطايا منعتناها ، ولي عيال وضيعة ، أفتأذن لي أن أخرج إلى ضيعتي لما يصلح عيالي ؟ فقال عمر : أحبكم من كفانا مؤنته ، ثم قال له : أكثر ذكر الموت ؛ فإن

(١) تاريخ دمشق (١٧٥ / ٤٥) .

(٢) تاريخ دمشق (١٧٧ / ٤٥) .

(٣) تاريخ دمشق (١٧٩ / ٤٥) .

(٤) تاريخ دمشق (١٨٠ / ٤٥) .

كنت في ضيق من العيش . . وسَّعه عليك ، وإن كنت في سعة من العيش . . ضيقه عليك (١) .

وقال فرات بن السائب : (قال عمر بن عبد العزيز لامرأته فاطمة بنت عبد الملك وكان عندها جوهر أمر لها به أبوها لم ير مثله : اختاري : إما أن تردِّي حليكِ إليّ بيت المال ، وإما أن تأذني لي في فراقكِ ؛ فإنني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد ؟

قالت : لا ؛ بل أختارك عليه وعلى أضعافه ، فأمر به فحُمِلَ حتَّى وُضِعَ في بيت مال المسلمين ، فلما مات عمر واستخلف يزيد . . قال لفاطمة : إن شئتِ رددته إليك ؟ قالت : لا والله ؛ لا أطيب به نفساً في حياته وأرجع فيه بعد موته (٢) .

وقال عبد العزيز : (كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه : إن مدينتنا قد خربت ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرثها به . . فعل ؟ فكتب إليه عمر : إذا قرأت كتابي هذا . . فحَصِّنْها بالعدل ، ونقِ طرقها من الظلم ؛ فإنه مرمتها ، والسلام) (٣) .

وقال إبراهيم السَّكُونِي : (قال عمر بن عبد العزيز : ما كذبت منذ علمت أن الكذب شَيْنٌ على أهله) (٤) .

[شهادة الناس في سيدنا عمر بن عبد العزيز]

وقال قيس بن حَبْتَر : (مثل عمر في بني أمية . . مثل مؤمن آل فرعون) (٥) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٥ / ٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٨٣ / ٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠٥ / ٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٢ / ٤٥) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ٣٩١) من طريق محمد بن عبد العزيز ، عن ابن عائشة عبيد الله بن محمد رحمه الله تعالى .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤٣ / ٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤٣ / ٥) .

وقال ميمون بن مهران : (إن الله كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي ، وإن الله تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز)^(١) .

وقال وهب بن منبه : (إن كان في هذه الأمة مهدي . . فهو عمر بن عبد العزيز)^(٢) .

وقال محمد بن فضالة : (مرَّ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز براهب في الجزيرة ، فنزل إليه الراهب ولم ينزل لأحد قبله ، وقال : أتدري لمَ نزلت إليك ؟ قال : لا ، قال : لحق أبيك ، إنا نجده من أئمة العدل بموضع رجب من الأشهر الحرم ، ففسَّره أيوب بن سويد : ثلاثة متوالية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم : أبو بكر وعمر وعثمان ، ورجب منفرد منها : عمر بن عبد العزيز)^(٣) .

وقال حسن القصَّاب^(٤) : (رأيت الذئب ترعى مع الغنم بالبادية في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فقلت : سبحان الله !! ذئب في غنم لا يضرها ، فقال الراعي : إذا صلح الرأس . . فليس على الجسد بأس)^(٥) .

وقال مالك بن دينار : (لما ولي عمر بن عبد العزيز . . قالت رعاء الشاء : من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة عدل ؟! كفت الذئب عن شائنا)^(٦) .

وقال موسى بن أعين : (كنا نرعى الشاء بكرمان في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فكانت الشاء والذئب ترعى في مكان واحد ، فبينما نحن ذات ليلة . . إذ عرض الذئب للشاة ، فقلت : ما نرى الرجل الصالح إلا قد هلك ، فحسبوا فوجدوه مات تلك الليلة)^(٧) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٣٩/٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٤/٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٥/٥) .

(٤) كذا في النسخ ، وفي مصادر التخریج : (جسر القاصب) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٥/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٣/٤٥) .

(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٧٦/٧) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥٥٥/٥) .

(٧) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٧٦/٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٥/٥) .

وقال الوليد بن مسلم : (بلغنا أن رجلاً كان بخراسان قال : أتاني آتٍ في المنام فقال : إذا قام أشج بني مروان . فانطلق فبايعه ؛ فإنه إمام عدل ، فجعلت أسأل كلما قام خليفة ، حتى قام عمر بن عبد العزيز ، فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فارتحلت إليه فبايعته)^(١) .

وعن حبيب بن هند الأسلمي قال : (قال لي سعيد بن المسيب : إنما الخلفاء ثلاثة : أبو بكر وعمر وعمر ، قلت : هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما ؛ فمن عمر ؟ قال : إن عشت . أدركته ، وإن مت . كان بعدك) ، قلت : ومات ابن المسيب قبل خلافة عمر)^(٢) .

وقال ابن عون : (كان ابن سيرين إذا سُئل عن الطلاء . قال : نهى عنه إمام الهدى) يعني : عمر بن عبد العزيز^(٣) .

وقال الحسن : (إن كان مهدي . فعمر بن عبد العزيز ، وإلا . فلا مهدي إلا عيسى ابن مريم)^(٤) .

[ذكر شيء من زهده وفضائله]

وقال مالك بن دينار : (الناس يقولون : مالك زاهد ؛ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، الذي أته الدنيا فتركها)^(٥) .

وقال يونس بن أبي شبيب : (شهدت عمر بن عبد العزيز وإن حجرة إزاره لغائبة في عكته ، ثم رأيته بعد ما استخلف ، ولو شئت أن أعد أضلاعه من غير أن أمسها . لفعلت)^(٦) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٦/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٢/٦٨) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٨/٤٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٠/٤٥) ، والطلاء : ما طبخ من عصير العنب حتى صار على الثلث ، وذهب ثلثاه .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٦/٤٥) .

(٥) أخرجه أحمد في « المسند » (٢٤٩/٥) .

(٦) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٧٦/٧) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/٥) ، والعكنة : الطي في البطن من السمن .

وقال ولده عبد العزيز : (سألني أبو جعفر المنصور : كم كانت غلة أبيك حين أفضت الخلافة إليه ؟ قلت : أربعين ألف دينار ، قال : فكم كانت حين توفي ؟ قلت : أربع مئة دينار ، ولو بقي . . لنقصت)^(١) .

وقال مسلمة بن عبد الملك : (دخلت على عمر بن عبد العزيز أعوده في مرضه ؛ فإذا عليه قميص وسخ ، فقلت لفاطمة بنت عبد الملك : ألا تغسلين قميصه ؟ قالت : والله ؛ ما له قميص غيره)^(٢) .

وقال أبو أمية الخصي غلام عمر : (دخلت يوماً إلى مولاتي فغدنتي عدساً ، فقلت : كل يوم عدس ؟ ! فقالت : يا بني ؛ هذا طعام مولاك أمير المؤمنين) .

قال : (ودخل عمر الحمام يوماً فاطلى ، فولي عانته بيده)^(٣) .

قال : (ولما احتضر . . بعثني بدينار إلى أهل الدير فقال : إن بعثوني موضع قبري ؛ وإلا . . تحولت عنكم ، فأتيهم فقالوا : لولا أنا نكره أن يتحول عنا . . ما قبلناه)^(٤) .

وقال عون بن المعمر : (دخل عمر على امرأته ، فقال : يا فاطمة ؛ عندك درهم أشترى به عبداً ؟ قالت : لا ، قالت : وأنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم تشتري به عبداً ؟ ! قال : هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غداً في جهنم)^(٥) .

وقالت فاطمة امرأته : (ما أعلم أنه اغتسل لا من جنابة ولا من احتلام منذ استخلفه الله حتى قبضه)^(٦) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٧/٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٨/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١١/٤٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦٠/٦٠) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٤/٤٥) .

(٦) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٥/٤٥) .

[بكاء جواريه]

وقال سهل بن صدقة : (لما استخلف عمر . . سُمع في منزله بكاء ، فسألوا عن ذلك ، فقالوا : إن عمر خير جواريه ، فقال : قد نزل بي أمر قد شغلني عنكم ، فمن أحب أن أعتقه . . أعتقه ، ومن أحب أن أمسكه . . أمسكته إن لم يكن مني إليها شيء ، فبكين إياساً منه)^(١) .

وقالت فاطمة امرأته : (كان عمر إذا دخل البيت . . ألقى نفسه في مسجده ، فلا يزال يبكي ويدعو حتى تغلبه عيناه ، ثم يستيقظ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع)^(٢) .

وقال الوليد بن أبي السائب : (ما رأيت أحداً قط أخوف من عمر)^(٣) .

وقال سعيد بن سويد : (صلى عمر بالناس الجمعة وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله قد أعطاك فلو لبست ؟ فنكس ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إن أفضل القصد عند الجدة ، وأفضل العفو عند القدرة)^(٤) .

وقال ميمون بن مهران : (سمعت عمر يقول : لو أقمت فيكم خمسين عاماً . . ما استكملتم فيكم العدل ؛ إنني لأريد الأمر فأخاف ألا تحمله قلوبكم ، فأخرج معه طمعاً من الدنيا ، فإن أنكرت قلوبكم هذا . . سكنت إلى هذا)^(٥) .

وقال إبراهيم بن ميسرة : (قلت لطاووس : هو المهدي - يعني : عمر بن عبد العزيز - قال : هو مهدي ، وليس به ؛ إنه لم يستكمل العدل كله)^(٦) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٥٩/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٨/٤٥) ، والضمير في (عنكم) هكذا في الأصول بالتذكير ، وجاء في « الحلية » و « تاريخ دمشق » : (عنكن) وهو الأولى ، والله أعلم .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٠/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٥/٤٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٠/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٦/٤٥) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦١/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٧/٤٥) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨١/٤٥) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٨٩/٤٥) .

وقال عمر بن أسيد : (والله ؛ ما مات عمر حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : اجعلوا هذا حيث ترون ، فما يبرح حتى يرجع بماله كله ، قد أغنى عمر الناس)^(١) .

وقال جويرية : (دخلنا على فاطمة بنت علي بن أبي طالب ، فأثنت على عمر بن عبد العزيز وقالت : لو كان بقي لنا . . ما احتجنا بعد إلى أحد)^(٢) .

وقال عطاء بن أبي رباح : (حدثتني فاطمة امرأة عمر : أنها دخلت عليه وهو في مصلاه تسيل دموعه على لحيته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أليس حدث ؟ قال : يا فاطمة ؛ إني تقلدت من أمرة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ أسودها وأحمرها ، فتفكرت في : الفقير الجائع ، والمريض الضائع ، والعاري المجهود ، والمظلوم المقهور ، والغريب الأسير ، والشيخ الكبير ، وذو العيال الكثير والمال القليل ، وأشباههم في أقطار الأرض وأطراف البلاد ، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم يوم القيامة ، فخشيت ألا تثبت لي حجة فبكيت)^(٣) .

[كيف أوليكم ديني ؟]

وقال الأوزاعي : (إن عمر بن عبد العزيز كان جالساً في بيته وعنده أشراف بني أمية ، فقال : تحبون أن أولي كل رجل منكم جنداً ؟ فقال رجل منهم : لِمَ تعرض علينا ما لا تفعله ؟ !

قال : ترون بساطي هذا ؟ إني لأعلم أنه يصير إلى بلى وفناء ، وإني أكره أن تدنسوه بأرجلكم ، فكيف أوليكم ديني ، أوليكم أعراض المسلمين وأبشارهم ؟ ! هيهات لكم هيهات !!

فقالوا له : لِمَ ؟ أما لنا قرابة ؟ أما لنا حق ؟ قال : ما أنتم وأقصى رجل من

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩٥ / ٤٥) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩٦ / ٤٥) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩٦ / ٤٥ - ١٩٧) .

المسلمين عندي في هذا الأمر إلا سواء ، إلا رجل من المسلمين حبسه عني طول شقته (١) .

وقال حميد (٢) : (أُملى عليّ الحسن رسالة إلى عمر بن عبد العزيز فأبلغ ، ثم شكا الحاجة والعيال ، فأمر ببعثائه) (٣) .

وقال الأوزاعي : (كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلاً . . حبسه ثلاثة أيام ، ثم عاقبه ؛ كراهة أن يعجل في أول غضبه) (٤) .

وقال جويرية بن أسماء : (قال عمر بن العزيز : إن نفسي نفسٌ تَوَاقَّة ؛ لم تُعْطَ من الدنيا شيئاً . . إلا تآقت إلى ما هو أفضل منه ، فلما أعطيت ما لا شيء فوقه من الدنيا . . تآقت نفسي إلى ما هو أفضل منه) يعني : الجنة (٥) .

وقال عمرو بن مهاجر : (كانت نفقة عمر بن عبد العزيز كل يوم درهمين) (٦) .

وقال يوسف بن يعقوب الكاهلي : (كان عمر يلبس الفروة الكبّل ، وكان سراج بيته على ثلاث قصبات فوقهن طين) (٧) .

وقال عطاء الخراساني : (أمر عمر غلامه أن يسخن له ماء ، فانطلق فسَخَنَ قمقمًا في مطبخ العامة ، فأمره عمر أن يأخذ بدرهم حطباً يضعه في المطبخ) (٨) .

وقال عمرو بن مهاجر : (كان عمر يسرج عليه الشمعة ما كان في حوائج المسلمين ، فإذا فرغ من حوائجهم . . أطفأها ثم أسرج عليه سراجَه) (٩) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١٩٩/٤٥) .

(٢) في مطبوع « تاريخ دمشق » : (حنبل) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠١/٤٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠٦/٤٥) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٨/٤٥) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٢/٤٥) .

(٧) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٤/٤٥) ، والكبّل : القصير .

(٨) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٤/٤٥) .

(٩) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٦/٤٥) .

وقال الحكم بن عمر : (كان للخليفة ثلاث مئة حرسى ، وثلاث مئة شرطي ، فقال عمر للحرس : إن لي عنكم بالقدر حاجزاً ، وبالأجل حارساً ، من أقام منكم . . فله عشرة دنانير ، ومن شاء . . فليلق بأهله)^(١) .

[الهدية للنبي صلى الله عليه وسلم هدية ولنا رشوة]

وقال عمرو بن مهاجر : (اشتهى عمر بن عبد العزيز تفاحاً ، فأهدى إليه رجلاً من أهل بيته تفاحاً ، فقال : ما أطيب ريحه وأحسنه !! ارفعه يا غلام - للذي أتى به - وأقرىء فلاناً السلام وقل له : إن هديتك وقعت عندنا بحيث تحب ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ابن عمك ورجل من أهل بيتك ، وقد بلغك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية ؟! فقال : ويحك !! إن الهدية كانت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية ، وهي لنا اليوم رشوة)^(٢) .

[مواعظه ونصحه وتواضعه]

وقال إبراهيم بن ميسرة : (ما رأيت عمر بن عبد العزيز ضرب أحداً في خلافته ، غير رجل واحد تناول من معاوية ، فضربه ثلاثة أسواط)^(٣) .

وقال الأوزاعي : (لما قطع عمر بن عبد العزيز عن أهل بيته ما كان يجري عليهم من أرزاق الخاصة . . كلّموه في ذلك ، فقال : لن يتسع مالي لكم ، وأما هذا المال . . فإنما حققكم فيه كحق رجل بأقصى برك الغماد)^(٤) .

وقال أبو عمر : (كتب عمر بن عبد العزيز : برّد أحكام من أحكام الحجاج مخالفة لأحكام الناس)^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٠٠/٧) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٠/٤٥) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٧٤/٧) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧١/٥) ، وبرك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٠/٥) .

وقال يحيى الغساني : (لما ولّاني عمر بن عبد العزيز الموصل .. قدمتها فوجدتها من أكثر البلاد سرقةً ونقباً ، فكتبت إليه أعلمه حال البلد ، وأسأله : آخذ الناس بالظنة وأضربهم على التهمة ؟ أو آخذهم بالبينه وما جرت عليه السنة ؟ فكتب إليّ : أن خذ الناس بالبينه وما جرت عليه السنة ؛ فإن لم يصلحهم الحق .. فلا أصلحهم الله .

قال يحيى : ففعلت ذلك ، فما خرجت من الموصل .. حتى كانت من أصلح البلاد ، وأقله سرقة ونقباً)^(١) .

وقال رجاء بن حيوة : (سمريت ليلة عند عمر ، فعشي السراج ، وإلى جانبه وصيف ، قلت : ألا أنبهه ؟ قال : لا ، قلت : أفلا أقوم ؟ قال : ليس من مروءة الرجل استخدامه ضيفه ، فقام إلى بطة الزيت ، وأصلح السراج ثم رجع ، وقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز)^(٢) .

وقال نعيم كاتبه : (قال عمر : إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة)^(٣) .

وقال مكحول : (لو حلفت .. لصدقت ؛ ما رأيت أزهد ولا أخوف لله من عمر بن عبد العزيز !!)^(٤) .

وقال سعيد بن أبي عروبة : (كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر الموت .. اضطربت أوصاله)^(٥) .

وقال عطاء : (كان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء ، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم ييكون ، حتى كأن بين أيديهم جنازة)^(٦) .

وقال عبيد الله بن العيزار : (خطبنا عمر بن عبد العزيز بالشام على منبر من

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧١ / ٥) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٦ / ٤٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٤٠ / ٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٩ / ٤٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٧ / ٤٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣١٦ / ٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤١ / ٤٥) .

(٦) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٣٩ / ٤٥) .

طين ، فقال : أيها الناس ؛ أصلحوا أسراركم .. تصلح علانيتكم ، واعملوا
لآخرتكم .. تكفوا دنياكم ، واعلموا : أن رجلاً ليس بينه وبين آدم أبٌ حي لمُعرق
له في الموت ، والسلام عليكم) (١) .

وقال وهيب بن الورد : (اجتمع بنو مروان إلى باب عمر بن عبد العزيز ،
فقالوا لابنه عبد الملك : قل لأبيك : إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا
ويعرف لنا موضعنا ، وإن أباك قد حرمننا ما في يديه ، فدخل على أبيه فأخبره ،
فقال له : قل لهم : إن أبي يقول لكم : ﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصِيَّتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴾ (٢) .

وقال الأوزاعي : (قال عمر بن عبد العزيز : خذوا من الرأي ما يصدق من
كان قبلكم ، ولا تأخذوا ما هو خلاف لهم ؛ فإنهم خيرٌ منكم وأعلم) (٣) .

وقيل : قدم جرير فطال مقامه بباب عمر بن عبد العزيز ولم يلتفت إليه ،
فكتب إلى عون بن عبد الله وكان خصيصاً بعمر :
[من البسيط]

يا أيها القاريء المُرْخي عمامته هذا زمانك إنِّي قد مَضَى زَمَنِي
أبلغ خليفَتنا إن كنتَ لاقِيَه أنِّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قَرْنِ (٤)

وقال جويرية بن أسماء : لما استخلف عمر بن عبد العزيز .. جاءه بلال بن
أبي بردة فهناه وقال : من كانت الخلافة شرفته .. فقد شَرَفَتْهَا ، ومن كانت
زانتها .. فقد زِنَتْهَا ، وأنت كما قال مالك بن أسماء (٥) :

وتَزِيدِن طَيِّبَ الطَّيْبِ طَيِّباً إن تَمَسَّيَه أينَ مثْلُك أينَا
وإذا الدُرُّ زانَ حُسْنُ وجوه كان للدُرِّ حُسْنُ وجهك زينا

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٥ / ٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨١ / ٣٨) ، ومعرق :
أي يصير له عرق فيه ؛ يعني : أصيلاً .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٧ / ٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣١٥ / ٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦ / ٤٧) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٤٨٦) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١٠ / ١٠) .

وقال جعونة : (لما مات عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز . . جعل عمر يشني عليه ، فقال له مسلمة : يا أمير المؤمنين ؛ لو بقي . . كنت تعهد إليه ؟ قال : لا ، قال : ولمَ وأنت تشني عليه ؟ قال : أخاف أن يكون زَيْنٌ في عيني منه ما زين في عين الوالد من ولده)^(١) .

وقال غسان : عن رجل من الأزد : (قال رجل لعمر بن عبد العزيز : أوصني ، قال : أوصيك بتقوى الله وإيثاره . . تخف عنك المؤنة ، وتحسن لك من الله المعونة)^(٢) .

وقال أبو عمرو : (دخلت ابنة أسامة بن زيد على عمر بن عبد العزيز ، فقام لها ومشى إليها ، ثم أجلسها في مجلسه وجلس بين يديها ، وما ترك لها حاجة إلا قضاها)^(٣) .

وقال الحجاج بن عنبسة : (اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين فعطفناه علينا ، فدخلوا ، فتكلم رجل منهم فمزح ، فنظر إليه عمر ، فوصل له رجل كلامه بالمزاح .

فقال : لهذا اجتمعتم ؟! لأخس الحديث ولما يورث الضغائن ؟! إذا اجتمعتم . . فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعديتم ذلك . . ففي السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن تعديتم ذلك . . فعليكم بمعاني الحديث)^(٤) .

وقال إياس بن معاوية بن قرّة : (ما شبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صنّاع حسن الصنعة ، ليست له أداة يعمل بها) يعني : لا يجد من يعينه^(٥) .

وقال عمر بن حفص : (قال لي عمر بن عبد العزيز : إذا سمعت كلمة من

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٧/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/٣٧) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٦٧/٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧١/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨/٧٠) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٢/٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٤/٥) .

امرىء مسلم.. فلا تحملها على شيء من الشر ما وجدت لها محملاً من الخير^(١).

[قصة صاحب الحرس مع سيدنا عمر بن عبد العزيز]

وقال يحيى الغساني : (كان عمر ينهى سليمان بن عبد الملك عن قتل الحرورية ، ويقول : ضمنهم الحبس حتى يُخَدِّثُوا توبة ، فأتى سليمان بحروري ، فقال له سليمان : هيه ، فقال الحروري : وماذا أقول يا فاسق بن الفاسق ، فقال سليمان : عليّ بعمر بن عبد العزيز .

فلما جاء.. قال : اسمع مقالة هذا ، فأعادها الحروري ، فقال سليمان لعمر : ماذا ترى عليه ؟ فسكت ، قال : عزمت عليك ؛ لتخبرني ماذا ترى عليه ؟ قال : أرى عليه أن تشتمه كما شتمك ، قال : ليس إلا [ذا] ؟ ! فأمر به سليمان فضربت عنقه ، وخرج عمر ، فأدركه خالد صاحب الحرس ، فقال : يا عمر ؛ كيف تقول لأمر المؤمنين : ما أرى عليه إلا أن تشتمه كما شتمك ؟ ! والله ؛ لقد كنت متوقفاً أن يأمرني بضرب عنقك . قال : ولو أمرك.. فعلت ؟ قال : إي والله .

فلما أفضت الخلافة إلى عمر.. جاء خالد فقام مقام صاحب الحرس ، فقال عمر : يا خالد ؛ ضع هذا السيف عنك ، وقال : اللهم ؛ إني قد وضعت لك خالداً فلا ترفعه أبداً ، ثم نظر في وجوه الحرس ، فدعا عمرو بن مهاجر الأنصاري ، فقال : يا عمرو ؛ والله لتعلمن أن ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ؛ ولكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد ، فرأيتك تحسن الصلاة ، وأنت رجل من الأنصار ، خذ هذا السيف ؛ فقد وليتك حرسى^(٢) .

وقال شعيب : (حدث أن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٨/٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٧٩/٥ - ٢٨٠) ، وما بين معقوفين زيادة منه .

أبيه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك فقال : رأيت بدعة فلم تُمتها ، أو سنة فلم تُحيها ؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، يا بني ؛ إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعروة عروة ، ومتى أردتُ مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم . . لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقاً يكثر فيه الدماء ، والله ؛ لزوال الدنيا أهون عليّ من أن يراق في سببي محجمة من دم ، أو ما ترضى ألا يأتي عليّ أبوك يوم من أيام الدنيا . . إلا وهو يُميت فيه بدعة ، ويُحيي فيه سنة ؟ !^(١) .

وقال معمر : (قال عمر بن عبد العزيز : قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع)^(٢) .

وقال أوطاة بن المنذر : (قيل لعمر بن عبد العزيز : لو اتخذت حرساً ، واحترزت في طعامك وشرابك ؟ فقال : اللهم ؛ إن كنت تعلم أنني أخاف شيئاً دون يوم القيامة . . فلا تؤمن خوفي)^(٣) .

[من خطب سيدنا عمر ونهجه في ذلك]

وقال عدي بن الفضل : (سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب فقال : اتقوا الله أيها الناس ، وأجملوا في الطلب ؛ فإنه إن كان لأحدكم رزق في رأس جبل ، أو حضيض أرض . . يأتيه)^(٤) .

وقال أزهري : (رأيت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وعليه قميص مرقوع)^(٥) .

وقال عبد الله بن العلاء : (سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب في الجمع بخطبة واحدة يرددها ، يفتتحها بسبع كلمات : الحمد لله نحمده ، ونستعينه

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٨٣ / ٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٠ / ٥) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٢ / ٥) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٦ / ٥) .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٧ / ٥) .

ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله . . فلا مضل له ، ومن يضلل . . فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله . . فقد رشد ، ومن يعص الله ورسوله . . فقد غوى .

ثم يوصي بتقوى الله ، ويتكلم ، ثم يختم خطبته الأخيرة بقراءة هؤلاء الآيات : ﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ . . . ﴾ إلى تمام العشر (١) .

وقال حاجب بن خليفة البُرْجُمي : (شهدت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو خليفة ، فقال في خطبته : ألا إن ما سَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه . . فهو دينٌ نأخذ به ، وننتهي إليه ، وما سن سواهما . . فإننا نرجئه) (٢) .

أسند جميع ما قدمته أبو نعيم في « الحلية » .

وأخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : (دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يُسَلِّمون عليه ويقولون : تقبَّل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين ، فيرد عليهم ولا ينكر عليهم) (٣) .

قلت : هذا أصلٌ حسنٌ للتهنئة بالعيد والعام والشهر .

[من وصاياه لعماله]

وأخرج عن جَعُونَةَ قال : (ولَّى عمر بن عبد العزيز عمرو بن قيس السكوني الصائفة ، فقال : اقبل من محسنهم ، وتجاوز عن مسيئهم ، ولا تكن في أولهم فتقتل ، ولا في آخرهم فتفشل ، ولكن كن وسطاً حيث يُرى مكانك ، ويسمع صوتك) (٤) .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٣٠٢/٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢٩٨/٥) .

(٣) تاريخ دمشق (٤٣٦/٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٢٤٤/١١) .

وأخرج عن السائب بن محمد قال : (كتب الجراح بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز : إن أهل خراسان قومٌ ساءت رعيّتهم ، وإنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في ذلك ؟

فكتب إليه عمر : أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر أن أهل خراسان قد ساءت رعيّتهم ، وأنه لا يصلحهم إلا السيف والسوط ؛ فقد كذبت ، بل يصلحهم العدل والحق ، فابسط ذلك فيهم ، والسلام)^(١) .

وأخرج عن أمية بن يزيد القرشي قال : (كان عمر بن عبد العزيز إذا أُمليَ عليّ كتابه .. قال : اللهم ؛ إني أعوذ بك من شر لسانِي)^(٢) .

وأخرج عن صالح بن جبير قال : (ربما كلمتُ عمر بن عبد العزيز في الشيء فيغضب ، فأذكر أن في الكتاب مكتوباً : اتق غضبة الملك الشاب ، فأرفق به حتى يذهب غضبه ، فيقول لي بعد ذلك : لا يمنعك يا صالح ما ترى منا أن تراجعنا في الأمر إذا رأيته)^(٣) .

وأخرج عن عبد الحليم بن محمد المخزومي قال : (قدم جرير بن الخطفَى على عمر بن عبد العزيز ، فذهب ليقول ، فنهاه عمر ، فقال : إنما أذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أما رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فاذكر ، فقال :

إِنَّ الَّذِي ابْتَعَثَ النَّبِيُّ مُحَمَّدًا جَعَلَ الْخِلَافَةَ لِلْأَمِيرِ الْعَادِلِ
رَدَّ الْمَظَالِمَ حَقَّهَا بَيَقِينِهَا عَنْ جَوْرِهَا وَأَقَامَ مِيزَانَ الْمَائِلِ
إِنِّي لَأَرْجُو مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَفْسُ مُغْرَمَةٌ بِحَبِّ الْعَاجِلِ

فقال له عمر : ما أجد لك في كتاب الله حقاً !! قال : بلى يا أمير المؤمنين ؛ إنني ابن سبيل ، فأمر له من خاصة ماله بخمسين ديناراً)^(٤) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (١ / ٧٦٠) لابن منظور .

(٢) تاريخ دمشق (٩ / ٣٠٨) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٣ / ٣٢٣) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٤ / ٤٥ - ٤٦) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٣٣١) .

وفي « الطيوريات » : (أن حريز بن عثمان الرحبي دخل مع أبيه على عمر بن عبد العزيز ، فسأله عمر عن حال ابنه ، ثم قال له : علّمه الفقه الأكبر ، قال : وما الفقه الأكبر ؟ قال : القناعة وكف الأذى) .

وأخرج ابن أبي حاتم في « تفسيره » عن محمد بن كعب القرظي قال : (دعاني عمر بن عبد العزيز فقال : صِفْ لي العدل ، فقلت : بخ !! سألت عن أمر جسيم ، كن لصغير الناس أباً ، ولكبيرهم ابناً ، وللمثل منهم أخاً ، وللنساء كذلك ، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم ؛ وعلى قدر أجسادهم ، ولا تضربن لغضبك سوطاً واحداً فتعدّي فتكون من العادين)^(١) .

وأخرج عبد الرزاق في « مصنفه » عن الزهري : (أن عمر بن عبد العزيز كان يتوضأ مما مسته النار ؛ حتى كان يتوضأ من الشُّكْرِ)^(٢) .

وأخرج عن وهيب : (أن عمر بن عبد العزيز قال : من عدّ كلامه من عمله . . قلّ كلامه)^(٣) .

وقال الذهبي : (أظهر غيلان القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فاستتابه عمر ، فقال : لقد كنت ضالاً فهديتني ، فقال عمر : اللهم ؛ إن كان صادقاً ؛ وإلا . . فاصلبه واقطع يديه ورجليه ، فنفذت فيه دعوته ، فأخذ في خلافة هشام بن عبد الملك ، وقطعت أربعته ، وصُلب بدمشق في القدر)^(٤) .

وقال غيره : (كان بنو أمية يَسُبُّونَ عليَّ بن أبي طالب في الخطبة ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز . . أبطله ، وكتب إلى نوابه بإبطاله ، وقرأ مكانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ . . الآية ، فاستمرت قراءتها في الخطبة إلى الآن)^(٥) .

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٢٦٣٦) ، وفيه : (متعدياً) بدل (فتعدّي) .

(٢) مصنف عبد الرزاق (٦٧١) ، وهو من حديث الزهري عن سالم عن ابن عمر ، وفعل عمر هذا أخرجه ابن حبان في « صحيحه » (١١٤٦) .

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٩٧٩٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٤١/٧) .

(٥) الكامل (٩٨/٤) .

وقال القالي في « أماليه » : حدثنا أبو بكر بن الأنباري ، حدثنا أبي ، حدثنا أحمد بن عبيد قال : قال عمر بن عبد العزيز قبل خلافته^(١) : [من مجزوء الكامل]

أَنَّهُ الْفَوَادَ عَنِ الصَّبَا وَعَنْ انْقِيَادٍ لِلْهُوَى
فَلَعْمَرُ رَبِّكَ إِنْ فِي شَيْبِ الْمَفَارِقِ وَالْجَلَى
لَكَ وَاعْظَا لَوْ كُنْتَ تَدَّ عِظًا اتَّعَاطَ ذَوِي النُّهَى
حَتَّى مَتَى لَا تَرَعَوِي وَإِلَى مَتَى وَإِلَى مَتَى
مَا بَعْدَ أَنْ سُمِيتَ كَهْ سَلًا وَاسْتُلِبْتَ اسْمَ الْفَتَى
بَلِي الشَّبَابِ وَأَنْتَ إِنْ عُمِّرْتَ رَهْنٌ لِلْبَلَى
وَكَفَى بِذَلِكَ زَاجِرًا لِلْمَرَّةِ عَنْ غَيِّ كَفَى

فَصَائِلٌ

[الصلع في الخلفاء]

قال الثعالبي في « لطائف المعارف » : (كان عمر أصلع ، وعثمان وعلي ومروان بن الحكم وعمر بن عبد العزيز ، ثم انقطع الصلع عن الخلفاء)^(٢) .

فَصَائِلٌ

[امراة حقها الخلفاء]

قال الزبير بن بكار : (قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز :

بِنْتُ الْخَلِيفَةِ وَالْخَلِيفَةُ جَدُّهَا أَخْتُ الْخَلَائِفِ وَالْخَلِيفَةُ زَوْجُهَا

قال : فلم تكن امراة تستحق هذا البيت إلى يومنا هذا غيرها)^(٣) .

قلت : وإلى يومنا هذا .

(١) أمالي القالي (٤٥ / ٢) .

(٢) لطائف المعارف (ص ١١٥) .

(٣) الموفقيات (٢٠٩) ، والبيت لوضاح اليمن في « ديوانه » (ص ٨٢) .

ذكر مرضه ووفاته

قال أيوب : (قيل لعمر بن عبد العزيز : لو أتيت المدينة ؛ فإن متَّ . . دُفنتَ في موضع القبر الرابع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : والله ؛ لأن يعذبني الله بكل عذاب إلا النار . . أحب إلي من أن يعلم الله مني أنني أراني لذلك الموضع أهلاً)^(١) .

وقال الوليد بن هشام : (قيل لعمر في مرضه : ألا تتداوى ؟ فقال : لقد علمت الساعة التي سَقِيتُ فيها ، ولو كان شفائي أن أمسح شحمة أذني ، أو أُوتى بطيبٍ فأرفعه إلى أنفي . . ما فعلت)^(٢) .

وقال عبيد بن حسان : (لما احتضر عمر بن عبد العزيز . . قال : اخرجوا عني ، ففعد مسلمة وفاطمة على الباب ، فسمعوه يقول : مرحباً بهذه الوجوه ، ليست بوجوه إنسٍ ولا جان ، ثم قال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ . . ﴾ الآية ، ثم هدا الصوت ، فدخلوا فوجدوه قد قبض)^(٣) .

وقال هشام : (لما جاء نعي عمر بن عبد العزيز . . قال الحسن البصري : مات خير الناس)^(٤) .

وقال خالد الرباعي : (إنا نجد في التوراة : أن السماوات والأرض تبكي على عمر بن عبد العزيز أربعين صباحاً)^(٥) .

وقال يوسف بن ماهك : (بينا نحن نسوي التراب على قبر عمر بن عبد العزيز . . إذ سقط علينا كتاب رق من السماء فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، أمانٌ من الله لعمر بن عبد العزيز من النار)^(٦) .

(١) حلية الأولياء (٣٣٥/٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٣/٤٥) .

(٢) حلية الأولياء (٣٤٣/٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٩/٤٥) .

(٣) حلية الأولياء (٣٣٥/٥) ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٥/٤٥) .

(٤) أخرجه أحمد في « الزهد » (ص ٢٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦١/٤٥) .

(٥) حلية الأولياء (٣٤٢/٥) ، وأخرجه ابن الأعرابي في « معجمه » (١٥٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦٠/٤٥) ، وعندهما : (أربعين سنة) .

(٦) حلية الأولياء (٣٣٧/٥) .

[وصيته وعهده لمن بعده]

وقال قتادة : (كتب عمر بن عبد العزيز إلى ولي العهد من بعده :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك ، سلام عليك ؛ فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : فإنني كتبت وأنا دَيفٌ من وجعي ، وقد علمتُ أنني مسؤول عما وُلِّيتُ ، يحاسبني عليه ملك الدنيا والآخرة ، ولست أستطيع أن أخفي عليه من عملي شيئاً ، فإن يرضَ عني . . فقد أفلحت ونجوت من الهوان الطويل ، وإن سخط عليَّ . . فيا ويح نفسي إلامَ أصير ؟!

أسأل الله الذي لا إله إلا هو أن يجيرني من النار برحمته ، وأن يمنَّ عليَّ برضوانه والجنة ، فعليك بتقوى الله ، والرعية الرعية ؛ فإنك لن تبقى بعدي إلا قليلاً والسلام) (١) .

أسند هذا كله أبو نعيم في « الحلية » .

توفي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بدير سمعان - بكسر السين - من أعمال حمص ، لعشر بقين - وقيل : لخمس بقين - من رجب ، سنة إحدى ومئة ، وله حينئذ تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وكانت وفاته بالسّم ، كانت بنو أمية قد تبرموا به ؛ لكونه شدّد عليهم ، وانتزع من أيديهم كثيراً مما غضبوه ، وكان قد أهمل التحرز فسقوه السم .

قال مجاهد : (قال لي عمر بن عبد العزيز : ما يقول الناس فيّ ؟ قلت : يقولون : مسحور ، قال : ما أنا بمسحور ، وإنني لأعلم الساعة التي سقيت فيها ، ثم دعا غلاماً له فقال : ويحك !! ما حملك على أن تسقينني السم ؟!

قال : ألف دينار أعطيتها ، وعلى أن أعتق ، قال : هاتها ، قال : فجاء بها ،

(١) حلية الأولياء (٢٧٤/٥) .

فألقاها في بيت المال وقال : اذهب حيث لا يراك أحد (١) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : أبو أمامة بن سهل بن حنيف ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسالم بن أبي الجعد ، وبشر بن سعيد ، وأبو عثمان النهدي ، وأبو الضحى .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٠ / ٤٥) .

خلف يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

[١٠١-١٠٥هـ] ^(١)

أبو خالد الأموي الدمشقي ، ولد سنة إحدى وسبعين ، وولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان ؛ كما تقدم ^(٢) .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : (لما ولي يزيد . . قال : سيروا بسيرة عمر بن عبد العزيز ، فأتي بأربعين شيخاً فشهدوا له : ما على الخلفاء حساب ولا عذاب !!) ^(٣) .

وقال ابن الماجشون : (لما مات عمر بن عبد العزيز . . قال يزيد : والله ؛ ما عمر بأحوج إلى الله مني ، فأقام أربعين يوماً يسير بسيرة عمر ، ثم عدل عن ذلك) ^(٤) .

وقال سليم بن بشير : (كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك حين احتضر : سلام عليك ، أما بعد : فإني لا أراني إلا لما بي ، فالحمد لله في أمة محمد ؛ فإنك تدع الدنيا لمن لا يحمذك ، وتفضي إلى من لا يعذرک ، والسلام) ^(٥) .

وفي سنة اثنتين : خرج يزيد بن المهلب على الخلافة ، فوجه إليه مسلمة بن عبد الملك بن مروان ، فهزم يزيد وقتل ، وذلك بالعقر موضع بقرب كربلاء .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢١/٧) ، و« مروج الذهب » (٣٠/٤) ، و« تاريخ دمشق » (٣٠٠/٦٥) ، و« المنتظم » (٦٥/٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧٩/٧) ، و« فوات الوفيات » (٣٢٢/٤) ، و« البداية والنهاية » (٢٣١/٩) .

(٢) انظر ما تقدم (ص ٣٧١) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٤/٦٥) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠٨/٦٥) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٠٦/٦٥) .

قال الكلبي : (نشأت وهم يقولون : ضحّى بنو أمية يوم كربلاء بالدين ، ويوم العقر بالكرم) .

مات يزيد في أواخر شعبان ، سنة خمس ومئة .

[من مات في عهده]

وممن مات في خلافته من الأعلام : الضحاك بن مزاحم ، وعدي بن أرطاة ، وأبو المتوكل الناجي ، وعطاء بن يسار ، ومجاهد ، ويحيى بن وثاب مقرئ الكوفة ، وخالد بن معدان ، والشعبي عالم العراق ، وعبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، وأبو قلابة الجرمي ، وأبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، وآخرون .

خلافة هشام بن عبد الملك

[١٠٥-١٢٥هـ] (١)

أبو الوليد ، ولد سنة نيف وسبعين ، واستخلف بعهد من أخيه يزيد .

قال مصعب الزبيري : (رأى عبد الملك في منامه أنه بال في المحراب أربع مرات ، فسأل سعيد بن المسيب فقال : يملك من ولده لصلبه أربعة ، فكان آخرهم هشام) (٢) .

وكان هشام حازماً عاقلاً ، كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة : لقد أخذ من حقه ، ولقد أعطى لكل ذي حق حقه .

وقال الأصمعي : (أسمع رجل مرة هشاماً كلاماً ، فقال له : يا هذا ؛ ليس لك أن تسمع خليفتك) .

قال : وغضب مرة على رجل ، فقال : (والله ؛ لقد هممت أن أضربك سوطاً) .

وقال سَخْبِل بن محمد : (ما رأيت أحداً من الخلفاء أكره إليه الدماء ولا أشد عليه من هشام) (٣) .

وعن هشام أنه قال : (ما بقي شيء من لذات الدنيا . . إلا وقد نلتها إلا شيء واحد ؛ أخ أرفع مؤنة التحفظ فيما بيني وبينه) (٤) .

وقال الشافعي : (لما بنى هشام الرصافة بقنَّسرين . . أحب أن يخلو يوماً

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٥ / ٧) ، و « مروج الذهب » (٤١ / ٤) ، و « المتنظم » (١٠٧ / ٧) ، و « الكامل » (١٢٣ / ٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٨٢ / ٨) ، و « الوافي بالوفيات » (٤١٧ / ٧) .

(٢) نسب قريش (ص ١٦٣) ، وفيه : (فدرس من يسأل سعيد بن المسيب) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٢٠ / ٧) .

(٤) أخرجه الدينوري في « المجالسة » (٢٧٤١) .

لا يأتيه فيه غم ، فما انتصف النهار حتى أتته ريشة بدم من بعض الثغور ، فأوصلت إليه فقال : ولا يوماً واحداً !!)

وقيل : إن هذا البيت له ولم يحفظ له سواء : [من الطويل]
إذا أنت لم تعصِ الهوى قاذك الهوى إلى بعض ما فيه عليك مقال
مات في ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومئة .

وفي سنة سبع من أيامه : فتحت قيصرية^(١) الروم بالسيف .

وفي سنة ثمان : فتحت خنجرة على يد البطال الشجاع المشهور^(٢) .

وفي سنة اثنتي عشرة : فتحت خرّشنة في ناحية ملطية .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : سالم بن عبد الله بن عمر ، وطاووس ،
وسليمان بن يسار ، وعكرمة مولى ابن عباس ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر
الصدّيق ، وكثير عزة الشاعر ، ومحمد بن كعب القرظي ، والحسن البصري ،
ومحمد بن سيرين ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة الصحابي آخرهم موتاً ، وجريز ،
والفرزدق ، وعطية العوفي ، ومعاوية بن قرة ، ومكحول ، وعطاء بن
أبي رباح ، وأبو جعفر الباقر ، ووهب بن منبه ، وسكينة بنت الحسين ،
والأعرج ، وقتادة ، ونافع مولى ابن عمر ، وابن عامر مقرئ الشام ، وابن كثير
مقرئ مكة ، وثابت البناني ، ومالك بن دينار ، وابن محيصن المقرئ ، وابن
شهاب الزهري ، وخلائق آخرون .

(١) ويقال لها : قيسارية .

(٢) هو : عبد الله أبو محمد ، ويقال : أبو يحيى . انظر « تاريخ الإسلام » (٤٠٦ / ٧) .

ومن أخبار هشام

[الحكمة في مخاطبة السلطان]

أخرج ابن عساكر عن إبراهيم بن أبي عبلة قال : (أراد هشام بن عبد الملك أن يوليني خراج مصر فأبيت ، فغضب حتى اختلج وجهه ، وكان في عينيه الحول ، فنظر إلي نظراً منكراً وقال : لتلين طائعاً أو لتلين كارهماً ، فأمسكت عن الكلام حتى سكن غضبه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ أتكلم ؟ قال : نعم .

قلت : إن الله تعالى قال في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا . . . ﴾ الآية ، فوالله يا أمير المؤمنين ؛ ما غضب عليهن إذ أبين ، ولا أكرههن إذ كرهن ، وما أنا بحقيق أن تغضب عليّ إن أبيت ، ولا تكرهني إذ كرهت ، فضحك وأعفاني (١) .

[موعظة خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك]

وأخرج عن خالد بن صفوان قال : (وفدت على هشام بن عبد الملك فقال : هات يا بن صفوان ، قلت : إن ملكاً من الملوك خرج متنزهاً إلى الخوزنق ، وكان ذا علم مع الكثرة والغلبة ، فنظر وقال لجلسائه : لمن هذا ؟ قالوا : للملك .

قال : فهل رأيتم أحداً أعطي مثل ما أعطيت ؟ وكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة ، فقال : إنك قد سألت عن أمر ، فتأذن لي بالجواب ؟ قال : نعم .

قال : رأيته ما أنت فيه ، شيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائل عنك إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذا هو .

قال : فتعجب بشيء يسير لا تكون فيه إلا قليلاً ، وتنقل عنه طويلاً ، فيكون عليك حساباً ؟ !

قال : ويحك !! فأين المهرب ؟ وأين المطلب ؟ وأخذته قشعريرة ، قال : إما أن تقيم في ملكك فتعمل بطاعة الله تعالى على ما ساءك وسرك ، وإما أن تنخلع

(١) تاريخ دمشق (٦/٤٣٧) .

من ملكك وتضع تاجك ، وتلقي عنك أطمارك وتعبد ربك ؟

قال : إني مفكر الليلة وأوافيك السحر ، فلما كان السحر . قرع عليه بابه ، فقال : إني اخترت هذا الجبل وفلوات الأرض ، وقد لبست علي أمساحي ، فإن كنت لي رفيقاً . لا تخالف ، فلزما الجبل حتى ماتا .

[من الخفيف]

وفيه يقول عدي بن زيد بن الحمار :

أَيُّهَا الشَّامْتُ المَعْيِرُ بالدَّهْ	رَأَأَنْتَ المَبْرَأُ المَوْفُورُ
أَمْ لَدَيْكَ العَهْدُ الوَثِيقُ مِنَ الأَيِّ	أَمْ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ
مَنْ رَأَيْتَ المَنُونِ خَلَّدَنَ أَمْ مَنْ	ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ
أَيْنَ كِسْرَى كِسْرَى المَلُوكِ أَبُو سَا	سَانَ أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ
وَبَنُو الأَصْفَرِ الكِرَامِ مَلُوكُ الـ	رُومَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الحُضْرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ	لَهُ تُجَبَّى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ
شَادَهُ مَزْمُراً وَجَلَّلَهُ كَلـ	سَاءَ فَللطير فِي ذُرَاهُ وَكُورُ
لَمْ تَهَبْهُ رَيْبُ المَنُونِ فَبَادَ الـ	مَلِكُ عَنْهُ فَبَابَهُ مَهْجُورُ
وَتَذَكَّرَ رَبَّ الخَوَزَنْقِ إِذْ أَشَدَّ	رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَذَكِيرُ
سِرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمُـ	لِكُ وَالْبَحْرُ مَعْرُضُ والسَّيْدِيرُ
فَارْعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا غَبَّ	طَةَ حَيِّ إِلَى المَمَاتِ يَصِيرُ
ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْأَمـ	ةَ وَارْتَهُمَ هُنَاكَ القَبُورُ
ثُمَّ صَارُوا كَأَنَّهُمْ وَرَقَ جـ	فَ فَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا والدَّبُورُ

قال : فبكى هشام حتى اخضلت لحيته ، وأمر بأبنيته وطي فرشه ، ولزم قصره ، فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان وقالوا : ماذا أردت إلى أمير المؤمنين ؟ أفسدت عليه لذته ؟ فقال : إليكم عني ؛ فإني عاهدت الله ألا أدخل بملك . . إلا ذكرته الله تعالى (١) .

(١) تاريخ دمشق (٩٨/٩٩-٩٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٨٧-٩٠) .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم

[١٢٥-١٢٦هـ] ^(١)

ال خليفة الفاسق ، أبو العباس ، ولد سنة تسعين ، فلما احتضر أبوه . . لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي ، فعقد لأخيه هشام ، وجعل هذا ولي العهد من بعد هشام ، فتسلم الأمر عند موت هشام ، في ربيع الآخر ، سنة خمس وعشرين ومئة .

وكان فاسقاً شريباً للخمر ، متتهكاً حرمان الله ، أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة ، فمقته الناس لفسقه ، وخرجوا عليه ، فقتل في جمادى الآخرة ، سنة ست وعشرين .

وعنه : أنه لما حوصر . . قال : (ألم أزد في أعطياتكم ؟ ! ألم أرفع عنكم المؤن ؟ ! ألم أعط فقراءكم ؟ ! فقالوا : ما ننقم عليك في أنفسنا ؛ لكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ^(٢) .

ولما قتل وقطع رأسه وجيء به يزيد الناقص . . نصبه على رمح ، فنظر إليه أخوه سليمان بن يزيد فقال : بعداً له ، أشهد أنه كان شروباً للخمر ، ماجناً فاسقاً ، ولقد راودني على نفسي ^(٣) .

وقال المعافى الجريري : (جمعت شيئاً من أخبار الوليد ، ومن شعره الذي ضمنه ما فجر به من خرقه وسخافته ، وما صرح به من الإلحاد في القرآن والكفر بالله) .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٠٨ / ٧) ، و « مروج الذهب » (٤٩ / ٤) ، و « تاريخ دمشق » (٣١٩ / ٦٣) ، و « المنتظم » (٢٤٦ / ٧) ، و « الكامل » (٢٩٩ / ٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٨٧ / ٨) ، و « البداية والنهاية » (٦ / ١٠) .

(٢) انظر « تاريخ دمشق » (٣٣٩ / ٦٣) .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٣٤٤ / ٦٣) .

وقال الذهبي : (لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقه ، بل اشتهر بالخمير والتلوط ، فخرجوا عليه لذلك)^(١) .

وذكر الوليد مرة عند المهدي ، فقال رجل : (كان زنديقاً ، فقال المهدي : مه ، خلافة الله عنده أجل من أن يجعلها في زنديق)^(٢) .

وقال مروان بن أبي حفصة : (كان الوليد من أجمل الناس ، وأشدهم وأشعرهم) .

وقال أبو الزناد : (كان الزهري يقدر أبدأً عند هشام في الوليد ويعيبه ويقول : ما يحل لك إلا خلعه فما يستطيع هشام ، ولو بقي الزهري إلى أن يملك الوليد . . لفتك به)^(٣) .

وقال الضحاك بن عثمان : أراد هشام أن يخلع الوليد ويجعل العهد لولده ، فقال الوليد^(٤) :

[من الطويل]

كفرتَ يداً من مُنعم لو شكرتها جزاك بها الرحمنُ ذو الفضلِ والمنِّ
رأيتك تبني جاهداً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حزم لهدمت ما تبني
أراك على الباقيين تجني ضغينةً فيا ويحهم إن متَّ من شرٍّ ما تجني
كأنِّي بهم يوماً وأكثرُ قيلهم ألا ليتَ أنا حين ياليتَ لا تُغني

وقال حماد الراوية : (كنت يوماً عند الوليد ، فدخل عليه منجمان فقالا : نظرنا فيما أمرتنا فوجدناك تملك سبع سنين ، قال حماد : فأردت أن أخدعه ، فقلت : كذبا ونحن أعلم بالآثار وضروب العلم ، وقد نظرنا في هذا فوجدناك تملك أربعين سنة ، فأطرق ثم قال : لا ، ما قالوا يكسرني ، ولا ما قلت يغرنني ، والله ؛ لأجيبن هذا المال من حله جباية من يعيش الأبد ، ولأصرفنه في حقه صرف من يموت الغد)^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٩٤/٨) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣٥/٦٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٨٩/٨) ، وأخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٤٣٨/٧) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٣٢٧/٦٣) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٩/٦٣) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٨٥-٨٦) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣١/٦٣) .

وقد ورد في « مسند أحمد » حديث : « لَيَكُونَنَّ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ رَجُلٌ يَقَالُ لَهُ : الوليدُ ، لهو أشدُّ على هذه الأمة من فرعون لقومه »^(١) .

وقال ابن فضل الله في « المسالك » : (الوليد بن يزيد ، الجبار العنيد ، لقباً ما عداه ، وَلَقَمًا^(٢)) سلكه فما هداه ، فرعون ذلك العصر الذاهب ، والدهر المملوء بالمعائب ، يأتي يوم القيامة يقدم قومه فيوردهم النار ، ويرديهم العار ، ويئس الورد المورود ، والمرد^(٣) المردى في ذلك الموقف المشهود ، رشق المصحف بالسهام ، وفسق ولم يخف الآثام)^(٤) .

وأخرج الصولي عن سعيد بن سليم قال : (أنشد ابن ميادة الوليد بن يزيد شعره الذي يقول فيه :

فضلتهم قريشاً غير آل محمد وغير بني مروان أهل الفضائل

فقال له الوليد : أراك قد قدمت علينا آل محمد ؟! فقال ابن ميادة : ما أراه يجوز غير ذلك !!)^(٥) .

وابن ميادة هذا هو القائل في الوليد أيضاً من قصيدة طويلة^(٦) : [من الطويل]

هممتُ بقولٍ صادقٍ أن أقولَه وإنِّي على رِغمِ العداةِ لقائلُه
رأيتُ الوليدَ بنَ اليزيدِ مُباركاً شديداً بأعباءِ الخلافةِ كاهلُه

(١) مسند أحمد (١٨/١) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٢) اللقم : الطريق .

(٣) كذا في (ج ، د ، هـ) ، وفي (أ ، ب) : (المورود) ، وفي « المسالك » : (البرد) .

(٤) مسالك الأبصار (٤٣٢/٢٤) .

(٥) وابن ميادة هو : الرماح بن أبرد ، والبيت في « ديوانه » (ص ٢٠٧) .

(٦) البيتان في « ديوانه » (ص ١٩٢) .

خلفاء يزيد الناقص

[١٢٦ هـ] ^(١)

أبو خالد بن الوليد بن عبد الملك ، لُقّب بالناقص ؛ لكونه نقص الجند من أعطياتهم ، وثب على الخلافة ، وقتل ابن عمه الوليد وتملك .

وأمه : شاهفرند بنت فيروز بن يَزْدَجَرْد ، وأم فيروز : بنت شِيرَوَيْه بن كسرى ، وأم شِيرَوَيْه : بنت خاقان ملك الترك ، وأم أم فيروز : بنت قيصر عظيم الروم ؛ فلهذا قال يزيد يفتخر ^(٢) :
[من الرجز]

أنا ابن كسرى وأبي مروان وقيصر جدي وجدي خاقان

قال الثعالبي : (هو أعرق الناس في الملك والخلافة من كلا طرفيه) ^(٣) .

ولما قتل يزيد الوليد . . قام خطيباً ، فقال : (أما بعد : إني والله ؛ ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ؛ ولكن خرجت غضباً لله ولدينه ، وداعياً إلى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، حين درست معالم الهدى ، وطفىء نور أهل التقوى ، وظهر الجبار المستحل للحرمة ، والراكب البدعة ، فلما رأيت ذلك . . أشفقت إذ غشيتكم ظلمة لا تقلع عنكم على كثرة من ذنوبكم ، وقسوة من قلوبكم ، وأشفقت أن يدعو كثيراً من الناس إلى ما هو عليه فيجيبه ، فاستخرت الله في أمري ، ودعوت من أجابني من أهلي وأهل ولايتي ، فأراح الله منه البلاد والعباد ولاية من الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٦١ / ٧) ، و « مروج الذهب » (٥٨ / ٤) ، و « تاريخ دمشق » (٣٤٩ / ٦٣) ، و « المتظم » (٢٦٤ / ٧) ، و « تاريخ الإسلام » (٣١١ / ٨) ، و « فوات الوفيات » (٢٥٧ / ٤) ، و « البداية والنهاية » (١٦ / ١٠) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » (١٦ / ١٠) .

(٣) لطائف المعارف (ص ٦٤) .

أيها الناس ؛ إن لكم عندي إن وليت أموركم . . ألا أضع لبنه على لبنه ، ولا حجراً على حجر ، ولا أنقل مالاً من بلد حتى أسد ثغره ، وأقسم بين مصالحه ما تقوون به ؛ فإن فضل فضل . . رددته إلى البلد الذي يليه حتى تستقيم المعيشة ، وتكونوا فيه سواء ، فإن أردتم بيعتي على الذي بذلت لكم . . فأنا لكم ، وإن ملت . . فلا بيعة لي عليكم ، وإن رأيتم أحداً أقوى مني عليها فأردتم بيعته . . فأنا أول من يبايعه ويدخل في طاعته ، وأستغفر الله لي ولكم)^(١) .

وقال عثمان بن أبي العاتكة : (أول من خرج بالسلاح في العيد : يزيد بن الوليد ، خرج يومئذ بين صفين من الخيل عليهم السلاح من باب الحصن إلى المصلى)^(٢) .

وعن أبي عثمان الليثي : (قال يزيد الناقص : يا بني أمية ؛ إياكم والغناء ؛ فإنه ينقص الحياء ، ويزيد في الشهوة ، ويهدم المروءة ، وإنه لينوب عن الخمر ، ويفعل ما يفعل المسكر ، فإن كنتم لا بد فاعلين . . فجنبوه النساء ؛ فإن الغناء داعية الزنا)^(٣) .

وقال ابن عبد الحكم : (سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول : لما ولي يزيد بن الوليد . . دعا الناس إلى القدر ، وحملهم عليه ، وقرب أصحاب غيلان) .

ولم يمتع يزيد بالخلافة ، بل مات من عامه في سابع ذي الحجة ، فكانت خلافته ستة أشهر ناقصة ، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة ، وقيل : ستاً وأربعين سنة ، ويقال : إنه مات بالطاعون .

(١) تاريخ الإسلام (٨/ ٣١١-٣١٢) ، وأخرجه خليفة بن الخياط في « تاريخه » (ص ١٠٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/ ٣١٢) .

(٣) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (١٠/ ١٦) وعزاه لابن أبي الدنيا .

خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

[١٢٦هـ] (١)

أبو إسحاق ، بويغ بالخلافة بعد موت أخيه يزيد الناقص ، ف قيل : إنه عهد إليه ، وقيل : لا .

قال برد بن سنان : (حضرت يزيد بن الوليد وقد احتضر ، فأتاه قطن فقال : أنا رسول من وراء بابك ، يسألونك بحق الله لما وليت أمرهم أخاك إبراهيم ، فغضب وقال : أنا أولي إبراهيم ؟! ثم قال : يا أبا العلاء ؛ إلى من ترى أعهد ؟ قلت : أمرٌ نهيتك عن الدخول فيه ، فلا أشير عليك في آخره ، قال : وأغمي عليه حتى حسبته قد مات ، ففقد قطن فافتعل كتاباً بالعهد على لسان يزيد ودعا ناساً ، فاستشهدهم عليه ، ولا والله ما عهد يزيد شيئاً) (٢) .

ومكث إبراهيم في الخلافة سبعين ليلة ، ثم خلع ، خرج عليه مروان بن محمد وبويغ ، فهرب إبراهيم ، ثم جاء وخلع نفسه من الأمر ، وسلمه إلى مروان ، وبايغ طائعاً .

وعاش إبراهيم بعد ذلك إلى سنة اثنتين وثلاثين ، فقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح .

وفي « تاريخ ابن عساكر » : (سمع إبراهيم : من الزهري ، وحكى عن : عمه هشام ، حكى عنه : ابنه يعقوب) (٣) .

وأمه : أم ولد ، وهو أخو : مروان الحمار لأمه .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٩٩/٧) ، و « مروج الذهب » (٥٨/٤) ، و « تاريخ دمشق »

(٢٤٦/٧) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٤/٨) ، و « الوافي بالوفيات » (١٦٣/٦) وحكم (٧٠) ليلة .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٧/٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٤٧/٧) .

وكان خلعه يوم الاثنين ، لأربع عشرة خلت من صفر ، سنة سبع وعشرين ومئة .

وقال المدائني : (لم يتم لإبراهيم أمر ؛ كان قوم يسلمون عليه بالخلافة ، وقوم يسلمون عليه بالإمرة ، وأبى قوم أن يبايعوا له) .

وقال بعض شعرائهم^(١) :

نُبَايعَ إِبْرَاهِيمَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ أَلَا إِنَّ أَمْرًا أَنْتَ وَإِلَيْهِ ضَائِعُ

وقال غيره : (كان نقش خاتمه : إبراهيم يثق بالله)^(٢) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٨/٧) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٩/٧) .

خلفاء مروان الحمار

[١٢٧-١٣٢هـ]^(١)

آخر خلفاء بني أمية ، أبو عبد الملك بن محمد بن مروان بن الحكم .
ويلقب بالجعدي نسبة إلى مؤدبه الجعد بن درهم ، وبالحمار ؛ لأنه كان
لا يجف له لبد في محاربة الخارجين عليه .

كان يصل الشرى بالسير ، ويصبر على مكاره الحرب^(٢) .

ويقال في المثل : فلان أصبر من حمار في الحروب ؛ فلذلك لقب به ،
وقيل : لأن العرب تسمي كل مئة سنة حماراً ، فلما قارب ملك بني أمية مئة
سنة .. لقبوا مروان بالحمار لذلك .

ولد مروان بالجزيرة ، وأبوه متوليها ، سنة اثنتين وسبعين ، وأمه : أم ولد .

وولي قبل الخلافة ولايات جليلة ، وافتتح قونية سنة خمس ومئة .

وكان مشهوراً بالفروسية والإقدام والرجلة^(٣) والدهاء والعسف ، فلما قُتل
الوليد ، وبلغه ذلك وهو على أرمنية .. دعا إلى بيعة من رضىه المسلمون
فبايعوه ، فلما بلغه موت يزيد .. أنفق الخزائن ، وسار فحارب إبراهيم فهزمه ،
وبويع مروان ؛ وذلك في نصف صفر سنة سبع وعشرين ، واستوثق له الأمر ،
فأول ما فعل : أمر بنش يزيد الناقص ، فأخرجه من قبره وصلبه ؛ لكونه قتل
الوليد^(٤) .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٣١١ / ٧) ، و « مروج الذهب » (٧١ / ٤) ، و « تاريخ دمشق »
(٣١٩ / ٥٧) ، و « المنتظم » (٢٧٠ / ٧) ، و « تاريخ الإسلام » (٥٣٣ / ٨) ، و « البداية والنهاية »
(٤٦ / ١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٥٣٤ / ٨) .

(٣) الرجلة : القوة على المشي .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٣٥ / ٨) .

ثم إنه لم يتهن بالخلافة ؛ لكثرة من خرج عليه من كل جانب إلى سنة اثنتين وثلاثين ، فخرج عليه بنو العباس ؛ وعليهم عبد الله بن علي عم السفاح ، فسار لحربهم ، فالتقى الجمعان بقرب الموصل ، فانكسر مروان ، فرجع إلى الشام ، فتبعه عبد الله ، ففر مروان إلى مصر ، فتبعه صالح أخو عبد الله ، فالتقى بقرية بوصير ، فقتل مروان بها في ذي الحجة من السنة .

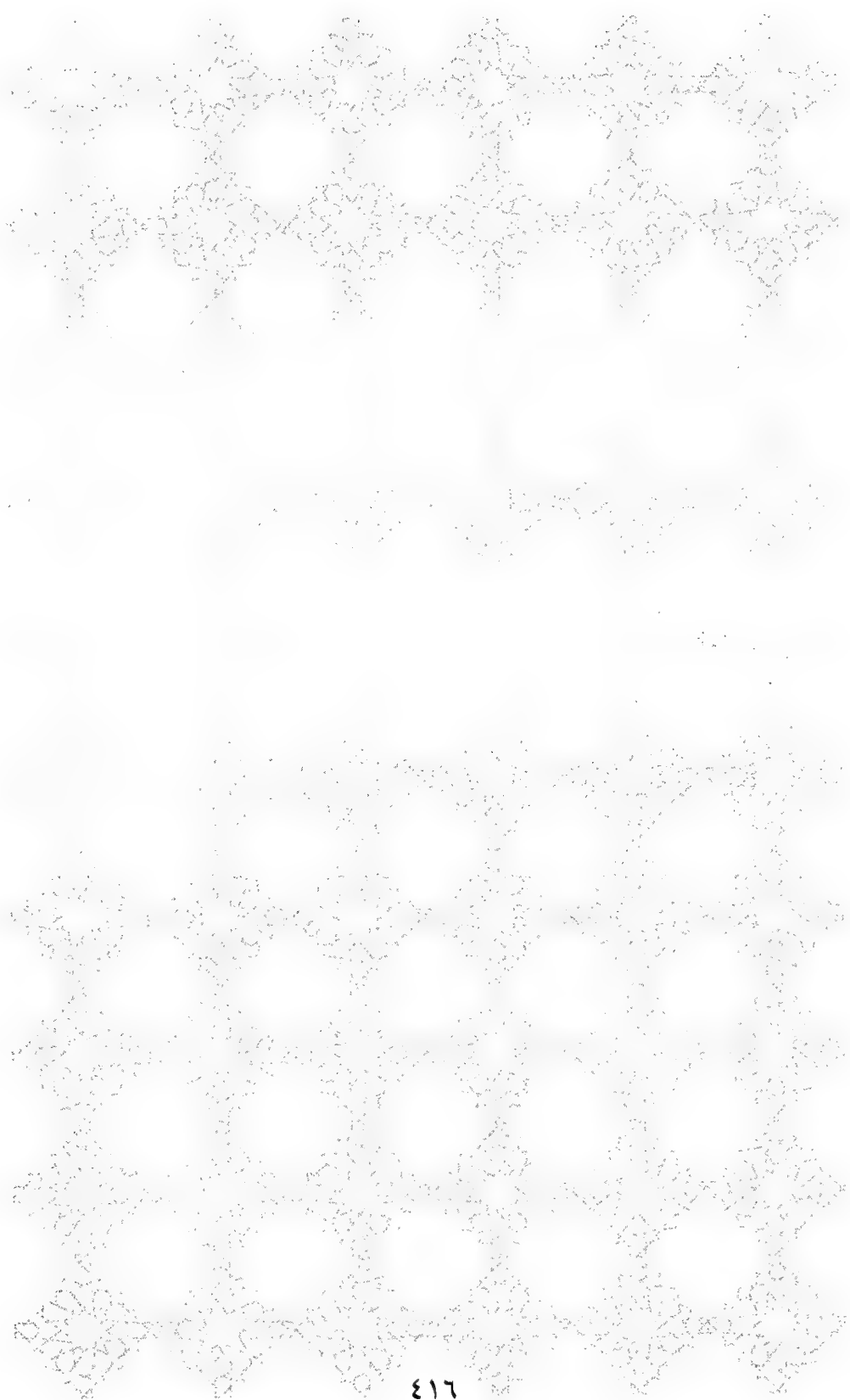
[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : السُّدي الكبير ، ومالك بن دينار الزاهد ، وعاصم بن أبي النُّجود المقرئ ، ويزيد بن أبي حبيب ، وشيبة بن نصّاح المقرئ ، ومحمد بن المنكدر ، وأبو جعفر يزيد بن القعقاع مقرئ المدينة ، وأيوب السَّخْتِيَّاني ، وأبو الزناد ، وهَمَّام بن منبّه ، وواصل بن عطاء المعتزلي .

[من عجائب الدهر لسان مروان في فم هر]

وأخرج الصولي عن محمد بن صالح قال : (لما قُتل مروان الحمار . . قطع رأسه ووجه به إلى عبد الله بن علي ، فنظر إليه وعزل ، فجاءت هرة فاقتلعت لسانه وجعلت تمضغه ، فقال عبد الله بن علي : لو لم يرنا الدهر من عجائبه إلا لسان مروان في فم هر . . لكفانا ذلك !!) .

الدولة العباسية



خلفاء السَّفَّاح أَوَّلُ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ

(١) [١٣٢-١٣٦هـ]

أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن هاشم .

ولد سنة ثمان ومئة ، وقيل : سنة أربع بالحُميمة من ناحية البلقاء ، ونشأ بها ، وبويع بالكوفة ، وأمه : رائطة الحارثية .

حدث عن : أخيه إبراهيم بن محمد الإمام ، وروى عنه : عمه عيسى بن علي ، وكان أصغر من أخيه المنصور .

أخرج أحمد في « مسنده » عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي عِنْدَ انْقِطَاعِ مِنَ الزَّمَانِ وَظُهُورِ مِنَ الْفِتَنِ يُقَالُ لَهُ : السَّفَّاحُ ، فَيَكُونُ إِعْطَاؤُهُ الْمَالَ حَثِيًّا » (٢) .

وقال عبيد الله العيشي : قال أبي : (سمعت الأشياخ يقولون : والله ؛ لقد أفضت الخلافة إلى بني العباس وما في الأرض أحدٌ أكثر قارئاً للقرآن ، ولا أفضل عابداً ، ولا ناسكاً منهم) (٣) .

قال ابن جرير الطبري : (كان بدء أمر بني العباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول إلى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك) (٤) .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٤٧٠/٧) ، و « مروج الذهب » (٩٤/٤) ، و « تاريخ بغداد » (٤٦/١٠) ، و « تاريخ دمشق » (٢٧٦/٣٢) ، و « المنتظم » (٣٠٥/٧) ، و « الكامل » (٤٩/٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٦٦/٨) ، و « سير أعلام النبلاء » (٧٧/٦) ، و « الوافي بالوفيات » (٣٧٣/١٧) ، و « البداية والنهاية » (٥٨/١٠) .

(٢) مسند أحمد (٨٠/٣) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣٠٨/٧) .

(٤) تاريخ الطبري (٤٢١/٧) .

وعن رَشْدِين بن كُريب : أن أبا هاشم عبد الله بن محمد ابن الحنفية خرج إلى الشام ، فلقى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، فقال : (يا بن عم ؛ إن عندي علماً أريد أن أنبذه إليك فلا تُطْلَعَنَّ عليه أحداً ، إن هذا الأمر الذي يرتجيه الناس فيكم ، قال : قد علمته ، فلا يسمعه منك أحد)^(١) .

وروى المدائني عن جماعة : أن الإمام محمد بن علي بن عبد الله بن عباس قال : (لنا ثلاثة أوقات : موت يزيد بن معاوية ، ورأس المئة ، وفتق بإفريقية ، فعند ذلك تدعو لنا دعاة ، ثم تقبل أنصارنا من المشرق ، حتى ترد خيولهم المغرب) .

فلما قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ، ونقضت البربر . . بعث محمد الإمام رجلاً إلى خراسان ، وأمره أن يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمي أحداً ، ثم وجه أبا مسلم الخراساني وغيره ، وكتب إلى النقباء فقبلوا كتبه ، ثم لم ينشب أن مات محمد ، فعهد إلى ابنه إبراهيم ، فبلغ خبره مروان فسجنه ثم قتله ، فعهد إلى أخيه عبد الله ؛ وهو السفاح ، فاجتمع إليه شيعتهم ، وبويع بالخلافة بالكوفة ، في ثالث ربيع الأول ، سنة اثنتين وثلاثين ومئة .

[أول خطبة جمعة للسفاح بالكوفة]

وصلى بالناس الجمعة ، وقال في الخطبة : (الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه ، فكرمه وشرفه وعظمه ، واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه ، والقوام به والذابين عنه .

ثم ذكر قرابتهم في آيات القرآن . . . إلى أن قال : فلما قبض الله نبيه . . قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب ومروان ، فجاروا واستأثروا ، فأملى الله لهم حيناً ، حتى آسفوه فانتقم منهم بأيدينا ، ورد علينا حقنا ؛ ليمنَّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض ، وختم بنا كما افتتح بنا ، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله .

(١) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٤٢١ / ٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٣٣٦ / ٨) .

يا أهل الكوفة ؛ أنتم محل محبتنا ، ومنزل مودتنا لم تفتروا عن ذلك ، ولم يشنكم عنه تحامل أهل الجور ، فأنتم أسعد الناس بنا ، وأكرمهم علينا ، وقد زدت في أعطياتكم مئة مئة فاستعدوا ؛ فأنا السفاح المبيح ، والثائر المُبِير^(١) .

وكان عيسى بن علي إذا ذكر خروجهم من الحُميمة يريدون الكوفة . . يقول : (إن أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم يطلبون ما طلبنا . . لَعَظِيمَةٌ هممهم ، شديدة قلوبهم !!)^(٢) .

ولما بلغ مروان مبايعة السفاح . . خرج لقتاله ، فانكسر كما تقدم ثم قُتل^(٣) ، وقُتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق ، وتوطدت له الممالك إلا أقصى المغرب .

قال الذهبي : (بدولته تفرقت الجماعة ، وخرج عن الطاعة ما بين تاهرت وطُبْنَة إلى بلاد السودان وجميع مملكة الأندلس ، وخرج بهذه البلاد من تغلب عليها ، واستمر ذلك)^(٤) .

مات السفاح بالجدري ، في ذي الحجة ، سنة ست وثلاثين ومئة ، وكان قد عهد لأخيه أبي جعفر ، وكان في سنة أربع وثلاثين قد انتقل إلى الأنبار ، وصيرها دار الخلافة .

ومن أخبار السفاح

قال الصولي : (من كلامه : إذا عظمت القدرة . . قلَّتِ الشهوة ، وقلَّ تبرُّعُ إلا ومعه حق مضاع .

وقال : إن من أدنياء الناس ووضعائهم : من عدَّ البخل حزماً ، والحلم ذلاً .

وقال : إذا كان الحلم مفسدة . . كان العفو معجزة ، والصبر حسن إلا على

(١) تاريخ الإسلام (٣٣٧ / ٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٣٧ / ٨) .

(٣) انظر ما تقدم قريباً (ص ٤١٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٦٦ - ٤٦٧) .

ما أوتغ الدين^(١) ، وأوهن السلطان ، والأناة محمودة إلا عند إمكان الفرصة) .
قال الصولي : (وكان السفاح أسخى الناس ، ما وعد عدة قط فأخرها عن وقتها ، ولا قام من مجلسه حتى يقضيها ، وقال له عبد الله بن حسن مرة : سمعت بألف ألف درهم وما رأيتها قط ، فأمر بها فأحضرت ، وأمر بحملها معه إلى منزله) .
قال : (وكان نقش خاتمه : الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وقل ما يروى له من الشعر .

[شدة ذكائه وسرعة جوابه]

وقال سعيد بن مسلم الباهلي : (دخل عبد الله بن حسن على السفاح مرة والمجلس غاص ببني هاشم والشيعة ووجوه الناس ، ومعه مصحف ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أعطنا حقنا الذي جعله الله لنا في هذا المصحف .
فقال له : إن علياً جدك كان خيراً مني وأعدل ، ولي هذا الأمر فأعطى جديك الحسن والحسين - وكانا خيراً منك - شيئاً ، وكان الواجب أن أعطيك مثله ؟ فإن كنتُ فعلت .. فقد أنصفتك ، وإن كنتُ زدتك .. فما هذا جزائي منك ، فانصرف ولم يحر جواباً ، وعجب الناس من جواب السفاح)^(٢) .
قال المؤرخون : (في دولة بني العباس افرقت كلمة الإسلام ، وسقط اسم العرب من الديوان ، وأدخل الأتراك في الديوان ، واستولت الدَّيلم ، ثم الأتراك ، وصارت لهم دولة عظيمة ، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام ، وصار بكل قطرٍ قائمٌ يأخذ الناس بالعسف ، ويملكهم بالقهر .
قالوا : وكان السفاح سريعاً إلى سفك الدماء ، فاتبعه في ذلك عماله بالمشرق والمغرب ، وكان مع ذلك جواداً بالمال)^(٣) .

(١) وأوتغ دينه : أفسده .

(٢) تاريخ الإسلام (٨/٤٦٧-٤٦٨) .

(٣) انظر « السلوك لمعرفة دول الملوك » (١/١١٥) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : زيد بن أسلم ، وعبد الله بن أبي بكر بن حزم ،
وربيعة الرأي فقيه أهل المدينة ، وعبد الملك بن عُمير ، ويحيى بن أبي إسحاق
الحضرمي ، وعبد الحميد الكاتب المشهور ؛ قُتل ببوصير مع مروان ،
ومنصور بن المعتمر ، وهمَّام بن منبّه .

خلاف المنصور

[١٣٧-١٥٨هـ] ^(١)

أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، وأمه : سلامة البربرية أم ولد ، ولد سنة خمس وتسعين ، وأدرك جده ولم يرو عنه ، وروى عن : أبيه وعن عطاء بن يسار ، وعنه : ولده المهدي .

وبويع بالخلافة بعهد من أخيه ، وكان فحل بني العباس هيبةً وشجاعةً ، وحزمًا ورأيًا وجبروتًا ، جماعاً للمال ، تاركاً للهو واللعب ، كامل العقل ، جيد المشاركة في العلم والأدب ، فقيه النفس .

قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه ؛ وهو الذي ضرب أبا حنيفة رحمه الله على القضاء ، ثم سجنه فمات بعد أيام ، وقيل : إنه قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه .

وكان فصيحاً بليغاً ، مفوهاً خليقاً للإمارة ، وكان غاية في الحرص والبخل ، فلقب أبا الدوانيق ؛ لمحاسبته العمال والصناع على الدوانيق والحبات .

أخرج الخطيب عن الضحاک عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « منّا السقّاحُ ، ومنّا المنصور ، ومنّا المهدي » ، قال الذهبي : منكر منقطع ^(٢) .

وأخرج الخطيب وابن عساكر وغيرهما من طريق سعيد بن جبیر ، عن ابن

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٥٩ / ٨) ، و « مروج الذهب » (١٢٨ / ٤) ، و « تاريخ بغداد » (٥٣ / ١٠) ، و « تاريخ دمشق » (٢٩٨ / ٣٢) ، و « المتّظم » (٣٤٤ / ٧) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٦٥ / ٩) ، و « سير أعلام النبلاء » (٨٣ / ٧) ، و « الوافي بالوفيات » (٣٧٤ / ١٧) ، و « البداية والنهاية » (١٢١ / ١٠) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (٦٣ - ٦٢ / ١) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٦٧ / ٩) .

عباس قال : (منا السفاح ، ومنا المنصور ، ومنا المهدي) ، قال الذهبي :
إسناده صالح^(١) .

وأخرج ابن عساكر من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل ، عن محمد بن جابر ،
عن الأعمش ، عن أبي الوَدَّاع ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « منَّا القائم ، ومنَّا المنصور ، ومنَّا
السفاح ، ومنَّا المهدي » . فأما القائم . فتأتيه الخلافة ولم يُهراق فيها مُحجمة من
دم ، وأما المنصور . فلا تردُّ له راية ، وأما السفاح . فهو يسفح المال والدم ،
وأما المهدي . فيملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً^(٢) .

وعن المنصور قال : (رأيت كأني في الحرم ، وكأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الكعبة وبابها مفتوح ، فنادى مناد : أين عبد الله ؟ فقام أخي أبو العباس
حتى صار على الدرجة فأدخل ، فما لبث أن خرج ومعه قناة عليها لواء أسود ؛
قدر أربعة أذرع ، ثم نودي : أين عبد الله ؟ فقممت إلى الدرجة فأصعدت ؛ وإذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وبلال ، فعقد لي وأوصاني بأمره
وعمَّمني بعمامة ، فكان كورها ثلاثة وعشرين ، وقال : « خذها إليك أبا الخلفاء
إلى يوم القيامة »^(٣) .

تولى المنصور الخلافة في أول سنة سبع وثلاثين ، فأول ما فعل : أن قتل أبا
مسلم الخراساني صاحب دعوتهم ، وممهد مملكتهم !!

وفي سنة ثمان وثلاثين ومئة : دخل عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن
عبد الملك بن مروان الأموي إلى الأندلس ، واستولى عليها وامتدت أيامه ،
وبقيت الأندلس في يد أولاده إلى بعد الأربع مئة ، وكان عبد الرحمن هذا من
أهل العلم والعدل ، وأمه : بربرية .

(١) تاريخ بغداد (٤٨/١٠) ، وتاريخ دمشق (٢٨٠/٣٢) ، ومستدرک الحاكم (٥١٤/٤) ، وانظر
« تاريخ الإسلام » (٤٦٧/٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠٢-٣٠١/٣٢) . وأبو الوَدَّاع : هو جبر بن نوف .

(٣) تاريخ دمشق (٣٠٦-٣٠٥/٣٢) .

قال أبو المظفر الأبيوردی : فكانوا يقولون : ملك الدنيا ابنا بربريتين : المنصور ، وعبد الرحمن بن معاوية .

وفي سنة أربعين : شرع في بناء مدينة بغداد .

وفي سنة إحدى وأربعين : كان ظهور الریوندية القائلين بالتناسخ ، فقتلهم المنصور .

وفيها : فتحت طبرستان .

[بدء تدوين الحديث والفقه والتفسير]

قال الذهبي : (في سنة ثلاث وأربعين : شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير ؛ فصنف ابن جريج بمكة ، ومالك « الموطأ » بالمدينة ، والأوزاعي بالشام ، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة ، ومعمّر باليمن ، وسفيان الثوري بالكوفة ، وصنف ابن إسحاق « المغازي » ، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي ، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث وابن لهيعة ، ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم ، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة ^(١) .

وفي سنة خمس وأربعين : كان خروج الأخوين محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، فظفر بهما المنصور ، فقتلهما وجماعة كثيرة من آل البيت ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

(١) تاريخ الإسلام (١٣/٩) .

وكان المنصور أول من أوقع الفتنة بين العباسيين والعلويين وكانوا قبلُ شيئاً واحداً ، وآذى المنصور خلقاً من العلماء ممن خرج معهما ، أو أمر بالخروج ؛ قتلاً وضرباً وغير ذلك ، منهم : أبو حنيفة ، وعبد الحميد بن جعفر ، وابن عجلان .

وممن أفتى بجواز الخروج مع محمد على المنصور : مالك بن أنس ، وقيل له : إن في أعناقنا بيعة للمنصور؟! فقال : (إنما بايعتم مكرهين ، وليس على مكره يمين)^(١) .

وفي سنة ست وأربعين : كانت غزوة قبرس .

وفي سنة سبع وأربعين : خلع المنصور عمه عيسى بن موسى من ولاية العهد ، وكان السفاح عهد إليه من بعد المنصور ، وكان عيسى هو الذي حارب له الأخوين وظفر بهما ، فكافأه بأن خلعه مكرهاً ، وعهد إلى ولده المهدي^(٢) .

وفي سنة ثمان وأربعين : توطدت الممالك كلها للمنصور ، وعظمت هيئته في النفوس ، ودانت له الأمصار ، ولم يبق خارجاً عنه سوى جزيرة الأندلس فقط ؛ فإنها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي المرواني ، ولكنه لم يتلقب بأمير المؤمنين بل بالأمير فقط ، وكذلك بنوه .

وفي سنة تسع وأربعين : فرغ من بناء بغداد .

وفي سنة خمسين : خرجت الجيوش الخراسانية عن الطاعة مع الأمير

(١) أخرجه الطبري في « تاريخه » (٧ / ٥٦٠) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨ / ٩) .

أسنادسيس ، واستولى على أكثر خراسان ، وعظم الخطب ، واستفحل الشرُّ ، واشتدَّ على المنصور الأمر ، وبلغ ضريبة الجيش الخراساني ثلاث مئة ألف مقاتل ما بين فارس وراجل ، فعمل معهم أجثم المروزي مصافاً ، فقتل أجثم واستبيح عسكره ، فتجهَّز لحربهم حازم بن خزيمة في جيش عرمرم يسدّ الفضاء ، فالتقى الجمعان ، وصبر الفريقان ، وكانت موقعة مشهورة ، يقال : قُتل [منهم] فيها سبعون ألفاً ، وانهزم أسنادسيس ، فالتجأ إلى جبل ، وأمر الأمير حازم في العام الآتي بالأسرى فضربت أعناقهم ، وكانوا أربعة عشر ألفاً ، ثم حاصروا أسنادسيس مدة ، ثم سلّم نفسه ، فقيّدوه وأطلقوا أجناده ، وكان عددهم ثلاثين ألفاً . انتهى^(١) .

وفي سنة إحدى وخمسين : بنى الرصافة وشيّدوها .

وفي سنة ثلاث وخمسين : ألزم المنصور رعيته بلبس القلانس الطوال ، فكانوا يعملونها بالقصب والورق ويلبسونها السواد ، فقال أبو دلامة : [من الطويل]
وكنا نرجي من إمام زيادةً فزاد الإمام المصطفى في القلانسِ
تراها على هام الرجال كأنها دنانُ يهودٍ جُلّلت بالبرانسِ^(٢)

وفي سنة ثمان وخمسين : أمر المنصور نائب مكة بحبس سفيان الثوري وعباد بن كثير ، فحبسا وتخوف الناس أن يقتلها المنصور إذا ورد الحج ، فلم يوصله الله مكة سالماً ، بل قدم مريضاً ، ومات ، وكفاهما الله شره ، وكانت وفاته بالبطن في ذي الحجة ، ودُفن بين الحُجون وبئر ميمون^(٣) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٣ / ٩) ، وفيه : أسنادسيس ، وخازم بن خزيمة .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٤٢ / ٨ - ٤٣) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٥٦ / ٩) ، وأبو دلامة : هو زند بن الجون ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٦٠) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٦٥ / ١) ، و « تاريخ دمشق » (٣٤٦ / ٣٢) .

قَلَّ الحَجِيجُ وخَلَّفُوا ابْنَ مُحَمَّدٍ رَهْنًا بِمَكَّةَ فِي الضَّرِيحِ الْمُلْحِدِ
شَهِدُوا الْمَنَاسِكَ كُلَّهَا وَإِمَامُهُمْ تَحْتَ الصَّفَائِحِ مُحَرَّمًا لَمْ يَشْهَدْ

ومن أخبار المنصور

أخرج ابن عساكر بسنده : (أن أبا جعفر المنصور كان يرحل في طلب العلم قبل الخلافة ، فبينما هو يدخل منزلاً من المنازل . . قبض عليه صاحب الرصد فقال : زن درهمين قبل أن تدخل ، قال : خل عني ؛ فإنني رجل من بني هاشم ، قال : زن درهمين ، قال : خل عني ؛ فإنني من بني عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : زن درهمين ، قال : خل عني ؛ فإنني رجل قارئ لكتاب الله تعالى ، قال : زن درهمين ، قال : خل عني ؛ فإنني رجل عالم بالفقه والفرائض ، قال : زن درهمين ، فلما أعياه أمره . . وزن الدرهمين ، ولزم جمع المال والتدنى فيه ، فَلُقِّبَ بِأَبِي الدَّوَانِيقِ)^(٢) .

[الخلفاء أربعة والملوك أربعة]

وأخرج عن الربيع بن يونس الحاجب قال : سمعت المنصور يقول : الخلفاء أربعة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، والملوك أربعة : معاوية ، وعبد الملك ، وهشام ، وأنا^(٣) .

وأخرج عن مالك بن أنس قال : (دخلت على أبي جعفر المنصور ، فقال : من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : أبو بكر وعمر ، قال : أصبت ، وذلك رأي أمير المؤمنين)^(٤) .

(١) البيتان في « أنساب الأشراف » (٣٦٨ / ٤) بلا نسبة .

(٢) تاريخ دمشق (٣٠٨ / ٣٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٠٩ / ٣٢) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٠٩ / ٣٢) .

[خطبة المنصور في عرفة]

وأخرج عن إسماعيل الفهري قال : سمعت المنصور في يوم عرفة على منبر عرفة يقول في خطبته : (أيها الناس ؛ إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ورشده ، وخازنه على فيئه ، أقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ، وقد جعلني الله عليه قفلاً ، إذا شاء أن يفتحني لإعطائكم ، وإذا شاء أن يقفلني عليه . أقفلني ، فارغبوا إلى الله .

أيها الناس ؛ وسلوه في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به في كتابه ؛ إذ يقول : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ : أن يوفقني للصواب ، ويسدني للرشد ، ويلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحني لإعطائكم وقسم أرزاقكم بالعدل ؛ فإنه سميع مجيب ^(١) .

وأخرجه الصولي ، وزاد في أوله : أن سبب هذه الخطبة : أن الناس بخلوه ، وزاد في آخره : فقال بعض الناس : (أحال أمير المؤمنين بالمنع على ربه) .

وأخرج عن الأصمعي وغيره : أن المنصور صعد المنبر فقال : (الحمد لله أحمده ، وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ اذكر من أنت في ذكره ، فقال : مرحباً مرحباً ، لقد ذكرت جليلاً ، وخوفت عظيماً ، وأعوذ بالله أن أكون ممن إذا قيل له : اتق الله . . أخذته العزة بالإثم ، والموعظة منابت ، ومن عندنا خرجت ، وأنت يا قائلها ؛ فأحلف بالله ما الله أردت بها ، وإنما أردت أن يقال : قام فقال فعوقب فصبر ، فأهون بها من قائلها واهتبلها الله ويليك أني غفرتها ^(٢) ، وإياكم معشر الناس وأمثالها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فعاد إلى خطبته فكأنما يقرؤها من قرطاس ^(٣) .

(١) تاريخ دمشق (٣٢/٣١١) .

(٢) في مطبوع « تاريخ الإسلام » (٩/٤٦٨) : (واهتبلها من الله) ، واهتبلها : أي : اغتتمها ، يقال : اهتبلت غفلته ؛ أي : اغتتمتها .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢/٣١٢) .

[نصيحة المنصور لابنه المهدي]

وأخرج من طرق : أن المنصور قال لابنه المهدي : (يا أبا عبد الله ؛ الخليفة لا يصلحه إلا التقوى ، والسلطان لا يصلحه إلا الطاعة ، والرعية لا يصلحها إلا العدل ، وأولى الناس بالعفو : أقدرهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً : من ظلم من هو دونه)^(١) .

وقال : (لا تبرمنّ أمراً حتى تفكر فيه ؛ فإن فكرة العاقل مرآته تريه قبيحه وحسنه)^(٢) .

وقال : (أي بني ؛ استدم النعمة بالشكر ، والمقدرة بالعفو ، والطاعة بالتألف ، والنصر بالتواضع والرحمة للناس)^(٣) .

[مَنْ عفا أَجرُهُ على الله]

وأخرج عن مبارك بن فضالة قال : كنا عند المنصور ، فدعا برجل ودعا بالسيف ، فقال المبارك : (يا أمير المؤمنين ؛ سمعت الحسن يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا كان يومُ القيامةِ .. قامَ مُنادٍ مِنْ عندِ الله يُنادي : لِيُثَمَّ الذينَ أَجرُهُم على الله ، فلا يقومُ إِلَّا مَنْ عَفَا » فقال المنصور : خلوا سبيله)^(٤) .

وأخرج عن الأصمعي قال : (أتني المنصور برجلٍ يعاقبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الانتقام عدل ، والتجاوز فضل ، ونحن نعيذُ أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين ، فعفا عنه)^(٥) .

(١) تاريخ دمشق (٣١٤/٣٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٣١٥/٣٢) .

(٣) تاريخ دمشق (٣١٦/٣٢) .

(٤) تاريخ دمشق (٣١٦/٣٢) .

(٥) تاريخ دمشق (٣١٩/٣٢) .

[لا يجمع الله علينا حشفاً وسوء كيل]

وأخرج عن الأصمعي قال : (لقي المنصور أعرابياً بالشام فقال : احمد الله يا أعرابي ؛ الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا أهل البيت ، قال : إن الله لم يجمع علينا حشفاً وسوء كيل ؛ ولايتكم والطاعون)^(١) .

[موعظة بعض الزهاد للمنصور]

وأخرج عن محمد بن منصور البغدادي قال : (قام بعض الزهاد بين يدي المنصور فقال : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تبيت في القبر لم تبت قبلها ليلة ، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده ، فأفحم المنصور وأمر له بمال ، فقال : لو احتججت إلى مالك . . ما وعظتك)^(٢) .

[أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني]

وأخرج عن عبد السلام بن حرب : (أن المنصور بعث إلى عمرو بن عبيد ، فجاءه ، فأمر له بمال ، فأبى أن يقبله ، فقال المنصور : والله ؛ لتقبلنه ، فقال : والله ؛ لا أقبله .

فقال له المهدي : قد حلف أمير المؤمنين ؟ فقال : أمير المؤمنين أقوى على كفارة اليمين من عمك .

فقال له المنصور : سل حاجتك ؟ قال : أسألك ألا تدعوني حتى آتيك ، ولا تعطيني حتى أسألك .

فقال : علمت أني جعلت لهذا ولي عهدي ؟ فقال : يأتيه الأمر يوم يأتيه وأنت مشغول)^(٣) .

(١) تاريخ دمشق (٣٢/٣١٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢/٣٢١) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢/٣٢٤-٣٢٥) .

[القاضي يرد الخليفة إلى الحق]

وأخرج عن عبد الله بن صالح قال : (كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله قاضي البصرة : انظر الأرض التي تخاصم فيها فلان القائد ، وفلان التاجر : فادفعها إلى القائد .

فكتب إليه سوار : إن البينة قد قامت عندي أنها للتاجر ؛ فلست أخرجها من يده إلا ببينة .

فكتب إليه المنصور : والله الذي لا إله إلا هو ؛ لتدفعنها إلى القائد .

فكتب إليه سوار : والله الذي لا إله إلا هو ؛ لا أخرجتها من يد التاجر إلا بحق ، فلما جاءه الكتاب . . قال : ملائتها والله عدلاً ؛ صار قضاتي تردني إلى الحق^(١) .

[قد شمتك في نفسي]

وأخرج من وجه آخر : (أن المنصور وُشي إليه بسوار فاستقدمه ، فعطس المنصور فلم يشمته سوار ، فقال : ما يمنعك من التشميت ؟ قال : لأنك لم تحمد الله .

فقال : حمدت في نفسي ، قال : قد شمتك في نفسي ، قال : ارجع إلى عملك ؛ فإنك إذا لم تحابني . . لم تحاب غيري^(٢) .

[استدعاء القاضي للخليفة والحكم عليه]

وأخرج عن نُمير المدني قال : (قدم المنصور المدينة ومحمد بن عمران الطَّلحي على قضائه وأنا كاتبه ، فاستعدى الجمالون على المنصور في شيء ، فأمرني أن أكتب إليه كتاباً بحضوره وإنصافهم ، فاستعفيت فلم يعفني ، فكتبت

(١) تاريخ دمشق (٣٢٥ / ٣٢) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢٦ - ٣٢٥ / ٣٢) .

الكتاب ثم ختمته ، وقال : والله ؛ لا يمضي به غيرك ، فمضيت به إلى الربيع ، فدخل عليه ثم خرج ، فقال للناس : إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد دُعيت إلى مجلس الحكم ، فلا يقومَنَّ معي أحد .

ثم جاء هو والربيع ، فلم يقم له القاضي ، بل حل رداءه واحتبى به ، ثم دعا بالخصوم ، فادَّعوا ، ففضى لهم على الخليفة ، فلما فرغ . . قال له المنصور : جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء ؛ قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار ^(١) .

وأخرج عن محمد بن حفص العجلي قال : (ولد لأبي دُلَامة ابنةٌ ، فغدا على المنصور فأخبره وأنشد :

لو كَانَ يَقَعْدُ فوقَ الشَّمسِ من كَرَمٍ قومٌ لَقِيلَ اقْعُدُوا يا آلَ عَبَّاسٍ
ثم اِرْتَقُوا في شِعَاعِ الشَّمسِ كُلُّكُمْ إلى السَّمَاءِ فَأَنْتُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ
ثم أَخْرَجَ أَبُو دُلَامة خَريطَةً ، فقال المنصور : ما هذه ؟ قال : أجعل فيها ما تأمر لي به ، فقال : املئوها له دراهم ، فوسعت ألفي درهم ^(٢) .

[التحديث بالإسناد أعلى لذات الدنيا عند المنصور]

وأخرج عن محمد بن سلام الجُمحي قال : (قيل للمنصور : هل بقي من لذات الدنيا شيء لم تنله ؟ قال : بقيت خصلة ؛ أن أقعد في مَصْطبة وحولي أصحاب الحديث ، يقول المستملي : من ذكرتَ رحمك الله ؟

قال : فغدا عليه الندماء وأبناء الوزراء بالمحابر والدفاتر ، فقال : لستم بهم ؛ إنما هم الدنسة ثيابهم ، المشققة أرجلهم ، الطويلة شعورهم ، بُرْدُ الآفاق ، ونقله الحديث ^(٣) .

وأخرج عن عبد الصمد بن علي : أنه قال للمنصور : (لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو ؟ ! قال : لأن بني مروان لم تَبَلْ رِمهم ، وآل

(١) تاريخ دمشق (٣٢/٣٢٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢/٣٢٨-٣٢٩) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٥٦) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢/٣٢٩-٣٣٠) .

أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم قد رأونا أمس سوقاً واليوم خلفاء ،
فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال العقوبة ^(١) .

وأخرج عن يونس بن حبيب قال : (كتب زياد بن عبد الله الحارثي إلى
المنصور : يسأله الزيادة في عطائه وأرزاقه ، وأبلغ في كتابه ، فوقع المنصور في
القصة : إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعتا في رجل . . أبطرتاه ، وأمير المؤمنين يشفق
عليك من ذلك ، فاكثف بالبلاغة) ^(٢) .

وأخرج عن محمد بن سلام قال : رأت جارية للمنصور قميصه مرقوعاً ،
فقلت : خليفة وقميصه مرقوع ؟! فقال : ويحك !! أما سمعت قول ابن
هرمة ^(٣) :

قد يُدرك الشرفَ الفتى ورداؤه خَلَقَ وجِبُّ قميصه مرقوعُ

[الحادي وبخل المنصور]

وقال العسكري في « الأوائل » : (كان المنصور في ولد العباس كعبد الملك
في بني أمية في بخله ، رأى بعضهم عليه قميصاً مرقوعاً فقال : سبحان من ابتلى
أبا جعفر بالفقر في ملكه !!

وحدا به سلم الحادي ، فطرب حتى كاد يسقط من الراحلة ، فأجازه بنصف
درهم .

فقال : لقد حدوثُ بهشام فأجازني بعشرة آلاف ، فقال : ما كان له أن يعطيك
ذلك من بيت المال ، يا ربيع ؛ وكُلْ به من يقبضها منه ، فما زالوا به حتى تركه
على أن يحدو به ذهاباً وإياباً بغير شيء) ^(٤) .

(١) تاريخ دمشق (٣٢ / ٣٣٠ - ٣٣١) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٢ / ٣٣٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٢ / ٣٣٨) ، والبيت في « ديوانه » (ص ١٤٣) .

(٤) الأوائل (ص ١٧٣) .

[قصة ابن هرمة وشدة رغبته في الخمر]

وفي كتاب « الأوائل » للعسكري : (كان ابن هرمة شديد الرغبة في الخمر ،
فدخل على المنصور فأنشده :
[من الطويل]

له لحظات من حفاقي سريرهِ إذا كرَّها فيها عقاب ونائلُ
فأُمُّ الذي أَمَنْتُ أَمْنَهُ الرَّدَى وأُمُّ الذي حاولتْ بالشُّكلِ ثاكلُ

فأعجب به المنصور وقال : ما حاجتك ؟ قال : تكتب إلى عاملك بالمدينة :
الأ يحدني إذا وجدني سكران ، فقال : لا أُعطِّلُ حداً من حدود الله ، قال : تحتال
لي ؟ فكتب إلى عامله : من أتاك بابن هرمة سكران . . فاجلده مئة ، واجلد ابن
هرمة ثمانين .

فكان العون إذا مرَّ به وهو سكران . . يقول : من يشتري مئة بثمانين ؟! ويتركه
ويمضي (١) .

قال : (وأعطاه المنصور في هذه المرة عشرة آلاف درهم وقال له : يا
إبراهيم ؛ احتفظ بها ؛ فليس لك عندنا مثلها ، فقال : إني ألقاك على الصراط بها
بختمة الجِهْد) (٢) .

ومن شعر المنصور - وشعره قليل (٣) - :

إذا كنتَ ذا رأي فكن ذا عزيمة فإنَّ فسادَ الرأي أن تتردداً
ولا تُمهّل الأعداء يوماً بقُدرة وبإدرهم أن يملكوا مثلها غداً

[موعظة ابن أنعم الإفريقي للمنصور]

وقال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي : (كنت أطلب العلم مع
أبي جعفر المنصور قبل الخلافة ، فأدخلني منزله ، فقدم إليّ طعاماً لا لحم فيه ،

(١) الأوائل (ص ٣٢) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ١٦٨) ، وفي (ب) : (فأما . . . وأما . . .) .

(٢) الأوائل (ص ١٧٣) ، والجِهْد : النقاد الخبير ، أراد أنه لا يفكّ ختم الصرة .

(٣) البيتان في « تاريخ دمشق » (٣٣٨/٣٢) .

ثم قال : يا جارية ؛ عندك حلواء ؟ قالت : لا ، قال : ولا التمر ؟ قالت : لا ، فاستلقني وقرأ : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ۖ ۞ ﴾ الآية .

فلما ولي الخلافة . . وفدتُ إليه ، فقال : كيف سلطاني من سلطان بني أمية ؟ قلت : ما رأيت في سلطانهم من الجور شيئاً . . إلا رأيت في سلطانك .

فقال : إننا لا نجد الأعوان ؟ قلت : قال عمر بن عبد العزيز : إن السلطان بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها ؛ فإن كان برأ . . أتوه ببرهم ، وإن كان فاجراً . . أتوه بفجورهم ، فأطرق (١) .

ومن كلام المنصور : (الملوك تحتل كل شيء إلا ثلاث خلال : إفساء السر ، والتعرض للحرم ، والقدرح في الملك) أسنده الصولي .

وقال : (إذا مدَّ عدوك إليك يده . . فاقطعها إن أمكنك ، وإلا . . فقبلها) أسنده أيضاً .

[قصة تظهر ذكاء المنصور]

وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : (مما يؤثر من ذكاء المنصور : أنه دخل المدينة فقال للربيع : اطلب لي رجلاً يعرفني دور الناس ، فجاءه رجل فجعل يعرفه الدور ، إلا أنه لا يبتدئه حتى يسأله المنصور ، فلما فارقه . . أمر له بألف درهم ، فطالب الرجل الربيع بها ، فقال : ما قال لي شيئاً وسيركب ، فذكره .

فركب مرة أخرى ، فجعل يعرفه ولا يرى موضعاً للكلام ، فلما أراد أن يفارقه . . قال الرجل مبتدئاً : وهذه يا أمير المؤمنين دار عاتكة التي يقول فيها الأحوص (٢) :

[من الكامل]

يا بيت عاتكة الذي أتغزل حذر العِدَى وبه الفؤاد موكل

(١) تاريخ دمشق (٣٤/٣٥٢-٣٥٣) .

(٢) البيت والذي يليه من قصيدة في « ديوان الأحوص » (ص ١٥٢-١٦١) .

فأنكر المنصور ابتداءه ، فأمر القصيدة على قلبه ؛ فإذا فيها :
وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مَذِقُ اللسانِ يقولُ ما لا يفعلُ
فعلم أنه يريد الاقتضاء ، فضحك وقال : ويلك يا ربيع ! أعطه ألف درهم) .
وأسند الصولي عن إسحاق الموصلي قال : (لم يكن المنصور يظهر لندمائه
بشرب ولا غناء ، بل يجلس وبينه وبين الندماء ستارة بينهم وبينها عشرون ذراعاً ،
وبينها وبينه كذلك ، وأول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس : المهدي) .
وأخرج الصولي عن يعقوب بن جعفر قال : قال المنصور لقثم بن العباس بن
عبد الله بن العباس - وكان عامله على اليمامة والبحرين - : (ما القثم ؟ ومن أي
شيء أخذ ؟ فقال : لا أدري ، فقال : اسمك اسم هاشمي لا تعرفه ؟ ! أنت والله
جاهل ، قال : فإن رأى أمير المؤمنين أن يُفيدنيه ؟ قال : القائم : الذي يزل بعد
الأكل ، ويقثم الأشياء : يأخذها ويثلمها) .

[لِمَ خلق الله الذباب ؟]

وروي : (أن المنصور ألح عليه ذباب ، فطلب مقاتل بن سليمان فسأله : لم
خلق الله الذباب ؟ قال : ليزل به الجبارين)^(١) .

[من أوليات المنصور]

وقال محمد بن علي الخراساني : (المنصور أول خليفة قرَّب المنجمين ،
وعمل بأحكام النجوم) .

وأول خليفة ترجمت له الكتب الشريانية والأعجمية بالعربية ؛ ككتاب « كليلة
ودمنة » ، و« إقليدس » .

وهو أول من استعمل مواليه على الأعمال وقدمهم على العرب ، وكثر ذلك
بعده حتى زالت رئاسة العرب وقيادتها .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (١١٣ / ٦٠) .

وهو أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد علي ، وكان قبل ذلك أمرهم واحداً^(١) .

أحاديث من رواية المنصور

قال الصولي : (كان المنصور أعلم الناس بالحديث والأنساب ، مشهوراً بطلبه) .

قال ابن عساكر في « تاريخ دمشق » : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو محمد الجوهري ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن الشخير ، حدثنا أحمد بن إسحاق أبو بكر المُلحَمي ، حدثنا أبو عقيل أنس بن سلم الأنطُرطُوسي ، حدثني محمد بن إبراهيم السُّلَمي ، عن المأمون ، عن الرشيد ، عن المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه)^(٢) .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن زكريا اللؤلؤي ، حدثنا جهم بن السبَّاق الرِّياحي ، حدثني بشر بن المفضل ، سمعت الرشيد يقول : سمعت المهدي يقول : سمعت المنصور يقول : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي . . مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَ فِيهَا . . نَجَا ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا . . هَلَكَ »^(٣) .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن موسى ، حدثنا سليمان بن أبي شيخ ، حدثنا أبو سفيان الحميري ، سمعت المهدي يقول : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا أَمَرْنَا أَمِيرًا وَفَرَضْنَا لَهُ فَرَضًا : فَمَا أَصَابَ مِنْ شَيْءٍ . . فَهُوَ غُلُولٌ »^(٤) .

(١) انظر « مروج الذهب » (٢١١ / ٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٩٩ - ٣٢ / ٢٩٨) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « الإنباه على قبائل الرواة » (ص ٤١) .

(٤) أخرج الحاكم في « المستدرک » (٤٠٦ / ١) ، وأبو داود في « سننه » (٢٩٤٣) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه نحوه .

وقال الصولي : حدثنا جبلة بن محمد ، حدثنا أبي ، عن يحيى بن حمزة الحضرمي ، عن أبيه قال : ولأني المهدي القضاء فقال : اصلب في الحكم ؛ فإن أبي حدثني ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : وعزتي وجلالي ؛ لأنتقمَنَّ من الظَّالِمِ في عاجِلِه وأجلِه ، ولأنتقمَنَّ ممَّن رَأَى مَظْلوماً يَقْدِرُ أن ينصرَه فلم يفعل »^(١) .

وقال الصولي : حدثنا محمد بن العباس بن الفرّج ، حدثني أبي ، عن الأصمعي ، حدثني جعفر بن سليمان ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كلُّ سَبَبٍ ونَسَبٍ يَنْقَطِعُ يومَ القيامةِ إلا سَبَبِي ونَسَبِي »^(٢) .

وقال الصولي : حدثنا أبو إسحاق محمد بن هارون بن عيسى ، حدثنا الحسن بن عبيد الله [بن] الخصب^(٣) ، حدثنا إبراهيم بن سعيد ، حدثني المأمون ، عن الرشيد ، عن المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس قال : سمعت علي بن أبي طالب يقول : (لا تسافروا في محاق الشهر ، ولا إذا كان القمر في العقرب)^(٤) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المنصور من الأعلام : ابن المقفع ، وسهيل بن أبي صالح ، والعلاء بن عبد الرحمن ، وخالد بن يزيد المصري الفقيه ، وداود بن أبي هند ، وأبو حازم سلمة بن دينار الأعرج ، وعطاء بن أبي مسلم الخراساني ، ويونس بن عبيد ، وسليمان الأحول ، وموسى بن عقبة صاحب

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٣٦) .

(٢) أخرجه القزويني في « التدوين في أخبار قزوين » (٢٤٤/٢-٢٤٥) .

(٣) فسي (أ) : (الخصبي) ، وفي (ب ، ج ، هـ ، و) : (الخصيني) ، وفي (د ، ط) :

(الخصبي) ، ولعل الصواب ما أثبت ، انظر « لسان الميزان » (٦٦/٣ ، ١٨٥) .

(٤) أورده السخاوي في « المقاصد الحسنة » (١٢٨٩) .

المغازي ، وعمرو بن عبيد المعتزلي ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، والكلبي ، وابن إسحاق ، وجعفر بن محمد الصادق ، والأعمش ، وشبل بن عبّاد مقرئ مكة ، ومحمد بن عجلان المدني الفقيه ، ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وابن جريج ، وأبو حنيفة ، وحجاج بن أرطاة ، وحمام الراوية ، ورؤبة الشاعر ، والجريري ، وسليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، وابن شبرمة الضبي ، ومقاتل بن حيان ، ومقاتل بن سليمان ، وهشام بن عروة ، وأبو عمرو بن العلاء ، وأشعب الطمع ، وحمزة بن حبيب الزيات ، والأوزاعي ، وخلائق آخرون .

خلاف المهدي

[١٥٨-١٦٩هـ] ^(١)

أبو عبد الله محمد بن المنصور ، ولد بإيذج سنة سبع وعشرين ومئة ، وقيل : سنة ست وعشرين ، وأمه : أم موسى بنت منصور الحِميرية .

وكان جواداً ممدحاً ، مليح الشكل ، مُحِبّاً إلى الرعية ، حسن الاعتقاد ، تتبع الزنادقة وأَفْنَى منهم خلقاً كثيراً ، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين .

روى الحديث عن أبيه ، وعن مبارك بن فضالة ، حَدَّث عنه : يحيى بن حمزة ، وجعفر بن سليمان الضُّبَعي ، ومحمد بن عبد الله الرَّقَاشي ، وأبو سفيان سعيد بن يحيى الحِميري ، قال الذهبي : (وما علمت قيل فيه جرحاً ولا تعديلاً) ^(٢) .

وأخرج ابن عدي من حديث عثمان مرفوعاً : « المهديُّ من ولدِ العباس عمِّي » تفَرَّد به محمد بن الوليد مولیٰ بني هاشم ، وكان يضع الحديث ^(٣) ، وأورد الذهبي هنا حديث ابن مسعود مرفوعاً : « المَهْدِيُّ يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي ، واسمُ أبيه اسمُ أبي » أخرجه أبو داود والترمذي وصححه ^(٤) .

ولما شبَّ المهدي .. أَمَرَهُ أبوه على طبرستان وما والاها ، وتأدَّب وجالس العلماء وتميز .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١٦٨ / ٨) ، و « مروج الذهب » (١٦٥ / ٤) ، و « تاريخ بغداد » (٣٩١ / ٥) ، و « تاريخ دمشق » (٤١١ / ٥٣) ، و « المتنظم » (٢٠٥ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٣٣ / ١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٣٥ / ١٠) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « الكامل » ، وأخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٤ / ٥٣) من طريق الدارقطني ، وهو عند الدارقطني في « الأفراد » ؛ كما في « أطراف الغرائب والأفراد » (٢١١) .

(٤) سنن أبي داود (٤٢٨٤) ، وسنن الترمذي (٢٢٣٠) ، وليس عندهما لفظ المهدي . انظر « تاريخ الإسلام » (٤٣٦ / ١٠) .

[أول خطبة للمهدي بعد توليه الخلافة]

ثم إن أباه عهد إليه ، فلما مات . . بويع بالخلافة ، ووصل الخبر إليه ببغداد ، فخطب الناس فقال : (إن أمير المؤمنين عبدٌ دُعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، واغرورقت عيناه ، فقال : قد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم عند فراق الأعبة ؛ ولقد فارقت عظيماً ، وقلدت جسيماً ، فعند الله أحسب أمير المؤمنين ، وبه أستعين على خلافة المسلمين .

أيها الناس ؛ أسروا مثل ما تعلنون من طاعتنا . . نهبكم العافية ، وتحمدوا العاقبة ، واخفضوا جناح الطاعة لمن نشر معدلته فيكم ، وطوى الإصر عنكم ، وأهال عليكم السلامة من حيث رآه الله مقدماً ذلك ، والله ؛ لأفنين عمري بين عقوبتكم والإحسان إليكم)^(١) .

قال نفطويه : (لما حصلت الخزائن في يد المهدي . . أخذ في رد المظالم ، فأخرج أكثر الذخائر ففرقها ، وبر أهله ومواليه)^(٢) .

وقال غيره : أول من هنأ المهدي بالخلافة وعزّاه بأبيه : أبو دلامة فقال^(٣) :

عيناي واحدة تُرى مسرورة	بأمرها جَذَلِي وأخرى تذرفُ
تبكي وتضحك تارة ويسوءها	ما أنكرت ويسرُّها ما تعرفُ
فيسوءها موتُ الخليفة مُحرمًا	ويسرُّها أن قامَ هذا الأَرافُ
ما إن رأيتُ كما رأيتُ ولا أرى	شعراً أُسرَّحه وآخر أُتِفُ
هلك الخليفةُ يا لدين محمدٍ	وأناكم من بعده من يَخْلُفُ

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٩/٥٣ و ٤٢٠) و فرق هذه الخطبة في خبرين .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٩٣/٥) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤٢١/٥٣) من طريق نفطويه ، عن أبي العباس المنصوري ، ونفطويه : هو إبراهيم بن محمد بن عرفة .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (٣٩٢/٥) ، وابن عساكر في « تاريخه » (٤١٩/٥٣) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٦٤) .

أَهْدَى لِهَذَا اللَّهُ فَضْلَ خِلَافَةٍ وَلِذَاكَ جَنَاتِ النِّعَمِ تُزَخَّرُ

وفي سنة تسع وخمسين : بايع المهدي بولاية العهد لموسى الهادي ، ثم من بعده هارون الرشيد وَلَدَيْهِ .

وفي سنة ستين : فتحت باربد من الهند عنوة^(١) .

وفيها : حج المهدي فأَنْهَى إِلَيْهِ حِجَّةَ الْكَعْبَةِ : أَنَّهُمْ يَخَافُونَ هَدْمَهَا ؛ لَكثْرَةِ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْأَسْتَارِ ، فَأَمَرَ بِهَا فَجُرِدَتْ وَاقْتَصِرَ عَلَى كِسْوَةِ الْمَهْدِيِّ ، وَحُمِلَ إِلَى الْمَهْدِيِّ التَّلَجُّ إِلَى مَكَّةَ ، قَالَ الْذَّهَبِيُّ : (وَلَمْ يَنْتَهِيَ ذَلِكَ لِمَلِكٍ قَطُّ)^(٢) .

وفي سنة إحدى وستين : أَمَرَ الْمَهْدِيُّ بِعِمَارَةِ طَرِيقِ مَكَّةَ ، وَبَنَى بِهَا قُصُورًا وَعَمَلَ الْبَرَكِ ، وَأَمَرَ بِتَرْكِ الْمَقَاصِيرِ الَّتِي فِي جَوَامِعِ الْإِسْلَامِ ، وَقَصَّرَ الْمَنَابِرَ ، وَصَيَّرَهَا عَلَى مَقْدَارِ مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٣) .

وفي سنة ثلاث وستين وما بعدها : كَثُرَتْ الْفُتُوحُ بِالرُّومِ .

وفي سنة ست وستين : تَحَوَّلَ الْمَهْدِيُّ إِلَى قَصْرِ السَّلَامِ ، وَأَمَرَ فَأَقِيمَ لَهُ الْبَرِيدُ مِنَ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ وَمِنَ الْيَمَنِ وَمَكَّةَ إِلَى الْحَضْرَةِ بَغَالًا وَإِبِلًا ، قَالَ الْذَّهَبِيُّ : (وَهُوَ أَوَّلُ مَا عَمَلَ الْبَرِيدُ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى الْعِرَاقِ)^(٤) .

(١) فِي النِّسْخِ : (إِرْبَدَ) ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ « تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ » (١٢٨ / ٨) ، وَ« تَارِيخُ الْإِسْلَامِ » (٣٧١ / ٩) ، وَ« الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ » (١٣١ / ١٠) .

(٢) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٣٧١ / ٩) .

(٣) انْظُرْ « تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ » (١٣٦ / ٨) ، وَ« تَارِيخُ الْإِسْلَامِ » (٧ / ١٠) .

(٤) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (٢٥٠ / ١٠) .

وفيها وفيما بعدها : جدَّ المهديُّ في تتبع الزنادقة وإبادتهم ، والبحث عنهم في الآفاق ، وقتل على التهمة .

وفي سنة سبع وستين : أمر بالزيادة الكبرى في المسجد الحرام ، وأدخل في ذلك دوراً كثيرة .

وفي سنة تسع وستين : مات المهدي ؛ ساق خلف صيد ، فاقتحم الصيد خربة ، وتبعه الفرس ، فدق ظهره في بابها فمات لوقته ؛ وذلك لثمان بقين من المحرم ، وقيل : إنه مات مسموماً ، وقال سلَّم الخاسر يرثيه : [من الوافر]

وباكية على المهدي عبرى	كأن بها وما جنت جنونا
وقد خمشت محاسنها وأبدت	غداً رها وأظهرت القرونا
لئن بلي الخليفة بعد عز	لقد أبقي مساعي ما بلينا
سلام الله عدّة كل يوم	على المهدي حين ثوى رهينا
تركنا الدين والدنيا جميعاً	بحيث ثوى أمير المؤمنين

ومن أخبار المهدي

قال الصولي : لما عقد المهدي العهد لولده موسى .. قال مروان بن أبي حفصة^(١) :

عقدت لموسى بالرّصافة بيعة	شدّ الإله بها عرى الإسلام
موسى الذي عرفت قريش فضله	ولها فضيلتها على الأقسام
بمحمّد بعد النبي محمّد	حيّ الحلال ومات كل حرام
مهدي أُمته الذي أمست به	للذلّ أمنة وللإعدام
موسى ولي عصا الخلافة بعده	جفت بذاك مواقع الأعلام

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٢٣) .

وقال آخر^(١) :

[من الكامل]

يا بن الخليفة إنَّ أمةَ أحمدٍ تاقَتْ إليك بطاعةٍ أهواؤها
ولتَمْلأَنَّ الأرضَ عدلاً كالذي كانت تُحدثُ أمةً علماؤها
حتى تمنى لو ترى أمواتها من عدلٍ حُكمك ما ترى أحيائها
فعلى أبيك اليومَ بهجةٌ مُلكها وغداً عليك إزارها ورداؤها

[مكافأة من قالت : يا عصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم]

وأسند الصولي : (أن امرأة اعترضت المهدي فقالت : يا عصابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ انظر في حاجتي ، فقال المهدي : ما سمعتها من أحد قط ؛ اقضوا حاجتها ، وأعطوها عشرة آلاف درهم !!)^(٢) .

[الشيخ لا يترك أخلاقه]

وقال قريش الختلي : (رُفع صالح بن عبد القدوس البصري إلى المهدي في الزندقة ، فأراد قتله ، فقال : أتوب إلى الله تعالى ، وأنشده لنفسه : [من السريع]

ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رمسه

فصرفه ، فلما قرب من الخروج . . رده فقال : ألم تقل : والشيخ لا يترك أخلاقه ؟ قال : بلى ، قال : فكذلك أنت لا تدع أخلاقك حتى تموت ، ثم أمر بقتله)^(٣) .

(١) الأبيات في « ربيع الأبرار » (٤١٠/٤) لرجل من بني تميم .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٩٩/٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣٩/٥٣) من طريق الصولي .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (٣٠٣/٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧٠/١٠) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ١٤٢) .

[أشهد أن قفاك قفا كذاب]

وقال زهير : (قدم على المهدي بعشرة محدثين ؛ منهم : فرج بن فضالة ، وغيث بن إبراهيم ، وكان المهدي يحب الحمام ، فلما دخل غياث . . قيل له : حَدِّثْ أمير المؤمنين ، فحدثه : عن فلان ، عن أبي هريرة مرفوعاً : « لا سَبَقَ إِلَّا فِي حَافِرٍ أَوْ نَصْلٍ » ، وزاد فيه : « أو جناح » فأمر له المهدي بعشرة آلاف درهم ، فلما قام . . قال : أشهد أن قفاك قفا كذاب ؛ وإنما استجلبت ذلك ، ثم أمر بالحمام فذُبِحت (١) .

[لا بد من ثلاث]

وروي : (أن شريكاً دخل على المهدي فقال له : لا بد من ثلاث : إما أن تلي القضاء ، أو تؤدب ولدي وتحديثهم ، أو تأكل عندي أكلة ، ففكر ساعة ، ثم قال : الأكلة أخفُّ عليّ ، فأمر المهدي بعمل ألوان من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك ، فأكل ، فقال الطباخ : لا يفلح بعدها !! قال : فحدثهم بعد ذلك ، وعلمهم العلم ، وولي القضاء (٢) .

[هكذا يطلب العلم]

وأخرج البغوي في « الجعديات » عن حمدان الأصبهاني قال : (كنت عند شريك ، فأتاه ابن المهدي ، فاستند وسأل عن حديث ، فلم يلتفت شريك ، ثم أعاد فعاد ، فقال : كأنك تستخف بأولاد الخلفاء ؟! قال : لا ؛ ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه ، فجثا على ركبتيه ثم سألته ، فقال شريك : هكذا يطلب العلم) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٢٣-٣٢٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٥/٤٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٧٤/١١) .

[من مجزوء الرمل]

ومن شعر المهدي - أنشده الصولي - :

ما يكفُ النَّاسُ عَنَّا	ما يَمَلُّ النَّاسُ مِنَّا
إِنَّمَا هِمَّتْهُمْ أَنْ	يَنْبُشُوا مَا قَدْ دَفَنَّا
لَوْ سَكَنَّا بَاطِنَ الْأَر	ض لَكَائُوا حَيْثُ كُنَّا
وَهُمْ إِنْ كَاشَفُونَا	فِي الْهَوَىٰ يَوْمًا مَجْنًا

[المهدي والجارية]

وأسند الصولي عن محمد بن عمارة قال : كان للمهدي جارية شغف بها وهي كذلك ، إلا أنها تتحاماه كثيراً ، فدرس إليها من عرف ما في نفسها ، فقالت : أخاف أن يملني ويدعني فأموت ، فقال المهدي في ذلك :

[من مجزوء الرمل]

ظَفِرَتْ بِالْقَلْبِ مَنِّي	غَادَةٌ مِثْلُ الْهَلَالِ
كَلَّمَا صَحَّ لَهَا وَدَّ	يَ جَاءَتْ بِاعْتِلَالِ
لَا لِحُبِّ الْهَجَرِ مَنِّي	وَالْتَنَائِي عَنْ وَصَالِي
بَلْ لِإِبْقَاءِ عَلَيَّ	حُبِّي لَهَا خَوْفُ الْمَلَالِ

[من مجزوء الرمل]

وله في نديمه عمر بن بزيع :

رَبِّ تَمِّمْ لِي نَعِيمِي	بِأَبِي حَفْصِ نَدِيمِي
إِنَّمَا لَذَّةُ عَيْشِي	فِي غِنَاءٍ وَكُرُومِ
وَجَوَارِ عَطَرَاتِ	وَسَمَاعِ وَنَعِيمِ

قلت : شعر المهدي أرق وألطف من شعر أبيه وأولاده بكثير .

[استحياء الجارية]

وأسند الصولي عن ابن أبي كريمة قال : دخل المهدي إلى حجرة جارية على غفلة ، فوجدها وقد نزعت ثيابها وأرادت لبس غيرها ، فلما رآته . . غطت

بيدها ، فقصرت كفها عنه ، فضحك وقال : [من مجزوء الرمل]

أَبْصَرْتُ عَيْنِي لِحِينِي مَنْظَرًا يَجْلِبُ شَيْنِي

ثم خرج فرأى بشاراً فأخبره وقال : أجز ، فقال بشار^(١) :

سَتَرْتَهُ إِذْ رَأَيْتَنِي بَيْنَ طَيِّ الْعُكْتَيْنِ
فَبَدَا لِي مِنْهُ فَضْلٌ لَمْ يَسْعَ فِي الرَّاحَتَيْنِ

وأُسند عن إسحاق الموصلي قال : (كان المهدي في أول أمره يحتجب عن الندماء ؛ تشبهاً بالمنصور نحواً من سنة ، ثم ظهر لهم ، فأشير عليه أن يحتجب ، فقال : إنما اللذة مع مشاهدتها) .

[من استعان بخائن كان شريكه]

وأُسند عن مهدي بن سابق قال : (صاح رجل بالمهدي وهو في موكبته : [من الكامل]

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ حَاتِمٌ لَكَ خَائِنٌ فَخَفِ الْإِلَهَ وَأَعِفْنَا مِنْ حَاتِمِ
إِنْ الْعَفِيفَ إِذَا اسْتَعَانَ بِخَائِنٍ كَانَ الْعَفِيفُ شَرِيكَهُ فِي الْمَأْثِمِ

فقال المهدي : يعزل كل عامل لنا يدعى حاتماً) .

[سماحة أخلاق المهدي]

وأُسند عن أبي عبيدة قال : (كان المهدي يصلي بنا الصلوات الخمس في المسجد الجامع بالبصرة لما قدمها ، فأقيمت الصلاة يوماً ، فقال أعرابي : لست على طهر ؛ وقد رغبت في الصلاة خلفك ، فأمر هؤلاء بانتظاري .

فقال : انتظروه ، ودخل المحراب فوقف إلى أن قيل : قد جاء الرجل ، فكبر ، فعجب الناس من سماحة أخلاقه) .

(١) البيتان في « ديوانه » (٢٢٧/٤) .

[إذعان المهدي عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم]

وأُسند عن إبراهيم بن نافع : (أن قوماً من أهل البصرة تنازعوا إليه في نهر من أنهار البصرة ، فقال : إن الأرض لله في أيدينا للمسلمين ، فما لم يقع له ابتياع منها . . يعود ثمنه على كافتهم وفي مصلحتهم ، فلا سبيل لأحد عليه .
فقال القوم : هذا النهر لنا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قال : « مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً . . فَهِيَ لَهُ » ^(١) وهذه موات .

فوثب المهدي عند ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حتى ألصق خده بالتراب ، وقال : سمعت لما قال وأطعت ، ثم عاد وقال : بقي أن تكون هذه الأرض مواتاً حتى لا أعرض فيها ، وكيف تكون مواتاً والماء محيط بها من جوانبها ؟ ! فإن أقاموا البيعة على هذا . . سلمت) .

وأُسند عن الأصمعي قال : (سمعت المهدي على منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه ، وثني بملائكته فقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ . . . ﴾ الآية ، أثره بها من بين الرسل ؛ إذ خصكم بها من بين الأمم) .
قلت : وهو أول من قال ذلك في الخطبة ، وقد استنّها الخطاب إلى اليوم .

ولما مات . . قال أبو العتاهية وقد علقت المُسُوح على قباب حرمه ^(٢) : [من مجزوء الرمل]

رُحْنٌ فِي الْمَوْشَى وَأَصْبَحَ	—	نَ عَلَيْهِنَ الْمُسُوحُ
كُلُّ نَطَّاحٍ مِنَ الدَّهْ	—	رٍ لَهُ يَوْمٌ نَطُوحُ
لَسْتُ بِالْبَاقِي وَلَوْ عُمُ	—	رْتَ مَا عُمَّرَ نَوْحُ
نُحَ عَلَى نَفْسِكَ يَا مِسْ	—	كِينَ إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ

ذكر أحاديث من رواية المهدي

قال الصولي : حدثني أحمد بن محمد بن صالح التَّمَار ، حدثنا يحيى بن

(١) أخرجه أحمد في « مسنده » (٣٣٨ / ٣) .

(٢) ديوان أبي العتاهية (ص ٧١) .

محمد القرشي ، حدثنا أحمد بن هشام ، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن مسلم المدائني وهو ثقة صدوق ، قال : سمعت المهدي يخطب فقال : حدثنا شعبة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة من العصر إلى مغربان الشمس ، حفظها من حفظها ، ونسيها من نسيها ، فقال : « أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا حُلُوءٌ خَصِرَةٌ . . . » الحديث بطوله^(١) .

وقال الصولي : حدثنا إسحاق بن إبراهيم القزاز ، حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، حدثني أبو يعقوب بن حفص الخطابي ، سمعت المهدي يقول : حدثني أبي عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه : أن وفدًا من العجم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أحفوا لحاهم وأعفوا شواربهم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « خَالِفُوهُمْ ؛ أَعْفُوا لِحَاكُم ، وَأَحْفُوا شَوَارِبَكُم » .

وإحفاء الشارب : أخذ ما سقط على الشفة منه ، ووضع المهدي يده على أعلى شفته .

وقال منصور بن مزاحم ومحمد بن يحيى بن حمزة : عن يحيى بن حمزة قال : صلى بنا المهدي المغرب فجهر بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما هذا ؟ قال : حدثني أبي عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس : (أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بـ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾) فقلت للمهدي : نأثره عنك ؟ قال : نعم .

قال الذهبي : (هذا إسناد متصل ، لكن ما علمت أحداً احتج بالمهدي ولا بأبيه في الأحكام ، تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم ، وقال ابن عدي : كان يضع الحديث)^(٢) .

قلت : لم ينفرد به ، بل وجدت له متابعا .

(١) أخرجه أحمد في « المسند » (١٩/٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٣٦/١٠) .

[من مات في عهده]

مات في أيام المهدي من الأعلام : شعبة ، وابن أبي ذئب ، وسفيان الثوري ، وإبراهيم بن أدهم الزاهد ، وداوود الطائي الزاهد ، وبشار بن برد أول شعراء المحدثين ، وحماد بن سلمة ، وإبراهيم بن طهمان ، والخليل بن أحمد صاحب العروض .

خلف الهادي

[١٦٩-١٧٠هـ]^(١)

أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور ، وأمه : أم ولد بربرية ، اسمها : الخيزران ، ولد بالري سنة سبع وأربعين ومئة ، وبويع بالخلافة بعد أبيه بعهد منه .

قال الخطيب : (ولم يل الخلافة قبله أحد في سنّه)^(٢) .

فأقام فيها سنة وأشهرًا ، وكان أبوه أوصاه بقتل الزنادقة ، فجذّ في أمرهم ، وقتل منهم خلقًا ، وكان يسمى موسى أطبق ؛ لأن شفته العليا كانت تقلص ، فكان أبوه وكّل به في صغره خادماً ، كلما رآه مفتوح الفم . قال : موسى أطبق ، فيفيق على نفسه ويضم شفّتيه ، فشهر بذلك .

قال الذهبي : (وكان يتناول المسكر ويلعب ، ويركب حماراً فارهاً ، ولا يقيم أبهة الخلافة ، وكان مع ذلك فصيحاً قادراً على الكلام ، أديباً تعلوه هيبة ، وله سطوة وشهامة)^(٣) .

وقال غيره : كان جباراً ، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة والقسي المؤترة ، فاتبعه عماله به في ذلك ، وكثر السلاح في عصره .

[موت الهادي وسببه]

مات في ربيع الآخر سنة سبعين ومئة ، واختلف في سبب موته :

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٠٥ / ٨) ، و « مروج الذهب » (١٨٣ / ٤) ، و « تاريخ بغداد » (٢١ / ١٣) ، و « المنتظم » (٣٠٥ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٧٨ / ١٠) ، و « فوات الوفيات » (١٧٣ / ٤) ، و « البداية والنهاية » (١٥٩ / ١٠) .

(٢) تاريخ بغداد (٢٢ / ١٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٨٠ / ١٠) .

ف قيل : إنه دفع نديماً له من جرف على أصول قصب قد قطع ، فتعلق النديم به فوقاً ، فدخلت قصبة في مخرجه ، فماتا جميعاً^(١) .

وقيل : أصابته قرحة في جوفه^(٢) .

وقيل : سمته أمه الخيزران لما عزم على قتل الرشيد ليعهد إلى ولده^(٣) .

وقيل : كانت أمه حاکمة مستبدة بالأمور الكبار ، وكانت المواكب تغدو إلى بابها ، فزجرهم عن ذلك ، وكلّمها بكلام فجّ ، وقال : لئن وقف ببابك أمير . . لأضربن عنقه ؛ أما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكرك ، أو سبحة ؟! فقامت ما تعقل من الغضب ، فقيل : إنه بعث إليها بطعام مسموم ، فأطعمت منه كلباً فانتثر ، فعملت على قتله لما وعك ؛ بأن غموا وجهه بيساط جلسوا على جوانبه^(٤) ، وخلف سبعة بنين .

ومن شعر الهادي في أخيه هارون لما امتنع من خلع نفسه^(٥) : [من الطويل]

نصحتُ لهارون فردّ نصيحتي وكلُّ امرئ لا يقبلُ النصحَ نادماً
وأدعوهُ للأمرِ المؤلّف بيننا فيبعدُ عنه وهو في ذاك ظالمُ
ولولا انتظاري منه يوماً إلى غدٍ لعادَ إلى ما قُلتَه وهو راغمُ

ومن أخبار الهادي

أخرج الخطيب عن الفضل قال : (غضب الهادي على رجل ، فكلم فيه فرضي عنه ، فذهب يعتذر ، فقال له الهادي : إن الرضا قد كفأك مؤنة الاعتذار)^(٦) .

(١) تاريخ الإسلام (١٠/٤٨٠) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٨/٢٠٥) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٨/٢٠٦) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٨/٢٠٥-٢٠٦) .

(٥) الأبيات في « معجم الشعراء » (ص ٣٤١) .

(٦) تاريخ بغداد (١٣/٢٣) .

وأخرج عن عبد الله بن مصعب قال : (دخل مروان بن أبي حفصة على الهادي فأنشده مديحاً له ، حتى إذا بلغ قوله : [من الطويل]

تشابه يوماً بأبيه ونواله فما أحداً يدري لأيهما الفضل

فقال له الهادي : أيما أحب إليك : ثلاثون ألفاً معجلة ، أو مئة ألف تدور في الديوان ؟ قال : تُعجل الثلاثون ألفاً ، وتدور المئة ألف ، قال : بل يعجلان لك جميعاً ، فحمل له ذلك ^(١) .

[فَسَيَأْتِي]

[في ذكر من ولدت خليفتين]

وقال الصولي : (لا تُعرف امرأة ولدت خليفتين إلا الحيزران : أم الهادي والرشيد ، وولادة بنت العباس العباسية زوج عبد الملك بن مروان ؛ ولدت : الوليد وسليمان ، وشاهين بنت فيروز بن يزدجرد بن كسرى ؛ ولدت للوليد بن عبد الملك : يزيد الناقص وإبراهيم ، ووليا الخلافة) .

قلت : يزداد على ذلك : باي خاتون سرية المتوكل الأخير ؛ ولدت : العباس وحمزة ، ووليا الخلافة ، وكزل سريته أيضاً ؛ ولدت : داوود وسليمان ، وولياها .

ثم قال الصولي : (لا يعرف خليفة ركب البريد إلا الهادي من جرجان إلى بغداد ، قال : وكان نقش خاتمه : الله ثقة موسى وبه يؤمن) .

قال الصولي : ولسلم الخاسر في الهادي يمدحه ^(٢) :

[من منهوك الرجز]

موسى المطر	غيث بكّر
ثم انهمر	ألوى الممر
كم اعتسر	[ثم اتسر]
وكم قدر	ثم غفر

(١) تاريخ بغداد (١٣/٢٣-٢٤) ، والبيت في « ديوانه » (ص ١٠٨) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٩٩) .

عَدْلُ السَّيِّرُ	بَاقِي الْأَثَرُ
خَيْرٌ وَشَرُّ	نَفْعٌ وَضَرُّ
خَيْرُ الْبَشَرُ	فَرْعٌ مُضَرُّ
بَدْرٌ بَدْرٌ	لَمَنْ نَظَرُ
هُوَ الْوَزَرُ	لَمَنْ حَضَرُ
وَالْمُفْتَخَرُ	لَمَنْ غَبَرُ

قال : (وهذا على جزء جزء مستفعِلن مستفعِلن ، وهو أول من عمله ، ولم نسمع لمن قبله شعراً على جزء جزء) .

[تواضع الهادي ومعرفته قدر النبي صلى الله عليه وسلم]

وأَسَدُ الصُّوْلِي عن سَعِيد بن سَلَم قال : (إني لأرجو أن يغفر الله للهادي بشيء رأيته منه ؛ حضرته يوماً وأبو الخطاب السعدي ينشده قصيدة في مدحه . . . إلى أن قال :

يا خَيْرَ مَنْ عَقَدَتْ كَفَّاهُ حُجْرَتَهُ وخَيْرَ مَنْ قَلَدَتْهُ أَمْرَهَا مَضْرُ
فقال له الهادي : إلا من ؟ وَيْلَكَ !! قال سعيد : ولم يكن استثنى في شعره ،
فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنما يعني من أهل هذا الزمان ، فأفكر الشاعر فقال :
إلا النَّبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَهُ فضلاً وأنتَ بذاك الفضلِ تَفْتَخِرُ
فقال : الآن أصبت وأحسن ، وأمر له بخمسين ألف درهم) .
وقال المدائني : (عزى الهادي رجلاً في ابن له ، فقال : سرَّكَ وهو فتنةٌ
وبليةٌ ، ويحزنك وهو ثواب ورحمة ١٩) .

وقال الصولي : قال سَلَمُ الخاسر في الهادي جامعاً بين الهناء والعزاء^(١) : [من الطويل]

لقد قامَ مُوسَى بالخِلافةِ والهُدَى وماتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدُ
فماتَ الَّذِي غَمَّ الْبَرِيَّةَ فَقْدُهُ وقامَ الَّذِي يَكْفِيكَ مَنْ يَتَفَقَّدُ

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٩٦) .

[من الطويل]

وقال مروان بن أبي حفصة كذلك^(١) :

لَقَدْ أَصْبَحَتْ تَخْتَالُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ بَقْبِرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُقَابِرُ
وَلَوْ لَمْ تَسْكُنْ بَايْنَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ لَمَا بَرِحَتْ تَبْكِي عَلَيْهِ الْمَنَابِرُ
وَلَوْ لَمْ يَقُمْ مُوسَى عَلَيْهَا لَرَجَعَتْ حَنِينًا كَمَا حَنَّ الصَّفَايَا الْعِشَائِرُ

حديث من رواية الهادي

قال الصولي : حدثني محمد بن زكريا - هو الغلابي - حدثني محمد بن عبد الرحمن المكي ، حدثنا قسورة بن السكّن الفهري ، حدثنا المطّلب بن عكاشة المري قال : قدمنا على الهادي شهوداً على رجل شتم قريشاً ، وتخطى إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، فجلس لنا مجلساً أحضر فيه فقهاء زمانه ، وأحضر الرجل فشهدنا عليه ، فتغير وجه الهادي ، ثم نكس رأسه ، ثم رفعه ، فقال : سمعت أبي المهدي يحدث عن أبيه المنصور ، عن أبيه محمد ، عن أبيه علي ، عن أبيه عبد الله بن عباس قال : (من أراد هوان قريش . . أهانه الله) وأنت يا عدو الله لم ترض بأن أردت ذلك من قريش حتى تخطيت إلى ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، اضربوا عنقه ، أخرجه الخطيب من طريق الصولي^(٢) .
والحديث هكذا في هذه الرواية موقوف ، وقد ورد مرفوعاً من وجه آخر^(٣) .

[من مات في عهده]

مات في أيام الهادي من الأعلام : نافع قارىء أهل المدينة ، وغيره^(٤) .

(١) البيت الأول والثاني في « ديوانه » (ص ٥٨-٥٩) .

(٢) تاريخ بغداد (٢٣/١٣) وسقط من إسناده (قسورة بن السكّن) ؛ وفيه : (المزني) بدل : (المري) .

(٣) أخرجه البخاري في « التاريخ الكبير » (١٠٣/١) ، والترمذي (٣٩٠٥) ، وأحمد في « مسنده »

(١٧١/١) من حديث سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) وممن مات في أيامه : الحسين بن علي ، والربيع بن يونس ، ومحمد بن مسلم أبو سعيد المؤدب ،

والحسن بن محمد بن عبد الله .

خلافة الرشيد هارون

[١٧٠-١٩٣هـ] ^(١)

أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ، ليلة السبت ، لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول ، سنة سبعين ومئة .

قال الصولي : (وفي هذه الليلة : ولد له عبد الله المأمون ، ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة ، وقام خليفة ، وولد خليفة إلا هذه الليلة ، وكان يكنى أبا موسى ، فتكنى بأبي جعفر) .

حدث عن أبيه ، وجده ، ومبارك بن فضالة .
روى عنه : ابنه المأمون وغيره .

وكان من أُمَيَّزِ الخلفاء ، وأجل ملوك الدنيا ، وكان كثير الغزو والحج ؛ كما قال فيه أبو المعالي الكلابي ^(٢) :

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِدْهُ فَبِالْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ
فَفِي أَرْضِ الْعَدُوِّ عَلَى طِمْرٍ وَفِي أَرْضِ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ كُورِ

مولده بالري حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان ، في سنة ثمان وأربعين ومئة ، وأمّه : أم ولد ؛ تسمى : الْخَيْزُرَان ، وهي أم الهادي ، وفيها يقول مروان ابن أبي حفصة ^(٣) :

يَا خَيْزُرَانَ هَنَّاكَ ثُمَّ هَنَّاكَ أَمْسَى يَسُوسُ الْعَالَمِينَ ابْنَاكَ

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٣٤٢/٨) ، و « مروج الذهب » (١٩٦/٤) ، و « تاريخ بغداد » (٥/١٤) ، و « المتظم » (٣٢٠/٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٢٣/١٣) ، و « فوات الوفيات » (٢٢٥/٤) ، و « البداية والنهاية » (٢١٣/١٠) .

(٢) في (ب ، هـ ، و) : (أبو المعلى) ، وفي (ج) : (أبو العلاء) ، انظر « تاريخ بغداد » (٦/١٤) ، والظمر : الفرس المستعد للوثب والعدو .

(٣) ديوان مروان ابن أبي حفصة (ص ٩٢) .

[من فضائل الرشيد ومآثره]

وكان أبيض ، طويلاً جميلاً ، مليحاً فصيحاً ، له نظر في العلم والأدب .
وكان يصلي في خلافته في كل يوم مئة ركعة إلى أن مات ، لا يتركها إلا لعدة ،
ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم .
وكان يحب العلم وأهله ، ويعظم حرمت الإسلام ، ويبغض المراء في
الدين ، والكلام في معارضة النص .
وبلغه عن بشر المَرِسي القول بخلق القرآن فقال : (لئن ظفرت به . . لأضربن
عنقه) .

وكان يبكي على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه ، سيما إذا وعظ .
وكان يحب المديح ، ويجيز عليه الأموال الجزيلة ، وله شعر .
دخل عليه مرة ابنُ السماك الواعظ ، فبالغ في احترامه ، فقال له ابن السماك :
(تواضعك في شرفك . . أشرف من شرفك) ثم وعظه فأبكاه^(١) .
وكان يأتي بنفسه إلى بيت الفضيل بن عياض^(٢) .
قال عبد الرزاق : كنت مع الفضيل بمكة ، فمر هارون ، فقال فضيل :
(الناس يكرهون هذا ، وما في الأرض أعز عليّ منه ، لو مات . . لرأيت أموراً
عظماً)^(٣) .

قال أبو معاوية الضرير : (ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي
الرشيد . . إلا قال : صلى الله على سيدي) .
وحدثته بحديثه صلى الله عليه وسلم : « وَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَأُقْتَلَ ، ثُمَّ أَحْيَا فَأُقْتَلَ » فبكى حتى انتحب^(٤) .

(١) أخرجه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٣١) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٢٨٧ / ٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٢٧ / ١٣) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٢ / ١٤) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧ / ١٤) .

[دفاعه عن الحديث النبوي وإجلاله للعلم]

وحدثته يوماً حديث : (« احتج آدم وموسى ») وعنده رجل من وجوه قريش ، فقال القرشي : فأين لقيه ؟ فغضب الرشيد وقال : النطع والسيف ؛ زنديق يطعن في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ ! قال أبو معاوية : فما زلت أسكّنه وأقول : يا أمير المؤمنين ؛ كانت منه بادرة ، حتى سكن)^(١) .

وعن أبي معاوية أيضاً قال : (أكلت مع الرشيد يوماً ، ثم صبّ على يديّ رجلٌ لا أعرفه)^(٢) ، ثم قال الرشيد : تدري من يصب عليك ؟ قلت : لا ، قال : أنا ؛ إجلالاً للعلم)^(٣) .

وقال منصور بن عمار : (ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة : الفضيل بن عياض ، والرشيد ، وآخر)^(٤) .

وقال عبيد الله القوّاريري : (لما لقي الرشيد الفضيل . . قال له : يا حسن الوجه ؛ أنت المسؤول عن هذه الأمة ، حدثنا ليث عن مجاهد : ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ قال : الوُصْل التي كانت بينهم في الدنيا ، فجعل هارون يبكي ويشهق)^(٥) .

[عزاؤه بابن المبارك وكرمه وأعطياته]

ومن محاسنه : أنه لما بلغه موت ابن المبارك . . جلس للعزاء ، وأمر الأعيان أن يعزّوه في ابن المبارك .

قال نفطويه : (كان الرشيد يقتفي آثار جده أبي جعفر إلا في الحرص ؛ فإنه لم ير خليفة قبله أعطى منه ، أعطى مرة سفيان بن عيينة مئة ألف ، وأجاز إسحاق

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧ / ١٤) .

(٢) لأن أبا معاوية كان ضريباً ، فقام الخليفة بصب الماء عليه ؛ إجلالاً لعلمه وهو لا يدري !!

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨ / ١٤) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨ / ١٤) ، وسمى الثالث : أبا عبد الرحمن الزاهد .

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٨ / ١٤) .

الموصللي مرة بمئتي ألف ، وأجاز مروان بن أبي حفصة مرة على قصيدة خمسة آلاف دينار ، وخلعة وفرساً من مراكبه ، وعشرة من رقيق الروم) .

وقال الأصمعي : (قال لي الرشيد : يا أصمعي ؛ ما أغفلك عنا وأجفاك لنا ! قلت : والله يا أمير المؤمنين ؛ ما ألاقطني بلاد بعدك حتى أتيتك ، فسكت ، فلما تفرق الناس . . قال : ما ألاقطني ؟ قلت : [من الكامل]

كفّاك كفّ ما تُليقُ بدرهمٍ جوداً وأخرى تُعطٍ بالسيفِ الدّما
فقال : أحسنت ، وهلكذا فكن ، وقّرنا في الملأ ، وعلمنا في الخلاء ، وأمر لي بخمسة آلاف دينار)^(١) .

وفي « مروج المسعودي » قال : رام الرشيد أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلي الفَرما ، فقال له يحيى بن خالد البرمكي : كان يختطف الروم الناس من المسجد الحرام ، وتدخل مراكبهم إلى الحجاز ؟! فتركه^(٢) .

[ما اجتمع للرشيد ولم يجتمع لغيره]

وقال الجاحظ : (اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره : وزراؤه : البرامكة ، وقاضيه : أبو يوسف ، وشاعره : مروان بن أبي حفصة ، ونديمه : العباس بن محمد عم أبيه ، وحاجبه : الفضل بن الربيع أُنْبه الناس وأعظمهم ، ومغنيه : إبراهيم الموصلي ، وزوجته : زُبيدة)^(٣) .

وقال غيره : (كانت أيام الرشيد كلها خيراً ، كأنها من حسناتها أعراس) .

وقال الذهبي : (أخبار الرشيد يطول شرحها ، ومحاسنه جمّة ، وله أخبار في اللّهُو واللذات المحظورة والغناء ، سامحه الله)^(٤) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٩/١٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٢٩/١٣) ، وألاقطني : أمسكتني .

(٢) مروج الذهب (٤١١/٢) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١١/١٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٣٠/١٣) .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأئمة الأعلام : مالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وأبو يوسف صاحب أبي حنيفة ، والقاسم بن معن ، ومسلم بن خالد الزنجي ، ونوح الجامع ، والحافظ أبو عوانة اليشكري ، وإبراهيم بن سعد الزهري ، وأبو إسحاق الفزاري ، وإبراهيم بن أبي يحيى شيخ الشافعي ، وأسد الكوفي من كبار أصحاب أبي حنيفة ، وإسماعيل بن عياش ، وبشر بن المفضل ، وجريز بن عبد الحميد ، وزيايد البكائي ، وسليم المقرئ صاحب حمزة ، وسيبويه إمام العربية ، وضيغم الزاهد ، وعبد الله العمري الزاهد ، وعبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن إدريس الكوفي ، وعبد العزيز بن أبي حازم ، والدراوردي ، والكسائي شيخ القراء والنحاة ، ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة ؛ كلاهما في يوم ، وعلي بن مُسهر ، وغنّجار ، وعيسى بن يونس السبيعي ، والفضيل بن عياض ، وابن السمّك الواعظ ، ومروان بن أبي حفصة الشاعر ، والمعافى بن عمران الموصلي ، ومُعتمر بن سليمان ، والمفضل بن فضالة قاضي مصر ، وموسى الكاظم ، وموسى بن ربيعة أبو الحكم المصري أحد الأولياء ، والنعمان بن عبد السلام الأصبهاني ، وهُشيم ، ويحيى بن أبي زائدة ، ويزيد بن زُرّيع ، ويونس بن حبيب النحوي ، ويعقوب بن عبد الرحمن قارئ المدينة ، وصعصعة بن سلام عالم الأندلس أحد أصحاب مالك ، وعبد الرحمن بن القاسم أكبر أصحاب مالك ، والعباس بن الأحنف الشاعر المشهور ، وأبو بكر ابن عياش المقرئ ، ويوسف ابن الماجشون ، وخلائق آخرون كبار .

ومن الحوادث في أيامه

في سنة خمس وسبعين : افترى عبد الله بن مصعب الزُّيَري على يحيى بن عبد الله بن حسن العلوي : أنه طلب إليه أن يخرج معه على الرشيد ، فباهله يحيى بحضرة الرشيد وشبك يده في يده ، وقال : قل : اللهم ؛ إن كنت تعلم أن يحيى لم يدعني إلى الخلاف والخروج على أمير المؤمنين هذا . فكلني إلى حولي

وقوتي ، وأسحتني بعذاب من عندك ، آمين رب العالمين ، فتلجلج الزُّبيري وقالها ، ثم قال يحيى مثل ذلك وقاما ، فمات الزبيري ليومه^(١) .

وفي سنة ست وسبعين : فتحت مدينة دبسة على يد الأمير عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسي^(٢) .

وفي سنة تسع وسبعين : اعتمر الرشيد في رمضان ، ودام على إحرامه إلى أن حج ، ومشى من مكة إلى عرفات .

وفي سنة ثمانين : كانت الزلزلة العظمى ، سقط منها رأس منارة الإسكندرية .

وفي سنة إحدى وثمانين : فتح حصن الصفصاف عنوة ، هو الفاتح له .

وفي سنة ثلاث وثمانين : خرج الخَزَر على أرمينية ، فأوقعوا بأهل الإسلام ، وسفكوا وسبوا أزيد من مئة ألف نسمة ، وجرى على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله مثله .

[كتاب نقفور والرد عليه]

وفي سنة سبع وثمانين : أتاها كتاب من ملك الروم نقفور بنقض الهدنة التي كانت عقدت بين المسلمين وبين الملكة ريني ملكة الروم .
وصورة الكتاب : (من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب ، أما بعد :

(١) الخبر عند الطبري في « تاريخه » (٢٤٨-٢٤٩) في سنة (١٧٦ هـ) .

(٢) العبر (٢٦٨ / ١) .

فإن الملكة التي كانت قبلي كانت أقامتك مقام الرُّخ^(١) ، وأقامت نفسها مقام البيذق ، فحمّلت إليك من أموالها أحمالاً ؛ وذلك لضعف النساء وحمقهن ، فإذا قرأت كتابي . . فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، وإلا . . فالسيف بيننا وبينك) .
فلما قرأ الرشيد الكتاب . . استشاط غضباً حتى لم يتمكن أحد أن ينظر إلى وجهه دون أن يخاطبه ، وتفرق جلساؤه من الخوف ، واستعجم الرأي على الوزير ، فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من هارون أمير المؤمنين إلى نفقور كلب الروم ، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه .

ثم سار ليومه ، فلم يزل حتى نازل مدينة هرقل ، وكانت غزوة مشهودة وفتحاً مبيناً ، فطلب النفقور المودعة ، والتزم بخراج يحمله كل سنة ، فأجيب ، فلما رجع الرشيد إلى الرقة . . نقض الكلب العهد ؛ لإيase من كرة الرشيد في البرد ، فلم يجسر أحد أن يبلغ الرشيد نقضه ، بل قال عبد الله بن يوسف التيمي : [من الكامل]

نقضَ الذي أعطيتَه نفقورُ فعليه دائرةُ البوارِ تدورُ
أبشُرَ أميرَ المؤمنينَ فإنَّه غنمُ أتاك به الإلهُ كبيرُ

وقال أبو العتاهية أبياتاً ، وعرضت على الرشيد ، فقال : أوقد فعلها ؟ ! فكر راجعاً في مشقة شديدة حتى أناخ بفنائها فلم يبرح حتى بلغ مراده ، وحاز جهاده .

وفي ذلك يقول أبو العتاهية^(٢) :

ألا بادت هرقلَةُ بالخرابِ من الملكِ الموفقِ للصَّوابِ
غداً هارونُ يَرعدُ بالمنايا ويرقُّ بالمدكِّرةِ القُضابِ
ورياتٍ يحلُّ النصرُ فيها تمرُّ كأنَّها قطعُ السحابِ

(١) الرُّخ : قطعة من قطع الشطرنج حرة الحركة .

(٢) الخبر في « تاريخ الطبري » (٣٠٧/٨ - ٣١٠) ، وأبيات أبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٤١) ، وفيهما : (نادت) بدل (بادت) .

وفي سنة تسع وثمانين : فادى الروم حتى لم يبق بممالكهم في الأسر مسلم .

وفي سنة تسعين : فتح هرقله ، وبث جيوشه بأرض الروم ، فافتتح شراحيل بن معن بن زائدة حصن الصقالبة ، وافتتح يزيد بن مخلد مَلَقُونِيَّةَ ، وسار حميد بن مَعِيُوف إلى قبرس فهدم وحرق وسبى من أهلها ستة عشر ألفاً .

[مرض الرشيد وعلته وبيان ذكائه وفراسته]

وفي سنة اثنتين وتسعين : توجه الرشيد نحو خراسان ، فذكر محمد بن الصباح الطبري : أن أباه شيع الرشيد إلى النهروان ، فجعل يحادثه في الطريق . . . إلى أن قال : (يا صباح ؛ لا أحسبك تراني بعدها ، فقلت : بل يردك الله سالماً ، ثم قال : ولا أحسبك تدري ما أجد ؟ فقلت : لا والله ، فقال : تعال حتى أريك ، وانحرف عن الطريق وأوماً إلى الخواص فتنحوا ، ثم قال : أمانة الله يا صباح ، أن تكتم عليّ وكشف عن بطنه ؛ فإذا عصابة حرير حوالي بطنه ، فقال : هذه علة أكتمها الناس كلهم ، ولكل واحد من ولدي عليّ رقيب ؛ فمسرور رقيب المأمون ، وجبريل بن بختيشوع رقيب الأمين - ونسيت الثالث - ما منهم أحد . . . إلا وهو يحصي أنفاسي ، ويعدُّ أيامي ، ويستطيل دهرى ؛ فإن أردت أن تعرف ذلك . . . فالساعة أدعو بيرذون فيجيئون به أعجمي ؛ ليزيد في علتي ، ثم دعا بيرذون ، فجاءوا به كما وصف ، فنظر إليّ ، ثم ركبته وودعني ، وسار إلى جرجان ، ثم رحل منها في صفر ، سنة ثلاث وتسعين وهو عليل إلى طوس ، فلم يزل بها إلى أن مات)^(١) .

[ولاية العهد بين أبناء الرشيد]

وكان الرشيد بايع بولاية العهد لابنه محمد في سنة خمس وسبعين ، ولقبه

(١) تاريخ الطبري (٣٣٨ / ٨) .

الأمين ، وله يومئذ خمس سنين ؛ لحرص أمه زبيدة على ذلك^(١) .

قال الذهبي : (فكان هذا أول وهن جرى في دولة الإسلام من حيث الإمامة ، ثم بايع لابنه عبد الله من بعد الأمين في سنة اثنتين وثمانين ، ولقبه المأمون ، وولاه ممالك خراسان بأسرها ، ثم بايع لابنه القاسم من بعد الأخوين في سنة ست وثمانين ، ولقبه المؤتمن ، وولاه الجزيرة والثغور وهو صبي .

فلما قسم الدنيا بين هؤلاء الثلاثة . . قال بعض العقلاء : قد ألقى بأسهم بينهم ، وغائلة ذلك تضر بالرعية ، وقالت الشعراء في البيعة المدائح^(٢) ، ثم إنه علق نسخة البيعة في البيت العتيق ، وفي ذلك يقول إبراهيم الموصلي^(٣) : [من مجزوء الكامل]

خَيْرُ الْأُمُورِ مَغَبَّةٌ وَأَحْسَنُ أُمُورٍ بِالْتِمَامِ
أَمْرٌ قَضَى أَحْكَامَهُ أَلْ رَّحْمَنُ فِي الْبَيْتِ الْحَرَامِ

وقال عبد الملك بن صالح في ذلك^(٤) :

حُبُّ الْخَلِيفَةِ حُبٌّ لَا يَدِينُ لَهُ عَاصِي الْإِلَهِ وَشَارٍ يُلْقِحُ الْفِتَنَا
اللَّهُ قَلَدُ هَارُونَ سِيَاسَتَهُ لَمَّا اصْطَفَاهُ فَأَحْيَا الدِّينَ وَالسَّنَا
وَقَلَدُ الْأَرْضِ هَارُونُ لِرَأْفَتِهِ بَنَا أَمِينًا وَمَأْمُونًا وَمُؤْتَمِنَا

قال بعضهم : وقد زوى الرشيد الخلافة عن ولده المعتصم ؛ لكونه أمياً ، فساقها الله إليه وجعل الخلفاء بعده كلهم من ذريته ، ولم يجعل من نسل غيره من أولاد الرشيد خليفة .

وقال سلم الخاسر في العهد للأمين :

قُلْ لِلْمَنَازِلِ بِالْكَثِيبِ الْأَغْفَرِ أَسْقَيْتِ غَادِيَةَ السَّحَابِ الْمُطْمَرِ
قَدْ بَايَعَ الثَّقَلَانِ مَهْدِيَّ الْهُدَى لِمُحَمَّدِ بْنِ زُبَيْدَةَ ابْنَةِ جَعْفَرِ

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٢٤٠ / ٨) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٢٧٥ - ٢٧٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٢٨٦ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٢١ / ١٢) .

(٤) تاريخ الطبري (٢٧٦ / ٨) .

قد وفق الله الخليفةَ إذ بنى بيتَ الخلافةِ للهجانِ الأزهرِ
فهو الخليفةُ عن أبيه وجدّه شهداً عليه بمنظرٍ وبمخبرٍ
فحشت زبيدة فاه جوهراً ، باعه بعشرين ألف دينار^(١) .

فَضْلُكَ

في نبذ من أخبار الرشيد

عفا الله عنه

أخرج السلفي في « الطيوريات » بسنده عن ابن المبارك قال : (لما أفضت الخلافة إلى الرشيد . . وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي ، فأرادها على نفسها ، فقالت : لا أصلح لك ، إن أباك قد أطاف بي ، فشغف بها ، فأرسل إلى أبي يوسف فسأله : أعندك في هذا شيء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أوكلما ادعت أمة شيئاً ينبغي أن تصدق ؟ ! لا تصدقها ؛ فإنها ليست بمأمونة) .

قال ابن المبارك : (فلم أدر ممن أعجب ؛ من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتخرج عن حرمة أبيه ، أو من هذه الأمة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين ، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيهما قال : اهتك حرمة أبيك ، واقض شهوتك ، وصيرهُ في رقبتى ؟ !) .

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن يوسف قال : قال الرشيد لأبي يوسف : (إني اشتريتُ جاريةً وأريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء ، فهل عندك حيلة ؟ قال : نعم ؛ تهبها لبعض ولدك ، ثم تتزوجها .

[ذكاء أبي يوسف القاضي]

وأخرج عن إسحاق بن راهويه قال : (دعا الرشيد أبا يوسف ليلاً فأفتاه ، فأمر له بمئة ألف درهم ، فقال أبو يوسف : إن رأى أمير المؤمنين . . أمر بتعجيلها قبل

(١) تاريخ الإسلام (١١/١٤٤) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

الصبح ؟ فقال : عَجَّلوها ، فقال بعض من عنده : إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة ؟ فقال أبو يوسف : قد كانت الدروب مغلقة حين دعا بي ، ففُتحت !!) .

[رؤيا فيها بشارة للرشيد]

وأسند الصولي : عن يعقوب بن جعفر قال : (خرج الرشيد في السنة التي ولي الخلافة فيها حتى غزا أطراف الروم ، وانصرف في شعبان ، فحج بالناس آخر السنة ، وفرّق بالحرمين مالا كثيرا ، وكان رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ، فقال له : « إن هذا الأمر صائرٌ إليك في هذا الشهر ؛ فاغزُ وحج ، ووسّع على أهل الحرمين » ففعل هذا كله) .

[الخليفة الرشيد والشعر]

وأسند عن معاوية بن صالح ، عن أبيه قال : أول شعر قاله الرشيد : أنه حج سنة ولي الخلافة ، فدخل داراً ؛ فإذا في صدر بيتٍ منها بيتٌ من شعرٍ قد كُتب على حائط :

أَلَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمَا تَرَى فَدَيْتُكَ هَجْرَانَ الْحَبِيبِ كَبِيرَا

فدعا بدواة وكتب تحته بخطه :

بَلَى وَالْهَدَايَا الْمُشْعَرَاتِ وَمَا مَشَى بِمَكَّةَ مَرْقُوعَ الْأَظْلِّ حَسِيرَا

وأخرج عن سعيد بن سلم قال : كان فهم الرشيد فهم العلماء ، أنشده العُماني في صفة فرس :

كَأَن أُذْنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَّفَا

فقال الرشيد : دع (كأن) وقل : (تخال أذنيه) حتى يستوي الشعر^(١) .

وأخرج عن عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع قال : حلف الرشيد ألا يدخل

(١) انظر « تاريخ بغداد » (٥ / ٢٧٠) ، والعُماني : هو محمد بن ذؤيب بن محمد ، أبو العباس .

إلى جارية له أياماً ، وكان يحبها ، فمضت الأيام ولم تسترضه فقال : [من الرمل]

صَدَّ عَنِّي إِذْ رَأَيْتَنِي مُفْتَتَنٌ وَأَطَالَ الصَّبْرَ لَمَّا أَنْ فَطَنُ
كَانَ مَمْلُوكِي فَأَضْحَى مَالِكِي إِنَّ هَذَا مِنْ أَعَاجِبِ الزَّمَنِ

ثم أحضر أبا العتاهية فقال : أجزهما ، فقال^(١) :

عِزَّةُ الْحَبِّ أَرَّتَهُ ذِلَّتِي فِي هَوَاهُ وَلَهُ وَجْهٌ حَسَنٌ
فلهَذَا صِرْتُ مَمْلُوكاً لَهُ وَلِهَذَا شَاعَ مَا بِي وَعَلَنُ

[محاورة بين الخليفة الرشيد وزنديق]

وأخرج ابن عساكر عن ابن علي قال : (أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه ، فقال له الزنديق : لِمَ تضرب عنقي ؟ قال : أريح العباد منك ، قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كلها ما فيها حرف نطق به ؟! قال : فأين أنت يا عدو الله من : أبي إسحاق الفزاري ، وعبد الله بن المبارك ينخلانها ، فيخرجانها حرفاً حرفاً ؟!)^(٢) .

[محبة الرشيد لآل البيت]

وأخرج الصولي عن إسحاق الهاشمي قال : (كنا عند الرشيد فقال : بلغني أن العامة يظنون بي بغض علي بن أبي طالب ، ووالله ؛ ما أحب أحداً حبي له ، ولكن هؤلاء أشد الناس بغضاً لنا وطعنأ علينا ، وسعيأ في فساد ملكنا بعد أخذنا بثأرهم ، ومساهمتنا إياهم ما حويناها ؛ حتى إنهم لأميل إلى بني أمية منهم إلينا ، فأما ولده لصلبه .. فهم سادة الأهل ، والسابقون إلى الفضل ، ولقد حدثني أبي المهدي ، عن أبيه المنصور ، عن محمد بن علي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحسن والحسين : « مَنْ

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٧١) .

(٢) تاريخ دمشق (١٢٧ / ٧) .

أَحَبَّهُمَا . . فقد أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا . . فقد أَبْغَضَنِي » ، وسمعه يقول :
« فاطمةُ سيدةُ نساءِ العالمينَ غيرَ مريمَ بنتِ عِمْرانَ وآسيةَ بنتِ مُزاحِمٍ » .

[مَلِكٌ قِيمَتُهُ شَرْبَةُ مَاءٍ]

روي : (أن ابن السَّمَّاك دخل على الرشيد يوماً ، فاستسقى ، فأُتِيَ بكوز ،
فلما أخذه . . قال : على رسلِك يا أمير المؤمنين ؛ لو مُنعت هذه الشربة . . بكم
كنت تشربها ؟

قال : بنصف ملكي ، قال : اشرب هناك الله ، فلما شربها . . قال : أسألك
لو مُنعت خروجها من بدنك . . بماذا كنت تشترى خروجها ؟ قال : بجميع
ملكِي ، قال : إن ملكاً قِيمَتُهُ شربةُ ماءٍ لجدير ألا ينافس فيه ، فبكى هارون ^(١) .

[موعظة شيبان للرشيد]

وقال ابن الجوزي : (قال الرشيد لشيبان : عظمي ، قال : لأن تصحب من
يخوِّفك حتى يدركك الأمن . . خيرٌ لك من أن تصحب من يؤمِّنك حتى يدركك
الخوف .

فقال الرشيد : فسَّر لي هذا ، قال : من يقول لك : أنت مسؤول عن الرعية
فاتقِ الله . . أنصحُ لك ممن يقول : أنتم أهل بيت مغفور لكم ، وأنتم قرابة
نبيكم ، فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله ^(٢) .

وفي كتاب « الأوراق » للصولي بسنده : (لما ولي الرشيد الخلافة ،
واستوزر يحيى بن خالد . . قال إبراهيم الموصلي ^(٣) :

[من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا أَتَى هَارُونَ أَشْرَقَ نَوْرُهَا
تَلَبَّسَتِ الدُّنْيَا جَمَالاً بِمَلِكِهِ فَهَارُونَ وَالْيَهَا وَيَحْيَى وَزَيْرُهَا

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٣٥٧/٨) .

(٢) المنتظم (٢٨٥/١٠) .

(٣) البيهقي « تاريخ الطبري » (٢٣٣/٨) .

فأعطاه مئة ألف درهم ، وأعطاه يحيى خمسين ألفاً) .

ولداود بن رَزِين الواسطي فيه ^(١) :

[من الطويل]

بهارونَ لاحَ النورُ في كلِّ بلدةٍ وقامَ به في عدلِ سيرتهِ النهجُ
إمامٌ بذاتِ الله أصبحَ شغلُهُ فأكثرُ ما يُعنى به الغزوُ والحجُّ
تضيّقُ عيونُ الخلقِ عن نورِ وجهه إذا ما بدَا للناسِ منظرُهُ البلجُ
تفسحتِ الآمالُ في جودِ كفِّه وأعطى الذي يَرجوه فوقَ الذي يَرجو

[من ارتحل من الخلفاء للسمع]

وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله : (ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد ؛ فإنه رحل بولديه : الأمين والمأمون لسمع « الموطأ » على مالك رحمه الله ، قال : وكان أصل « الموطأ » بسمع الرشيد في خزانة المصريين .

قال : ثم رحل لسماعه السلطان صلاح الدين بن أيوب إلى الإسكندرية ، فسمعه على أبي طاهر بن عوف ، ولا أعلم لهما ثالثاً !!) .

ولمنصور النَّمري فيه :

[من الكامل]

جعلَ القرآنَ إمامَه ودليلَه لما تَخَيَّرَه القرآنُ إماما

وله فيه من قصيدة ^(٢) :

[من البسيط]

إنَّ المكارمَ والمعروفَ أوديةً أحلَّك الله منها حيثَ تجتمعُ

فيقال : إنه أجازه عليها بمئة ألف .

(١) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٢٣٤ / ٨) ، ولفظ البيت الرابع :

وإنَّ أمينَ الله هارونَ ذا النَّدَى يُنيلُ الذي يَرجوه أضعافَ ما يَرجو

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

وقال الحسين بن فهم : كان الرشيد يقول : مِنْ أَحَبِّ مَا مُدِحْتُ بِهِ إِلَيَّ : [من

السيط]

أبو أمين ومأمون ومؤتمنٍ أكرم به والدأ برأ وما ولدا

وقال إسحاق الموصلي : (دخلت على الرشيد فأنشدته : [من الطويل]

وأمره بالبخل قلت لها أقصري فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الجواد ولا أرى بخيلاً له في العالمين خليل
وإنني رأيت البخل يُزري بأهله فأكرم نفسي أن يقال بخيل
ومن خير حالات الفتى لو علمته إذا نال شيئاً أن يكون يُنيل
عطائي عطاء المكثرين تكرماً ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ورأيي أمير المؤمنين جميل

فقال : لا ، كيف إن شاء الله ، يا فضل ؛ أعطه مئة ألف درهم ، الله درأ أبيات
يأتينا بها ، ما أجود أصولها وأحسن فصولها !! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛
كلامك أحسن من شعري ، فقال : يا فضل ؛ أعطه مئة ألف أخرى (١) .

وفي « الطيوريات » بسنده إلى إسحاق الموصلي قال : قال أبو العتاهية لأبي
نؤاس : البيت الذي مدحت به الرشيد لوددت أني كنت سبقتك إليه (٢) : [من الكامل]
قد كنت خفتك ثم أمنتني من أن أخافك خوفك الله

[من أوليات الرشيد وشعره]

وقال محمد بن علي الخراساني : (الرشيد أول خليفة لعب بالصَّوَالِجَةِ
والكرة ، ورمى النشاب في البرجاس ، وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني
العباس) (٣) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (١٤ / ١٠) .

(٢) أخرج الخبر ابن عساكر في « تاريخه » (١٣ / ٤٢٠) ، والبيت في « ديوانه » (ص ٤٥٩) .

(٣) مروج الذهب (٢١٢ / ٥) ، والبرجاس : غرض في الهواء على رأس رمح ونحوه يرمى به .

وقال الصولي : (هو أول من جعل للمغنين مراتب وطبقات) .

ومن شعر الرشيد يرثي جاريته هيلانة - أورده الصولي - : [من السريع]

قَاسَيْتُ أَوْجَاعاً وَأَحْزَانَا لَمَّا اسْتَخَصَّ الْمَوْتُ هَيْلَانَا
فَارَقْتُ عَيْشِي حِينَ فَارَقْتُهَا فَمَا أَبَالِي كَيْفَ مَا كَانَ
كَانَتْ هِيَ الدُّنْيَا فَلَمَّا ثَوَتْ فِي قَبْرِهَا فَارَقْتُ دُنْيَانَا
قَدْ كَثُرَ النَّاسُ وَلَكِنِّي لَسْتُ أَرَى بَعْدَكَ إِنْسَانَا
وَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ مَا حَرَّكَتْ رِيحٌ بِأَعْلَى نَجْدٍ أَغْصَانَا

وله أيضاً - أنشده الصولي - : [من السريع]

يَا رَبَّةَ الْمَنْزِلِ بِالْفِرْكَ وَرَبَّةَ السُّلْطَانِ وَالْمُلْكَ
تَرْفَقَنِي بِاللَّهِ فِي قَتْلِنَا لَسْنَا مِنَ الدَّيْلَمِ وَالتُّرْكَ

[وفاة هارون الرشيد]

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان ، ودُفن بها في ثالث جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وتسعين ومئة ، وله خمس وأربعون سنة ، وصلى عليه ابنه صالح ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

قال الصولي : (خلف الرشيد : مئة ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار) .
والورق والدواب ما قيمته : مئة ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار) .

وقال غيره : (غلط جبريل بن بختيشوع على الرشيد في علته في علاج عالجه به كان سبب منيته ، فهم أن يفصل أعضائه ، فقال : أنظرني إلى غد ؛ فإنك تصبح في عافية ، فمات ذلك اليوم) .

وقيل : إن الرشيد رأى مناماً أنه يموت بطوس ، فبكى وقال : احفروا لي قبراً ، فحفر له ثم حمل في قبة على جمل ، وسيق به حتى نظر إلى القبر ، فقال : يا بن آدم ؛ تصير إلى هذا !! وأمر قوماً فنزلوا فحتموا فيه ختمة ، وهو في محفة على شفير القبر .

ولما مات . . بويج لولده الأمين في العسكر وهو حينئذ ببغداد ، فأتاه الخبر ،

فصلي بالناس الجمعة ، وخطب ونعى الرشيد إلى الناس ، وبايعوه ، وأخذ رجاء
الخادم البُرد والقضيب والخاتم ، وسار على البريد في اثني عشر يوماً من مرو حتى
قدم بغداد في نصف جمادى الآخرة ، فدفع ذلك إلى الأمين .

ولأبي الشَّيْص يرثي الرشيد^(١) :

غَرَبَتْ فِي الشَّرْقِ شَمْسٌ فَلَهَا عَيْنِي تَدْمَعُ
مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْساً غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

وقال أبو نواس جامعاً بين العزاء والهناء^(٢) :

جَرَّتْ جَوَارٍ بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ فَحَنُّ فِي مَأْتَمٍ وَفِي عَرَسٍ
الْقَلْبُ يَبْكِي وَالْعَيْنُ ضَاكِكَةٌ فَحَنُّ فِي وَحْشَةٍ وَفِي أُنْسٍ
يُضْحِكُنَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيُدِ كَيْنَا وَفَاةُ الْإِمَامِ بِالْأَمْسِ
بَدْرَانِ بَدْرٌ أَضْحَى بِبَغْدَادَ فِي الْ خُلْدِ وَبَدْرٌ بِطُوسَ فِي الرَّمْسِ

ومما^(٣) رواه الرشيد من الحديث

قال الصولي : حدثنا عبد الرحمن بن خلف ، حدثني جدي الحصين بن
سليمان الضبي : سمعت الرشيد يخطب ، فقال في خطبته : حدثني مبارك بن
فَصَّالَةَ ، عن الحسن ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » .

حدثني محمد بن علي عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن علي بن
أبي طالب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَظَّفُوا أَفْوَاهَكُمْ ؛ فَإِنَّهَا
طُرُقُ الْقُرْآنِ » .

(١) البيتان في ديوانه (ص ٨٤) .

(٢) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٣٦٤ / ٨) منسوبة لأبي نواس ، ونسبها ابن المعتز في « طبقات الشعراء »

(ص ٧٥) لأبي الشَّيْص ، وهي في ديوانه (ص ٦٨-٦٩) .

(٣) من هنا بدأ السقط من (ج) .

خلافة الأمين

[١٩٣-١٩٨هـ] (١)

محمد أبو عبد الله بن الرشيد ، كان ولي عهد أبيه ، فولّي الخلافة بعده ، وكان من أحسن الشباب صورة ، أبيض طويلاً جميلاً ، ذا قوة مفرطة ، وبطش وشجاعة ومعرفة ، يقال : إنه قتل مرة أسداً بيديه ، وله فصاحة وبلاغة ، وأدب وفضيلة ؛ لكن كان سيء التدبير ، كثير التبذير ، ضعيف الرأي ، أرعن لا يصلح للإمارة .

فأول ما بويع بالخلافة : أمر ثاني يوم ببناء ميدان جوار قصر المنصور للعب بالكرة .

[عزل القاسم وجعل العهد لموسى بن الأمين]

ثم في سنة أربع وتسعين : عزل أخاه القاسم عما كان الرشيد ولأه ، ووقعت الوحشة بينه وبين أخيه المأمون ، فقبل : إن الفضل بن الربيع علم أن الخلافة إذا أفضت إلى المأمون . . لم يُبق عليه ، فأغرى الأمين به ، وحثّه على خلعه ، وأن يولي العهد لابنه موسى .

ولما بلغ المأمون عزل أخيه القاسم . . قطع البريدية عن الأمين ، وأسقط اسمه من الطراز والضرب .

ثم إن الأمين أرسل إليه يطلب منه : أن يقدم موسى على نفسه ، ويذكر أنه قد سماه : الناطق بالحق ، فردّ المأمون ذلك وأباه ، وخامر الرسول معه وباعه بالخلافة سرّاً ، ثم كان يكتب إليه بالأخبار ويناصحه من العراق .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٤٧٨/٨) ، و« مروج الذهب » (٢٦١/٤) ، و« تاريخ بغداد » (٣٣٦/٣) ، و« المتنظم » (٢١٨/٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٨٠/١٣) ، و« البداية والنهاية » (٢٤١/١٠) .

ولما رجع وأخبر الأمين بامتناع المأمون.. أسقط اسمه من ولاية العهد ،
 وطلب الكتاب الذي كتبه الرشيد وجعله بالكعبة فأحضره ومزقه ، وقويت
 الوحشة .

[نصيحة أولي الرأي للأمين بعدم نقض العهد]

ونصح الأمين أولو الرأي ، وقال له خزيمة بن خازم^(١) : (يا أمير المؤمنين ؛
 لن ينصحك من كذبك ، ولن يغشك من صدقك ، لا تجرىء القواد على الخلع
 فيخلعوك ، ولا تحملهم على نكث العهد فينكثوا بيعتك وعهدك ؛ فإن الغادر
 مغلول ، والناكث مخذول ، فلم ينتصح ، وأخذ يستميل القواد بالعطاء)^(٢) .

وبايع بولاية العهد لابنه موسى ؛ ولقبه : (الناطق بالحق) وهو إذ ذاك طفل
 رضيع ، فقال بعض الشعراء في ذلك^(٣) :

أضاعَ الخلافةَ غشُّ الوزيرِ	وفسقَ الأميرَ وجهلُ المشيرِ
ففضلُ وزيرٍ وبكرُ مُشيرِ	يُريدان ما فيه حتفُ الأميرِ
لواطُ الخليفةِ أعجوبةٌ	وأعجبُ منه حلاقُ الوزيرِ
فهذا يدوسُ وهذا يُداسُ	كذاكَ لعمري خلافُ الأمورِ
فلو يستعفَّان هذا بِذاكِ	لكانا بعُرضَةٍ أمرٍ ستيَرِ
وأعجبُ من ذا وذا أننا	نُبايع للطفلِ فينا الصغيرِ
ومن ليسَ يُحسنَ غسلَ استِه	ولم يخلُ من بولِه حجرٌ ظنِرِ
ومما ذاكَ إلا بفَضْلِ وبكرِ	يُريدان طمسَ الكتابِ المنيرِ
وما ذانِ لولا انقلابُ الزَّما	ن في العيرِ هذان أم في النفيرِ ^(٤)

ولما تيقن المأمون خلعه.. تسمى بإمام المؤمنين ، وكوتب بذلك .

(١) في النسخ : (خازم بن خزيمة) ، وانظر ترجمته في « تاريخ بغداد » (٣٤١ / ٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢١ - ١٩ / ١٣) ، وانظر « تاريخ الطبري » (٣٧٤ - ٣٧٥) .

(٣) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٣٩٦ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٣ - ٢٤ / ١٣) بغير نسبة ، ونسبت في

« مروج الذهب » (٢٧١ / ٤) لعلي بن أبي طالب الأعمى .

(٤) إلى هنا انتهى السقط من (ج) .

[قتال ابن ماهان لجند المأمون]

وولَّى الأمين علي بن عيسى بن ماهان بلاد الجبال : همدان ونهاوند ، وقُم وأصبهان ، في سنة خمس وتسعين ، فخرج علي بن عيسى من بغداد في نصف جمادى الآخرة ومعه الجيش لقتال المأمون أربعون ألفاً ، في هيئة لم يُر مثلاً ، وأخذ معه قيدَ فضة ليقيد به المأمون بزعمه .

فأرسل المأمون لقتاله طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف ، فكانت الغلبة له ، وذُبح علي ، وهُزم جيشه ، وحُملت رأسه إلى المأمون ، فطيفَ بها في خراسان ، وسُلم على المأمون بالخلافة .

وجاء الخبر إلى الأمين وهو يتصيد السمك ، فقال للذي أخبره : (ويلك !! دعني ؛ فإن كوثرأ قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً بعد)^(١) .

[حصار بغداد وخوف أهلها]

وقال عبد الله بن صالح الجَرَمي : لما قتل علي . . أرجف الناس ببغداد إرجافاً شديداً ، وندم الأمين على خلعه أخاه ، وطمع الأمراء فيه ، وشغبوا جندهم بطلب الأرزاق من الأمين ، واستمر القتال بينه وبين أخيه ، وبقي أمر الأمين كل يوم في إدبار ؛ لانهماكه في اللعب والجهل ، وأمر المأمون في ازدياد إلى أن بايعه أهل الحرمين وأكثر البلاد بالعراق .

وفسد الحال على الأمين جداً ، وتلف أمر العسكر ، ونفدت خزائنه ، وساءت حال الناس بسبب ذلك ، وعظم الشر ، وكثر الخراب والهدم من القتال ورمي المجانيق والنفط ؛ حتى درست محاسن بغداد ، وعملت فيها المراثي ، ومن جملة ما قيل في بغداد^(٢) :

بكِتْ دَمًا عَلَى بَغْدَادَ لَمَّا فَقَدْتُ غَضَارَةَ الْعِيشِ الْأَنْيَقِ
أَصَابَتْهَا مِنَ الْحَسَادِ عَيْنٌ فَأَفْنَتْ أَهْلَهَا بِالْمَنْجِنِقِ

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٣٩٥-٣٩٠ / ٨) .

(٢) البيتان من قصيدة أوردها الطبري في « تاريخه » (٤٥٧ / ٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٠ / ١٣) .

ودام حصار بغداد خمسة عشر شهراً ، ولحق غالبُ العباسيين وأركانُ الدولة بجند المأمون ، ولم يبقَ مع الأمين يقاتل عنه إلا غوغاء بغداد والحرافشة ، إلى أن استهلّت سنة ثمان وتسعين : فدخل طاهر بن الحسين بغداد بالسيف قسراً ، فخرج الأمين بأمه وأهله من القصر إلى مدينة المنصور ، وتفرق عامة جنده وغلماناه ، وقلَّ عليهم القوت والماء .

[سمر الأمين وشربه وتطيره وموته]

قال محمد بن راشد : (أخبرني إبراهيم بن المهدي : أنه كان مع الأمين بمدينة المنصور ، قال : فطلبني ليلة فأتيت ، فقال : ما ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر وضوءه في الماء ، فهل لك في الشراب ؟ فقلت : شأنك ، فشربنا ، ثم دعا بجارية اسمها ضعف ، فتطيرت من اسمها ، فأمرها أن تغني ، فغنت بشعر النابغة الجعدي^(١) :

كليبٌ لعمري كان أكثرَ ناصِراً وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدم

فتطير بذلك ، وقال : غني غير هذا ، فغنت :

أبكى فراقهم عيني فأرقها إن التفرُّقَ لأحبابٍ بكاءً
ما زال يعدو عليهم ريبُ دهرهم حتى تَفَانُوا وريبُ الدهرِ عذاءً
فاليومَ أبكيهم جهدي وأندبهم حتى أَوُوبَ وما في مُقْلَتِي ماءً

فقال لها : لعنك الله ، أما تعرفين غير هذا ؟! فقالت : ظننت أنك تحب

هذا ، ثم غنت :

أما وربُّ السكونِ والحركِ إنَّ المنايا كثيرةُ الشَّرِكِ
ما اختلفَ الليلُ والنَّهارُ ولا دارَتْ نجومُ السماءِ في الفَلَكِ
إلا لنقلِ السلطانِ عن مَلِكِ قد زالَ سُلْطَانُهُ إِلَى مَلِكِ
وملكُ ذي العرشِ دائمٌ أبداً ليسَ بفانٍ ولا بمشْتَرِكِ

(١) البيت في « ديوانه » (ص ١٦٦) .

فقال لها : قومي لعنك الله ، فقامت فعثرت في قدح بلّور له قيمة فكسرتة ، فقال : ويحك يا إبراهيم !! أما ترى؟! والله ؛ ما أظن أمري إلا قد قرب ، فقلت : بل يطيل الله عمرك ، ويعز ملكك ، فسمعت صوتاً من دجلة : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ فوثب محمد مغتماً ، وقتل بعد ليلة أو ليلتين ؛ أخذ وحبس في موضع ، ثم أدخل عليه قوم من العجم ليلاً فضربوه بالسيف ، ثم ذبحوه من قفاه ، وذهبوا برأسه إلى طاهر ، فنصبها على حائط بستان ، ونودي : هذا رأس المخلوع محمد ، وجُرَّتْ جثته بحبل ، ثم بعث طاهر بالرأس والبرد والقضيب والمصلّى - وهو من سعف مبطن - إلى المأمون (١) .

واشتد على المأمون قتل أخيه ، وكان يحب أن يرسل إليه حياً ؛ ليرى فيه رأيه ، فحقد ذلك على طاهر بن الحسين ، وأهمله نسياً منسياً إلى أن مات طريداً بعيداً .

وصدق قول الأمين ؛ فإنه كان كتب بخطه رقعةً إلى طاهر بن الحسين لما انتدب لحربه فيها : (يا طاهر ؛ ما قام لنا منذ قمنا قائم بحقنا فكان جزاؤه عندنا إلا السيف ، فانظر لنفسك أو دع) ، يلوح بأبي مسلم وأمثاله الذين بذلوا نفوسهم في النصح لهم ، فكان مآلهم إلى القتل منهم .

[مما قيل في قتل الأمين]

ولإبراهيم بن المهدي في قتل الأمين (٢) :

[من السريع]

عُوجًا بِمَغْنَى طَلَلٍ دَائِرٍ	بِالْخُلْدِ ذَاتِ الصَّخْرِ وَالْآجِرِ
وَالْمَرَمَرِ الْمَسْنُونِ يُطْلَى بِهِ	وَالْبَابِ بَابِ الذَّهَبِ النَّاضِرِ
وَأَبْلَغَا عَنِّي مَقَالاً إِلَى الدِّ	مَوْلَى عَنِ الْمَأْمُورِ وَالْأَمْرِ
قُولاً لَهُ يَا بَنَ وَلِيِّ الْهُدَى	طَهَّرْ بِلَادَ اللَّهِ مِنْ طَاهِرِ

(١) تاريخ الإسلام (٦٢/١٣) .

(٢) الأبيات في « تاريخ الطبري » (٤٨٩/٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٦٣/١٣) .

لَمْ يَكْفِهِ أَنْ حَزَّ أوداجَه
حَتَّى أَتَى تُسْحِبُ أوصالَه
قَدْ بَرَدَ الموتُ عَلَى جَفْنِه
ومما قيل فيه (٢) :

ذَبَحَ الهَدَايا بِمُدَى الجَازِرِ
فِي شَطَنِ يَفْنَى بِهِ الشَائِرِ^(١)
فَطَرَفُه مِنْكَسِرُ النَّاظِرِ
[من الرمل]

لِمَ نُبَكِّكَ لَمَّاذَا لِلطَّرَبِ
وَلتَزِكِ الخَمْسِ فِي أوقَاتِهَا
وَشَنِيفِ أَنَا لَا أَبْكِي لَهُ
لَمْ تَكُنْ تَصْلُحُ لِلْمُلْكِ وَلَا
لِمَ نُبَكِّكَ لَمَّا عَرَضْتَنَا

يَا أَبَا مُوسَى وَتَرْوِيجِ اللَّعْبِ
حَرَصاً مِنْكَ عَلَى مَاءِ الْعِنَبِ
وَعَلَى كَوثرَ لَا أَخْشَى الْعَطَبِ
تُعْطِكَ الطَّاعَةَ بِالْمُلْكِ الْعَرَبِ
لِلْمَجَانِيقِ وَطَوْرًا لِلْسَّلَبِ

ولخزيمة بن الحسن على لسان زبيدة قصيدة يقول فيها (٣) :

أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهَّرَ اللهُ طَاهِرًا
فَأَخْرَجَنِي مَكشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا
يَعِزُّ عَلَى هَارُونَ مَا قَدْ لَقِيتُهُ
تَذَكَّرَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَرَاتِي

فَمَا طَاهِرٌ فِيمَا أَتَى بِمَطَهَّرِ
وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَأَحْرَقَ آدِرِي^(٤)
وَمَا مَرَّ بِي مِنْ نَاقِصِ الْخَلْقِ أَعُورِ
فَدَيْتُكَ مِنْ ذِي حُرْمَةٍ مَتَذَكَّرِ

[إسراف الأمين في بذل الأموال]

قال ابن جرير : (لما ملك الأمين . . ابتاع الخصيان ، وغالى بهم ، وصيرهم لخلوته ، ورفض النساء والجواري)^(٥) .

وقال غيره : (لما ملك . . وجّه إلى البلدان في طلب الملهمين ، وأجرى لهم الأرزاق ، واقتنى الوحوش والسباع والطيور ، واحتجب عن أهل بيته وامراته ،

(١) كذا في النسخ ، وفي « تاريخ الطبري » (٤٨٩ / ٨) : (يفني مدى السائر) .

(٢) الأبيات من قصيدة في « تاريخ الطبري » (٥٠٠ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٦٤ / ١٣) .

(٣) الأبيات من قصيدة ذكرها الطبري في « تاريخه » (٥٠٦ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٦٤ / ١٣) .

(٤) في « تاريخ الطبري » : (أدوري) .

(٥) تاريخ الطبري (٥٠٨ / ٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٦٥ / ١٣) .

واستخف بهم ، ومحقق ما في بيوت الأموال ، وضيع الجواهر والنفائس ، وبنى
عدة قصور للهو في أماكن (١) .

وأجاز مرة من غنى له :

هَجَرْتُكَ حَتَّى قَلَّتْ لَا يَعْرِفُ الْقَلَى وَزُرْتُكَ حَتَّى قَلَّتْ لَيْسَ لَهُ صَبْرٌ
بملاء زورقه ذهباً (٢) .

وعمل خمس حراقات على خلقه الأسد والفيل والعقاب والحية والفرس ،
وانفق في عملها أموالاً ، فقال أبو نواس (٣) :

سَخَّرَ اللَّهُ لِلْأَمِينِ مَطَايَا لَمْ تُسَخَّرْ لِصَاحِبِ الْمِحْرَابِ
فَإِذَا مَا رَكَابَهُ سِرْنَ بَرّاً سَارَ فِي الْمَاءِ رَاكِباً لَيْثَ غَابِ
أَسْداً بِأَسْطًى ذِرَاعِيهِ يَهْوِي أَهَرَّتْ الشَّدَقِ كَالْحِ الْأَنْيَابِ (٤)

قال الصولي : (حدثنا أبو العيناء ، حدثنا محمد بن عمرو الرومي قال :
خرج كوثر خادم الأمين ليرى الحرب ، فأصابته رجمة في وجهه ، فجعل الأمين
يمسح الدم عن وجهه ، ثم قال :

ضَرَبُوكُمَا قَرَّةَ عَيْنِي وَمِنْ أَجَلِي ضَرَبُوكُمَا
أَخَذَ اللَّهُ لِقَلْبِي مِنْ أَنْاسٍ أَحْرَقُوكُمَا

ولم يقدر على زيادة ، فأحضر عبد الله بن أيوب التيمي الشاعر فقال له : قل
عليهما ، فقال :

مَا لِمَنْ أَهْوَى شَيْئُهُ فَبِهِ الدُّنْيَا تَتِيهُ
وَصَلُّهُ حَلْوٌ وَلَكِنْ هَجَرُهُ مَرٌّ كَرِيهُ

(١) تاريخ الطبري (٨/ ٥٠٨-٥٠٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٥) .

(٢) تاريخ الطبري (٨/ ٥٢٠-٥٢١) ، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٦٥-٦٦) .

(٣) تاريخ الطبري (٨/ ٥٠٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٣/ ٦٥) ، والحراقات : جمع حرقاة ، وهي
سفن خفيفة فيها مراحي النيران يرمى بها العدو .

(٤) أهرت : واسع الشدق .

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ الْفَضْلُ لَّ عَلَيْهِمْ حَسَدُهُ
 مَثَلُ مَا قَدْ حَسَدَ الْقَا ثُمَّ بِالْمُلْكِ أَخُوهُ
 فأوقر له ثلاث بغال دراهم (١) .

فلما قُتل الأمين . . جاء التيمي إلى المأمون ، وامتدحه فلم يأذن له ، فالتجأ إلى الفضل بن سهل فأوصله إلى المأمون ، فلما سلم عليه . . قال : (هيه يا تيمي :

مثل ما قد حسد القا ثم بالملك أخوه
 فقال التيمي :

[من مجزوء الرمل]

نُصِرَ الْمَأْمُونُ عَبْدُ اللَّهِ لَهُ لَمَّا ظَلَمُوهُ
 نَقَضَ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ كَانَ قَدْ مَأْكَدُوهُ
 لَمْ يُعَامِلْهُ أَخُوهُ بِالَّذِي أَوْصَى أَبُوهُ
 فعفا عنه ، وأمر له بعشرة آلاف درهم (٢) .

وقيل : إن سليمان بن منصور رفع إلى الأمين : أن أبا نواس هجاه ، فقال : يا عم ؛ أقتله بعد قوله (٣) :

[من الكامل]

أَهْدِي الشَّنَاءَ إِلَى الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ مَا بَعْدَهُ بِتِجَارَةٍ مَتَرَبَّصُ
 صَدَقَ الشَّنَاءُ عَلَى الْأَمِينِ مُحَمَّدٍ وَمِنَ الشَّنَاءِ تَكْذُوبٌ وَتَخْرُصُ
 قَدْ يَنْقُصُ الْبَدْرُ الْمَنِيرُ إِذَا اسْتَوَى وَبِهَاءِ نَوْرِ مُحَمَّدٍ مَا يَنْقُصُ
 وَإِذَا بَنُو الْمَنْصُورِ عُدَّ خِصَالُهُمْ فَمُحَمَّدٌ يَأْقُوتُهَا الْمُتَخَلِّصُ

قال أحمد ابن حنبل : (إني لأرجو أن يرحم الله الأمين بإنكاره على إسماعيل ابن علي ؛ فإنه أدخل عليه فقال له : يا بن الفاعلة ؛ أنت الذي تقول : كلام الله مخلوق ؟) (٤) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣٣٩) من طريق الصولي .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٢ - ٢٢٣) من طريق الصولي .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣٤٠) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٤٢٣) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٩ / ١١٢) .

[فكائلا]

[فيمن ولي وهو هاشمي ابن هاشمية]

قال المسعودي : (ما ولي الخلافة إلى وقتنا هذا هاشمي ابن هاشمية : سوى علي بن أبي طالب ، وابنه الحسن ، والأمين ؛ فإن أمه : زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور ، واسمها : أمة العزيز ، وزبيدة : لقب لها)^(١) .

وقال إسحاق الموصلي : (اجتمع في الأمين خصائل لم تكن في غيره : كان أحسن الناس وجهاً وأسخاهم ، وأشرف الخلفاء أباً وأماً ، حسن الأدب ، عالماً بالشعر ، لكن غلب عليه الهوى واللعب ، وكان مع سخائه بالمال بخيلاً بالطعام جداً) .

وقال أبو الحسن الأحمر : (كنت ربما أنسيْتُ البيت الذي يستشهد به في النحو ، فينشدنيه الأمين ، وما رأيت في أولاد الملوك أذكى منه ومن المأمون) .
كان قتله في المحرم : سنة ثمان وتسعين ومئة ، وله سبع وعشرون سنة .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأعلام : إسماعيل ابن علي ، وغندر ، وشقيق البلخي الزاهد ، وأبو معاوية الضير ، ومؤرّج السدوسي ، وعبد الله بن كثير المقرئ ، وأبو نواس الشاعر ، وعبد الله بن وهب صاحب مالك ، وورّش المقرئ ، ووكيع ، وآخرون .

وقال علي بن محمد النوفلي وغيره : (لم يدع : للسفاح ، ولا للمنصور ، ولا للمهدي ، ولا للهادي ، ولا للرشيد على المنابر بأوصافهم ، ولا كُتبت في كتبهم حتى ولي الأمين ، فدعي له بالأمين على المنابر ، وكتب عنه : من عبد الله محمد الأمين أمير المؤمنين) .

(١) مروج الذهب (٤/ ٢٧٠) ، وتاريخ الإسلام (١٣/ ٣٨٢) .

وكذا قال العسكري في « الأوائل » : (أول من دعي له بلقبه على المنابر : الأمين)^(١) .

[من شعر الأمين]

ومن شعر الأمين يخاطب أخاه المأمون ويعيره بأمه ، لما بلغه عنه أنه يعدد مثالبه ، ويفضل نفسه عليه - أنشده الصولي - : [من الكامل]

لا تفخرنَّ عليك بعدُ بقيَّةُ والفخرُ يكملُ للفتى المتكاملِ
وإذا تطاولتِ الرِّجالُ بفضْلِها فازبَحَ فإنَّكَ لستَ بالمتطاولِ
أعطاكُ جدك ما هويت وإنَّما تلقى خلافَ هواك عندَ مراجلِ
تعلو المنابرَ كلَّ يومٍ آملاً ما لستَ من بعدي إليه بواصلِ
فتعيبُ مَنْ يعلو عليك بفضلهِ وتُعيدُ في حقِّي مقالَ الباطلِ
قلت : هذا نظمٌ عالٍ ، فإن كان له . . فهو أحسن من نظم أخيه وأبيه .

قال الصولي : ومما رواه جماعة له في خادمه كوثر ، وقد سقاه وهو على بساط نرجس ، والبدر قد طلع ، وقد رواه بعضهم للحسين بن الضحاك الخليع وكان نديمه لا يفارقه^(٢) : [من الخفيف]

وصفَ البدرُ حسنَ وجهك حتَّى خلْتُ أني أراكُ وما أراكا
وإذا ما تنفَّسَ النِّرجِسُ الغَـ ضَّ توهَّمُته نسيماً ثناكا
خُدَعُ للمُنَى تعلَّلني في ك بإشراقِ ذا ونكهةِ ذاكا
لأقيمَنَّ ما حييتُ على الشُّك رٍ لهذا وذاك ؛ إذ حَكَاكا
وله في خادمه كوثر أيضاً^(٣) :

[من مجزوء الرمل]

ما يُريدُ الناسُ مِن صـ بَّ بمن يَهوى كُثيب

(١) الأوائل (ص ١٨٣) .

(٢) الأبيات في « الأغاني » (١٨٧ / ٧) ، وفيه : (وما أراك أراكا) ، وفي (أ ، ب ، د) : (أراك أو ما أراكا) ، والمثبت وإن كان فيه شكل إلا أنه أوفق بالمعنى .

(٣) الأبيات في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣٤٢) ، و « تاريخ دمشق » (٥٦ / ٢٢١) من طريق الصولي .

كَوْثَرُ دِينِي وَدُنْيَا ي وَسُقْمِي وَطَبِيبِي
أَعْجَزُ النَّاسِ الَّذِي يَلِدُ حَتَّى مُجْبَأً فِي حَيْبٍ

وله لما يئس من الملك وعلا عليه طاهر : [من مجزوء الرجز]

يَا نَفْسُ قَدْ حَقَّ الْحَذَرُ أَيْنَ الْمَفَرِّ مِنَ الْقَدَرِ
كُلُّ أَمْرٍ مِمَّا يَخَا فُ وَيَرْتَجِيهِ عَلَى خَطَرِ
مَنْ يَرْتَشِفُ صَفْوَ الزَّمَا نِ يَغْصَنُ يَوْمًا بِالْكَدَرِ

[رسالة الأمين إلى طاهر بن الحسين]

وأسند الصولي : أن الأمين قال لكتابه : (اكتب : من عبد الله محمد أمير المؤمنين إلى طاهر بن الحسين ، سلام عليك ، أما بعد : فإن الأمر قد خرج بيني وبين أخي إلى هتك الستور وكشف الحرم ، ولست آمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد ؛ لثنات ألفتنا ، واختلاف كلمتنا ، وقد رضيت أن تكتب إليّ أماناً ؛ لأخرج إلى أخي ، فإن تفضل عليّ . . فأهل ذلك ، وإن قتلني . . فمروءة كسرت مروءة ، وصمصامة قطعت صمصامة ، ولأن يفترسني السبع أحب إليّ من أن ينبحني الكلب !! فأبى طاهر عليه) .

وأسند عن إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي قال : (كان أبي يكلم الأمين والمأمون بكلام يتفصحن به ، ويقول : كان أولاد الخلفاء من بني أمية يخرج بهم إلى البدو حتى يتفصحو ، وأنتم أولى بالفصاحة منهم) .

[حديث واحد من رواية الأمين]

قال الصولي : ولا نعرف للأمين رواية في الحديث إلا هذا الحديث الواحد : حدثنا المغيرة بن محمد المهلب قال : رأيت عند الحسين بن الضحاك جماعة من بني هاشم فيهم بعض أولاد المتوكل ، فسألوه عن الأمين وأدبه ، فوصف الحسين أدباً كثيراً ، قيل : فالفقه ؟ قال : كان المأمون أفقه منه ، قيل : فالحديث ؟ قال : ما سمعت منه حديثاً إلا مرة ؛ فإنه نُعي إليه غلام له مات بمكة ، فقال :

حدثني أبي ، عن أبيه ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن علي بن عبد الله بن عباس ، عن أبيه : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ مَاتَ مُحَرَّمًا .. حُشِرَ مُلَبًّا »^(١) .

[امراتان تعلقت الخلفاء بهما]

قال الثعالبي في « لطائف المعارف » : (كان أبو العيناء يقول : لو نشرت زبيدة ضفائرها .. ما تعلقت إلا بخليفة أو ولي عهد ؛ فإن المنصور : جدُّها ، السفاح : أخو جدُّها ، المهديُّ : عمها ، الرشيد : زوجها ، الأمين : ابنها ، المأمون والمعتصم : ابنا زوجها ، والواثق والمتوكل : ابنا ابن زوجها ، وأما ولاية العهد .. فكثيرة .

ونظيرتها من بني أمية : عاتكة بنت يزيد بن معاوية ؛ يزيد : أبوها ، ومعاوية : جدُّها ، ومعاوية بن يزيد : أخوها ، ومروان بن الحكم : حموها ، وعبد الملك : زوجها ، ويزيد : ابنها ، والوليد بن يزيد : ابن ابنها ، والوليد وهشام وسليمان : بنو زوجها ، ويزيد وإبراهيم ابنا الوليد : ابنا ابن زوجها)^(٢) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣٣٨) .

(٢) لطائف المعارف (ص ٨١ - ٨٢) ، دون قوله : (والواثق والمتوكل ابنا ابن زوجها ، وأما ولاية العهد .. فكثيرة) .

خلافته المأمون

[١٩٨-٢١٨هـ] ^(١)

عبد الله أبو العباس بن الرشيد ، ولد سنة سبعين ومئة ، في ليلة الجمعة ، منتصف ربيع الأول ؛ وهي الليلة التي مات فيها الهادي واستخلف أبوه ، وأمه : أم ولد ، اسمها : مراجل ، ماتت في نفاسها به ، وقرأ العلم في صغره .

وسمع الحديث من أبيه ، وهُشيم ، وعَبَّاد بن العوام ، ويوسف بن عطية ، وأبي معاوية الضير ، وإسماعيل ابن علي ، وخجاج الأعور وطبقتهم .

وأدَّبه اليزيدي ^(٢) ، وجمع له الفقهاء من الآفاق ، وبرع في الفقه والعربية وأيام الناس ، ولما كبر . . عني بالفلسفة وعلوم الأوائل ومهر فيها ، فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن .

روى عنه : ولده الفضل ، ويحيى بن أكثم ، وجعفر بن أبي عثمان الطَّيَّالسي ، والأمير عبد الله بن طاهر ، وأحمد بن الحارث الشيعي ، ودِغْبَل الخُزاعي ، وآخرون .

وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً ، وحلماً وعلماً ، ورأياً ودهاء ، وهيبة وشجاعة ، وسؤدداً وسماحة ، وله محاسن وسيرة طويلة لولا ما أتاه من محنة الناس في القول بخلق القرآن ، ولم يلِ الخلافة من بني العباس أعلم منه ، وكان فصيحاً مفوّهاً .

وكان يقول : (معاوية بعمره ، وعبد الملك بحجَّاجه ، وأنا بنفسي) ^(٣) .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٦٤٦/٨) ، و« مروج الذهب » (٢٩٩/٤) ، و« تاريخ بغداد » (١٨٣/١٠) ، و« المنتظم » (٤٩/١٠) ، و« تاريخ دمشق » (٢٧٥/٣٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٢٥/١٥) ، و« الوافي بالوفيات » (٥٥٦/١٧) ، و« البداية والنهاية » (٢٧٤/١٠) .

(٢) هو : يحيى بن المبارك ، أبو محمد ، شيخ القراء .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٩٠/١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٦/٣٣) .

وكان يقال : (لبني العباس : فاتحة ، وواسطة ، وخاتمة ؛ فالفاتحة : السفاح ، والواسطة : المأمون ، والخاتمة : المعتضد) .

وقيل : (إنه ختم في بعض الرمضانات ثلاثاً وثلاثين ختمة) .

وكان معروفاً بالتشيع ، وقد حمّله ذلك على خلع أخيه المؤتمن ، والعهد بالخلافة إلى علي الرضا ؛ كما سنذكره^(١) .

قال أبو معشر المنجم : (كان المأمون أماراً بالعدل ، فقيه النفس ، يعدُّ من كبار العلماء)^(٢) .

وعن الرشيد قال : (إنني لأعرف في عبد الله : حزم المنصور ، ونسك المهدي ، وعزة الهادي ، ولو أشاء أن أنسبه إلى الرابع - يعني : نفسه - . . . لنسبته ؛ وقد قدمت محمداً عليه وإنني لأعلم أنه منقادٌ إلى هواه ، مبذراً لما حوته يده ، يشاركه في رأيه الإماء والنساء ، ولولا أم جعفر وميل بني هاشم إليه . . . لقدمت عبد الله عليه)^(٣) .

استقل المأمون بالأمر بعد قتل أخيه : سنة ثمان وتسعين وهو بخراسان ، واكتنى بأبي جعفر .

قال الصولي : (وكانوا يحبون هذه الكنية ؛ لأنها كنية المنصور ، وكان لها في نفوسهم جلالة وتفاؤل بطول عمر من كني بها ؛ كالمنصور والرشيد) .

ففي هذه السنة : (٤) .

(١) انظر ما سيأتي (ص ٤٨٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٧٩ / ١٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧٩ / ١٠) .

(٤) بياض في النسخ ، وجاء في « تاريخ الإسلام » (١٣ / ٥٥ - ٦٧) : (وفي هذه السنة - ثمان وتسعين ومئة - : استولى طاهر بن الحسين علي بغداد ، وأسر الأمين ، وفيها : قتل ، وفيها : وثب الجند بطاهر ، وفيها : استولى محمد بن صالح بن يونس الكلابي على دمشق ، وفيها : استعمل المأمون الحسن بن سهل على ما افتتحه طاهر بن الحسين من كُور الجبال والعراق ، والحجاز واليمن) .

[خلع المؤمن وتولية علي الرضا والخلاف في ذلك]

وفي سنة إحدى ومئتين : خلع أخاه المؤمن من العهد ، وجعل ولي العهد من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حملة علي ذلك : إفراطه في التشيع ، حتى قيل : إنه همَّ أن يخلع نفسه ويفوض الأمر إليه ، وهو الذي لقبه : الرضا ، وضرب الدراهم باسمه ، وزوجه ابنته ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، وأمر بترك السواد ولبس الخضرة ، فاشتد ذلك على بني العباس جداً ، وخرجوا عليه وبايعوا إبراهيم بن المهدي ، ولقب : المبارك ، فجهز المأمون لقتاله ، وجرت أمور وحروب .

وسار المأمون إلى نحو العراق ، فلم ينشب علي الرضا أن مات في سنة ثلاث ، فكتب المأمون إلى أهل بغداد يعلمهم أنهم إنما نقموا عليه بيعته لعلي وقد مات ، فردوا جوابه أغلظ جواب ، فسار المأمون ، وبلغ إبراهيم بن المهدي تسلل الناس من عهده ، فاختم في ذي الحجة ، فكانت أيامه ستين إلا أياماً ، وبقي في اختفائه مدة ثمان سنين .

ووصل المأمون بغداد في صفر ، سنة أربع ، فكلمه العباسيون وغيرهم في العود إلى لبس السواد وترك الخضرة ، فتوقف ، ثم أجاب إلى ذلك .

وأسند الصولي : (أن بعض آل بيته قالت له : إنك على بر أولاد علي بن أبي طالب والأمر فيك . أقدر منك على برهم والأمر فيهم !! فقال : إنما فعلت ما فعلت ؛ لأن أبا بكر لما ولي . لم يول أحدًا من بني هاشم شيئاً ، ثم عمر ، ثم عثمان كذلك ، ثم ولي علي : فولى عبد الله بن عباس البصرة ، وعبيد الله اليمن ، ومعبداً مكة ، وقثم البحرين ، وما ترك أحدًا منهم حتى ولاه شيئاً ، فكانت هذه في أعناقنا حتى كافأته في ولده بما فعلت)^(١) .

[زواج المأمون ببوران]

وفي سنة عشر : تزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل ، وبلغ جهازها :

(١) أوردته في « مروج الذهب » (٢٢٦ / ٥) عن الصولي .

[أربعين تكة مجوهره ، وعشرة من صناديق جوهر من اللآلئ واليواقيت]^(١) ،
وقام أبوها بخلع القواد وكلفتهم مدة سبعة عشر يوماً ، وكتب رقاعاً فيها أسماء
ضياح له ونثرها على القواد والعباسيين ؛ فمن وقعت في يده رقعة باسم ضيعة . .
تسلمها ، ونثر صينية ملأى جوهرأ بين يدي المأمون عندما زفت إليه^(٢) .

وفي سنة إحدى عشرة : أمر المأمون بأن ينادى : (برئت الذمة ممن ذكر
معاوية بخير ، وأن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن
أبي طالب)^(٣) .

وفي سنة اثنتي عشرة : أظهر المأمون القول بخلق القرآن مضافاً إلى تفضيل
علي علي أبي بكر وعمر ، فاشمأزت النفوس منه ، وكاد البلد يفتتن ، ولم يلتئم
له من ذلك ما أراد ، فكف عنه إلى سنة ثمان عشرة^(٤) .

وفي سنة خمس عشرة : سار المأمون إلى غزو الروم ، ففتح حصن قُرة
عنوة ، وحصن ماجدة ، ثم سار إلى دمشق .

ثم عاد في سنة ست عشرة إلى الروم وافتتح عدة حصون ، ثم عاد إلى
دمشق ، ثم توجه إلى مصر ودخلها ، فهو أول من دخلها من الخلفاء العباسيين ،
ثم عاد في سنة سبع عشرة إلى دمشق والروم^(٥) .

(١) ما بين معكوفين زيادة من (و) ، وفي (ط) : (جهازها ألوفاً كثيرة) ، وفي باقي النسخ بياض .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٩ / ١٤ - ٣٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥ / ١٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (٨ / ١٥) .

(٥) تاريخ الإسلام (١٥ / ١٥) .

[امتحان الناس بالقول بخلق القرآن]

وفي سنة ثمان عشرة : امتحن الناس بالقول بخلق القرآن ، فكتب إلى نائبه على بغداد : إسحاق بن إبراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتاباً يقول فيه : وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة ؛ ممن لا نظر له ولا روية ، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه . . أهل جهالة بالله وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه ، وقصور : أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ؛ وذلك أنهم ساووا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا على : أنه قديم لم يخلقه الله ويخترعه ، وقد قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ فكل ما جعله الله . . فقد خلقه ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ﴾ فأخبر أنه قصص لأمر أحدثه بعدها ، وقال تعالى : ﴿ أَخْرَجْنَا مِنْهُ ثَمُ فَضِّلَتْ ﴾ والله محكم كتابه ومفصله ؛ فهو خالقه ومبتدعه .

ثم انتسبوا إلى السنة ، وأنهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك ، وغرروا به الجهال ؛ حتى مال قوم من أهل السمّ الكاذب والتخشع لغير الله إلى موافقتهم ، فنزعوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالهم . . . إلى أن قال :

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ؛ المنقوصون من التوحيد حظاً ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان إبليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه من أهل دين الله ، وأحق أن يتهم في صدقه ، وتطرح شهادته ولا يوثق به . . من عمي عن رشده وحظه من الإيمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلاً ، ولعمر أمير المؤمنين إن أكذب الناس : من كذب على الله ووحيه ، وتخرص الباطل ولم يعرف الله حقيقة معرفته .

فاجمع من بحضرتك من القضاة فاقرأ عليهم كتابنا ، وامتحانهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يعتقدون في خلق الله وإحداثه ، وأعلمهم أنني غير مستعين في عملي ، ولا واثق بمن لا يوثق بدينه .

فإذا أقروا بذلك ووافقوا . فمرهم بنص من بحضرتهم من الشهود^(١) ،
ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب
إلينا بما يأتيك عن قضاة أهل عملك في مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك .

[السبعة الذين طلبهم المأمون ليمتحنهم]

وكتب المأمون إليه أيضاً في إشخاص سبعة أنفس ؛ وهم : محمد بن سعد
كاتب الواقدي ، ويحيى بن معين ، وأبو خيثمة ، وأبو مسلم مستملي يزيد بن
هارون ، وإسماعيل بن داود ، وإسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن إبراهيم
الدورقي ، فأشخصوا إليه ، فامتحنهم بخلق القرآن ، فأجابوه فردهم من الرقة إلى
بغداد .

وسبب طلبهم : أنهم توقفوا أولاً ، ثم أجابوه تقية .

وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ،
ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة ، ففعل ذلك ، فأجابه طائفة وامتنع
آخرون ، فكان يحيى بن معين وغيره يقولون : (أجبننا خوفاً من السيف) .

[كتاب المأمون إلى إسحاق ليختبر علماء سماهم له]

ثم كتب المأمون كتاباً آخر من جنس الأول إلى إسحاق ، وأمره بإحضار من
امتنع ، فأحضر جماعة منهم : أحمد ابن حنبل ، وبشر بن الوليد الكندي ،
وأبو حسان الزياتي ، وعلي بن أبي مقاتل ، والفضل بن غانم ، وعبيد الله بن
عمر القواريري ، وعلي بن الجعد ، وسجادة ، والذيال بن الهيثم ، وقتيبة بن
سعيد ، وسعدويه الواسطي ، وإسحاق بن أبي إسرائيل ، وابن الهرش ، وابن
علية الأكبر ، ومحمد بن نوح العجلي ، ويحيى بن عبد الرحمن العمري ،
وأبو نصر التمار ، وأبو معمر القطيعي ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ، وغيرهم .
وعرض عليهم كتاب المأمون فعرضوا ووروا ، ولم يجيبوا ولم ينكروا ، فقال

(١) النص : الاستقصاء .

لبشر بن الوليد : ما تقول ؟ قال : قد عرّفتُ أمير المؤمنين غير مرة ، قال : وإن ؛ فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب ، قال : أقول : كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلتُ لك ، وقد استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه .

ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول ؟ قال : القرآن كلام الله ، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، وأجاب أبو حسان الزيادي بنحو من ذلك .

ثم قال لأحمد ابن حنبل : ما تقول ؟ قال : كلام الله ، قال : أمخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد على هذا ، ثم امتحن الباقيين ، وكتب بجواباتهم .

وقال ابن البكاء الأكبر : أقول : القرآن مجعول ومحدث ؛ لورود النص بذلك ، فقال له إسحاق بن إبراهيم : والمجعول مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا أقول : مخلوق ، ثم وجه بجواباتهم إلى المأمون .

فورد عليه كتاب المأمون : بلغنا ما أجاب به متصنعة أهل القبلة ، وملتمسو الرئاسة فيما ليسوا له بأهل ، فمن لم يجب أنه مخلوق .. فامنعه من الفتوى والرواية .

ويقول في الكتاب : فأما ما قال بشر .. فقد كذب ، لم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك عهد ؛ أكثر من إخبار أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص ، والقول بأن القرآن مخلوق ، فادع به إليك ؛ فإن تاب .. فأشهر أمره ، وإن أصر على شركه ودفع أن يكون القرآن مخلوقاً بكفره وإلحاده .. فاضرب عنقه ، وابعث إلينا برأسه .

وكذلك إبراهيم بن المهدي .. فامتحنه ؛ فإن أجاب ، وإلا .. فاضرب عنقه .

وأما علي بن أبي مقاتل .. فقل له : ألسنت القائل لأمر المؤمنين : إنك تحلل وتحرم ؟!

وأما الذيال .. فأعلمه : أنه كان في الطعام الذي كان سرقه من الأنبار ما يشغله .

وأما أحمد بن يزيد أبو العوام وقوله : إنه لا يحسن الجواب في القرآن . .
فأعلمه : أنه صبي في عقله لا في سنه ، جاهل سيحسن الجواب إذا أدب ، ثم إن
لم يفعل . . كان السيف من وراء ذلك .

وأما أحمد ابن حنبل . . فأعلمه : أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى مقالته ،
واستدل على جهله وآفته بها .

وأما الفضل بن غانم . . فأعلمه : أنه لم يخفَ على أمير المؤمنين ما كان فيه
بمصر ، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنة ؛ يعني : في ولايته القضاء .

وأما الزيادي . . فأعلمه : أنه كان متحلاً ولاء دعي ، فأنكر أبو حسان أن
يكون مولى لزياد ابن أبيه ، وإنما قيل له : الزيادي لأمر من الأمور .

قال : وأما أبو نصر التمار . . فإن أمير المؤمنين شبهه خسارة عقله بخسارة
متجره .

وأما ابن نوح وابن حاتم . . فأعلمهم : أنهم مشاغل بأكل الربا عن الوقوف
على التوحيد ، وإن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم في الله إلا لإربائهم
وما نزل به كتاب الله في أمثالهم . . لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع
الإرباء شركاً ، وصاروا للنصارى شبيهاً ؟!

وأما ابن شجاع . . فأعلمه : أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه
ما استخرجته من المال الذي كان استحلّه من مال الأمير علي بن هشام .

وأما سعدويه الواسطي . . فقل له : قبح الله رجلاً بلغ به التصنع للحديث
والحرص على الرئاسة فيه أن يتمنى وقت المحنة .

وأما المعروف بسجادة ، وإنكاره أن يكون ممن كان يجالس من العلماء
القول بأن القرآن مخلوق . . فأعلمه : أن في شغله وإعداد النوى وحكّه لإصلاح
سجادته وبالودائع التي دفعها إليه علي بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد .

وأما القواريري . . ففيما يكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات :
ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته ، وسخافة عقله ودينه .

وأما يحيى العمري : فإن كان من ولد عمر بن الخطاب . . فجوابه معروف .
وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم : فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من
سلفه . . لم ينتحل النحلة التي حُكِيت عنه ، وإنه بعدُ صبي يحتاج إلى أن يعلم .
وقد كان أمير المؤمنين وجه إليك المعروف : بأبي مسهر بعد أن نصّه أمير
المؤمنين عن محنته في القرآن ، فحمحم عنها ولَجَلَجَ فيها ، حتى دعا له أمير
المؤمنين بالسيف ، فأقر ذميماً فانصصه عن إقراره ، فإن كان مقيماً عليه . . فأشهر
ذلك وأظهره .

ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت بعد بشر وابن المهدي . . فاحملهم
موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين ليسألهم ؛ فإن لم يرجعوا . . احملهم على السيف .
قال : فأجابوا كلهم عند ذلك إلا أحمد ابن حنبل وسجادة ومحمد بن نوح
والقواريري ، فأمر بهم إسحاق فقيّدوا ، ثم سألهم من الغد وهم في القيود ،
فأجاب سجادة ، ثم عاودهم ثالثاً ، فأجاب القواريري ، ووجه بأحمد ابن حنبل
ومحمد بن نوح إلى الروم .

ثم بلغ المأمون أن الذين أجابوا إنما أجابوا مكرهين ، فغضب وأمر بإحضارهم
إليه ، فحملوا إليه ، فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم إليه ، ولطف الله
وفرّج^(١) .

[مرض المأمون ووفاته]

وأما المأمون . . فمرض بالروم ، فلما اشتد مرضه . . طلب ابنه العباس ؛
ليقدم عليه وهو يظن أنه لا يدركه ، فأتاه وهو مجهود ، وقد نفذت الكتب إلى
البلدان فيها : من عبد الله المأمون وأخيه أبي إسحاق الخليفة من بعده بهذا
النص ، فقليل : إن ذلك وقع بأمر المأمون ، وقيل : بل كتبوا ذلك وقت غشي
أصابه^(٢) .

(١) انظر الخبر بطوله في « تاريخ الطبري » (٦٣١-٦٤٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥-٢٠/١٥) .

(٢) انظر « تاريخ الطبري » (٦٤٥/٨) .

ومات المأمون يوم الخميس ، لاثنتي عشرة بقيت من رجب ، سنة ثمان عشرة
بالبدنْدُون من أدنى الروم ، ونقل إلى طَرَسُوس فدفن بها .

[اشتَهَى سمكة ولم يذُقها]

قال المسعودي : (كان نزل على عين البدنْدُون ، فأعجبه بردها وصفاءها ،
وطيب الموضع وكثرة الخضرة ، فرأى فيها سمكة كأنها الفضة فأعجبته ، فلم
يقدر أحدٌ يسبح في العين لشدة بردها ، فجعل لمن يخرجها سيفاً ، فنزل فراش
فاصطادها وطلع ، فاضطربت وفرت إلى الماء ، فتنضح صدر المأمون ونحره
وابتل ثوبه ، ثم نزل الفراش ثانية فأخذها ، فقال المأمون : تقلى الساعة ، ثم
أخذته رعدة ، فغُطي باللحف وهو يرتعد ويصيح ، فأوقدت حوله نار ، ثم أتى
بالسمكة فما ذاقها لشغله بحاله ، ثم أفاق المأمون من غمرته ، فسأل عن تفسير
المكان بالعربي ؟ ف قيل : مدرجليك ، فتطيره .

ثم سأل عن اسم البقعة ، ف قيل : الرقة ، وكان فيما عمل من مولده أنه يموت
بالرقة ، فكان يتجنب نزول الرقة ؛ فلما سمع هذا من الروم . . عرف وأيس ،
وقال : يا من لا يزول ملكه ؛ ارحم من قد زال ملكه .

ولما وردت وفاته بغداد . . قال أبو سعيد المخزومي :

هَلْ رَأَيْتَ النُّجُومَ أَغْنَتْ عَنِ الْمَأْمُونِ أَوْ عَنْ مَلِكِهِ الْمَأْسُوسِ
خَلَّفُوهُ بَعَرَصَتِي طَرَسُوسِ مِثْلَ مَا خَلَّفُوا أَبَاهُ بَطُوسِ^(١)

[تباعد قبري الأب والابن ، وكذا أولاد العباس]

قال الثعالبي : (لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبراً من الرشيد
والمأمون .

قال : وكذلك خمسة من أولاد العباس تباعدت قبورهم أشد تباعد ، ولم ير

(١) مروج الذهب (٤/٤٤٢ - ٤٤٣) .

الناس مثلهم : فقبر عبد الله : بالطائف ، وعبيد الله : بالمدينة ، والفضل : بالشام ، وقُثم : بسمرقند ، ومَعبد : بإفريقية (١) .

فَضْلُكَ

في نُبذٍ من أخبار المأمون

قال نفطويه : حدثنا حامد بن العباس بن الوزير قال : (كنا بين يدي المأمون فعطس ، فلم نشمته ، فقال : لِمَ لا تشمتونني ؟ قلنا : أجللناك يا أمير المؤمنين ، قال : لستُ من الملوك التي تتجألُّ عن الدعاء) .

[شهادة مؤدب المأمون]

وأخرج ابن عساكر عن أبي محمد اليزيدي قال : (كنت أؤدب المأمون ، فأتيته يوماً وهو داخل ، فوجهت إليه بعض الخدم يعلمه بمكاني فأبطأ ، ثم وجهت إليه آخر فأبطأ ، فقلت : إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة ؟ ف قيل : أجل ؛ ومع هذا : إنه إذا فارقك . . تعرَّم على خدمه ، ولقوا منه أذىً شديداً ، فقوِّمه بالأدب .

فلما خرج . . أمرت بحمله فضربته سبع درر ، قال : فإنه ليدلك عينيه بالبكاء ؛ إذ قيل : هذا جعفر بن يحيى قد أقبل ، فأخذ منديلاً فمسح عينيه من البكاء ، وجمع ثيابه ، وقام إلى فرشه فقعد متربعا ، ثم قال : ليدخل ، فدخل ، فقامت عن المجلس وخفت أن يشكوني إليه ، فأقبل عليه بوجهه ، وحدّثه حتى أضحكه ، ثم خرج .

فجئت فقلت : لقد خفت أن تشكوني إلى جعفر ؟ فقال لي : يا أبا محمد ؛ ما كنت أطلع الرشيد على هذه ، فكيف بجعفر : أني أحتاج إلى أدب ؟! (٢) .

(١) لطائف المعارف (ص ١١٥-١١٦) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٨٤) ، وتعرم : اشتد .

[سرور الرشيد بشعر ابنه المأمون]

وأخرج عن عبد الله بن محمد التيمي قال : (أراد الرشيد سفراً ، فأمر الناس أن يتأهبوا لذلك ، وأعلمهم أنه خارج بعد الأسبوع ، فمضى الأسبوع ولم يخرج ، فاجتمعوا إلى المأمون فسألوه أن يستعلم ذلك ، ولم يكن الرشيد يعلم أن المأمون يقول الشعر ، فكتب إليه المأمون :

[من المنسرح]

يا خيرَ مَنْ دَبَّتِ المطيُّ به وَمَنْ تَقَدَّى بِسِرْجِه فرسُ
هل غاية في المسيرِ نعرفُها أم أمرُنا في المسيرِ ملتبسُ
ما علمُ هذا إلا إلى مَلِكٍ مِنْ نُورِه في الظلامِ نَقْتَبِسُ
إن سرتَ سارَ الرشادُ متَّبِعاً وإن تَقَفْ فالرشادُ محتَبِسُ

فقرأها الرشيد فسر بها ، ووقع فيها : يا بني ؛ ما أنت والشعر أرفع حالات الدني ، وأقل حالات السري (١) .

تقدى ؛ أي : استمر .

وأخرج عن الأصمعي قال : (كان نقش خاتم المأمون : عبد الله بن عبيد الله) (٢) .

وأخرج عن محمد بن عباد قال : (لم يحفظ القرآن أحد من الخلفاء إلا عثمان بن عفان والمأمون) (٣) .

قلت : وقد رددتُ هذا الحصر فيما تقدم (٤) .

[شدة ذكاء المأمون]

وأخرج عن ابن عيينة قال : (جمع المأمون العلماء ، وجلس للناس ، فجاءت امرأة فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ مات أخي ، وخلف ست مئة

(١) تاريخ دمشق (٢٨٥/٣٣) ، والسري : الشريف .

(٢) تاريخ دمشق (٢٨٧/٣٣) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٨٨/٣٣) .

(٤) تقدم (ص ٩٥) .

دينار ، أعطوني ديناراً ، وقالوا : هذا نصيبك !!

قال : فحسب المأمون ، ثم كسر الفريضة ، ثم قال لها : هذا نصيبك .

فقال له العلماء : كيف علمت يا أمير المؤمنين ؟ فقال لها : هذا الرجل خلف ابنتين ؟ قالت : نعم ، قال : فلهن الثلثان أربع مئة ، وخلف والدته فلها السدس مئة ، وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون ، بالله ألك اثنا عشر أختاً ؟ قالت : نعم ، قال : أصابهم ديناران ديناران ، وأصابك دينار (١) .

[معرفة المأمون بالطب وفوائد الأغذية]

وأخرج عن محمد بن حفص الأنماطي قال : (تغدينا مع المأمون في يوم عيد ، فوضع على مائدته أكثر من ثلاث مئة لون ، قال : فكلما وضع لون . . نظر المأمون إليه فقال : هذا نافع لكذا ، ضار لكذا ؛ فمن كان منكم صاحب بلغم . . فليجتنب هذا ، ومن كان منكم صاحب صفراء . . فليأكل من هذا ، ومن غلبت عليه السوداء . . فلا يعرض لهذا ، ومن قصد قلة الغذاء . . فليقتصر على هذا .

فقال له يحيى بن أكثم : يا أمير المؤمنين ؛ إن خضنا في الطب . . كنت جالينوس في معرفته ، أو في النجوم . . كنت هِرْمَس في حسابه ، أو في الفقه . . كنت علي بن أبي طالب في علمه ، أو ذكر السخاء . . كنت حاتم طيء في صفته ، أو صدق الحديث . . فأنت أبو ذر في لهجته ، أو الكرم . . فأنت كعب بن مامة في فعاله ، أو الوفاء . . فأنت السَّمَوَل بن عَاديَاء في وفائه ، فسُرَّ بهذا الكلام ، وقال : إن الإنسان إنما فضِّل بعقله ؛ ولولا ذلك . . لم يكن لحم أطيب من لحم ، ولا دم أطيب من دم) (٢) .

[بعد نظر المأمون وفراسته]

وأخرج عن يحيى بن أكثم قال : (ما رأيت أكمل من المأمون ؛ بثَّ عنده ليلة

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩٠-٢٩١) ، وقد تقدم هذا الخبر بعينه عن الشعبي (ص ٣٦٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/ ٢٩١) .

فانتبه ، فقال : يا يحيى ؛ انظر أيش عند رجلي ؟ فنظرتُ فلم أرَ شيئاً .

فقال : شمعة ، فتبادر الفراشون ، فقال : انظروا ، فنظروا ؛ فإذا تحت فراشه حيةٌ بطوله فقتلوها .

فقلت : قد انضاف إلى كمال أمير المؤمنين علم الغيب ؟! فقال : معاذ الله ؛ ولكن هتف بي هاتف الساعة وأنا نائم فقال : [من مجزوء الكامل]

يا راقداً الليل انتبه إن الخطوب لها سُرى
ثقة الفتى بزمانه ثقة محللة العرى

فانتبهت ، فعلمت أن قد حدث أمر ؛ إما قريب وإما بعيد ، فتأملت ما قرب فكان ما رأيت (١) .

[علمه بالشعر]

وأخرج عن عمارة بن عقيل قال : قال لي ابن أبي حفصة الشاعر : أعلمت أن المأمون لا يبصر الشعر ؟ فقلت : من ذا يكون أفرس منه ؟! والله ؛ إنا لننشد أول البيت فيسبق إلى آخره من غير أن يكون سمعه ؛ قال : إني أنشدته بيتاً أجذت فيه ، فلم أره تحرك له !! وهو هذا فاسمعه (٢) : [من البسيط]

أضحى إمام الهدى المأمون مُشغلاً بالدين والناسُ بالدنيا مشاغِلُ

فقلت له : ما زدت على أن جعلته عجوزاً في محرابها في يدها سبحة ، فمن يقوم بأمر الدنيا إذا كان مشغولاً عنها وهو المطوق لها ؟! ألا قلت كما قال عمك في الوليد :

فلا هو في الدنيا مضيع نصيبه ولا عَرَض الدنيا عن الدين شاغله (٣)

(١) تاريخ دمشق (٢٩٢/٣٣) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ١١٧) .

(٣) تاريخ دمشق (٢٩٢/٣٣ - ٢٩٣) ، والبيت في « ديوان جرير » (ص ٣٤٩) .

[قَبَّحَ اللهُ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ]

قال ابن عساكر : (أخبرنا أبو العز بن كَادِش ، أخبرنا محمد بن الحسين ، أخبرنا المعافى بن زكريا ، حدثنا محمد بن محمود بن أبي الأزهر الخُزاعي ، حدثنا الزبير بن بكار ، حدثني النَّضْر بن شُمَيْل قال : دخلت على المأمون بمرور علي أطمار ، فقال لي : يا نضر ؛ أتدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب ؟ !

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حر مرو لا يدفع إلا بمثل هذه الأخلاق ، قال : لا ، ولكنك تتكشف ، فتجارتنا الحديث .

فقال المأمون : حدثني هشيم بن بشير ، عن مُجَالِد ، عن الشَّعْبِي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا تزوّج الرجل المرأة لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا . . كَانَ فِيهِ سِدَادٌ مِنْ عَوَزٍ » .

قلت : صدق قول أمير المؤمنين عن هشيم ، حدثني عَوْف الأعرابي ، عن الحسن : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا تزوّج الرجل المرأة لِدِينِهَا وَجَمَالِهَا . . كَانَ فِيهِ سِدَادٌ مِنْ عَوَزٍ » وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : السَّدَاد : لَحْنٌ يَا نضر ؟

قلت : نعم ههنا ؛ وإنما لَحْنُ هشيم وكان لَحَاناً ، فقال : ما الفرق بينهما ؟ قلت : السَّدَاد : القصد في السبيل ، والسَّدَاد : البُلْغَة ؛ وكلُّ ما سددت به شيئاً . . فهو سِدَاد .

قال : أفتعرف العرب ذلك ؟ قلت : نعم ؛ هذا العَرَجِي من ولد عثمان بن عفان رضي الله عنه يقول^(١) :

أَضَاعُونِي وَأَيَّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمَ كَرِيهَةٍ وَسِدَادٍ ثَغَرِ
فأطرق المأمون ملياً ثم قال : قَبَّحَ اللهُ مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ ، ثم قال : أنشدني يا نضر

(١) البيت في « ديوان العرجي » (ص ٣٤) .

أَخْلَبَ بَيْتَ الْعَرَبِ ، قُلْتُ : قَوْلُ ابْنِ بَيْضٍ فِي الْحَكَمِ بْنِ مِرْوَانَ^(١) : [من المنسرح]

تَقُولُ لِي وَالْعَيُونُ هَاجِعَةٌ أَقِمْ عَلَيْنَا يَوْمًا فَلَمْ أَقِمِ
أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَعَتْ قُلْتُ لَهَا لَأَيِّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ
مَتَى يَقْلُ حَاجِبًا سُرَادِقُهُ هَذَا ابْنُ بَيْضٍ بِالْبَابِ يَتَسِمِ
قَدْ كُنْتُ أَسْلَمْتُ فِيكَ مُقْتَبِلًا هَيْهَاتَ أَدْخُلُ أَعْطِنِي سَلَمِي

أَسْلَمْتُ : أَسْلَفْتُ ، مُقْتَبِلًا : أَخَذًا قَبِيلًا ؛ أَي : كَفِيلًا .

قَالَ : أَنَشِدْنِي أَنْصِفَ بَيْتَ قَالَتِهِ الْعَرَبِ ، قُلْتُ : قَوْلُ ابْنِ أَبِي عَرُوبَةَ
الْمَدِينِيِّ^(٢) :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي عَاتِبًا لَمْزَاحِمٌ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِهِ
وَمَفِيدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ أَمْرًا مُتَزَحِّحًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وَأَكُونُ وَالِي سِرِّهِ وَأَصُونُهُ حَتَّى يَحْرَنَ إِلَيَّ وَقْتُ أَدَائِهِ
وَإِذَا الْحَوَادِثُ أَجَحَفَتْ بِسَوَامِهِ قُرْنَتْ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرِبَائِهِ
وَإِذَا دَعَا بِاسْمٍ لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَائِهِ
وَإِذَا أَتَى مِنْ وَجْهِهِ بِطَرِيقَةٍ لَمْ أَطْلَعْ فِيمَا وَرَاءَ خِبَائِهِ
وَإِذَا ارْتَدَّى ثَوْبًا جَمِيلًا لَمْ أَقْلُ يَا لَيْتَ أَنْ عَلَيَّ حَسَنَ رَدَائِهِ

قَالَ : أَنَشِدْنِي أَقْنَعُ بَيْتَ الْعَرَبِ ، فَأَنَشِدْتُهُ قَوْلُ ابْنِ عَبْدُل^(٣) : [من المنسرح]

إِنِّي أَمْرٌ لَمْ أَزَلْ وَذَاكَ مِنَ الدِّ هُوَ أَدِيبٌ أَعْلَمُ الْأَدَبَا
أُقِيمُ بِالْدارِ مَا أَطْمَأَنَّ بِي الدِّ أَرِ وَإِنْ كُنْتُ نَازِحًا طَرَبَا
لَا أَجْتَرِي خَلَّةَ الصَّدِيقِ وَلَا أَتْبَعُ نَفْسِي شَيْئًا إِذَا ذَهَبَا
أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الدِّ رَزَقَ بِنَفْسِي وَأَجْمَلَ الطَّلَبَا

(١) هو : حمزة بن بيض ، مات سنة (١١٦هـ) ، والأبيات في «معجم الأدباء» (١٧٩/٧) .

(٢) الأبيات في مصادر التخريج ، وهي في «ديوان الحماسة» شرح التبريزي (٢١٣/٤) لهذيل بن فسجة البولاني ، وفيه : (من وجهة بطريقة) ، والبيتان الأول والثاني في «معجم الشعراء» (ص ٨٤) لعمر بن النبيت البهتري ، وفي «الأشباه والنظائر» (٩/١) للفظمّش الضبي .

(٣) الأبيات في «الأغاني» (٢٢٨/١٦) (٢٢٩) .

إِنِّي رَأَيْتُ الْفَتَى الْكَرِيمَ إِذَا رَغَّبَتْهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبَا
 وَالْعَبْدُ لَا يَطْلُبُ الْعِلَاءَ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئاً إِلَّا إِذَا رَهَبَا
 مِثْلُ الْحِمَارِ الْمَوْقَعِ السَّوِّءِ لَا يَحْسُنُ شَيْئاً إِلَّا إِذَا ضُرِبَا
 وَلَمْ أَجِدْ عُرْوَةَ الْعِلَاقِ إِلَّا الْوَدَّ لِمَا اخْتَبَرْتُ وَالْحَسْبَا
 قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْمَقِيمُ وَمَا شَدَّ بَعِيسٍ رَحْلاً وَلَا قَتَبَا
 وَيُحْرَمُ الرِّزْقُ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلُ وَمَنْ لَا يَزَالُ مُغْتَرِبَا

قال : أحسنت يا نضر ، وأخذ القرطاس فكتب شيئاً لا أدري ما هو ، ثم
 قال : كيف تقول : أفعل من التراب ؟ قلت : أترب ، قال : ومن الطين ؟
 قلت : طن ، قال : فالكتاب ماذا ؟ قلت : مُتْرَبَ مَطِين ، قال : هذه أحسن من
 الأولى ، فكتب لي بخمسين ألف درهم .

ثم أمر الخادم أن يوصلني إلى الفضل بن سهل ، فمضيت معه ، فلما قرأ
 الكتاب . . قال : يا نضر ؛ لَحَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ ! قلت : كلا ؛ ولكن هشيم
 لحانة ، فتبع أمير المؤمنين لفظه ، فأمر لي من عنده بثلاثين ألفاً ، فخرجت إلى
 منزلي بثمانين ألفاً^(١) .

[ما المراد بينات طارق ؟]

وأخرج الخطيب عن محمد بن زياد الأعرابي قال : (بعث إليَّ المأمون ،
 فصرت إليه وهو في بستانٍ يمشي مع يحيى بن أكثم ، فرأيتهما موليين فجلست ،
 فلما أقبلتا . . قمت فسلمت عليه بالخلافة ، فسمعته يقول ليحيى : يا أبا محمد ؛
 ما أحسن أدبه !! رآنا موليين فجلس ، ثم رآنا مقبلين فقام ، ثم ردَّ عليَّ السلام ،
 فقال : أخبرني عن قول هند بنت عتبة : [من الرجز]

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقِ

مشي القطا المهارق

(١) تاريخ دمشق (٣٣/٢٩٣-٢٩٧) ، والمنتظم (١٠/١٢٤) .

مَنْ طَارِق هَذَا ؟ فنظرت في نسبها فلم أجده ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛
ما أعرفه في نسبها ، فقال : إنما أرادت النجم ، وانتسبت إليه ؛ لحسنها من
قول الله : ﴿ وَالسَّامِ وَالطَّارِقِ ﴾ فقلت : فائدة يا أمير المؤمنين !!

فقال : أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبئه^(١) ، ثم دحا إليّ بعنبرة كان يقلبها في يده
بعثها بخمسة آلاف درهم^(٢) .

وأخرج عن أبي عباد قال : (كان المأمون أحد ملوك الأرض ، وكان يجب له
هذا الاسم على الحقيقة)^(٣) .

[قوة حجته وفرط ذكائه]

وأخرج عن ابن أبي دؤاد ، قال : (دخل رجل من الخوارج على المأمون ،
فقال له المأمون : ما حملك على خلافنا ؟ قال : آية في كتاب الله ، قال : وما
هي ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾
قال : ألك علم بأنها منزلة ؟ قال : نعم ، قال : وما دليلك ؟ قال : إجماع
الأمة ، قال : فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل . . فارض بإجماعهم في
التأويل ، قال : صدقت ، السلام عليك يا أمير المؤمنين)^(٤) .

وأخرج ابن عساكر عن محمد بن منصور قال : (قال المأمون : من علامة
الشريف : أن يظلم مَنْ فوقه ، ويظلمه من هو دونه)^(٥) .

[العفو عند المقدرة]

وأخرج عن سعيد بن مسلم قال : (قال المأمون : لوددت أن أهل الجرائم

(١) في « تاريخ بغداد » : (وأنت بؤبؤه) ، والبؤبؤ : العالم ، انظر « توضيح المشتبه » (٢٦٧/٩ - ٢٦٨) .

(٢) تاريخ بغداد (٢٨٤/٥) .

(٣) تاريخ بغداد (١٩٠/١٠) ، وفي مطبوعه : (أبي عباد) .

(٤) تاريخ بغداد (١٨٦/١٠) .

(٥) تاريخ دمشق (٣١٠/٣٣) .

عرفوا رأيي في العفو ؛ ليذهب عنهم الخوف ، ويخلص السرور إلى قلوبهم (١) .

وأخرج عن إبراهيم بن سعيد الجوهري قال : (وقف رجلٌ بين يدي المأمون قد جنى جناية ، فقال له : والله ؛ لأقتلنك ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ تأنّ عليّ . . فإن الرفق نصف العفو ، قال : وكيف وقد حلفت لأقتلنك ؟ فقال : لأن تلقى الله حائشاً . . خير من أن تلقاه قاتلاً ، فخلّى سبيله) (٢) .

وأخرج الخطيب عن أبي الصلت عبد السلام بن صالح قال : (بتُّ عند المأمون ليلة ، فنام القيم الذي كان يصلح السراج ، فقام المأمون وأصلحه ، وسمعه يقول : ربما أكون في المتوضأ ، فيشتمني الخدام ويفترون علي ، ولا يدرون أنني أسمع ، فأعفو عنهم) (٣) .

وأخرج الصولي عن عبد الله بن البواب قال : (كان المأمون يحلم حتى يغیظنا ، وجلس مرة يستاك على دجلة من وراء ستر ونحن قيام بين يديه ، فمرّ ملاحٌ وهو يقول : أتظنون أن هذا المأمون ينبل في عيني وقد قتل أخاه ؟ ! قال : فوالله ؛ ما زاد على أن تبسم ، وقال لنا : ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل ؟) (٤) .

وأخرج الخطيب عن يحيى بن أكثم قال : (ما رأيت أكرم من المأمون ؛ بت عنده ليلة فأخذه سعال ، فرأيته يسد فاه بكم قميصه حتى لا أُنْتبه) .

وكان يقول : (أول العدل : أن يعدل الرجل في بطانته ، ثم الذين يلونهم حتى يبلغ إلى الطبقة السفلى) (٥) .

وأخرج ابن عساكر عن يحيى بن خالد البرمكي قال : (قال لي المأمون : يا

(١) تاريخ دمشق (٣٣/٣١١) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/٣١١) .

(٣) تاريخ بغداد (١٠/١٨٩) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠/١٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣/٣١٢) من طريق الصولي .

(٥) تاريخ بغداد (١٠/١٨٧-١٨٨) .

يحيى ؛ اغتنم قضاء حوائج الناس ؛ فإن الفلك أدور ، والدهر أجور من أن يترك لأحد حالاً ، أو يبقى لأحد نعمة (١) .

وأخرج عن عبد الله بن محمد الزهري قال : (قال المأمون : غلبة الحجة أحب إلي من غلبة القدرة ؛ لأن غلبة القدرة تزول بزوالها ، وغلبة الحجة لا يزيلها شيء) (٢) .

وأخرج عن العتبي قال : (سمعت المأمون يقول : من لم يحمدك على حسن النية . . لم يشكرك على جميل الفعل) (٣) .

[مراتب القبح]

وأخرج عن أبي العالية قال : (سمعت المأمون يقول : ما أقبح اللجاجة بالسلطان ، وأقبح من ذلك الضجر من القضاة قبل التفهم ، وأقبح منه سخافة الفقهاء بالدين ، وأقبح منه البخل بالأغنياء ، والمزاح بالشيوخ ، والكسل بالشباب ، والجبن بالمقاتل) (٤) .

وأخرج عن علي بن عبد الرحيم المروزي قال : (قال المأمون : أظلم الناس نفسه : من يتقرب إلى من يبعده ، ويتواضع لمن لا يكرمه ، ويقبل مدح من لا يعرفه) (٥) .

وأخرج عن مُخارق قال : (أنشدت المأمون قول أبي العتاهية (٦) : [من الطويل]
وإنني لمحتاجٌ إلى ظلِّ صاحبٍ يروقُ ويصفو إن كَدَرْتُ عليه
قال لي : أعد ، فأعدت سبع مرات ، فقال لي : يا مخارق ؛ خذ مني الخلافة
وأعطني هذا الصاحب) (٧) .

(١) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٥) من طريق الخطيب ، وهو عنده في « تاريخ بغداد » (١٠/١٨٦) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٦) .

(٤) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٦) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٦) .

(٦) البيت في « ديوانه » (٢٧٥) .

(٧) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٧) .

وأخرج عن هُدبة بن خالد قال : (حضرت غداء المأمون ، فلما رفعت المائدة . . جعلت ألتقط ما في الأرض ، فنظر إلي المأمون ، فقال : أما شبت ؟ قلت : بلى ؛ ولكن حدثني حمّاد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ أَكَلَ ما تحت مَائِدَتِهِ . . أَمِنَ مِنَ الْفَقْرِ » فأمر لي بألف دينار ^(١) .

[ذكاء الفقير وكرم المأمون]

وأخرج عن الحسن بن عبدوس الصفّار قال : (لما تزوج المأمون بُوران بنت الحسن بن سهل . . أهدى الناس إلى الحسن ، فأهدى له رجل فقير مِزْوَدَيْنِ : في أحدهما ملح ، وفي الآخر أُشنان ، وكتب إليه : جُعِلَ فداك ، خفة البضاعة قصرت يبعد الهمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة أهل البر ولا ذكر لي فيها ، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليُمنه وبركته ، وبالمختوم به لطيبه ونظافته ، فأخذ الحسن المِزْوَدَيْنِ ، ودخل بهما على المأمون ، فاستحسن ذلك ، وأمر بهما ففرغا وملئا دنانير ^(٢) .

وأخرج الصولي عن محمد بن القاسم قال : (سمعت المأمون يقول : أنا والله ؛ ألد العفو حتى أخاف ألا أُوْجر عليه ، ولو علم الناس مقدار محبتي للعفو . . لتقربوا إلي بالذنوب) .

[المأمون والجارية]

وأخرج الخطيب عن منصور البرمكي قال : كان للرشد جارية ، وكان المأمون يهواها ، فبينما هي تصب على الرشد من إبريق معها والمأمون خلفه . . إذ أشار إليها بقبلة ، فزبرته بحاجبها ، وأبطأت عن الصب ، فنظر إليها هارون فقال : ما هذا ؟ فتلكأت عليه ، فقال : إن لم تخبريني . . لأقتلنك .

(١) تاريخ دمشق (٣٣/٣١٨) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣/٣٢٠) .

فقلت : أشار إليَّ عبد الله بقبلة ، فالتفت إليه وإذا هو قد نزل به من الحياء والرب ما رحمه منه ، فاعتنقه وقال : أتحبها ؟ قال : نعم ، قال : قم فادخل بها في تلك القبة ، فقام ، فلما خرج . . قال له : قل في هذا شعراً فقال : [من المجتث]

ظبي كُنَيْتَ بَطْرِفِي عَنْ الضَّمِيرِ إِلَيْهِ
قَبَلْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ فاعْتَلَّ مِنْ شَفْتَيْهِ
وَرَدَّ أَحْسَنَ رَدٍّ بِالْكَسْرِ مِنْ حَاجِبَيْهِ
فَمَا بَرَحْتُ مَكَانِي حَتَّى قَدَرْتُ عَلَيْهِ (١)

وأخرج ابن عساكر عن أبي خليفة الفضل بن الحُبَاب قال : سمعت بعض النخاسين يقول : عرضتُ على المأمون جارية شاعرة فصيحة متأدبة شطرنجية ، فساومتُها في ثمنها بألفي دينار ، فقال المأمون : إن هي أجازت بيتاً أقوله بيت من عندها . . اشتريتها بما تقول وزدتك ، فأنشد المأمون :

ماذا تقولين فيمن شفه أرق من جهد حبك حتى صار حيرانا ؟
فأجازته :

إذا وجدنا محباً قد أضرب به داء الصَّابَةِ أوليناه إحصانا (٢)

[أين عادة أمير المؤمنين في العفو ؟]

وأخرج الصولي عن الحسين الخليع قال : (لما غضب عليّ المأمون ، ومنعني رزقاً لي . . عملت قصيدة أمتدحه بها ، ودفعتها إلي من أوصلها إليه ؛ وأولها :

أجرني فإنني قد ظمئت إلى الوعد متى تنجز الوعد المؤكّد بالعهد
أعيزك من خلف الملوك وقد ترى تقطع أنفاسي عليك من الوجد

(١) تاريخ بغداد (١٨٥ / ١٠) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٨ / ٣٣) . (٣٢٩) .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣٠ / ٣٣) .

أَيُخْلُ فَرْدُ الْحَسَنِ عَنِي بَنَائِلٍ قَلِيلٍ وَقَدْ أَفْرَدْتُهُ بِهَوًى فَرْدٍ
إِلَى أَنْ قَالَ :

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْمَأْمُونُ لِلنَّاسِ عِصْمَةٌ مَفْرَقَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

فَقَالَ الْمَأْمُونُ : قَدْ أَحْسَنَ إِلَّا أَنَّهُ الْقَائِلُ : [من الطويل]

أَعْيَنِي جُودًا وَابْكِيَا لِي مُحَمَّدًا وَلَا تَدْخِرَا دَمْعًا عَلَيْهِ وَأَسْعِدَا
فَلَا تَمُتِ الْأَشْيَاءُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلِكِ فِيهِ مَبْدَأًا
وَلَا فَرَحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرَدًا

هَذَا بِذَاكَ ، وَلَا شَيْءَ لَهُ عِنْدَنَا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : فَأَيْنَ عَادَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فِي الْعَفْوِ ؟ فَقَالَ : أَمَا هَذَا . . فَنَعَمْ ؛ فَأَمْرٌ لَهُ بِجَائِزَةٍ ، وَرَدَّ رِزْقَهُ عَلَيْهِ (١) .

وَأَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ (٢) قَالَ : (لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ بَغْدَادَ . . جَلَسَ
لِلْمُظَالِمِ كُلِّ يَوْمٍ أَحَدٌ إِلَى الظَّهْرِ) .

[الْمَأْمُونُ وَالشُّطْرَنْجُ]

وَأَخْرَجَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ : (كَانَ الْمَأْمُونُ يُحِبُّ لَعِبَ الشُّطْرَنْجِ
شَدِيدًا ، وَيَقُولُ : هُوَ يَشْحَذُ الذَّهْنَ ، وَاقْتَرَحَ فِيهَا أَشْيَاءَ ، وَكَانَ يَقُولُ : لَا
أَسْمَعَنَّ أَحَدًا يَقُولُ : تَعَالَى حَتَّى نَلْعَبَ ؛ وَلَكِنْ يَقُولُ : نَتَزَاوَلُ أَوْ نَتَنَاقِلُ ، وَلَمْ
يَكُنْ حَازِقًا بِهَا) .

وَكَانَ يَقُولُ : (أَنَا أَدْبِرُ الدُّنْيَا فَاتَّسَعَ لَذَلِكَ ، وَأَضِيقُ عَنْ تَدْبِيرِ شَبْرَيْنِ فِي
شَبْرَيْنِ) .

(١) تَارِيخُ الْإِسْلَامِ (١٥/٢٣٤) .

(٢) فِي (ب ، ط) : (عَنْ عَلِيَّةِ حَمَادِ بْنِ إِسْحَاقَ) .

[حلم المأمون على من هجاه]

وأخرج عن ابن أبي سعيد قال : (هجا دُعبل المأمون فقال^(١)) : [من الكامل]

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سَيُوفُهُمْ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَّفْتُكَ بِمَقْعَدِ
شَادُوا بِذِكْرِكَ بَعْدَ طَوْلِ خُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذُوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ

فلما سمعها المأمون . . لم يزد على أن قال : ما أقل حياء دُعبل !! متى كنت حاملاً وقد نشأت في حجر الخلفاء ؟! ولم يعاقبه) .

وأخرج من طرق عدة : (أن المأمون كان يشرب النبيذ) .

وأخرج عن الجاحظ قال : (كان أصحاب المأمون يزعمون أن لونه لون واحد : وجهه وجسده سوى ساقيه ؛ فإنهما صفراوان كأنهما طليتا بالزعفران)^(٢) .

وأخرج عن إسحاق الموصلي قال : (قال المأمون : ألد الغناء : ما طرب له السامع ، خطأ كان أو صواباً) .

[قصة مولاة المأمون وابن حامد]

وأخرج عن علي بن الحسين قال : (كان محمد بن حامد واقفاً على رأس المأمون وهو يشرب ، فاندفعت عَرِيب فغنت بشعر النابغة الجعدي : [من الطويل]

كحاشية البرد اليماني المسهم

فأنكر المأمون ألا تكون ابتدأت بشيء ، فأمسك القوم ، فقال : نُفِيت من الرشيد ؛ لئن لم أصدق عن هذا . . لأقررن بالضرب الوجيع عليه ، ثم لأعاقبن عليه أشد العقوبة ، ولئن صدقت . . لأبلغن الصادق أمه .

فقال محمد بن حامد : أنا يا سيدي ، أومأت إليها بقبلة ، فقال : الآن جاء

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ١٢٣) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٠ / ١٨٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق »

(٢٨٣ - ٢٨٤) من طريق الصولي .

الحق ، صدقت ، أتعجب أن أزوجك بها ؟ قال : نعم .

فقال المأمون : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين ، لقد زوجت محمد بن حامد عَرِيب مولاتي ، ومهرتها عنه أربع مئة درهم على بركة الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، خذ بيدها ، فقامت معه .

فصار المعتصم إلى الدهليز ، فقال : الدلالة ، قال : لك ذاك .

قال : دلّلتني أن تغنيني الليلة ، فلم تزل تغنيه إلى السحر ، وابن حامد على الباب ، ثم خرجت فأخذت بيده ومضت معه ^(١) .

وأخرج عن ابن أبي دُوَاد قال : (أهدى ملك الروم إلى المأمون هديةً فيها مئتا رطل مسك ، ومئتا جلد سَمُور ، فقال : أضعفوها له ؛ ليعلم عز الإسلام) .

وأخرج عن إبراهيم بن الحسن قال : (قال المدائني للمأمون : إن معاوية قال : بنو هاشم أسود وأحذاء ، ونحن أكثر سيّداً ، فقال المأمون : إنه قد أقرّ وادعى ، فهو في ادعائه خصم ، وفي إقراره مخصوم) .

[لولا حمقهما لبقيت جائعاً]

وأخرج عن ابن أبي أسامة قال : (حدثني بعض أصحابنا : أن أحمد بن أبي خالد قرأ القصص يوماً على المأمون فقال : فلان الثريدي - وهو اليزيدي - فضحك المأمون وقال : يا غلام ؛ هات طعاماً لأبي العباس ، فإنه أصبح جائعاً ، فاستحيا وقال : ما أنا بجائع ؛ ولكن صاحب القصة أحرق نقط الياء بنقط الثاء ، فقال : عليّ ^(٢) ذلك ؟ فجاءه بطعام ، فأكل حتى انتهى .

ثم عاد فمر بقصة فلان الحمصي فقال : الخبيصي ، فضحك المأمون وقال : يا غلام ؛ جامدة فيها خبيص ، فقال : إن صاحب القصة كان أحرق فتح الميم فصارت كأنها ستتان ^(٣) ، فضحك وقال : لولا حمقهما . . لبقيت جائعاً) .

(١) انظر « نهاية الأرب » (٩٩ / ٥) ، وصدر البيت : (رمى ضرع نابٍ فاستمرّ بطعنة) .

(٢) هكذا ضبطت في (هـ) ، وفي (أ) : (عفا) .

(٣) هكذا هي في جميع النسخ ، ولعل الصواب : (ستان) ، والله أعلم .

وأخرج عن أبي عباد قال : (ما أظن الله خلق نفساً هي أنبل من نفس المأمون ولا أكرم) .

[شره أحمد بن أبي خالد]

وكان قد عرف شره أحمد بن أبي خالد ، فكان إذا وجَّهه في حاجة . . غداه قبل أن يرسله .

ورفع إليه في قصة : (إن رأى أمير المؤمنين أن يجري على ابن أبي خالد نزلاً ؛ فإنه يعين الظالم بأكلة ، فأجرى عليه المأمون ألف درهم كل يوم لمائدته)^(١) .

وكان مع هذا يشره إلى طعام الناس ، فقال دُعبل الشاعر^(٢) : [من المتقارب]

شَكَرْنَا الْخَلِيفَةَ لِجِرَاءِهِ عَلَى ابْنِ أَبِي خَالِدٍ نُزْلُهُ
فَكَفَّ أَذَاهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ وَصَيَّرَ فِي بَيْتِهِ شَغْلَهُ

وأخرج عن ابن أبي دُوَاد قال : (سمعت المأمون يقول لرجل : إنما هو عذر أو يمين ، وقد وهبتهما لك ، ولا تزال تُسيء وأُحسن ، وتُذنب وأُغفر حتى يكون العفو هو الذي يصلحك) .

وأخرج عن الجاحظ قال : (قال ثُمَامَة بن أَشْرَس : ما رأيت رجلاً أبلغ من جعفر بن يحيى البرمكي والمأمون)^(٣) .

[محاورة بين المأمون ومن ادعى النبوة]

وأخرج السُّلَفي في « الطيوريات » عن حفص المدائني قال : (أتى المأمون

(١) انظر « الوافي بالوفيات » (١٧٧ / ٨) ، وزاد : (لثلاث يشره إلى طعام الناس ، ويمد عينيه إلى هدية تأتيه) .

(٢) البيتان في ديوانه (ص ٢٣١) ، والأبيات في « الوافي بالوفيات » (١٧٧ / ٨) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٥٢ / ٧) .

بأسود قد ادعى النبوة وقال : أنا موسى بن عمران !! فقال له المأمون : إن موسى أخرج يده من جيبه بيضاء ، فأخرج يده بيضاء حتى أوّمن بك ، فقال الأسود : إنما جعل ذلك لموسى لما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى ، فقل أنت كما قال فرعون حتى أخرج يدي بيضاء ، وإلا . . لم تبيض .

وأخرج أيضاً : (أن المأمون قال : ما انفتق عليّ فتق . . إلا وجدت سببه جور العمال) .

[مناظرة بين المأمون ورجل]

وأخرج عن يحيى بن أكثم قال : (كان المأمون يجلس للمناظرة في الفقه يوم الثلاثاء ، فجاء رجل ؛ عليه ثياب قد شمرها ، ونعله في يده ، فوقف على طرف البساط وقال : السلام عليكم ، فردّ عليه المأمون ، فقال : أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه ؛ جلسته باجتماع الأمة أم بالمغالبة والقهر ؟

قال : لا بهذا ولا بهذا ؛ بل كان يتولى أمر المسلمين من عقد لي ولأخي ، فلما صار الأمر إلي . . علمت أنني محتاجٌ إلى اجتماع كلمة المسلمين في المشرق والمغرب على الرضا بي ، فرأيت أنني متى خليت الأمر . . اضطرب حبل الإسلام ، ومرج أمرهم ، وتنازعوا ، وبطل الجهاد والحج ، وانقطعت السبل ، فقامت حياطة للمسلمين إليّ أن يجمعوا على رجل يرضون به ، فأسلم إليّ الأمر ، فمتى اتفقوا على رجل . . خرجت له من الأمر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، وذهب) .

[سرعة حفظ المأمون]

وأخرج عن محمد بن المنذر الكندي قال : (حج الرشيد فدخل الكوفة ، فطلب المحدثين ، فلم يتخلف إلا عبد الله بن إدريس وعيسى بن يونس ، فبعث إليهما الأمين والمأمون ، فحدثهما ابن إدريس بمئة حديث ، فقال المأمون : يا

عم ؛ أتأذن لي أن أعيدها من حفظي ، قال : نعم افعل ، فأعادها ، فعجب من حفظه (١) .

وقال بعضهم : (استخرج المأمون كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرس) .

هكذا ذكره الذهبي مختصراً (٢) .

وقال الفاكهي : (أول من كسا الكعبة الديباج الأبيض : المأمون ، واستمر ذلك بعده إلى أيام الخليفة الناصر ، إلا أن محمود بن سُبُكْتِكِين كساها في خلال هذه المدة ديباجاً أصفر) (٣) .

ومن كلام المأمون : (لا نزهة ألد من النظر في عقول الرجال) (٤) .

وقال : (أعيت الحيلة في الأمر : إذا أقبل أن يدبر ، وإذا أدبر أن يقبل) (٥) .

وقال : (أحسن المجالس ما نظر فيه إلى الناس) (٦) .

وقال : (الناس ثلاثة : فمنهم : مثل الغذاء لا بد منه على كل حال ، ومنهم : كالدواء يحتاج إليه في حال المرض ، ومنهم : كالداء مكروه على كل حال) (٧) .

[رجل أعياء المأمون جوابه]

وقال : (ما أعياني جواب أحد مثل ما أعياني جواب رجلٍ من أهل الكوفة ؛ قدّمه أهلها يشتكي عاملهم ، فقلت : كذبت ، بل هو رجلٌ عادل ، فقال : صدق أمير المؤمنين وكذبتُ أنا ؛ قد خصصتنا به في هذه المدة دون باقي البلاد ،

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١ / ٤٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٣٢ / ١٥) .

(٣) انظر « فتح الباري » (٤٦٠ / ٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٣٨ / ١٥) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٣٨ / ١٥) .

(٦) تاريخ الإسلام (٢٣٨ / ١٥) .

(٧) تاريخ الإسلام (٢٣٧ / ١٥) .

فاستعمله على بلد آخر ؛ ليشملهم من عدله وإنصافه مثل الذي شملنا ، فقلت :
قم في غير حفظ الله ، قد عزلته عنكم (١) .

ومن شعر المأمون (٢) :

[من المتقارب]

لساني كَتُومٌ لَأَسْرَارِكُمْ وَدَمْعِي نَمُومٌ لِسِرِّي مُذِيعٌ
فَلَوْلَا دُمُوعِي كَتَمْتُ الْهَوَى وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ يَكُنْ لِي دُمُوعٌ

وله في الشطرنج (٣) :

[من البسيط]

أَرْضٌ مَرَبَّعَةٌ حَمْرَاءُ مِنْ أَدَمٍ مَا بَيْنَ الْفَيْنِ مَعْرُوفِينَ بِالكَرَمِ
تَذَاكُرَا الْحَرْبَ فَاحْتَالَا لَهَا حِيَالًا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِمَا فِيهَا بِسَفْكِ دَمٍ
هَذَا يُغَيِّرُ عَلَيَّ هَذَا وَذَاكَ عَلَيَّ هَذَا يُغَيِّرُ وَعَيْنُ الْحَزْمِ لَمْ تَتَمِ
فَانْظُرْ إِلَى فِطْنٍ جَالَتْ بِمَعْرِفَةٍ فِي عَسْكَرِينَ بَلَا طَبْلِ وَلَا عِلْمِ

وأخرج الصولي عن محمد بن عمرو قال : دخل أصرم بن حميد على المأمون
وعنده المعتصم ، فقال : يا أصرم ؛ صفني وأخي ولا تفضل واحداً منا على
صاحبه ، فأنشد بعد قليل :

[من الوافر]

رَأَيْتُ سَفِينَةً تَجْرِي بِبَحْرِ إِلَى بَحْرَيْنِ دُونَهُمَا الْبَحُورُ
إِلَى مَلِكَيْنِ ضَوْءُهُمَا جَمِيعاً سَوَاءَ حَارَ دُونَهُمَا الْبَصِيرُ
كِلَا الْمَلِكَيْنِ يُشْبِهُ ذَاكَ هَذَا وَذَا هَذَا وَذَاكَ وَذَا أَمِيرُ
فَإِنْ يَكُ ذَا كَذَا وَذَاكَ هَذَا فَلِي فِي ذَا وَذَاكَ مَعاً سُرُورُ
رَوَاقِ الْمَجْدِ مَمْدُودٌ عَلَيَّ ذَا وَهَذَا وَجْهَهُ بَدْرٌ مَنِيرُ

ذكر أحاديث من رواية المأمون

قال البيهقي : (سمعت الإمام أبا عبد الله الحاكم قال : سمعت أبا أحمد

(١) تاريخ الإسلام (٢٣٦/١٥) .

(٢) البیتان في « تاريخ دمشق » (٣٣٢/٣٣) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٣٧/١٥) .

(٣) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٢٣٥/١٥) ، ونسبت في « ربيع الأبرار » (٧١/٥) لعلي بن الجهم ،
وهي في « ديوانه » (ص ٢٠٣) .

الصيرفي : سمعت جعفر بن أبي عثمان الطيالسي يقول : صليت العصر في الرصافة خلف المأمون في المقصورة يوم عرفة ، فلما سلم .. كبر الناس ، فرأيت المأمون خلف الدرايزين وهو يقول : لا يا غوغاء ، لا يا غوغاء ، غداً سنة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم .

فلما كان يوم الأضحى .. حضرت الصلاة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، حدثنا هشيم بن بشير ، أخبرنا ابن شُبْرُمة ، عن الشَّعْبِي ، عن البراء بن عازب ، عن أبي بردة بن نيار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ . . فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ قَدَّمَهُ ، وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ أَنْ يُصَلِّيَ . . فَقَدْ أَصَابَ السَّنَةَ » الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، اللهم ؛ أصلحني واستصلحني ، وأصلح على يدي .

قال الحاكم : هذا حديث لم نكتبه إلا عن أبي أحمد ، وهو عندنا ثقة مأمون ، ولم يزل في القلب منه حتى ذكرت به أبا الحسن الدارقطني ، فقال : هذه الرواية عندنا صحيحة عن جعفر ، فقلت : هل من متابع فيه لشيخنا أبي أحمد ؟ فقال : نعم ، ثم قال : حدثني الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات ، حدثني أبو الحسين محمد بن عبد الرحمن الرُّوذُبَارِي ، حدثنا محمد بن عبد الملك التاريخي ، قال الدارقطني : وما فيهم إلا ثقة مأمون ، حدثنا جعفر الطيالسي ، حدثنا يحيى بن معين قال : سمعت المأمون . . . فذكر الخطبة والحديث (١) .

وقال الصولي : (حدثنا جعفر الطيالسي ، حدثنا يحيى بن معين ، قال : خطبنا المأمون ببغداد يوم الجمعة ووافق يوم عرفة ، فلما سلم .. كبر الناس ، فأنكر التكبير ، ثم وثب حتى أخذ بخشب المقصورة وقال : يا غوغاء ؛ ما هذا التكبير في غير أيامه ؟ حدثنا هشيم ، عن مُجَالِد ، عن الشَّعْبِي ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال يلبي حتى رمى جمرة العقبة ، والتكبيرُ

(١) أخرجه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٣ / ٢٧٦-٢٧٧) من طريق البيهقي .

في غد ظهرأ عند انقضاء التلبية إن شاء الله تعالى) .

وقال الصولي : (حدثنا أبو القاسم البغوي ، حدثنا أحمد بن إبراهيم الموصلي قال : كنا عند المأمون ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخلق عباد الله ، فأحبُّ عبادِ الله إلى الله عز وجل أنفعُهم لعيالِهِ » فصاح المأمون وقال : اسكت ، أنا أعلم بالحديث منك ، حدثني يوسف بن عطية الصفَّار ، عن ثابت ، عن أنس : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الخلقُ عيالُ الله ، فأحبُّ عبادِ الله إلى الله أنفعُهم لعيالِهِ » أخرجه من هذا الطريق ابن عساكر ، وأخرجه أبو يعلى الموصلي في « مسنده » وغيره من طرق عن يوسف بن عطية^(١) .

وقال الصولي : (حدثنا المسبِّح بن حاتم العُكلي ، حدثنا عبد الجبار بن عبد الله قال : سمعت المأمون يخطب... فذكر في خطبته الحياء فوصفه ومدحه ، ثم قال : أخبرنا هُشيم ، عن منصور ، عن الحسن ، عن أبي بكره وعمران بن حصين قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحياءُ من الإيمان ، والإيمانُ في الجنة ، والبذاءُ من الجَفَاء ، والجَفَاءُ في النارِ » أخرجه ابن عساكر من طريق يحيى بن أكثم عن المأمون^(٢) .

[عقد المأمون مجلساً للتحديث]

وقال الحاكم : (أخبرنا محمد بن أحمد بن تميم ، حدثنا الحسين بن فهم ، حدثنا يحيى بن أكثم القاضي قال : قال لي المأمون يوماً : يا يحيى ؛ إني أريد أن أحدث ، فقلت : ومن أولى بهذا من أمير المؤمنين ؟! فقال : ضعوا لي منبراً ، فصعد وحدث ، فأول حديث حدثنا به : عن هُشيم ، عن أبي الجهم ، عن الزهري ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « امرؤ القيس صاحبُ لواءِ الشعراءِ إلى النارِ » .

(١) تاريخ دمشق (٢٧٨/٣٣) ، ومسند أبي يعلى (٣٣١٥) ، ومسند البزار (٦٩٤٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٢٧٨/٣٣) مختصراً .

ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثاً ، ثم نزل ، فقال لي : يا يحيى ؛ كيف رأيت مجلسنا ؟ قلت : أجلّ مجلس يا أمير المؤمنين ، تفقه الخاصة والعامة ، فقال : لا وحياتك ؛ ما رأيت لكم حلاوة ، إنما المجلس لأصحاب الخُلُقَان والمُحَابِر^(١) .

وقال الخطيب : (حدثنا أبو الحسن علي بن القاسم الشاهد ، حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن عثمان ، حدثنا الحسين بن عبيد الله الأبزاري ، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : لما فتح المأمون مصر . . قال له قائل : الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي كفاك أمر عدوك ، وأدان لك العراقيين والشامات ومصر ، وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال له : ويحك !! إلا أنه بقيت لي خَلَّة ؛ وهو أن أجلس في مجلس ومستمل يجيء^(٢) فيقول : مَنْ ذكرت رضي الله عنك ؟ فأقول : حدثنا الحمّادان - حماد بن سلمة وحماد بن زيد - قالا : حدثنا ثابت البُنّاني ، عن أنس بن مالك : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ عَالَ ابْنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، أَوْ أُخْتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَمُوتَ عَنْهُنَّ . . كَانَ مَعِيَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » وأشار بالمسبحة والوسطى^(٣) .

قال الخطيب : (في هذا الخبر غلط فاحش ، ويشبه أن يكون المأمون رواه عن رجل عن الحماديين ؛ وذلك أن مولد المأمون سنة سبعين ومئة ، ومات حماد بن سلمة في سنة سبع وستين قبل مولده بثلاث سنين ، وأما حماد بن زيد فمات في سنة تسع وسبعين) .

[اختبار المأمون لمن ادعى الحديث]

وقال الحاكم : (حدثنا محمد بن يعقوب بن إسماعيل الحافظ ، حدثنا

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٨/٣٣ - ٢٨٩) من طريق الحاكم ، والخلقان : جمع خَلَقَ ، ويقال : ثوب خَلَقَ ؛ أي : بال .

(٢) في النسخ عدا (هـ) : (ويستملي يجيء) ، وفيها : (ويستملي يحيى) ، وفي (ط) : (ومستملي تحتي) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٩/٣٣) من طريق الخطيب .

محمد بن إسحاق الثقفي ، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : وقف المأمون يوماً للأذان ونحن وقوف بين يديه ؛ إذ تقدم إليه رجل غريب بيده محبرة فقال : يا أمير المؤمنين ؛ صاحب حديث منقطع به .

فقال له المأمون : أي شيء تحفظ في باب كذا ؟ فلم يذكر فيه شيئاً ، فما زال المأمون يقول : حدثنا هُشيم ، وحدثنا الحجاج ، وحدثنا فلان حتى ذكر الباب . ثم سأله عن باب ثان ، فلم يذكر فيه شيئاً ، فذكره المأمون ، ثم نظر إلى أصحابه فقال : يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ، ثم يقول : أنا من أصحاب الحديث ، أعطوه ثلاثة دراهم ^(١) .

[سيد القوم خادهم]

وقال ابن عساكر : (أخبرنا محمد بن إبراهيم الغزي ، أخبرنا أبو بكر محمد بن إسماعيل بن السري التَّغْلِيسي ، أخبرنا أبو عبد الرحمن السُّلَمي ، أخبرني عبيد الله بن محمد الزاهد العُكْبَرِي ، حدثنا عبد الله بن محمد بن مسبِّح ، حدثنا محمد بن المغلِّس ، حدثنا محمد بن السري القنطري ، حدثنا علي بن عبيد الله ، قال : قال يحيى بن أكثم : بت ليلة عند المأمون ، فانتبهت في جوف الليل وأنا عطشان فتقلبت ، فقال : يا يحيى ؛ ما شأنك ؟ قلت : عطشان ، فوثب من مرقده فجاءني بكوز من ماء ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ألا دعوت بخادم ؟! ألا دعوت بغلام ؟! فقال : لا ، حدثني أبي ، عن أبيه ، عن جده ، عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيِّدُ القوم خادِمُهُم » ^(٢) .

وقال الخطيب : (أخبرنا الحسن بن عثمان الواعظ ، حدثنا جعفر بن محمد بن أحمد بن الحكم الواسطي ، حدثني أحمد بن الحسن الكِسائي ، حدثنا سليمان بن الفضل النهرواني ، حدثني يحيى بن أكثم . . . فذكر نحوه ، إلا أنه

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣ / ٢٨٩ - ٢٩٠) من طريق الحاكم .

(٢) تاريخ دمشق (٣٣ / ٣١٣) .

قال : حدثني الرشيد ، حدثني المهدي ، حدثني المنصور ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : حدثني جرير بن عبد الله : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ » (١) .

وقال ابن عساكر : (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد ، أخبرنا القاضي أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي ، أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد بن سليمان الغنجار ، أخبرنا أبو أحمد علي بن محمد بن عبد الله المروزي ، حدثنا أبو العباس عيسى بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن الكاتب ، حدثني محمد بن قدامة بن إسماعيل صاحب النضر بن شميل ، حدثنا أبو حذيفة البخاري : سمعت المأمون أمير المؤمنين يحدث ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ » .

قال محمد بن قدامة : فبلغ المأمون : أن أبا حذيفة حدث بهذا عنه ، فأمر له بعشرة آلاف درهم (٢) .

وفي أيام المأمون : (أحصيت أولاد العباس فبلغوا ثلاثة وثلاثين ألفاً ؛ ما بين ذكر وأنثى ، وذلك في سنة متين) (٣) .

[من مات في عهده]

وفي أيامه مات من الأعلام : سفيان بن عيينة ، والإمام الشافعي ، وعبد الرحمن بن مهدي ، ويحيى بن سعيد القطان ، ويونس بن بكير راوي المغازي ، وأبو مطيع البلخي صاحب أبي حنيفة رحمه الله ، ومعرفة الكرخي الزاهد ، وإسحاق بن بشر صاحب كتاب « المبتدأ » ، وإسحاق بن الفرات قاضي مصر من أجلة أصحاب مالك ، وأبو عمرو الشيباني اللغوي ، وأشهب صاحب مالك ، والحسن بن زياد اللؤلؤي صاحب أبي حنيفة ، وحماد بن أسامة

(١) تاريخ بغداد (١٠ / ١٨٧) .

(٢) تاريخ دمشق (٨ / ١٨٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٣ / ٨١) .

الحافظ ، وروح بن عبادة ، وزيد بن الحُبَاب ، وأبو داود الطيالسي ،
والغازي بن قيس من أصحاب مالك ، وأبو سليمان الداراني الزاهد المشهور ،
وعلي الرضا بن موسى الكاظم ، والفرّاء إمام العربية ، وقتيبة بن مهران صاحب
الإمالة ، وقُطْرِب النحوي ، والواقدي ، وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى ،
والنَّضْر بن شُمَيْل ، والسيدة نفيسة ، وهشام أحد النحاة الكوفيين ، واليزيدي ،
ويزيد بن هارون ، ويعقوب بن إسحاق الحضرمي قارئ البصرة ،
وعبد الرزاق ، وأبو العتاهية الشاعر ، وأسد السنة ، وأبو عاصم النبيل ،
والفريابي ، وعبد الملك بن المَاجِشُون ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وأبو زيد
الأنصاري صاحب العربية ، والأصمعي ، وخلاتق آخرون .

خلاف المعتصم بالله

(١) [٢١٨-٢٢٧هـ]

أبو إسحاق محمد بن الرشيد ، ولد سنة ثمانين ومئة ؛ كذا قال الذهبي (٢) ، وقال الصولي : (في شعبان سنة ثمان وسبعين) .

وأمه : أم ولد من مولدات الكوفة ، اسمها : ماردة ، وكانت أحظى الناس عند الرشيد .

روى عن أبيه ، وأخيه المأمون ، وروى عنه : إسحاق الموصلي ، وحمدون بن إسماعيل وآخرون .

وكان ذا شجاعة وقوة وهمة ، وكان عرياً من العلم ؛ فروى الصولي عن محمد بن سعيد ، عن إبراهيم بن محمد الهاشمي قال : (كان مع المعتصم غلام في الكتاب يتعلم معه ، فمات الغلام ، فقال له الرشيد أبوه : يا محمد ؛ مات غلامك ؟ قال : نعم يا سيدي ؛ واستراح من الكتاب ، فقال : وإن الكتاب ليلبغ منك هذا ؟ ! دعوه لا تعلموه ، قال : فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة) (٣) .

وقال الذهبي : (كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم ، لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن) (٤) .

[المثمن لقب المعتصم]

وقال نفطويه والصولي : (للمعتصم مناقب ، وكان يقال له : المثمن ؛ لأنه

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١١٨/٩) ، و« مروج الذهب » (٣٤٤/٤) ، و« تاريخ بغداد » (٣٤٢/٣) ، و« المستظم » (٢٥/١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٩٠/١٦) ، و« البداية والنهاية » (٢٩٥/١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٩٣/١٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٩٣/١٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٩٤/١٦) .

ثامن الخلفاء من بني العباس ، والثامن من ولد العباس ، وثامن أولاد الرشيد ، وملك سنة ثمان عشرة ، وملك ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام ، ومولده سنة ثمان وسبعين ، وعاش ثمان وأربعين سنة ، وفتح ثمانية فتوح ، وقتل ثمانية أعداء ، وخلف ثمانية أولاد ذكور ، ومن الإناث كذلك ، ومات لثمان بقين من ربيع الأول^(١) .

وله محاسن وكلمات فصيحة ، وشعر لا بأس به ، غير أنه إذا غضب .. لا يبالي من قتل .

[الأسنة والأسنان لا تؤثر بالمعتصم]

وقال ابن أبي دؤاد : (كان المعتصم يخرج ساعده إليّ ويقول : يا أبا عبد الله ؛ عضّ ساعدي بأكثر قوتك ، فأمتنع ، فيقول : إنه لا يضرني ، فأروم ذلك ؛ فإذا هو لا تعمل فيه الأسنة فضلاً عن الأسنان)^(٢) .

وقال نفطويه : (كان من أشد الناس بطشاً ، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره)^(٣) .

وقال غيره : (هو أول الخلفاء أدخل الأتراك الديوان) .

وكان يتشبه بملوك الأعاجم ، ويمشي مشيهم ، وبلغت غلمانة الأتراك بضعة عشر ألفاً .

[هجاء دعبل للمعتصم]

قال ابن يونس : هجا دِعْبِلَ المعتصم ثم نذر به ، فخاف وهرب حتى قدم مصر ، ثم خرج إلى المغرب ، وهذه الأبيات التي هجاء بها^(٤) : [من الطويل]

ملوك بني العباس في الكتب سبعة ولم تأتينا في ثامن منهم الكتب

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩٤ / ١٦) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣٤٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦ / ٣٩٥ - ٣٩٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٦ / ٣٩٧) .

(٤) انظر « تاريخ دمشق » (١٧ / ٢٦٤) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٤٩ - ٥١) .

كَذَلِكَ أَهْلُ الْكَهْفِ فِي الْكَهْفِ سَبْعَةٌ غَدَاةَ ثَوَوَا فِيهِ وَثَامُنْهُمْ كَلْبٌ
وَإِنِّي لِأُرْهِى كَلْبَهُمْ عَنْكَ رَغْبَةً لِأَنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ
لَقَدْ ضَاعَ أَمْرُ النَّاسِ حَيْثُ يَسُوسُهُمْ وَصِيفٌ وَأَشْنَسٌ وَقَدْ عَظُمَ الْخَطْبُ^(١)
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَنْ تَرَى مِنْ مَغِيبِهَا مَطَالِحُ شَمْسٍ قَدْ يَغْصُ بِهَا الشَّرْبُ
وَهُمُّكَ تَرْكِيٍّ عَلَيْهِ مَهَانَةٌ فَأَنْتَ لَهُ أُمٌّ وَأَنْتَ لَهُ أَبٌ

بويج له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب ، سنة ثمان عشرة ومئتين ،
فسلك ما كان المأمون ختم به عمره ؛ من امتحان الناس بخلق القرآن ، فكتب إلى
البلاد بذلك ، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك ، وقاسى الناس منه مشقة
في ذلك ، وقتل عليه خلقاً من العلماء ، وضرب الإمام أحمد ابن حنبل ، وكان
ضربه في سنة عشرين .

[بناء مدينة سُرٍّ من رأى]

وفيها : تحول المعتصم من بغداد ، وبنى سُرٍّ مَنْ رَأَى ؛ وذلك أنه اعتنى
باقتناء الترك ، فبعث إلى سمرقند وفرغانة والنواحي في شرائهم ، وبذل فيهم
الأموال ، وألبسهم أنواع الديباج ومناطق الذهب ، فكانوا يطردون خيلهم في
بغداد ، ويؤذون الناس ، وضاعت بهم البلد ، فاجتمع إليه أهل بغداد وقالوا : إن
لم تخرج عنا بجندك . . حاربناك .

قال : وكيف تحاربوني ؟ قالوا : بسهام الأسحار ، فقال : لا طاقة لي
بذلك ، فكان ذلك سبب بنائه سُرٍّ مَنْ رَأَى ، وتحوله إليها .

[غزو المعتصم للروم وفتح عمورية]

وفي سنة ثلاث وعشرين : غزا المعتصم الروم ، فأنكاهم نكاية عظيمة لم
يسمع بمثلها لخليفة ، وشتت جموعهم ، وخرّب ديارهم ، وفتح عمورية

(١) وصيف وأشناس : علمان لأميرين تركيين في زمن المعتصم .

بالسيف ، وقتل منها ثلاثين ألفاً وسبى مثلهم ، وكان لما تجهز لغزوها . . حكم المنجمون : أن ذلك طالع نحس ، وأنه يكسر ، فكان من نصره وظفره ما لم يخف ، فقال في ذلك أبو تمام قصيدته المشهورة^(١) :

[من البسيط]

السيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
وَالْعِلْمُ فِي شُهْبِ الْأَرْمَاحِ لَامِعَةٌ بَيْنَ الْخَمِيسِينَ لَا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الرِّوَايَةُ أَمْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوهُ مِنْ زَخْرَفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ
تَخَرُّصاً وَأَحَادِيثاً مَلْفَقَةً لَيْسَتْ يَنْبَغُ إِذَا عَدَّتْ وَلَا غَرَبِ

[وفاة المعتصم]

مات المعتصم يوم الخميس ، لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول ، سنة سبع وعشرين ، وكان قد ذلّل العدو بالنواحي ، ويقال : إنه قال في مرض موته :

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً ﴾^(٢) .

ولما احتضر . . جعل يقول : (ذهبت الحيلة فليس حيلة)^(٣) .

وقيل : (جعل يقول : أؤخذ من بين هذا الخلق)^(٤) .

وقيل : (إنه قال : اللهم ؛ إنك تعلم أنني أخافك من قبلي ، ولا أخافك من قبلك ، وأرجوك من قبلك ، ولا أرجوك من قبلي)^(٥) .

ومن شعره^(٦) :

[من الرمل]

قَرَّبَ النَّحَامُ وَاعْجَلَ يَا غَلَامَ وَاطْرَحَ السَّرَجَ عَلَيْهِ وَاللَّجَامَ
أَعْلِمِ الْأَثَرَ أَنِّي خَائِضٌ لُجَّةَ الْمَوْتِ فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ

(١) الأبيات في « ديوانه » (٩٦/١) ، والخبر في « سير أعلام النبلاء » (٣٠٣/١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (١٤-١٣/١٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٩٦/١٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٩٦/١٦-٣٩٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٩٧/١٦) .

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/٣٤٦) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٦/٣٩٨) .

(٦) انظر « معجم الشعراء » (ص ٤٢٦) ، والنحam : اسم فرسه .

وكان قد عزم على المسير إلى أقصى الغرب ؛ ليملك البلاد التي لم تدخل في ملك بني العباس ؛ لاستيلاء الأموي عليها .

فروى الصولي عن أحمد بن الخصيب قال : (قال لي المعتصم : إن بني أمية ملكوا وما لأحد منا ملك ، وملكننا نحن ولهم بالأندلس هذا الأموي ؟! فقدّر ما يحتاج إليه لمحاربتة ، وشرع في ذلك ، فاشتدّت علته ومات) .

وقال الصولي : (سمعت المغيرة بن محمد يقول : يقال : إنه لم تجتمع الملوك بباب أحد قط اجتماعها بباب المعتصم ، ولا ظفر ملك قط كظفره : أسر ملك أذربيجان ، وملك طبرستان ، وملك استيشاب ، وملك استاصح^(١) ، وملك فرغانة ، وملك طخارستان ، وملك الصغد ، وملك كابل) .

وقال الصولي : (وكان نقش خاتمه : الحمد لله الذي ليس كمثلته شيء) .

ومن أخبار المعتصم

[قصر المعتصم]

أخرج الصولي عن أحمد اليزيدي قال : (لما فرغ المعتصم من بناء قصره بالميدان ، وجلس فيه . . دخل عليه الناس ، فعمل إسحاق الموصلي قصيدة فيه ما سمع أحدًا بمثلها في حسنها ، إلا أنه افتتحها بقوله : [من الكامل]

يا دارُ غَيْرِكَ الْبَلَى ومحاكِ يا لَيْتَ شعري ما الذي أَبْلَاكِ

فتطير المعتصم وتطير الناس ، وتغامزوا وتعجبوا ، كيف ذهب هذا على إسحاق مع فهمه وعلمه وطول خدمته للملوك ؟! وخرّب المعتصم القصر بعد ذلك) .

وأخرج عن إبراهيم بن العباس قال : (كان المعتصم إذا تكلم . . بلغ ما أراد وزاد عليه) .

(١) في (د ، ج) : (استاحج) ، وفي (ب) : (اسباحج) ، وفي (هـ) : (اسباحج) .

وكان أول من ثرى^(١) الطعام ، وكثره حتى بلغ ألف دينار في اليوم .

وأخرج عن أبي العيْناء قال : سمعت المعتصم يقول : (إذا نصر الهوى .. بطل الرأي)^(٢) .

وأخرج عن إسحاق قال : (كان المعتصم يقول : من طلب الحق بما له وعليه .. أدركه) .

[المعتصم وعلامه عجيب]

وأخرج عن محمد بن عمر الرومي قال : (كان للمعتصم غلام يقال له : عجيب ، لم ير الناس مثله قط ، وكان مشغوفاً به ، فعمل فيه أبياتاً ، ثم دعاني وقال : قد علمت أنني دون إخوتي في الأدب ؛ لحب أمير المؤمنين لي وميلي إلى اللعب وأنا حدث ، فلم أنل ما نالوا ، وقد عملت في عجيب أبياتاً ، فإن كانت حسنة وإلا .. فاصدقني حتى أكتمها ، ثم أنشد :

لقد رأيتُ عجيباً	يَحكي الغزال الرِّبِيَا
الوجهُ منه كبدٍ	والقدُّ يَحكي القُضِيَا
وإن تناولَ سيفاً	رأيتُ ليشاً حَرِيَا
وإن رَمَى بسهماً	كانَ المُجيدَ المُصِيَا
طيبُ ما بي من الحبِّ	فلا عَدمتُ الطَّيِيَا
إنِّي هويتُ عَجِيّاً	هوى أراه عَجِيَا

فحلفت له بأيمان البيعة ؛ إنه شعر مليح من أشعار الخلفاء الذين ليسوا بشعراء ، فطابت نفسه ، وأمر لي بخمسين ألف درهم) .

(١) في غير (ط) : (سرى) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣١١) .

[الجواب ما ترى لا ما تسمع]

وقال الصولي : (حدثنا عبد الواحد بن العباس الرياشي قال : كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يهدده فيه ، فلما قرىء عليه . . قال للكاتب : اكتب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أما بعد : فقد قرأت كتابك ، وسمعت خطابك ، والجواب ما ترى لا ما تسمع ، وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار)^(١) .

[فيما من يقول خيراً منه فيك]

وأخرج الصولي عن الفضل اليزيدي قال : وجّه المعتصم إلى الشعراء ببابه : من كان منكم يحسن أن يقول فيما قال منصور النمري في الرشيد^(٢) : [من البسيط]

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينٍ اللَّهُ مُعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْقَطْرُ لَمْ تَخْلَفْ فَوَاضِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرُ ذِكْرِنَاهُ فَيَتَسَّعُ

فقال أبو وهيب : فيما من يقول خيراً منه فيك ، وقال^(٣) : [من البسيط]

ثَلَاثَةٌ تَشْرُقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهَا شَمْسُ الضُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ اللَّيْثُ وَالْغَيْثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ

ولما مات . . رثاه وزيره محمد بن عبد الملك جامعاً بين العزاء والهناء فقال^(٤) : [من المنسرح]

قَدْ قُلْتُ إِذْ غَيَّبُوكَ وَاضْطَفَقْتُ عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالثَّرْبِ وَالطَّيْنِ

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩٣-٣٩٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

(٣) في جميع النسخ : (أبو وهيب) ، والصواب : ابن وهيب ، وهو محمد ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٧٦) ، والخبر في « الأغاني » (٨٠/١٩ - ٨١) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٤٤) ، و« تاريخ الطبري » (١١٩/٩) .

اذْهَبْ فَنِعَمَ الْحَفِيطُ كُنْتَ عَلَى الدُّ
مَا يَجْبُرُ اللَّهُ أُمَّةً فَقَدَتْ نِيَا وَنِعَمَ الظَّهِيرُ لِلدِّينِ
مَثَلُكَ إِلَّا بِمَثَلِ هَارُونَ

حديث رواه المعتصم

قال الصولي : (حدثنا الغلابي ، حدثنا عبد الله بن الضحاك ، حدثني هشام بن محمد ، حدثني المعتصم قال : حدثني أبي الرشيد ، عن المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى قوم من بني فلان ، يتبخثون في مشيتهم ، فعرف الغضب في وجهه ، ثم قرأ : ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ﴾ فقيل : أي شجرة هي يا رسول الله حتى نتجنبها ؟ فقال : « لَيْسَتْ بِشَجَرَةٍ نَبَاتٍ ، إِنَّمَا هُمْ بَنُو أُمِيَّةَ ، إِذَا مَلَكَوْا . . جَارُوا ، وَإِذَا أَوْثَمُنُوا خَانُوا » وضرب بيده على ظهر عمه العباس فقال : « يُخْرِجُ اللَّهُ مِنْ ظَهْرِكَ يَا عَمَّ رَجُلًا يَكُونُ هَلَاكُهُمْ عَلَى يَدِهِ » (١) .

قلت : الحديث موضوع ، وآفته الغلابي .

وقال ابن عساكر : (أنبأنا أبو القاسم علي بن إبراهيم ، حدثنا عبد العزيز بن أحمد ، حدثني علي بن الحسن الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن طالب البغدادي ، حدثنا ابن خلاد ، حدثنا أحمد بن محمد بن نصر الضُّبَّعي ، حدثنا إسحاق بن يحيى بن معاذ قال : كنت عند المعتصم أعوده فقلت : أنت في عافية ، فقال : كيف وقد سمعت الرشيد يحدث عن أبيه المهدي ، عن المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس مرفوعاً : « مِنْ احْتَجَمَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ فَمَرَضَ فِيهِ . . مَاتَ فِيهِ » ؟ !

قال ابن عساكر : سقط منه رجلان بين الضُّبَّعي وإسحاق ، ثم أخرجه من طريق أخرى عن الضُّبَّعي عن أحمد بن محمد بن الليث ، عن منصور بن النضر ، عن إسحاق (٢) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣ / ٣٤٣) من طريق الصولي ، والغلابي : هو محمد بن زكريا .

(٢) تاريخ دمشق (٨ / ٣٠٢-٣٠٣) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المعتصم من الأعلام : الحُمَيْدِي شيخ البخاري ،
وأبو نُعَيْم الفضل بن دُكَيْن ، وأبو غسان النَّهْدِي ، وقالون المقرئ ، وخَلَّادُ
المقرئ ، وآدم ابن أبي إياس ، وعَفَّان ، والقَعْنَبِي ، وعَبْدَان المَرْوَزِي ،
وعبد الله بن صالح كاتب الليث ، وإبراهيم بن المهدي ، وسليمان بن حرب ،
وعلي بن محمد المدائني ، وأبو عُبيد القاسم بن سلام ، وقُرَّة بن حَبِيب ،
وعارم ، ومحمد بن عيسى الطَّبَّاع الحافظ ، وأصْبَغ بن الفرج الفقيه ، وسَعْدَوِيه
الواسطي ، وأبو عمر الجَرَمِي النحوي ، ومحمد بن سلام البَيْكَنْدِي ، وسُنَيْد ،
وسعيد بن كثير بن عُفَيْر ، ويحيى بن يحيى التميمي ، وآخرون .

خلافة الواثق بالله هارون

[٢٢٧-٢٣٢هـ] ^(١)

أبو جعفر ، وقيل : أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد رومية ، اسمها : قراطيس ، ولد لعشر بقين من شعبان ، سنة ست وتسعين ومئة ، وولي الخلافة بعهد من أبيه ، ببيع له في تاسع عشر ربيع الأول ، سنة سبع وعشرين .

وفي سنة ثمان وعشرين : استخلف على السلطنة أشناس التركي ، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهرأ ، وأظن أنه أول خليفة استخلف سلطاناً ؛ فإن الترك إنما كثروا في أيام أبيه .

وفي سنة إحدى وثلاثين : ورد كتابه إلى أمير البصرة يأمره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن ، وكان قد تبع أباه في ذلك ، ثم رجع في آخر أمره ^(٢) .

[امتحان أحمد بن نصر وقتله وإكرام الله له]

وفي هذه السنة : قتل أحمد بن نصر الخزاعي ، وكان من أهل الحديث ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أحضره من بغداد إلى سامراء مقيداً ، وسأله عن القرآن ، فقال : ليس بمخلوق ، وعن الرؤية في القيامة فقال : كذا جاءت الرواية ، وروى له الحديث ، فقال الواثق له : تكذب ؟! فقال للواثق : بل تكذب أنت .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١٥٠ / ٩) ، و « مروج الذهب » (٣٦٤ / ٤) ، و « تاريخ بغداد » (١٥ / ١٤) ، و « المتظم » (١١٩ / ١١) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٧٨ / ١٧) ، و « فوات الوفيات » (٢٢٨ / ٤) ، و « البداية والنهاية » (٣٠٨ / ١٠) .
(٢) تاريخ الإسلام (٦ / ١٧) .

فقال : ويحك !! يُرى كما يُرى المحدود المتجسم ، ويحويه مكان ويحصره الناظر ؟! إنما كفرت برّب هذه صفته ، ما تقولون فيه ؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب ، فدعا بالسيف وقال : إذا قمت إليه . . فلا يقومنّ أحدٌ معي ؛ فإنني أحتسب خطاي إلى هذا الكافر الذي يعبد رباً لا نعبد ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها ، ثم أمر بالنطع ، فأجلس عليه وهو مقيّد ، ومشى إليه فضرب عنقه ، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد ، فصلب بها ، وصلبت جثته في سرٍّ من رَأَى^(١) ، واستمر ذلك ست سنين ، إلى أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه^(٢) .

ولما صلب . . كتب ورقة ، وعلقت في أذنه فيها : هذا رأس أحمد بن نصر بن مالك ، دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة ، فعجله الله إلى ناره^(٣) .

ووكّل بالرأس من يحفظه ، ويصرفه عن القبلّة برمّح ، فذكر الموكّل به : أنه رآه بالليل يستدير إلى القبلّة بوجهه ، فيقرأ سورة (يس) بلسان طلق ، ورويت هذه الحكاية من غير وجه^(٤) .

وفي هذه السنة : استفك من الروم ألف وست مئة أسير مسلم^(٥) ، فقال ابن أبي دُوَاد - قبحه الله - : (من قال من الأسارى : القرآن مخلوق . . خلّصوه ، وأعطوه دينارين ، ومن امتنع . . دعوه في الأسر)^(٦) .

(١) أخرج هذا الخبر الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧٦/٥ - ١٧٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٦/١٧ - ٥٧) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧٩/٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٨/١٧) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧٧/٥ - ١٧٨) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٧/١٧) .

(٤) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧٨/٥ - ١٧٩) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥٨/١٧) ، وقد ذكر المؤلف القصة في « شرح الصدور » (ص ٣٩٩) وأورد رواية أخرى فقال : (ومن طرقها : ما أخرجه الخطيب [٣٨٧/٥] عن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال : كان أحمد بن نصر خالي ، فلما قُتل في المحنة وصلب . . أخبرت أن الرأس تقرأ القرآن ، فمضيت ، فبتُ قريباً منه ، فلما هدأت العيون . . سمعت الرأس تقرأ : ﴿ أَلَمْ أَحْصِ الْنَّاسَ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْنَا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ فاقشعرّ جلدي) .

(٥) في المصادر : (أربعة آلاف وست مئة) .

(٦) تاريخ الطبري (١٤١/٩) ، وتاريخ الإسلام (٦/١٧) .

قال الخطيب : (كان أحمد بن أبي دؤاد قد استولى على الواثق ، وحمله على التشدد في المحنة ، ودعا الناس إلى القول بخلق القرآن . ويقال : إنه رجع عنه^(١) قبل موته^(٢) .

[الشيخ الأزدي يقيم الحجة على الواثق وابن أبي دؤاد]

وقال غيره : (حُمل إليه رجلٌ فيمن حمل ؛ مكبلٌ بالحديد من بلاده ، فلما دخل وابن أبي دؤاد حاضر . قال المقيّد : أخبرني عن هذا الرأي الذي دعوتم الناس إليه : أعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يدع الناس إليه ، أم شيء لم يعلمه ؟ قال ابن أبي دؤاد : بل علمه .

قال : فكان يسعه ألا يدعو الناس إليه ، وأنتم لا يسعكم ؟ ، قال : فبُهِتوا ، وضحك الواثق ، وقام قابضاً على فمه ، ودخل بيتاً ، ومدّ رجله وهو يقول : وسع النبي صلى الله عليه وسلم أن يسكت عنه ولا يسعنا ، فأمر أن يعطى ثلاث مئة دينار ، وأن يردّ إلى بلده ، ولم يمتحن أحداً بعدها ، ومقت ابن أبي دؤاد من يومئذ^(٣) .

والرجل المذكور هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأزدي ؛ شيخ أبي داود والنسائي .

قال ابن أبي الدنيا : (كان الواثق أبيض تعلوه صفرة ، حسن اللحية ، في عينه نكتة^(٤)) .

قال يحيى بن أكثم : (ما أحسن أحد إلى آل أبي طالب ما أحسن إليهم الواثق ؛ ما مات وفيهم فقير^(٥)) .

(١) أي : الواثق .

(٢) تاريخ بغداد (١٨/١٤) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٣-٤٤) ، و « فوات الوفيات » (٢٢٩-٢٣٠) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٨٤/١٧) .

(٥) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٩/١٤) .

[من خصال الواثق الممدحة]

وقال غيره : كان الواثق وافر الأدب ، مليح الشعر ، وكان يحب خادماً أهدي إليه من مصر ، فأغضبه الواثق يوماً ، ثم إنه سمعه يقول لبعض الخدم : والله ؛ إنه ليروم أن أكلمه من أمس فما أفعل ، فقال الواثق (١) :

[من البسيط]

يَا ذَا الَّذِي بَعْدَ أَبِي ظَلَّ مُفْتَحِرًا مَا أَنْتَ إِلَّا مَلِيكَ جَارٍ إِذْ قَدَرَا
لَوْلَا الْهَوَىٰ لَتَجَارَيْنَا عَلَىٰ قَدَرٍ وَإِنْ أَفَقَ مِنْهُ يَوْمًا مَا فَسُوفَ تَرَىٰ

ومن شعر الواثق في خادمه مهج :

[من مجزوء الخفيف]

مَهْجٌ يَمْلِكُ الْمُهْجُ بسجي اللحظ والدَّعَجُ
حَسَنُ الْقَدِّ مَخْطَفٌ ذُو دَلَالٍ وَذُو غَنَجٍ
لَيْسَ لِلْعَيْنِ إِنْ بَدَا عَنْهُ بِاللَّحْظِ مُنْعَرَجٌ

وقال الصولي : (كان الواثق يسمى المأمون الأصغر ؛ لأدبه وفضله ، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده ، وكان الواثق أعلم الناس بكل شيء) .

وكان شاعراً ، وكان أعلم الخلفاء بالغناء ، وله أصوات وألحان عملها نحو مئة صوت ، وكان حاذقاً بضرب العود ، وكان راوية للأشعار والأخبار (٢) .

وقال الفضل اليزيدي : (لم يكن في خلفاء بني العباس أكثر رواية للشعر من الواثق ، فقليل له : كان أروى من المأمون ؟ فقال : نعم ، كان المأمون قد مزج بعلم العرب علم الأوائل من النجوم والطب والمنطق ، وكان الواثق لا يخلط بعلم العرب شيئاً) .

وقال يزيد المهلبی : (كان الواثق كثير الأكل جداً) (٣) .

وقال ابن فهُم : (كان للواثق خوان من ذهب ، مؤلف من أربع قطع ، يحمل

(١) الخبر في « الأغاني » (٣٣٨ / ٩) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٧٩ / ١٧) .

(٢) انظر « الأغاني » (٣٣٤ / ٩) .

(٣) يزيد هو : ابن محمد بن مهلب مات سنة (٢٥٩ هـ) ، والخبر في « مروج الذهب » (٣٦٤ / ٤) .

كل قطعة عشرون رجلاً ، وكل ما على الخوان من غضارة^(١) وصحفة وسُكْرُجَة من ذهب ، فسأله ابن أبي دُوَاد أَلَّا يَأْكُل عليه للنهي عنه ، فأمر أن يكسر ذلك ويضرب ، ويحمل إلى بيت المال) .

[رؤيا الواثق وتأويلها]

وقال الحسين بن يحيى : (رأى الواثق في النوم كأنه يسأل الله الجنة ، وأن قائلاً يقول له : لا يهلك على الله إلا مَنْ قلبه مرت ، فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك ، فلم يعرفوا معناه ، فوجه إلى أبي مُحَلَّم وأحضره^(٢) ، فسأله عن الرؤيا والمرت .

فقال أبو مُحَلَّم : المرت : القفر الذي لا ينبت شيئاً ، فالمعنى على هذا : لا يهلك على الله إلا من قلبه خال من الإيمان خلو المرت من النبات .

فقال له الواثق : أريد شاهداً من الشعر في المرت ، فبادر بعض من حضر فأنشده بيتاً لبني أسد :

وَمَرَّتْ مَرَوْرَاةٌ يَحَارُّ بِهَا الْقَطَا وَيُصْبِحُ ذُو عِلْمٍ بِهَا وَهُوَ جَاهِلٌ
فضحك أبو مُحَلَّم ، وقال : والله لا أبرح حتى أنشدك ، فأنشده للعرب مئة قافية معروفة لمئة شاعر معروف ، في كل بيت ذكر المرت ، فأمر له الواثق بمئة ألف دينار) .

وقال حمدون بن إسماعيل : (ما كان في الخلفاء أحداً أحلم من الواثق ، ولا أصبر على أذى ولا خلاف منه)^(٣) .

وقال أحمد بن حمدون : (دخل هارون بن زياد مؤدّب الواثق إليه ، فأكرمه إلى الغاية ، ف قيل له : من هذا يا أمير المؤمنين الذي فعلت به هذا الفعل ؟

(١) الغضارة : أوان تصنع من طين .

(٢) اسمه : محمد بن هشام .

(٣) الخبر في « الأغاني » (٣٠٦ / ٢٠) .

قال : هذا أول من فتق لساني بذكر الله ، وأدنانني من رحمة الله (١) .

ومن مديح علي بن الجهم فيه (٢) : [من مجزوء الرمل]

وَتَقَتْ بِالْمَلِكِ الْوَاثِقُ بِاللَّهِ الْفُوسُ
مَلِكٌ يَشْقَى بِهِ الْمَا لٌ وَلَا يَشْقَى الْجَلِيسُ
أَسَدٌ يَضْحَكُ عَنْ شَدِّ اتِهِ الْحَرْبُ الْعَبُوسُ
أَنْسَ السِّيفُ بِهِ وَاسِدَ تَوَحُّشِ الْعَلَقُ النَّفِيسُ
يَا بَنِي الْعَبَّاسِ يَا أَبَى اللَّهِ هُـ إِلَّا أَنْ تَرْوَسُوا

[وفاة الواثق]

مات الواثق بسرٍّ مَنْ رَأَى ، يوم الأربعاء ، لست بقين من ذي الحجة ، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين .

ولما احتضر . . جعل يردد هذين البيتين (٣) : [من البسيط]

الْمَوْتُ فِيهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ مُشْتَرِكٌ لَا سُوقَةٌ مِنْهُمْ يَبْقَى وَلَا مَلِكٌ
مَا ضَرَّ أَهْلَ قَلِيلٍ فِي تَفَاقُرِهِمْ وَلَيْسَ يُغْنِي عَنْ الْأَمْلَاقِ مَا مَلَكَوْا
وَحَكِي أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ . . تَرَكَ وَحْدَهُ ، واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل ، فجاء جردون فاستل عينه فأكلها .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : مُسَدَّد ، وخلف بن هشام البزار المقرئ ، وإسماعيل بن سعيد الشَّالَنْجِي شيخ أهل طبرستان ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي ، وأبو تَمَّام الطَّائِي الشاعر ، ومحمد بن زياد ابن الأعرابي اللغوي ،

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧ / ١٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٥٠ - ١٥١) ، و « تاريخ الطبري » (٩ / ١٥٢) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخه » (١٩ / ١٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٧ / ٣٨٤ - ٣٨٥) .

والبُويطي صاحب الشافعي مسجوناً مقيداً في المحنة ، وعلي بن المغيرة الأثرم اللغوي ، وآخرون .

[من شعر الواثق]

وأسند الصولي عن جعفر بن علي بن الرشيد قال : (كُنَّا بين يدي الواثق وقد اصطبَح ، فناولَه خادَمه مهج ورداً و نرجساً ، فأَنشد في ذلك بعد يوم لنفسه : [من السريع]

حَيَّاكَ بِالنَّارِ جِسِّ وَالْوَرْدِ	مَعْتَدُلُ الْقَامَةِ وَالْقَدِّ
فَأَلْهَبَتْ عَيْنَاهُ نَارَ الْهَوَى	وَزَادَ فِي اللَّوْعَةِ وَالْوَجْدِ
أَمَلْتُ بِالْمُلْكِ لَهُ قُرْبَهُ	فَصَارَ مُلْكِي سَبَبَ الْبُعْدِ
وَرَنَحْتُهُ سَكَرَاتِ الْهَوَى	فَمَالَ بِالْوَصْلِ إِلَى الصَّدِّ
إِنْ سُلَّ الْبَذْلَ ثَنَى عِطْفَهُ	وَأَسْبَلَ الدَّمْعَ عَلَى الْخَدِّ
غُرَّ بِمَا تَجْنِيهِ أَلْحَاظُهُ	لَا يَعْرِفُ الْإِنْجَازَ لِلْوَعْدِ
مَوْلَى تَشَكَّى الظُّلْمَ مِنْ عَبْدِهِ	فَأَنْصَفُوا الْمَوْلَى مِنَ الْعَبْدِ

قال : فأجمعوا أنه ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات .

وقال الصولي : حدثني عبد الله بن المعتز قال : أنشدني بعض أهلنا للواثق ، وكان يهوى خادمين ؛ لهذا يوم يخدمه فيه ، ولهذا يوم : [من السريع]

قَلْبِي قَسِيمٌ بَيْنَ نَفْسَيْنِ	فَمَنْ رَأَى رُوحاً بِجِسْمَيْنِ
يَغْضَبُ ذَا إِنْ جَادَ بِالرِّضَا	فَالْقَلْبُ مَشْغُولٌ بِشَجْوَيْنِ

وأخرج عن الحزنبُل قال : (غُنِّيَ فِي مَجْلِسِ الْوَاثِقِ بِشَعْرِ الْأَخْطَلِ ^(١)) : [من البسيط]

وَشَادِنٍ مَرِيحٍ بِالْكَاسِ نَادِمْنِي لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَوَّارِ

فَقِيلَ : بِسَوَّارٍ وَسَّارٍ ؟ فَوَجَّهَ إِلَى ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :

سَوَّارٌ : وَثَابٌ ، يَقُولُ : لَا يَثْبُ عَلَى نَدْمَائِهِ ، وَسَّارٌ : يُفْضَلُ فِي الْكَأْسِ سُوراً ، وَقَدْ رَوِيَ جَمِيعاً ، فَأَمَرَ الْوَاثِقُ لَابْنَ الْأَعْرَابِيِّ بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(١) البيت في « ديوانه » (ص ١٤٥) .

[أيهما أشعر؟]

وقال : (حدثني ميمون بن إبراهيم ، حدثني أحمد بن الحسين بن هشام
قال : تلاحي الحسين بن الضحَّاك ومُخَارِق يوماً في مجلس الواثق في أبي نُوَاس
وأبي العتاهية ، أيهما أشعر ؟

فقال الواثق : اجعلا بينكما خطراً^(١) ، فجعلا بينهما مئتي دينار ، فقال
الواثق : مَنْ هنا مِنَ العلماء ؟ فقل : أبو مُحَلَّم ، فأحضره فسُئِلَ عن ذلك ،
فقال : أبو نُوَاس أشعر وأذهب في فنون العرب ، وأكثر افتناناً من أفانين الشعر ،
فأمر الواثق بدفع الخطر إلى الحسين) .

(١) الخطر : الرهان .

خلاف المتوكل على الله جعفر

[٢٣٢-٢٤٧هـ] ^(١)

أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد ، اسمها : شجاع ، ولد سنة خمس - وقيل : سبع - ومئتين ، وبويع له في ذي الحجة ، سنة اثنتين وثلاثين ومئتين بعد الواثق ، فأظهر السُّنَّة ، ونصر أهلها ، ورفع المحنة ، وكتب بذلك إلى الآفاق ؛ وذلك في سنة أربع وثلاثين ، واستقدم المحدثين إلى سامراء ، وأجزل عطاياهم وأكرمهم ، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية .

وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرِّصَافَة ، فاجتمع له نحو من ثلاثين ألف نفس ، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور ، فاجتمع إليه أيضاً نحو من ثلاثين ألف نفس .

وتوفر دعاء الخلق للمتوكل ، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له ، حتى قال قائلهم : (الخلفاء ثلاثة : أبو بكر الصديق رضي الله عنه : في قتال أهل الردة ، وعمر بن عبد العزيز : في رد المظالم ، والمتوكل : في إحياء السنة وإماتة التجَّهْم) ^(٢) .

[من الطويل]

وقال أبو بكر بن الخبازة في ذلك :

وبعدُ فإنَّ السَّنَّةَ اليَوْمَ أَصْبَحَتْ	معززة حتى كأن لم تُذَلَّلِ
تصوُلُ وتَسْطُو إذ أُقِيمَ مَنَارُهَا	وحُطَّ مَنَارُ الإِفْكِ والزُّورِ من عَلِ
وولَّى أخو الإبداعِ في الدِّينِ هَارِباً	إلى النارِ يَهْوِي مُدْبِراً غيرَ مُقْبِلِ
شَفَى الله منهم بالخليفةِ جَعْفَرٍ	خليفته ذي السَّنَّةِ المتوَكِّلِ

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٢٢/٩) ، و « مروج الذهب » (٥/٥) ، و « تاريخ بغداد »

(١٦٥/٧) ، و « المنتظم » (١٧٨/١١) ، و « تاريخ الإسلام » (١٩٤/١٨) ، و « فوات الوفيات »

(٢٩٠/١) ، و « البداية والنهاية » (٣٤٩/١٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٣/١٧) .

خليفة ربّي وابن عمّ نبيّه وخير بني العباس منّ منهم ولي
 وجامع شمل الدّين بعد تشّتت وفاري رؤوس المارقين بمنصل
 أطال لنا ربّ العباد بقاءه سليماً من الأهوال^(١) غير مُبدّل
 وبوّاه بالنصر للدّين جنّة يُجاور في روضاتها خير مرسل

[فالج ابن أبي دؤاد ، وخبر الريح الشديدة]

وفي هذه السنة : أصاب ابن أبي دؤاد فالج صيره حجراً ملقى ، فلا أجره الله^(٢) .

ومن عجائب هذه السنة : أنه هبت ريح بالعراق شديدة السموم لم يعهد مثلها ، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد ، وقتلت المسافرين ، ودامت خمسين يوماً ، واتصلت بهمدان فأحرقت الزرع والمواشي ، واتصلت بالموصل وسنجار ، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق ، ومن المشي في الطرقات ، وأهلكت خلقاً عظيماً^(٣) .

وفي السنة التي قبلها : جاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور ، وهلك تحتها خلق ، وامتدت إلى أنطاكية فهدمتها ، وإلى الجزيرة فأخربتها ، وإلى الموصل فيقال : هلك من أهلها خمسون ألفاً^(٤) .

وفي سنة خمس وثلاثين ومئتين : ألزم المتوكل النصارى بلبس العسلي^(٥) .

(١) في غير (أ) : (الأهواء) .

(٢) تاريخ الإسلام (١١/١٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٢/١٧-١٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (١١/١٧) .

(٥) تاريخ الطبري (١٧١/٩) ، وتاريخ الإسلام (١٦/١٧) ، والعسلي : أي : الطيالة ذات اللون العسلي .

[الأمر بهدم قبر الحسين]

وفي سنة ست وثلاثين : أمر بهدم قبر الحسين ، وهدم ما حوله من الدور ، وأن يعمل مزارع ، ومنع الناس من زيارته ، وحرث وبقي صحراء ، وكان المتوكل معروفاً بالنصب ، فتألم المسلمون لذلك ، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد ، وهجاه الشعراء^(١) ، فمما قيل في ذلك^(٢) : [من الكامل]

تَاللهُ إِنْ كَانَتْ أُمِيَّةٌ قَدْ أَتَتْ قَتَلَ ابْنَ بِنْتِ نَبِيِّهَا مَظْلُومَا
فَلَقَدْ أَتَاهُ بَنُو أَبِيهِ بِمِثْلِهِ هَذَا لَعْمَرُكَ قَبْرُهُ مَهْدُومَا
أَسْفُوا عَلَى الْأَى يَكُونُوا شَارَكُوا فِي قَتْلِهِ فَتَبَّعُوهُ رَمِيمَا

[إهانة قاضي مصر وحلق لحيته]

وفي سنة سبع وثلاثين : بعث إلى نائب مصر أن يحلق لحية قاضي القضاة بمصر أبي بكر محمد بن أبي الليث ، وأن يضربه ويطوف به على حمار ، ففعل ونعم ما فعل ؛ فإنه كان ظالماً من رؤوس الجهمية ، وولى القضاء بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك بعد تمتع ، وأهان القاضي المعزول بضربه كل يوم عشرين سوطاً ؛ ليرد الظلمات إلى أهلها^(٣) .

وفي هذه السنة : ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت والبيادر ، ولم تزل تحرق إلى ثلث الليل ، ثم كفت^(٤) .

وفيها : طلب من أحمد ابن حنبل المجيء إليه ، فسار إليه ولم يجتمع به ، بل دخل على ولده المعتز^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (١٧/١٨-١٩) .

(٢) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (١٧/١٩) ، منسوبة لابن السكيت ، وقيل : للبسامي علي بن أحمد .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧/٢٢) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٧/٢٣) .

(٥) تاريخ الإسلام (١٧/٢٤) .

وفي سنة ثمان وثلاثين : كبست الروم دمياط ، ونهبوا وأحرقوا ، وسبوا منها ست مئة امرأة ، وولوا مسرعين في البحر^(١) .

وفي سنة أربعين : سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء ، فمات منها خلق ، ووقع برد بالعراق كبيض الدجاج ، وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب^(٢) .

وفي سنة إحدى وأربعين : ماجت النجوم في السماء ، وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل ، وكان أمراً مزعجاً لم يعهد^(٣) .

[من العجائب التي وقعت]

وفي سنة اثنتين وأربعين : زلزلت الأرض زلزلة عظيمة بقومس وأعمالها ، والري وجرجان ، ونيسابور ، وطبرستان ، وأصبهان ، وتقطعت الجبال ، وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق ، ورجمت قرية السويداء بناحية مصر من السماء ، ووزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرتال ، وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله حتى أتى مزارع آخرين ، ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان ، فصاح : (يا معاشر الناس ؛ اتقوا الله ، الله ، الله ، وصاح أربعين صوتاً ، ثم طار ، وجاء من الغد ففعل كذلك ، وكتب البريد بذلك ، وأشهد خمس مئة إنسان سمعوه)^(٤) .

وفيها : حج من البصرة إبراهيم بن مُطَهَّر الكاتب على عجلة تجرها الإبل ، وتعجب الناس من ذلك^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٦/١٧) ، والخبر في « تاريخ الطبري » (١٩٣/٩ - ١٩٤) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٠/١٧) .

(٣) سير أعلام النبلاء (٣٧/١٢) .

(٤) الخبر في « المتتظم » (٢٩٦/١١) ، و« نهاية الأرب » (٢٢/٢١٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٧/١٨ -

(٨) .

(٥) تاريخ الإسلام (٩/١٨) .

وفي سنة ثلاث وأربعين : قدم المتوكل إلى دمشق ، فأعجبته ، وبُني له القصر بداريا ، وعزم على سكنها ، فقال يزيد بن محمد المهلبى : [من الوافر]

أظن الشام تشمتُ بالعراق إذا عزمَ الإمامُ على انطلاقٍ
فإن تدع العراقَ وساكنيه فقد تبلى المليحة بالطلاق
فبدا له ورجع بعد شهرين أو ثلاثة^(١) .

[قصة قتل ابن السكيت]

وفي سنة أربع وأربعين : قتل المتوكل يعقوب بن السكيت الإمام في العربية ؛ فإنه نذبه إلى تعليم أولاده ، فنظر المتوكل يوماً إلى ولديه المعتز والمؤيد فقال لابن السكيت : (من أحب إليك هما أو الحسن والحسين ؟ فقال : قنبر - يعني : مولى علي - خيرٌ منهما ، فأمر الأتراك فدا سوا بطنه حتى مات)^(٢) .

وقيل : أمر بسل لسانه فمات ، وأرسل إلى ابنه بديته^(٣) ، وكان المتوكل ناصبياً .

وفي سنة خمس وأربعين : عمت الزلازل الدنيا ، فأخربت المدن والقلاع والقناطر ، وسقط من أنطاكية جبل في البحر ، وسمع من السماء أصوات هائلة ، وزلزلت مصر ، وسمع أهل بلبيس من ناحية مصر ضجة هائلة ، فمات خلق من أهل بلبيس ، وغارت عيون مكة ، فأرسل المتوكل مئة ألف دينار لإجراء الماء من عرفات إليها^(٤) .

[جود المتوكل على الشعراء]

وكان المتوكل جواداً ممدحاً ، يقال : (ما أعطى خليفة شاعراً ما أعطى

(١) تاريخ الطبري (٢٠٩/٩) ، وتاريخ الإسلام (١٠/١٨) .

(٢) أورده الإمام الذهبي في « سير أعلام النبلاء » (١٨/١٢) .

(٣) أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤٠٠-٤٠١) ، وانظر « بغية الوعاة » (٣٤٩/٢) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (١٨/١٤-١٥) .

المتوكل ، وفيه يقول مروان بن أبي الجَنُوب : [من الطويل]

فأمسك نديّ كفيك عني ولا تزدد فقد خفت أن أظغي وأن أتجبرا
فقال : لا أمسك حتى يغرقك جودي ، وكان أجازته على قصيدة بمئة ألف
وعشرين ألفاً وخمسين ثوباً^(١) .

ودخل علي بن الجَهْم عليه يوماً ويده درتان يقلبهما ، فأنشده قصيدة له ،
فدحى إليه بدرّة فقلبها ، فقال : تستنقص بها وهي والله خير من مئة ألف ،
فقال : لا ؛ ولكني فكرت في أبيات أعملها آخذ بها الأخرى ، فقال : قل ،
فقال :

[من مخلع البسيط]

بُسْرًا مَنْ رَأَى إِمَامًا عَذِلَ	تَغَرَّفَ مِنْ بَحْرِهِ الْبَحَارُ
يُرْجَى وَيُخْشَى لِكُلِّ خَطْبٍ	كَأَنَّهُ جَنَّةٌ وَنَارُ
الْمَلِكُ فِيهِ وَفِي بَيْتِهِ	مَا اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ
يَدَاهُ فِي الْجُودِ ضَرَّتَانِ	عَلَيْهِ كِلْتَاهُمَا تَغَارُ
لَمْ تَأْتِ مِنْهُ الْيَمِينُ شَيْئًا	إِلَّا أَتَتْ مِثْلَهَا الْيَسَارُ

فدحى إليه بالدرة الأخرى^(٢) .

[فَكَيْفَ أَكَلَا]

[ثمانية سُلّم عليهم بالخلافة وكلُّ منهم أبوه خليفة]

قال بعضهم : (سلم على المتوكل بالخلافة ثمانية كل واحد منهم أبوه
خليفة : منصور بن المهدي ، والعباس بن الهادي ، وأبو أحمد بن الرشيد ،
وعبد الله بن الأمين ، وموسى بن المأمون ، وأحمد بن المعتصم ، ومحمد بن
الواثق ، وابنه المنتصر)^(٣) .

(١) تاريخ بغداد (١٥٣/١٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٩٨/١٨) .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٦٧/٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٩٧/١٨) ، والأبيات
في « ديوانه » (ص ١٢٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩٨/١٨) .

وقال المسعودي : (لا يعلم أحدٌ متقدّمٌ في جدٍّ ولا هزلٍ . . إلا وقد حظي في دولته ، ووصل إليه نصيب وافر من المال)^(١) .

وكان منهمكاً في اللذات والشراب ، وكان له أربعة آلاف سرية وطيء الجميع^(٢) .

وقال علي بن الجهم : كان المتوكل مشغولاً بقبيحة أم ولده المعتز ، لا يصبر عنها ، فوقفت له يوماً وقد كتبت على خديها بالغالية : جعفرأ ، فتأملها وأنشأ يقول :

وكاتبية بالمسك في الخدِّ جعفرأ بنفسي مخطُّ المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطرأ من المسك خدّها لقد أودعت قلبي من الحبِّ أسطرا^(٣)

[إكرام المتوكل لذي النون المصري]

وفي كتاب « المحن » للسلمي : (أن ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية ، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم وكان رئيس مصر ، ومن جلة أصحاب مالك ، وأنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف ، ورماه بالزندقة ، فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده ، فتكلّم فرضي أمره ، وكتب به إلى المتوكل ، فأمر بإحضاره ، فحمل على البريد ، فلما سمع كلامه . . ولع به وأحبه وأكرمه ، حتى كان يقول : إذا ذكر الصالحون . . فحيها بذي النون)^(٤) .

[عهد المتوكل وقتل ولده له]

كان المتوكل بايع بولاية العهد لابنه : المنتصر ، ثم المعتز ، ثم المؤيد ، ثم إنه أراد أن يقدم المعتز لمحبه لأمه ، فسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى ،

(١) مروج الذهب (٣٩/٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩٩/١٨ و ٢٠٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩٨/١٨) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (٥٣٤/١١) .

فكان يحضره مجلس العامة ويحط منزلته ، ويتهدده ويشتمه ويتوعده ، واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمر ، فاتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه ، فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه ، فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان ؛ وذلك في خامس شوال ، سنة سبع وأربعين ومئتين .

ورئي في النوم ، ف قيل له : (ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقليل من السنة أحييتها)^(١) .

ولما قُتل . . رثته الشعراء ، من ذلك قول يزيد المهلبي^(٢) :

جاءتْ منيَّته والعينُ هاجِعةٌ هلاً أته المَنَايا والقَنَا قصْدُ
خليفةٌ لم يَنَلْ ما ناله أحدٌ ولم يُصْغِ مثله روحٌ ولا جسدٌ

[وصيفة وفية للمتوكل]

وكان من حظاياه : وصيفة تسمى محبوبه ، شاعرة عالمة بصنوف العلم عَوَّادة ، فلما قتل . . ضُمت إلى بغا الكبير ، فأمر بها يوماً للمنادمة ، فجلست منكسرة ، فقال : (غني ، فاعتلت ، فأقسم عليها وأمر بالعود ، فوضع في حجرها ، فغنت ارتجالاً :

أَيُّ عَيْشٍ يَلِدُ لِي لَا أَرَى فِيهِ جَعْفَرًا
مَلِكٌ قَدْ رَأَيْتُهُ فِي نَجِيعٍ مُعَفَّرًا
كُلُّ مَنْ كَانَ ذَا هُيَا مِمْسَقٍ فَقَدْ بَرَا
غَيْرَ مَحْبُوبَةِ التِّي لَوْ تَرَى الْمَوْتَ يُشْتَرَى
لَا شَتَرْتُهُ بِمَا حَوَتْ هـ يَدَاهَا لَتَقْبَرَا
إِنَّ مَوْتَ الْحَزِينِ أَطْ يَبُّ مِنْ أَنْ يُعْمَرَا

فغضب بغا ، وأمر بها فسجنت ، فكان آخر العهد بها)^(٣) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧٠ / ٧) .

(٢) البيتان في « مروج الذهب » (٤١ / ٥) و « تاريخ الإسلام » (٢٠٢ / ١٨) .

(٣) الخبر في « مروج الذهب » (٤٣ / ٥ - ٤٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٠٢ / ١٨ - ٢٠٣) .

[المتوكل ووزيره عاشا معاً وماتا معاً]

ومن الغريب : أن المتوكل قال للبحثري : (قل فيَّ شعراً وفي الفتح بن خاقان ؛ فإنني أحب أن يحيا معي ، ولا أفقده فيذهب عيشي ، ولا يفقدني ^(١) ، فقل في هذا المعنى ، فقال :

سَيِّدِي أَنْتَ كَيْفَ أَخْلَفْتَ وَعَدِي وَتَشَاقَلْتَ عَنْ وِفَاءٍ بَعْهَدِي
لَا أَرْتَنِي الْأَيَّامُ فَقَدْكَ يَافَتْ حُ لَا عَرَفْتُكَ مَا عَشْتَ فَقَدِي
أَعْظَمُ الرُّزْءُ أَنْ تُقَدِّمَ قَبْلِي وَمِنَ الرُّزْءِ أَنْ تَوَخَّرَ بَعْدِي
حَذَرًا أَنْ تَكُونَ إِلْفًا لِغَيْرِي إِذْ تَفَرَّدْتُ بِالْهَوَىٰ فِيكَ وَحْدِي
فقتلا معاً ؛ كما تقدم ^(٢) .

ومن أخبار المتوكل

أخرج ابن عساكر : (أن المتوكل رأى في النوم : كأن سكرأ سليمانياً سقط عليه من السماء ، مكتوب عليه : جعفر المتوكل على الله ، فلما بويع . . خاض الناس في تسميته ، فقال بعضهم : نسميه المنتصر ، فحدث المتوكل أحمد بن أبي دؤاد بما رأى في منامه ، فوجده موافقاً ، فأمضى وكتب به إلى الآفاق ^(٣) .

[تعظيم المتوكل للإمام الشافعي وتمذهبه بمذهبه]

وأخرج عن هشام بن عمار قال : (سمعت المتوكل يقول : واحسرتي على محمد بن إدريس الشافعي ؛ كنت أحب أن أكون في أيامه ، فأراه وأشاهده وأتعلم منه ؛ فإنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول : « يا أيها الناس ؛ إن محمد بن إدريس المطلبي قد صار إلى رحمة الله تعالى ، وخلف فيكم

(١) في « تاريخ دمشق » (٢٢٦/٤٨) : (ولا يفقدني فيذل) .

(٢) أخرج الخبر ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٢٦/٤٨) ، والأبيات في « ديوانه » (٥٢٢/١ - ٥٢٣) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٨٩/٦) لابن منظور ، وأخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٦٥/٧) .

علماً حسناً ، فاتبعوه .. تهتدوا » ، ثم قال : اللهم ؛ ارحم محمد بن إدريس رحمة واسعة ، وسهل عليّ حفظ مذهبه ، وانفعني بذلك ^(١) .

قلت : استفدنا من هذا : أن المتوكل كان متمذهباً بمذهب الشافعي ، وهو أول من تمذهب له من الخلفاء .

[نزهتك من عذاب الله]

وأخرج عن أحمد بن علي البصري قال : (وجّه المتوكل إلى أحمد بن المعدّل وغيره من العلماء ، فجمعهم في داره ، ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعدّل ، فقال المتوكل لعبيد الله : إن هذا لا يرى بيعتنا ، فقال له : بلى يا أمير المؤمنين ؛ ولكن في بصره سوء .

فقال أحمد بن المعدّل : يا أمير المؤمنين ؛ ما في بصري سوء ، ولكن نزهتك من عذاب الله ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا . . فليَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ » فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه ^(٢) .

وأخرج عن يزيد المهلبّي قال : (قال لي المتوكل : يا مهلبّي ؛ إن الخلفاء كانت تتصعب على الرعية لتطيعها ، وأنا ألين لهم ليحبوني ويطيعوني ^(٣) .

[جزاء الهم بالخير]

وأخرج عن عبد الأعلى بن حماد النّزسي قال : (دخلت على المتوكل فقال لي : يا أبا يحيى ؛ ما أبطأ بك عنا ؟ منذ ثلاث لم نرك ، كنا هممنا لك بشيء فصرفناه إلى غيرك .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ جزاك الله عن هذا الهم خيراً ، ألا أنشدك بهذا

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٨٨ / ٦) لابن منظور .

(٢) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٨٨ / ٦) لابن منظور .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٦٦ / ٧) ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٨٩ / ٦) لابن منظور .

[من البسيط]

المعنى بيتين ؟ قال : بلى ، فأنشدته :

لأشكرنَّكَ مَعْرُوفاً هَمَمْتُ بِهِ إِنْ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفُ
وَلَا أَلُومَكَ إِذْ لَمْ يُمَضِّهِ قَدْرُ فَالرَّزْقُ بِالْقَدْرِ الْمَحْتَوِمْ مَصْرُوفُ
فَأَمْرٌ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ^(١) .

[عزيت نفسي بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم]

وأخرج عن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي قال : دخلت على المتوكل لما توفيت أمه ، فقال : يا جعفر ؛ ربما قلت البيت الواحد ، فإذا جاوزته .. خلطتُ ، وقد قلت :

تَذَكَّرْتُ لَمَّا فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا فَعَزَّيْتُ نَفْسِي بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
فَأَجَازَهُ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ الْمَجْلِسَ :
وَقُلْتُ لَهَا إِنْ الْمَنَايَا سَبِيلُنَا فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي يَوْمِهِ مَاتَ فِي غَدٍ ^(٢)

[صفة رجل أطيب عيشاً من الخليفة]

وأخرج عن الفتح بن خاقان قال : (دخلت يوماً على المتوكل فرأيتَه مطرقاً متفكراً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ ما هذا الفكر ؟ ! فوالله ؛ ما على ظهر الأرض أطيب منك عيشاً ، ولا أنعم منك !!
فقال : يا فتح ؛ أطيب عيشاً مني : رجل له دار واسعة ، وزوجة صالحة ، ومعيشة حاضرة ، لا يعرفنا فتؤذيه ، ولا يحتاج إلينا فنزدريه) ^(٣) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٧٥ / ١١) ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٨٩ / ٦) لابن منظور .

(٢) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٦٩ / ٧) .

(٣) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٩٠ / ٦) لابن منظور ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٦٩ / ٧) .

[الجارية الشاعرة والمتوكل]

وأخرج عن أبي العيْناء قال : أُهديت إلى المتوكل جارية شاعرة ، اسمها : فضل ، فقال لها : أشاعرة أنت ؟ قالت : هلكذا زعم من باعني واشتراني ، فقال : أنشدينا شيئاً من شعرك ، فأنشدته : [من السريع]

استقبلَ المُلْكُ إمامَ الهدى عامَ ثلاثٍ وثلاثينَا
خلافَةً أفضتُ إلى جعفرٍ وهو ابنُ سبعٍ بعدَ عشرينَا
إنَّا لنرجو يا إمامَ الهدى أن تملكَ المُلْكُ ثمانينَا
لا قدسَ الله امرأاً لم يقل عند دُعائي لك آمينَا^(١)

[منامان توافقا]

وأخرج عن علي بن الجَهْم قال : (أُهدي إلى المتوكل جارية يقال لها : محبوبة ، قد نشأت بالطائف ، وتعلمت الأدب ، وروت الأشعار ، فأغري المتوكل بها ، ثم إنه غضب عليها ، ومنع جواري القصر من كلامها ، فدخلت عليه يوماً ، فقال لي : قد رأيت محبوبة في منامي كأنني قد صالحتها وصالحتني ، فقلت : خيرأيا أمير المؤمنين .

فقال : قم بنا لننظر ما هي عليه ، فقمنا حتى أتينا حجرتها ؛ فإذا هي تضرب بالعود وتقول :

أدورُ في القصرِ لا أرى أحداً أشكو إليه ولا يكلمُنِي
حتى كأنني أتيتُ معصيةً ليسَتْ لها توبةٌ تخلصُنِي
فهل شفيعٌ لنا إلى ملكٍ قد زارني في الكرى فصالحُنِي
حتى إذا ما الصُّباحُ لاحَ لنا عادَ إلى هجره فصارَمُنِي

فصاح المتوكل ، فخرجت إليه ، فأكبت على رجليه تقبلهما ، فقالت : يا سيدي ؛ رأيتك في ليلتي هذه كأنك صالحتني ، قال : وأنا والله قد رأيتك ،

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر في « المتظم » (٧/٥) .

فردها إلى مرتبتها ، فلما قتل المتوكل .. صارت إلى بغا... وذكر الأبيات السابقة^(١) .

[مدح البحري للمتوكل في رفعه للمحنة]

وأخرج عن علي البحري يمدح المتوكل فيما رَفَعَ من المحنة ، ويهجو ابن أبي دؤاد :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ شَكَّرْنَا	إِلَى أَيَّامِكَ الْغُرَّ الْحَسَانَ
رَدَدْتَ الدِّينَ فَذَا بَعْدَ مَا قَدْ	أَرَاهُ فِرْقَتَيْنِ تَخَاصَّمَانِ
قَصَمْتَ الظَّالِمِينَ بِكُلِّ أَرْضٍ	فَأُضْحَى الظُّلُمُ مَجْهُولَ الْمَكَانِ
وَفِي سَنَةٍ رَمَتْ مُتَجَبِّرِيهِمْ	عَلَى قَدَرٍ بَدَاهِيَةٍ عَوَانِ
فَمَا أَبْقَتْ مِنْ ابْنِ أَبِي دُؤَادٍ	سِوَى جَسَدٍ يَخَاطَبُ بِالْمَعَانِي
تَحْيَرُ فِيهِ سَابُورُ بْنُ سَهْلٍ	فَطَاوَلَهُ وَمَنَاهُ الْأَمَانِي
إِذَا أَصْحَابُهُ اصْطَحَبُوا ^(٢) بَلِيلَ	أَطَالُوا الْخَوْضَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ ^(٣)

[رؤيتان في وفاة المتوكل]

وأخرج عن [صالح بن] أحمد ابن حنبل قال : (سهرت ليلة ثم نمت ، فرأيت في نومي كأن رجلاً يعرج به إلى السماء ، وقائلاً يقول :

مَلِكٌ يُقَادُ إِلَى مَلِكٍ عَادِلٍ مُتَفَضِّلٍ فِي الْعَفْوِ لَيْسَ بِجَائِرٍ

ثم أصبحنا فجاء نعي المتوكل من سُرٍّ مَنْ رَأَى إِلَى بَغْدَادِ^(٤) .

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٩١/٦) لابن منظور ، وانظر ما تقدم قريباً (ص ٥٤٤) .

(٢) في (ب ، د ، هـ) : (اصطحبوا) .

(٣) في (ب) : (وأخرج عن البحري) ، ولم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٦٩/٧ - ١٧٠) ، وفيه : عن أبي الغوث يحيى بن البحري ، عن أبيه ، والأبيات في « ديوان البحري » (٢٢٩٠/٤) .

(٤) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧١/٧) ، وما بين معقوفين زيادة منه .

وأخرج عن عمرو بن شيبان الجُهني قال : (رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل في المنام قائلاً يقول :

[من البسيط]

يا نائم العين في أقطارِ جُثمانٍ أفضْ دموعَكَ يا عمرو بنَ شيبانِ
أما ترى الفتيةَ الأرجاسَ ما فعلوا بالهاشمي وبالفتحِ بنِ خاقانِ
وافئِ إلى الله مظلوماً تضجُّ له أهلُ السماواتِ من مثنىٍ ووحدانِ
وسوفَ يأتِيكمُ أخرى مسوِّمةٌ توقَّعوها لها شأنٌ من الشَّانِ
فابكُوا على جعفرٍ وارثوا خليفَتكم فقد بكاه جميعُ الإنسِ والجنانِ

ثم رأيت المتوكل في النوم بعد أشهر ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بقليل من السنة أحييتها ، قلت : فما تصنع ههنا ؟ قال : أنتظر محمداً ابني أخاصمه إلى الله ^(١) .

أحاديث من رواية المتوكل

قال الخطيب : (أخبرنا أبو الحسين الأهوازي ، حدثنا محمد بن إسحاق بن إبراهيم القاضي ، حدثنا محمد بن هارون الهاشمي ، حدثنا محمد بن شجاع الأحمر قال : سمعت المتوكل يحدث عن يحيى بن أكثم ، عن محمد بن عبد الوهاب ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن موسى بن عبد الله بن يزيد ، عن عبد الرحمن بن هلال ، عن جرير بن عبد الله ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ حُرِمَ الرَّفَقَ . . حُرِمَ الْخَيْرَ » أخرجه الطبراني في « معجمه الكبير » من وجه آخر عن جرير ^(٢) .

[حديث مسلسل بالجملة والآباء والخلفاء]

وقال ابن عساكر : (أخبرنا نصر بن أحمد بن مقاتل الشُّوسي ، أخبرنا جدي

(١) لم نقف عليه في مطبوع « تاريخ دمشق » ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧١ / ٧) ، وهو في « مختصر تاريخ دمشق » (٩٢ - ٩٣) لابن منظور .

(٢) تاريخ بغداد (١٦٦ / ٧) ، والمعجم الكبير (٣٤٦ / ٢) ، والحديث في « صحيح مسلم » (٢٥٩٢) .

أبو محمد ، حدثنا أبو علي الحسن بن علي الأهوازي ، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد الأزدي ، حدثنا أبو الطيب محمد بن جعفر بن داران غُندر ، حدثنا هارون بن عبد العزيز بن أحمد العباسي ، حدثنا أحمد بن الحسن المقرئ البزار ، حدثنا أبو عبد الله محمد بن عيسى الكسائي وأحمد بن زهير وإسحاق بن إبراهيم بن إسحاق قالوا : حدثنا علي بن الجهم قال : كنت عند المتوكل ، فتذكروا عنده الجمال ، فقال : إِنَّ حُسْنَ الشَّعْرِ لَمِنْ الْجَمَالِ ، ثم قال : حدثني المعتصم ، حدثنا المأمون ، حدثنا الرشيد ، حدثنا المهدي ، حدثنا المنصور ، عن أبيه ، عن جده ، عن ابن عباس قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جُمَّةٌ إلى شحمة أذنيه ، كأنها نظام اللؤلؤ ، وكان من أجمل الناس ، وكان أسمر رقيق اللون ، لا بالطويل ولا بالقصير ، وكان لعبد المطلب جُمَّةٌ إلى شحمة أذنيه ، وكان لهاشم جُمَّةٌ إلى شحمة أذنيه .

قال علي بن الجهم : وكان للمتوكل جُمَّةٌ إلى شحمة أذنيه ، وقال لنا المتوكل : كان للمعتصم جُمَّةٌ ، وكذلك للمأمون والرشيد والمهدي والمنصور ، ولأبيه محمد ولجده علي ولأبيه عبد الله بن عباس .

قلت : هذا الحديث مسلسل من ثلاثة أوجه : بذكر الجملة ، وبالأباء ، وبالخلفاء ؛ ففي إسناده ست خلفاء .

[من مات في عهده]

مات في أيام خلافة المتوكل من الأعلام : أبو ثور ، والإمام أحمد ابن حنبل ، وإبراهيم بن المنذر الحزامي ، وإسحاق بن راهويه ، وإسحاق النديم ، وروح المقرئ ، وزهير بن حرب ، وسُخْنُون ، وسليمان الشاذكُوني ، وأبو مسعود العسكري ، وأبو جعفر الثَّقَلِي ، وأبو بكر بن أبي شيبة ، وأخوه ، وديك الجن الشاعر ، وعبد الملك بن حبيب إمام المالكية ، وعبد العزيز بن يحيى الغول أحد أصحاب الشافعي ، وعبيد الله بن عمر القواريري ، وعلي بن المَدِيني ، ومحمد بن عبد الله بن نُمير ، ويحيى بن مَعِين ، ويحيى ابن بُكَيْر ، ويحيى بن

يحيى ، ويوسف الأزرق المقرئ ، وبشر بن الوليد الكندي المالكي ، وابن أبي دُوَادَ ذلك الكلب لا رحمه الله ، وأبو الهذيل العلاف شيخ الاعتزال ورأس أهل الضلال ، وجعفر بن حرب من كبار المعتزلة ، وابن كُلاب المتكلم ، والقاضي يحيى بن أكثم ، والحارث المحاسبي ، وحرملة صاحب الشافعي ، وابن السكيت ، وأحمد بن مَنِيع ، وذو النون المصري الزاهد ، وأبو تراب النخشي ، وأبو عمر الدُّوري المقرئ ، ودِعْبِل الشاعر ، وأبو عثمان المازني النحوي ، وخلائق آخرون .

خلافة المنصور بالله محمد

[٢٤٧-٢٤٨هـ] ^(١)

أبو جعفر ، وقيل : أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد رومية ، اسمها : حبشية ، وكان مليح الوجه ، أسمر ، أعين ، أقنى ، ربعة جسيماً بطيناً ، مليحاً مهيباً ، وافر العقل ، راغباً في الخير ، قليل الظلم ، محسناً إلى العلويين ، وصُولاً لهم ، أزال عن آل أبي طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين ، وردَّ على آل الحسين فدك ، فقال يزيد المهلب في ذلك ^(٢) :

ولقد برزت الطالبة بعدما ذُتوا زماناً بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم بعد العداوة بينهم ^(٣) إخوانا
بويح له بعد قتل أبيه في شوال ، سنة سبع وأربعين ، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده ، وأظهر العدل والإنصاف في الرعية ، فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له ، وكان كريماً حليماً .

ومن كلامه : (لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، وأقبح أفعال المقتدر الانتقام) ^(٤) .

ولما ولي . . صار يسب الأتراك ، ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء ، فعملوا عليه ، وهموا به ، فعجزوا عنه ؛ لأنه كان مهيباً شجاعاً ، فطناً متحرّزاً ، فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف دينار في مرضه ، فأشار بفصده ، ثم فصده بريشة مسمومة فمات .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٥١/٩) ، و « مروج الذهب » (٤٦/٥) ، و « تاريخ بغداد » (١١٩/٢) ، و « المنتظم » (٣٥٣/١١) ، و « تاريخ الإسلام » (٤١٦/١٨) ، و « البداية والنهاية » (٣٥٢/١٠) .

(٢) هو : يزيد بن محمد بن المهلب ، مات سنة (٢٥٩هـ) ، والبيتان في « تاريخ الإسلام » (٤١٩/١٨) .

(٣) في النسخ : (منهم) ، والمثبت من « تاريخ الإسلام » .

(٤) انظر « مروج الذهب » (٥٣/٥) .

ويقال : إن ابن طيفور نسي ومرض ، فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضاً .

قيل : بل سم في كُمثرأة ، وقيل : مات بالخوانيق^(١) .

ولما احتضر . قال : (يا أماء ؛ ذهب مني الدنيا والآخرة ، عاجلت أبي فعُوجلت)^(٢) .

مات في خامس ربيع الآخر ، سنة ثمان وأربعين ، عن ست وعشرين سنة ، أو دونها ، فلم يمتّع بالخلافة إلا شهراً معدودة دون الستة أشهر .

وقيل : إنه جلس للهو ، فرأى في بعض البسط دائرة فيها فارس وعليه تاج ، وحوله كتابة فارسية ، فطلب من يقرأ ذلك ، فأحضر رجل فنظره فقطّب ، فقال : (ما هذه ؟ قال : لا معنى لها ، فآلح عليه ، فقال : أنا شيرَوَيْه بن كسرى بن هرمز ، قتلت أبي فلم أمتع بالملك إلا ستة أشهر ، فتغير وجه المنتصر)^(٣) .

وفي « لطائف المعارف » للثعالبي : (أعرق الخلفاء في الخلافة : المنتصر ؛ فإنه هو وآباؤه الخمسة خلفاء ، وكذلك أخواه المعتز والمعتد)^(٤) .

قلت : أعرق منه : المستعصم الذي قتله التتار ، فإن آباءه الثمانية خلفاء .

[من قتل آباءه لم يمتع بملكه]

قال الثعالبي : (ومن العجائب : أن أعرق الأكاسرة في الملك - وهو شيرَوَيْه - قتل آباءه فلم يعيش بعده إلا ستة أشهر ، وأعرق الخلفاء في الخلافة وهو المنتصر قتل آباءه فلم يمتع بعده سوى ستة أشهر)^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٤١٧/١٨-٤١٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤١٨/١٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤١٩/١٨-٤٢٠) ، والخبر أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (١٢٠/٢-١٢١) .

(٤) لطائف المعارف (ص ٦٣-٦٤) وليس فيه ذكر المعتد .

(٥) لطائف المعارف (ص ٦٤) .

خلافة المستعين بالله

[٢٤٨-٢٥٢هـ] (١)

أبو العباس ، أحمد بن المعتصم بن الرشيد ، وهو أخو المتوكل ، ولد سنة إحدى وعشرين ومئتين ، وأمه : أم ولد ، اسمها : مخارق .

وكان مليحاً أبيض ، بوجهه أثر الجدري ، أثلغ ، ولما مات المنتصر . . اجتمع القواد وتشاوروا ، وقالوا : متى وليتم أحداً من ولد المتوكل . . لا يبقى منا باقية .

فقالوا : ما لها إلا أحمد بن المعتصم ولد أستاذنا ، فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة ، واستمر إلى أول سنة إحدى وخمسين ، فتكر له الأتراك لما قتل وصيفاً وبُغاً باغراً التركي الذي فتك بالمتوكل ، ولم يكن للمستعين مع وصيف وبغا أمر ، حتى قيل في ذلك (٢) :

خليفةٌ في قفصٍ بينَ وصيفٍ وبُغَا
يقولُ ما قالاً له كَمَا تقولُ البَغَا

ولما تنكر له الأتراك . . خاف وانحدر من سامراء إلى بغداد ، فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له ، ويسألونه الرجوع فامتنع ، فقصدوا الحبس ، وأخرجوا المعتز بالله ، وبايعوه وخلعوا المستعين .

ثم جهز المعتز جيشاً كثيفاً لمحاربة المستعين ، واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين ، ف وقعت بينهما وقعت ، ودام القتال شهراً ، وكثر القتل ، وغلت

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٥٦/٩) ، و « تاريخ بغداد » (٨٤/٥) ، و « وفيات الأعيان » (٤٧٩/١) ، و « تاريخ الإسلام » (٥٤/٩) ، و « فوات الوفيات » (١٤٠/١) ، و « البداية والنهاية » (٢/١١) .

(٢) البيتان في « مروج الذهب » (٥٩/٥) بلا نسبة ، ونسب البيتان في « ربيع الأبرار » (٤٥٥/٥) لجنيد الكاتب الملقب : باذنجانة .

الأسعار ، وعظم البلاء ، وانحل أمر المستعين ، فسعوا في الصلح على خلع المستعين ، وقام في ذلك إسماعيل القاضي وغيره بشروط مؤكدة .

فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين ، وأشهد عليه القضاة وغيرهم ، وأحدر إلى واسط ، فأقام بها تسعة أشهر محبوساً ، موكلاً به أمير ، ثم رد إلى سامراء .

وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون : أن يذهب إلى المستعين فيقتله ، فقال : (والله ؛ لا أقتل أولاد الخلفاء) .

فندب له سعيد الحاجب ، فذبحه ثالث شوال من السنة ، وله إحدى وثلاثون سنة .

وكان أخبارياً فاضلاً أديباً^(١) ، وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة ، فجعل عرضها نحو ثلاثة أشبار ، وصغر القلانس وكانت قبله طوالاً^(٢) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : عبد بن حُميد ، وأبو الطاهر بن السَّرح ، والحرث بن مسكين ، والبرِّي المقرئ ، وأبو حاتم السَّجِسْتاني ، والجاحظ ، وآخرون .

(١) تاريخ الإسلام (١٩/٥٥-٥٦) .

(٢) مروج الذهب (٩٠/٥) .

خلاف المعتز بالله محمد

[٢٥٢-٢٥٥هـ] ^(١)

وقيل : الزبير ، أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين ، وأمه : أم ولد رومية ، تسمى : قبيحة .

وبويع له عند خلع المستعين في سنة اثنتين وخمسين ، وله تسع عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أحدٌ أصغر منه .

وكان بديع الحسن ، قال علي بن حرب أحد شيوخ المعتز ^(٢) في الحديث : (ما رأيت خليفة أحسن منه) ^(٣) .

وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب ، وكان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة ^(٤) .

وأول سنة تولى مات أشناس ؛ الذي كان الواصل استخلفه على السلطنة ، وخلف خمس مئة ألف دينار ، فأخذها المعتز ، وخلع خلعة الملك على محمد بن عبد الله بن طاهر ، وقلّده سيفين ، ثم عزله وخلع خلعة الملك على أخيه - أعني أخا المعتز أبا أحمد ^(٥) - وتوجه بتاج من ذهب ، وقلنسوة مجوهره ، ووشاحين مجوهرين ، وقلّده سيفين ، ثم عزله من عامه ونفاه إلى واسط ، وخلع على بغا الشَّرَابي ، وألبسه تاج الملك ، فخرج على المعتز بعد سنة ، فقتل وجيء إليه برأسه .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٣٨٨/٩) ، و« مروج الذهب » (٧٨/٥) ، و« تاريخ بغداد » (١٢١/٢) ، و« المتظم » (٤٣/١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٨٠/١٩) ، و« فوات الوفيات » (٣١٩/٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠/١١) .

(٢) في (أ) و (د) و (هـ) : (ابن المعتز) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٨١/١٩) .

(٤) مروج الذهب (٩٠/٥) .

(٥) اسمه : محمد ، وقيل : طلحة بن المتوكل على الله جعفر .

[قتل المعتز أخاه المؤيد]

وفي رجب من هذه السنة : خلع المعتز أخاه المؤيد من العهد ، وضربه وقيدته ، فمات بعد أيام ، فخشي المعتز أن يتحدث عنه : أنه قتله ، أو احتال عليه ، فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر^(١) .

[عزل المعتز وتدبير موته]

وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك ، فاتفق أن جماعة من كبارهم أتوه وقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ أعطنا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخاف منه ، فطلب من أمه مالا لينفقه فيهم ، فأبت عليه ، وشخت نفسها ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء .

فاجتمع الأتراك حينئذ على خلعه ، ووافقهم صالح بن وصيف ومحمد بن بغا ، فلبسوا السلاح ، وجاءوا إلى دار الخلافة ، فبعثوا إلى المعتز : أن اخرج إلينا ، فبعث يقول : قد شربت دواء وأنا ضعيف .

فهجم عليه جماعة ، وجروا برجله ، وضربوه بالدبابيس ، وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون : اخلع نفسك .

ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم أحضروا من بغداد إلى دار الخلافة - وهي يومئذ سامراء - محمد بن الواثق ، وكان المعتز قد أبعدته إلى بغداد ، فسلم المعتز إليه الخلافة وبايعه .

ثم إن الملاء أخذوا المعتز بعد خمس ليالٍ من خلعه ، فأدخلوه الحمام ، فلما تغسل . . عطش ، فمنعوه الماء ، ثم أخرج وهو ميت عطشاً ، فسقوه ماء بثلج ، فشربه وسقط ميتاً ، وذلك في شهر شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين^(٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٨١/١٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٨١/١٩ - ٢٨٢) .

[شخ قبحة أم المعتز]

واختفت أمه قبحة ، ثم ظهرت في رمضان ، وأعطت صالح بن وصيف مالا عظيماً ؛ من ذلك : ألف ألف دينار وثلاث مئة ألف دينار ، وسفط فيه : مكوك زمرد ، وسفط فيه : مكوك لؤلؤ حب كبار ، وكيلجة ياقوت أحمر ، وغير ذلك ، فقومت الأسفاط : بألفي ألف دينار .

فلما رأى ابن وصيف ذلك . . قال : قبحها الله !! عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين ألف دينار ؛ وعندها هذا ؟! فأخذ الجميع ونفاها إلى مكة ، فبقيت بها إلى أن تولّى المعتمد ، فردّها إلى سامراء ، وماتت سنة أربع وستين^(١) .

[من مات في عهده]

مات في أيام المعتز من الأعلام : سري السقطي الزاهد ، وهارون بن سعيد الأيلي ، والذارمي صاحب « المسند » ، والعنبي صاحب « المسائل العتبية » في مذهب مالك ، وآخرون .

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٣٩٣-٣٩٦) .

خلاف المهدي باث

[٢٥٥-٢٥٦هـ] ^(١)

الخليفة الصالح ، محمد أبو إسحاق ، وقيل : أبو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد ، أمه : أم ولد ؛ تسمى : وردة ، ولد في خلافة جده سنة بضع عشرة ومئتين .

وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب ، سنة خمس وخمسين ومئتين ، وما قبل بيعته أحد حتى أتى بالمعز ، فقام المهدي له ، وسلم عليه بالخلافة ، وجلس بين يديه ، فجاء بالشهود ، فشهدوا على المعز : أنه عاجز عن الخلافة ، فاعترف بذلك ، ومد يده فبايع المهدي ، فارتفع حينئذ المهدي إلى صدر المجلس ^(٢) .

وكان المهدي أسمر رقيقاً ، مليح الوجه ، ورعاً متعبداً ، عادلاً قوياً في أمر الله ، بطلاً شجاعاً ؛ لكنه لم يجد ناصرأ ولا معيناً ^(٣) .
قال الخطيب : (لم يزل صائماً منذ ولي إلى أن قُتل) ^(٤) .

[زهد المهدي وتشبهه بعمر بن عبد العزيز]

وقال هاشم بن القاسم : (كنت بحضرة المهدي عشية في رمضان ، فوثبت لأنصرف ، فقال لي : اجلس ، فجلست ، وتقدم فصلي بنا ، ثم دعا بالطعام ، فأحضر طبق خلاف ، وعليه رغيف من الخبز النقي ، وفيه آنية فيها ملح وخل

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٤٥٦/٩) ، و« مروج الذهب » (٩٢/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٣٤٧/٣) ، و« المتكلم » (٨١/١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٢٦/١٩) ، و« فوات الوفيات » (٥٠/٤) ، و« البداية والنهاية » (١٧/١١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٢٦/١٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٢٧/١٩) .

(٤) تاريخ بغداد (٣٤٩/٣) .

وزيت ، فدعاني إلى الأكل ، فابتدأت آكل ظاناً أنه سيؤتي بطعام ، فنظر إليّ وقال : ألم تك صائماً ؟ قلت : بلى .

قال : أفلست عازماً على الصوم ؟ فقلت : كيف لا وهو رمضان ، فقال : فكل واستوف ؛ فليس ههنا من الطعام غير ما ترى .

فعجبت ثم قلت : ولمَ يا أمير المؤمنين ؛ قد أسبغ الله نعمته عليك ؟!

فقال : إن الأمر لعلّى ما وصفت ؛ ولكنني فكرت في أنه كان في بني أمية عمر بن عبد العزيز ، وكان من التقلل والتقصيف على ما بلغك ، فغرت على بني هاشم ، فأخذت نفسي بما رأيت ^(١) .

[تعظيم المهدي للإمام أحمد]

وقال جعفر بن عبد الواحد : (ذاكرت المهدي بشيء ، فقلت له : كان أحمد ابن حنبل يقول به ، ولكنه كان يخالف - أشيرُ إلى من مضى من آبائه - فقال : رحم الله أحمد ابن حنبل ، والله ؛ لو جاز لي أن أتبرأ من أبي . . لتبرأت منه ، ثم قال لي : تكلم بالحق وقل به ؛ فإن الرجل ليتكلم بالحق فينبل في عيني ^(٢) .

[من سيرة المهدي الصالحة]

وقال نفطويه : (حدثني بعض الهاشميين : أنه وجد للمهدي سَفَط فيه جبة صوف وكساء كان يلبسه بالليل ويصلي فيه ، وكان قد أطرح الملاهي ، وحرّم الغناء ، وحسم أصحاب السلطان عن الظلم ، وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين ، يجلس بنفسه ويجلس الكُتّاب بين يديه فيعملون الحساب ، وكان لا يخل بالجلوس الاثنين والخميس ^(٣) .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/٣٤٩ - ٣٥٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٩/٣٢٧) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣/٣٥٠) .

وضرب جماعة من الرؤساء ، ونفى جعفر بن محمود إلى بغداد ، وكره مكانه ؛ لأنه نسب عنده إلى الرفض^(١) .

[فتنة موسى بن بغا وقتل صالح بن وصيف]

وقدم موسى بن بغا من الري يريد سامراء لقتل صالح بن وصيف بدم المعتر وأخذ أموال أمه ومعه جيشه ، فصاحت العامة على ابن وصيف : يا فرعون ؛ قد جاءك موسى ، فطلب موسى بن بغا الإذن على المهتدي ، فلم يأذن له ، فهجم بمن معه عليه وهو جالس في دار العدل ، فأقاموه وحملوه على فرس ضعيفة ، وانهبوا القصر ، وأدخلوا المهتدي إلى دار ناجور^(٢) ، وهو يقول : يا موسى ، اتق الله ، ويحك ما تريد ؟

قال : والله ؛ ما نريد إلا خيراً ، فاحلف لنا ألا تماليء صالح بن وصيف ، فحلف لهم ، فبايعوه حيثئذ .

ثم طلبوا صالحاً لينظروه على أفعاله ، فاخفى ، وندبهم المهتدي إلى الصلح ، فاتهموه أنه يدري مكانه ، فجرئ في ذلك كلام ، ثم تكلموا في خلعه . فخرج إليهم المهتدي من الغد متقلداً بسيفه ، فقال : قد بلغني شأنكم ، ولست كمن تقدمني ؛ مثل : المستعين والمعتز ، والله ؛ ما خرجت إليكم إلا وأنا متحفظ ، وقد أوصيت ، وهذا سيفي ، والله ؛ لأضربن به ما استمسكت قائمته بيدي ، أما دين ؟! أما حياء ؟! أما رعة ؟! كم يكون الخلاف على الخلفاء والجرأة على الله ؟! ثم قال : ما أعلم علم صالح ، فرضوا وانفضوا^(٣) .

ونادى موسى بن بغا : من جاء بصالح . . فله عشرة آلاف دينار ، فلم يظفر به أحد ، واتفق أن بعض الغلمان دخل زقاقاً وقت الحر ، فرأى باباً مفتوحاً فدخل ،

(١) تاريخ الإسلام (٣٢٨/١٩) .

(٢) كذا في نسخنا ، وهكذا ضبطه صاحب « مرآة الجنان » (٢٧٨/١) بالنون والجيم ، وجاء في « تاريخ الطبري » : (ياجور) بالياء والجيم .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩-١٧/١٩) ، والرعة : من الورع .

فمشى في دهليز مظلم ، فرأى صالحاً نائماً ، فعرفه وليس عنده أحد ، فجاء إلى موسى فأخبره ، فبعث جماعة فأخذوه وقطعت رأسه وطيف بها ، وتألم المهتدي لذلك في الباطن .

[قتل المهتدي وقصة ذلك]

ثم رحل موسى ومعه باكبك^(١) إلى السن في طلب مساور ، فكتب المهتدي إلى باكبك : أن يقتل موسى ومفلحاً أحد أمراء الأتراك أيضاً ، أو يمسكهما ؛ ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم ، فأوقف باكبك موسى على كتابه وقال : إني لست أفرح بهذا ، وإنما هذا يعمل علينا كلنا .

فأجمعوا على قتل المهتدي ، وساروا إليه ، فقاتل عن المهتدي المغاربة والفراغنة والأشروسنية ، وقتل من الأتراك في يوم أربعة آلاف ، ودام القتال إلى أن هزم جيش الخليفة وأمسك هو ، فعصر على خصيته فمات ؛ وذلك في رجب سنة ست وخمسين .

فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً ، وكان لما قامت الأتراك عليه . . ثار العوام وكتبوا رقاعاً وألقوها في المساجد : (يا معشر المسلمين ؛ ادعوا الله لخليفتك العدل الرضي ، المضاهي لعمر بن عبد العزيز أن ينصره الله على عدوه)^(٢) .

(١) في (أ ، ب ، هـ) في هذا الموضع وفي الموضعين اللاحقين : (باكبك) ، وفي (ج ، د) : (باكيال) ، وفي « تاريخ الطبري » : (بايكباك) ، والمثبت من « تاج العروس » مادة : (بكك) .
(٢) تاريخ الإسلام (١٩/١٩-٢١) ، وانظر الخبر مطولاً في « تاريخ الطبري » (٩/٤٤٠-٤٦٠) .

خلاف المعتمد على الله

[٢٥٦-٢٧٩] ^(١)

أبو العباس ، وقيل : أبو جعفر ، أحمد بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة تسع وعشرين ومئتين ، وأمه : رومية ، اسمها : فتيان .

ولما قتل المهتدي . . كان المعتمد محبوساً بالجَوْسَق ، فأخرجوه وباعوه ، ثم إنه استعمل أخاه : الموفق طلحة على المشرق ، وصير ابنه جعفرأولي عهده ، وولاه مصر والمغرب ، ولقبه : المفوّض إلى الله .

وانهمك المعتمد في اللهو واللذات ، واشتغل عن الرعية ، فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة ^(٢) .

وفي أيامه : دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها ، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا ، وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات ، وأمير عسكره في أكثرها : الموفق أخوه .

وأعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق ، فمات خلق لا يحصون ، ثم أعقبه هذات وزلازل ، فمات تحت الردم ألوف من الناس .

واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد : سنة ست وخمسين إلى سنة سبعين ، فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله ؛ واسمه : بهبود ، وكان ادعى : أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة ، وأنه يطلع على المغنيات ^(٣) .

وذكر الصولي : (أنه قتل من المسلمين : ألف ألف وخمس مئة ألف آدمي ،

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٢٩/١٠) ، و« مروج الذهب » (١٠٧/٥) ، و« تاريخ بغداد »

(٦٠/٤) ، و« المنتظم » (١٠٣/١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٤٧/٢٠) ، و« فوات الوفيات »

(٧٢/١) ، و« البداية والنهاية » (٦٥/١١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٢/١٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٤/١٩ و ٢٨-٢٧) .

وقتل في يوم واحد بالبصرة : ثلاث مئة ألف ، وكان له منبر في مدينته ، يصعد عليه ، ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم .
وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة ، وكان عند الواحد من الزنج : العشرة من العلويات يطؤون ويستخدمهن^(١) .

ولما قُتل هذا الخبيث.. دُخل برأسه بغداد على رمح ، وعملت قباب الزينة ، وضج الناس بالدعاء للموفق ، ومدحه الشعراء ، وكان يوماً مشهوداً ، وأمن الناس وتراجعوا إلى المدن التي أخذها ، وهي كثيرة ؛ كواسط ورامهرمز .

وفي سنة ستين من أيامه : وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق ، وبلغ كُرُّ الحنطة ببغداد مئة وخمسين ديناراً^(٢) .
وفيها : أخذت الروم بلد لؤلؤة^(٣) .

وفي سنة إحدى وستين : بايع المعتمد بولاية العهد بعده لابنه المفوض إلى الله جعفر ، ثم من بعده لأخيه الموفق طلحة ، وولّى ولده المغرب والشام والجزيرة وأرمينية ، وولّى أخاه المشرق والعراق وبغداد والحجاز واليمن وفارس وأصبهان والري وخراسان وطبرستان وسجستان والسند ، وعقد لكل منهما لواءين : أبيض وأسود ، وشرط إن حدث به حدث.. أن الأمر لأخيه إن لم يكن ابنه جعفر قد بلغ ، وكتب العهد ونفذه مع قاضي القضاة ابن أبي الشوارب ليعلقه في الكعبة^(٤) .

(١) انظر « العبر » (٤٨ / ٢) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٧ - ٣٦ / ٢٠) .

(٢) تاريخ الطبري (٥١٠ / ٩) ، وتاريخ الإسلام (٣١ / ١٩) .

(٣) تاريخ الطبري (٥١١ / ٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٢ / ١٩) .

(٤) تاريخ الطبري (٥١٤ / ٩) ، وتاريخ الإسلام (٧ - ٦ / ٢٠) .

وفي سنة ست وستين : وصلت عساكر الروم إلى ديار بكر ، ففتكوا ، وهرب أهل الجزيرة والموصل^(١) .

وفيها : وثبت الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها^(٢) .

وفي سنة سبع وستين : استولى أحمد بن عبد الله الخُجُستاني على خراسان وكرمان وسجستان ، وعزم على قصد العراق ، وضرب السكة باسمه ، وعلى الوجه الآخر اسم المعتمد - وهذا محل الغرابة - ثم إنه في آخر السنة قتله غلمانه ، فكفى الله شره^(٣) .

[الخلاف بين المعتمد وأخيه الموفق والحجر على المعتمد]

وفي سنة تسع وستين : اشتد تخيل المعتمد من أخيه الموفق ؛ فإنه كان خرج عليه في سنة أربع وستين ، ثم اصطلحا ، فلما اشتد تخيله منه هذا العام . . كاتب المعتمد أحمد بن طولون نائبه بمصر ، واتفقا على أمر ، فخرج ابن طولون حتى قدم دمشق ، وخرج المعتمد من سامراء على وجه التنزه وقصده دمشق .

فلما بلغ ذلك الموفق . . كتب إلى إسحاق بن كنداج ليرده ، فركب ابن كنداج من نصيبين إلى المعتمد ، فلقاه بين الموصل والحديثة ، فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ أخوك في وجه العدو وأنت تخرج عن مستقرك ودار ملكك ؟ ! ومتى صح هذا عنده . . رجع عن مقاومة الخارجي ؛ فيغلب عدوك على دار آبائك . . .) في كلمات آخر .

ثم وكّل بالمعتمد جماعة ، ورسم على طائفة من خواصه ، ثم بعث إلى المعتمد يقول : (ما هذا بمقام فارجد) ، فقال المعتمد : (فاحلف لي أنك تنحدر معي ولا تسلمني) ، فحلف له .

(١) تاريخ الطبري (٥٥٣/٩) ، وتاريخ الإسلام (١٨/٢٠) .

(٢) تاريخ الطبري (٥٥٣/٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٢٠) .

(٣) انظر « تاريخ الطبري » (٥٩٩-٦٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٥/٢٠) .

وانحدر إلى سامراء ، فلتقاه صاعد بن مَخلد كاتب الموفق ، فسلمه إسحاق إليه ، فأنزله في دار أحمد بن الخصيب ، ومنعه من نزول دار الخلافة ، ووَكَّل به خمس مئة رجل يمنعون من الدخول إليه .

ولما بلغ الموفق ذلك . . بعث إلى إسحاق بخلع وأموال ، وأقطع ضياع القواد الذين كانوا مع المعتمد ، ولَقَّبه : ذا السنين ، ولَقَّب صاعداً : ذا الوزارتين ، وأقام صاعد في خدمة المعتمد ؛ ولكن ليس للمعتمد حل ولا ربط ، وقال المعتمد في ذلك : [من الوافر]

أليس من العجائب أن مثلي يَرَى ما قلَّ مُمتنعاً عليه
وتوَكَّل باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيء في يديه
إليه تُحمل الأموال طراً ويُمْنَع بعض ما يُجبى إليه^(١)
وهو أول خليفة قهر وحُجر عليه ووَكَّل به^(٢) .

[خلع ابن طولون للموفق من ولاية العهد]

ثم أدخل المعتمد واسط ، ولما بلغ ابن طولون ذلك . . جمع القضاة والأعيان وقال : (قد نكث الموفق بأمر المؤمنين ، فاخلعوه من العهد) ، فخلعوه إلا القاضي بَكَار بن قتيبة ؛ فإنه قال : (أنت أوردت عليّ كتاباً من المعتمد بولايته العهد ، فأورد عليّ كتاباً آخر منه بخلعه .

فقال : إنه محجور عليه ومقهور ، فقال : لا أدري .

فقال ابن طولون : غرك الناس بقولهم : ما في الدنيا مثل بكار ؟! أنت شيخ قد خرفت) ، وحبسه وقيَّده ، وأخذ منه جميع عطائه من سنين ، فكان عشرة آلاف دينار ، ف قيل : (إنها وجدت في بيت بكار بختمها ، وبلغ الموفق ذلك ، فأمر بلعنة ابن طولون على المنابر)^(٣) .

(١) الخبر في « تاريخ الإسلام » (٣١/٢٠ - ٣٢) ، وانظر الأبيات في « البداية والنهاية » (٦٥/١١) .

(٢) مروج الذهب (١١٩/٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٢/٢٠ - ٣٣) .

ثم في شعبان من سنة سبعين : أُعيد المعتمد إلى سامراء ، ودخل بغداد
ومحمد بن طاهر بين يديه بالحربة والجيش في خدمته ، كأنه لم يُحجر عليه^(١) .

ومات ابن طولون في هذه السنة ، فولى الموفقُ ابنَه أبا العباس أعماله ،
وجَهَّزه إلى مصر في جنود العراق ، وكان خُمارَوَيْه بن أحمد بن طولون أقام على
ولايات أبيه بعده ، فوقع بينه وبين أبي العباس ابن الموفق وقعةٌ عظيمة ، بحيث
جرت الأرض من الدماء ، وكان النصر للمصريين^(٢) .

وفي هذه السنة : انبثق ببغداد في نهر عيسى بُثْق ، فجاء الماء إلى الكَرْخ فهدم
سبعة آلاف دار^(٣) .

وفيها : نازلت الروم طَرَسُوس في مئة ألف ، فكانت النصرة للمسلمين ،
وغنموا ما لا يحصى ، وكان فتحاً عظيماً عديم المثل^(٤) .

وفيها : ظهرت دعوة المهدي عبد الله بن عبيد جد بني عبيد خلفاء المصريين
الروافض باليمن ، وأقام على ذلك إلى سنة ثمان وسبعين ، فحج تلك السنة
 واجتمع بقبيلة من كُتامة ، فأعجبهم حاله ، فصحبهم إلى مصر ، ورأى منهم طاعة
 وقوة ، فصحبهم إلى المغرب ، فكان ذلك أول شأن المهدي^(٥) .

وفي سنة إحدى وسبعين : قال الصولي : (ولي هارون بن إبراهيم الهاشمي
الحسبة ، فأمر أهل بغداد أن يتعاملوا بالفلوس ، فتعاملوا بها على كره ، ثم
تركوها) .

(١) تاريخ الطبري (٦٦٦/٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٧/٢٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٢٠/٢٠) .

(٣) تاريخ الطبري (٦٦٧/٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٧/٢٠) ، والبُثْق : موضع انبثاق الماء من نهر ونحوه ،
والمعنى : انفجر موضع من نهر عيسى فتدفق منه الماء .

(٤) تاريخ الطبري (٦٦٦/٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٨/٢٠) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣٨/٢٠) .

وفي سنة ثمان وسبعين : غار نيل مصر فلم يبق منه شيء ، وغلت الأسعار^(١) .

وفيها : مات الموفق واستراح منه المعتمد^(٢) .

وفيها : ظهرت القرامطة بالكوفة ؛ وهم نوع من الملاحدة ، يدعون : أنه لا غسل من الجنابة ، وأن الخمر حلال ، وأن الصوم في السنة يومان : يوم النيروز ويوم المهرجان ، ويزيدون في أذانهم : وأن محمد ابن الحنفية رسول الله ، وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس ، وأشياء أخر ، ونفق قولهم على الجهال وأهل البر ، وتعب الناس بهم^(٣) .

وفي سنة تسع وسبعين : ضعف أمر المعتمد جداً ؛ لتمكن أبي العباس بن الموفق من الأمور وطاعة الجيش له ، فجلس المعتمد مجلساً عاماً أشهد فيه على نفسه أنه خلع ولده المفوض من ولاية العهد ، وبايع لأبي العباس ، ولقبه : المعتضد^(٤) .

وأمر المعتضد في هذه السنة : ألا يقعد في الطريق منجم ، ولا قصاص ، واستحلف الوراقين لا يبيعوا كتب الفلاسفة والجدل^(٥) .

ومات المعتمد بعد أشهر من السنة فجأة ؛ ف قيل : إنه سُم ، وقيل : بل نام فُغم في بساط ؛ وذلك ليلة الاثنين ، لإحدى عشرة بقيت من رجب ، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة ، إلا أنه كان مقهوراً مع أخيه الموفق ؛ لاستيلائه على الأمور ، ومات وهو كالمحجور عليه من بعض الوجوه من جهة المعتضد أيضاً^(٦) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٠/٢٣١) .

(٢) تاريخ الطبري (١٠/٢٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٢٣٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٠/٢٣٣-٢٣٤) .

(٤) تاريخ الطبري (١٠/٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٢٣٧) .

(٥) تاريخ الطبري (١٠/٢٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٢٣٧-٢٣٨) .

(٦) تاريخ الإسلام (٢٠/٢٤٨-٢٤٩) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : البخاري ، ومسلم ، وأبو داود ،
والترمذي ، وابن ماجه ، والربيع الجيزي ، والربيع المرادي ، والمزني ،
ويونس بن عبد الأعلى ، والزيبر بن بكار ، وأبو الفضل الرّياشي ، ومحمد بن
يحيى الذّهلي ، وحجّاج بن الشاعر ، والعجلي الحافظ ، وقاضي القضاة ابن
أبي الشوارب ، والشّوسي المقرئ ، وعمر بن شَبّة ، وأبوزرعة الرازي ،
ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، والقاضي بكار ، وداود الظاهري ، وابن
وارة ، وبقي بن مخلد ، وابن قتيبة ، وأبو حاتم الرازي ، وآخرون .

ومن قول عبد الله بن المعتز في المعتمد يمدحه ^(١) :

يا خيرَ من تَزَجَى المَطِي به ويُمِر حبلَ العهدِ موثِقُهُ
أَضْحَى عِنانُ المُلْكِ مُقْتَسِراً بِيَدِكَ تَحْبِسُهُ وتُطْلِقُهُ
فاحْكُم لكَ الدنيا وساكِنها ما صابَ سَهْمٌ أَنْتَ موفِقُهُ

ومن شعر المعتمد لما حُجر عليه :

أصبحتُ لا أملكُ دَفْعاً لما أَسأَمُ من خَسَفٍ ومن ذِلَّةٍ
تَمْضِي أمورُ الناسِ دُوني ولا يُشْعِرُنِي في ذِكْرِها قَلَّةُ
إذا اشتَهِتُ الشَّيْءَ ولَّوْا بهِ عَنِّي وقالوا هُنا عَلَّةُ

قال الصولي : (كان له ورّاق يكتب شعره بماء الذهب) .

ورثاه أبو سعيد الحسن بن سعيد النيسابوري بقوله :

لقد قرَّ طرفُ الزمانِ النَكْدُ وكانَ سَخِيناً كَليلاً رَمِدُ
وبُلِّغْتَ الحادِثاتُ المُنَى بموتِ إمامِ الهُدَى المعتمِدِ
ولم يَبَقْ لي حَذَرٌ بعْدَه فدونَ المصائبِ فلتَجْتَهِدُ

(١) الأبيات في « ديوانه » (٣٦٦ / ١) .

خلاف المعتضد بالله أحمد

[٢٧٩-٢٨٩هـ] ^(١)

أبو العباس ، ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد في ذي القعدة ، سنة اثنتين وأربعين ومئتين ، وقال الصولي : (في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ومئتين) .

وأمه : أم ولد ، اسمها : صواب ، وقيل : حرز ، وقيل : ضرار .
وبويع له في رجب ، سنة تسع وسبعين بعد عمه المعتضد .

وكان ملكاً شجاعاً مهيباً ، ظاهر الجبروت ، وافر العقل ، شديد الوطأة ، من أفراد خلفاء بني العباس ، وكان يقدم على الأسد وحده لشجاعته ، وكان قليل الرحمة ، إذا غضب على قائد . . أمر بأن يُلقى في حفيرة ويُطم عليه ، وكان ذا سياسة عظيمة ^(٢) .

[ما سفكت دمأ حراماً]

قال عبد الله بن حمدون : (خرج المعتضد يتصيد ، فنزل إلى جانب مقثأة وأنا معه ، فصاح الناطور ، فقال : عليّ به ، فأحضر فسأله ، فقال : ثلاثة غلمان نزلوا المقثأة فأخربوها ، فجيء بهم ، فضربت أعناقهم من الغد في المقثأة .

ثم كلمني بعد مدة فقال : اصدقني فيما ينكر عليّ الناس ؟ قلت : الدماء ، قال : والله ؛ ما سفكتُ دمأ حراماً منذ ولّيت .

قلت : فلمَ قتلَ أحمد بن الطيب ؟ قال : دعاني إلى الإلحاد ، قلت :

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (٨٦/١٠) ، و « مروج الذهب » (١٣٧/٥) ، و « تاريخ بغداد »

(٤٠٣/٤) ، و « المنتظم » (٣٠٦/١٢) ، و « تاريخ الإسلام » (٦١/٢١) ، و « فوات الوفيات »

(٧٢/١) ، و « البداية والنهاية » (٨٦/١١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٦٣/٢١) .

فالثلاثة الذين نزلوا المقتاة ؟ قال : والله ؛ ما قتلهم ، وإنما قتلت لصوصاً قد قتلوا ، وأوهمت أنهم هم (١) .

[إنكار القاضي كتاباً جمع الرخص فأحرق]

وقال إسماعيل القاضي : (دخلت على المعتضد وعلى رأسه أحداث صباح الوجوه روم ، فنظرت إليهم ، فلما أردت القيام . . قال لي : أيها القاضي ؛ والله ما حللت سراويلي على حرام قط) (٢) .

ودخلت مرة فدفعت إليّ كتاباً ، فنظرت فيه ؛ فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء ، فقلت : (مُصَنَّفٌ هَذَا زنديق ، فقال : أُمُخْتَلَقٌ ؟ قلت : لا ؛ ولكن من أباح المسكر . . لم يبيح المتعة ، ومن أباح المتعة . . لم يبيح الغناء ، وما من عالم إلا وله زلة ، ومن أخذ بكل زلل العلماء . . ذهب دينه ، فأمر بالكتاب فأحرق) (٣) .

وكان المعتضد شهماً جلدأً موصوفاً بالرُجْلة ، قد لقي الحروب وعرف فضله ، فقام بالأمر أحسن قيام ، وهابه الناس ، ورهبوه أعظم رهبة ، وسكنت الفتن في أيامه ؛ لفرط هيئته (٤) .

وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء .

وكان قد أسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية .

وكان يسمى السفاح الثاني ؛ لأنه جدد ملك بني العباس ، وكان قد خلق وضعف وكاد يزول ، وكان في اضطراب من وقت قتل المتوكل (٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٢١/٦٣ - ٦٤) ، والمقتاة : موضع الققاء ؛ وهو : نوع من البطيخ نباتي قريب من الخيار ، لكنه أطول .

(٢) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٤/٤٠٤) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/٦٤) .

(٣) أخرجه البيهقي في « السنن » (١٠/٢١١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/٦٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢١/٦٩) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢١/٦٧) .

وفي ذلك يقول ابن الرومي يمدحه^(١) :

[من الطويل]

هنيئاً بني العباس إن إمامكم
كما بأبي العباس أنشئ ملككم
إمام يظلّ الأُمسُ يعملُ نحوه
تلهّف ملهوفٍ ويشتاقه الغدُ

وقال في ذلك ابن المعتز أيضاً^(٢) :

[من السريع]

أما ترى مُلكَ بني هاشمٍ
يا طالباً للملكِ كُن مثله
عادَ عَزِيزاً بعدَ ما ذلَّلا
تستوجبُ المُلكَ وإلا فلا

وفي أول سنة استخلف فيها : منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها ، ومنع القُصّاص والمنجمين من القعود في الطريق ، وصلى بالناس صلاة الأضحى ، فكَبَّر في الأولى ستاً وفي الثانية واحدة ، ولم تسمع منه الخطبة .

وفي سنة ثمانين : دخل داعي المهدي إلى القيروان ، وفشا أمره ، ووقع القتال بينه وبين صاحب إفريقية ، وصار أمره في زيادة^(٣) .

وفيهما : ورد كتاب من الدبيل أن القمر كسف في شوال ، وأن الدنيا أصبحت مظلمة إلى العصر ، فهبت ريح سوداء فدامت إلى ثلث الليل ، وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة المدينة ، فكان عدة من أُخرج من تحت الردم : مئة ألف وخمسين ألفاً^(٤) .

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢ / ٦٦٠) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (١ / ٣٧١) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠ / ٢٤٢ - ٢٤٣) ، والداعي : هو الحسين بن محمد بن أحمد الشيعي ، والمهدي : هو عبيد الله ، وهو أول ملوك الدولة العبيدية .

(٤) تاريخ الطبري (١٠ / ٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٠ / ٢٤٤) .

وفي سنة إحدى وثمانين : فتحت ملورية من بلاد الروم^(١) .

وفيها : غارت مياه الري وطبرستان حتى أبيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم ، وقحط الناس وأكلوا الجيف^(٢) .

وفيها : هدم المعتضد دار الندوة بمكة ، وصيرها مسجداً إلى جانب المسجد الحرام^(٣) .

سنة اثنين وثمانين

وفي سنة اثنين وثمانين : أبطل ما يفعل في النيروز ؛ من وقيد النيران ، وصب الماء على الناس ، وأزال سنة المجوس^(٤) .

وفيها : زُفَّت إليه قطر الندى بنت خُمارويه بن أحمد بن طولون ، فدخل عليها في ربيع الأول ، وكان في جهازها أربعة آلاف تَكَّةَ مجوهره ، وعشرة صناديق جوهر^(٥) .

سنة ثلاث وثمانين

وفي سنة ثلاث وثمانين : كتب إلى الآفاق بأن يورث ذوو الأرحام ، وأن يبطل ديوان المواريث ، وكثر الدعاء للمعتضد^(٦) .

سنة أربع وثمانين

وفي سنة أربع : ظهرت بمصر حمرة عظيمة ، حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر ، وكذا الحيطان ، فتضرَّع الناس بالدعاء إلى الله تعالى ، وكانت من العصر إلى الليل^(٧) .

قال ابن جرير : (وفيها : عزم المعتضد على لعنة معاوية على المنابر ،

(١) تاريخ الطبري (٣٦/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٥/٢١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٥/٢١-٦) ، وانظر « تاريخ الطبري » (٣٦/١٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٧/٢١) .

(٤) تاريخ الطبري (٣٩/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٨/٢١) .

(٥) تاريخ الإسلام (٨/٢١-٩) ، وانظر « تاريخ الطبري » (٤٠/١٠) .

(٦) تاريخ الطبري (٤٤/١٠) ، وتاريخ الإسلام (١٣/٢١) .

(٧) تاريخ الطبري (٥٣/١٠) .

فخوّفه عبيد الله الوزير اضطراب العامة ، فلم يلتفت ، وكتب كتاباً في ذلك : ذَكَرَ فيه كثيراً من مناقب علي وثَلَب معاوية ، فقال له القاضي يوسف : يا أمير المؤمنين ؛ أخاف الفتنة عند سماعه ، فقال : إن تحركت العامة .. وضعت السيف فيها ، قال : فما تصنع بالعلويين الذين هم في كل ناحية قد خرجوا عليك ؟ وإذا سمع الناس هذا من فضائل أهل البيت .. كانوا إليهم أميل ، فأمسك المعتضد عن ذلك)^(١) .

وفي سنة خمس : هبت ريح صفراء بالبصرة ، ثم صارت خضراء ، ثم صارت سوداء ، وامتدّت في الأمصار ، ووقع عقبها بَرْد وزن البردة مئة وخمسون درهماً ، وقلعت الريح نحو ست مئة نخلة ، ومطرت قرية حجارة سوداً وبيضاً^(٢) .

وفي سنة ست : ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي وقويت شوكته ، وهو أبو أبي طاهر سليمان الذي يأتي أنه قلع الحجر الأسود^(٣) ، ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة ، وأغار على البصرة ونواحيها ، وهزم جيش الخليفة مرات^(٤) .

[وفي سنة سبع : خرجت طيء على الركب العراقي ليأخذه أيضاً ، فقاتلهم أمير الركب أبو الأغر يوماً وليلة فنصره الله ، وقتل صالح أمير العرب ، وأسر من قومه خلق كثير ، ودخل الحُجّاج^(٥) بالأسرى وبالرؤوس على الرماح^(٦) .

(١) تاريخ الطبري (١٠/٥٤-٦٣) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢١/١٧-١٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢١/٢٢) ، وتاريخ الطبري (١٠/٦٨) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ٥٩٢) .

(٤) تاريخ الطبري (١٠/٧١) ، وتاريخ الإسلام (٢١/٢٧-٢٨) .

(٥) أي : بغداد ، كما في مصادر التخرّيج .

(٦) أورد هذا الخبر : الطبري في « تاريخه » (١٠/٧٤) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢١/٢٩) ، وأبو الأغر : اسمه : خليفة بن المبارك .

وفي سنة ثمان : ظهر أبو عبد الله الشيعي بالمغرب ، فدعا قبيلة كنانة إلى الإمام المهدي ، فاستجابوا ، فهذا أول ظهور العبيدية الذين صاروا ملوك ديار مصر .

وفي سنة تسع : خرج بالشام ابن زكرويه القرمطي ، وقصد أخذ دمشق ، فحاربه متوليها الأمير طغج غير مرة ، ثم قتل القرمطي^(١) .
وفيها : وثبت طيء وأميرهم صالح بن مدرك ، فانتهبوا الركب العراقي ، فذهب للحُجَّاج فيه ما قيمته ألف ألف مثقال^(٢) .

ومن أخبار المعتضد

ما أخرجه الخطيب وابن عساكر عن أبي الحسين الحَصِينِي قال : (وجه المعتضد إلى القاضي أبي خازم يقول : إن لي على فلان مالا ، وقد بلغني أن غرماء أثبتوا عندك ، وقد قسّطت لهم من ماله ، فاجعلنا كأحدهم .

فقال أبو خازم : قل له : أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - ذاكرٌ لما قال لي وقت قلّدي : إنه قد أخرج الأمر من عنقه وجعله في عنقي ، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لمدحٍ إلا ببينة ، فرجع إليه فأخبره .

فقال : قل له : فلان وفلان يشهدان ؛ يعني لرجلين جليلين ، فقال : يشهدان عندي وأسأل عنهما ، فإن زُكِّيَا . قبلت شهادتهما ، وإلا . . أمضيت ما قد ثبت عندي ، فامتنع أولئك من الشهادة فزعاً ، ولم يدفع إلى المعتضد شيئاً^(٣) .

(١) انظر « تاريخ الطبري » (٩٤ / ١٠) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٨ / ٢١) ، واسم ابن زكرويه : يحيى .

(٢) أورد هذا الخبر الطبري في « تاريخه » (٦٧ / ١٠) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢١ / ٢١) في حوادث سنة (٢٨٥ هـ) . وما بين معقوفين زيادة من (ب) .

(٣) تاريخ بغداد (٦٤ - ٦٣ / ١١) ، وتاريخ دمشق (٨٠ / ٣٤ - ٨١) ، وأبو خازم : هو عبد الحميد بن عبد العزيز .

[المعتضد وجاريته دريرة]

قال ابن حمدون النديم : (غرم المعتضد على عمارة البحيرة ستين ألف دينار ، وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته دُريرة ، فقال ابن بسام : [من مجزوء الرمل]

تَرَكَ النَّاسَ بِحَيْرَةٍ وَتَخَلَّى فِي الْبُحَيْرَةِ
قَاعِدًا يَضْرِبُ بِالطَّبْ لِي عَلَى حِرٍّ دُرِيرَةٍ

فبلغ ذلك المعتضد ، فلم يظهر أنه بلغه ، ثم أمر بتخريب تلك العمارة ^(١) .

ثم ماتت دُريرة في أيام المعتضد ، فجزع عليها جزعاً شديداً ، وقال

[من مجزوء الرمل]

يرثيها :

يَا حَبِيباً لَمْ يَكُنْ يَغُ	سَدُّهُ عِنْدِي حَيْبُ
أَنْتَ عَنْ عَيْنِي بَعِيدُ	وَمِنْ الْقَلْبِ قَرِيبُ
لَيْسَ لِي بَعْدَكَ فِي شَيْ	ءٍ مِنَ اللَّهِ وَنَصِيبُ
لَكَ مِنْ قَلْبِي عَلَى قَدْ	بِي وَإِنْ بَنْتَ رَقِيبُ
وَحَيْالُ مَنْكَ مُذْ غَبْدُ	سَتْ خَيْالٌ لَا يَغِيبُ
لَوْ تَرَانِي كَيْفَ لِي بَعْدُ	سَدُّكَ عَوَّلُ وَنَحِيبُ
وَفَوَادِي حَشْوِهِ مِنْ	حُزْنِ الْحُزْنِ لَهَيْبُ
لَتَيَقَّنْتَ بِأَنْنِي	فِيكَ مَحْزُونٌ كَثِيبُ
مَا أَرَى نَفْسِي وَإِنْ سَدُّ	يَتَهَا عَنْكَ تَطِيبُ
لِي دَمْعٌ لَيْسَ يَعْصِي	نِي وَصَبْرٌ مَا يُجِيبُ

وقال بعضهم يمدح المعتضد ، وهي على جزء جزء : [من مشطور منهوك الرجز]

طَيْفٌ أَلَمٌ	بِذِي سَلَمٌ
بَيْنَ الْخَيْمِ	يَطْوِي الْأَكَمِ
جَادَ بَفَمِ	يَشْفِي السَّقَمِ
مَمْنُ لَثَمِ	وَمُلْتَ زَمِ

(١) الخبر في « معجم الأدباء » (٤ / ١٨٦١) ، وابن بسام : هو علي بن محمد بن نصر .

إِذَا يُضَارِمُ	فِيهِ هَضَامُ
ثُمَّ انْصَرَمَ	دَاوَى الْأَلَامُ
شَوْقاً وَهُمْ	فَلَمْ أَنْزَمَ
كَمْ ثُمَّ كَمْ	اللَّيْلُ وَهُوَ ذَمُّ
أَحْمَدُ لَمْ	يَوْمُ الْأَصَامِ
مِمَّا أَنْهَدَمَ	كُلُّ الثَّلَامِ
وَالْمُعْتَصَمِ	هُوَ الْعَلَمِ
خَالاً وَعَمِ	خَيْرُ النَّسَمِ
وَمَا اخْتَلَمِ	حَوَى الْهَمَمِ
سَمَحَ الشَّيْءُ	طَوْدُ أَشْءِ
كَالْبَذْرِ تَمِ	جَلَا الظَّلَمِ
حَمَى الْحَرَمِ	رَعَى الذَّمَمِ
خَصَّ وَعَمِ	فَلَمْ يُؤَمِّ
لَهُ النِّعَمِ	بِمَا قَسَمِ
وَالْخَيْرُ جَمِ	مَعَ النِّقَمِ
وَالْمَاءُ دَمِ	إِذَا ابْتَسَمِ
إِذَا انْتَقَمِ	

[وفاة المعتضد ورثاؤه]

اعتل المعتضد في ربيع الآخر ، سنة تسع وثمانين علة صعبة ، وكان مزاجه قد
تغير من كثرة إفراطه في الجماع ، ثم تماثل ، فقال ابن المعتز : [من المديد]

طَارَ قَلْبِي بِجَنَاحِ الْوَجِيبِ جَزَعاً مِنْ حَادِثَاتِ الْخُطُوبِ
وَحِذَاراً أَنْ يُشَاكَ بِسَوْءِ أَسَدُ الْمُلْكِ وَسَيْفُ الْحُرُوبِ

ثم انتكس ومات يوم الاثنين ، لثمان بقين منه (١) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٤ / ٢١) ، والبيتان في « ديوان ابن المعتز » (٢ / ٢٨٧) .

وحكى المسعودي قال : (شكُّوا في موت المعتضد ، فتقدَّم الطيب وجسَّ نبضه ، ففتح عينيه ، ورفس الطيب برجله ، فدحاه أذرعاً ، فمات الطيب ، ثم مات المعتضد من ساعته)^(١) .

ولما احتضر . . أنشد^(٢) :

تمتّع من الدُّنيا فإنَّك لا تَبْقَى
ولا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ
قتلتُ صناديدَ الرِّجالِ فلم أَدْعُ
وأخليتُ دُورَ الملكِ من كلِّ بازِلٍ
فلما بلغتُ النِّجمَ عزّاً ورفِعةً
رَماني الرَّدَى سَهْماً فأخمدَ جَمْرَتي
فأفسدتُ دُنْيائي ودينِي سَفَاهَةً
فيا ليتَ شعري بعدَ مَوْتِي ما أَرَى
ومن شعر المعتضد^(٤) :

[من الطويل]
وخذُ صَفْوَهَا ما إن صَفَّت ودَعَ الرِّثْقا^(٣)
فلم يُبقِ لي حَالاً ولم يَزَعْ لي حقّاً
عدوّاً ولم أُمهلْ على ظَنَّة خُلْقا
وشَتَّهم غَرْباً ومزَّقْتهم شَرْقا
ودانت رِقابُ الخَلْق أجمعُ لي رَقّاً
فهأنّا ذا في حُفْرَتي عاجلاً مُلقَى
فمَن ذا الذي مِنِّي بمصرِعه أَشقى
إلى نعمةِ الله أم ناره أَلقى

[من المشرح]

يا لاحتِظي بالفتورِ والدَّعَجِ
أشكو إليك الذي لقيتُ من الدَّ
حللتُ بالطَّرفِ والجَمالِ من الدَّ

[من مجزوء الكامل]

وله أنشد الصولي^(٥) :

لم يَلقَ من حَرِّ الفِرَاقِ
يا سائلي عن طَعْمِهِ
جِسمي يذوبُ ومُقلَّتِي

أحدٌ كما أنا منه لاقِ
ألفيُته مُرَّ المَذاقِ
عَبْرِي وقلبي ذو احتِراقِ

(١) مروج الذهب (١٧٥/٥) .

(٢) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٦٨-٦٧/٢١) .

(٣) الرُّنق : الكدر .

(٤) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٦٨/٢١) نقلاً عن الصولي .

(٥) الأبيات في كتاب « شذرات من كتب مفقودة في التاريخ » (٤٢٢/٢) نقلاً عن كتاب « الأوراق » للصولي .

مالي أليفٌ بعدكم
فـالله يحفظكم جميع
ولابن المعتز يرثيه^(١) :

[من البسيط]

وأنت والدٌ سوءٍ تأكلُ الولدًا
رضيتُ بالله ربًّا واحدًا صمدًا
بالظاهرةِ مقصي الدارِ مُنفردًا
أين الكنوزُ التي أحصيتها عددًا
مهابةً من رآته عينه ارتعدًا
أين اللُيُوثُ التي صيرتها بددًا
وكنَّ يحملنَ منك الضيغمَ الأسدًا
مُدَّ مَتَّ ما وردت قلباً ولا كبداً
وتستجيبُ إليها الطائرُ الغردًا
يسحبُنَ من حُللٍ موشيةً جُدَدًا
ياقوتةً كُسيَتْ من فضةٍ زردًا
صلاحُ مُلكِ بني العباسِ إذ فسداً
وتحبطُ العاليي الجبارُ مُعتمدًا
حتى كأنَّكَ يوماً لم تكن أحدًا

يا دهرُ ويحك ما أبقيتَ لي أحدًا
أستغفرُ اللهَ بَلْ ذا كُلِّه قَدَرٌ
يا ساكنَ القبرِ في غبراءَ مظلمةٍ
أين الجيوشُ التي قد كنتَ تسحبُها
أين السَّريُّ الذي قد كنتَ تملؤه
أين الأعادي الألى ذللتَ مُضْعَبهم
أين الجيادُ التي حَجَلتها بدم
أين الرِّماحُ التي غذيتها مُهَجاً
أين الجنانُ التي تجري جداولُها
أين الوصائفُ كالغزلانِ رائحةً
أين المَلاهي وأين الرِّاحُ تحسبُها
أين الوثوبُ إلى الأعداءِ مُبتغياً
ما زلتَ تقسرُ منهم كلَّ قسورةٍ
ثمَّ انقضيتَ فلا عينٌ ولا أثرٌ

[من مات في عهده]

مات في أيام المعتضد من الأعلام : ابن المواز المالكي ، وابن أبي الدنيا ،
وإسماعيل القاضي ، والحارث بن أبي أسامة ، وأبو العيناء ، والمبرد ،
وأبو سعيد الخراز شيخ الصوفية ، والبحثري الشاعر ، وخلائق آخرون .
وخلف المعتضد من الأولاد : أربعة ذكور ، ومن البنات إحدى عشرة .

(١) الأبيات في « ديوانه » (٢٩٣ / ٢) .

خلافت المكتفي بالله

[٢٨٩-٢٩٥هـ] ^(١)

أبو محمد علي بن المعتضد ، ولد في غرة ربيع الآخر ، سنة أربع وستين ومئتين ، وأمه : تركية ، اسمها : جيجك ، وكان يضرب بحسنه المثل ، حتى قال بعضهم ^(٢) :

قايسْتُ بين جَمالِها وفِعالِها فإذا الملاحَةُ بالخِيانة لا تَفِي
والله لا كَلَمْتُها ولو أنَّها كالشمسِ أو كالبدرِ أو كالمُكْتَفِي

وعهد له أبوه ، فبويع في مرضه يوم الجمعة بعد العصر ، لإحدى عشرة بقيت من ربيع الآخر ، سنة تسع وثمانين .

قال الصولي : (وليس في الخلفاء من اسمه علي إلا هو وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ولا من يكنى أبا محمد سوى الحسن بن علي ، والهادي ، والمكتفي) .

ولما بويع له عند موت أبيه . . كان غائباً بالرقعة ، فنهض بأعباء البيعة الوزير أبو الحسين القاسم بن عبيد الله ، وكتب له ، فوافى بغداد في سابع جمادى الأولى ، ومر بدجلة في سمارية ^(٣) ، وكان يوماً عظيماً ، وسقط أبو عمر القاضي من الزحمة في الجسر ، وأُخرج سالماً .

ونزل المكتفي بدار الخلافة ، وقالت الشعراء ، وخلع على القاسم الوزير سبع

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ الطبري » (١٣٨/١٠) ، و« مروج الذهب » (١٧٦/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٣١٦/١١) ، و« المنتظم » (٨/١٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٠٤/٢٢) ، و« فوات الوفيات » (٥/٣) ، و« البداية والنهاية » (١٠٤/١١) .

(٢) نسب البيتان لابن السراج محمد بن السري ؛ كما في « مرآة الجنان » (٣٢٣/١) ، و« المحمدون من الشعراء » (ص ٤٧٠) ، و« وفيات الأعيان » (٣٤٠/٤) ، وقيل : هي لابن المعتز كما في « ثمار القلوب » (٣١٦/١) ، و« فوات الوفيات » (٦/٣) .

(٣) السميرية : ضرب من السفن ، والعامّة تقول : سمارية .

خلع ، وهدم المطامير التي اتخذها أبوه ، وصيّرها مساجد ، وأمر بردّ البساتين والحوانيت التي أخذها أبوه من الناس ؛ ليعملها قصراً إلى أهلها ، وسار سيرة جميلة ، فأحبه الناس ودعوا له^(١) .

وفي هذه السنة : زلزلت بغداد زلزلة عظيمة دامت أياماً^(٢) .

وفيها : هبت ريحٌ عظيمةٌ بالبصرة قلعت عامة نخلها ، ولم يسمع بمثل ذلك^(٣) .

[خروج ابن زكرويه القرمطي وأخيه وابن عمه وقتلهم]

وفيها : خرج يحيى بن زكرويه القرمطي ، فاستمر القتال بينه وبين عسكر الخليفة إلى أن قُتل في سنة تسعين ، فقام عوضه أخوه الحسين ، وأظهر شامة في وجهه زعم أنها آيته ، وجاءه ابن عمه عيسى بن مهرويه ، وزعم أن لقبه المدثر ، وأنه المعني في السورة ، ولقب غلاماً له المطوّق بالنور ، وظهر على الشام وعاث وأفسد ، وتسمى أمير المؤمنين المهدي ، ودعي له على المنابر ، ثم قتل الثلاثة في سنة إحدى وتسعين^(٤) .

وفي هذه السنة : فتحت أنطاكية - باللام - من بلاد الروم عنوة ، وغنم منها ما لا يحصى من الأموال^(٥) .

وفي سنة اثنتين : زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتى خربت بغداد ، وبلغت الزيادة إحدى وعشرين ذراعاً^(٦) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٦/٢١) ، والمطامير : جمع مطمورة ؛ وهي السجن .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٧/٢١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٨/٢١) .

(٤) انظر « تاريخ الطبري » (٩٤-٩٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٨/٢١) .

(٥) تاريخ الإسلام (٧-٦/٢٢) .

(٦) تاريخ الإسلام (١٠/٢٢) .

ومن شعر الصولي يمدح المكتفي ويذكر القرمطي : [من مجزوء الخفيف]

كُفِّي المَكْتَفِي الخَلِيدُ فهُ ما كانَ قد حَذِرُ
إلى أن قال :

سَادَةُ النَّاسِ والغُرُرُ	أَلْ عَبَّاسٍ أَنْتُمْ
حُكَمَاءُ عَلَى البَشَرُ	حَكَمَ اللهُ أَنْكُمْ
صَفْوَةُ اللهِ والخِيَرُ	وَأُولُو الْأَمْرِ مِنْكُمْ
مَنْ عَصَاكُمْ فقد كَفَرُ	مَنْ رَأَى أَنْ مُؤْمِنًا
قَبْلُ فِي مُحْكَمِ السُّورُ	أَنْزَلَ اللهُ ذَاكُمْ

[وفاة المكتفي]

قال الصولي : (سمعت المكتفي يقول في علته : والله ؛ ما آسى إلا على سبع مئة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت إليها ، وكنت مستغنيا عنها ، أخاف أن أسأل عنها ، وإنني أستغفر الله منها) .

مات المكتفي شاباً في ليلة الأحد ، لاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة ، سنة خمس وتسعين ، وخلف ثمانية أولاد ذكور ، وثمانية إناث .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، وثعلب إمام العربية ، وقنبل المقرئ ، وأبو عبد الله البوشنجي الفقيه ، والبزار صاحب « المسند » ، وأبو مسلم الكجّبي ، والقاضي أبو خازم ، وصالح جزرة ، ومحمد بن نصر المروزي الإمام ، وأبو الحسين النوري شيخ الصوفية ، وأبو جعفر الترمذي شيخ الشافعية بالعراق .

[تأخر وفاة ابن أبي الدنيا إلى أيام المكتفي]

ورأيت في « تاريخ نيسابور » لعبد الغافر : عن ابن أبي الدنيا قال : (لما أفضت الخلافة إلى المكتفي . . كتبت إليه بيتين :
[من الخفيف]

إن حقَّ التَّأديبِ حقُّ الأبوَّةِ عندَ أهلِ الحِجَا وأهلِ المُرُوَّةِ
وأحقُّ الرِّجالِ أنْ يحفظوا ذا لكَ ويَرعوه أهلُ بيتِ النُّبوَّةِ
قال : فحمل إليَّ عشرة آلاف درهم)^(١) .

وهذا يدل على تأخر ابن أبي الدنيا إلى أيام المكتفي .

(١) انظر « المتخب من السياق » (ص ٦٤) .

خلافة المقتدر بالله

(١) [٢٩٥-٣٢٠هـ]

أبو الفضل ، جعفر بن المعتضد ، ولد في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومئتين ، وأمه : رومية ، وقيل : تركية ، اسمها : غريب ، وقيل : شغب ، ولما اشتدت علة المكتفي أخيه . . سأل عنه فصيح عنده أنه احتلم ، فعهد إليه ، ولم يل الخلافة قبله أصغر منه ؛ فإنه وليها وله ثلاث عشرة سنة .

فاستصباه الوزير العباس بن الحسن ، فعمل على خلعه ، ووافقه جماعة على أن يولوا عبد الله بن المعتز ، فأجاب ابن المعتز بشرط ألا يكون فيها دم ، فبلغ المقتدر ذلك ، فأصلح حال العباس ، ودفع إليه أموالاً أرضته ، فرجع عن ذلك .

[خلع المقتدر وبيعة ابن المعتز]

وأما الباقيون . . فإنهم ركبوا في العشرين من ربيع الأول ، سنة ست والمقتدر يلعب الأكرة ، فهرب ودخل ، وأغلقت الأبواب ، وقُتل الوزير وجماعة ، وأرسل إلى ابن المعتز ، فجاء وحضر القواد والقضاة والأعيان ، وبايعوه بالخلافة ولقبوه : الغالب بالله ، واستوزر محمد بن داوود بن الجراح ، واستقضى أبا المثنى أحمد بن يعقوب ، ونفذت الكتب بخلافة ابن المعتز^(٢) .

قال المعافى بن زكريا الجريري : (لما خلع المقتدر وبويع ابن المعتز . . دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبري ، فقال : ما الخبر ؟ قيل : بويع ابن المعتز ، قال : فمن رشح للوزارة ؟ قيل : محمد بن داوود ، قال : فمن ذكر للقضاء ؟ قيل : أبو المثنى .

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (١٩٣/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٢١٣/٧) ، و« المنتظم » (٥٩/١٣) ، و« الكامل » (٧٦٩/٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٦٠٣/٢٣) ، و« فوات الوفيات » (٢٨٤/١) ، و« البداية والنهاية » (١٦٩/١١) .
(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤٠-٢٠/٢٢) ، والأكرة : لغية في الكرة .

فأطرق ثم قال : هذا أمر لا يتم ، قيل له : وكيف ؟ قال : كل واحد ممن سميتم متقدّم في معناه ، عالي الرتبة ، والزمان مدبر ، والدنيا مولية ، وما أرى هذا إلا إلى اضمحلال ، وما أرى لمدته طولاً^(١) .

[حبس ابن المعتز واستقامة الأمر للمقتدر]

وبعث ابن المعتز إلى المقتدر يأمره بالانصراف إلى دار محمد بن طاهر ؛ لكي ينتقل ابن المعتز إلى دار الخلافة ، فأجاب ولم يكن بقي معه إلا طائفة يسيرة ، فقالوا : يا قوم ؛ نسلم هذا الأمر ، ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا ؟ !
فليسوا السلاح ، وقصدوا المُخَرَّم وبه ابن المعتز ، فلما رآهم من حوله . .
ألقي الله في قلوبهم الرعب ، فانصرفوا منهزمين بلا قتال ، وهرب ابن المعتز ووزيره وقاضيه ، ووقع النهب والقتل في بغداد ، وقبض المقتدر على الفقهاء والأمراء الذين خلعوه وسَلَّمُوا إلى مُؤنس الخازن ، فقتلهم إلا أربعة ؛ منهم : القاضي أبو عمر^(٢) ؛ فإنهم سلموا من القتل .

وحبس ابن المعتز ، ثم أخرج فيما بعد ميتاً ، واستقام الأمر للمقتدر ، فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، فسار أحسن سيرة ، وكشف المظالم ، وحض المقتدر على العدل ، ففوض إليه الأمور ؛ لصغره ، واشتغل باللعب واللهو ، وأتلف الخزائن^(٣) .

[خروج المهدي بالمغرب وبدء النقص على العباسيين]

وفي هذه السنة : أمر المقتدر ألا يستخدم اليهود والنصارى ، وأن يركبوا بالأكف^(٤) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٢/٢٤-٢٥) .

(٢) هو محمد بن يوسف .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٢/٢٥-٢٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٢/٢٧) .

وفيها : غلب أمر المهدي بالمغرب ، وسُلم عليه بالإمامة ، ودُعي له بالخلافة ، وبسط في الناس العدل والإحسان ، فأنحرفوا إليه ، وتمهدت له المغرب وعظم ملكه ، وبنى المهدية ، وهرب أمير إفريقية زيادة الله بن الأغلب إلى مصر ، ثم أتى العراق ، وخرجت المغرب عن أمر بني العباس من هذا التاريخ^(١) .

فكانت مدة ملكهم جميع الممالك الإسلامية مئة وبضعاً وستين سنة ، ومن هنا دخل النقص عليهم .

قال الذهبي : (اختل النظام كثيراً في أيام المقتدر ؛ لصغره)^(٢) .

وفي سنة ثلاث مئة : ساخ جبل بالدِّينَوْر في الأرض ، وخرج من تحته ماء كثير غرَّق القرى^(٣) .

وفيها : ولدت بغلة فلوأ ، فسبحان القادر على ما يشاء^(٤) .

وفي سنة إحدى وثلاث مئة : ولي الوزارة علي بن عيسى ، فسار بعفة وعدل وتقوى ، وأبطل الخمر ، وأبطل من المكوس ما ارتفاه في العام خمس مئة ألف دينار^(٥) .

وفيها : أعيد القاضي أبو عمر إلى القضاء^(٦) .

وركب المقتدر من داره إلى الشَّماسية ، وهي أول ركة ظَهَر فيها للعامة^(٧) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢ / ٢٨ - ٣٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٣ / ٦٠٤) .

(٣) الأوراق (١ / ١٥٧) ، والمتنظم (٦ / ١١٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٢ / ٣٨) .

(٤) الأوراق (١ / ١٥٧) ، والمتنظم (٦ / ١١٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٢ / ٣٨) ، والفلو : المهر .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٣ / ٧) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣ / ٨) ، وأبو عمر : هو محمد بن يوسف .

(٧) المتنظم (٦ / ١٢١) ، وتاريخ الإسلام (٢٣ / ٨) .

وفيها : أدخل الحسين الحلاج مشهوراً على جمل إلى بغداد ، فصلب حياً ، ونودي عليه : هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ، ثم حبس إلى أن قتل في سنة تسع ، وأشيع عنه أنه ادعى الإلهية ، وأنه يقول بحلول اللاهوت في الأشراف ، ويكتب إلى أصحابه : (من النور الشعشعاني) ونوظر فلم يوجد عنده شيء من القرآن ولا الحديث ولا الفقه^(١) .

وفيها : سار المهدي الفاطمي يريد مصر في أربعين ألفاً من البربر ، فحال النيل بينه وبينها ، فرجع إلى الإسكندرية وأفسد فيها وقتل ، ثم رجع فصار إليه جيش المقتدر إلى بركة ، وجرت لهم حروب ، ثم ملك الفاطمي الإسكندرية والفيوم من هذا العام^(٢) .

وفي سنة اثنتين : ختن المقتدر خمسة من أولاده ، فغرم على ختاتهم ست مئة ألف دينار ، وختن معهم طائفة من الأيتام ، وأحسن إليهم^(٣) .

وفيها : صُلِّي العيد في جامع مصر ، ولم يكن يصلّي فيه العيد قبل ذلك ، فخطب بالناس علي ابن أبي شيخة من الكتاب نظراً ، وكان من غلظه أن قال : (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مشركون)^(٤) .

وفيها : أسلم الديلم على يد الحسن بن علي العلوي الأطروش ، وكانوا مجوساً^(٥) .

وفي سنة أربع : وقع الخوف ببغداد من حيوان يقال له : الزَّبْزَب ، ذكر الناس : أنهم يرونه بالليل على الأسطحة ، وأنه يأكل الأطفال ، ويقطع ثدي

(١) المتظم (١٢٢/٦) ، وتاريخ الإسلام (٩-٨/٢٣) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (١٢-١١/٢٣) .

(٣) المتظم (١٢٧/٦) ، وتاريخ الإسلام (١٤/٢٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٧/٢٣) ، وعلي : هو ابن أحمد بن أبي شيخة .

(٥) الكامل (٨١/٨) ، وتاريخ الإسلام (١٥-١٦/٢٣) .

المرأة ، فكانوا يتحارسون ويضربون بالطاسات ليهرب ، واتخذ الناس لأطفالهم مكاب ، ودام عدة ليال^(١) .

وفي سنة خمس : قدمت رسل ملك الروم بهدايا وطلب عقد هدنة ، فعمل المقتدر موكباً عظيماً ، فأقام العساكر وصفهم بالسلاح ؛ وهم مئة وستون ألفاً ، من باب الشَّماسية إلى دار الخلافة ، وبعدهم الخدام ؛ وهم سبعة آلاف خادم ، ويليهم الحجاب ؛ وهم سبع مئة حاجب ، وكانت الستور التي نصبت على حيطان دار الخلافة : ثمانية وثلاثين ألف ستر من الديباج ، والبسط : اثنان وعشرون ألفاً ، وفي الحضرة : مئة سَبْع في السلاسل . . . إلى غير ذلك^(٢) .

وفي هذه السنة : وردت هدايا صاحب عمان ؛ وفيها طير أسود يتكلم بالفارسية وبالهندية أفصح من البيغاء^(٣) .

وفي سنة ست : فتح مارستان أم المقتدر ، وكان مبلغ النفقة فيه في العام سبعة آلاف دينار^(٤) .

وفيها : صار الأمر والنهي لحرم الخليفة ولنسائه ؛ لركاكته ، وآل الأمر إلى أن أمرت أم المقتدر ثمل القهرمانة أن تجلس للمظالم، وتنظر في رقاع الناس كل جمعة، فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان ، وتبرز التواقيع وعليها خطها^(٥) .

وفيها : عاد القائم محمد بن المهدي الفاطمي إلى مصر فأخذ أكثر الصعيد^(٦) .

(١) المنتظم (١٣٩/٦) ، والكمال (١٠٥/٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/٢١) ، والزيب : دابة كالسنور ، تأخذ الصبيان من المهود ، وهو حيوان أبلق بسواد قصير اليدين والرجلين .

(٢) كتاب الأوراق (١٩٧/١) ، وتاريخ الإسلام (٢٣/٢٣) .

(٣) المنتظم (١٤٥/٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/٢٣) .

(٤) المنتظم (١٤٦/٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢٣) .

(٥) المنتظم (١٤٨/٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٣) .

(٦) الكامل (١١٣/٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/٢٣) .

وفي سنة ثمان : غلت الأسعار ببغداد ، وشغبت العامة ؛ لكون حامد بن العباس ضمن السواد ، وجدد المظالم ، ووقع النهب ، وركب الجند فهاوشتهم العامة ، ودام القتال أياماً ، وأحرق العامة الجسر ، وفتحوا السجون ، ونهبوا الناس ، ورجموا الوزير ، واختلت أحوال الدولة العباسية جداً^(١) .

وفيها : ملكت جيوش القائم الجزيرة من الفسطاط ، واشتد قلق أهل مصر ، وتأهبوا للهروب ، وجرت أمور وحروب يطول شرحها^(٢) .

وفي سنة تسع : قُتل الحلاج بإفتاء القاضي أبي عمر والفقهاء والعلماء : أنه حلال الدم ، وله في أحواله السنية أخبار أفرد بها الناس بالتصنيف^(٣) .

وفي سنة إحدى عشرة : أمر المقتدر برد المواريث إلى ما صيرها المعتضد من توريث ذوي الأرحام .

وفي سنة ثنتي عشرة : فتحت فرغانة على يد والي خراسان^(٤) .

وفي سنة أربع عشرة : دخلت الروم مَلَطِيَّة بالسيف^(٥) .

وفيها : جمدت دجلة بالموصل وعبرت عليها الدواب ، وهذا لم يعهد^(٦) .

(١) المنتظم (١٥٦/٦) ، والكمال (١١٦/٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/٢٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١/٢٣) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٣/٢٣ - ٤٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٥٥/٢٣) .

(٥) الكامل (١٦٧/٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٥٨/٢٣) .

(٦) الكامل (١٦٧/٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٥٨/٢٣) .

وفي سنة خمس عشرة : دخلت الروم سُمَيْسَاط^(١) ، وأخذوا من فيها وما فيها ، وضربوا الناقوس في جامعها^(٢) .

وفيهما : ظهرت الديلم على الري والجبال ، فقتل خلق وذُبِحت الأُطفال^(٣) .

وفي سنة ست عشرة : بنى القرمطي داراً سماها دار الهجرة ، وكان في هذه السنين قد كثر فسادُه ، وأخذَه البلاد ، وفتكه بالمسلمين ، واشتد الخطب به ، وتمكنت هيئته من القلوب ، وكثر أتباعه ، وبث السرايا وتزلزل له الخليفة ، وهزم جيش المقتدر غير مرة ، وانقطع الحج في هذه السنين خوفاً من القرامطة ، ونزح أهل مكة عنها ، وقصدت الروم ناحية خِلاط ، وأخرجوا المنبر من جامعها ، وجعلوا الصليب مكانه^(٤) .

[خروج مؤنس الخادم على الخليفة وما جرى بينهما]

وفي سنة سبع عشرة : خرج مؤنس الخادم الملقب بالمظفر على المقتدر ؛ لكونه بلغه أنه يريد أن يولِّي إمرة الأمراء هارون بن غريب مكان مؤنس ، وركب معه سائر الجيش والأمراء والجنود ، وجاؤوا إلى دار الخلافة ، فهربت خواص المقتدر ، وأخرج المقتدر بعد العشاء - وذلك ليلة رابع عشر المحرم - من داره وأمه وخالته وحرمه ، ونهب لأمه ست مئة ألف دينار .

وأشهد على نفسه بالخلع ، وأحضر محمد بن المعتضد ، وبايعه مؤنس والأمراء ، ولقبوه : القاهر بالله ، وفوضت الوزارة إلى أبي علي بن مقله ، وذلك يوم السبت .

(١) في (أ) : (ضمياط) ، وفي (ج) : (دمياط) ، وفي (ب) : (صمشاط) ، وفي (و، د، هـ) :

(صميساط) ، والمثبت من مصادر التخریج ، وانظر « معجم البلدان » (٢٥٨ / ٣) .

(٢) الخبر في « المنتظم » (٢٠٥ / ٦) ، و « الكامل » (١٦٩ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٦١ / ٢٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٦٢ - ٣٦٣) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٧٣ - ٣٧٤) .

وجلس القاهر بالله يوم الأحد ، وكتب الوزير عنه إلى البلاد ، وعمل الموكب يوم الاثنين ، فجاء العسكر يطلبون رزق البيعة ورزق سنة ، ولم يكن مؤنس حاضراً ، فارتفعت الأصوات ، فقتلوا الحاجب ، ومالوا إلى دار مؤنس يطلبون المقتدر ؛ ليردوه إلى الخلافة ، فحملوه على أعناقهم من دار مؤنس إلى قصر الخلافة ، وأخذ القاهر ، فعجى به وهو يبكي ويقول : الله الله في نفسي ، فاستدناه وقبله ، وقال له : (يا أخي ؛ أنت والله لا ذنب لك ، والله ؛ لا جرى عليك مني سوء أبداً ، فَطَبْ نفساً) وسكن الناس ، وعاد الوزير ، فكتب إلى الأقاليم بعود الخليفة إلى خلافته ، وبذل المقتدر الأموال في الجند^(١) .

[هجوم القرامطة على الحجيج وسرقة الحجر]

وفي هذه السنة : سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي ، فوصلوا إلى مكة سالمين ، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطي ، فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً ، وطرح القتلى في بئر زمزم ، وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ، ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوماً ، ثم رحلوا وبقي الحجر الأسود عندهم أكثر من عشرين سنة ، ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا ، حتى أعيد في خلافة المطيع^(٢) .

وقيل : إنهم لما أخذوه . . هلك تحته أربعون جماً من مكة إلى هجر ، فلما أعيد . . حُمل على قعود هزيل فسمن^(٣) .

قال محمد بن الربيع بن سليمان : (كنت بمكة سنة القرامطة ، فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه ، فعيل صبري وقلت : يا رب ؛ ما أحلمك ! فسقط الرجل على دماغه ، فمات)^(٤) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣ / ٣٧٥ - ٣٧٧) .

(٢) المنتظم (٦ / ٢٢٢ - ٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣ / ٢٨٠ - ٢٨٣) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٣ / ٢٨١) .

(٤) المنتظم (٦ / ٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٣ / ٢٨٣) .

وصعد القرمطي على باب الكعبة وهو يقول : [من الرمل]

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا^(١)

ولم يفلح أبو طاهر القرمطي بعدها ، وتقطع جسده بالجدي^(٢) .

وفي هذه السنة : هاجت فتنة كبرى ببغداد بسبب قوله تعالى : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ فقالت الحنابلة : معناه : يقعه الله على عرشه ، وقال غيرهم : بل هي الشفاعة ، ودام الخصام ، واقتتلوا حتى قُتل جماعة كثيرة^(٣) .

وفي سنة تسع عشرة : نزل القرمطي الكوفة ، وخاف أهل بغداد من دخوله إليها ، فاستغاثوا ورفعوا المصاحف ، وسبوا المقتدر^(٤) .

وفيهما : دخلت الديلم الدِّينَوْر فسبوا وقتلوا^(٥) .

[خروج مؤنس ثانية وقتل المقتدر]

وفي سنة عشرين : ركب مؤنس على المقتدر ، وكان معظم جند مؤنس البربر ، فلما التقى الجمعان . رمى بربري المقتدر بحربة سقط منها إلى الأرض ، ثم ذبحه بالسيف ، وشيل رأسه على رمح ، وسلب ما عليه ، وبقي مكشوف العورة حتى ستر بالحشيش ، ثم حفر له في الموضع ودفن ، وذلك يوم الأربعاء ، لثلاث بقين من شوال^(٦) .

وقيل : (إن وزيره أخذ له ذلك اليوم طالعا ، فقال له المقتدر : أي وقت

(١) العبر (١٧٤/٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٨٥/٢٣) .

(٣) المختصر في أخبار البشر (١٠٩/٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٨٤/٢٣) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩١-٣٩٢/٢٣) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣٩١/٢٣) .

(٦) المتتظم (٢٤٣/٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٩٥-٣٩٦/٢٣) .

هو ؟ قال : وقت الزوال ، فتطيرَ وهمَّ بالرجوع ، فأشرفت خيل مؤنس ، ونشبت الحرب .

وأما البربري الذي قتله . . فإن الناس صاحوا عليه ، فساق نحو دار الخلافة ليخرج القاهر ، فصادفه حمل شوك ، فزحمه إلى قنار لحام فعلقه كُلاب^(١) ، وخرج الفرس في مشواره من تحته فمات ، فحطه الناس وأحرقوه بالحمل الشوك^(٢) .

وكان المقتدر جيد العقل ، صحيح الرأي ؛ لكنه كان مؤثراً للشهوات والشرب^(٣) ، مبذراً ، وكان النساء غلبن عليه ، فأخرج عليهن جميع جواهر الخلافة ونفائسها ، وأعطى بعض حظاياها الدرة اليتيمة ، ووزنها ثلاثة مثاقيل ، وأعطى زيدان القهرمانة سبحة جوهر لم ير مثلاً لها ، وأتلف أموالاً كثيرة .

وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصيان ، غير الصقالبة والروم والسود ، وخلف اثني عشر ولداً ذكر^(٤) .

[ذكر أكثر الخلفاء تولية لأولاده]

وولي الخلافة من أولاده ثلاثة : الراضي والمتقي والمطيع ، وكذلك اتفق للمتوكل وللرشيد ، وأما عبد الملك . . فولي الأمر من أولاده أربعة ، ولا نظير لذلك إلا في الملوك ، كذا قال الذهبي^(٥) .

قلت : في زماننا ولي الخلافة من أولاد المتوكل خمسة : المستعين العباس ، والمعتضد داوود ، والمستكفي سليمان ، والقائم حمزة ، والمستنجد يوسف ، ولا نظير لذلك .

(١) القنَّار : الخشبة يعلق عليها القصاب اللحم .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٣/٣٩٦-٣٩٧) نقلاً عن الصولي .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٣/٦٠٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٣/٣٩٧-٣٩٨) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٣/٦٠٤-٦٠٥) .

[نَادِرَة]

[فيمن اسمه جعفر من الخلفاء]

وفي « لطائف المعارف » للثعالبي : (نادرة : لم يلِ الخلافة من اسمه جعفر إلا المتوكل والمقتدر ، فقتلا جميعاً ؛ المتوكل ليلة الأربعاء ، والمقتدر يوم الأربعاء)^(١) .

ومن محاسن المقتدر

ما حكاه ابن شاهين : (أن وزيره علي بن عيسى أراد أن يصلح بين ابن صاعد وبين أبي بكر بن أبي داود السجستاني ، فقال الوزير : يا أبا بكر ؛ أبو محمد أكبر منك ، فلو قمت إليه ؟ قال : لا أفعل .

فقال الوزير : أنت شيخ زيف ، فقال ابن أبي داود : الشيخ الزيف الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال الوزير : من الكذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هذا ، ثم قام ابن أبي داود ، وقال : تتوهم أنني أذل لك لأجل أن رزقي يصل إليّ على يديك ، والله ؛ لا أخذت من يدك شيئاً أبداً ، فبلغ المقتدر ذلك ، فصار يزن رزقه بيده ، ويبعث به في طبق على يد الخادم)^(٢) .

[من مات في عهده]

مات في أيام المقتدر من الأعلام : محمد بن داود الظاهري ، ويوسف بن يعقوب القاضي ، وابن سريج شيخ الشافعية ، والجنيد شيخ الصوفية ، وأبو عثمان الحيري الزاهد ، وأبو بكر البرديجي ، وجعفر الفريابي ، وابن بسم الشاعر ، والنسائي صاحب « السنن » ، والحسن بن سفيان صاحب « السنن » ،

(١) لطائف المعارف (ص ٨٨) .

(٢) تذكرة الحفاظ (٢ / ٧٧٠) .

والجُبَّائي شيخ المعتزلة ، ويموت بن المزَرََّع النحوي ، وابن الجلاء شيخ الصوفية ، وأبو يعلى الموصلي صاحب « المسند » ، والأشْثاني المقرئ ، وابن سيف من كبار قراء مصر ، وأبو بكر الرُّوياني صاحب « المسند » ، وابن المنذر الإمام ، وابن جرير الطبري ، والزجاج النحوي ، وابن خزيمة ، وابن زكريا الطيب ، والأخفش الصغير ، وبُتَّان الحمالي ، وأبو بكر بن أبي داود السجستاني ، وابن السَّرَّاج النحوي ، وأبو عَوانة صاحب « الصحيح » ، وأبو القاسم البَغوي المسند ، وأبو عبيد بن حَرْبويه ، والكعبي شيخ المعتزلة ، وأبو عمر القاضي ، وقدامة الكاتب ، وخلائق آخرون .

خلافة القاهرة بالله

[٣٢٠-٣٢٢هـ]^(١)

أبو منصور ، محمد بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ، أمه : أم ولد ،
اسمها : فتنة .

لما قتل المقتدر . . أحضر هو ومحمد بن المكتفي ، فسألوا ابن المكتفي أن
يتولى فقال : لا حاجة لي في ذلك ، وعمي هذا أحق به ، فكلم القاهرة فأجاب ،
فبويع ولقب : القاهرة بالله ، كما لقب به في سنة سبع عشرة^(٢) .

فأول ما فعل أن صادر آل المقتدر وعذبهم ، وضرب أم المقتدر حتى ماتت في
العذاب^(٣) .

[احتلال القاهرة على الخارجين عليه وذبحهم]

وفي سنة إحدى وعشرين : شغب عليه الجند ، واتفق مؤنس وابن مقله
وآخرون على خلعه بآبن المكتفي ، فتحيل القاهرة عليهم إلى أن أمسكهم
وذبحهم ، وطين على ابن المكتفي بين حيطين .

وأما ابن مقله . . فاخفى فأحرقت داره ، ونهبت دور المخالفين ، ثم أطلق
أرزاق الجند فسكنوا ، واستقام الأمر للقاهرة ، وعظم في القلوب ، وزيد في
ألقابه : المنتقم من أعداء دين الله ، ونقش ذلك على السكة^(٤) .

وفي هذه السنة : أمر بتحريم القيان والخمر ، وقبض على المغنين ، ونفى

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٢١٠/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٣٣٩/١) ، و« المتظم »

(٣٠٥/١٣) ، و« الكامل » (٢٧٩/٨) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧٧/٢٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٩٩/٢٣) .

(٣) المتظم (٢٥٣/٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٩٩/٢٣) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٩٠٥/٢٤) .

المخانيث ، وكسر آلات اللهو ، وأمر ببيع المغنيات من الجواري على أنهن سواذج ، وكان مع ذلك لا يصححو من السكر ، ولا يفتر عن سماع الغناء^(١) .

[ظهور ابن بويه واستيلاؤه على بلاد فارس]

وفي سنة اثنتين وعشرين : ظهرت الديلم ؛ وذلك لأن أصحاب مَرْدَاوِيَج دخلوا أصبهان ، وكان من قواده علي بن بويه ، فاقتطع مالا جليلاً ، فانفرد عن مخدمه ، ثم التقى هو ومحمد بن ياقوت نائب الخليفة ، فهزم محمد ، واستولى ابن بويه على فارس ، وكان بويه فقيراً صعلوكاً يصيد السمك ، رأى كأنه بال فخرج من ذكره عمود نار ، ثم تشعب العمود حتى ملأ الدنيا ، فعبرت : بأن أولاده يملكون الدنيا ، ويبلغ سلطانهم على قدر ما احتوت عليه النار .

فمضت السنون ، وآل أمر علي هذا إلى أن صار قائداً لمرداويج بن زياد الديلمي ، فأرسله يستخرج له مالا من الكرخ ، فاستخرج خمس مئة ألف درهم ، وأتى همدان ليملكها ، فغلق أهلها في وجهه الأبواب ، فقاتلهم وفتحها عنوة ، وقتل خلقاً ، ثم صار إلى شیراز .

ثم إنه قل ما عنده ، فنام على ظهره فخرجت حية من سقف المجلس ، فأمر بنقضه فخرجت صناديق ملأى ذهباً ، فأنفقها في جنده .

وطلب خياطاً يخطط له شيئاً ، وكان أطرُوشاً^(٢) ، فظن أنه قد سعي به ، فقال : والله ؛ ما عندي سوى اثني عشر صندوقاً ، لا أعلم ما فيها ، فأحضرت فوجد فيها مالا عظيماً .

وركب يوماً فساخت قوائم فرسه ، فحفروه فوجدوا فيه كنزاً ، واستولى على البلاد ، وخرجت خراسان وفارس عن حكم الخلافة^(٣) .

وفي هذه السنة : قتل القاهر إسحاق بن إسماعيل التُوَيْخِي الذي قد كان أشار

(١) الكامل (٢٧٣/٨) ، وتاريخ الإسلام (٩/٢٤) .

(٢) الأَطْرُوش : الأصم .

(٣) انظر « المتظم » (٣٤٢/١٣) ، و« تاريخ الإسلام » (١٢/٢٤-١٤) .

بخلافة القاهر ؛ ألقاه على رأسه في بئر وطمت ؛ وذنبه : أنه زايد القاهر قبل الخلافة في جارية واشتراها ، فحقد عليه^(١) .

[الخروج على القاهر وسمل عينيه]

وفيهما : تحرك الجند عليه ؛ لأن ابن مقله في اختفائه كان يوحشهم منه ، ويقول لهم : (إنه بنى لكم المطامير ليحبسكم) وغير ذلك ، فاجتمعوا على الفتك به ، فدخلوا عليه بالسيوف فهرب ، فأدركوه وقبضوا عليه في سادس جمادى الآخرة .

وبايعوا أبا العباس محمد بن المقتدر ، ولقبوه : الراضي بالله ، ثم أرسلوا إلى القاهر الوزير والقضاة : أبا الحسين بن القاضي أبي عمر ، والحسن بن عبد الله بن أبي الشوارب ، وأبا طالب بن البهلول ، فجأؤوه فقبل له : (ما تقول ؟ قال : أنا أبو منصور محمد بن المعتضد ، لي في أعناقكم بيعة وفي أعناق الناس ، ولست أبرئكم ولا أحلكم منها فقوموا ، فقاموا فقال الوزير : يخلع ولا يفكر فيه ، أفعاله مشهورة ، قال القاضي أبو الحسين : فدخلت على الراضي وأعدت ما جرى ، وأعلمته أنني أرى إمامته فرضاً ، فقال : انصرف ودعني وإياه ، فأشار سيما مقدم الحجرية على الراضي بسمله ، فكحله بمسمار محمى^(٢) .

قال محمود الأصبهاني : (كان سبب خلع القاهر : سوء سيرته وسفكه الدماء ، فامتنع من الخلع ، فسملوا عينيه حتى سالتا على خديه)^(٣) .

وقال الصولي : (كان أهوج ، سفاكاً للدماء ، قبيح السيرة ، كثير التلون

(١) الكامل (٢٦١/٨) ، وتاريخ الإسلام (١٤/٢٤) .

(٢) الكامل (٢٧٩-٢٨١/٨) ، وتاريخ الإسلام (١٥/٢٤ - ١٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧/٢٤) .

والاستحالة ، مدمن الخمر ، ولولا جودة حاجبه سلامة .. لأهلك الحرث والنسل (١) .

وكان قد صنع حربة يحملها ، فلا يطرحها حتى يقتل بها إنساناً (٢) .

[القاهر يسأل عن أخلاق خلفاء العباسيين]

قال محمد بن علي الخراساني : (أحضرني القاهر يوماً والحربة بين يديه فقال : أسألك عن خلفاء بني العباس في أخلاقهم وشيمهم ، قلت : أما السفاح .. فكان مسارعاً إلى سفك الدماء ، واتبعه عُماله على مثل ذلك ، وكان مع ذلك سمحاً وصولاً بالمال .

قال : فالمنصور ؟ قلت : كان أول من أوقع الفرقة بين ولد العباس وولد أبي طالب ، وكانوا قبله متفقين ، وهو أول خليفة قرب المنجمين ، وأول خليفة ترجمت له الكتب الشريانية والأعجمية ؛ ككتاب « كليلة ودمنة » ، وكتاب « إقليدس » ، وكتب اليونان ، فنظر الناس فيها وتعلقوا بها ، فلما رأى ذلك محمد بن إسحاق .. جمع المغازي والسير ، والمنصور أول من استعمل مواليه ، وقدمهم على العرب .

قال : فالمهدي ؟ قلت : كان جواداً عادلاً منصفاً ؛ ردّ ما أخذ أبوه من الناس غصباً ، وبالع في إتلاف الزنادقة ، وبنى المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى .

قال : فالهادي ؟ قلت : كان جباراً متكبراً ، فسلك عماله طريقه على قصر أيامه .

قال : فالرشيد ؟ قلت : كان مواظباً على الغزو والحج ، وعمر القصور والبرك بطريق مكة ، وبنى الثغور ؛ كأذنة وطرسوس والمصيصة ومرعش ، وعم الناس إحسانه ، وكان في أيامه البرامكة وما اشتهر من كرمهم ، وهو أول خليفة

(١) تاريخ الإسلام (١٧/٢٤) نقلاً عن الصولي .

(٢) انظر « مروج الذهب » (٢١٠/٥) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧/٢٤) .

لعب بالصَّوَالِجَة ، ورمى النشاب في البُرْجاس^(١) ولعب بالشطرنج من بني العباس .

قال : فالأمين ؟ قلت : كان جواداً ، إلا أنه انهمك في لذاته ففسدت الأمور .

قال : فالمأمون ؟ قلت : غلب عليه النجوم والفلسفة ، وكان حليماً جواداً .

قال : فالمعتصم ؟ قلت : سلك طريقه ، وغلب عليه حب الفروسية والتشبه بملوك الأعاجم ، واشتغل بالغزو والفتوح .

قال : فالواثق ؟ قلت : سلك طريقة أبيه .

قال : فالمتوكل ؟ قلت : خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات ، ونهى عن الجدال والمناظرات والأهواء وعاقب عليها ، وأمر بقراءة الحديث وسماعه ، ونهى عن القول بخلق القرآن ، فأحبه الناس .

ثم سأل عن باقي الخلفاء وأنا أجيبه بما فيهم ، فقال لي : قد سمعت كلامك وكأني مشاهد القوم ، ثم قام^(٢) .

[إخفاء القاهر أمواله ومد يده للناس وموته]

وقال المسعودي : (أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه مالاً عظيماً ، فلما خلع وشمل . . طولب بها ، فأنكر فعذب بأنواع العذاب ، فلم يقر بشيء ، فأخذه الراضي بالله فقربه وأدناه ، وقال له : قد ترى مطالبة الجند بالمال ، وليس عندي شيء ، والذي عندك فليس بنافع لك ، فاعترف به ، فقال : أما إذ فعلت هذا . . فالمال مدفون في البستان .

وكان قد أنشأ بستاناً فيه أصناف الشجر ، حملت إليه من البلاد ، وزخرفه وعمل فيه قصراً ، وكان الراضي مغرمًا بالبستان والقصر ، فقال : وفي أي مكان

(١) البرجاس : هدف ينصب على رمح أو سارية .

(٢) مروج الذهب (٢١١/٥ - ٢١٤) ، وتاريخ الإسلام (١٨/٢٤ - ١٩) .

المال منه ؟ فقال : أنا مكفوف لا أهتدي إلى مكان ، فاحفر البستان تجده .

فحفر الراضي البستان وأساسات القصر ، وقلع الشجر ، فلم يجد شيئاً ، فقال له : وأين المال ؟ فقال : وهل عندي مال ؟! وإنما كان حسرتي في جلوسك في البستان وتنعمك ، فأردت أن أفجعك فيه ، فندم الراضي وحبسه ، فأقام إلى سنة ثلاث وثلاثين .

ثم أطلقوه وأهملوه ، فوقف يوماً بجامع المنصور بين الصفوف وعليه مبطنة بيضاء ، وقال : تصدقوا علي فأنا من قد عرفتم ، وذلك في أيام المستكفي ليشنع عليه ، فمُنِع من الخروج إلى أن مات سنة تسع وثلاثين ، في جمادى الأولى ، عن ثلاث وخمسين سنة ^(١) .

وكان له من الولد: عبد الصمد ، وأبو القاسم ، وأبو الفضل ، وعبد العزيز .

[من مات في عهده]

ومات في أيامه من الأعلام : الطحاوي شيخ الحنفية ، وابن دريد ، وأبو هاشم بن الجبائي ، وآخرون .

(١) مروج الذهب (٢٢٦/٥ - ٢٢٧) ، والنقل من « تاريخ الإسلام » (٢٠ / ٢٤) .

خلاف الراضي بالله

[٣٢٢-٣٢٩هـ] ^(١)

أبو العباس ، محمد بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل ، ولد سنة سبع وتسعين ومئتين ، وأمه : أمة رومية ، اسمها : ظلوم ، بويغ له يوم خلع القاهر ، فأمر ابن مقله أن يكتب كتاباً فيه مثالب القاهر ويقرأ على الناس .

وفي هذا العام من خلافته : مات مرداويج مقدم الديلم بأصبهان ، وكان قد عظم أمره ، وتحدثوا : أنه يريد قصد بغداد ، وأنه مسالم لصاحب المجوس ، وكان يقول : (أنا أرد دولة العجم ، وأمحق دولة العرب) ^(٢) .

وفيها : بعث علي بن بويه إلى الراضي يقاطعه على البلاد التي استولى عليها بثمان مئة ألف درهم كل سنة ، فبعث له لواء وخِلْعاً ، ثم أخذ ابن بويه يماطل بحمل المال ^(٣) .

وفيها : مات المهدي صاحب المغرب ، وكانت أيامه خمساً وعشرين سنة ؛ وهو جد خلفاء المصريين الذين يسمونهم الجهلة : بالفاطميين ؛ فإن المهدي هذا ادعى أنه علوي ، وإنما جده مجوسي ، قال القاضي أبو بكر الباقلاني : (جد عبيد الله الملقب بالمهدي : مجوسي ، دخل عبيد الله المغرب ، وادعى أنه علوي ، ولم يعرفه أحد من علماء النسب ، وكان باطنياً خبيثاً ، حريصاً على إزالة ملة الإسلام ، أعدم العلماء والفقهاء ؛ ليتمكن من إغواء الخلق ، وجاء أولاده

(١) انظر ترجمته في : « الأوراق » (١/٣) ، و « مروج الذهب » (٢١٧/٥) ، و « تاريخ بغداد » (١٤٢/٢) ، و « المنتظم » (٣٢٤/٦) ، و « الكامل » (٣٦٦/٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٦٧/٢٤) ، و « فوات الوفيات » (٣٢١/٣) ، و « البداية والنهاية » (١٩٦/١١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢١/٢٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٢/٢٤) .

على أسلوبه : أباحوا الخمر والفروج ، وأشاعوا الرفض ، وقام بالأمر بعد موت هذا ابنه القائم بأمر الله أبو القاسم محمد (١) .

وفي هذه السنة : ظهر محمد بن علي السَّلمَغاني ، المعروف : بابن أبي العزَّاقِر ، وقد شاع عنه أنه يدعي الإلهية ، وأنه يحيي الموتى ، فقتل وصلب ، وقتل معه جماعة من أصحابه (٢) .

وفيها : توفي أبو جعفر السَّجْزي أحد الحجاب ، قيل : بلغ من العمر مئة وأربعين سنة ، وحواسه جيدة (٣) .

وفيها : انقطع الحج من بغداد إلى سنة سبع وعشرين (٤) .

وفي سنة ثلاث وعشرين : تمكَّن الراضي بالله ، وقلد ابنه : أبا الفضل وأبا جعفر المشرق والمغرب (٥) .

وفيها : كانت واقعة ابن شنبُوذ المشهورة ، واستتابته عن القراءة بالشاذ والمحضر الذي كتب عليه ، وذلك بحضرة الوزير أبي علي بن مقله (٦) .

وفيها : في جمادى الأولى : هبت ريح عظيمة ببغداد ، واسودَّت الدنيا ، وأظلمت من العصر إلى المغرب (٧) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤ / ٢٣ و ١٠٨ - ١٠٩) .

(٢) انظر « الكامل » (٨ / ٢٩٠ - ٢٩٢) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٤ / ٢٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٤ / ٢٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٤ / ٢٧) .

(٥) الكامل (٨ / ٣١١) ، وتاريخ الإسلام (٢٤ / ٢٨) .

(٦) الأوراق (٣ / ٦٢) ، والمتنظم (٦ / ٢٧٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٤ / ٢٨) ، وجاء في « معرفة القراء الكبار » للإمام الذهبي (٢ / ٥٥٢ - ٥٥٣) : (... كان يتبع الشواذ ، ويقرئ بها ، ويقرأ بها في المحراب مما يخالف المصحف ، وكان يجادل على ذلك ، حتى أنكر الناس عليه ، فقبض عليه ، وأحضر العلماء بدار الوزير ، فأنكروا عليه ، وأشاروا بعقوبته ، فأمر بتجريدته ، فضرب نحو العشر درر ضرباً شديداً ؛ حتى أذعن بالرجوع والتوبة ، فأعيدت عليه ثيابه واستتيب ، وقد استجيب دعاؤه - وكان قد دعا على الوزير بأن يقطع الله يده - فقطعت يد الوزير ، وذاق الدل) .

(٧) المتنظم (٦ / ٢٧٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٤ / ٣١) .

وفيها : في ذي القعدة : انقضت النجوم سائر الليل انقضاضاً عظيماً ما رُئي مثله^(١) .

وفي سنة أربع وعشرين : تغلب محمد بن رائق أمير واسط ونواحيها ، وحكم على البلاد ، وبطل أمر الوزارة والدواوين ، وتولى هو الجميع وكتّابه ، وصارت الأموال تحمل إليه ، وبطلت بيوت المال ، وبقي الراضي معه صورة وليس له من الخلافة إلا الاسم^(٢) .

وفي سنة خمس وعشرين : اختل الأمر جداً ، وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها ، أو عامل لا يحمل مالاً ، وصاروا مثل ملوك الطوائف ، ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد مع كون يد ابن رائق عليه^(٣) .

ولما ضعف أمر الأمة في هذه الأزمان ، ووهت أركان الدولة العباسية ، وتغلبت القرامطة والمبتدعة على الأقاليم . . قويت همة صاحب الأندلس الأمير عبد الرحمن بن محمد الأموي المرواني ، وقال : أنا أولى الناس بالخلافة ، وتسمى بأمر المؤمنين الناصر لدين الله ، واستولى على أكثر الأندلس ، وكانت له الهيبة الزائدة ، والجهاد والغزو ، والسيرة المحمودة ، استأصل المتغلبين ، وفتح سبعين حصناً ، فصار المسمون بأمر المؤمنين في الدنيا ثلاثة : العباسي ببغداد ، وهذا بالأندلس ، والمهدي بالقيروان .

وفي سنة ست وعشرين : خرج بجحكم على ابن رائق فظهر عليه ، واختفى ابن رائق ، فدخل بجحكم بغداد ، فأكرمه الراضي ورفع منزلته ، ولقبه : أمير الأمراء ، وقلده إمارة بغداد وخراسان^(٤) .

(١) المنتظم (٢٧٧/٦) .

(٢) الكامل (٣٢٢-٣٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/٢٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٣/٢٤) ، وانظر «تكملة تاريخ الطبري» (ص ١٠١) .

(٤) الأوراق (١٠٥/٣) ، وتاريخ الإسلام (٥١/٢٤) .

وفي سنة سبع وعشرين : كتب أبو علي عمر بن يحيى العلوي إلى القُرْمَطي
وكان يحبه : أن يطلق طريق الحاج ويعطيه عن كل جمل خمسة دنانير ، فأذن
وحج الناس ، وهي أول سنة أخذ فيها المكس من الحجاج^(١) .

وفي سنة ثمان وعشرين : غرقت بغداد غرقاً عظيماً ، حتى بلغت زيادة الماء
تسعة عشر ذراعاً ، وغرق الناس والبهائم ، وانهدمت الدور^(٢) .

وفي سنة تسع وعشرين : اعتل الراضي ومات في ربيع الآخر ، وله إحدى
وثلاثون سنة ونصف ، وكان سمحاً كريماً ، أديباً شاعراً فصيحاً ، محباً للعلماء ،
وله شعر مدون ، سمع الحديث من البغوي وغيره^(٣) .

[من فضائل الراضي]

قال الخطيب : (للراضي فضائل ؛ منها : أنه آخر خليفة له شعر مدون ،
 وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال ، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة ،
 وآخر خليفة جالس الندماء ، وكانت جوائزه وأموره على ترتيب المتقدمين ، وآخر
 خليفة سافر بزي القدمااء)^(٤) .

ومن شعره^(٥) :

كُلُّ صَفْوٍ إِلَى كَدَرٍ كُلُّ أَمِيرٍ إِلَى حَذَرٍ
ومصيرُ الشَّبَابِ لِلدُّ مَوْتٌ فِيهِ أَوِ الْكَدَرُ
دَرٌّ دَرُّ الْمَشِيبِ مِنْ واعظٍ يُنْذِرُ الْبَشَرُ

(١) المنتظم (٢٩٦/٦) ، وتاريخ الإسلام (٥٥/٢٤) .

(٢) المنتظم (٣٠٠/٦) ، وتاريخ الإسلام (٥٨/٢٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥٩/٢٤ - ٦٠) .

(٤) تاريخ بغداد (١٤٣/٢) ، دون قوله : (وآخر خليفة سافر...) .

(٥) الأبيات في « تاريخ بغداد » (١٤٤/٢) ، من طريق الصولي ، وهي في « الأوراق » له (١٨٥/٣) .

أَيُّهَا الْأَمَلُ الَّذِي تَاهَ فِي لُجَّةِ الْغَرَرِ
 أَيْنَ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ذَهَبَ الشَّخْصُ وَالْأَثَرُ
 رَبِّ فَاعْفِرْ لِي الْخَطِيئَةَ يَا خَيْرَ مَنْ غَفَرَ

ذكر أبو الحسن بن رزقويه عن إسماعيل الخطبي قال : (وجه إلي الراضي ليلة
 الفطر ، فجئت إليه فقال : يا إسماعيل ؛ قد عزمت في غد على الصلاة بالناس ،
 فما الذي أقول إذا انتهيت إلى الدعاء لنفسي ؟ فأطرقت ساعة ، ثم قلت : يا أمير
 المؤمنين : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ . . . ﴾ الآية ، فقال لي :
 حسبك ، ثم تبعني خادم فأعطاني أربع مئة دينار)^(١) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : نفطويه ، وابن مجاهد المقرئ ، وابن كاس
 الحنفي ، وابن أبي حاتم ، ومبرمان ، وابن عبدربه صاحب « العقد » ،
 والإصطخري شيخ الشافعية ، وابن شنبوذ ، وأبو بكر الأنباري ، وآخرون .

(١) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٦ / ٣٠٤) .

خلاف المتقي لله

[٣٢٩-٣٣٣هـ]^(١)

أبو إسحاق ، إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد بن طلحة بن المتوكل .
بويح له بالخلافة بعد موت أخيه الرازي ، وهو ابن أربع وثلاثين سنة ، وأمه :
أمة ، اسمها : خلوب ، وقيل : زهرة ، ولم يغير شيئاً قط ، ولا تسرى على
جاريته التي كانت له .

وكان كثير الصوم والتعب ، لم يشرب نبذاً قط ، وكان يقول : لا أريد نديماً
غير المصحف ، ولم يكن له سوى الاسم ، والتدبير لأبي عبد الله أحمد بن علي
الكوفي كاتب بَجْكم^(٢) .

وفي هذه السنة من ولايته : سقطت القبة الخضراء بمدينة المنصور ، وكانت
تاج بغداد ، ومأثرة بني العباس ، وهي من بناء المنصور ، ارتفاعها : ثمانون
ذراعاً ، وتحتها إيوان ، طوله : عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، وعليها تمثال
فارس بيده رمح ، فإذا استقبل بوجهه . . علم أن خارجياً يظهر من تلك الجهة ،
فسقط رأس هذه القبة في ليلة ذات مطر ورعد^(٣) .

وفي هذه السنة : قُتل بَجْكم التركي ، فولي إمرة الأمراء مكانه كورتكين
الديلمي^(٤) ، وأخذ المتقي حواصل بَجْكم التي كانت ببغداد ، وهي زيادة على
ألف ألف دينار^(٥) .

(١) انظر ترجمته في : «الأوراق» (١٨٦/٣) ، و«مروج الذهب» (٢٣١/٥) ، و«تاريخ بغداد»
(٥١/٦) ، و«المنتظم» (٣/١٤) ، و«الكامل» (٣٦٨/٨) ، و«تاريخ الإسلام» (١٥٨/٢٦) ،
و«فوات الوفيات» (١٧/١) .

(٢) الأوراق (١٨٦/٣) ، وتاريخ الإسلام (٦٠/٢٤-٦١) عن الصولي .

(٣) انظر «تاريخ بغداد» (٧٣/١) ، و«تاريخ الإسلام» (٦١/٢٤-٦٢) .

(٤) في (ج) : (تورتكين) .

(٥) تاريخ الإسلام (٦٤/٢٤-٦٥) .

ثم في العام : ظهر ابن رائق ، فقاتل تورتكين ببغداد ، فهزم تورتكين واختفى ، وولي ابن رائق إمرة الأمراء مكانه^(١) .

وفي سنة ثلاثين : كان الغلاء ببغداد ، فبلغ الكر الحنطة ثلاث مئة وستة عشر ديناراً ، واشتد القحط ، وأكلوا الميتات ، وكان قحطاً لم يُر ببغداد مثله أبداً^(٢) .

[خروج البريدي وقتال سيف الدولة له]

وفيها : خرج أبو الحسين علي بن محمد البريدي ، فخرج لقتاله الخليفة وابن رائق ، فهزما وهربا إلى الموصل ، ونهبت بغداد ودار الخلافة ، فلما وصل الخليفة إلى تكريت . . وجد هناك سيف الدولة أبا الحسن علي بن عبد الله بن حمدان وأخاه الحسن ، وقتل ابن رائق غيلة ، فوَلَّى الخليفة مكانه الحسن بن حمدان ، ولقبه : ناصر الدولة ، وخلع على أخيه ، ولقبه : سيف الدولة ، وعاد إلى بغداد وهما معه ، فهرب البريدي إلى واسط .

ثم ورد الخبر في ذي القعدة : أن البريدي يريد بغداد ، فاضطرب الناس ، وهرب وجوه أهل بغداد ، وخرج الخليفة ليكون مع ناصر الدولة ، وسار سيف الدولة لقتال البريدي ، فكانت بينهما وقعة هائلة بقرب المدائن ، وهزم البريدي ، فعاد بالويل إلى واسط ، فساق سيف الدولة إلى واسط ، فانهزم البريدي إلى البصرة^(٣) .

وفي سنة إحدى وثلاثين : وصلت الروم إلى أَرزن وميافارقين ونصيبين ، فقتلوا وسبوا ، ثم طلبوا منديلاً في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به

(١) تاريخ الإسلام (٦٦/٢٤) .

(٢) المتظم (١٩/١٤) ، والكامل (٣٧٧/٨) ، وتاريخ الإسلام (٦٧/٢٤) .

(٣) الكامل (٣٨٢/٨) ، وتاريخ الإسلام (٧١/٢٤) .

وجهه ، فارتسمت صورته فيه ، على أنهم يطلقون جميع من سبوا ، فأرسل إليهم وأطلقوا الأسرى^(١) .

وفيها : هاج الأمراء بواسط على سيف الدولة ، فهرب في البرية يريد بغداد ، ثم سار إلى الموصل أخوه ناصر الدولة خائفاً لهروب أخيه .

[خروج توزون وسمل المتقي وما جرى]

وسار من واسط توزون ، فقصده بغداد وقد هرب منه سيف الدولة إلى الموصل ، فدخل توزون بغداد في رمضان ، فخلع عليه المتقي ، وولاه أمير الأمراء .

ثم وقعت الوحشة بين المتقي وتوزون ، فأرسل توزون أبا جعفر بن شيرزاد من واسط إلى بغداد ، فحكم عليها وأمر ونهى .

فكتب المتقي ابن حمدان بالقدوم عليه ، فقدم في جيش عظيم ، واستتر ابن شيرزاد ، فسار المتقي بأهله إلى تكريت ، وخرج ناصر الدولة بجيش كثير من الأعراب والأكراد إلى قتال توزون ، فالتقيا بعكبرا ، فانهزم ابن حمدان والمتقي إلى الموصل .

ثم تلاقوا مرة أخرى ، فانهزم ابن حمدان والخليفة إلى نصيبين ، فكتب الخليفة إلى الإخشيد صاحب مصر : أن يحضر إليه ، ثم بان له من بني حمدان الممل والضجر ، فراسل الخليفة توزون في الصلح ، فأجاب وحلف وبالع في الأيمان .

ثم حضر الإخشيد إلى المتقي وهو بالركة وقد بلغته مصالحة توزون ، فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ أنا عبدك وابن عبدك ، وقد عرفت الأتراك وفجورهم وغدرهم ، فالله الله في نفسك ، سر معي إلى مصر ؛ فهي لك وتأمين على نفسك) فلم يقبل ، فرجع الإخشيد إلى بلاده .

(١) تاريخ الإسلام (٥/٢٥) ، وانظر « المتظم » (١٤/٢٦-٢٧) .

وخرج المتقي من الرقة إلى بغداد في رابع محرم ، سنة ثلاث وثلاثين ، وخرج للقائه توزون ، فالتقيا بين الأنبار وهيت ، فترجل توزون ، وقبّل الأرض ، فأمره المتقي بالركوب ، فلم يفعل ، ومشى بين يديه إلى المخيم الذي ضربه له ، فلما نزل . . قبض عليه وعلى ابن مُقّلة ومن معه ، ثم كحل الخليفة ، وأدخل بغداد مسمول العينين ، وقد أخذ منه الخاتم والبردة والقضيب ، وأحضر توزون عبدَ الله بن المكتفي ، وباعه بالخلافة ، ولقب : المستكفي بالله ، ثم باعه المتقي المسمول ، وأشهد على نفسه بالخلع ؛ وذلك لعشر بقين من المحرم ، وقيل : من صفر^(١) .

ولما كحل . . قال القاهر^(٢) :

صرتُ وإبراهيمَ شَيْخِي عَمَى لا بدَّ للشيخين من مصدرٍ
ما دامَ توزونُ له إمرةٌ مُطاعةٌ فالميلُ في المجرِ
ولم يحلّ الحولُ على توزون حتى مات^(٣) .

وأما المتقي . . فإنه أخرج إلى جزيرة مقابل السّندية ، فحُجس بها ، فأقام في السجن خمساً وعشرين سنة إلى أن مات في شعبان ، سنة سبع وخمسين^(٤) .

وفي أيام المتقي : كان حمدي اللص ، ضمّنه ابن شيرزاد لما تغلب على بغداد اللصوصية بها بخمسة وعشرين ألف دينار في الشهر ، فكان يكبس بيوت الناس بالمشعل والشمع ويأخذ الأموال ، وكان أسكورج الديلمي قد ولي شرطة بغداد ، فأخذه ووسّطه ؛ وذلك سنة اثنتين وثلاثين^(٥) .

(١) الخبر في « تاريخ الإسلام » (٢٥ / ٥ - ٢٠) مفرقاً على ثلاث سنوات .

(٢) البيتان في « السلوك » (١٢٤ / ١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٥ / ٢٠) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٥ / ٢٠) ، وانظر « الكامل » (٨ / ٤١٩) .

(٥) الكامل (٨ / ٤١٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٥ / ١٢) .

[من مات في عهده]

ومات في أيام المتقي من الأعلام : أبو يعقوب النهرجوري أحد أصحاب
الجنيد ، والقاضي أبو عبد الله المحاملي ، وأبو بكر الفرغاني الصوفي ، والحافظ
أبو العباس بن عقدة ، وابن ولاد النحوي ، وآخرون .
ولما بلغ القاهر أنه سُمل . . قال : (صرنا اثنين ، ونحتاج إلى ثالث) فكان
كذلك ؛ سُمل المستكفي^(١) .

(١) تاريخ الإسلام (١٩/٢٥) .

خلاف المستكفي بالله

[٣٣٣ - ٣٣٤هـ] ^(١)

أبو القاسم ، عبد الله بن المكتفي بن المعتضد ، أمه : أم ولد ، اسمها : أملح الناس ، بويح له بالخلافة عند خلع المتقي في صفر ، سنة ثلاث وثلاثين ، وعمره : إحدى وأربعون سنة ، ومات توزون في أيامه ، ومعه كاتبه أبو جعفر بن شیرزاد ، فطمع في المملكة ، وحلف العساكر لنفسه ، فخلع عليه الخليفة .

ثم دخل أحمد بن بُوَيْه بغداد ، فاختنى ابن شیرزاد ، ودخل ابن بُوَيْه دار الخلافة ، فوقف بين يدي الخليفة ، فخلع عليه ، ولقبه : معز الدولة ، ولقب أخاه علياً : عماد الدولة ، وأخاهما الحسن : ركن الدولة ، وضربت ألقابهم على السكة ، ولقب المستكفي نفسه : إمام الحق ، وضرب ذلك على السكة .

[استيلاء المعز وسمل المستكفي]

ثم إن معز الدولة قوي أمره ، وحجر على الخليفة ، وقرر له كل يوم برسم النفقة خمسة آلاف درهم فقط ، وهو أول من ملك العراق من الديلم ، وأول من أظهر السعاة ببغداد ، وأغوى المصارعين والسباحين ، فانهمك شباب بغداد في تعلم المصارعة والسباحة حتى صار السباح يسبح وعلى يده كانون فوقه قدرة ، فيسبح حتى ينضج اللحم ^(٢) .

ثم إن معز الدولة تخيل من المستكفي ، فدخل عليه في جمادى الآخرة ، سنة أربع وثلاثين ، فوقف والناس وقوف على مراتبهم ، فتقدم اثنان من الديلم إلى

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٢٤٤/٥) ، و « تاريخ بغداد » (١٠/١٠) ، و « المتظم » (٤٠/١٤) ، و « الكامل » (٤٢٠/٨) ، و « تاريخ الإسلام » (١٠٣/٢٥) ، و « البداية والنهاية » (٢١٠/١١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/٢٥) .

الخليفة ، فمد يده إليهما ظناً أنهما يريدان تقييلها ، فجذباه من السرير وطرحاه إلى الأرض ، وجراه بعمامته ، وهجم الديلم دار الخلافة إلى الحرم ونهبوها ، فلم يبق فيها شيء ، ومضى معز الدولة إلى منزله ، وساقوا المستكفي ماشياً إليه ، وخلع وسملت عيناه يومئذ ، وكانت خلافته سنة وأربعة أشهر^(١) .

وأحضروا الفضل بن المقتدر وبايعوه ، ثم قدموا ابن عمه المستكفي فسلم عليه بالخلافة ، وأشهد على نفسه بالخلع ، ثم سجن إلى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة ، وله ست وأربعون سنة ، وكان يتظاهر بالتشيع^(٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٦/٢٥ - ٢٧) ، وانظر « الكامل » (٨ / ٤٢٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٨ / ٢٥) .

خلافة المطيع لله

[٣٣٤-٣٦٣هـ]^(١)

أبو القاسم ، الفضل بن المقتدر بن المعتضد ، أمه : أم ولد ، اسمها : مشغلة ، ولد سنة إحدى وثلاث مئة ، وبويع له بالخلافة عند خلع المستكفي ، وقرر له معز الدولة كل يوم نفقة مئة دينار فقط .

وفي هذه السنة من خلافته : اشتد الغلاء ببغداد حتى أكلوا الجيف والروث ، وماتوا على الطرق ، وأكلت الكلاب لحومهم ، وبيع العقار بالرُّغفان ، ووجدت الصغار مشوية مع المساكين ، واشتري لمعز الدولة كُرُّ دقيق بعشرين ألف درهم ، والكُرُّ : سبعة عشر قنطاراً بالدمشقي^(٢) .

وفيها : وُقِعَ بين معز الدولة وبين ناصر الدولة بن حمدان ، فخرج لقتاله ومعه المطيع ، ثم رجع والمطيع معه كالأسير^(٣) .

[موت الإخشيد وبيان معاني بعض الألقاب]

وفيها : مات الإخشيد صاحب مصر ، وهو محمد بن طُغْجُ الفرغاني ، والإخشيد معناه : ملك الملوك ، وهو لقب لكل من ملك فَرَّغَانة ، كما أن الأَصْبَهَيْدُ^(٤) : لقب ملك طبرستان ، وُصُول : ملك جرجان ، وخاقان : ملك

(١) انظر ترجمته في : « مروج الذهب » (٢٥٩/٥) ، و« تاريخ بغداد » (٣٧٩/١٢) ، و« المتظم » (٤٦/١٤) ، و« الكامل » (٤٥١/٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٢٨/٢٦) ، و« فوات الوفيات » (١٨٢/٣) .

(٢) الكامل (٤٦٥/٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٨/٢٥) .

(٣) الكامل (٤٥٣/٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٩/٢٥) .

(٤) كذا ضبطها ياقوت في « معجمه » (٢١٠/١) ، وفي « تاج العروس » مادة : (صبهيد) : (بفتح الهمزة وسكون الصاد وفتح الموحدة وسكون الهاء ثم موحدة مفتوحة) .

الترك ، والأفشين : ملك أشروسنة ، وسامان : ملك سمرقند .

وكان الإخشيد شجاعاً مهيباً ، ولي مصر من قبل القاهر ، وكان له ثمانية آلاف مملوك ، وهو أستاذ كافور^(١) .

وفيها : مات القائم العبيدي صاحب المغرب ، وقام بعده ولي عهده ابنه المنصور بالله إسماعيل ، وكان القائم شراً من أبيه ، زنديقاً ملعوناً ، أظهر سب الأنبياء ، وكان مناديه ينادي : العنوا الغار وما حوى ، وقتل خلقاً من العلماء^(٢) .

وفي سنة خمس وثلاثين : جدد معز الدولة الأيمان بينه وبين المطيع ، وأزال عنه التوكيل ، وأعادته إلى دار الخلافة^(٣) .

وفي سنة ثمان وثلاثين : سأل معز الدولة أن يشرك معه في الأمر أخوه علي ابن بؤيه عماد الدولة ، ويكون من بعده ، فأجابه المطيع ، ثم لم ينشب أن مات عماد الدولة من عامه ، فأقام المطيع أخاه ركن الدولة والد عضد الدولة .

وفي سنة تسع وثلاثين : أعيد الحجر الأسود إلى موضعه ، وجعل له طوق فضة يشد به ، وزنه ثلاثة آلاف وسبع مئة وتسعون درهماً ونصف^(٤) .

قال محمد بن نافع الخزاعي : (تأملت الحجر الأسود وهو مقلوع ؛ فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض ، وطوله قدر عظم الذراع)^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٠/٢٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١/٢٥) .

(٣) الكامل (٤٦٦/٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٤/٢٥) .

(٤) انظر « الكامل » (٤٨٦/٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٣/٢٥) ، وذكر هذا الوزن في « النجوم الزاهرة » (٣٠٥/٣) .

(٥) النجوم الزاهرة (٣٠٥/٣) ، وقد أخرج عبد الله في « زوائد المسند » (٢٨٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحجر الأسود من الجنة ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ؛ حتى سودته خطايا أهل الشرك » .

وفي سنة إحدى وأربعين : ظهر قوم من التناسخية ؛ فيهم شاب يزعم أن روح علي انتقلت إليه ، وامرأة تزعم أن روح فاطمة انتقلت إليها ، وآخر يدعي أنه جبريل ، فضرّبوا ، فتعززوا بالانتماء إلى أهل البيت ، فأمر معز الدولة بإطلاقهم ؛ لميله إلى أهل البيت ، فكان هذا من أفعاله الملعونة^(١) .

وفيها : مات المنصور العبيدي صاحب المغرب بالمنصورية التي مصّرها ، وقام بالأمر ولي عهده ابنه معذّ ، ولقب : بالمعز لدين الله ؛ وهو الذي بنى القاهرة ، وكان المنصور أحسن السيرة بعد أبيه ، وأبطل المظالم ، فأحبه الناس ، وأحسن أيضاً ابنه السيرة وصفت له المغرب^(٢) .

وفي سنة ثلاث وأربعين : خطب صاحب خراسان للمطيع ، ولم يكن خطب له قبل ذلك ، فبعث إليه المطيع اللواء والخِلع^(٣) .

وفي سنة أربع وأربعين : زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ، ودامت ثلاث ساعات ، وفزع الناس إلى الله بالدعاء^(٤) .

وفي سنة ست وأربعين : نقص البحر ثمانين ذراعاً وظهر فيه جبال وجزائر وأشياء لم تعهد .

وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة ، وخسف ببلد الطالقان ، ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً ، وخسف بمئة وخمسين قرية من قرى الري ، واتصل الأمر إلى حُلوان فخسف بأكثرها ، وقذفت الأرض عظام الموتى ، وتفجرت منها

(١) تاريخ الإسلام (٢٥/٢١٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٥/٢١٤) .

(٣) الكامل (٨/٥٠٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢١٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٥/٢٢٠) .

المياه ، وتقطع بالري جبل ، وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف النهار ثم خسف بها ، وانخرقت الأرض خروفاً عظيمة ، وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم ، هكذا نقل ابن الجوزي^(١) .

وفي سنة سبع وأربعين : عادت الزلازل بقم وحُلوان والجبال ، فأتلفت خلقاً عظيماً ، وجاء جراد طبق الدنيا ، فأتى على جميع الغلات والأشجار^(٢) .

وفي سنة خمسين : بنى معز الدولة ببغداد داراً هائلة عظيمة ، أساسها في الأرض ستة وثلاثون ذراعاً^(٣) .

وفيها : قلّد القضاء أبا العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب ، وركب بالخلع من دار معز الدولة وبين يديه الدّبّادب والبوقات ، وفي خدمته الجيش ، وشرط على نفسه أن يحمل في كل سنة إلى خزانة معز الدولة مئتي ألف درهم ، وكتب عليه بذلك سجلاً ، وامتنع المطيع من تقليده ، ومن دخوله عليه ، وأمر ألا يمكن من الدخول إليه أبداً^(٤) .

وفيها : ضمن معز الدولة الحسبة ببغداد والشرطة ، وكل ذلك عقب ضعفة ضعفها وعوفي منها ، فلا كان الله عافاه^(٥) .

وفيها : أخذت الروم جزيرة أقریطش من المسلمين ، وكانت فتحت في حدود الثلاثين ومئتين^(٦) .

وفيها : توفي صاحب الأندلس الناصر لدين الله ، وقام بعده ابنه الحَكَم^(٧) .

(١) المتظم (١٤/١٠٩ و ١١٤) ، والنقل من « تاريخ الإسلام » (٢٥/٢٢٤) .

(٢) المتظم (١٤/١١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢٢٥) .

(٣) تكملة تاريخ الطبري (ص ١٧٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢٣٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٥/٢٣٤) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٥/٢٣٥) .

(٦) تاريخ الإسلام (٢٥/٢٣٥) ، وانظر « الكامل » (٨/٥٣٦) .

(٧) الكامل (٨/٥٣٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٥/٢٣٧) .

وفي سنة إحدى وخمسين : كتبت الشيعة ببغداد على أبواب المساجد : لعنة معاوية ، ولعنة من غصب فاطمة حقها من فذك ، ومن منع الحسن أن يدفن مع جده ، ولعنة من نفى أبا ذر ، ثم إن ذلك مُحي في الليل ، فأراد معز الدولة أن يعيده ، فأشار عليه الوزير المهلبى أن يكتب مكان ما محي : لعن الله الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصرحوا بلعنة معاوية فقط^(١) .

وفي سنة اثنتين وخمسين يوم عاشوراء : ألزم معز الدولة الناس بغلق الأسواق ، ومنع الطباخين من الطبخ ، ونصبوا القباب في الأسواق ، وعلقوا عليها المُسوح ، وأخرجوا نساء منشرات الشعور يلطن في الشوارع ، ويقمن المأتم على الحسين ، وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد ، واستمرت هذه البدعة سنين^(٢) .

وفي ثامن عشر ذي الحجة منها : عمل عيد غدير خُم ، وضربت الدِّبَادِب^(٣) .

[قصة التصاق أخوين]

وفي هذه السنة : بعث بعض بطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة بن حمدان رجلين ملتصقين ، عمرهما خمس وعشرون سنة ، واللتصاق في الجنب ، ولهما بطنان وسرتان ومعدتان ، ويختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبولهما ، ولكل واحد كتفان وذراعان ويدان وفخذان وساقان وإحليل ، وكان أحدهما يميل إلى النساء ، والآخر يميل إلى المرد ، ومات أحدهما وبقي أياماً وأخوه حي ، فأتتن ، وجمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على فصل الميت من الحي فلم يقدروا ، ثم مرض الحي من رائحة الميت ومات^(٤) .

(١) المتنظم (١٤٠/١٤) ، والكامل (٥٤٢/٨ - ٥٤٣) ، وتاريخ الإسلام (٨/٢٦) .

(٢) المتنظم (١٥٠/١٤) ، والكامل (٥٤٩/٨) ، وتاريخ الإسلام (١١/٢٦) .

(٣) المتنظم (١٥١/١٤) ، والكامل (٥٥٠/٨) ، وتاريخ الإسلام (١٢/٢٦) .

(٤) المتنظم (١٥١/١٤ - ١٥٢) ، وتاريخ الإسلام (١٢/٢٦) .

وفي سنة ثلاث وخمسين : عمل لسيف الدولة خيمة عظيمة ارتفاع عمودها خمسون ذراعاً^(١) .

وفي سنة أربع وخمسين : ماتت أخت معز الدولة ، فنزل المطيع في طيارة إلى دار معز الدولة يعزيه ، فخرج إليه معز الدولة ، ولم يكلفه الصعود من الطيارة ، وقبل الأرض مرات ، ورجع الخليفة إلى داره^(٢) .

وفيها : بنى نقفور ملك الروم قيسارية قريباً من بلاد المسلمين وسكنها ؛ ليغير كل وقت^(٣) .

وفي سنة ست وخمسين : مات معز الدولة ، فأقيم ابنه بختيار مكانه في السلطنة ، ولقبه المطيع : عز الدولة^(٤) .

[استيلاء القرامطة على دمشق]

وفي سنة سبع : ملك القرامطة دمشق ، ولم يحج أحد فيها لا من الشام ولا من مصر ، وعزموا على قصد مصر ليملكوها ، فجاء العبيديون فأخذوها ، وقامت دولة الرفض في الأقاليم : المغرب ومصر والعراق^(٥) .

وذلك أن كافوراً الإخشيدي صاحب مصر لما مات .. اختل النظام ، وقلت الأموال على الجند ، فكتب جماعة إلى المعز يطلبون منه عسكرياً ؛ ليسلموا إليه مصر ، فأرسل مولاه جوهراً القائد في مئة ألف فارس ، فملكها ونزل موضع

(١) تاريخ الإسلام (١٤/٢٦) .

(٢) المتظم (١٤/١٦١-١٦٢) ، وتاريخ الإسلام (١٧/٢٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧/٢٦) ، وفي «الكامل» (٨/٥٦٠) : (أن نقفور ملك الروم بنى بقيسارية مدينة) .

(٤) المتظم (١٤/١٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٧/٢٦) .

(٥) تاريخ الإسلام (٤١/٢٦) .

القاهرة اليوم واختطها ، وبنى دار الإمارة للمعز ، وهي المعروفة الآن بالقصرين ، وقطع خطبة بني العباس ، ولبس السواد ، وألبس الخطباء البياض ، وأمر أن يقال في الخطبة : (اللهم ؛ صلّ على محمد المصطفى ، وعلى علي المرتضى ، وعلى فاطمة البتول ، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول ، وصل على الأئمة آباء أمير المؤمنين المعز بالله ؛ وذلك كله في شعبان ، سنة ثمان وخمسين)^(١) .

ثم في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين : أذنوا بمصر بـ (حي على خير العمل) وشرعوا في بناء الجامع الأزهر ، ففرغ في رمضان ، سنة إحدى وستين^(٢) .

وفي سنة تسع وخمسين : انقض بالعراق كوكب عظيم أضاءت منه الدنيا ، حتى صار كأنه شعاع الشمس ، وسمع بعد انقضاؤه صوت كالرعد الشديد^(٣) .

وفي سنة ستين : أعلن المؤذنون بدمشق في الأذان بـ (حي على خير العمل) بأمر جعفر بن فلاح نائب دمشق للمعز بالله ، ولم يجسر أحد على مخالفته^(٤) .

وفي سنة اثنين وستين : صادر السلطان بختيار المطيع ، فقال المطيع : أنا ليس لي غير الخطبة ، فإن أحببتم . . اعتزلت ، فشدد عليه حتى باع قماشه ، وحمل أربع مئة ألف درهم ، وشاع في الألسنة أن الخليفة صودر^(٥) .

وفيها : قتل رجل من أعوان الوالي ببغداد ، فبعث الوزير أبو الفضل الشيرازي

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٢ / ٢٧) .

(٢) النجوم الزاهرة (٣٣ / ٤) .

(٣) المنتظم (٢٠٢ / ١٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٦ / ٢٦) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٨ / ٢٦) ، والبداية والنهاية (٢٧٠ / ١١) .

(٥) الكامل (٦١٩ / ٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٤٨ / ٢٦) .

من طرح النار من النحاسين إلى السماكين ، فاحترق حريق عظيم لم ير مثله ، واحترقت أموال وأناس كثيرون في الدور وفي الحمامات ، وهلك الوزير من عامه ، لا رحمه الله^(١) .

وفي رمضان من هذه السنة : دخل المعز إلى مصر ومعه توابيت آبائه^(٢) .

[تولية محمد ابن أم شيان القضاء وصورة العهد]

وفي سنة ثلاث وستين : قلد المطيع القضاء أبا الحسن محمد ابن أم شيان الهاشمي بعد تمنع ، وشرط لنفسه شروطاً منها : ألا يرتزق على القضاء ، ولا يخلع عليه ، ولا يشفع إليه فيما يخالف الشرع ، وقرر لكتابه في كل شهر ثلاث مئة درهم ، ولحاجبه مئة وخمسين ، وللعارض على باب مئة^(٣) ، ولخازن ديوان الحكم وللأعوان ست مئة ، وكتب له عهد صورته :

(هذا ما عهد عبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين إلى محمد بن صالح الهاشمي ، حين دعاه إلى ما يتولاه من القضاء بين أهل مدينة السلام مدينة المنصور ، والمدينة الشرقية من الجانب الشرقي والجانب الغربي ، والكوفة ، وشقي الفرات ، وواسط ، وكوخي^(٤) ، وطريق الفرات ، ودجلة ، وطريق خراسان ، وحلوان وقرميسين ، وديار مضر ، وديار ربيعة ، وديار بكر ، والموصل ، والحرمين ، واليمن ، ودمشق ، وحمص ، وجند قنسرين ، والعواصم ، ومصر ، والإسكندرية ، وجند فلسطين ، والأردن ، وأعمال ذلك كلها ، وما يجري من ذلك من الإشراف على من يختاره لنقابة من العباسيين بالكوفة ، وشقي الفرات وأعمال ذلك .

وما قلده إياه من قضاء القضاء ، وتصفح أحوال الحكام ، والاستشراف على ما يجري عليه أمر الأحكام في سائر النواحي والأمصار التي تشتمل عليه

(١) المنتظم (٢١٥/١٤) ، والكامل (٦٢٨/٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٤٨/٢٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٤٩/٢٦) .

(٣) في (ج) : (وللغرض) ، وكذلك في « المنتظم » و« تاريخ الإسلام » .

(٤) في (أ) : (وكوفي) ، وفي (ط) ، و« تاريخ الإسلام » : (وكرخي) .

المملكة ، وتنتهي إليها الدعوة ، وإقرار من يحمد هديه وطريقته ، والاستبدال بمن يذم سمته وسجيته ؛ احتياطاً للخاصة والعامة ، وحنواً على الملة والذمة ، عن علم بأنه المقدم في بيته وشرفه ، المبرز في عفافه ، المزكى في دينه وأمانته ، الموصوف في ورعه ونزاهته ، المشار إليه بالعلم والحجى ، المجتمع عليه في الحلم والنهى ، البعيد من الأدناس ، اللباس من التقى أجمل لباس ، النقي الجيب ، المخبور بصفاء الغيب ، العالم بمصالح الدنيا ، العارف بما يفيد سلامة العقبى .

أمره بتقوى الله ؛ فإنها الجنة الواقية ، وليجعل كتاب الله في كل ما يعمل فيه رويته ، ويرتب عليه حكمه وقضيته ، إمامه الذي يفرع إليه ، وعماده الذي يعتمد عليه ، وأن يتخذ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مناراً يقصده ، ومثالاً يتبعه ، وأن يراعي الإجماع ، وأن يقتدي بالأئمة الراشدين ، وأن يعمل اجتهاده فيما لا يوجد فيه كتاب ولا سنة ولا إجماع .

وأن يحضر مجلسه من يستظهر بعلمه ورأيه ، وأن يسوي بين الخصمين إذا تقدما إليه في لحظه ولفظه ، ويوفي كلاهما من إنصافه وعدله ، حتى يأمن الضعيف حيفه ، ويئس القوي من ميله .

وأمره أن يشرف على أعوانه وأصحابه ، ومن يعتمد عليه من أمثاله وأسبابه ، إشرافاً يمنع من التخطي إلى السيرة المحظورة ، ويدفع عن الإشفاق إلى المكاسب المحجورة . . .) وذكر من هذا الجنس كلاماً طويلاً^(١) .

قلت : كان الخلفاء يولون القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت ملكهم ، ثم يستنوب القاضي من تحت أمره من شاء في كل إقليم وفي كل بلد ؛ ولهذا كان يلقب قاضي القضاة ، ولا يلقب به إلا من هو بهذه الصفة ، ومن عداه بالقاضي فقط ، أو قاضي بلد كذا .

وأما الآن . . . فصار في البلد الواحد أربعة مشتركون ؛ كلٌّ منهم يلقب قاضي القضاة ، ولعل أحاد نواب أولئك كان في حكمه أضعاف ما كان في حكم الواحد

(١) المتنظم (٢٢١-٢٢٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٥١-٢٥٢) .

من قضاة القضاة الآن ، ولقد كان قاضي القضاة إذ ذاك أوسع حكماً من سلاطين هذا الزمان .

[خلع المطيع وتولية الطائع]

وفي هذه السنة - أعني : سنة ثلاث وستين - : حصل للمطيع فالح ، وثقل لسانه ، فدعاه حاجب عز الدولة الحاجب سُبُكْتُكِين إلى خلع نفسه ، وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله ، ففعل وعقد له الأمر في يوم الأربعاء ، ثالث عشر ذي القعدة ، فكانت مدة خلافة المطيع تسعاً وعشرين سنة وأشهرأ ، وأثبت خلعه على القاضي ابن أم شيان ، وصار بعد خلعه يسمى الشيخ الفاضل^(١) .

[وفاة المطيع]

قال الذهبي : (وكان المطيع وابنه مستضعفين مع بني بُؤَيه ، ولم يزل أمر الخلفاء في ضعف إلى أن استخلف المقتفي لله ، فانصلح أمر الخلافة قليلاً ، وكان دَسْتُ الخلافة لبني عبيد الرافضة بمصر أمتن^(٢) ، وكلمتهم أنفذ ، ومملكتهم تناطح مملكة العباسيين في وقتهم ، وخرج المطيع إلى واسط مع ولده ، فمات في محرم ، سنة أربع وستين^(٣) .

قال ابن شاهين : (خلع نفسه غير مكره فيما صح عندي) .

قال الخطيب : (حدثني محمد بن يوسف القطان ، سمعت أبا الفضل التميمي ، سمعت المطيع لله ، سمعت شيخني ابن منيع ، سمعت أحمد ابن حنبل يقول : إذا مات أصدقاء الرجل . . ذل)^(٤) .

(١) المنتظم (٢٢٣/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٥٣/٢٦) .

(٢) في (أ ، ب ، ج ، ط) : (أميز) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٥٤/٢٦) .

(٤) تاريخ بغداد (٣٧٩/١٢) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المطيع من الأعلام : الخِرقي شيخ الحنابلة ، وأبو بكر الشُّبلي الصوفي ، وابن القاص إمام الشافعية ، وأبو رجاء الأسواني ، وأبو بكر الصُّولي ، والهيثم بن كُليب الشَّاشي ، وأبو الطيب الصُّعلوكي ، وأبو جعفر ابن النحاس النحوي ، وأبو نصر الفارابي ، وأبو إسحاق المَرُوزي إمام الشافعية ، وأبو القاسم الزَّجَّاجي النحوي ، والكَرْخي شيخ الحنفية ، والدِّينُوري صاحب « المجالسة » ، وأبو بكر الصُّبغِي ، والقاضي أبو القاسم التَّنُوخي ، وابن الحداد صاحب « الفروع » ، وأبو علي ابن أبي هريرة من كبار الشافعية ، وأبو عمر الزاهد ، والمسعودي صاحب « مروج الذهب » ، وابن دُرُستَوِيه ، وأبو علي الطَّبْرِي أول من جرد الخلاف ، والفاكهي صاحب « تاريخ مكة » ، والمتنبي الشاعر ، وابن حبان صاحب « الصحيح » ، وابن شعبان من أئمة المالكية ، وأبو علي القالي ، وأبو الفرج صاحب « الأغاني » .

خِلافة الطائِعِ شَهِيدٍ

[٣٦٣-٣٨١هـ] (١)

أبو بكر ، عبد الكريم بن المطيع ، أمه : أم ولد ، اسمها : هزار ، نزل له أبوه عن الخلافة ، وعمره ثلاث وأربعون سنة .

فركب وعليه البردة ومعه الجيش ، وبين يديه سُبُكْتِكِينَ ، وَخَلَعَ من الغد على سُبُكْتِكِينَ خلع السلطنة ، وعقد له اللواء ، ولقبه : نصر الدولة ، ثم وقع بين عز الدولة وسُبُكْتِكِينَ ، فدعا سُبُكْتِكِينَ الأتراك لنفسه ، فأجابوه ، وجرى بينه وبين عز الدولة حروب (٢) .

وفي ذي الحجة من هذه السنة : أقيمت الخطبة والدعوة بالحرمين للمعز العبيدي (٣) .

وفي سنة أربع وستين : قدم عضد الدولة بغداد لنصرة عز الدولة على سُبُكْتِكِينَ ، فأعجبه بغداد ومُلْكُها ، فعمل عليها واستمال الجند ، فشغبوا على عز الدولة ، فأغلق بابها ، وكتب عضد الدولة عن الطائع إلى الآفاق باستقرار الأمر لعضد الدولة ، فوقع بين الطائع وبين عضد الدولة ، فقطعت الخطبة للطائع بسبب ذلك ببغداد وغيرها من يوم العشرين من جمادى الأولى إلى أن أُعيدت في عاشر رجب (٤) .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ بغداد » (٧٩ / ١١) ، و « المتظم » (٢٢٥ / ١٤) ، و « الكامل » (٦٣٧ / ٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٨٦ / ٢٧) ، و « فوات الوفيات » (٣٧٥ / ٢) ، و « البداية والنهاية » (٢٧٦ / ١١) .

(٢) انظر « المتظم » (٢٢٧ - ٢٢٥ / ١٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٨٦ - ٢٨٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٥٥ - ٢٥٤ / ٢٦) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٥٨ / ٢٦) .

وفي هذه السنة وبعدها : غلا الرفض وفار بمصر والشام والغرب والشرق ،
ونُودي بقطع صلاة التراويح من جهة العبيدي^(١) .

وفي سنة خمس وستين : نزل ركن الدولة ابن بُويه عما بيده من الممالك
لأولاده ، فجعل لعضد الدولة : فارس وكرمان ، ولمؤيد الدولة : الرّي
وأصبهان ، ولفخر الدولة : همذان والذّينور^(٢) .

وفي رجب منها : عمل مجلس الحكم في دار السلطان عز الدولة ، وجلس
قاضي القضاة ابن معروف وحكم ؛ لأن عز الدولة التمس ذلك ليشاهد مجلس
حكمه كيف هو^(٣) .

[أسر غلام عز الدولة وفداؤه]

وفيها : كانت وقعة بين عز الدولة وعضد الدولة ، وأسّر فيها غلام تركي لعز
الدولة ، فجن عليه واشتد حزنه ، وامتنع من الأكل ، وأخذ في البكاء ، واحتجب
عن الناس ، وحرّم على نفسه الجلوس في الدّست ، وكتب إلى عضد الدولة يسأله
أن يرد الغلام إليه ، ويتذلل فصار ضحكة بين الناس ، وعوتب فما ارعوى لذلك ،
وبذل في فداء الغلام جارين عوديتين كان قد بُذل له في الواحدة مئة ألف دينار ،
وقال للرسول : (إن توقف عليك في رده . . فزد ما رأيت ولا تفكر ، فقد رضيت
أن آخذه وأذهب إلى أقصى الأرض) فردّه عضد الدولة عليه^(٤) .

وفيها : أسقطت الخطبة من الكوفة لعز الدولة وأقيمت لعضد الدولة .

وفيها : مات المعز لدين الله العبيدي صاحب مصر ، وأول من ملكها من

(١) تاريخ الإسلام (٢٥٩/٢٦) .

(٢) المنتظم (٢٤٣/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٦١/٢٦) .

(٣) المنتظم (٢٤٣/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٦١/٢٦) .

(٤) المنتظم (٢٤٨/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٦٣/٢٦ - ٢٦٤) ، والخبر عندهما من أحداث سنة
(٣٦٦هـ) .

العبيدين ، وقام بالأمر بعده ابنه نزار ، ولقب : العزيز^(١) .

وفي سنة ست وستين : مات المستنصر بالله الحَكَم بن الناصر لدين الله الأموي صاحب الأندلس ، وقام بعده ابنه المؤيد بالله هشام^(٢) .

[انتصار عضد الدولة على عز الدولة وأسره]

وفي سنة سبع وستين : التقى عز الدولة وعضد الدولة ، فظفر عضد الدولة ، وأخذ عز الدولة أسيراً ، وقتله بعد ذلك ، وخلع الطائع على عضد الدولة خلع السلطنة ، وتوجه بتاج مجوهر ، وطوقه وسوره ، وقلّده سيفاً .

وعقد له لواءين بيده : أحدهما مفضض على رسم الأمراء ، والآخر مذهب على رسم ولاية العهود ، ولم يعقد هذا اللواء الثاني لغيره قبله .

وكتب له عهد ، وقرىء بحضرته ، ولم تجر العادة بذلك ، إنما كان يدفع العهد إلى الولاية بحضرة أمير المؤمنين ، فإذا أخذه . قال أمير المؤمنين : (هذا عهدي إليك فاعمل به)^(٣) .

وفي سنة ثمان وستين : أمر الطائع بأن تضرب الدّباب على باب عضد الدولة في وقت الصبح والمغرب والعشاء ، وأن يخطب له على منابر الحضرة .

قال ابن الجوزي : (وهذان أمران لم يكونا من قبله ، ولا أطلقا لولاية العهود ، وقد كان معز الدولة أحب أن تضرب له الدّباب بمدينة السلام ، فسأل المطيع في ذلك ، فلم يأذن له)^(٤) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٤٨/٢٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٥٨/٢٦) .

(٣) المنتظم (٣٥٢/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٦٧/٢٦) .

(٤) المنتظم (٢٦٠/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٧١/٢٦) .

وما حظي عضد الدولة بذلك إلا لضعف أمر الخلافة^(١) .

[قدوم عضد الدولة على الطائع]

وفي سنة تسع وستين : ورد رسول العزيز صاحب مصر إلى بغداد ، وسأل عضد الدولة الطائع أن يزيد في ألقابه : تاج الملة ، ويجدد الخلع عليه ، ويلبسه التاج فأجابه ، وجلس الطائع على السرير وحوله مئة بالسيوف والزينة ، وبين يديه مصحف عثمان ، وعلى كتفه البردة ، ويده القضيب ، وهو متقلد بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وضربت ستارة بعثها عضد الدولة ، وسأل أن تكون حجاباً للطائع حتى لا يقع عليه عين أحد من الجند قبله ، ودخل الأتراك والديلم وليس مع أحد منهم حديد ، ووقف الأشراف وأصحاب المراتب من الجانبين ، ثم أذن لعضد الدولة فدخل ، ثم رفعت الستارة ، وقبّل عضد الدولة الأرض ، فارتاع زياد القائد لذلك وقال لعضد الدولة : ما هذا أيها الملك ؟! أهذا هو الله ؟!

فالتفت وقال : هذا خليفة الله في الأرض ، ثم استمر يمشي ويقبل الأرض سبع مرات ، فالتفت الطائع إلى خالص الخادم وقال : استدّنه ، فصعد عضد الدولة ، فقبل الأرض دفعتين ، فقال له : ادن إلي ، فدنا وقبّل رجله ، وثنى الطائع يمينه عليه ، وأمره فجلس على كرسي بعد أن كرر عليه : اجلس ، وهو يستعفي فقال له : أقسمت عليك لتجلسن ؛ فقبل الكرسي وجلس .

فقال له الطائع : (قد رأيت أن أفوض إليك ما وكل الله إليّ من أمور الرعية في شرق الأرض وغربها ، وتديرها في جميع جهاتها سوى خاصتي وأسبابي ، فتولّ ذلك .

فقال : يعينني الله على طاعة مولانا أمير المؤمنين وخدمته ، ثم أفاض عليه الخلع وانصرف^(٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٢٦١/٢٦) .

(٢) المنتظم (٢٦٨-٢٦٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦٣-٢٧٤) .

قلت : انظر إلى هذا الأمر وهو الخليفة المستضعف الذي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه ، ولا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة !!

وقد صار الأمر في زماننا إلى أن الخليفة يأتي إلى السلطان يهتئ برأس الشهر ، فأكثر ما يقع من السلطان في حقه أن ينزل عن مرتبته ويجلسان معاً خارج المرتبة ، ثم يقوم الخليفة يذهب كأحد الناس ، ويجلس السلطان في دَسْت مملكته .
ولقد حدثت : أن السلطان الأشرف برسبائي لما سافر إلى آمد لقتال العدو ، وصحب الخليفة معه . . كان الخليفة راكباً أمامه يحجبه ، والهيبة والعظمة للسلطان ، والخليفة كأحد الأمراء الذين في خدمة السلطان .

وفي سنة سبعين : خرج من همدان عضد الدولة وقدم بغداد ، فتلقيه الطائع ولم تجر عادة بخروج الخلفاء لتلقي أحد .

فلما توفيت بنت معز الدولة . . ركب المطيع إليه فعزاه ، فقبّل الأرض ، وجاء رسول عضد الدولة يطلب من الطائع أن يتلقاه ، فما وسعه التأخر^(١) .

وفي سنة اثنتين وسبعين : مات عضد الدولة ، فولّى الطائع مكانه في السلطنة ابنه صمصام الدولة ، ولقبه : شمس الملة ، وخلّع عليه سبع خِلَع ، وتوّجه وعقد له لواءين^(٢) .

ثم في سنة ثلاث وسبعين : مات مؤيد الدولة أخو عضد الدولة^(٣) .

(١) المتنظم (٢٧٥-٢٧٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٧٧) .

(٢) المتنظم (٢٨٩/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٤٧٤) .

(٣) المتنظم (٣١٠/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٤٧٥) .

وفي سنة خمس وسبعين : همَّ صمصام الدولة أن يجعل المكس على الثياب الحرير والقطن مما ينسج ببغداد ونواحيها ، ودفع له في ضمان ذلك ألف ألف درهم في السنة ، فاجتمع الناس في جامع المنصور ، وعزموا على المنع من صلاة الجمعة ، وكاد البلد يفتتن ، فأعفاهم من ضمان ذلك^(١) .

وفي سنة ست وسبعين : قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة ، فانتصر عليه وكحله ، ومال العسكر إلى شرف الدولة ، وقدم بغداد ، وركب الطائع إليه يهنئه بالبلاد ، وعهد إليه بالسلطنة وتوَّجه ، وقرىء عهده والطائع يسمع^(٢) .

وفي سنة ثمان وسبعين : أمر شرف الدولة برصد الكواكب السبعة في مسيرها كما فعل المأمون^(٣) .

وفيها : اشتد الغلاء ببغداد جداً ، وظهر الموت بها ، ولحق الناس بالبصرة حر وسموم تساقط الناس منه ، وجاءت ريح عظيمة بفم الصِّلح خرقت دجلة حتى ذكر أنه بانَتْ أرضها ، وغرقت كثيراً من السفن ، واحتملت زورقاً منحدرأ وفيه دواب ، وطرحت ذلك في أرض جوخي ، فشوهد بعد أيام^(٤) .

وفي سنة تسع وسبعين : مات شرف الدولة ، وعهد إلى أخيه أبي نصر ، فجاءه الطائع إلى دار المملكة يعزيه ، فقَبَّل أبو نصر الأرض غير مرة ، ثم ركب أبو نصر إلى الطائع ، وحضر الأعيان ، فخلع الطائع على أبي نصر سبع خلع^(٥) أعلاها سنوداء ، وعمامة سوداء ، وفي عنقه طوق كبير ، وفي يديه سواران ،

(١) المنتظم (٣١١/١٤) ، والكامل (٤٦/٩) ، وتاريخ الإسلام (٤٧٧/٢٦) .

(٢) المنتظم (٣١٨-٣١٧/١٤) ، والكامل (٤٨/٩) ، وتاريخ الإسلام (٤٧٩/٢٦) .

(٣) المنتظم (٣٢٩/١٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨٣/٢٦) .

(٤) المنتظم (٣٢٩/١٤) ، والكامل (٦٠/٩) ، وتاريخ الإسلام (٤٨٣/٢٦) .

(٥) في « تاريخ الإسلام » زيادة : (طاقة) ، وفي « المنتظم » : (طاقات) .

ومشى الحجاب بين يديه بالسيوف ، ثم قَبَّل الأرض بين يدي الطائع وجلس على كرسي ، وقرىء عهده ، ولقبه الطائع : بهاء الدولة وضياء الملة^(١) .

[خلع الطائع وتولية القادر وموت الطائع]

وفي سنة إحدى وثمانين : قبض على الطائع ، وسببه : أنه حبس رجلاً من خواص بهاء الدولة ، فجاء بهاء الدولة وقد جلس الطائع في الرواق متقلداً سيفاً ، فلما قرب بهاء الدولة قَبَّل الأرض ، وجلس على الكرسي ، وتقدم أصحاب بهاء الدولة ، فجذبوا الطائع من سريره ، وتكاثر عليه الديلم ، فلفوه في كساء وأصعد إلى دار السلطان ، وارفع البلد ، ورجع بهاء الدولة إلى داره ، وكتب على الطائع كتاباً بخلع نفسه ، وأنه سلم الأمر إلى القادر بالله ، وشهد عليه الأكابر والأشراف ، وذلك في تاسع عشر شعبان ، ونفذ إلى القادر بالله ؛ ليحضر وهو بالبَطِيحَة^(٢) .

واستمر الطائع في دار القادر بالله مكرماً محترماً في أحسن حال ، حتى إنه حمل إليه ليلة شمعة قد أوقد نصفها ، فأنكر ذلك ، فحملوا إليه غيرها ، إلى أن مات ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين ، وصلى عليه القادر ، وشيعه الأكابر والخدم ، وورثاه الشريف الرضي بقصيدة^(٣) .

وكان شديد الانحراف على آل أبي طالب ، وسقطت الهيبة في أيامه جداً حتى هجاه الشعراء .

[من مات في عهده]

ومات في أيام الطائع من الأعلام : ابن الشَّيْخ الحافظ ، وابن عدي ، والقَّال الكبير ، والسَّيرافي النحوي ، وأبو سهل الصُّعْلوكي ، وأبو بكر الرازي الحنفي ،

(١) المتنظم (٣٣٨-٣٣٩) ، والكامل (٦١-٦٢) ، وتاريخ الإسلام (٤٨٥-٤٨٦) .

(٢) المتنظم (٣٤٨-٣٤٩) ، والكامل (٧٩-٨٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٧-٢٨) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨٦/٢٧) .

وابن خالويه ، والأزهري إمام اللغة ، وأبو إبراهيم الفارابي صاحب « ديوان
الأدب » ، والرفاء الشاعر ، وأبو زيد المَرَوَزي الشافعي ، والدَّارَكي ، وأبو بكر
الأَبْهَرِي شيخ المالكية ، وأبو الليث السَّمَرَقَنْدِي إمام الحنفية ، وأبو علي الفارسي
النحوي ، وابن الجَلَّاب المالكي .

خلاف القادر بالله

[٣٨١-٤٢٢هـ]^(١)

أبو العباس ، أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، ولد سنة ست وثلاثين وثلاث مئة ، وأمه : أمة ، واسمها : تمنى ، وقيل : دمنة .

بوع له بالخلافة بعد خلع الطائع ، وكان غائباً ، فقدم في عاشر رمضان ، وجلس من الغد جلوساً عاماً وهنئاً .

وأشدد بين يديه الشعراء ، من ذلك قول الشريف الرضي^(٢) :

شرفُ الخلافةِ يا بني العباس اليومَ جدَّه أبو العباسِ
ذا الطَّودُ بقاه الزمانُ ذخيرةً من ذلك الجبلِ العظيمِ الرَّاسي

قال الخطيب : (وكان القادر من الديانة والسيادة ، وإدامة التهجد ، وكثرة الصدقات ، وحسن الطريقة على صفةٍ اشتهرت عنه ، تفقه على العلامة : أبي بشر الهروي الشافعي ، وقد صنف كتاباً في الأصول : ذكر فيه فضائل الصحابة ، وإكفار المعتزلة والقائلين بخلق القرآن ، وكان ذلك الكتاب يقرأ في كل جمعة في حلقة أصحاب الحديث بجامع المهدي وبحضرة الناس)^(٣) .

ترجمه ابن الصلاح في « طبقات الشافعية »^(٤) .

وقال الذهبي : (في شوال من سنة ولايته عقد مجلس عظيم ، وحلف القادر وبهاء الدولة كل منهما لصاحبه بالوفاء ، وقلده القادر ما وراء بابه مما تقام فيه الدعوة)^(٥) .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ بغداد » (٣٧ / ٤) ، و « المنتظم » (٢٢٠ / ١٥) ، و « الكامل » (٨٠ / ٩) ، و « تاريخ الإسلام » (٧٦ / ٢٩) ، و « فوات الوفيات » (٥٨ / ١) .

(٢) البيتان في ديوانه (٥٤٦ / ١) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٧ / ٢٧) .

(٣) تاريخ بغداد (٣٧ / ٤) .

(٤) طبقات الشافعية (٣٢٤ / ١) .

(٥) تاريخ الإسلام (٨ / ٢٧) .

وفيها : دعا صاحب مكة أبو الفتوح الحسن بن جعفر العلوي إلى نفسه ،
وتلقب بالراشد بالله ، وسُلم عليه بالخلافة ، فانزعج صاحب مصر ، ثم ضعف
أمر أبي الفتوح ، وعاد إلى طاعة العزيز العبيدي^(١) .

وفي سنة اثنتين وثمانين : ابتاع الوزير أبو نصر سابور بن أزدشير داراً بالكرخ
وعمرها ، وسماها دار العلم ، ووقفها على العلماء ، ووقف بها كتباً كثيرة^(٢) .

وفي سنة أربع وثمانين : عاد الحاج العراقي من الطريق ، اعترضهم الأصفري
الأعرابي ومنعهم الجواز إلا برسمه ، فعادوا ولم يحجوا ، ولا حج أيضاً أهل
الشام ولا اليمن ، إنما حج أهل مصر^(٣) .

[هلاک تسعة ملوک علیٰ نسق]

وفي سنة سبع وثمانين : مات السلطان فخر الدولة ، وأقيم ابنه رُستم مقامه في
السلطنة بالري وأعمالها وهو ابن أربع سنين ، ولقبه القادر : مجد الدولة^(٤) .

قال الذهبي : ومن الأعجوبات : هلاک تسعة ملوک علیٰ نسق في سنتي سبع
وثمانين وثمان وثمانين : منصور بن نوح ملك ما وراء النهر ، وفخر الدولة ملك
الري والجبّال ، والعزيز العبيدي صاحب مصر ، وفيهم يقول أبو منصور
عبد الملك الثعالبي^(٥) :

[من الطويل]

ألم ترَ مُدَّ عامين أملاكَ عَصَرْنَا يصيحُ بهم للموتِ والقتلِ صائحُ
فَنوحُ بن منصورٍ طوتهُ يدُ الرَّدَى على حَسراتِ ضُمَّتْها الجوانِحُ

(١) المتتظم (٣٥٦-٣٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٩/٢٧-١٠) .

(٢) المتتظم (٣٦٦/١٤) .

(٣) المتتظم (٣٦٩/١٤) ، وتاريخ الإسلام (١٧/٢٧) .

(٤) انظر « المتتظم » (٣٨٧/١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٢١/٢٧) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٦-٣٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٣/٢٧-٢٤) .

ويا بؤسَ منصورٍ وفي يومٍ سرَّخسٍ
وفُرِّقَ عنه الشملُ بالسَّمَلِ واغتدى
وصاحبُ مصرٍ قد مضى لسبيله
وصاحبُ جُرجانيةٍ في ندامةٍ
خوارزم شاهٍ شاهٍ وجهُ نعيمه
وكانَ علا في الأرضِ يخبِطُها أبو
وصاحبُ بُستِ ذلك الضَّيغمُ الذي
أناخَ به من صدمةِ الدهرِ كُلُّكُلٍ
جيوشُ إذا أُرْبِتْ على عددِ الحصَى
ودارت على صَمَصامِ دولةِ بويه
وقد جازَ والي الجوزِجانِ فناظرَ الـ

تمزَّقَ عنه ملكُه وهو طائِحُ
أميراً ضَريراً تعتريه الجوائحُ
ووالي الجبالِ غيَّثُهُ الضرائحُ
ترصَّده طرفُ من الحينِ طامِحُ
وعنَّ له يومٌ من النَّحسِ طالحُ
علي إلى أن طوَّحته الطَّوائِحُ
برائثُهُ للمَشْرِقين مفاتِحُ
فلم تُغنِ عنه والمقدَّرُ سائِحُ
تغصُّ بها قيعانُها والضَّحاضِحُ
دوائرُ سوءٍ سلْبُهُنَّ فوادِحُ
حياة فوافته المَنايا الطَّوامِحُ

وذكر الذهبي : (أن العزيز صاحب مصر مات سنة ست وثمانين ، وفُتحت له
زيادة على آبائه : حمص وحماة وحلب ، وخطب له بالموصل وباليمن ، وضرب
اسمه فيها على السكة والأعلام)^(١) .

وقام بالأمر بعده ابنه منصور ، ولقب : الحاكم بأمر الله .

وفي سنة تسعين : ظهر بسجستان معدن ذهب ، فكانوا يصفون من التراب
الذهب الأحمر^(٢) .

وفي سنة ثلاث وتسعين : أمر نائب دمشق الأسود الحاكمي بمغربي ، فطيف
به على حمار ، ونودي عليه : هَذَا جِزَاءُ مَنْ يَحِبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرٌ ، ثم ضُربت
عنقه رحمه الله ، ولا رحم قاتله ، ولا أستاذَه الحاكم^(٣) .

(١) تاريخ الإسلام (١٣١/٢٧) .

(٢) المنتظم (١٧/١٥) ، والكامل (١٦٢/٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٦/٢٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٢٧/٢٧) ، وهذا الخبر ساقط من (أ) .

وفي سنة أربع وتسعين : قلد بهاء الدولة الشريف أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوي قضاء القضاة والحج والمظالم ونقابة الطالبين ، وكتب له من شيراز العهد ، فلم ينظر في القضاء ؛ لامتناع القادر من الإذن له^(١) .

وفي سنة خمس وتسعين : قتلَ الحاكمُ بمصر جماعةً من الأعيان صبراً^(٢) ، وأمر بكتب سب الصحابة على أبواب المساجد والشوارع ، وأمر العمال بالسب^(٣) .

وفيها : أمر بقتل الكلاب ، وبطلّ الفقّاع والملوخيا ، ونهى عن السمك الذي لا قشر له ، وقتل جماعة ممن باع ذلك بعد نهيه^(٤) .

وفي سنة ست وتسعين : أمر الناس بمصر والحرمين إذا ذكر الحاكم . . أن يقوموا ويسجدوا في السوق وفي مواضع الاجتماع^(٥) .

وفي سنة ثمان وتسعين : وقعت فتنة بين الشيعة وأهل السنة في بغداد ، وكاد الشيخ أبو حامد الإسفرايني يقتل فيها ، وصاح الرافضة ببغداد : يا حاكم يا منصور ، فأحفظ القادر من ذلك ، وأنفذ الفرسان الذين على بابه لمعاونة أهل السنة ، فانكسر الروافض^(٦) .

وفيها : هدم الحاكم بيعة قمامة التي بالقدس ، وهدم جميع الكنائس التي بمصر ، وأمر النصارى بأن تعمل في أعناقهم الصلبان ، طول الصليب ذراع ،

(١) المنتظم (٤٣/١٥) ، والكمال (١٨٢/٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٢٩/٢٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٣١/٢٧) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٨٣/٢٨) .

(٤) وفيات الأعيان (٢٩٣/٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٨٤/٢٨) ، والفقاع : شراب يتخذ من الشعير يعلوه زيد .

(٥) المنتظم (٤٩/١٥) ، وتاريخ الإسلام (٢٣٤/٢٧) .

(٦) تاريخ الإسلام (٢٣٧/٢٧) ، وانظر «الكمال» (٢٠٨/٩) .

ووزنه خمسة أرتال بالمصري ، واليهود أن يحملوا في أعناقهم قرامي الخشب
في زنة الصلبان ، وأن يلبسوا العمام السود ، فأسلم طائفة منهم ، ثم بعد ذلك
أذن في إعادة البيع والكنائس ، وأذن لمن أسلم أن يعود إلى دينه ؛ لكونه
مكرهاً^(١) .

وفي سنة تسع وتسعين : عُزل أبو عمرو قاضي البصرة ، وولي القضاء
أبو الحسن ابن أبي الشوارب ، فقال العصفري الشاعر^(٢) :

[من المجتث]

عندي حديثٌ ظريفٌ بمثلِهِ يَتَغَنَّى
من قاضيين يُعَزَّى هَذَا وَهَذَا يُهَنَّى
فَذَا يَقُولُ جُبْرْنَا وَذَا يَقُولُ اسْتَرْخْنَا
وَيَكْذِبَانِ جَمِيعاً وَمَنْ يُصَدِّقُ مِنَّنَا

وفيها : وهى سلطان بني أمية بالأندلس وانخرم نظامهم^(٣) .

وفي سنة أربع مئة : نقصت دجلة نقصاناً لم يعهد وأُكْرِيت لأجل جزائر
ظهرت ، ولم تكن قبل ذلك قط^(٤) .

وفي سنة اثنتين : نهى الحاكم عن بيع الرطب وحرَّقه ، وعن بيع العنب ،
وأباد كثيراً من الكروم^(٥) .

(١) المتنظم (١٥/٦٢) ، والكامل (٩/٢٠٨-٢٠٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/٢٣٨-٢٣٩) .
(٢) الأبيات في «المتنظم» (١٥/٦٧) ، و«الكامل» (٩/٢١١) ، و«تاريخ الإسلام» (٢٧/٢٤١) .
(٣) تاريخ الإسلام (٢٧/٢٤٢) .
(٤) المتنظم (١٥/٧٠) ، والكامل (٩/٢١٩) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/٢٤٣) .
(٥) تاريخ الإسلام (٢٨/٢٨٤) .

وفي سنة أربع : منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً ، واستمر ذلك إلى أن مات^(١) .

وفي سنة إحدى عشرة : قُتل الحاكم لعنه الله بخلوان قرية بمصر ، وقام بعده ابنه علي ، ولقب : بالظاهر لإعزاز دين الله ، وتضعضت دولتهم في أيامه ، فخرجت عنهم حلب وأكثر الشام^(٢) .

وفي سنة اثنتين وعشرين : توفي القادر بالله ليلة الاثنين ، الحادي عشر من ذي الحجة ، عن سبع وثمانين سنة ، ومدة خلافته : إحدى وأربعون سنة وثلاثة أشهر .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : أبو أحمد العسكري الأديب ، والرُّمَّاني النحوي ، وأبو الحسن الماسرّجسي شيخ الشافعية ، وأبو عبيد الله المرزُباني ، والصاحب بن عبّاد ؛ وهو وزير مؤيد الدولة ، وهو أول من سمي بالصاحب من الوزراء ، والذَّارِقُطَني الحافظ المشهور ، وابن شاهين ، وأبو بكر الأودَني إمام الشافعية ، ويوسف بن السّيرافي ، وابن زولاق المصري ، وابن أبي زيد المالكي شيخ المالكية ، وأبو طالب المكي صاحب « قوت القلوب » ، وابن بطة الحنبلي ، وابن سَمْعُون الواعظ ، والخَطَّابي ، والحاتمي اللغوي ، والأذفوي أبو بكر ، وزاهر السَّرَخَسي شيخ الشافعية ، وابن غَلْبُون المقرئ ، والكُشْمِيهَني راوي « الصحيح » ، والمعافى بن زكريا النّهرواني ، وابن خُويز مَنَدَاد ، وابن جَنِّي ، والجوهري صاحب « الصحاح » ، وابن فارس صاحب « المعجم » ،

(١) ذكر الذهبي هذا الخبر في « تاريخ الإسلام » (٢٨ / ٢١) في حوادث سنة (٤٠٥) مفصلاً ، وذكره مجملاً في ترجمة منصور الحاكم بأمر الله (٢٨ / ٢٨٧) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨ / ٢٣٧ - ٢٤٢) .

وابن منده الحافظ ، والإسماعيلي شيخ الشافعية ، وأصبع بن الفرّج شيخ المالكية ، وبديع الزمان ؛ أول من عمل المقامات ، وابن لال ، وابن أبي زَمَين ، وأبو حيان التوحّيدي ، والوَأواء الشاعر ، والهَرَوِي صاحب « الغريين » ، وأبو الفتح البُستِي الشاعر ، والحَلِيمي شيخ الشافعية ، وابن الفرضي ، وأبو الحسن القابسي ، والقاضي أبو بكر الباقلاني ، وأبو الطيب الصُّغْلوكي ، وابن الأكفاني ، وابن نُباتة صاحب الخطب ، والصَّيمري شيخ الشافعية ، والحاكم صاحب « المستدرک » ، وابن كُجّ ، والشيخ أبو حامد الإسفرايني ، وابن فُورك ، والشريف الرضي ، وأبو بكر الشَّيرازي صاحب « الألقاب » ، والحافظ عبد الغني بن سعيد ، وابن مَرَدَوِيه ، وهبة الله بن سلامة الضرير المفسر ، وأبو عبد الرحمن السُّلَمي شيخ الصوفية ، وابن البواب صاحب الخط ، وعبد الجبار المعتزلي ، والمَحاملي إمام الشافعية ، وأبو بكر القَفَّال شيخ الشافعية ، والأستاذ أبو إسحاق الإسفرايني ، واللَّكَّائي ، وابن الفَخَّار عالم الأندلس ، وعلي بن عيسى الرَّبَّعي النحوي ، وخلائق آخرون كبار .

[فَصَائِلٌ]

[فِيمَنْ كَانَ مِنْ رُؤُوسِ الْعُلَمَاءِ فِي هَذَا الْعَصْرِ]

قال الذهبي : (كان في هذا العصر رأس الأشعرية : أبو إسحاق الإسفرايني ، ورأس المعتزلة : القاضي عبد الجبار ، ورأس الرافضة : الشيخ المفيد ، ورأس الكرامية : محمد بن الهَيْصَم ، ورأس القراء : أبو الحسن الحمامي ، ورأس المحدثين : الحافظ عبد الغني بن سعيد ، ورأس الصوفية : أبو عبد الرحمن السُّلَمي ، ورأس الشعراء : أبو عمر ابن دَرَّاج ، ورأس المجودين : ابن البواب ، ورأس الملوك السلطان : محمود بن سُبُكْتِكِين)^(١) .

قلت : ويضم إلى هذا رأس الزنادقة : الحاكم بأمر الله ، ورأس اللغويين :

(١) تاريخ الإسلام (٢٨ / ٢٣٢) .

الجوهري ، ورأس النحاة : ابن جني ، ورأس البلغاء : البديع ، ورأس
الخطباء : ابن نباتة ، ورأس المفسرين : أبو القاسم بن حبيب النيسابوري ،
ورأس الخلفاء : القادر بالله ؛ فإنه من أعلامهم ، تفقه وصنف ، وناهىك بأن
الشيخ تقي الدين ابن الصلاح عدّه من الفقهاء الشافعية ، وأورده في طبقاتهم ،
ومدته في الخلافة من أطول المدد .

خلاف القائم بأمر الله

[٤٢٢ - ٤٦٧ هـ] ^(١)

أبو جعفر ، عبد الله بن القادر ، ولد في نصف ذي القعدة ، سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة ، وأمه : أم ولد أرمنية ، اسمها : بدر الدجى ، وقيل : قطر الندى .

ولي الخلافة عند موت أبيه في سنة اثنتين وعشرين ، وكان ولي عهده في الحياة ، وهو الذي لقبه : بالقائم بأمر الله .

قال ابن الأثير : (كان جميلاً مليح الوجه ، ورعاً ديناً زاهداً ، عالماً قوياً اليقين بالله ، كثير الصدقة والصبر ، له عناية بالأدب ، ومعرفة حسنة بالكتابة ، مؤثراً للعدل والإحسان وقضاء الحوائج ، لا يرى المنع من شيء طلب منه) ^(٢) .

[حبس الخليفة ثم إطلاقه وقتل البساسيري]

قال الخطيب : (ولم يزل أمره مستقيماً إلى أن قبض عليه في سنة خمسين وأربع مئة ، وكان السبب في ذلك : أن أرسلان التركي البساسيري كان قد عظم أمره ، واستفحل شأنه ؛ لعدم نظرائه ، وانتشر ذكره ، وتهيبته أمراء العرب والعجم ، ودُعي له على المنابر ، وجبى الأموال ، وخرَّب القرى ، ولم يكن القائم يقطع أمراً دونه ، ثم صح عنه سوء عقيدته ، وبلغه : أنه عزم على نهب دار الخلافة والقبض على الخليفة ، فكاتب الخليفة أبا طالب محمد ابن ميكال سلطان الغُرّ ؛ المعروف : بطغرل بك وهو بالري يستنهضه في القدوم ، ثم أحرقت دار البساسيري .

(١) انظر ترجمته في : « تاريخ بغداد » (٣٩٩/٩) ، و « المنتظم » (١٦٨/١٥) ، و « الكامل » (٩٥/١٠) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٢٦/٣١) ، و « فوات الوفيات » (١٥٧/٢) ، و « البداية والنهاية » (٣١/١٢) .

(٢) الكامل (٩٥/١٠) .

وقدم طُغْرُلْبُك في سنة سبع وأربعين ، فذهب البَسَاسِيرِي إلى الرحبة ، وتلاحق به خلق من الأتراك ، وكاتب صاحب مصر فأمدّه بالأموال ، وكاتب يَنَال أخا طُغْرُلْبُك ، وأطمعه بمنصب أخيه ، فخرج يَنَال ، واشتغل به طُغْرُلْبُك .

ثم قدم البَسَاسِيرِي بغداد في سنة خمسين ومعه الرايات المصرية ، ووقع القتال بينه وبين الخليفة ، ودُعي لصاحب مصر المستنصر بجامع المنصور ، وزيد في الأذان : « حي على خير العمل » ، ثم خطب له في كل الجوامع إلا جامع الخليفة ، ودام القتال شهراً .

ثم قبض البَسَاسِيرِي على الخليفة في ذي الحجة ، وسيّره إلى عانة ، فحبسه بها ، وأما طُغْرُلْبُك . . فظفر بأخيه وقتله ، ثم كاتب متولي عانة في رد الخليفة إلى داره مكرماً ، فحصل الخليفة في مقر عزه في الخامس والعشرين من ذي القعدة ، سنة إحدى وخمسين ، ودخل بأبّته عظيمة والأمراء والحجاب بين يديه . وجهاز طُغْرُلْبُك جيشاً ، فحاربوا البَسَاسِيرِي ، فظفروا به ، فقتل وحمل رأسه إلى بغداد^(١) .

ولما رجع الخليفة إلى داره . . لم ينم بعدها إلا على فراش مصلاه ، ولزم الصيام والقيام ، وعفا عن كل من آذاه ، ولم يسترد شيئاً مما نهب من قصره إلا بالثمن ، وقال : هذه أشياء احتسبتها عند الله ، ولم يضع رأسه بعدها على مخدة .

ولما نهب قصره . . لم يوجد فيه شيء من آلات الملاهي^(٢) .

[نص رسالة الخليفة المسجون للكعبة]

وروي : أنه لما سجنه البَسَاسِيرِي . . كتب قصة ونفذها إلى مكة ، فعُلقت في الكعبة فيها : (إلى الله العظيم من المسكين عبده ، اللهم ؛ إنك العالم بالسرائر ، المطلع على الضمائر ، اللهم ؛ إنك غني بعلمك واطلاعتك على خلقك عن

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٣٩٩-٤٠٣) ، وتاريخ الإسلام (٣١/ ٢٢٧-٢٢٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١/ ٢٢٧) .

إعلامي ، هذا عبد قد كفر نعمك وما شكرها ، وألغى العواقب وما ذكرها ،
أطفاه حلمك حتى تعدّى علينا بغياً ، وأساء إلينا عتواً وعدواً ، اللهم ؛ قلّ الناصر
واعتز الظالم ، وأنت المطلع العالم ، المنصف الحاكم ، بك نعتز عليه ، وإليك
نهرب من يديه ، فقد تعزز علينا بالمخلوقين ، ونحن نعتز بك ، وقد حاكمنا
إليك ، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك ، ورفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك ، ووثقنا
في كشفها بكرمك ، فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين (١) .

وفي سنة ثمان وعشرين : مات الظاهر العبيدي صاحب مصر ، وأقيم ابنه
المستنصر معد وهو ابن سبع سنين ، فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر .
قال الذهبي : (ولا أعلم أحداً في الإسلام : لا خليفة ولا سلطاناً أقام هذه
المدة ، وفي أيامه كان الغلاء بمصر الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف ، فأقام
سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وحتى قيل : إنه بيع رغيف بخمسين
ديناراً) (٢) .

وفي سنة ثلاث وأربعين وأربع مئة : قطع المعز بن باديس الخطبة للعبيدي
بالمغرب ، وخطب لبني العباس (٣) .

وفي سنة إحدى وخمسين : كان عقد الصلح بين السلطان إبراهيم بن
مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين صاحب غَزَنَة وبين السلطان جفري بك بن
سلجوق أخي طُغْرُكْبَك صاحب خراسان بعد حروب كثيرة ، ثم مات جفري بك
في السنة ، وأقيم مكانه ابنه ألب أرسلان (٤) .

(١) تاريخ الإسلام (٣١/٢٣٠-٢٣١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٣/٢٢٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٣/٢٢٩) .

(٤) الكامل (١٠/٥-٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٠/٢٧٣) .

وفي سنة أربع وخمسين : زوجَ الخليفة بنته لَطْفُزْلَبْكَ بعد أن دافع بكل ممكن ، وانزعج واستغفى ، ثم لان لذلك برغم منه ، وهذا أمر لم ينله أحد من ملوك بني بُويْه مع قهرهم للخلفاء وتحكمهم فيهم^(١) .

قلت : والآن زوج خليفة عصرنا ابنته من واحد من ممالك السلطان فضلاً عن السلطان ؛ فإننا لله وإنا إليه راجعون .

ثم قدم طُغْرُلْبَكْ في سنة خمس ، فدخل بآبنة الخليفة ، وأعاد المواريث والمكوس ، وضمن بغداد بمئة وخمسين ألف دينار ، ثم رجع إلى الري فمات بها في رمضان ، فلا عفا الله عنه ، وأقيم في السلطنة بعده ابن أخيه عضد الدولة أَلْب أرسلان صاحب خراسان ، وبعث إليه القائم بالخَلْع والتقليد^(٢) .

قال الذهبي : (وهو أول من ذكر بالسلطان على منابر بغداد ، وبلغ ما لم يبلغه أحد من الملوك ، وافتتح بلاداً كثيرة من بلاد النصارى ، واستوزر نظام الملك ، فأبطل ما كان عليه الوزير قبله عميد الملك من سب الأشعرية ، وانتصر للشافعية ، وأكرم إمام الحرمين وأبا القاسم القشيري ، وبنى النظامية ، قيل : وهي أول مدرسة بنيت للفقهاء)^(٣) .

وفي سنة ثمان وخمسين : ولدت بباب الأزج صغيرة لها رأسان ووجهان ورقبتان على بدن واحد^(٤) .

وفيها : ظهر كوكب كأنه دائرة القمر ليلة تمه بشعاع عظيم ، وهال الناس ذلك ، وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوءه وغاب^(٥) .

(١) الكامل (٢٠/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٧٨/٣٠) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٨١-٢٨٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٦١/٣١) (٢٨٤-٢٩٠) .

(٤) المنتظم (٩٥/١٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٩٢/٣٠) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٩٢/٣٠) .

وفي سنة تسع وخمسين : فرغت المدرسة النظامية ببغداد ، وقرر لتدريسها الشيخ أبو إسحاق الشَّيرازي ، فاجتمع الناس فلم يحضر واختفى ، فدرَّس ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، ثم تَلَطَّفُوا بالشيخ أبي إسحاق حتى أجاب ودرَّس^(١) .

وفي سنة ستين : كانت بالرملة الزلزلة الهائلة التي خربتها ، حتى طلع الماء من رؤوس الآبار ، وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً ، وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم ، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون السمك فرجع الماء عليهم فأهلكهم^(٢) .

وفي سنة إحدى وستين : احترق جامع دمشق ، وزالت محاسنه وتشوَّه منظره ، وذهبت سقوفه المذهبة^(٣) .

وفي سنة اثنتين وستين : ورد رسول أمير مكة على السلطان ألب أرسلان بأنه أقام الخطبة العباسية ، وقطع خطبة المستنصر المصري ، وترك الأذان بـ « حي على خير العمل » ، فأعطاه السلطان ثلاثين ألف دينار وخلص^(٤) .

وسبب ذلك : ذلة المصريين بالقحط المفرط سنين متوالية ، حتى أكل الناس الناس^(٥) ، وبلغ الإردب مئة دينار ، وأبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير^(٦) .

(١) المتنظم (١٠٢/١٦) ، وتاريخ الإسلام (٢٩٤/٣٠) .

(٢) الكامل (٥٧/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٩٦/٣٠) .

(٣) الكامل (٥٩/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٥/٣١) .

(٤) الكامل (٦١/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٨-٧/٣١) .

(٥) في (أ) : (أكل الناس بعضهم بعضاً) ، وفي « تاريخ الإسلام » : (أذل الناس بعضهم بعضاً) .

(٦) تاريخ الإسلام (٨/٣١) .

وحكى صاحب « المرأة » : (أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر ،
فقلت : من يأخذه بمد بر ؟ فلم يلتفت إليها أحد)^(١) .

وقال بعضهم يهنئ القائم^(٢) :

[من الطويل]

وقد علم المصري أن جنوده سنو يوسف فيها وطاعون عمواس
أقامت به حتى استراب بنفسه وأوجس منها خيفة أي إيجاس

وفي سنة ثلاث وستين : خطب بحلب للقائم وللسلطان ألب أرسلان لما رأوا
قوة دولتهما وإدبار دولة المستنصر^(٣) .

وفيها : كانت وقعة عظيمة بين الإسلام والروم ، ونصر المسلمون والله
الحمد ، ومقدمهم السلطان : ألب أرسلان ، وأسر ملك الروم ، ثم أطلقه بمال
جزيل ، وهادنه خمسين سنة ، ولما أطلق . . قال للسلطان : أين جهة الخليفة ؟
فأشار له ، فكشف رأسه وأوماً إلى الجهة بالخدمة^(٤) .

وفي سنة أربع وستين : كان الوباء في الغنم^(٥) .

وفي سنة خمس وستين : قُتل السلطان ألب أرسلان ، وقام في الملك ولده :
ملكشاه ، ولقب : جلال الدولة ، وردّ تدبير المملكة إلى نظام الملك ولقبه :
الأتابك ؛ وهو أول من لقب به ؛ ومعناه : الأمير الوالد^(٦) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٨ / ٣١) .

(٢) نسب البيتان في « الكامل » (٦٢ / ١٠) ، و « تاريخ الإسلام » (٩ / ٣١) إلى ابن الفضل علي بن الحسن
الملقب بـ : صرّدر ، وهما في « ديوانه » (ص ٤) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٠ / ٣١) .

(٤) الكامل (٦٥ - ٦٦ / ١٠) ، وتاريخ الإسلام (٣١ / ١١ - ١٣) .

(٥) تاريخ الإسلام (١٥ / ٣١) .

(٦) انظر « المتظم » (١٤٦ / ١٦) ، و « تاريخ الإسلام » (١٧ / ٣١) .

وفيهما : اشتد الغلاء بمصر حتى أكلت امرأة رغيفاً بألف دينار ، وكثر الوباء إلى الغاية^(١) .

وفي سنة ست وستين : كان الغرق العظيم ببغداد ، وزادت دجلة ثلاثين ذراعاً ، ولم يقع مثل ذلك قط ، وهلكت الأموال والأنفس والدواب ، وركبت الناس في السفن ، وأقيمت الجمعة في الطيار على ظهر الماء مرتين ، وقام الخليفة يتضرع إلى الله ، وصارت بغداد مَلَقَةً واحدة ، وانهدم مئة ألف دار أو أكثر^(٢) .

[موت الخليفة القائم بأمر الله]

وفي سنة سبع وستين : مات الخليفة القائم بأمر الله ، ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان ؛ وذلك : أنه افتصد ونام ، فأنحل موضع الفصد وخرج منه دم كثير ، فاستيقظ وقد انحلت قوته ، فطلب حفيده ولي العهد عبد الله بن محمد ، ووصاه ثم توفي ، ومدة خلافته : خمس وأربعون سنة^(٣) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : أبو بكر البرقاني ، وأبو الفضل الفلكي ، والثعلبي المفسر ، والقُدُوري شيخ الحنفية ، وابن سينا شيخ الفلاسفة ، ومهيار الشاعر ، وأبو نعيم صاحب « الحلية » ، وأبو زيد الدَّبُوسي ، والبراذعي^(٤) المالكي صاحب « التهذيب » ، وأبو الحسين البصري المعتزلي ، ومكي صاحب

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠ / ٣١) .

(٢) انظر « المنتظم » (١٥٤ - ١٥٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٤ / ٣١) ، والمَلَقَة : الأرض التي لا يبين فيها الأثر .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٢٧ / ٣١) .

(٤) في (أ ، ب ، ج ، د) : (البراذعي) ، وفيه الوجهان .

« الإعراب » ، والشيخ أبو محمد الجويني ، والمهدوي صاحب « التفسير » ،
والإفليلي ، والثمانيني ، وأبو عمرو الداني ، والخليلي صاحب « الإرشاد » ،
وسليم الرازي ، وأبو العلاء المعري ، وأبو عثمان الصابوني ، وابن بطل شارح
« البخاري » ، والقاضي أبو الطيب الطبري ، وابن شيطا المقرئ ، والماوردي
الشافعي ، وابن بابشاذ ، والقضاعي صاحب « الشهاب » ، وابن برهان
النحوي ، وابن حزم الظاهري ، والبيهقي ، وابن سيده صاحب « المحكم » ،
وأبو يعلى بن الفرّاء شيخ الحنابلة ، والخضري من الشافعية ، والهُذلي صاحب
« الكامل في القراءات » ، والفُوراني ، والخطيب البغدادي ، وابن رَشيق صاحب
« العمدة » ، وابن عبد البر .

خلاف المقندي بأمر الله

[٤٦٧ - ٤٨٧ هـ] ^(١)

أبو القاسم ، عبد الله بن محمد بن القائم بأمر الله ، مات أبوه في حياة القائم وهو حمل ، فولد بعد وفاة أبيه بستة أشهر ، وأمّه : أم ولد ، اسمها : أرجوان .

وبويع له بالخلافة عند موت جده ، وله تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر ، وكانت البيعة بحضرة الشيخ : أبي إسحاق الشيرازي ، وابن الصباغ ، والدّامغاني ^(٢) .

وظهر في أيامه خيرات كثيرة ، وآثار حسنة في البلدان ، وكانت قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة ، بخلاف مَنْ تقدّمه .

ومن محاسنه : أنه نفى المغنيات والخواطيء ببغداد ، وأمر ألا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر ، وخرب أبراج الحمام ؛ صيانةً لحرم الناس ^(٣) .

وكان ديناً خيراً ، قوي النفس عالي الهمة ، من نجباء بني العباس ^(٤) .

وفي هذه السنة من خلافته : أُعيدت الخطبة للبيدي بمكة ^(٥) .

وفيها : جمع نظام الملك المنجمين ، وجعلوا النيروز أول نقطة من الحمل ، وكان قبل ذلك عند حلول الشمس نصف الحوت ، وصار ما فعله النظام مبدأ التقاويم ^(٦) .

(١) انظر ترجمته في : « المتنظم » (١٤ / ١٧) ، و « الكامل » (٩٤ / ١٠) ، و « تاريخ الإسلام »

(٢١٠ / ٣٤) ، و « فوات الوفيات » (٢١٩ / ٢) ، و « البداية والنهاية » (١٤٦ / ١٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٨ / ٣١) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢١١ / ٣٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢١١ / ٣٣) .

(٥) انظر « المتنظم » (١٦٧ / ١٦) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٩ / ٣١) .

(٦) الكامل (٩٨ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (٣٠ / ٣١) .

وفي سنة ثمان : خطب للمقتدي بدمشق ، وأبطل الأذان بـ(حي على خير العمل) ، وفرح الناس بذلك^(١) .

وفي سنة تسع وستين : قدم بغداد أبو نصر بن الأستاذ أبي القاسم القشيري ، فوعظ بالنظامية ، وجرى له فتنة كبيرة مع الحنابلة ؛ لأنه تكلم على مذهب الأشعري وخط عليهم ، وكثر أتباعه والمتعصبون له ، فهاجت فنن وقتلت جماعة^(٢) .

وعزل فخر الدولة بن جَهير من وزارة المقتدي ؛ لكونه شذ من الحنابلة^(٣) .

وفي سنة خمس وسبعين : بعث الخليفةُ الشيخَ أبا إسحاق الشيرازي رسولاَ إلى السلطان يتضمن الشكوى من العميد أبي الفتح^(٤) .

وفي سنة ست وسبعين : رخصت الأسعار بسائر البلاد ، وارتفع الغلاء^(٥) .

وفيها : ولَّى الخليفة أبا شجاع محمد بن الحسين الوزارة ، ولقبه : ظهير الدين^(٦) ، وأظن ذلك أول حدوث التلقب بالإضافة إلى الدين .

وفي سنة سبع وسبعين : سار سليمان بن قتلش السلجوقي صاحب قونية وأقصرًا بجيوشه إلى الشام ، فأخذ أنطاكية وكانت بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة ، وأرسل إلى السلطان ملكشاه يبشره^(٧) .

(١) انظر « الكامل » (٩٩ / ١٠) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٢ / ٣١) .

(٢) المتظم (١٨١ / ١٦) ، و تاريخ الإسلام (٣٤ / ٣١) .

(٣) الكامل (١٠٩ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (٥ / ٣٢) ، والخبر من أحداث سنة (٤٧١ هـ) .

(٤) الكامل (١٢٥ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (١٤ / ٣٢) .

(٥) الكامل (١٣٢ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (١٨ / ٣٢) .

(٦) تاريخ الإسلام (١٧ / ٣٢) .

(٧) تاريخ الإسلام (٢١ / ٣٢) .

قال الذهبي : (وآل سلجوق هم ملوك بلاد الروم ، وقد امتدت أيامهم وبقي منهم بقية إلى زمن الملك الظاهر بيبرس)^(١) .

وفي سنة ثمان وسبعين : جاءت ريح سوداء ببغداد ، واشتد الرعد والبرق ، وسقط رمل وتراب كال مطر ، ووقعت عدة صواعق ، وظن الناس أنها القيامة ، وبقيت ثلاث ساعات بعد العصر ، وقد شاهد هذه الكائنة الإمام أبو بكر الطرطوشي ، وأوردها في « أماليه »^(٢) .

وفي سنة تسع وسبعين : أرسل يوسف بن تاشفين صاحب سبته ومراكش إلى المقتدي يطلب أن يسلطنه وأن يقلده ما بيده من البلاد ، فبعث إليه الخلع والأعلام والتقليد ، ولقبه : بأمر المسلمين ، وفرح بذلك وسُرَّ به فقهاء المغرب ، وهو الذي أنشأ مدينة مراكش^(٣) .

وفيها : دخل السلطان ملكشاه بغداد ، وهو أول دخوله إليها ، فنزل بدار المملكة ، ولعب بالكرة ، وقدم تقادِمَ للخليفة ، ثم رجع إلى أصبهان^(٤) .

وفيها : قطعت خطبة العبيدي بالحرمين وخطب للمقتدي^(٥) .

وفي سنة إحدى وثمانين : مات ملك غزنة المؤيد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين ، وقام مقامه ابنه جلال الدين مسعود^(٦) .

(١) تاريخ الإسلام (٧٥ / ٢٩) .

(٢) المنتظم (٢٤٠ - ٢٤١) ، وتاريخ الإسلام (٢٧ / ٣٢) .

(٣) الكامل (١٥٥ / ١٠) ، وتاريخ الإسلام (٣١ / ٣٢) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣١ / ٣٢) ، والتقادم : الهدايا والتحف .

(٥) الكامل (١٥٨ / ١٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٣ / ٣٢) .

(٦) الكامل (١٦٧ - ١٦٨) ، وتاريخ الإسلام (٦ / ٣٣) .

وفي سنة ثلاث وثمانين : عملت ببغداد مدرسة لتاج الملك مستوفي الدولة
بباب أبرز ، ودرّس بها أبو بكر الشاشي^(١) .

وفي سنة أربع وثمانين : استولت الفرنج على جميع جزيرة صِقْلِيَّة ، وأول
ما فتحها المسلمون بعد المئتين ، وحكم عليها آل الأغلب دهرأ ، إلى أن استولى
العبيدي المهدي على المغرب^(٢) .

[عزم ملكشاه على أخذ بغداد فمات]

وفيها : قدم السلطان ملكشاه بغداد ، وأمر بعمل جامع كبير بها ، وعمل
الأمراء حوله دوراً ينزلونها ، ثم رجع إلى أصبهان ، وعاد إلى بغداد في سنة خمس
وثمانين عازماً على الشر ، وأرسل إلى الخليفة يقول : لا بد أن تترك لي بغداد
وتذهب إلى أي بلد شئت ، فانزعج الخليفة وقال : أمهلني ولو شهراً ، قال :
ولا ساعة واحدة ، فأرسل الخليفة إلى وزير السلطان يطلب المهلة عشرة أيام ،
فاتفق مرض السلطان وموته ، وعدّ ذلك كرامة للخليفة^(٣) .

وقيل : إن الخليفة جعل يصوم ، فإذا أفطر . . جلس على الرماد ودعا على
ملكشاه ، فاستجاب الله دعاءه ، وذهب إلى حيث أَلَقَتْ^(٤) .

ولما مات . . كتمت زوجته تركان موته ، وأرسلت إلى الأمراء سرأ ،
فاستحلفتهم لولده محمود ؛ وهو ابن خمس سنين ، فحلفوا له ، وأرسلت إلى
المقتدي في أن يسلطنه ، فأجاب ولقبه : ناصر الدنيا والدين ، ثم خرج عليه أخوه
بَرْكِيَارُوق بن ملكشاه ، فقلده الخليفة ، ولقبه : ركن الدين ، وذلك في محرم
سنة سبع وثمانين ، وعلم الخليفة على تقليده^(٥) .

(١) الكامل (١٠/١٨٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/١٢) ، وتعرف بالمدرسة التاجية .

(٢) الكامل (١٠/١٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/١٧) .

(٣) المتظم (١٦/٢٩٨-٢٩٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٣/١٩ و ٢٣) .

(٤) وفيات الأعيان (٥/٢٨٩) .

(٥) انظر « المتظم » (١٦/٣٠٠-٣٠١) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٣/٢٥) .

ثم مات الخليفة من الغد فجأة ، فقليل : إن جاريته شمس النهار سمّته ، وبويع
لولده المستظهر .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المقتدي من الأعلام : عبد القاهر الجُرْجاني ،
وأبو الوليد الباجي ، والشيخ أبو إسحاق الشَّيرازي ، والأعلم النحوي ، وابن
الصباغ صاحب « الشامل » ، والمتولي ، وإمام الحرمين ، والدَّامَغاني الحنفي ،
وابن فضال المُجاشعي ، والبَزْدوي شيخ الحنفية .

خلافته لم تظهر بأشده

[٤٨٧-٥١٢هـ] ^(١)

أبو العباس ، أحمد بن المقتدي بالله ، ولد في شوال ، سنة سبعين وأربع مئة ، وبويع له عند موت أبيه ، وله ست عشرة سنة .

قال ابن الأثير : (كان لين الجانب ، كريم الأخلاق يسارع في أعمال البر ، حسن الخط جيد التوقيعات ، لا يقاربه فيها أحد ، يدل على فضل غزير ، وعلم واسع ، سمحاً جواداً ، محباً للعلماء والصلحاء ، ولم تصف له الخلافة ، بل كانت أيامه مضطربة كثيرة الحروب) ^(٢) .

وفي هذه السنة من أيامه : مات المستنصر العبيدي صاحب مصر ، وقام بعده ابنه المستعلي أحمد ^(٣) .

وفيهما : أخذت الروم بكنيسة ^(٤) .

وفي سنة ثمان وثمانين : قُتل أحمد خان صاحب سمرقند ؛ لأنه ظهر منه الزندقة ، فقبض عليه الأمراء ، وأحضرهوا الفقهاء فأفتوا بقتله ، فقتل لا رحمه الله ، وملَّكوا ابن عمه ^(٥) .

(١) انظر ترجمته في : « المتظم » (١٦٥ / ١٧) ، و « الكامل » (٢٣١ / ١٠) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٧٣ / ٣٦) ، و « فوات الوفيات » (٨٨ / ١) ، و « البداية والنهاية » (١٨٢ / ١٢) .

(٢) الكامل (٥٣٥ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (٣٢٧ / ٣٥) .

(٣) الكامل (٢٣٧ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (٣٦ - ٣٥ / ٣٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٧ / ٣٣) .

(٥) الكامل (٢٤٣ / ١٠) ، و تاريخ الإسلام (٣٨ / ٣٣) .

وفي سنة تسع وثمانين : اجتمعت الكواكب السبعة سوى زحل في برج الحوت ، فحكم المنجمون بطوفان يقارب طوفان نوح ، فاتفق أن الحُجَّاج نزلوا في دار المناقب ، فأتاهم سيل غرق أكثرهم^(١) .

وفي سنة تسعين : قُتل السلطان أرسلان أرغون بن ألب أرسلان السلجوقي صاحب خراسان ، فتملَّكها السلطان بَرْكِيَاوُوق ، ودانت له البلاد والعباد^(٢) .
وفيها : خطب للعبيدي بحلب وأنطاكية والمعرة وشيزر شهراً ، ثم أعيدت الخطبة العباسية^(٣) .

وفيها : جاءت الفرنج فأخذوا نَيْقِيَّة ، وهو أول بلد أخذوه ، ووصلوا إلى كَفَر طاب ، واستباحوا تلك النواحي ، فكان هذا أول مظهر الفرنج بالشام ، قدموا في بحر القسطنطينية في جمع عظيم ، وانزعجت الملوك والرعية ، وعظم الخطب ، فقيل : إن صاحب مصر لما رأى قوة السلجوقية واستيلاءهم على الشام . . كاتب الفرنج يدعوهم إلى المجيء إلى الشام ليملِّكوه ، وكثر النفير على الفرنج من كل جهة^(٤) .

وفي سنة اثنتين وتسعين : انتشرت دعوة الباطنية بأصبهان^(٥) .

[استيلاء الفرنج على بيت المقدس]

وفيها : أخذت الفرنج بيت المقدس بعد حصار شهر ونصف ، وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً ، منهم جماعة من العلماء والعباد والزهاد ، وهدموا المشاهد ،

(١) المتظم (٣١/١٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٣/٣٣) .

(٢) الكامل (٢٦٤-٢٦٥/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٥-٤٦/٣٣) .

(٣) الكامل (٢٦٩/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٧/٣٣) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٧-٤٨/٣٣) .

(٥) الكامل (٢٨١-٢٨٢/١٠) ، وتاريخ الإسلام (١٥/٣٤) .

وجمعوا اليهود في الكنيسة ، وأحرقوها عليهم ، وورد المستنفرون إلى بغداد ، فأوردوا كلاماً أبكى العيون ، واختلفت السلاطين ، فتمكنت الفرنج من الشام ، وللأبيورد في ذلك ^(١) :

مَزَجْنَا دِمَاءَ بِالْدُمُوعِ السَّوَاجِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ الْمَرْءِ دَمْعٌ يُفِضُهُ
فَإِيهَا بَنِي الْإِسْلَامِ إِنْ وَرَاءَكُمْ
أَتَهْوِيْمَةٌ فِي ظِلِّ أَمْنٍ وَغِبْطَةٍ
وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ مَلءَ جَفُونِهَا
وَإِخْوَانُكُمْ بِالشَّامِ يُضْحِي مَقِيلُهُمْ
تَسُومُهُمُ الرُّؤْمُ الْهَوَانُ وَأَنْتُمْ
فَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ قَدْ أُبِيحَتْ وَمِنْ دُمَى
بَحِثُ السَّيْفِ الْبَيْضُ مَحْمَرَّةُ الظُّبَا
يَكَادُ لَهَنَّ الْمُسْتَجِرُّ بِطَبِيعَةٍ
أَرَى أُمِّي لَا يُشْرِعُونَ إِلَى الْعِدَى
وَيَجْتَنِبُونَ النَّارَ ^(٦) خَوْفًا مِنَ الرَّدَى
أَتَرْضَى صَنَادِيدُ الْإِعَارِيْبِ بِالْأَذَى
فَلَيْتَهُمْ إِذْ لَمْ يَذُودُوا حَمِيَّةً

(٢) فلم يبقَ مِنَّا عُرضة للمَراجِمِ
إذا الحربُ شَبَّتْ نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
وقائعٌ يُلْحِقْنَ الرَّدَى بِالْمَنَاسِمِ
وعيشٌ كُنُوءَارِ الْخَمِيلَةِ نَاعِمِ ^(٣)
على هَبَوَاتٍ أَيْقَظَتْ كُلَّ نَائِمِ
ظُهُورَ الْمَذَاكِي أَوْ بُطُونَ الْقَشَاعِمِ
تَجْرُونَ ذَيْلَ الْخَفْضِ فِعْلَ الْمُسَالِمِ
تُوَارِي حَيَاءَ حُسْنِهَا بِالْمَعَاصِمِ
وسمرُ العوالي دَامِيَاتُ اللَّهَازِمِ ^(٤)
يُنَادِي بِأَعْلَى الصَّوْتِ يَا آلَ هَاشِمِ ^(٥)
رَمَاحُهُمُ وَالْدِينُ وَاهِي الدَّعَائِمِ
وَلَا يَحْسِبُونَ الْعَارَ ضَرْبَةً لَازِمِ
وَتُغْضِي عَلَى ذُلِّ كُمَاةِ الْأَعَاجِمِ
عَنِ الدِّينِ ضَنْوًا غَيْرَةً بِالْمَحَارِمِ

وفيها : خرج محمد بن ملكشاه على أخيه السلطان بركياروق ، فانتصر

(١) الخبر مع الأبيات في « المتنظم » (١٧/٤٧ - ٤٨) ، و « الكامل » (١٠/٢٨٤ - ٢٨٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٣٣/١٥ - ١٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٤٩٤) .

(٢) الدموع السواجم : الدموع السائلة ، والمراجم - جمع مِرْجَمَة - : القذافة .

(٣) التهويم : هز الرأس من النعاس .

(٤) الظبا : حد السيف ، واللهازم - جمع لهزيمة - : العظم الناتئ في اللَّحْي تحت الأذن .

(٥) المستجن : المستتر .

(٦) في (أ ، ب ، د ، هـ) : (الثَّار) .

عليه ، فقلده الخليفة ؛ ولُقب : غياث الدنيا والدين ، وحُطِب له ببغداد ، ثم جرت بينهما عدة وقعات^(١) .

وفيها : نقل المصحف العثماني من طبرية إلى دمشق ؛ خوفاً عليه ، وخرج الناس لتلقيه ، فأووه في خزانة بمقصورة الجامع^(٢) .

وفي سنة أربع وتسعين : كثر أمر الباطنية بالعراق ، وقتلهم الناس ، واشتد الخطب بهم حتى كانت الأمراء يلبسون الدروع تحت ثيابهم ، وقتلوا خلائق منهم : الرُّوياني صاحب « البحر »^(٣) .

وفيها : أخذ الفرنج بلد سُرُوج ، وحيفا ، وأرْسُوف ، وقيسارية^(٤) .

وفي سنة خمس وتسعين : مات المُستعلي صاحب مصر ، وأقيم بعده ابنه الأمر بأحكام الله منصور ؛ طفل له خمس سنين^(٥) .

وفي سنة ست وتسعين : جرت فتن للسلطان ، فترك الخطباء الدعوة للسلطان ، واقتصروا على الدعوة للخليفة لا غير^(٦) .

وفي سنة سبع وتسعين : وقع الصلح بين السلطانين : محمد وبرَكيارُوق ؛ وسببه : أن الحروب لما تطاولت بينهما وعم الفساد ، وصارت الأموال منهوبة ، والدماء مسفوكة ، والبلاد مخربة ، والسلطنة مطموعاً فيها ، وأصبح الملوك

(١) الكامل (٢٨٧-٢٨٩ / ١٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٠ / ٣٤ - ٢١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢١ / ٣٤) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤ / ٣٥ - ٣٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٣٦ / ٣٧ - ٣٦) .

(٥) الكامل (٣٢٨ / ١٠) ، وتاريخ الإسلام (٤١ / ٣٤) .

(٦) الكامل (٣٥٥ / ١٠) ، وتاريخ الإسلام (٥٤ / ٣٤) .

مقهورين بعد أن كانوا قاهرين . . دخل العقلاء بينهما في الصلح ، وكتبت بينهم العهود والأيمان والمواثيق ، وأرسل الخليفة خَلَعَ السلطنة إلى بَرْكْيَارُوق ، وأُقيمت له الخطبة ببغداد^(١) .

وفي سنة ثمان وتسعين : مات السلطان بَرْكْيَارُوق ، فأقام الأمراء بعده ولده جلال الدولة ملكشاه ، وقلده الخليفة ، وخطب له ببغداد ، وله دون خمس سنين ، فخرج عمه محمد ، واجتمعت الكلمة عليه ، فقلده الخليفة ، وعاد إلى أصبهان سلطاناً متمكناً مهيباً كثير الجيوش^(٢) .

وفيها : كان ببغداد جذري مفرط ، مات فيه خلق من الصبيان لا يحصون ، وتبعه وباء عظيم^(٣) .

وفي سنة تسع وتسعين : ظهر رجل بنواحي نهاوند فادعى النبوة وتبعه خلق ، فأخذ وقتل^(٤) .

وفي سنة خمس مئة : أخذت قلعة أصبهان التي ملكها الباطنية ، وهُدمت وقتلوا ، وسُلخ كبيرهم وحُشي جلده تَبْناً ، فعل ذلك السلطان محمد بعد حصار شديد ، فله الحمد^(٥) .

وفي سنة إحدى وخمس مئة : رفع السلطان الضرائب والمكوس ببغداد ،

(١) المتنظم (١٧/٨٠ - ٨٥) ، وتاريخ الإسلام (٥٧/٣٤) .

(٢) انظر «الكامل» (١٠/٣٨٤ - ٣٨٧) ، و«تاريخ الإسلام» (٦٤/٣٤) .

(٣) الكامل (١٠/٣٩٦) ، وتاريخ الإسلام (٦٩/٣٤) .

(٤) المتنظم (١٧/٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٧٠/٣٤) .

(٥) الكامل (١٠/٤٣٠ - ٤٣٤) ، وتاريخ الإسلام (٧٩/٣٤) .

وكثر الدعاء له ، وزاد في العدل وحسن السيرة^(١) .

وفي سنة اثنتين : عادت الباطنية ، فدخلوا شَيْزَرَ على حين غفلة من أهلها ، فملكوها وملكوا القلعة ، وأغلقوا الأبواب ، وكان صاحبها خرج يتنزه ، فعاد وأبادهم في الحال ، وقتل فيها شيخ الشافعية الرُّوياني صاحب « البحر » ، قتله الباطنية في بغداد ؛ كما تقدم^(٢) .

وفي سنة ثلاث : أخذت الفرنج طرابلس بعد حصار سنين^(٣) .

وفي سنة أربع : عظم بلاء المسلمين بالفرنج ، وتيقنوا استيلاءهم على أكثر الشام ، وطلب المسلمون الهدنة ، فامتنعت الفرنج ، وصالحوهم بألوف دنانير كثيرة ، فهادنوا ثم غدروا ، لعنهم الله^(٤) .

وفيها : هبت بمصر ريح سوداء مظلمة أخذت بالأنفاس ، حتى لا يبصر الرجل يده ، ونزل على الناس رمل ، وأيقنوا بالهلاك ، ثم تجلّى قليلاً ، وعاد إلى الصفرة ، وكان ذلك من العصر إلى بعد المغرب^(٥) .

وفيها : كانت ملحمة كبيرة بين الفرنج وبين ابن تاشفين صاحب الأندلس ، نُصِر فيها المسلمون ، وقتلوا وأسروا وغنموا ما لا يعبر عنه ، وبادت شجعان الفرنج^(٦) .

(١) المنتظم (١٧/١٠٧) ، والكامل (١٠/٤٥٤) ، وتاريخ الإسلام (٨/٣٥) .

(٢) الكامل (١٠/٤٧٢-٤٧٣) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/١٤-١٥) ، وقد تقدم قريباً (ص ٦٥٨) .

(٣) الكامل (١٠/٤٧٥) ، وتاريخ الإسلام (١٦/٣٥) .

(٤) الكامل (١٠/٤٨٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٣٥) .

(٥) الكامل (١٠/٤٨٤) ، وتاريخ الإسلام (٢١/٣٥) .

(٦) الخبر في « الكامل » (١٠/٤٩٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٥/٢٥) ، و« مرآة الجنان » (١/٤٨٠) من حوادث سنة (٥٠٥هـ) .

وفي سنة سبع : جاء مودود صاحب الموصل بعسكر ليقاتل ملك الفرنج الذي بالقدس ، فوقع بينهم معركة هائلة ، ثم رجع مودود إلى دمشق ، فصلى الجمعة يوماً في الجامع ؛ وإذا بباطني وثب عليه فجرحه فمات من يومه ، فكتب ملك الفرنج إلى صاحب دمشق كتاباً فيه : (وإن أمة قتلت عميدها ، في يوم عيدها ، في بيت معبودها . . لتحقيق على الله أن يبيدها)^(١) .

وفي سنة إحدى عشرة : جاء سيل عرم غرق سنجار وسورها ، وهلك خلق كثير ، حتى إن السيل أخذ باب المدينة فذهب به عدة فراسخ ، واختفى تحت التراب الذي جره السيل ، وظهر بعد سنين ، وسلم طفل في سرير له حملة السيل ، فتعلق السرير بزيتونة وعاش وكبر^(٢) .

وفيها : مات السلطان محمد ، وأقيم ابنه محمود ، وله أربع عشرة سنة^(٣) .

[موت الخليفة المستظهر بالله]

وفي سنة ثنتي عشرة : مات الخليفة المستظهر بالله في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول ، فكانت مدته خمساً وعشرين سنة ، وغسله ابن عقيل شيخ الحنابلة ، وصلى عليه ابنه المسترشد ، وماتت بعده بقليل جدته أرجوان والدة المقتدي^(٤) .

قال الذهبي : (ولا يعرف خليفة عاشت جدته بعده إلا هو)^(٥) .

رأت ابنها خليفة ، ثم ابن ابنها ، ثم ابن ابن ابنها^(٦) .

(١) الكامل (٤٩٧/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٢٩-٢٨/٣٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٦٩-٢٧٠/٣٥) .

(٣) المنتظم (١٥٩/١٧) ، وتاريخ الإسلام (٢٧٠/٣٥) .

(٤) المنتظم (١٦٥/١٧) ، والكامل (٥٣٤/١٠) ، وتاريخ الإسلام (٣٢٨-٣٢٧/٣٥) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣٢٨/٣٥) .

(٦) سير أعلام النبلاء (٤١٢/١٩) .

ومن شعر المستظهر^(١) :

[من البسيط]

أَذَابَ حُرَّ الْهَوَىٰ فِي الْقَلْبِ مَا جَمَدَا يَوْمًا مَدَدْتُ إِلَى رَسْمِ الْوَدَاعِ يَدَا
وَكَيْفَ أَسْلَكْتُ نَهْجَ الْأَصْطَبَارِ وَقَدْ أَرَى طَرَائِقَ فِي مَهْوَى الْهَوَى قَدَدَا
إِنْ كُنْتُ أَنْقَضُ عَهْدَ الْحَبِّ يَا سَكْنِي مِنْ بَعْدِ حَبِّي فَلَا عَايَتُكُمْ أَبَدَا

وللصارم مَرَجًا البطائحي :

[من الكامل]

أَصْبَحْتُ بِالْمُسْتَظْهِرِ بْنِ الْمُقْتَدِي بِاللَّهِ إِبْنِ الْقَائِمِ بْنِ الْقَادِرِ
مُسْتَعَصِمًا أَرْجُو نَوَالَ أَكْفِهِ وَبِأَنْ يَكُونَ عَلَى الْعَشِيرَةِ نَاصِرِي
فَيَقْرُءَ مَعَ كِبَرِي قَرَارِي عِنْدَهُ وَيَفُوزُ مِنْ مَدْحِي بِشَعْرِ سَائِرِ

فوق المستظهر : (يَخَيَّرُ بَيْنَ الصَّلَةِ وَالْإِنْحِدَارِ ، وَالْمَقَامِ وَالْإِدْرَارِ)^(٢) .

وقال السَّلَفِي : (قَالَ لِي أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ الْجِرَاحِ : صَلَّيْتُ بِالْمُسْتَظْهِرِ فِي رَمَضَانَ ، فَقَرَأْتُ : ﴿ إِنَّ ابْنَكَ سُرَّقَ ﴾ رَوَايَةً رَوَيْنَاهَا عَنْ الْكِسَائِيِّ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ .. قَالَ : هَذِهِ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ ؛ فِيهَا تَنْزِيهِ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ عَنِ الْكُذْبِ)^(٣) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : أبو المظفر السَّمعاني ، ونصر المقدسي ، وأبو الفرج الرَّااز ، وشَيْذَلَةُ ، والرُّوْيَانِي ، والخطيب التَّبْرِيْزِي ، وإلْكِيَا الهَرَّاسِي ، والغزالي ، والشَّاشِي الذي صنف له كتاب « الحلية » وسماه « المستظهري » ، والأبْنُورْدِي اللُّغَوِي .

(١) الأبيات في « المتنظم » (١٧ / ١٢١) ، و « الكامل » (١٠ / ٥٣٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٥ / ٣٢٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٥ / ٣٢٨) .

خلافه المستظهر بالله

[٥١٢-٥٢٩هـ] ^(١)

أبو منصور ، الفضل بن المستظهر بالله ، ولد في ربيع الأول ، سنة خمس وثمانين وأربع مئة ، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه في ربيع الآخر ، سنة اثنتي عشرة وخمس مئة .

وكان ذا همة عالية ، وشهامة زائدة ، وإقدام ورأي وهيبة شديدة ، ضبط أمور الخلافة ورتبها أحسن ترتيب ، وأحيا رسم الخلافة ونشر عظامها ، وشيد أركان الشريعة وطرز أكمائها ، وبأشر الحروب بنفسه ، وخرج عدة نوب إلى الحلة والموصل وطريق خراسان ، إلى أن خرج النوبة الأخيرة وكُسِر جيشه بقرب همذان ، وأخذ أسيراً إلى أذربيجان .

وقد سمع الحديث من أبي القاسم بن بيان ، وعبد الوهاب بن هبة الله السَّيِّي (٢) .

وروى عنه : محمد بن عمر بن مكّي الأهوازي ، ووزيره علي بن طراد ، وإسماعيل بن طاهر الموصلي ، ذكر ذلك ابن السمعاني .

وذكره ابن الصلاح في « طبقات الشافعية » - وناهيك بذلك - فقال : (هو الذي صنف له أبو بكر الشاشي كتابه « العمدة » في الفقه ، وبلقبه اشتهر الكتاب ؛ فإنه كان حينئذٍ يلقب : عمدة الدنيا والدين ^(٣)) .

وذكره ابن السبكي في « طبقات الشافعية » فقال : (كان في أول أمره تنسك

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (٣٠٤/١٧) ، و« طبقات الشافعية » لابن الصلاح (٦٥٨/٢) ، و« الكامل » (٢٧/١١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥٦١/١٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٢٥٧/٧) ، و« فوات الوفيات » (١٧٩/٣) ، و« البداية والنهاية » (١٨٢/١٢) .

(٢) كذا في النسخ : (عبد الوهاب) ، والصواب : (أحمد بن عبد الوهاب) ؛ كما في « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٦٣/٧) .

(٣) طبقات الشافعية (٦٥٨/٢) .

ولبس الصوف ، وانفرد في بيت للعبادة ، وكان مولده يوم الأربعاء ، ثامن عشر شعبان ، سنة ست وثمانين وأربع مئة .

وخطب له أبوه بولاية العهد ، ونقش اسمه على السكة في شهر ربيع الأول ، سنة ثمان وثمانين ، وكان مليح الخط ، ما كتب أحد من الخلفاء قبله مثله ، يستدرك على كتابه ، ويصلح أغاليط في كتبهم .

وأما شهامته وهيبته وشجاعته وإقدامه .. فأمرٌ أشهر من الشمس ، ولم تزل أيامه مكدرة بكثرة التشويش والمخالفين ، وكان يخرج بنفسه لدفع ذلك ، إلى أن خرج الخرجة الأخيرة إلى العراق ، فكسر وأخذ ، ورزق الشهادة ^(١) .

[مواجهة بين مسعود والخليفة وأسر الخليفة]

وقال الذهبي : (مات السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه سنة خمس وعشرين ، فأقيم ابنه داوود مكانه ، فخرج عليه عمه مسعود بن محمد فاقتلا ، ثم اصطلحا على الاشتراك بينهما ، ولكلٌ مملكة ، وخطب لمسعود بالسلطنة ببغداد ، ومن بعده لداوود ، وخُلع عليهما ، ثم وقعت بين الخليفة ومسعود وحشة ، فخرج لقتاله ، فالتقى الجمعان وغدر بالخليفة أكثر عسكره ، فظفر به مسعود ، وأسر الخليفة وخواصه ، فحبسهم بقلعة بقرب همدان ، فبلغ أهل بغداد ذلك ، فحثوا في الأسواق على رؤوسهم التراب ، وبكوا وضجوا ، وخرج النساء حاسرات يندبن الخليفة ، ومنعوا الصلوات والخطبة ^(٢) .

[رسالة سنجر إلى مسعود بإعادة الخليفة]

قال ابن الجوزي : (وزلزلت بغداد مراراً كثيرة ، ودامت كل يوم خمس أو ست مرات والناس يستغيثون ، فأرسل السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول : ساعة وقوف الولد غياث الدنيا والدين على هذا المكتوب .. يدخل على

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٢٥٩/٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٩-٢٨/٣٦) .

أمير المؤمنين ، ويقبل الأرض بين يديه ، ويسأله العفو والصفح ، ويتنصّل غاية التنصّل ؛ فقد ظهرت عندنا من الآيات السماوية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها ، فضلاً عن المشاهدة من العواصف والبروق والزلازل ، ودوام ذلك عشرين يوماً ، وتشويش العساكر وانقلاب البلدان ، ولقد خفت على نفسي من جانب الله وظهور آياته ، وامتناع الناس من الصلوات في الجوامع ، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله ، فالله الله بتلافي أمرك ، وتعيد أمير المؤمنين إلى مقرّ عزه ، وتحمل الغاشية بين يديه ؛ كما جرت عادتنا وعادة آبائنا ، ففعل مسعود جميع ما أمر به ، وقبّل الأرض بين يدي الخليفة ، ووقف يسأل العفو .

ثم أرسل سنجر رسولاً آخر ، ومعه عسكر يستحث مسعوداً على إعادة الخليفة إلى مقرّ عزه ، فجاء في العسكر سبعة عشر من الباطنية ، فذكر : أن مسعوداً ما علم بهم ، وقيل : بل هو الذي دسهم ، فهاجموا على الخليفة في مخيمه ، ففتكوا به وقتلوا معه جماعة من أصحابه ، فما شعر بهم العسكر إلا وقد فرغوا من شغلهم ، فأخذوهم وقتلوهم إلى لعنة الله ، وجلس السلطان للعزاء ، وأظهر المساءة بذلك ، ووقع النحيب والبكاء ، وجاء الخبر إلى بغداد ، فاشتد ذلك على الناس ، وخرجوا حفاة مخرّقين الثياب ، والنساء ناشرات الشعور يلطمن ويقلن المراثي ؛ لأن المسترشد كان محبباً فيهم بمرة ؛ لما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم ^(١) .

وكان قتل المسترشد رحمه الله بمراغة ، يوم الخميس ، سادس عشر ذي القعدة ، سنة تسع وعشرين .

[ذكر شيء من شعر المسترشد]

[من الطويل]

ومن شعره ^(٢) :

أنا الأشقر المدعوُّ بي في الملاحم ومن يملك الدنيا بغير مُزاحم

(١) المنتظم (٢٩٨/١٧-٢٩٩) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/٣٦-٥٢) .

(٢) البيتان في « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٦٠/٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٥٦٣/١٩) .

سَتَبْلُغُ أَرْضَ الرُّومِ خَيْلِي وَتُنْتَضِيْ بِأَقْصَى بِلَادِ الصِّينِ بَيْضُ صَوَارِمِيْ

وَمِنْ شَعْرِهِ لَمَّا أُسِرَ^(١) :

وَلَا عَجَبًا لِلْأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كِلَابُ الْأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرْبُهُ وَخَشْيُ سَقَتِ حِمَزَةِ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

وَلَهُ لَمَّا كُسِرَ ، وَأَشِيرَ عَلَيْهِ بِالْهَزِيمَةِ فَلَمْ يَفْعَلْ ، وَثَبَتَ حَتَّى أُسِرَ^(٢) : [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ]

قَالُوا تَقِيْمُ وَقَدْ أَحَا طَبَّكَ الْعَدُوُّ وَلَا تَفِرْ
فَأَجَبْتَهُمُ الْمَرْءُ مَا لَمْ يَتَّعِظْ بِالْوَعْظِ غِرٌّ
لَا نَلَسْتُ خَيْرًا مَا حَيَدْتُ وَلَا عَدَانِي الدَّهْرُ شَرٌّ
إِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ غَيَّرَ اللَّهُ يَنْفَعُ أَوْ يَضُرُّ

[خُطْبَةُ الْمُسْتَرَشِدِ فِي عِيدِ أَضْحَى وَمَدْحِ أَبِي الْمَظْفَرِ لَهُ]

قَالَ الذَّهَبِيُّ : وَقَدْ خُطِبَ بِالنَّاسِ يَوْمَ عِيدِ أَضْحَى فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ مَا سَحَّتِ
الْأَنْوَاءُ ، وَأَشْرَقَ الضِّيَاءُ ، وَطَلَعَتْ ذُكَاءُ ، وَعَلَتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ .

اللَّهُ أَكْبَرُ مَا هَمَعَ سَحَابُ ، وَلَمَعَ سَرَابُ ، وَأَنْجَحَ طِلَابُ ، وَسَرَّ قَادِمًا
إِيَابُ . . . وَذَكَرَ خُطْبَةً بَلِيغَةً .

ثُمَّ جَلَسَ ، ثُمَّ قَامَ فَخُطِبَ وَقَالَ : اللَّهُمَّ ؛ أَصْلِحْني فِي ذَرْبِي ، وَأَعْنِي عَلَى
مَا وَلَيْتَنِي ، وَأَوْزِعْنِي شُكْرَ نِعْمَتِكَ ، وَوَفَّقْنِي وَانصُرْنِي ، فَلَمَّا أَنْهَاهَا وَتَهَيَّأَ
لِلنُّزُولِ . . . بَدَرَهُ أَبُو الْمَظْفَرِ الْهَاشِمِيُّ ، فَأَنْشَدَهُ^(٣) :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَنْ عَلَا عَلَى مِنْبَرٍ قَدْ حَفَّ أَعْلَامُهُ النَّصْرُ
وَأَفْضَلُ مَنْ أَمَّ الْأَنْبَاءَ وَعَمَّهُمْ بِسِيرَتِهِ الْحُسْنَى وَكَانَ لَهُ الْأَمْرُ
وَأَفْضَلُ أَهْلِ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَنْ جَدُّهُ مِنْ أَجَلِهِ نَزَلَ الْقَطْرُ

(١) البَيْهَقِيُّ فِي « طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى » (٢٦٠ / ٧) ، وَ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٥٦٣ / ١٩) .

(٢) الْأَبْيَاتُ فِي « طَبَقَاتِ الشَّافِعِيَّةِ الْكُبْرَى » (٢٦٣ / ٧) ، وَ « سِيرَ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ » (٥٦٢ / ١٩) .

(٣) الْخَبَرُ وَالْأَبْيَاتُ فِي « تَارِيخِ الْإِسْلَامِ » (٣٥٩ - ٣١٠) ، وَانْظُرْ « الْمُنْتَظَمُ » (٢٣٥ - ٢٣٦) .

لقد شَنَّفَتْ أَسْمَاعَنَا مِنْكَ خُطْبَةً ومَوْعِظَةً فَصَلَّ يَلِينُ لَهَا الصَّخْرُ
مَلَأَتْ بِهَا كُلَّ الْقُلُوبِ مَهَابَةً فَقَدْ رَجَفَتْ مِنْ خَوْفٍ تَخْوِيفُهَا مِصْرُ
وَزَدَتْ بِهَا عَدَنَانِ مَجْدًا مُؤَثَّلًا فَأَضْحَى لَهَا بَيْنَ الْأَنَامِ بِكَ الْفَخْرُ
وَسَدَتْ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى لَقَدْ غَدَا يُبَاهِي بِكَ السَّجَّادُ وَالْعَلَمُ الْبَحْرُ
فَلِلَّهِ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ إِمَامُهُ وَلِلَّهِ دِينَ أَنْتَ فِيهِ لَنَا الصَّدْرُ
بَقِيَتْ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْمُلُكِ كُلَّمَا تَقَادَمَ عَصْرٌ أَنْتَ فِيهِ أَتَى عَصْرُ
وَأَصْبَحْتَ بِالْعِيدِ السَّعِيدِ مَهْنَأً تُشَرِّفُنَا فِيهِ صَلَاتُكَ وَالنَّحْرُ

وقال وزيره جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة يمدحه^(١) : [من الطويل]

وَجَدْتُ الْوَرَى كَالْمَاءِ طَعْمًا وَرِقَّةً وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ زُلَّالُهُ
وَصَوَّرْتُ مَعْنَى الْعَقْلِ شَخْصًا مَصُورًا وَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِثَالُهُ
وَلَوْ لَا مَكَانَ الدِّينِ وَالشَّرْعِ وَالتَّقَى لَقُلْتُ مِنَ الْإِعْظَامِ جَلَّ جَلَالُهُ

وفي سنة أربع وعشرين من أيامه : ارتفع سحب أمطر بلد الموصل ناراً
أحرقَتْ مِنَ الْبَلَدِ مَوَاضِعَ وَدُوراً كَثِيرَةً^(٢) .

وفيها : قُتِلَ صَاحِبُ مِصْرَ الْأَمْرِ بِأَحْكَامِ اللَّهِ مَنْصُورٌ عَنْ غَيْرِ عَقْبٍ ، وَقَامَ بَعْدَهُ
ابْنُ عَمِّهِ الْحَافِظُ عَبْدُ الْمَجِيدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ الْمُسْتَنْصِرِ^(٣) .

وفيها : ظَهَرَ بِبَغْدَادٍ عَقَارِبُ طَيَارَةٍ لَهَا شَوْكَتَانِ ، وَخَافَ النَّاسُ مِنْهَا ، وَقَدْ
قَتَلَتْ جَمَاعَةَ أَطْفَالٍ^(٤) .

(١) الأبيات في « تاريخ الإسلام » (٣٥ / ٣٠٩ - ٣١٠) ، و « البداية والنهاية » (١٢ / ١٩٩) ، والأول والثالث في « المنتظم » (١٧ / ٢٥٠) .

(٢) المنتظم (١٧ / ٢٥٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٦ / ٢١) .

(٣) المنتظم (١٧ / ٢٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٦ / ٢٢) .

(٤) الكامل (١٠ / ٦٦٦) ، وتاريخ الإسلام (٣٦ / ٢٥) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المسترشد من الأعلام : شمس الأئمة أبو الفضل إمام الحنفية ، وأبو الوفاء بن عقيل الحنبلي ، وقاضي القضاة أبو الحسن الدَّامَغَانِي ، وابن بَلِيمة المقرئ ، والطُّغْرَائِي صاحب « لامية العجم » ، وأبو علي الصَّدْفِي الحافظ ، وأبو نصر القُشَيْرِي ، وابن القَطَّاع اللغوي ، ومحبي السنة البَغَوِي ، وابن الفَخَّام المقرئ ، والحريري صاحب « المقامات » ، والميداني صاحب « الأمثال » ، وأبو الوليد بن رُشد المالكي ، والإمام أبو بكر الطَّرُوشِي ، وأبو الحجاج السَّرْقُسْطِي ، وابن السَّيِّد البَطْلَيْوسِي ، وأبو علي الفَارْقِي من الشافعية ، وابن الطَّرَاوَة النحوي ، وابن البَاذِش ، وظافر الحداد الشاعر ، وعبد الغافر الفارسي ، وخلائق آخرون .

خلاف الراشد بالله

[٥٢٩ - ٥٣٠ هـ] ^(١)

أبو جعفر ، منصور بن المسترشد ، ولد سنة اثنتين وخمسة مئة ، وأمه : أم ولد ، ويقال : إنه ولد مسدوداً ، فأحضروا الأطباء ، فأشاروا بأن يفتح له مخرجٌ بآلة من ذهب ، ففعل به ذلك فنفع ^(٢) .

وخطب له أبوه بولاية العهد سنة ثلاث عشرة ، وبويع له بالخلافة عند قتل أبيه في ذي القعدة ، سنة تسع وعشرين .

وكان فصيحاً أديباً شاعراً ، شجاعاً سمحاً ، جواداً حسن السيرة ، يؤثر العدل ويكره الشر .

[خلع الراشد ثم قتله]

ولما عاد السلطان مسعود إلى بغداد . . خرج هو إلى الموصل ، فأحضروا القضاة والأعيان والعلماء ، وكتبوا محضراً فيه شهادة طائفة بما جرى من الراشد من الظلم وأخذ الأموال وسفك الدماء وشرب الخمر ، واستفتوا الفقهاء : فيمن فعل ذلك هل تصح إمامته ؟

وهل إذا ثبت فسقه . . يجوز لسلطان الوقت أن يخلعه ويستبدل خيراً منه ؟

فأفتوا بجواز خله ، وحكم بخلعه ابن الكرخي قاضي البلد ، وبايعوا عمه محمد بن المستظهر ، ولقب : المقتفي لأمر الله ؛ وذلك في سادس عشر ذي القعدة ، سنة ثلاثين ^(٣) .

(١) انظر ترجمته في : « المتنظم » (٣٣٢ / ١٧) ، و « الكامل » (٢٧ / ١١) ، و « تاريخ الإسلام »

(٣٠٠ / ٣٦) ، و « فوات الوفيات » (١٦٨ / ٤) ، و « البداية والنهاية » (٢٠٩ / ١٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٠٠ / ٣٦) .

(٣) المتنظم (٣١٢ / ١٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٦ / ٦٠ و ٣٠٢) .

وبلغ الراشد الخلع ، فخرج من الموصل إلى بلاد أذربيجان ، وكان معه جماعة ، فقسّطوا على مراغة مالا ، وعاثوا هناك ، ومضوا إلى همدان وأفسدوا بها ، وقتلوا جماعة وصلبوا آخرين ، وحلقوا الحى جماعة من العلماء ، ثم مضوا إلى أصبهان فحاصروها ونهبوا القرى .

ومرض الراشد بظاهر أصبهان مرضاً شديداً ، فدخل عليه جماعة من العجم كانوا فرّاشين معه ، فقتلوه بالسكاكين ، ثم قُتلوا كلهم ، وذلك في سادس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين ، وجاء الخبر إلى بغداد ، فقعدوا للعزاء يوماً واحداً^(١) .

قال العماد الكاتب : (كان للراشد الحُسن اليوسفي ، والكرم الحاتمي)^(٢) .
قال ابن الجوزي : (وقد ذكر الصولي أن الناس يقولون : إن كل سادس يقوم للناس يخلع ، فتأملت هذا فرأيتُه عجباً)^(٣) .
قلت : وقد سقت بقية كلامه في الخطبة^(٤) .
ولم تؤخذ البردة والقضيب من الراشد حتى قتل ، فأحضروا بعد قتله إلى المقتفي .

(١) تاريخ الإسلام (٣٠٢-٣٠٣ / ٣٦) .

(٢) خريدة القصر (٣٢ / ١) .

(٣) المنتظم (٣٣٢ / ١٧) ، وتاريخ الإسلام (٣٠٣ / ٣٦) .

(٤) انظر ما تقدم (ص ٨٦) .

خلافة المقتفي لأمر الله

[٥٣٠-٥٥٥هـ] (١)

أبو عبد الله ، محمد بن المستظهر بالله ، ولد في الثاني والعشرين من ربيع الأول ، سنة تسع وثمانين وأربع مئة ، وأمّه : حبشية ، وبويع له بالخلافة عند خلع ابن أخيه ، وعمره أربعون سنة .

وسبب تلقيه بالمقتفي : أنه رأى في منامه قبل أن يستخلف بستة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له : « سيصل هذا الأمر إليك ، فاقف بي » ، فلُقّب : المقتفي لأمر الله (٢) .

وبعث السلطان مسعود بعد أن أظهر العدل ومهد بغداد ، فأخذ جميع ما في دار الخلافة : من دواب وأثاث ، وذهب وستور وسرادق ، ولم يترك في إصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس وثمانية أبغال برسم الماء ، فيقال : إنهم بايعوا المقتفي على ألا يكون عنده خيل ولا آلة سفر (٣) .

ثم في سنة إحدى وثلاثين : أخذ السلطان مسعود جميع تعلق الخليفة ، ولم يترك له إلا العقار الخاص ، وأرسل وزيره يطلب من الخليفة مئة ألف دينار ، فقال المقتفي : (ما رأينا أعجب من أمرك !! أنت تعلم أن المسترشد سار إليك بأمواله فجرى ما جرى ، وأن الراشد ولي ففعل ما فعل ورحل وأخذ ما تبقى ، ولم يبق إلا الأثاث فأخذته كله ، وتصرفت في دار الضرب ، وأخذت التركات والجوالي ، فمن أي وجه نقيم لك هذا المال ؟! وما بقي إلا أن نخرج من الدار ونسلمها ؛ فإني عاهدت الله ألا آخذ من المسلمين حبة ظملاً) .

(١) انظر ترجمته في : « المتظم » (٣١٢/١٧) ، و « الكامل » (٤٢/١١) ، و « تاريخ الإسلام » (١٧١/٣٨) ، و « الوافي بالوفيات » (٩٤/٢) ، و « البداية والنهاية » (٢١٠/١٢) .

(٢) المتظم (٣١٢/١٧) ، و تاريخ الإسلام (٦٠/٣٦) .

(٣) المتظم (٣١٤/١٧) ، و تاريخ الإسلام (٦١/٣٦) .

فترك السلطان الأخذ من الخليفة ، وعاد إلى جباية الأملاك من الناس ،
وصادر التجار ، فلقي الناس من ذلك شدة ، ثم في جمادى الأولى أعيدت بلاد
الخليفة ومعاملاته والتركات إليه^(١) .

وفي هذه السنة : رُقب الهلال ليلة الثلاثين من شهر رمضان فلم يُرَ ، فأصبح
أهل بغداد صائمين لتمام العدة ، فلما أمسوا رقبوا الهلال فما رأوه أيضاً ، وكانت
السماء جليلة صاحية ، ومثل هذا لم يسمع بمثله في التواريخ^(٢) .

وفي سنة ثلاث وثلاثين : كان بجَنَزَة زلزلة عظيمة عشرة فراسخ في مثلها ،
فأهلكت خلائق ، ثم حُسف بجَنَزَة وصار مكان البلد ماء أسود^(٣) .

وفيها : استولى الأمراء على مغلات البلاد ، وعجز السلطان مسعود ، ولم
يبق له إلا الاسم ، وتضعضع أيضاً أمر السلطان سَنَجَر ، فسبحان مذل الجبابرة !!
وتمكن الخليفة المقتفي ، وزادت حرمة ، وعلت كلمته ، وكان ذلك مبدأ صلاح
الدولة العباسية ، فله الحمد^(٤) .

وفي سنة إحدى وأربعين : قدم السلطان مسعود بغداد وعمل دار ضرب ،
فقبض الخليفة على الضراب الذي تسبب في إقامة دار الضرب ، فقبض مسعود
على حاجب الخليفة ، فغضب الخليفة ، وغلق الجامع والمساجد ثلاثة أيام ، ثم
أطلق الحاجب ، فأطلق الضراب ، وسكن الأمر^(٥) .

[موعظة العبادي للسلطان مسعود]

وفيها : جلس ابن العبادي الواعظ ، فحضر السلطان مسعود ؛ فعرض بذكر

(١) المنتظم (١٧/٣٢٢-٣٢٣) .

(٢) المنتظم (١٧/٣٢٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/٢٠٤) .

(٣) المنتظم (١٧/٣٣٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/٢٠٨) .

(٤) انظر « العبر » (٤/١٣٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٣٦/٢١٠) .

(٥) المنتظم (١٨/٤٩) ، وتاريخ الإسلام (٦/٣٧) .

مكس البيع وما جرى على الناس ، ثم قال : (يا سلطان العالم ، أنت تهب في ليلة لمطرب بقدر هذا الذي يؤخذ من المسلمين ، فاحسبني ذلك المطرب ، وهبه لي ، واجعله شكراً لله بما أنعم عليك) .

فأجاب ونودي في البلد بإسقاطه ، وطيف بالألواح التي نقش عليها ترك المكوس ، وبين يديه الدُّبَادب والبوقات ، وسمرت ، ولم تزل إلى أن أمر الناصر لدين الله بقلع الألواح ، وقال : (ما لنا حاجة بآثار الأعاجم)^(١) .

وفي سنة ثلاث وأربعين : حاصرت الفرنج دمشق ، فوصل إليها نور الدين محمود بن زنكي ، وهو صاحب حلب يومئذ ، وأخوه غازي صاحب الموصل ، فنصر المسلمون والله الحمد ، وهُزِمَ الفرنج ، واستمر نور الدين في قتال الفرنج وأخذ ما استولوا عليه من بلاد المسلمين^(٢) .

وفي سنة أربع وأربعين : مات صاحب مصر الحافظ لدين الله ، وأقيم ابنه الظافر إسماعيل^(٣) .

وفيها : جاءت زلزلة عظيمة ، وماجت بغداد نحو عشر مرات ، وتقطع منها جبل بخلوان^(٤) .

وفي سنة خمس وأربعين : جاء باليمن مطر كله دم ، وصارت الأرض مرشوشة بالدم ، وبقي أثره في ثياب الناس^(٥) .

(١) المتنظم (١٨/٤٩ - ٥٠) ، وتاريخ الإسلام (٦/٣٦) .

(٢) المتنظم (١٨/٦٣ - ٦٤) ، وتاريخ الإسلام (١٣/٣٦) .

(٣) الكامل (١١/١٤١ - ١٤٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٤/٣٦) .

(٤) المتنظم (١٨/٧٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٣٦) .

(٥) المتنظم (١٨/٧٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٨/٢٦) .

[دعاء الخليفة شهراً على مسعود فمات]

وفي سنة سبع وأربعين : مات السلطان مسعود .

قال ابن هُبَيْرَة - وهو وزير المقتفي - : (لما تطاول على المقتفي أصحابُ مسعود ، وأسأوا الأدب ، ولم يمكن المجاهرة بالمحاربة . . اتفق الرأي على الدعاء عليه شهراً ؛ كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم على رِغْلٍ وذَكْوَانٍ شهراً^(١) ، فابتدأ هو والخليفة سرّاً كل واحد في موضعه يدعو سحراً من ليلة تسع وعشرين من جمادى الأولى ، واستمر الأمر كل ليلة ، فلما تكامل الشهر . . مات مسعود على سريرِهِ ، لم يزد على الشهر يوماً ولا نقص يوماً^(٢) .

واتفق العسكر على سلطنة ملكشاه ، وقام بأمره خاصبك ، ثم إن خاصبك قبض على ملكشاه ، وطلب أخاه محمداً من خُوزستان ، فجاءه فسلم إليه السلطنة ، وأمر الخليفة حينئذ ونهى ، ونفذت كلمته ، وعزل من كان السلطان ولأه مدرساً بالنظامية ، وبلغه أن في نواحي واسط تخييطاً ، فسار بعسكره ومهد البلاد ، ودخل الحِلَّة والكوفة ، ثم عاد إلى بغداد مؤيداً منصوراً ، وزينت بغداد^(٣) .

وفي سنة ثمان وأربعين : خرجت الغزُّ على السلطان سَنَجَر ، وأسروه وأذاقوه الذل ، وملكوا بلادَهُ ، وبقوا الخطبة باسمه ، وبقي معهم صورة بلا معنًى ، وصار يبكي على نفسه ، وله اسم السلطنة ، وراتبه في قدر راتب سائس من سياسته^(٤) .

وفي سنة تسع وأربعين : قتل بمصر صاحبها الظافر بالله العبيدي ، وأقاموا ابنه الفائز عيسى صبيّاً صغيراً ، ووهى أمر المصريين ، فكتب المقتفي عهداً لنور الدين محمود بن زنكي ولأه مصر ، وأمره بالمسير إليها ، وكان مشغولاً بحرب الفرنج ،

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٨) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) الإفصاح (٩٤ / ٤ - ٩٥) ، وتاريخ الإسلام (٣٤ / ٣٧) .

(٣) المنتظم (٨٥ / ١٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٦ - ٣٥ / ٣٦) .

(٤) المنتظم (٩٠ / ١٨) ، وتاريخ الإسلام (٤١ / ٣٦) .

وهو لا يفتر من الجهاد ، وكان تملك دمشق في صفر من هذا العام ، وملك عدة قلاع وحصون بالسيف وبالآمان من بلاد الروم ، وعظمت ممالكه ، وبعُد صيته ، فبعث إليه المقتفي تقليداً ، وأمره بالمسير إلى مصر ، ولُقّب : بالملك العادل .
وعظم سلطان المقتفي ، واشتدت شوكته ، واستظهر على المخالفين ، وأجمع على قصد الجهات المخالفة لأمره ، ولم يزل أمره في تزايد وعلو إلى أن مات ليلة الأحد ، ثاني ربيع الأول ، سنة خمس وخمسين^(١) .

[من مناقب المقتفي لأمر الله]

قال الذهبي : (كان المقتفي من سروات الخلفاء ، عالماً ديناً شجاعاً حليماً ، دمث الأخلاق كامل السؤدد ، خليقاً للإمامة ، قليل المثل في الأئمة ، لا يجري في دولته أمر وإن صغر إلا بتوقيعه ، وكتب في خلافته ثلاث ربعات ، وسمع الحديث من مؤدبه أبي البركات بن أبي الفرج ابن السّبيي^(٢) .

قال ابن السمعاني : (وسمع « جزء ابن عرفة » مع أخيه المسترشد من أبي القاسم بن بيان^(٣) .

روى عنه : أبو منصور الجواليقي اللغوي إمامه ، والوزير ابن هبيرة وزيره ، وغيرهما .

وقد جدد المقتفي باباً للكعبة ، واتخذ من العتيق تابوتاً لدفنه^(٤) .

وكان محمود السيرة ، مشكور الدولة ، يرجع إلى دين وعقل وفضل ، ورأي وسياسة ، جدّد معالم الإمامة ، ومهّد رسوم الخلافة ، وباشر الأمور بنفسه ، وغزا غير مرة ، وامتدت أيامه^(٥) .

وقال أبو طالب عبد الرحمن بن محمد بن عبد السميع الهاشمي في كتاب

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٣٦-٥٣) ، وانظر « المنتظم » (٩٨/١٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٧٢/٣٨) ، وفي النسخ : (السني) ، والمثبت من « تاريخ الإسلام » .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧٢/٣٨) .

(٤) انظر « الكامل » (٢٥٦/١١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧٣/٣٨) .

(٥) انظر « الكامل » (٢٥٦/١١) ، و« تاريخ الإسلام » (١٧٣/٣٨) .

« المناقب العباسية » : (كانت أيام المقتفي نَصْرَةً بالعدل ، زَهْرَةً بفعل الخيرات ، وكان على قدم من العبادة قبل إفضاء الأمر إليه ، وكان في أول أمره متشاعلاً بالدين ، ونسخ العلوم ، وقراءة القرآن ، ولم يُر مع سماحته ولين جانبه ورأفته بعد المعتصم خليفة في شهامته وصرامته وشجاعته ، مع ما خُص به من زهده وورعه وعبادته ، ولم تزل جيوشه منصورة حيث يمت)^(١) .

وقال ابن الجوزي : من أيام المقتفي عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ، ولم يبق لها منازع ، وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك ، وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة .

ومن سلاطين دولته : السلطان سَنَجَر صاحب خراسان ، والسلطان نور الدين محمود صاحب الشام .

وكان جواداً كريماً محباً للحديث وسماعه ، معتنياً بالعلم مكرماً لأهله^(٢) .

[حديث من رواية المقتفي]

قال ابن السمعاني : (حدثنا أبو منصور الجَوَالِقي ، حدثنا المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين ، أخبرنا أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب ، أخبرنا أبو محمد الصَّريفي ، أخبرنا المخلص ، أخبرنا إسماعيل الورَّاق ، حدثنا حفص بن عمرو الرِّبالي ، حدثنا أبو سُحيم ، حدثنا عبد العزيز بن صُهيب ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يَزْدَادُ الأَمْرُ إِلَّا شِدَّةً ، ولا الناسُ إِلَّا شُحاً ، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شَرِّ النَّاسِ »)^(٣) .

[الجوالقي والمقتفي وإفحام ابن التلميذ النصراني]

ولما دعا المقتفي الإمام أبا منصور الجَوَالِقي النحوي ليجعله إماماً يصلي

(١) تاريخ الإسلام (١٧٤/٣٨) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (١٧٤-١٧٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٧٣/٣٨) ، والحديث أخرجه الحاكم (٤/٤٤١) ، وابن ماجه (٤٠٣٩) من طريق الحسن عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

به . . دخل عليه ، فما زاد على أن قال : (السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله .
وكان ابن التلميذ النصراني الطبيب قائماً ، فقال : ما هكذا يسلم على أمير
المؤمنين يا شيخ ؟ !

فلم يلتفت إليه ابن الجواليقي ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ سلامي هو
ما جاءت به السنة النبوية . . . وروى الحديث ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ لو
حلف حالف : أن نصرانياً أو يهودياً لم يصل إلى قلبه نوع من أنواع العلم على
الوجه . . لما لزمته كفارة ؛ لأن الله ختم على قلوبهم ، ولن يفك ختم الله إلا
الإيمان ، فقال المقتفي : صدقت وأحسنت ، وكأنما ألجم ابن التلميذ بحجر مع
غزارة أدبه ^(١) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المقتفي من الأعلام : ابن الأبرش النحوي ، ويونس بن
مغيث ، وجمال الإسلام بن المسلم الشافعي ، وأبو القاسم الأصبهاني صاحب
« الترغيب » ، وابن بَرَّجان ، والمَازَري المالكي صاحب « المُعَلَّم بفوائد
مسلم » ، والزمخشري ، والرُّشَاطي صاحب « الأنساب » ، والجَوَالِيقِي وهو
إمامه ، وابن عطية صاحب التفسير ، وأبو السعادات ابن الشَّجَرِي ، والإمام
أبو بكر ابن العربي ، وناصر الدين الأَرَجَانِي الشاعر ، والقاضي عياض ،
والحافظ أبو الوليد بن الدَّبَّاح ، وأبو الأسعد هبة الرحمن القشيري ، وابن غلام
الفرس المقرئ ، والرفَّاء الشاعر ، والشَّهْرَسْتَانِي صاحب « الملل والنحل » ،
والقَيْسَرَانِي الشاعر ، ومحمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وأبو الفضل بن ناصر
الحافظ ، وأبو الكرم الشهرزوري المقرئ ، والوَأَوَاء الشاعر ^(٢) ، وابن الخل
إمام الشافعية ، وخلائق آخرون .

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٤ / ٢) ، ووفيات الأعيان (٣٤٢ / ٥) .

(٢) وهو غير الوأواء الذي مات في خلافة القادر بالله أحمد .

خلاف المستنجد بالله

[٥٥٥-٥٦٦هـ]^(١)

أبو المظفر ، يوسف بن المقتفي ، ولد سنة ثمان عشرة وخمس مئة ، وأمه :
أم ولد كرجية ، اسمها : طاووس .

خطب له أبوه بولاية العهد سنة سبع وأربعين ، وبويع له يوم موت أبيه .

وكان موصوفاً بالعدل والرفق ، أطلق من المكوس شيئاً كثيراً ؛ بحيث لم يترك
بالعراق مكساً ، وكان شديداً على المفسدين ؛ سجن رجلاً كان يسعى بالناس
مدة ، فحضر رجلٌ وبذل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال : (أنا أعطيك عشرة آلاف
دينار ، ودلني على آخر مثله ؛ لأحبسه وأكف شره)^(٢) .

قال ابن النجار : (وكان المستنجد موصوفاً بالفهم الثاقب ، والرأي
الصائب ، والذكاء الغالب ، والفضل الباهر ، له نظم بديع ، ونثر بليغ ، ومعرفة
بعمل آلات الفلك والإسطرلاب وغير ذلك)^(٣) .

[من شعر المستنجد بالله]

ومن شعره^(٤) :

[من الخفيف]

عَيَّرْتَنِي بِالشَّيْبِ وَهُوَ وَقَارُ لَيْتَهَا عَيَّرَتْ بِمَا هُوَ عَارُ
إِنْ تَكُنْ شَابَتِ الذَّوَائِبُ مِنِّي فَالْيَالِي تُزِينُهَا الْأَقْمَارُ

(١) انظر ترجمته في : « المتنظم » (١٣٩ / ١٨) ، و « الكامل » (٢٥٦ / ١١) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٥٥ / ٣٩) ، و « فوات الوفيات » (٣٥٨ / ٤) .

(٢) الروضتين (١٧٧ - ١٧٨) ، و « الكامل » (٣٦٢ / ١١) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٥٩ / ٣٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٦٠ / ٣٩) .

(٤) البيتان في « تاريخ الإسلام » (٢٥٨ - ٢٥٧ / ٢٩) .

[من السريع]

وله في بخيل^(١) :

وباخلٍ أشعلَ في بيتِهِ تَكْرِمَةً مِنْهُ لَنَا شَمْعَةً
فما جَرَّتْ مِنْ عَيْنِهَا دَمْعَةً حتَّى جَرَّتْ مِنْ عَيْنِهِ دَمْعَةً

وله في وزيره ابن هبيرة وقد رأى منه ما يعجبه من تدبير مصالح

[من الطويل]

المسلمين^(٢) :

صَفَتْ نِعْمَتَانِ خَصَّتَاكَ وَعَمَّتَا فذَكَرَهُمَا حتَّى الْقِيَامَةِ يُذَكَّرُ
وَجُودُكَ وَالذُّنْيَا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ وَجُودُكَ وَالْمَعْرُوفُ فِي النَّاسِ يَنْكُرُ
فَلَوْ رَامَ يَا يَحْيَى مَكَانَكَ جَعْفَرُ وَيَحْيَى لَكَفًا عَنْهُ يَحْيَى وَجَعْفَرُ
وَلَمْ أَرْ مَنْ يَنْوِي لَكَ الشُّوءَ يَا أَبَا أَل مُظَفَّرٌ إِلَّا كُنْتَ أَنْتَ الْمُظَفَّرُ

مات في ثمان ربيع الآخر ، سنة ست وستين .

وكان في أول سنة من خلافته : مات الفائز صاحب مصر ، وقام بعده العاضد

لدين الله ، آخر خلفاء بني عبيد^(٣) .

وفي سنة اثنتين وستين : جهز السلطان نور الدين الأمير أسد الدين شيركوه في

ألفي فارس إلى مصر ، فنزل بالجيزة ، وحاصر مصر نحو شهرين ، فاستنجد

صاحبها بالفرنج ، فدخلوا من دمياط لنجدته ، فرحل أسد الدين إلى الصعيد ، ثم

وقعت بينه وبين المصريين حرب انتصر فيها على قلة عسكره وكثرة عدوه ، وقتل

من الفرنج ألوفاً .

ثم جئى أسد الدين خراج الصعيد ، وقصد الفرنج الإسكندرية ، وقد أخذها

(١) البيتان في « خريدة القصر » (٢٠ / ١) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٥٨ / ٣٩) .

(٢) الأبيات في « المتنظم » (١٦٧ / ١٨) ، و « سير أعلام النبلاء » (٤٢٧ / ٢٠ - ٤٢٨) .

(٣) المتنظم (١٤٣ / ١٨) ، و تاريخ الإسلام (٣٠ / ٣٨) .

صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ وهو ابن أخ أسد الدين ، فحاصروها أربعة أشهر ، فتوجه أسد الدين إليهم فرحلوا عنها فرجع إلى الشام^(١) .

وفي سنة أربع وستين : قصدت الفرنج الديار المصرية في جيش عظيم ، فملكوا بُلَيْس ، وحاصروا القاهرة ، فأحرقها صاحبها خوفاً منهم ، ثم كاتب السلطان نور الدين يستنجد به ، فجاء أسد الدين بجيوشه ، فرحل الفرنج عن القاهرة لما سمعوا بوصوله ، ودخل أسد الدين ، فولاه العاضد صاحب مصر الوزارة ، وخلع عليه ، فلم يلبث أسد الدين أن مات بعد خمسة وستين يوماً ، فولى العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقلده الأمور ، ولقبه : الملك الناصر ، فقام بالسلطنة أتم قيام^(٢) .

ومن أخبار المستنجد : قال الذهبي : (ما زالت الحمرة الكثيرة تعرض في السماء منذ مرض ، وكانت ترمي ضوءها على الحيطان)^(٣) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : الدَّيْلَمِي صاحب « مسند الفردوس » ، والعِمْرَانِي صاحب « البيان » من الشافعية ، وابن البَرْزِي شافعي أهل الجزيرة ، والوزير ابن هُبَيْرَة ، والشيخ عبد القادر الجيلاني ، والإمام أبو سعد السَّمْعَانِي ، وأبو النجيب السَّهْرُورْدِي ، وأبو الحسن بن هذيل المقرئ ، وآخرون .

(١) الكامل (٣٢٤-٣٢٦/١١) ، وتاريخ الإسلام (١٠-٨/٣٩) .

(٢) الكامل (٣٣٥-٣٤٢/١١) ، وتاريخ الإسلام (١٧-١٢/٣٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٦/٣٩) .

خلافة المستضيء بأمر الله

(١) [٥٦٦-٥٧٥هـ]

الحسن ، أبو محمد بن المستنجد بالله ، ولد سنة ست وثلاثين وخمس مئة ، وأمه : أم ولد أرمنية ، اسمها : غضة ، بوع له بالخلافة يوم موت أبيه .

قال ابن الجوزي : (فنادى برفع المكوس ورد المظالم ، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا ، وفرق مالا عظيماً على الهاشميين والعلويين والعلماء والمدارس والربط ، وكان دائم البذل للمال ليس له عنده وقع ، ذا حلم وأناة ورأفة ، ولما استخلف . . خلع على أرباب الدولة وغيرهم ، فحكى خياط المخزن : أنه فصل ألفاً وثلاث مئة قباء إبريسم .

وخطب له على منابر بغداد ، ونثرت الدنانير كما جرت العادة ، وولى روح بن الحديثي القضاء ، وأمر سبعة عشر مملوكاً ، وللحيص بيص فيه : [من الخفيف]

يا إمام الهدى علوت عن الجو دِمالٍ وفضّةٍ ونضارٍ
فوهبت الأعمار والأمن والبلد لدانٍ في ساعةٍ مضت من نهارٍ
فماذا نثني عليك وقد جأ وزت فضل البحور والأمطارٍ
إنما أنت معجزٌ مُستقلٌ خارقٌ للعقول والأفكارٍ
جمعت نفسك الشريفةً بالباء سٍ وبالجود بين ماءٍ ونارٍ

قال ابن الجوزي : واحتجب المستضيء عن أكثر الناس ، فلم يركب إلا مع الخدم ، ولم يدخل عليه غير قيماز .

وفي خلافته : انقضت دولة بني عُبيد ، وخطب له بمصر ، وضربت السكة

(١) انظر ترجمته في : « المنتظم » (١٨ / ١٩٠) ، و « الكامل » (١١ / ٤٥٩) ، و « تاريخ الإسلام »

(٤٠ / ١٦٥) ، و « فوات الوفيات » (١ / ٣٧٠) ، و « البداية والنهاية » (١٢ / ٣٠٤) .

باسمه ، وجاء البشير بذلك ، فغلقت الأسواق ببغداد ، وعملت القباب ، وصنفتُ كتاباً سميته : « النصر على مصر » (هذا كلام ابن الجوزي ^(١) .

[ضعف الرفض وعودة الخطبة للعباسيين بمصر]

وقال الذهبي : (في أيامه ضعف الرفض ببغداد ووهي ، وأمن الناس ، ورزق سعادة عظيمة في خلافته ، وخطب له باليمن ، وبرقة ، وتوزر ، ومصر إلى أسوان ، ودانت الملوك بطاعته) ^(٢) ، وذلك سنة سبع وستين .

وقال العماد الكاتب : (استفتح السلطان صلاح الدين بن أيوب سنة سبع ، بجامع مصر كل طاعة وسمع ، وهو إقامة الخطبة في الجمعة الأولى منها بمصر لبني العباس ، وعفت البدعة ، وصفت الشرعة ، وأقيمت الخطبة العباسية في الجمعة الثانية بالقاهرة ، وأعقب ذلك موت العاضد في يوم عاشوراء ، وتسلم صلاح الدين القصر بما فيه من الذخائر والنفائس ؛ بحيث استمر البيع فيه عشر سنين غير ما اصطفاه صلاح الدين لنفسه ، وسير السلطان نور الدين بهذه البشارة شهاب الدين المطهر ابن العلامة شرف الدين ابن أبي عصرون إلى بغداد ، وأمرني بإنشاء بشارة عامة تقرأ في سائر بلاد الإسلام ، فأنشأت بشارة أولها :

الحمد لله معلي الحق ومعلنه ، وموهي الباطل وموهنه . . . ومنها : ولم يبق بتلك البلاد منبر إلا وقد أقيمت عليه الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين ، وتمهّدت جوامع الجمع ، وتهدّمت صوامع البدع . . . إلى أن قال : وطالما مرت عليها الحقب الخوالي ، وبقيت مئتين وثمان سنين ؛ ممنونة بدعوة المبطلين ، مملوءة بحزب الشياطين ، فملكنا الله تلك البلاد ، ومكّن لنا في الأرض ، وأقدرنا على ما كنا نؤمل من إزالة الإلحاد والرفض ، وتقّدمنا إلى من استنبناه أن يقيم الدعوة العباسية هنالك ، ويورد الأدعياء ودعاة الإلحاد بها (المهالك) .

(١) المنتظم (١٨/١٩٠-١٩٦) ، وتاريخ الإسلام (٤٠/١٦٦-١٦٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٠/١٦٧) .

[من الخفيف]

وللعماد قصيدة في ذلك منها :

قد خَطَبْنَا للمستضيء بمصرٍ نائبِ المُصطفى إمامِ العصرِ
وَحَذَلْنَا لِنَصْرِهِ العَصْدَ العَا ضِدَّ والقاصِرَ الذي بالقصرِ
وَتَرَكْنَا الدَّعِيَّ يَدْعُو بُوراً وهو بالذُّلِّ تحتَ حَجَرٍ وحَصِرِ

وأرسل الخليفة في جواب البشارة الخلع والتشريفات لنور الدين وصلاح الدين ، وأعلاماً وبنوداً للخطباء بمصر ، وسيّر للعماد الكاتب خلعةً ومئة دينار ، فعمل قصيدةً أخرى منها :

أدَالَتْ بمصرَ لداعي الهدا ة وانتَقَمْتَ من دَعِيِّ اليهودِ^(١)

وقال ابن الأثير : (السبب في إقامة الخطبة العباسية بمصر : أن صلاح الدين لما ثَبَّتَ قدمه وضعف أمر العاضد . . كتب إليه نور الدين يأمره بذلك ، فاعتذر بالخوف من وثوب المصريين ، فلم يُصغِ إلى قوله ، وأرسل إليه يلزمه بذلك ، واتفق أن العاضد مرض ، فاستشار صلاح الدين أمراءه : فمنهم من وافق ، ومنهم من خاف ، وكان قد دخل مصر أعجمي يعرف بالأمير العالم ، فلما رأى ما هم فيه من الإحجام . . قال : أنا أبتدىء بها .

فلما كان أول جمعة من المحرم . . صعد المنبر قبل الخطيب ودعا للمستضيء ، فلم ينكر ذلك أحد ، فلما كان الجمعة الثانية . . أمر صلاح الدين الخطباء بقطع خطبة العاضد ، ففعل ذلك ولم يَنْتَطح فيها عَنَزَان ، والعاضد شديد المرض ، فتوفي في يوم عاشوراء^(٢) .

وفي سنة تسع وستين : أرسل نور الدين إلى الخليفة بتقادم وتحف ؛ منها : حمار مخطط [مثل] ثوب عتابي ، وخرج الخلق للفرجة عليه ، وكان فيهم رجل

(١) تاريخ الإسلام (٣٩/٣٤ - ٤٠) .

(٢) الكامل (١١/٣٦٨ - ٣٦٩) ، وتاريخ الإسلام (٣٩/٣٩ - ٤٠) .

عتابي كثير الدعاوي ، وهو بليد ناقص الفضيلة ، فقال رجل : (إن كان قد بعث إلينا حمار عتابي . . فنحن عندنا عتابي حمار)^(١) .

وفيها : وقع برّدٌ بالسواد كالنارنج ، هدم الدور ، وقتل جماعة وكثيراً من المواشي ، وزادت دجلة زيادة عظيمة ، بحيث غرقت بغداد ، وصليت الجمعة خارج السور ، وزادت الفرات أيضاً ، وأهلكت قرى ومزارع ، وابتهلت الخلق إلى الله تعالى ، ومن العجائب : أن هذا الماء على هذه الصفة ودجيل قد هلك مزارعه بالعطش^(٢) .

وفيها : مات السلطان نور الدين ، وكان صاحب دمشق وابنه الملك الصالح إسماعيل وهو صبي ، فتحرّكت الفرنج بالسواحل ، فصولحوا بمال وهودنوا^(٣) . وفيها : أراد جماعة من شيعة العبيديين ومحبيهم إقامة الدعوة وردها إلى آل العاضد ، ووافقهم جماعة من أمراء صلاح الدين ، فاطلع صلاح الدين على ذلك ، فصلبهم بين القصرين^(٤) .

وفي سنة اثنتين وسبعين : أمر صلاح الدين ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة ، وجعل على بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش^(٥) .

قال ابن الأثير : (دوره : تسعة وعشرون ألف ذراع وثلاث مئة ذراع بالهاشمي)^(٦) .

وفيها : أمر بإنشاء قلعة بجبل المُقَطَّم ، وهي التي صارت دار السلطنة ، ولم تتم إلا في أيام السلطان الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين ، وهو أول من سكنها^(٧) .

(١) المتظم (٢٠٣/١٨ - ٢٠٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/٣٩ - ٤٩) ، والبداية والنهاية (٢٧٣/١٢) .

(٢) المتظم (٢٠٧/١٨) ، والكامل (٤٠٩/١١) ، وتاريخ الإسلام (٤٩/٣٩ - ٥٠) .

(٣) الكامل (٤٠٨/١١) ، وتاريخ الإسلام (٥٤/٣٩) .

(٤) الكامل (٣٩٨/١١ - ٤٠٠) ، وتاريخ الإسلام (٥٤/٣٩ - ٥٥) .

(٥) الكامل (٤٣٧/١١) ، وتاريخ الإسلام (١٥/٤٠) .

(٦) الكامل (٤٣٧/١١) ، وتاريخ الإسلام (١٥/٤٠) .

(٧) تاريخ الإسلام (١٥/٤٠) .

وفيهما : بنى صلاح الدين تربة الإمام الشافعي ^(١) .

وفي سنة أربع وسبعين : هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل ، وظهرت أعمدةٌ مثل النار في أطراف السماء ، واستغاث الناس استغاثة شديدة ، وبقي الأمر على ذلك إلى السحر ^(٢) .

وفي سنة خمس وسبعين : مات الخليفة المستضيء في سلخ شوال ، وعهد إلى ابنه أحمد ^(٣) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المستضيء من الأعلام : ابن الخشّاب النحوي ، وملك النحاة أبو نزار الحسن بن صافي ، والحافظ أبو العلاء الهَمْدَانِي ، وناصر الدين بن الدهان النحوي ، والحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر من حفدة الشافعي ، والْحَيْصَ بَيْصَ الشاعر ، والحافظ أبو بكر بن خير ، وآخرون .

(١) تاريخ الإسلام (١٦/٤٠) .

(٢) المتظم (٢٥٢/١٨) ، وتاريخ الإسلام (٢٧/٤٠) .

(٣) المتظم (١٩٠/١٨) ، وتاريخ الإسلام (٣٥/٤٠) .

خلافة الناصر لدين الله

[٥٧٥-٦٢٢هـ]^(١)

أحمد ، أبو العباس بن المستضيء بأمر الله ، ولد يوم الاثنين عاشر رجب ، سنة ثلاث وخمسين وخمس مئة ، وأمه : تركية ، اسمها : زمرد ، وبويع له عند موت أبيه في مستهل ذي القعدة ، سنة خمس وسبعين .

وأجاز له جماعة ؛ منهم : أبو الحسين عبد الحق اليوسفي ، وأبو الحسن علي بن عساكر البطائحي ، وشهدة .

وأجاز هو لجماعة ، فكانوا يحدثون عنه في حياته ، ويتنافسون في ذلك ؛ رغبة في الفخر لا في الإسناد^(٢) .

قال الذهبي : (ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه)^(٣) ؛ فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة .

ولم تزل مدة حياته في عزٍّ وجلالةٍ وقمعٍ للأعداء ، واستظهارٍ على الملوك ، ولم يجد ضيماً ، ولا خرج عليه خارجي إلا قمعه ، ولا مخالف إلا دمغه ، وكل من أضمر له سوءاً . . رماه الله بالخذلان .

وكان مع سعادة جده شديد الاهتمام بمصالح الملوك ، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم ، وأصحاب أخباره في أقطار البلاد يوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة .

وكانت له حيل لطيفة ، ومكائد غامضة ، وخدع لا يفطن لها أحد ، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون ، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون .

(١) انظر ترجمته في : « الكامل » (٤٣٨ / ١٢ - ٤٤٠) ، و « وفيات الأعيان » (٦٦ / ١ - ٦٨) ، و « تاريخ الإسلام » (٨٣ / ٤٥) ، و « فوات الوفيات » (٦٦ / ١) ، و « البداية والنهاية » (١٠٦ / ١٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨٤ / ٤٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٨٤ / ٤٥) .

[قصة ما زنديار مع الخليفة الناصر]

ولما دخل رسول صاحب ما زنديار بغداد . . كانت تأتيه ورقة كل صباح بما عمل في الليل ، فصار يبالي في التكتّم والورقة تأتيه ، فاختلّ ليلةً بامرأة دخلت من باب السر ، فصبّحت الورقة بذلك ؛ وفيها : كان عليكم دواج فيه صورة الأفيلة ، فتحير ، وخرج من بغداد وهو لا يشك أن الخليفة يعلم الغيب ؛ لأن الإمامية يعتقدون أن الإمام المعصوم يعلم ما في بطن الحامل ، وما وراء الجدار .
وأتى رسول خوارزم شاه برسالة مخفية وكتاب مختوم ، فقبل له : ارجع ، فقد عرفنا ما جئت به ، فرجع وهو يظن أنهم يعلمون الغيب^(١) .
قال الذهبي : (قيل : إن الناصر كان مخدوماً من الجن)^(٢) .

ولما ظهر خوارزم شاه بخراسان وما وراء النهر ، وتجبر وطفى ، واستعبد الملوك الكبار ، وأباد أمماً كثيرة ، وقطع خطبة بني العباس من بلاده ، وقصد بغداد ، فوصل إلى همذان ، فوقع عليهم ثلج عظيم عشرين يوماً ، فغطّاهم في غير أوانه ، فقال له بعض خواصه : إن ذلك غضب من الله حيث قصدت بيت النبوة .
وبلغه : أن أمم الترك قد تألبوا عليه ، وطمعوا في البلاد ؛ لبعده عنها ، فكان ذلك سبب رجوعه ، وكفى الناصر شره بلا قتال^(٣) .

[كرم الخليفة الناصر]

وكان الناصر إذا أطعم . . أشبع ، وإذا ضرب . . أوجع ، وله مواطن يعطي فيها عطاء من لا يخاف الفقر .
ووصل رجلٌ معه ببغاء تقرأ : (قل هو الله أحد) تحفة للخليفة من الهند ، فأصبحت ميتة ، وأصبح حيران ، فجاءه فرّاش يطلب منه البغاء ، فبكى وقال : الليلة ماتت ، فقال : قد عرفنا هاتها ميتة ، وقال : كم كان ظنك أن يعطيك الخليفة ؟ قال : خمس مئة دينار .

(١) تاريخ الإسلام (٨٦/٤٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨٦/٤٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٨٥/٤٥) .

فقال : هذه خمس مئة دينار ، خذها فقد أرسلها إليك الخليفة ؛ فإنه علم بحالك منذ خرجت من الهند .

[قصة فرس الفقيه وما جرى معه]

وكان صدرجهان قد صار إلى بغداد ومعه جمع من الفقهاء ، وواحد منهم لما خرج من داره من سمرقند على فرس جميلة ، فقال له أهله : لو تركتها عندنا لئلا تؤخذ منك في بغداد ؟!

فقال : الخليفة لا يقدر أن يأخذها مني ، فأمر بعض الوقادين : أنه حين يدخل بغداد يضربه ، ويأخذها منه ، ويهرب في الزحمة ، ففعل .

فجاء الفقيه يستغيث فلا يغاث ، فلما رجعوا من الحج . . خلع على صدرجهان وأصحابه ، وخلع على ذلك الفقيه ، وقدمت له فرسه وعليها سرج من ذهب وطوق ، وقيل له : لم يأخذ فرسك الخليفة ، إنما أخذها أتوني ، فخر مغشياً عليه ، وأسجل بكرامتهم^(١) .

[هبة الناصر في قلوب الرعية]

وقال الموفق عبد اللطيف : (كان الناصر قد ملأ القلوب هبة وخيفة ، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد ، فأحيا هبة الخلافة ، وكانت قد ماتت بموت المعتصم ، ثم ماتت بموته .

وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره في خلواتهم . . خفضوا أصواتهم هبة وإجلالاً ، وورد بغداد تاجر ومعه متاع دمياط المذهب ، فسألوه عنه فأنكر ، فأعطي علامات فيه ؛ من عدده وألوانه وأصنافه ، فازداد إنكاره ، فقيل له : من العلامات : أنك نقتم على مملوكك التركي فلان ، فأخذته إلى سيف بحر دمياط خلوة ، وقتلته ودفنته هناك ولم يشعر بذلك أحد !!)^(٢) .

(١) تاريخ الإسلام (٨٧ / ٤٥) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨٩ / ٤٥) .

وقال ابن النجار : (دانت السلاطين للناصر ، ودخل تحت طاعته من كان من المخالفين ، وذلت له العتاة والطغاة ، وانقهرت بسيفه الجبابرة ، واندحض أعداؤه ، وكثر أنصاره ، وفتح البلاد العديدة ، وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدمه من الخلفاء والملوك ، وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين ، وكان أسد بني العباس ، تتصدع لهيبته الجبال ، وكان حسن الخلق ، لطيف الخلق ، كامل الظرف ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، له التوقيعات المسددة ، والكلمات المؤيدة ، كانت أيامه غرة في وجه الدهر ، ودرة في تاج الفخر)^(١) .

وقال ابن واصل : (كان الناصر شهماً شجاعاً ، ذا فكرة صائبة وعقل رصين ، ومكر ودهاء ، وله أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف ، يطالعونه بجزئيات الأمور ، حتى ذكر أن رجلاً ببغداد عمل دعوة وغسل يده قبل أضيافه ، فطالع صاحب الخبر الناصر بذلك ، فكتب في جواب ذلك : سوء أدب من صاحب الدار ، وفضول من كاتب المطالعة) .

قال : (وكان مع ذلك رديء السيرة في الرعية ، مائلاً إلى الظلم والعسف ، ففارق أهل البلاد بلادهم ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل أفعالاً متضادة ، وكان يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية ، بخلاف آبائه ، حتى إن ابن الجوزي سئل بحضرته : من أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أفضلهم بعده : من كانت ابنته تحته ، ولم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر)^(٢) .

وقال ابن الأثير : (كان الناصر سيء السيرة ، خربت في أيامه العراق مما أحدثه من الرسوم ، وأخذ أموالهم وأملاكهم ، وكان يفعل الشيء وضده ، وكان يرمي بالبندق ويغوي الحمام)^(٣) .

وقال الموفق عبد اللطيف : (وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث ، واستتاب نواباً في الإجازة عنه والتسميع ، وأجرى عليهم جرايات ، وكتب

(١) تاريخ الإسلام (٨٩/٤٥) .

(٢) مفرج الكرب (١٦٣/٤) ، وتاريخ الإسلام (٩٠/٤٥) .

(٣) الكامل (٤٤٠/١٢) .

للملوك والعلماء إجازات ، وجمع كتاباً سبعين حديثاً ، ووصل إلى حلب وسمعه الناس^(١) .

قال الذهبي : (أجاز الناصر لجماعة من الأعيان فحدثوا عنه ؛ منهم : ابن سَكينة ، وابن الأخضر ، وابن النجار ، وابن الدامغاني وآخرون)^(٢) .

قال أبو المظفر سبط الجوزي وغيره : (قلَّ بصر الناصر في آخر عمره ، وقيل : ذهب جلُّه ، ولم يشعر بذلك أحد من الرعية حتى الوزير وأهل الدار ، وكان له جارية قد علمها الخط بنفسه ، فكانت تكتب مثل خطه فتكتب على التواقيع)^(٣) .

وقال شمس الدين الجزري : (كان الماء الذي يشربه الناصر تأتي به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ، ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ، ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام ، ثم يشرب منه ، وبعد هذا مات . . حتى سقي المُرْقَد مرات^(٤) ، وشُقَّ ذكره وأُخرج منه الحصى^(٥) ، ومات منه يوم الأحد ، سلخ رمضان ، سنة اثنتين وعشرين وست مئة) .

ومن لطائفه : أن خادماً له اسمه يمن كتب إليه ورقة فيها عتب ، فوقع فيها :

بِمَنْ يَمَنْ يُمَنْ ثَمَنْ يُمَنْ ثَمَنْ يُمَنْ^(٦)

ولما تولى الخلافة . . بعث إلى السلطان صلاح الدين بالخلع والتقليد ، وكتب إليه السلطان كتاباً يقول فيه : (والخادم - والله الحمد - يعدُّ سوابق في الإسلام والدولة العباسية لا يعدها أوليَّة أبي مسلم ؛ لأنه والي ثم واري ، ولا آخريَّة طُغْرُبُك ؛ لأنه نصر ثم حجر ، والخادم خلع من كان ينزع الخلافة رداءها ،

(١) تاريخ الإسلام (٨٨ / ٤٥ - ٨٧) .

(٢) تاريخ الإسلام (٨٨ / ٤٥) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٩١ / ٤٥) .

(٤) المُرْقَد : دواء يرقد شاربه وينومه .

(٥) تاريخ الإسلام (٩١ / ٤٥) .

(٦) تاريخ الإسلام (٩٠ / ٤٥) .

وأساغ الغصة التي ذخر الله للإساعة في سيفه ماءها ، فرجّل الأسماء الكاذبة الراكبة على المنابر ، وأعزّ بتأييد إبراهيمي ، فكسر الأصنام الباطنة بسيفه الظاهر^(١) .

ومن الحوادث في أيامه مثورة

في سنة سبع وسبعين : أرسل الملك الناصر يعاتب السلطان صلاح الدين في تسميته بالملك الناصر ، مع علمه أن الخليفة اختار هذه التسمية لنفسه^(٢) .

وفي سنة ثمانين : جعل الخليفة مشهد موسى الكاظم أمناً لمن لا ذبه ، فالتجأ إليه خلُقٌ ، وحصل بذلك مفسد^(٣) .

وفي سنة إحدى وثمانين : ولد بالعلث ولد طول جبهته شبر وأربع أصابع ، وله أذن واحدة^(٤) .

وفيها : وردت الأخبار بأنه خطب للناصر بمعظم بلاد المغرب^(٥) .

[بيان كذب المنجمين]

وفي سنة اثنتين وثمانين : اجتمع الكواكب الستة في الميزان ، فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح ، فشرع الناس في حفر مغارات في التُّخوم وتوثيقها ، وسد منافسها على الريح ، ونقلوا إليها الماء والزاد ، وانتقلوا إليها ، وانتظروا الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد ؛ وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة ، فلم يأت فيها شيء ، ولا هب فيها نسيم ؛

(١) طبقات الشافعية الكبرى (٣٦٨/٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٥/٤٠-٤١) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٤/٤٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥٨/٤٠) .

(٤) تاريخ الإسلام (٥/٤١) .

(٥) الكامل (٥٢١/١١) ، وتاريخ الإسلام (٥/٤١) .

بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك فيها ريح تطفئها ، وعملت الشعراء في ذلك ،
فمما قيل فيه قول أبي الغنائم محمد بن المعلم^(١) :

[من المنسرح]

قُلْ لأبي الفضلِ قولَ معترفٍ	مَضَى جُمَادَى وجاءَنَا رَجَبُ
وما جَرَتْ زَغَزَعاً كما حَكَمُوا	ولا بَدَا كوكبٌ له ذَنَبُ
كلاً ولا أَظْلَمْتُ ذُكَاءً ولا	أُبَدَّتْ إِذن في قرانها الشُّهْبُ
يُقْضِي عليها مَنْ ليسَ يَعْلَمُ ما	يُقْضَى عليه هَذَا هو العَجَبُ
قد بانَ كَذِبُ المنجمينَ وفي	أَيِّ مقالٍ قالوا فما كَذَبُوا

[اتفاق عجيب]

وفي سنة ثلاث وثمانين : اتفق أن أول يوم في السنة كان أول أيام الأسبوع ،
وأول السنة الشمسية وأول سني الفرس ، والشمس والقمر في أول البرج ، وكان
ذلك من الاتفاقات العجيبة^(٢) .

[فتوحات السلطان صلاح الدين]

وفيها : كانت الفتوحات الكثيرة ، أخذ السلطان صلاح الدين كثيراً من البلاد
الشامية التي كانت بيد الفرنج ، وأعظم ذلك بيت المقدس ، وكان بقاؤه في يد
الفرنج إحدى وتسعين سنة ، وأزال السلطان ما أحدثه الفرنج من الآثار ، وهدم
ما أحدثوه من الكنائس ، وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية ، فجزاه الله عن
الإسلام خيراً ، ولم يهدم القمامة اقتداءً بعمر رضي الله عنه ؛ حيث لم يهدمها لما
فتح بيت المقدس ، وقال في ذلك محمد بن أسعد النسابة^(٣) :

[من الكامل]

أَتَرى مَناماً ما بَعيني أَبْصِرُ القدسُ يُفتح والنَّصارى تُكسَرُ

(١) الخبر مع الأبيات في « تاريخ الإسلام » (١٠/١١ - ١١) ، وانظر « الكامل » (١١/٥٢٨) ، و « البداية
والنهاية » (٣١٩/٢) .

(٢) الكامل (١١/٥٢٩) ، وتاريخ الإسلام (١٥/٤١) .

(٣) الخبر والأبيات في « تاريخ الإسلام » (٢٧/٢٨ - ٢٨) .

وَقُمَامَةٌ قُمَّتْ مِنَ الرَّجْسِ الَّذِي بَزَوَالِهِ وَزَوَالِهَا يَتَطَهَّرُ
وَمَلِكُهُمْ فِي الْقَيْدِ مَصْفُودٌ وَلَمْ يُرَ قَبْلَ ذَلِكَ لَهُمْ مَلِكٌ يُؤَسَّرُ
قَدْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ الَّذِي وَعَدَ الرَّسُولَ فَسَبَّحُوا وَاسْتَغْفِرُوا
يَا يَوْسُفُ الصَّدِيقُ أَنْتَ لِفَتْحِهَا فَارُوقُهَا عَمَرُ الْإِمَامِ الْأَظْهَرُ

من الغريب : أن ابن بَرَّجَان ذكر في تفسير : ﴿الْمَرْءُ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ : أن بيت المقدس يبقى في يد الروم إلى سنة ثلاث وثمانين وخمس مئة ، ثم يُغْلَبُونَ ويفتح ويصير دار إسلام إلى آخر الأبد ؛ أخذاً من حساب الآية ، فكان كذلك^(١) .
قال أبو شامة : وهذا الذي ذكره ابن بَرَّجَان من عجائب ما اتفق ، وقد مات ابن بَرَّجَان قبل ذلك بدهر فإن وفاته سنة^(٢) .

[وفاة القائد صلاح الدين وتركته]

وفي سنة تسع وثمانين : مات السلطان صلاح الدين رحمه الله ، فوصل إلى بغداد الرسول وفي صحبته لأمة الحرب التي لصلاح الدين ، وفرسه ، ودينار واحد ، وستة وثلاثون درهماً لم يخلف من المال سواها ، واستقرت مصر لابنه عماد الدين عثمان الملك العزيز ، ودمشق لابنه الملك الأفضل نور الدين علي ، وحلب لابنه الملك الظاهر غياث الدين غازي^(٣) .

وفي سنة تسعين : مات السلطان طُغْرَيْل^(٤) شاه بن أَرْسَلَان بن طُغْرَيْل بن محمد بن ملك شاه ؛ وهو آخر ملوك السلجوقية^(٥) .
قال الذهبي : (وكان عددهم نيفاً وعشرين ملكاً ، أولهم : طُغْرَيْلُكَ

(١) وفيات الأعيان (٢٣٠ / ٤) ، وسير أعلام النبلاء (٣٦٠ / ٢١) .
(٢) في النسخ بعدها بياض ، وابن بَرَّجَان هو عبد السلام بن عبد الرحمن ، مات سنة (٥٣٦ هـ) ، وانظر « الروضتين » (١٧٠ / ٣) .
(٣) الكامل (٩٨ - ٩٥ / ١٢) ، وتاريخ الإسلام (٩٠ / ٤١) .
(٤) في « تاريخ الإسلام » : (ويقال : طغرل بحذف الياء) .
(٥) الكامل (١٠٦ / ١٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٧٧ - ٣٧٦ / ٤١) .

الذي أعاد القائم إلى بغداد ، ومدة دولتهم مئة وستون سنة (١) .

وفي سنة اثنتين وتسعين وخمس مئة : هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا ، ووقع على الناس رمل أحمر ، ووقع من الركن اليماني قطعة (٢) .

وفيها : عسكر خوارزم شاه ، فعدا جيحون في خمسين ألفاً ، وبعث إلى الخليفة يطلب السلطنة وإعادة دار السلطنة إلى ما كانت ، وأن يجيء إلى بغداد ، ويكون الخليفة من تحت يده كما كانت الملوك السلجوقية ، فهدم الخليفة دار السلطنة ، ورد رسوله بلا جواب ، ثم كفى الله شره ؛ كما تقدم (٣) .

وفي سنة ثلاث وتسعين : انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه صوت هائل ، واهتزت الدور والأماكن ، فاستغاث الناس وأعلنوا بالدعاء ، وظنوا ذلك من أمارات القيامة (٤) .

وفي سنة خمس وتسعين : مات الملك العزيز بمصر ، وأقيم ابنه المنصور بدله ، فوثب الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب وتملكها ، ثم أقام بها ابنه الملك الكامل (٥) .

[شدة الغلاء وأكل الناس الجيف]

وفي سنة ست وتسعين : توقف النيل بمصر ؛ بحيث كسر ولم يكمل ثلاثة عشر ذراعاً ، فكان الغلاء المفرط ؛ بحيث أكلوا الجيف والآدميين ، وفشا أكل بني آدم ، واشتهر ورئي من ذلك العجب العجائب ، وتعدوا إلى حفر القبور وأكل

(١) تاريخ الإسلام (٣٧٧/٤١) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٢/٤٢) ، وفي « الكامل » (١٢/١٢٣) ، و « البداية والنهاية » (١٢/١٣) : (هبت ريح شديدة بالعراق . . .) ، ولم يُذكر عندهما سقوط قطعة من الركن اليماني .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (١٢/٤٢) ، وانظر ما تقدم (ص ٦٨٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٥/٤٢) .

(٥) انظر « الكامل » (١٢/١٤٠-١٤٥) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٣/٤٢-٢٥) .

الموتى ، وتمزق أهل مصر كل ممزق ، وكثر الموت من الجوع ؛ بحيث كان الماشي لا يقع قدمه أو بصره إلا على ميت ، أو من هو في السياق ، وهلك أهل القرى قاطبة ؛ بحيث إن المسافرين يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار ، ويجد البيوت مفتحة وأهلها موتى^(١) .

وقد حكى الذهبي في ذلك حكايات يقشعر الجلد من سماعها ، قال : (وصارت الطرق مزرعة بالموتى ، ومأدبة بلحومهم للطير والسباع ، وأبيعت الأحرار والأولاد بالدراهم اليسيرة ، واستمر ذلك إلى أثناء سنة ثمان وتسعين)^(٢) .

وفي سنة سبع وتسعين : جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة ، فأخربت أماكن كثيرة وقلاعاً ، وخسفت قرية من أعمال بصرى^(٣) .

وفي سنة تسع وتسعين في سلخ المحرم : ماجت النجوم ، وتطايرت تطاير الجراد ، ودام ذلك إلى الفجر ، وانزعج الخلق وضجوا إلى الله تعالى ، ولم يعهد ذلك إلا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤) .

وفي سنة ست مئة : هجم الفرنج إلى النيل من رشيد ، ودخلوا بلد فُؤة فنهبوا ، واستباحوها ورجعوا^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٣٠/٤٢) ، والخبر في « الكامل » (١٧٠/١٢) ، و « البداية والنهاية » (٢٦/١٣) من حوادث سنة ٥٩٧ هـ .

(٢) تاريخ الإسلام (٣١/٤٢ - ٣٥) .

(٣) الكامل (١٧٠/١٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٦/٤٢ - ٣٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٢) .

(٥) الكامل (١٩٨/١٢) ، وتاريخ الإسلام (٥٢/٤٢) .

وفي سنة إحدى وست مئة : تغلبت الفرنج على القُسطنطينية ، وأخرجوا الروم منها ، وكانت بأيدي الروم من قبل الإسلام ، واستمرت بيد الفرنج إلى سنة ستين وست مئة ، فاستعادها منهم الروم^(١) .

وفيها - أي : سنة إحدى - : ولدت امرأة بَقْطُفًا ولدًا برأسين ويدين وأربعة أرجل ، ولم يعيش^(٢) .

وفي سنة ست وست مئة : كان ابتداء أمر التتار ، وسيأتي شرح حالهم^(٣) .

وفي سنة خمس عشرة : أخذت الفرنج من دمياط برج السلسلة^(٤) .

قال أبو شامة : (وهذا البرج كان قفل الديار المصرية ، وهو برج عالٍ في وسط النيل ، ودمياط بحذائه من شرقيه ، والجيزة بحذائه من غربيه ، وفي ناحيته سلسلتان ؛ تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى الجيزة ، يمنعان عبور المراكب من البحر المالح)^(٥) .

وفي سنة ست عشرة : أخذت الفرنج دمياط بعد حروب ومحاصرات ، وضعف المَلِك الكامل عن مقاومتهم ، فبدعوا فيها ، وجعلوا الجامع كنيسة ، فابتنى الملك الكامل مدينة عند مفرق البحرين وسماها المنصورة ، وبنى عليها سوراً ونزلها بجيشه^(٦) .

وفي هذه السنة : كاتبه قاضي القضاة زكي الدين الطاهر ، وكان الملك

(١) تاريخ الإسلام (٨/٤٢ و ٨/٤٨) .

(٢) الكامل (٢٠٦/١٢) ، وتاريخ الإسلام (٨/٤٢) .

(٣) انظر ما سيأتي (ص ٧١١) .

(٤) تاريخ الإسلام (٢٠/٤٤) .

(٥) الذيل على الروضتين (ص ١٠٩) .

(٦) انظر « الكامل » (١٢/٣٢٤ - ٣٢٦) في حوادث سنة (٦١٤هـ) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٧/٤٤ -

(٣١) .

المعظم صاحب دمشق في نفسه منه ، فأرسل له بقجة فيها قباء وكلوثة^(١) ، وأمره بلبسها بين الناس في مجلس حكمه ، فلم يمكنه الامتناع ، ثم قام ودخل داره ، ولزم بيته ، ومات بعد أشهر قهراً ، ورمى قطعاً من كبده ، وتأسف الناس لذلك ، واتفق أن الملك المعظم أرسل في عقب ذلك إلى الشرف بن عَين حين تزهد خمراً ونرداً ، وقال : سبح بهذا ، فكتب إليه^(٢) :

[من الكامل]

يا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَعْظَمُ سُنَّةٌ أَحَدْتُهَا تَبْقَى إِلَى الْآبَادِ
تَجْرِي الْمُلُوكُ عَلَى طَرِيقِكَ بَعْدَهَا خَلَعَ الْقِضَاةَ وَتُحَفَةُ الزُّهَادِ

وفي سنة ثمان عشرة : استردت دمياط من الفرنج ، فله الحمد^(٣) .

وفي سنة إحدى وعشرين : بنيت دار الحديث الكاملية بالقاهرة بين القصرين ، وجعل شيخها أبو الخطاب ابن دحية^(٤) .

وكانت الكعبة تكسى الديباج الأبيض من أيام المأمون إلى الآن ، فكساها الناصر ديباجاً أخضر ، ثم كساها ديباجاً أسود ، فاستمر إلى الآن .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام الناصر من الأعلام : الحافظ أبو طاهر السِّلَفي ، وأبو الحسن بن العَصَّار اللغوي ، والكمال أبو البركات ابن الأنباري ، وسيدي أحمد الرفاعي الزاهد ، وابن بَشْكُوَال ، ويونس والد بني يونس من الشافعية ، وأبو بكر ابن طاهر الخَدَبَ النحوي ، وأبو الفضل والد الرفاعي ، وابن مَلَكُون النحوي ، وعبد الحق الإشبيلي صاحب « الأحكام » ، وأبو زيد الشَّهيلي صاحب

(١) الكلوثة : غطاء للرأس ، تلبس وحدها أو بعمامة ، وهي مما استحدثه سلاطين الأيوبيين بمصر .

(٢) الخبر في « تاريخ الإسلام » (٣٢/٤٤ - ٣٣) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٩٤) .

(٣) الكامل (٣٢٦/١٢) ، وتاريخ الإسلام (٥٥/٤٤) .

(٤) تاريخ الإسلام (٦/٤٥) .

« الروض الأنف » ، والحافظ أبو موسى المديني ، وابن بَرِّي اللغوي ، والحافظ أبو بكر الحازمي ، والشرف ابن أبي عصرون ، وأبو القاسم البخاري العتّابي صاحب « الجامع الكبير » من كبار الحنفية ، والنجم الخُبُوشاني المشهور بالصلاح ، وأبو القاسم بن فيرة الشاطبي صاحب القصيدة ، وفخر الدين أبو شجاع محمد بن علي بن شعيب بن الدهان الفرضي ؛ أول من وضع الفرائض على شكل المنبر ، والبرهان المَرغيناني صاحب « الهداية » من الحنفية ، وقاضي خان صاحب « الفتاوى » منهم ، وعبد الرحيم بن حجّون الزاهد بالصعيد ، وأبو الوليد ابن رشد صاحب العلوم الفلسفية ، وأبو بكر ابن زهر الطبيب ، والجمال بن فَضْلان من الشافعية ، والقاضي الفاضل صاحب الإنشاء والترسل ، والشهاب الطُوسي ، وأبو الفرج بن الجوزي ، والعماد الكاتب ، وابن عزيمة المقرئ ، والحافظ عبد الغني المقدسي صاحب « العمدة » ، والركن الطاووسي صاحب الخلاف ، وشُمَيْم الحلبي ، وأبو ذر الخُشَني النحوي ، والإمام فخر الدين الرازي ، وأبو السعادات المجد ابن الأثير صاحب « جامع الأصول » و« نهاية الغريب » ، والعماد بن يونس صاحب « شرح الوجيز » ، والشرف شارح « التنبيه » ، والحافظ أبو الحسن بن المفضل ، وأبو محمد بن حوط الله ، وأخوه أبو سليمان ، والحافظ عبد القادر الرُّهاوي ، والزاهد أبو الحسن بن الصباغ بَقْتًا ، والوجيه ابن الدهان النحوي ، وِثْقِي الدين المقْتَرَح ، وأبو اليمن الكندي النحوي ، والمعين الجاجَرُمي صاحب « الكفاية » من الشافعية ، والركن العميدي صاحب « الطريقة في الخلاف » ، وأبو البقاء العُكْبَرِي صاحب « الإعراب » ، وابن أبي أُصَيْبَةَ الطبيب ، وعبد الرحيم بن السَّمْعَانِي ، ونجم الدين الكُبْرِي^(١) ، وابن أبي الصيف اليمني ، وموفق الدين بن قدامة الحنبلي ، وفخر الدين بن عساكر ، وخلائق آخرون .

(١) كذا ضبطه الصفدي في « الرافعي بالوفيات » (٢٦٣/٧) ، وقال السبكي في « الطبقات » (٢٥/٨) :
الكبرى على صيغة فعلى كعظمي ، والله تعالى أعلم .

خلافة الظاهر بأمر الله

[٦٢٢-٦٢٣هـ] ^(١)

أبو نصر ، محمد بن الناصر لدين الله ، ولد سنة إحدى وسبعين وخمس مئة ، وباع له أبوه بولاية العهد ، واستخلف عند موت والده وهو ابن اثنتين وخمسين سنة ، ف قيل له : ألا تتفسح ؟ قال : لقد لَقِسَ الزرع ، ف قيل : يبارك الله في عمرك ، قال : من فتح دكاناً بعد العصر . . أيش يكسب ؟ !
ثم إنه أحسن إلى الرعية ، وأبطل المكوس ، وأزال المظالم ، وفرَّق الأموال ، ذكر ذلك أبو شامة ^(٢) .

[إظهار الخليفة للعدل]

وقال ابن الأثير في « الكامل » : (لما ولي الظاهر . . أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين ، فلو قيل : ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله . . لكان القائل صادقاً ؛ فإنه أعاد من الأموال المغصوبة والأموال المأخوذة في أيام أبيه وقبلها شيئاً كثيراً ، وأطلق المكوس في البلاد جميعها ، وأمر بإعادة الخراج القديم في جميع العراق ، وبإسقاط جميع ما جدده أبوه ، وكان ذلك كثيراً لا يحصى .

فمن ذلك : بَعُقُوباً كان يحصل منها قديماً عشرة آلاف دينار ، فلما استخلف الناصر . . كان يؤخذ منها في السنة ثمانون ألف دينار ، فاستغاث أهلها ، فأعادها الظاهر إلى الخراج الأول .

ولما أعاد الخراج الأصلي على البلاد . . حضر خلقٌ ، وذكروا : أن أملاكهم

(١) انظر ترجمته في : « الكامل » (٤٤١ / ١٢) ، و « تاريخ الإسلام » (١٦٥ / ٤٥) ، و « الوافي بالوفيات »

(٩٥ / ٢) ، و « البداية والنهاية » (١٠٧ / ١٣) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٦٥ / ٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (١١ / ٤٥) .

قد يبست أكثر أشجارها وخربت ، فأمر : ألا يؤخذ إلا من كل شجرة سالمة .

ومن عدله : أن صنجة المخزن كانت راجحة نصف قيراط في المئقال ، يقبضون بها ويعطون بصنجة البلد ، فخرج خطُّه إلى الوزير ؛ وأوله : ﴿ وَيَلِّ الْمُطَفِّينَ . . . ﴾ الآيات ؛ وفيه : قد بلغنا كذا وكذا ، فتعاد صنجة الخزانة إلى ما يتعامل به الناس .

فكتبوا إليه : إن هذا فيه تفاوت كثير ، وقد حسبناه في العام الماضي فكان خمسة وثلاثين ألف دينار ، فأعاد الجواب ينكر على القائل ويقول : يبطل ولو أنه ثلاث مئة ألف وخمسون ألف دينار .

ومن عدله : أن صاحب الديوان قدم من واسط ومعه أزيد من مئة ألف دينار من ظلم ، فردها على أربابها .

وأخرج أهل الحبوس ، وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليوفيها عمن أعسر ، وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء مئة ألف دينار ، وقيل له : هذا الذي تخرجه من الأموال لا تسمح نفس ببعضه ، فقال : أنا فتحت الدكان بعد العصر ؛ فاتركوني أفعل الخير ، فكم بقيت أعيش ؟!

ووجد في بيت من داره ألوف رقاع كلها مختومة ، فقيل له : لِمَ لم تفتحها ؟ قال : لا حاجة لنا فيها ، كلها سعايات (هذا كله كلام ابن الأثير^(١)) .

وقال سبط ابن الجوزي : (لما دخل إلى الخزائن . . قال له خادم : في أيامك تمتلئ ؟ ! فقال : ما فعلت الخزائن لتمتلئ ، بل لتفرغ وتنفق في سبيل الله ؛ فإن الجمع شغل التجار)^(٢) .

وقال ابن واصل : (أظهر العدل ، وأزال المكس ، وظهر للناس ، وكان أبوه لا يظهر إلا نادراً)^(٣) .

(١) الكامل (١٢/٤٤١-٤٤٤ و٤٥٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٥/١٦٦-١٦٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥/١٦٨-١٦٩) .

(٣) مفرج الكروب (٤/١٩٣) .

توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب ، سنة ثلاث وعشرين ، فكانت خلافته تسعة أشهر وأياماً .

وقد روى الحديث عن والده بالإجازة ، روى عنه : أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي .

ولما توفي . . اتفق خسوف القمر مرتين في السنة ، فجاء ابن الأثير نصر الله رسولاً من صاحب الموصل برسالة في التعزية ؛ أولها : (ما لليل والنهار لا يعتذران وقد عظم حادثهما ، وما للشمس والقمر لا ينكسفان وقد فقد ثالثهما :
[من الطويل]

فيا وَحْشَةَ الدُّنْيَا وَكَانَتْ أُنَيْسَةً وَوَحْدَةً مَنْ فِيهَا لَمْضِرٌّ وَاحِدٌ
وهو سيدنا ومولانا الإمام الظاهر أمير المؤمنين ، الذي جعلت ولايته رحمة للعالمين . . .) إلى آخر الرسالة^(١) .

(١) تاريخ الإسلام (٤٥ / ١٨ - ١٩) ، والبيت لأبي تمام في « ديوانه » (٢ / ٢٩٨) .

خلافة المستنصر بالله

[٦٢٣-٦٤٠هـ] ^(١)

أبو جعفر ، منصور بن الظاهر بأمر الله ، ولد في صفر ، سنة ثمان وثمانين وخمس مئة ، وأمه : جارية تركية .

قال ابن النجار : (وبويع بعد موت أبيه في رجب ، سنة ثلاث وعشرين وست مئة ، فنشر العدل في الرعايا ، وبذل الإنصاف في القضايا ، وقرب أهل العلم والدين ، وبنى المساجد والرُّبُط والمدارس والمارستانات ، وأقام منار الدين ، وقمع المتمرده ، ونشر السُّنن ، وكف الفتن ، وحمل الناس على أقوم سَنَن ، وقام بأمر الجهاد أحسن قيام ، وجمع الجيوش لنصرة الإسلام ، وحفظ الثغور ، وافتتح الحصون) ^(٢) .

وقال الموفق عبد اللطيف : (بويع أبو جعفر ، فسار السيرة الجميلة ، وعمّر طرق المعروف الدائرة ، وأقام شعار الدين ومنار الإسلام ، واجتمعت القلوب على محبته والألسنة على مدحه ، ولم يجد أحد من المتعنتة فيه معاباً .

وكان جده الناصر يقربه ، ويسميه القاضي ؛ لهديه وعقله وإنكار ما يجده من المنكر) ^(٣) .

[بناء المدرسة المستنصرية]

وقال الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري : (كان المستنصر راغباً في فعل الخير ، مجتهداً في تكثير البرِّ ، وله في ذلك آثار جميلة ، وأنشأ المدرسة

(١) انظر ترجمته في : « التكملة لوفيات النقلة » (٦٠٧/٣) ، و « تاريخ الإسلام » (٤٥٢/٤٦) ، و « فوات

الوفيات » (١٦٩/٤) ، و « البداية والنهاية » (١٦٠/١٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٥٣/٤٦) .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٥٣/٤٦) .

المستنصرية ، ورتب فيها الرواتب الحسنة لأهل العلم^(١) .

وقال ابن واصل : (بنى المستنصر على دجلة من الجانب الشرقي مدرسة ما بُني على وجه الأرض أحسن منها ، ولا أكثر وقوفاً ، وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة ، وعمل فيها بيمارستاناً ، ورتب فيها مطبخاً للفقهاء ، ومُزَمِّلَةً للماء البارد ، ورتب لبيوت الفقهاء الحُصُر والبُسُط والزيت والورق والحبر وغير ذلك ، وللرفيق بعد ذلك في الشهر دينار^(٢) ، ورتب لهم حماماً ، وهو أمر لم يسبق إلى مثله ، واستخدم عساكر عظيمة لم يَستخدِم مثلها أبوه ولا جده .

وكان ذا همة عالية وشجاعة وإقدام عظيم ، قصدت التتار البلاد فلقبهم عسكره فهزموا التتار هزيمة عظيمة ، وكان له أخ يقال له : الخفاجي ، فيه شهامة زائدة ، وكان يقول : لئن وليت . . لأعبرن بالعساكر نهر جيحون ، وأخذ البلاد من أيدي التتار ، وأستأصلهم ، فلما مات المستنصر . . لم ير الدويدار ولا الشرايبي تقليد الخفاجي ؛ خوفاً منه ، وأقاما ابنه أحمد ؛ للينه وضعف رأيه ؛ ليكون لهما الأمر ؛ ليقضي الله أمراً كان مفعولاً من هلاك المسلمين في مدته ، وتغلب التتار ، فإننا لله وإنا إليه راجعون)^(٣) .

[افتتاح المدرسة المستنصرية وما وقف عليها]

قال الذهبي : (وقد بلغ ارتفاع وقوف المستنصرية في العام نيافاً وسبعين ألف مثقال ، وكان ابتداء عمارتها في سنة خمس وعشرين ، وتمت في سنة إحدى وثلاثين ، ونقل إليها الكتب وهي مئة وستون حملاً من الكتب النفيسة ، وعدة فقهاء مئتان وثمانية وأربعون فقيهاً من المذاهب الأربعة ، وأربعة مدرّسون وشيخ حديث ، وشيخ نحو ، وشيخ طب ، وشيخ فرائض ، ورتب فيها الخبز والطيب والحلاوة والفاكهة ، وجعل فيها ثلاثون يتيماً ، ووقف عليها ما لا يعبر عنه

(١) التكملة لوفيات النقلة (٣/٦٠٧) ، وتاريخ الإسلام (٤٦/٤٥٤) .

(٢) في (أ) : (ديناراً) ، وفي «تاريخ الإسلام» : (ديناران) .

(٣) مفرج الكروب (٥/٣١٦-٣١٧) ، تاريخ الإسلام (٤٦/٤٥٣-٤٥٤) .

كثرة... ثم سرد الذهبي القرى والرباع الموقوفة عليها ، قال : وفتحت يوم الخميس في رجب ، وحضر القضاة والمدرسون والأعيان وسائر الدولة ، وكان يوماً مشهوداً^(١) .

ومن الحوادث في أيام المستنصر

في سنة ثمان وعشرين : أمر الملك الأشرف صاحب دمشق ببناء دار الحديث الأشرفية ، وفرغت في سنة ثلاثين^(٢) .

[ضرب دراهم الفضة بأمر المستنصر]

وفي سنة اثنتين وثلاثين : أمر المستنصر بضرب الدراهم الفضة ؛ ليتعامل الناس بها بدلاً عن قراضة الذهب ، فجلس الوزير وأحضر الولاة والتجار والصيارفة ، وفرشت الأنطاع ، وأفرغ عليها الدراهم ، وقال الوزير : قد رسم مولانا أمير المؤمنين لمعاملتكم بهذه الدراهم عوضاً عن قراضة الذهب ؛ رفقا بكم وإنقاذاً لكم من التعامل بالحرام من الصرف الربوي ، فأعلنوا بالدعاء ، ثم أديرت بالعراق ، وسعرت كل عشرة دينار ، فقال الموفق أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد^(٣) :

[من الخفيف]

لا عَدِمْنَا جَمِيلَ رَأْيِكَ فِينَا أَنْتَ بَاعَدْتَنَا عَنِ التَّطْفِيفِ
وَرَسَمْتَ اللَّجِينَ حَتَّى أَلْفْنَا هُوَ وَمَا كَانَ قَبْلُ بِالْمَأْلُوفِ
لَيْسَ لِلْجَمْعِ كَانَ مِنْكَ لِلصَّرِّ فِ وَلَكِنْ لِلْعَدْلِ وَالتَّعْرِيفِ

وفي سنة خمس وثلاثين وست مئة : ولي قضاء دمشق شمس الدين أحمد

(١) تاريخ الإسلام (٤٦/٩-٤٥٦) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٤/٤٥) .

(٣) الخبر مع الأبيات في « تاريخ الإسلام » (١١/٤٦) .

الجوني ؛ وهو أول قاض رتب مراكز الشهود بالبلد ، وكان قبل ذلك يذهب الناس إلى بيوت العدول يُشهِدُونهم^(١) .

وفيها : مات السلطانان الأخوان : الأشرف صاحب دمشق ، والكامل صاحب مصر بعده بشهرين ، وتسلطن بمصر ولد الكامل قلامه ، ولقب : العادل ، ثم خلع وتملك أخوه الصالح أيوب نجم الدين^(٢) .

وفي سنة سبع وثلاثين وست مئة : ولي خطابة دمشق الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، فخطب خطبة عريّة من البدع ، وأزال الأعلام المذهبة ، وأقام عوضها سوداً بأبيض ، ولم يؤذن قدامه سوى مؤذن واحد^(٣) .

وفيها : قدم رسول الأمير الذي تملك اليمن نور الدين عمر بن علي بن رسول التركماني إلى الخليفة ، يطلب تقليداً بسلطنة اليمن بعد موت الملك المسعود ابن الملك الكامل ، وبقي الملك في بنيه إلى سنة نيف^(٤) وثمان مئة^(٥) .

وفي سنة تسع وثلاثين وست مئة : بنى الصالح صاحب مصر المدرسة التي بين القصرين ، والقلعة التي بالروضة ، ثم أخرج غلمان القلعة المذكورة سنة إحدى وخمسين وست مئة^(٦) .

[وفاة المستنصر]

وفي سنة أربعين وست مئة : توفي المستنصر يوم الجمعة عاشر جمادى

(١) تاريخ الإسلام (٢١/٤٦) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢/٤٦ و ٢٥) .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٧/٤٦) .

(٤) كذا في (هـ) ، وفي (ط) : (خمس وستين) ، وفي باقي النسخ بياض .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩/٤٦) .

(٦) تاريخ الإسلام (٤٥/٤٦ و ٨/٤٨) ، والبداية والنهاية (١٥٧/١٣) .

الآخرة ، ورثاه الشعراء ، فمن ذلك قول صفى الدين عبد الله بن جميل^(١) : [من الكامل]

[عَزَّ الْعَزَاءُ وَأَعْوَزَ الْإِلْمَامُ واسترجعت ما أعطت الأيام
فَدَعَ الْعُيُونُ تَسْحُ بِعَدِّ فِرَاقِهِمْ عَوْضَ الدَّمُوعِ دَمًا فَلَيْسَ تُلَامُ
بَانُوا فَلَا قَلْبِي يَقْرَأُ قَرَارُهُ أَسْفًا وَلَا جَفْنِي الْقَرِيحُ يَنَامُ
فَعَلَى الَّذِينَ فَقَدْتُهُمْ وَعَدِمْتُهُمْ مني تحيةٌ موجَّعٍ وسلامُ]

ومن مناقب المستنصر : (أن الوجيه القيرواني مدحه بقصيدة يقول فيها :

[من الكامل]

لو كنتَ في يومِ السَّقِيفَةِ حَاضِرًا كنتَ المَقْدَمَ والإِمَامَ الأَوْرَعَا
فقال له قائل بحضرته : أخطأت ؛ قد كان حاضراً العباس جد أمير المؤمنين ،
ولم يكن المقدم إلا أبو بكر ، فأقر ذلك المستنصر ، وخلع على القائل ذلك
خلعة ، وأمر بنفي الوجيه ، فخرج إلى مصر (حكاه الذهبي^(٢) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المستنصر من الأعلام : الإمام أبو القاسم الرافعي ،
والجمال المصري ، وابن معزوز النحوي ، وياقوت الحموي ، والسكاكي
صاحب « المفتاح » ، والحافظ أبو الحسن بن القطان ، ويحيى بن مُعْطِي صاحب
« الألفية » في النحو ، والموفق عبد اللطيف البغدادي ، والحافظ أبو بكر بن
نقطة ، والحافظ عز الدين علي بن الأثير صاحب « التاريخ » و« الأنساب »
و« أسد الغابة » ، وابن عُثَيْن الشاعر ، والسيف الأمدي ، وابن فَضْلان ،
وعمر بن الفارض صاحب « التائية » ، والشهاب الشَّهْرُوردي صاحب « عوارف
المعارف » ، والبهاء بن شدَّاد ، وأبو العباس العزفي صاحب المولد النبوي ،

(١) ما بين معقوفين زيادة من « تاريخ الإسلام » (٤٥٥ / ٤٦) .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣٧٩ / ٢٣) .

والعلامة أبو الخطاب بن دحية ، وأخوه أبو عمرو ، والحافظ أبو الربيع بن سالم
صاحب « الاكتفاء في المغازي » ، وابن الشوّاء الشاعر ، والحافظ زكي الدين
البرزالي ، والجمال الحصري شيخ الحنفية ، والشمس الحوئي ، والحرالي ،
والحافظ أبو عبد الله الدبشي ، وأبو البركات بن المستوفي ، والضياء بن الأثير
صاحب « المثل السائر » ، وابن عربي صاحب « الفصوص » و« الفتوحات
المكية » ، والكمال ابن يونس شارح « التنبيه » ، وخلائق آخرون .

خلاف المستعصم بالله

[٦٤٠-٦٥٦هـ] ^(١)

أبو أحمد ، عبد الله بن المستنصر بالله ، آخر الخلفاء العراقيين ، ولد سنة تسع وست مئة .

وأمه : أم ولد ، اسمها : هاجر ، وبويع له بالخلافة عند موت أبيه .

وأجاز له عليّ يد ابن النجار المؤيد الطوسي ، وأبو روح الهروي وجماعة ، وروى عنه بالإجازة جماعة ؛ منهم : النجم البادراني ، والشرف الدميّاطي ، وخرّج له الدميّاطي أربعين حديثاً رأيتها بخطه .

وكان كريماً حليماً ، سليم الباطن حسن الديانة ^(٢) .

قال الشيخ قطب الدين : (كان متديناً متمسكاً بالسنة كأبيه وجده ، ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة ، وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة ، وكان يقول : إن ملكني الله الأمر . . لأعبرنّ بالجيوش نهر جيحون ، وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم ، فلما توفي المستنصر لم ير الدّويدار والشّرّابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر ، وخافوا منه ، وآثروا المستعصم للينه وانقياده ؛ ليكون لهم الأمر ، فأقاموه .

ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين ابن العلقمي الرافضي ، فأهلك الحرث والنسل ، ولعب بالخليفة كيف أراد ، وباطن التتار وناصحهم ، وأطمعهم في المجيء إلى العراق ، وأخذ بغداد ، وقطع الدولة العباسية ؛ ليقيم خليفة من آل علي ، وصار إذا جاءه خبر منهم . . كتمه عن الخليفة ، ويطالع

(١) انظر ترجمته في : « ذيل مرآة الزمان » (٢٥٣ / ١) ، و « تاريخ الإسلام » (٢٥٨ / ٤٨) ، و « سير أعلام النبلاء » (١٧٤ / ٢٣) ، و « فوات الوفيات » (٢٣٠ / ٢) ، و « الوافي بالوفيات » (٦٤١ / ١٧) ، و « البداية والنهاية » (٢٠٤ / ١٣) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٥٩ / ٤٨) .

بأخبار الخليفة التتار إلى أن حصل ما حصل (١).

[موت الملك الصالح وولده توران شاه]

وفي سنة سبع وأربعين من أيامه : أخذت الفرنج دمياط ، والسلطان الملك الصالح مريض ، فمات ليلة نصف شعبان ، فأخفت جاريته أم خليل المسماة : شجر الدر موته ، وأرسلت إلى ولده توران شاه الملك المعظم ليتملك ، فحضر ، ثم لم يلبث أن قُتل في محرم ، سنة ثمان وأربعين وست مئة ؛ وثب عليه غلمان أبيه فقتلوه ، وأمرُوا عليهم جارية أبيهم شجر الدر ، وحلف لها الأتراك ولنائبها عز الدين أيبك التركماني ، فشرعت شجر الدر في الخلع للأمرء والأعليات .

ثم استقل عز الدين بالسلطنة في ربيع الآخر ، ولُقّب : الملك المعز ، ثم تنصل منها ، وحلف العسكر للملك الأشرف بن صلاح الدين يوسف بن المسعود بن الكامل وله ثمان سنين ، وبقي عز الدين أتابكه ، وخطب لهما وضربت السكة باسمهما (٢) .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثمان - : استردت دمياط من الفرنج .

وفي سنة اثنتين وخمسين وست مئة : ظهرت نار في أرض عدن ، وكان يطير شررها في الليل إلى البحر ، ويصعد منها دخان عظيم في النهار (٣) .
وفيها : أبطل المعز اسم الملك الأشرف واستقل بالسلطنة (٤) .

[ظهور نار عظيمة بالمدينة المنورة]

وفي سنة أربع وخمسين : ظهرت النار بالمدينة النبوية .

(١) ذيل مرآة الزمان (١/٢٥٤-٢٥٥) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/٢٥٩-٢٦٠) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٧/٤١-٥٨) .

(٣) تاريخ الإسلام (٩/٤٨) ، والبداءة والنهاية (١٣/١٨٥) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٠/٤٨) .

قال أبو شامة : (جاءنا كتب من المدينة فيها : لما كانت ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخرة . . ظهر بالمدينة دوي عظيم ، ثم زلزلة عظيمة ، فكانت ساعة بعد ساعة إلى خامس الشهر ، فظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة ، نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا ، وسالت أودية منها إلى وادي شظا مسيل الماء ، وطلعنا نبصرها ؛ فإذا الجبال تسيل ناراً ، وسارت هكذا وهكذا نيران كأنها الجبال ، وطار منها شرر كالقصر إلى أن أبصر ضوءها من مكة ومن الفلاة جميعهما ، واجتمع الناس كلهم إلى القبر الشريف مستغفرين تائبين ، واستمرت هكذا أكثر من شهر)^(١) .

قال الذهبي : (أمر هذه النار متواتر ؛ وهي مما أخبر به المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث قال : « لا تقوم الساعة حتى تخرج نارٌ من أرض الحجاز تُضيء لها أعناق الإبل ببُصرى »)^(٢) ، وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل ، ورأى أعناق الإبل في ضوءها)^(٣) .

[فتنة التتار وخيانة العلقمي]

وفي سنة خمس وخمسين وست مئة : مات المعز أيّك سلطان مصر ؛ قتلته زوجته شجر الدر ، وسلطنوا بعده ولده الملك المنصور علياً^(٤) .

هذا ؛ والتتار جائلون في البلاد ، وشرهم متزايد ونارهم تستعر ، والخليفة والناس في غفلة عما يراد بهم ، والوزير العلقمي حريص على إزالة الدولة العباسية ، ونقلها إلى العلوية ، والرسل في السر بينه وبين التتار ، والمستعصم تائه في لذاته لا يطلع على الأمور ، ولا له غرض في المصلحة .

وكان أبوه المستنصر قد استكثر من الجند جداً ، وكان مع ذلك يصانع التتار

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/١٨-٢١) .

(٢) أخرجه البخاري (٧١٨) ، ومسلم (٢٩٠٢) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) تاريخ الإسلام (٤٨/٢٢) .

(٤) ذيل مرآة الزمان (١/٥٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/٢٨) .

ويهاديهم ويرضيهم ، فلما استخلف المستعصم . . كان خلياً من الرأي والتدبير ، فأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند ، وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل بها المقصود ، ففعل ذلك .

ثم إن الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد ، وسهّل عليهم ذلك ، وطلب أن يكون نائبيهم ، فوعده بذلك ، وتأهبوا لقصد بغداد^(١) .

شرح حال التتار ملخصاً

قال الموفق عبد اللطيف في خبر التتار : (هو حديث يأكل الأحاديث ، وخبر يطوي الأخبار ، وتاريخ ينسي التواريخ ، ونازلة تصغر كل نازلة ، وفادحة تطبق الأرض ، وتملؤها ما بين الطول والعرض .

وهذه الأمة لغتهم مشوبة بلغة الهند ؛ لأنهم في جوارهم ، وبينهم وبين تنكّت أربعة أشهر ، وهم بالنسبة إلى الترك عراض الوجوه ، واسعو الصدور ، خفاف الأعجاز ، صغار الأطراف ، سمر الألوان ، سريعو الحركة في الجسم والرأي .

تصل إليهم أخبار الأمم ، ولا تصل أخبارهم إلى الأمم ، وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم ؛ لأن الغريب لا يتشبه بهم ، وإذا أرادوا جهة . . كتموا أمرهم ، ونهضوا دفعة واحدة ، فلا يعلم بهم أهل بلد حتى يدخلوه ، ولا عسكر حتى يخالطوه ؛ فلهذا تفسد على الناس وجوه الحيل ، وتضيق طرق الهرب ، ونساؤهم يقاتلن كرجالهم .

والغالب على سلاحهم النشاب ، وأكلهم أيّ لحم وجد ، وليس في قتلهم استثناء ولا إبقاء ، يقتلون الرجال والنساء والأطفال ، وكان قصدهم إفناء النوع وإبادة العالم ، لا قصد الملك والمال^(٢) .

وقال غيره : (أرض التتار بأطراف بلاد الصين ، وهم سكان براري ، ومشهورون بالشر والغدر) .

(١) . ذيل مرآة الزمان (٨٥ / ١) ، وتاريخ الإسلام (٣٤ / ٤٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٧ - ٢٦ / ٤٣) .

[سبب ظهور التتار]

وسبب ظهورهم : أن إقليم الصين متسع دوره ستة أشهر ، وهو ست ممالك ، ولهم ملك حاكم على الممالك الست ، وهو القان الأكبر المقيم بطمغاج ، وهو كالخليفة للمسلمين .

وكان سلطان أحد الممالك الست وهو دوش خان قد تزوج بعمة جنكزخان ، فحضر زائراً لعمته وقد مات زوجها وكان قد حضر مع جنكزخان كشلوخان ، فأعلمتهما أن الملك لم يخلف ولداً ، وأشارت على ابن أخيها أن يقوم مقامه ، فقام وانضم إليه خلق من المغول ، ثم سير التقدم إلى القان الكبير ، فاستشاط غضباً ، وأمر بقطع أذنان الخيل التي أهديت وطردها ، وقتل الرسل ؛ لكون التتار لم يتقدم لهم سابقة بتملك ، إنما هم بادية الصين .

فلما سمع جنكزخان وصاحبه كشلوخان . تحالفا على التعاضد ، وأظهرا الخلاف للقان ، وأتتهما أمم كثيرة من التتار ، وعلم القان قوتهم وشهرهم ، فأرسل يؤانسهم ويظهر مع ذلك أنه ينذرهم ويهددهم ، فلم يغن ذلك شيئاً ، ثم قصدهم وقصدوه ، فوقع بينهم ملحمة عظيمة ، فكسروا القان الأعظم ، وملكوا بلاده واستفحل شهرهم ، واستمر الملك بين جنكزخان وكشلوخان على المشاركة .

ثم سارا إلى بلاد ساقون من نواحي الصين فملكاهما ، فمات كشلوخان ، فقام مقامه ولده ، فاستضعفه جنكزخان ، فوثب عليه وظفر به ، واستقل جنكزخان ، ودانت له التتار وانقادت له ، واعتقدوا فيه الإلهية ، وبالغوا في طاعته^(١) .

[أول خروج التتار]

ثم كان أول خروجهم في سنة ست وست مئة من بلادهم إلى نواحي الترك وقرغانة ، فأرسل خوارزم شاه محمد بن تكش صاحب خراسان الذي أباد الملوك

(١) تاريخ الإسلام (٢٨-٢٧/٤٣) .

وأخذ الممالك ، وعزم على قصد الخليفة ، فلم يتهياً له كما تقدم^(١) ، فأمر أهل فرغانة والشاش وكاسان وتلك البلاد النزهة العامرة بالجلاء والجفل إلى سمرقند وغيرها ، ثم خربها جميعاً ؛ خوفاً من التتار أن يملكوها ؛ لعلمه أنه لا طاقة له بهم^(٢) .

ثم صار التتار يتخطفون ويتنقلون إلى سنة خمس عشرة ، فأرسل فيها جنكزخان إلى السلطان خوارزم شاه رسلاً وهدايا ، وقال الرسول : إن القان الأعظم يسلم عليك ويقول لك : ليس يخفى عليّ عظم شأنك ، وما بلغت من سلطانك ونفوذ حكمك على الأقاليم ، وأنا أرى مسالمتك من جملة الواجبات ، وأنت عندي مثل أعز أولادي ، وغير خاف عنك أنني ملكت الصين ، وأنت أخبر الناس ببلادي ، وأنها مثرات العساكر والخيول ومعادن الذهب والفضة ، وفيها كفاية عن غيرها ، فإن رأيت أن تعقد بيننا المودة ، وتأمر التجار بالسفر لتعم المصلحتين .. فعلت .

فأجابه خوارزم شاه إلى ملتسمه ، وسرّ جنكزخان بذلك ، واستمر الحال على المهادنة إلى أن وصل من بلاده تجار .

[غدر خوارزم شاه بالتجار ثم موته]

وكان خال خوارزم شاه ينوب على بلاد ما وراء النهر ، ومعه عشرون ألف فارس ، فشرهت نفسه إلى أموال التجار ، وكاتب السلطان يقول : إن هؤلاء القوم قد جاؤوا بزي التجار ، وما قصدهم إلا التجسس ، فإن أذنت لي فيهم ؟ فأذن له بالاحتياط عليهم ، فقبض عليهم ، وأخذ أموالهم ، فوردت رسل جنكزخان إلى خوارزم شاه تقول : إنك أعطيت أمانك للتجار فغدرت ، والغدر قبيح ، وهو من سلطان الإسلام أقبح ؛ فإن زعمت أن الذي فعله خالك بغير أمرك .. فسلمه إلينا ، وإلا .. سوف تشاهد مني ما تعرفني به ، فحصل عند

(١) انظر ما تقدم (ص ٦٨٧) .

(٢) الكامل (٢٦٧/١٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٦-٢٥/٤٣) .

خوارزم شاه من الرعب ما خامر عقله ، فتجلد وأمر بقتل الرسل فقتلوا .
فيا لها من حركة ؛ لِمَا هدرت من دماء الإسلام أجرت بكل نقطة سيلاً من
الدم !

ثم سار جنكزخان إليه ، فانجفل خوارزم شاه عن جيحون إلى نيسابور ، ثم
ساق إلى مرج همذان رعباً من التتار ، فأحرق به العدو ، فقتلوا كل من معه ونجا
هو بنفسه ، فخاض الماء إلى جزيرة ، ولحقته علة ذات الجنب ، فمات بها وحيداً
فريداً ، وكفن في شاش فراش كان معه ، وذلك في سنة سبع عشرة ، وملكوا
جميع مملكة خوارزم شاه^(١) .

قال سبط الجوزي : (كان أول ظهور التتار بما وراء النهر سنة خمس عشرة ،
فأخذوا بخارى وسمرقند وقتلوا أهلها ، وحاصروا خوارزم شاه ، ثم بعد ذلك
عبروا النهر ، وكان خوارزم شاه قد أباد الملوك من مدن خراسان ، فلم تجد التتار
أحداً في وجوههم ، فطووا في البلاد قتلاً وسبياً ، وساقوا إلى أن وصلوا إلى
همذان وقزوین في هذه السنة)^(٢) .

وقال ابن الأثير في « كامله » : (حادثة التتار من الحوادث العظمى ،
والمصائب الكبرى التي عقرت الدهور عن مثلها ، عمّت الخلائق وخصّت
المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا
بمثلها . . لكان صادقاً ؛ فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها .

ومن أعظم ما يذكرون : فعل بختنصر ببني إسرائيل بالبيت المقدس ،
وما البيت المقدس بالنسبة إلى ما خرّب هؤلاء الملاعين من مدن الإسلام ؟!
وما بنو إسرائيل بالنسبة إلى ما قتلوا ؟!

فهذه الحادثة التي استطار شررها ، وعم ضررها ، وسارت في البلاد
كالسحاب استدبرته الرياح ؛ فإن قوماً خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد
تركستان ، مثل كاشغر وبلاد شاغرى ، ثم منها إلى بخارى وسمرقند ، فيملكونها

(١) تاريخ الإسلام (٢٢/٤٤ - ٢٥) ، وفي النسخ : (همذان) .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٧/٤٤ - ٣٨) .

ويبيدون أهلها ، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان ، فيفرغون منها ملكاً وتخريباً وقتلاً وإبادة ، وإلى الري وهمذان إلى حد العراق ، ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ، ويخربونها ويستبيحونها في أقل من سنة . . أمر لم يسمع بمثله !!

ثم ساروا من أذربيجان إلى دَرَبَنْدُ شروان فملكوا مدنه ، وعبروا من عندها إلى بلد اللآن واللكز ، فقتلوا وأسروا ، ثم قصدوا بلاد قفجاق وهم من أكثر الترك عدداً ، فقتلوا من وقف ، وهرب الباقون ، واستولى التتار عليها .

ومضت طائفة أخرى غير هؤلاء إلى غَزَنَة وأعمالها ، وسِجِسْتان وكَرَمَان ، ففعلوا مثل هؤلاء ، بل أشد^(١) .

هذا ما لم يطرق الأسماع مثله ؛ فإن الإسكندر الذي ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة ، وإنما ملكها في نحو عشر سنين ولم يقتل أحداً ، إنما رضي بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه وأعمره في نحو سنة ، ولم يبق أحد في البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يترقب وصولهم إليه .

ثم إنهم لم يحتاجوا إلى ميرة ومددهم يأتيهم ؛ فإنهم معهم الأغنام والبقر والخيول يأكلون لحومها لا غير .

وأما خيلهم . . فإنها تحفر الأرض بحوافرها ، وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعر .

وأما ديانتهم . . فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئاً ، ويأكلون جميع الدواب وبني آدم ، ولا يعرفون نكاحاً ، بل المرأة يأتيها غير واحد^(٢) .

[اجتياح التتار لبغداد]

ولما دخلت سنة ست وخمسين : وصل التتار إلى بغداد وهم مئتا ألف ،

(١) في (ج) : (بل أشد من هذا ما لم يطرق) .

(٢) الكامل (٣٥٨/١٢) ، وتاريخ الإسلام (٣٩-٣٨/٤٤) .

ومقدمهم هولاء ، فخرج إليهم عسكر الخليفة فهزم العسكر .

ودخلوا بغداد يوم عاشوراء ، فأشار الوزير لعنه الله على المستعصم بمصانعتهم وقال : أخرج إليهم أنا في تقرير الصلح ، فخرج وتوثق بنفسه منهم ورد إلى الخليفة وقال : إن الملك قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبي بكر ، ويبقيك في منصب الخلافة ؛ كما أبقى صاحب الروم في سلطنته ، ولا يؤثر إلا أن تكون الطاعة له كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية ، وينصرف عنك بجيوشه ، فيجيب مولانا إلى هذا ؛ فإن فيه حقن دماء المسلمين ، ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد ، والرأي أن تخرج إليه ، فخرج إليه في جمع من الأعيان ، فأنزل في خيمة .

ثم دخل الوزير فاستدعى الفقهاء والأماثل ليحضروا العقد ، فخرجوا من بغداد ، فضربت أعناقهم ، وصار كذلك تخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم ، حتى قتل جميع من هناك من العلماء والأمراء والحجاب والكبار .

ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد ، واستمر القتل فيها نحو أربعين يوماً ، فبلغ القتلى أكثر من ألف ألف نسمة ، ولم يسلم إلا من اختفى في بئر أو قناة ، وقتل الخليفة رفساً^(١) .

قال الذهبي : (وما أظنه دفن)^(٢) .

وقتل معه جماعة من أولاده وأعمامه ، وأسر بعضهم ، وكانت بلية لم يصب الإسلام بمثله .

ولم يتم للوزير ما أراد ، وذاق من التار الذل والهوان ، ولم تطل أيامه بعد ذلك .

[بعض المراثي في بغداد وأهلها]

وعملت الشعراء قصائد في مراثي بغداد وأهلها ، وتمثل بقول سبط

(١) تاريخ الإسلام (٣٧-٣٥/٤٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٢٦١/٤٨) .

بَادَتْ وَأَهْلُوهَا مَعاً فَبُيُوتُهُمْ بَاقَاءَ مَوْلَانَا الْوَزِيرِ خَرَابُ^(١)

وقال بعضهم^(٢) :

يَا عَصْبَةَ الْإِسْلَامِ نُوحِي وَانْدُبِي حُزناً عَلَى مَا تَمَّ لِلْمُسْتَعَصِمِ
دَسْتُ الْوِزَارَةَ كَانَ قَبْلَ زَمَانِهِ لَابِنِ الْفَرَاتِ فَصَارَ لَابِنِ الْعَلْقَمِيِّ

وكان آخر خطبة خطبت ببغداد قال الخطيب في أولها : (الحمد لله الذي هدم بالموت مشيد الأعمار ، وحكم بالفناء على أهل هذه الدار ، هذا والسيف قائم بها)^(٣) .

ولتقي الدين بن أبي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد وهي^(٤) :

لسائل الدَّمْعِ عَنْ بَغْدَادَ أَخْبَارُ فَمَا وَقُوفُكَ وَالْأَحْبَابُ قَدْ سَارُوا
يَا زَائِرِينَ إِلَى الزُّورَاءِ لَا تَفْدُوا فَمَا بِذَاكَ الْحِمَى وَالِدَارِ دِيَارُ
تَاجُ الْخِلَافَةِ وَالرَّبْعُ الَّذِي شَرُفَتْ بِهِ الْمَعَالِمُ قَدْ عَفَّاهُ إِقْفَارُ
أَضْحَى لِعَصْفِ الْبِلَى فِي رَبْعِهِ أَثَرُ وَلِلدُّمُوعِ عَلَى الْآثَارِ آثَارُ
يَا نَارَ قَلْبِي مِنْ نَارِ لَحْرِبٍ وَعَى شَبَّتْ عَلَيْهِ وَوَفَى الرَّبْعِ إِعْصَارُ
عَلَا الصَّلِيبُ عَلَى أَعْلَى مَنَابِرِهَا وَقَامَ بِالْأَمْرِ مَنْ يَحْوِيهِ زُنَّارُ
وَكَمْ حَرِيمٍ سَبَبَتْهُ التَّرْكُ غَاصِبَةٌ وَكَانَ مِنْ دُونِ ذَاكَ السَّتْرِ أَسْتَارُ
وَكَمْ بَدُورٍ عَلَى الْبَدْرِيةِ انْخَسَفَتْ وَلَمْ يَعُدْ لُبْدُورٍ مِنْهُ إِنْدَارُ
وَكَمْ ذَخَائِرَ أَضْحَتْ وَهِيَ شَائِعَةٌ مِنْ النَّهَابِ وَقَدْ حَازَتْهُ كَفَّارُ
وَكَمْ حُدُودٍ أُقِيمَتْ مِنْ سُيُوفِهِمْ عَلَى الرُّقَابِ وَحُطَّتْ فِيهِ أَوْزَارُ
نَادَيْتُ وَالسَّبِي مَهْتُوكٌ يَجْرُهُمْ إِلَى السَّفَاحِ مِنَ الْأَعْدَاءِ ذَعَارُ

(١) تاريخ الإسلام (٣٦/٤٨ - ٣٧) ، والبيت في « ديوانه » (ص ٤٨) .

(٢) البيتان في « البداية والنهاية » (٢١٣/١٣) من غير نسبة ، ونُسبا في « خزانة الأدب وغاية الأرب »

(٦٧/٤) لشمس الدين الكوفي الواعظ محمد بن أحمد بن عبيد الله .

(٣) تاريخ الإسلام (٣٧/٤٨) .

(٤) القصيدة في « تاريخ الإسلام » (٤٨ - ٣٧) .

ولما فرغ هولاء من قتل الخليفة وأهل بغداد . أقام على العراق نوابه ،
وكان ابن العلقمي حسن لهم أن يقيموا خليفة علوياً ، فلم يوافقوه ، واطرحوه ،
وصار معهم في صورة بعض الغلمان ، ومات كمدأ ، لا رحمه الله ولا عفا
عنه^(١) .

[كُتِبَ هولاكو للسلطان الناصر صاحب دمشق]

ثم أرسل هولاكو إلى الناصر صاحب دمشق كتاباً صورته : (يعلم السلطان
الملك ناصر طال بقاءه : أنه لما توجهنا إلى العراق ، وخرج إلينا جنودهم
فقتلناهم بسيف الله ، ثم خرج إلينا رؤساء البلد ومقدموها ، فكان قصارى كلامهم
سبباً لهلاك نفوس تستحق الإذلال ، وأما ما كان من صاحب البلدة . فإنه خرج
إلى خدمتنا ، ودخل تحت عبوديتنا ، فسألناه عن أشياء كذبنا فيها ، فاستحق
الإعدام ، وكان كذبه ظاهراً ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ، أجب ملك البسيطة ،
ولا تقولن : قلاعي المانعات ورجالي المقاتلات ، ولقد بلغنا أن شذرة من
العسكر التجأت إليك هاربة ، وإلى جنابك لائذة : [من الكامل]

أَيْنَ الْمَفْرُوقِ وَلَا مَفَرٍّ لِهَارِبٍ وَلَنَا الْبَاسِطَانِ الثَّرَى وَالْمَاءُ
فساعة وقوفك على كتابنا . تجعل قلاع الشام سماءها أرضاً ، وطولها
عرضاً ، والسلام) .

ثم أرسل له كتاباً ثانياً يقول فيه : (خدمة ملك ناصر طال عمره :
أما بعد : فإننا فتحنا بغداد ، واستأصلنا مملكتها وملِكها ، وكان ظن وقد ضن
بالأموال ، ولم ينافس في الرجال : أن ملكه يبقى على ذلك الحال ، وقد علا
ذكره ونما قدره ، فخسف في الكمال بדרه : [من المتقارب]

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعَ زَوَالاً إِذَا قِيلَ تَمَّ
ونحن في طلب الازدياد على ممر الآباد ، فلا تكن كالذين نسوا الله فأنساهم

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٠) .

أنفسهم ، وأبد ما في نفسك : إما إمساك بمعروف ، أو تسريح بإحسان ، أجب دعوة ملك البسيطة . تأمن شره وتنال بره ، واسع إليه برجالك وأموالك ، ولا تعوق رسولنا ، والسلام) (١) .

ثم أرسل إليه كتاباً ثالثاً يقول فيه :

(أما بعد : فنحن جنود الله ، بنا ينتقم ممن عتا وتجبر ، وطغى وتكبر ، وبأمر الله ما ائتمر ، إن عوتب . . تنمر ، وإن روجع . . استمر ، ونحن قد أهلكنا البلاد وأبدنا العباد ، وقتلنا النسوان والأولاد ، فيا أيها الباقون ؛ أنتم بمن مضى لاحقون ، ويا أيها الغافلون ؛ أنتم إليهم تساقون ، ونحن جيوش الهلكة لا جيوش المَلَكَة ، مقصودنا الانتقام ، وملكنا لا يرام ، ونزيلنا لا يضام ، وعدلنا في ملكنا قد اشتهر ، ومن سيوفنا أين المفر ؟ [من الكامل]

أَيْنَ الْمَفْرُ وَلَا مَفْرَّ لِهَارِبٍ وَلَنَا الْبَيْطَانُ الْثَرَى وَالْمَاءُ
ذَلَّتْ لِهَيْبَتِنَا الْأَسْوَدُ وَأَصْبَحَتْ فِي قَبْضَتِي الْأُمَرَاءُ وَالْخُلَفَاءُ

ونحن إليكم صائرون ، ولكم الهرب ، وعلينا الطلب : [من الطويل]

سَتَعْلَمُ لَيْلَى أَيَّ دِينٍ تَدَايَنْتَ وَأَيَّ غَرِيمٍ بِالتَّقَاضِي غَرِمُهَا

دمرنا البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأهلكنا العباد ، وأذقناهم العذاب ، وجعلنا عظيمهم صغيراً ، وأميرهم أسيراً ، تحسبون أنكم منا ناجون أو متخلصون ، وعن قليل سوف تعلمون على ما تقدمون ، وقد أعذر من أنذر) (٢) .

[كلمة سلطان العلماء العز بن عبد السلام]

ثم دخلت سنة سبع وخمسين والدنيا بلا خليفة .

وفيها : نزل التتار على آمد ، وكان صاحب مصر المنصور علي بن المعز صبياً ، وأتابكه الأمير سيف الدين قُطُز المعزي مملوك أبيه ، وقدم الصاحب كمال

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٤١-٤٢) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/٥٨) .

الدين ابن العديم إليهم رسولا يطلب النجدة على التتار .

فجمع قُطز الأمراء والأعيان ، فحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام وكان المشار إليه في الكلام ، فقال الشيخ عز الدين : (إذا طرق العدو البلاد . . . وجب على العالم كلهم قتالهم ، وجاز أن يؤخذ من الرعية ما يستعان به على جهازهم ، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء ، وأن تبيعوا ما لكم من الحوائص والآلات ، ويقتصر كل منكم على فرسه وسلاحه ، ويتساووا في ذلك هم والعامه ، وأما أخذ أموال العامة مع بقاء ما في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة . . فلا) .

ثم بعد أيام يسيرة قبض قُطز على ابن أستاذه المنصور ، وقال : (هذا صبي ، والوقت صعب ، ولا بد من أن يقوم رجل شجاع ينتصب للجهاد) ، وتسلمن قطز ، ولقب : بالملك المظفر^(١) .

[وقعة عين جالوت وهزيمة التتار]

ثم دخلت سنة ثمان وخمسين والوقت أيضاً بلا خليفة .

وفيها : قطع التتار الفرات ، ووصلوا إلى حلب ، وبذلوا السيف فيها ، ثم وصلوا إلى دمشق ، وخرج المصريون في شعبان متوجهين إلى الشام لقتال التتار ، فأقبل المظفر بالجيوش ، وشاليشه ركن الدين بيبرس البندقداري ، فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ، ووقع المصاف ، وذلك يوم الجمعة خامس عشرين رمضان ، فهزم التتار شر هزيمة ، وانتصر المسلمون والله الحمد .

وقتل من التتار مقتلة عظيمة ، وولوا الأدبار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم وينهبونهم ، وجاء كتاب المظفر إلى دمشق بالنصر ، فطار الناس فرحاً ، ثم دخل المظفر إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، وأحبه الخلق غاية المحبة ، وساق بيبرس وراء التتار إلى بلاد حلب ، وطردهم عن البلاد ، ووعداه السلطان بحلب ، ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس من ذلك ، وكان ذلك مبدء الوحشة .

(١) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٤-٤٥) .

[قتل المظفر وتولي بيبرس مكانه]

وكان المظفر عزم على التوجه إلى حلب ؛ لينظف آثار البلاد من التتار ، فبلغه أن بيبرس تنكر له وعمل عليه ، فصرف وجهه عن ذلك ، ورجع إلى مصر ، وقد أضمر الشر لبيبرس ، وأسراً ذلك إلى بعض خواصه ، فأطلع على ذلك بيبرس ، فساروا إلى مصر ، وكل منهما محترس من صاحبه .

فاتفق بيبرس وجماعة من الأمراء على قتل المظفر ، فقتلوه في الطريق في سادس عشر ذي القعدة ، وتسلمن بيبرس ، ولقب : بالملك القاهر .

ودخل مصر وأزال عن أهلها ما كان المظفر قد أحدثه عليهم من المظالم ، وأشار عليه الوزير زين الدين ابن الزبير بأن يغير هذا اللقب ، وقال : ما لُقِّبَ به أحد فأفلح ؛ لقب به القاهر بن المعتضد فخلع بعد قليل وسمل ، ولقب به القاهر ابن صاحب الموصل فسم ، فأبطل السلطان هذا اللقب ، وتلقب : بالملك الظاهر^(١) .

ثم دخلت سنة تسع وخمسين : والوقت أيضاً بلا خليفة إلى رجب ، فأقيمت بمصر الخلافة ، وبويع المستنصر كما سنذكره^(٢) ، فكان مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصف^(٣) .

[من مات في أيام المستعصم]

وممن مات في أيام المستعصم من الأعلام : الحافظ تقي الدين الصِّرِفِينِي ، والحافظ أبو القاسم بن الطيلسان ، وشمس الأئمة الكرْدَرِي من كبار الحنفية ، والشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، والعَلَمُ السخاوي ، والحافظ محب الدين بن النجار مؤرخ بغداد ، ومُتَنَجِّب الدين شارح « المفصل » ، وابن يعيش النحوي ،

(١) انظر « ذيل مرآة الزمان » (٣٦٥-٣٧٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨ / ٦٠-٦٦) .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٧٢٣) .

(٣) ذيل مرآة الزمان (٤٣٤ / ١) ، وتاريخ الإسلام (٧٥ / ٤٨) .

وأبو الحجاج الأتصري الزاهد ، وأبو علي الشَّلَوِين النحوي ، وابن البيطار صاحب « المفردات » ، والعلامة جمال الدين ابن الحاجب إمام المالكية ، وأبو الحسن بن الدَّبَّاج النحوي ، والقَفْطِي صاحب « تاريخ النحاة » ، وأفضل الدين الخُونْجِي صاحب المنطق ، واللارْدِي ، والحافظ يوسف بن خليل ، والبهاء ابن بنت الجُمَيْزِي ، والجمال ابن عمرو النحوي ، والرضي الصَّغَانِي اللغوي صاحب « العباب » وغيره ، والكمال عبد الواحد الزملكاني صاحب « المعاني » و« البيان » و« إعجاز القرآن » ، والشمس الخُسْرَوْشَاهِي ، والمجد ابن تيمية ، ويوسف سبط ابن الجوزي صاحب « مرآة الزمان » ، وابن باطيش من كبار الشافعية ، والنجم البادراني ، وابن أبي الفضل المرسى صاحب التفسير ، وخلائق آخرون .

فَصَحْحُ

[في وفيات مدة انقطاع الخلافة]

ومات في مدة انقطاع الخلافة من الأعلام : الزكي عبد العظيم المنذري ، والشيخ أبو الحسن الشاذلي شيخ الطائفة الشاذلية ، وشعلة المقرئ ، والفاسي شارح « الشاطبية » ، وسعد الدين بن العربي الشاعر ، والصَّرْصَرِي الشاعر ، وابن الأَبَّار مؤرخ الأندلس ، وآخرون .

خلاف المستنصر بالله

[٦٥٩-٦٦٠هـ] ^(١)

أحمد أبو القاسم ابن الظاهر بأمر الله أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أحمد .

قال الشيخ قطب الدين : (كان محبوساً ببغداد ، فلما أخذت التتار بغداد . . أطلق ، فهرب وصار إلى عرب العراق ، فلما تسلطن الملك الظاهر بيبرس . . وفد عليه في رجب ومعه عشرة من بني مهارش ، فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والدولة ، فشق القاهرة ، ثم أثبت نسبه على قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعرز .

ثم بويع له بالخلافة ؛ فأول من بايعه السلطان ، ثم قاضي القضاة تاج الدين ، ثم الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، ثم الكبار على مراتبهم ، وذلك في ثالث عشر رجب .

ونقش اسمه على السكة ، وخطب له ، ولُقب بلقب أخيه ، وفرح الناس ، وركب يوم الجمعة وعليه السواد إلى جامع القلعة ، فصعد المنبر ، وخطب خطبة ذكر فيها شرف بني العباس ، ودعا فيها للسلطان وللمسلمين ، ثم صلى بالناس ، ثم رسم بعمل خلعة خليفَتِيَّة ^(٢) للسلطان ، وبكتابة تقليد له .

ثم نصبت خيمة بظاهر القاهرة ، وركب المستنصر بالله والسلطان يوم الاثنين رابع شعبان إلى الخيمة ، وحضر القضاة والأمراء والوزير ، فألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه ، ونصب منبر ، فصعد عليه فخر الدين ابن لقمان ، فقرأ التقليد ، ثم ركب السلطان بالخلعة ودخل من باب النصر ، وزينت القاهرة ،

(١) انظر ترجمته في : « ذيل الروضتين » ، و« ذيل مرآة الزمان » (٤٤١/١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٠٦/٤٨) ، و« الوافي بالوفيات » (٣٨٤/٧) .

(٢) نسبة إلى الخليفة ، والقياس : (خليفة) ، وهي كذلك في (ب) .

وحمل الصاحب التقليد على رأسه راكباً والأمراء مشاة .

ورتب السلطان للخليفة : أتابكاً ، واستاداراً ، وشرابياً ، وخازنداراً ، وحاجباً ، وكاتباً ، وعين له خزانة وجملة ممالك ، ومئة فرس ، وثلاثين بغلاً ، وعشرة قطارات جمال . . . إلى أمثال ذلك (١) .

قال الذهبي : (ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه إلا هذا والمقتفي) (٢) .

وأما صاحب حلب الأمير شمس الدين أقوش . . فإنه أقام بحلب خليفة ، ولقبه : الحاكم بأمر الله ، وخطب له ، ونقش اسمه على الدراهم (٣) .

[توجه المستنصر إلى العراق وانتهاء خلافته]

ثم إن المستنصر هذا عزم على التوجه إلى العراق ، فخرج معه السلطان يشيعه إلى أن دخلوا دمشق ، ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل ، وغرم عليه وعليهم من الذهب ألف ألف دينار وستين ألف درهم (٤) .

فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق صاحب الموصل ، وصاحب سنجار والجزيرة ، فاجتمع به الخليفة الحلبي الحاكم ، ودان له ودخل تحت طاعته .

ثم سار ففتح الحديثة ، ثم هيت ، فجاءه عسكر من التتار فتصافوا ، فقتل من المسلمين جماعة ، وعدم الخليفة المستنصر ، فقتل وهو الظاهر ، وقيل : سلم وهرب فأضرمت له البلاد (٥) ، وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين ، فكانت خلافته دون ستة أشهر ، وتولى بعده بسنة الحاكم الذي كان ببيع بحلب في حياته .

(١) ذيل مرآة الزمان (١/٤٤١-٤٥٠) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٧-٤٠٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٧) .

(٣) ذيل الروضتين (ص ٢١٥) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/٧٥-٧٦) .

(٤) قوله : (وستين ألف درهم) ليس في (هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٨/٤٠٨) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/١٠٨) .

(٥) ذيل مرآة الزمان (٢/١٦٤) ، وتاريخ الإسلام (٤٨/٤٠٨-٤٠٩) .

خلاف الحاكم بأمر الله

[٦٦١-٧٠١هـ] ^(١)

أبو العباس ، أحمد بن أبي علي الحسن القُبِّي - بضم القاف وتشديد الموحدة - ابن علي بن أبي بكر ابن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله .

كان اختفى وقت أخذ بغداد ونجا ، ثم خرج منها وفي صحبته جماعة ، فقصد حسين ابن فلاح أمير بني خفاجة ، فأقام عنده مدة ، ثم توصل مع العرب إلى دمشق ، وأقام عند الأمير عيسى بن مهنا مدة ، فطالع به الناصر صاحب دمشق ، فأرسل يطلبه فبغته مجيء التتار .

فلما جاء الملك المظفر دمشق . . سير في طلبه الأمير قليج البغدادي ، فاجتمع به وبايعه بالخلافة ، وتوجه في خدمته جماعة من أمراء العرب ، فافتتح الحاكم عانة بهم والحديثة وهيت والأنبار ، وصاف التتار وانتصر عليهم .

ثم كاتبه علاء الدين طبرس نائب دمشق يومئذ ، للملك الظاهر يستدعيه ، فقدم دمشق في صفر ، فبعثه إلى السلطان ، وكان المستنصر بالله قد سبقه بثلاثة أيام إلى القاهرة ، فما رأى أن يدخل إليها ؛ خوفاً من أن يمسك ، فرجع إلى حلب ، وبايعه صاحبها ورؤساؤها ؛ منهم : عبد الحليم بن تيمية ، وجمع خلقاً كثيراً ، وقصد عانة ، فلما خرج المستنصر . . وافاه بعانة ، فانقاد الحاكم له ودخل تحت طاعته .

فلما عُدِم المستنصر في الواقعة المذكورة في ترجمته . . قصد الحاكم الرحبة ، وجاء إلى عيسى بن مهنا ، فكاتب الملك الظاهر فيه ، فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعة ، فأكرمه الملك الظاهر ، وبايعوه بالخلافة ، وامتدت أيامه ،

(١) انظر ترجمته في : « ذيل مرآة الزمان » (١٨٦/٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٣١٧/٦) ، و« البداية والنهاية » (١٩/١٤) ، و« النجوم الزاهرة » (١١٨/٧) .

وكانت خلافته نيفاً وأربعين سنة ، وأنزله الملك الظاهر بالبرج الكبير بالقلعة ، وخطب بجامع القلعة مرات^(١) .

قال الشيخ قطب الدين : (في يوم الخميس ، ثامن المحرم ، سنة إحدى وستين : جلس السلطان مجلساً عاماً ، وحضر الحاكم بأمر الله راكباً إلى الإيوان الكبير بقلعة الجبل ، وجلس مع السلطان وذلك بعد ثبوت نسبته ، فأقبل عليه السلطان ، وبايعه بإمرة المؤمنين ، ثم أقبل هو على السلطان وقلّده الأمور ، ثم بايعه الناس على طبقاتهم .

فلما كان من الغد يوم الجمعة . . خطب خطبة ذكر فيها الجهاد والإمامة ، وتعرض إلى ما جرى من هتك حرمة الخلافة ، ثم قال : وهذا السلطان الملك الظاهر قد قام بنصر الإمامة عند قلة الأنصار ، وشرّد جيوش الكفر بعد أن جاسوا خلال الديار ، وأول الخطبة : الحمد لله الذي أقام لآل العباس ركناً وظهيراً ، ثم كتب بدعوته إلى الآفاق^(٢) .

وفي هذه السنة وبعدها : تواتر مجيء جماعة من التتار مسلمين مستأمنين ، فأعطوا أخباراً وأرزاقاً ، فكان ذلك مبدأ كفاية شرهم^(٣) .

وفي سنة اثنتين وستين : فرغت المدرسة الظاهرية بين القصرين ، وولي بها تدريس الشافعية التقي ابن رزين ، وتدرّس الحديث الشرف الدميّاطي^(٤) وفيها : زلزلت مصر زلزلة عظيمة^(٥) .

(١) تاريخ الإسلام (٨٠/٤٨ - ٨١) .

(٢) ذيل مرآة الزمان (١٨٧/٢ - ١٨٨) ، وتاريخ الإسلام (٦٥/٤٩) .

(٣) ذيل مرآة الزمان (١٩٥/٢) ، وفي « تاريخ الإسلام » (٨٥/٤٨) : من أحداث سنة (٦٦٠ هـ) ..

(٤) ذيل مرآة الزمان (٢٢٩/٢) ، وتاريخ الإسلام (١٠/٤٩) .

(٥) ذيل مرآة الزمان (٢٣١/١) ، وتاريخ الإسلام (١١/٤٩) .

وفي سنة ثلاث وستين : انتصر سلطان المسلمين بالأندلس أبو عبد الله ابن الأحمر على الفرنج ، واسترجع من أيديهم اثنتين وثلاثين بلداً ، من جملتها : إشبيلية ومرسية^(١) .

وفيها : كثر الحريق بالقاهرة في عدة مواضع ، ووجد لفائف فيها النار والكبريت على الأسطحة^(٢) .

وفيها : حفر السلطان بحر أشمون ، وعمل فيه بنفسه والأمراء^(٣) .

وفيها : مات طاغية التتار هلاكوا ، وملك بعده ابنه أبغا^(٤) .

وفيها : سلطن السلطان ولده الملك السعيد ، وعمره أربع سنين ، وركبه بأبهة الملك في قلعة الجبل ، وحمل الغاشية^(٥) بنفسه بين يدي ولده ؛ من باب السر إلى باب السلسلة ثم عاد ، وركب السعيد إلى القاهرة والأمراء مشاة بين يديه^(٦) .

وفيها : جدد بالديار المصرية القضاة الأربعة ، من كل مذهب قاض ، وسبب ذلك : توقف القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز عن تنفيذ كثير من الأحكام ، وتعطلت الأمور ، وأبقى للشافعي النظر في أموال الأيتام وأمور بيت المال ، ثم فعل ذلك بدمشق^(٧) .

وفي رمضان منها : حجب السلطان الخليفة ومنعه الناس ؛ لكون أصحابه كانوا يخرجون إلى البلد ويتكلمون في أمر الدولة^(٨) .

(١) تاريخ الإسلام (١٦-١٥/٤٩) .

(٢) تاريخ الإسلام (١٨-١٧/٤٩) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٩-١٨/٤٩) .

(٤) ذيل مرآة الزمان (٣٢٢/٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٠-١٩/٤٩) .

(٥) الغاشية : سرج من أديم ، مخروزة بالذهب ، يظنها الناظر كلها ذهباً ، ويلقيها على يديه يميناً وشمالاً .

(٦) ذيل مرآة الزمان (٣٢٢/٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٠/٤٩) .

(٧) ذيل مرآة الزمان (٣٢٤/٢) ، وتاريخ الإسلام (٢١/٤٩) .

(٨) تاريخ الإسلام (٢٢/٤٩) .

وفي سنة خمس وستين وست مئة : أمر السلطان بعمل الجامع بالحسنية ، وتم ذلك في سنة سبع وستين ، وقرر له خطيب حنفي^(١) .

[فتح النوبة]

وفي سنة أربع وسبعين : وجه السلطان جيشاً إلى النوبة ودُنُقْلة ، فانتصروا وأسر ملك النوبة ، وأرسل به إلى الملك الظاهر ، ووضعت الجزية على أهل دُنُقْلة والله الحمد^(٢) .

قال الذهبي : وأول ما غزيت النوبة في سنة إحدى وثلاثين من الهجرة ، غزاها عبد الله بن أبي سَرْح في خمسة آلاف فارس ، ولم يفتحها ، فهادنهم ورجع ، ثم غزيت في زمن هشام ولم تفتح ، ثم في زمن المنصور ، ثم غزاها تَكِين التركي ، ثم كافور الإخشيدي ، ثم ناصر الدولة ابن حمدان ، ثم توران شاه أخو السلطان صلاح الدين في سنة ثمان وستين وخمس مئة ، ولم تفتح إلى هذا العام ، وقال في ذلك ابن عبد الظاهر :

هذا هو الفتح لا شيء سمعت به في شاهد العين لا ما في الأسانيد^(٣)

[موت الظاهر وتولية ابنه الملك السعيد]

وفي سنة ست وسبعين : مات الملك الظاهر بدمشق في المحرم ، واستقل ابنه الملك السعيد محمد بالسلطنة وله ثمان عشرة سنة^(٤) .

وفيها : جمع للتقي بن رَزِين بين قضاء مصر والقاهرة ، وكان قضاء مصر قبل ذلك مفرداً عن قضاء القاهرة ، ثم لم يفرد بعد ذلك قضاء مصر عن قضاء القاهرة^(٥) .

(١) ذيل مرآة الزمان (٣٦١/٢) ، وتاريخ الإسلام (٢٩/٤٩) .

(٢) ذيل مرآة الزمان (١١٧/٣) ، وتاريخ الإسلام (١٨/٥٠) .

(٣) تاريخ الإسلام (١٨-١٩) .

(٤) ذيل مرآة الزمان (٢٣٣/٣) ، وتاريخ الإسلام (٢٩-٣٠) .

(٥) تاريخ الإسلام (٣٢/٥٠) .

[خلع الملك السعيد وموته وتولية قلاوون]

وفي سنة ثمان وسبعين : خلع الملك السعيد من السلطنة وسير إلى الكرك سلطاناً بها ، فمات من عامه ، وولوا مكانه بمصر أخاه بدر الدين سلامش وله سبع سنين ، ولقبوه : بالملك العادل ، وجعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون ، وضربت السكة باسمه على وجهه ، وباسم أتابكه على وجهه ، ودعي لهما معاً في الخطبة ، ثم في رجب نزع سلامش من السلطنة بغير نزاع ، وتسلم قلاوون ، ولقب : بالملك المنصور^(١) .

وفي سنة تسع وسبعين : يوم عرفة وقع بديار مصر برّد كبار وصواعق^(٢) .

وفي سنة ثمانين : وصل عسكر التتار إلى الشام ، وحصل الرجيف ، فخرج السلطان لقتالهم ووقع المصاف ، وحصل مقتلة عظيمة ، ثم حصل النصر للمسلمين والله الحمد^(٣) .

[فتح طرابلس واستردادها]

وفي سنة ثمان وثمانين : أخذ السلطان طرابلس بالسيف ، وكانت في أيدي الفرنج من سنة ثلاث وخمس مئة إلى الآن ، وكان أول فتحها في زمن معاوية . وأنشأ التاج ابن الأثير كتاباً بالبشارة بذلك إلى صاحب اليمن يقول فيه : (وكانت الخلفاء والملوك في ذلك الوقت ما فيهم إلا من هو مشغول بنفسه ، مكبّ على مجلس أنسه ، يرى السلامة غنيمة ، وإذا عنّ له وصف الحرب . . لم يسأل إلا عن طرق الهزيمة ، قد بلغ أمله من الرتبة ، وقنع بالسكة والخطبة ،

(١) ذيل مرآة الزمان (٤ / ٤) ، وتاريخ الإسلام (٣٨ / ٥٠ و ٤٠) .

(٢) ذيل مرآة الزمان (٥٣ / ٤) ، وتاريخ الإسلام (٥٢ / ٥٠) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٧ / ٥٠ - ٥٩) ، وهي وقعة حمص .

أموال تنهب ، وممالك تذهب ، لا يبالون بما سلبوا ، وهم كما قيل : [من البسيط]
إِنْ قَاتَلُوا قُتِلُوا أَوْ طَارَدُوا طُرِدُوا أَوْ حَارَبُوا حُربُوا أَوْ غَالَبُوا غُلِبُوا
إِلَى أَنْ أَوْجَدَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِ دِينِهِ ، وَأَذَلَ الْكُفْرَ وَشَيَاطِينَهُ (١) .

وذكر بعضهم : (أن معنى « طرابلس » باللسان الرومي : ثلاثة حصون
مجتمعة) (٢) .

[موت السلطان قلاوون وتولية ابنه الأشرف]

وفي سنة تسع وثمانين : مات السلطان قلاوون في ذي القعدة ، وتسلم ابنه
الملك الأشرف صلاح الدين خليل ، فأظهر أمر الخليفة ، وكان خاملاً في أيام
أبيه ، حتى إن أباه لم يطلب منه تقليداً بالملك ، فخطب الخليفة بالناس يوم
الجمعة ، وذكر في خطبته توليته للملك الأشرف أمر الإسلام .

ولما فرغ من الخطبة . . صلى بالناس قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، ثم
خطب الخليفة مرة أخرى خطبة جهادية ، وذكر بغداد وحرّض على أخذها (٣) .

وفي سنة إحدى وتسعين : سافر السلطان فحاصر قلعة الروم (٤) .

وفي سنة ثلاث وتسعين وست مئة : قتل السلطان بتروجة في المحرم ،
وسلطنوا أخاه محمد بن المنصور ، ولقب : الملك الناصر ، وله يومئذ تسع
سنين ، ثم خلع في المحرم سنة أربع وتسعين وتسلمن كتبغا المنصوري ،
وتسمى : بالملك العادل (٥) .

(١) النجوم الزاهرة (٣٢٣/٧) .

(٢) النجوم الزاهرة (٣٢٢/٧) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٤١/٥٠ - ٤٢) ، و (٥١/٥٧) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٢٥/٧) .

(٤) تاريخ الإسلام (١٢/٥٢) .

(٥) تاريخ الإسلام (٢٧/٥٢ ، ٣٤) ، والنجوم الزاهرة (٤١/٨) .

وفي هذه السنة^(١) : دخل في الإسلام قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاكو ملك التتار ، وفرح الناس بذلك ، وفشا الإسلام في جيشه^(٢) .

وفي سنة ست وتسعين وست مئة : كان السلطان بدمشق ، فوئب لاجين على السلطنة ، وحلف له الأمراء ، ولم يختلف عليه اثنان ، ولقب : الملك المنصور ، وذلك في صفر ، وخلع عليه الخليفة الخلعة السوداء ، وكتب له تقليداً ، وسير العادل إلى صرخند نائباً بها ، ثم قُتل لاجين ، في جمادى الآخرة ، سنة ثمان وتسعين ، وأُعيد الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون ، وكان منفيّاً بالكرك ، فقلّده الخليفة ، فسير العادل إلى حماة نائباً بها ، فاستمر إلى أن مات سنة اثنتين وسبع مئة^(٣) .

[وفاة الخليفة الحاكم]

وفي سنة إحدى وسبع مئة : توفي الخليفة الحاكم ليلة الجمعة ، ثامن عشر جمادى الأولى ، وصلي عليه العصر بسوق الخيل تحت القلعة ، وحضر جنازته الدولة والأعيان كلهم مشاة ، ودفن بقرب السيدة نفيسة ، وهو أول من دفن منهم هناك ، واستمر مدفنهم إلى الآن ، وكان عهد بالخلافة لولده أبي الربيع سليمان^(٤) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام الحاكم من الأعلام : الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والعلم اللورقي ، وأبو القاسم القبّاري الزاهد ، والزين خالد النابلسي ، والحافظ

(١) أي : في سنة أربع وتسعين .

(٢) تاريخ الإسلام (٣٧/٥٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٥٢/٤٩-٥٢) .

(٤) البداية والنهاية (٢٢٣/١٤) ، والمتهل الصافي (٨٠/٢) .

أبو بكر ابن مسدي ، والإمام أبو شامة ، والتاج ابن بنت الأعز ، وأبو الحسن ابن عدلان ، ومجد الدين بن دقيق العيد ، وأبو الحسن بن عصفور النحوي ، والكمال سَلَّارُ الإزْبِلِي ، وعبد الرحيم بن يونس مصنف « التعجيز » ، والقرطبي صاحب « التفسير » و« التذكرة » ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، وولده بدر الدين ، والنصير الطوسي رأس الفلسفة وخاصة التتار ، والتاج ابن الساعي خازن المستنصرية ، والبرهان ابن جماعة ، والنجم الكاتبي المنطقي ، والشيخ محيي الدين النووي ، والصدر سليمان إمام الحنفية ، والتاج ابن ميسر المؤرخ ، والكواشي المفسر ، والتقي بن رَزِين ، وابن خَلَّكان صاحب « وفيات الأعيان » ، وابن إياز النحوي ، وعبد الحلیم ابن تيمية ، وابن جَعوان ، وناصر الدين بن المنير ، والنجم ابن البارزي ، والبرهان النسفي صاحب التصانيف في الخلاف والكلام ، والرضي الشاطبي اللغوي ، والجمال الشريشي ، وابن النفيس شيخ الأطباء ، وأبو الحسين ابن أبي الربيع النحوي ، والأصبهاني شارح « المحصول » ، والعفيف التلمساني الشاعر المنسوب إلى الاتحاد ، والتاج ابن الفَرْكاح ، والزین ابن المُرَحَّل ، والشمس الخُوِّي ، والعز الفاروئي ، والمحب الطبري ، والتقي ابن بنت الأعز ، والرضي القسطنطيني ، والبهاء ابن النحاس النحوي ، وياقوت المستعصمي صاحب الخط المنسوب ، وخلائق آخرون .

خلاف لمستكفي بالله

[٧٠١-٧٤٠هـ] ^(١)

أبو الربيع ، سليمان بن الحاكم بأمر الله ، ولد في نصف المحرم ، سنة أربع وثمانين وست مئة ، واشتغل قليلاً ، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى ، سنة إحدى وسبع مئة .

وخطب له على المنابر في البلاد المصرية والشامية ، وسارت البشارة بذلك إلى جميع الأقطار والممالك الإسلامية ، وكانوا يسكنون بالكبش ، فنقلهم السلطان إلى القلعة ، وأفرد لهم داراً ^(٢) .

ثم في سنة اثنتين : هجم التتار الشام ، فخرج السلطان ومعه الخليفة لقتالهم ، فكان النصر ، وقُتل من التتار مقتلة عظيمة ، وهرب الباقون ^(٣) . وفيها : زلزلت مصر والشام زلزلة عظيمة هلك منها خلق تحت الهدم ^(٤) .

وفي سنة أربع : أنشأ الأمير بيبرس الجاشنكير المنصوري الوظائف والدروس بجامع الحاكم ، وجدده بعد خرابه من الزلزلة ، وجعل القضاة الأربعة مدرسي الفقه ، وشيخ الحديث سعد الدين الحارثي ، وشيخ النحو أبا حيان ^(٥) .

(١) انظر ترجمته في : « الوافي بالوفيات » (٣٤٩/١٥) ، و « البداية والنهاية » (١٨٧/١٤) ، و « النجوم الزاهرة » (٣٢٢/٩) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » (١٨٧/١٤) .

(٣) البداية والنهاية (٢٣/١٤) .

(٤) البداية والنهاية (٢٧/١٤) .

(٥) البداية والنهاية (٣٣/١٤) .

[السلطان ابن قلاوون يعزل نفسه ثم يعود وما جرى من ذلك]

وفي سنة ثمان : خرج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون قاصداً للحج ، فخرج من مصر في رمضان ، وخرج معه جماعة من الأمراء لتوديعه فردهم ، فلما اجتاز بالكرك .. عدل إليها ، فنُصب له الجسر ، فلما توسطه .. انكسر به ، فسلم مَنْ قدامه ، وقفز به الفرس فسلم ، وسقط من وراءه فكانوا خمسين ، فمات أربعةٌ وتهشم أكثرهم في الوادي الذي تحته ، وأقام السلطان بالكرك .

ثم كتب كتاباً إلى الديار المصرية يتضمن عزل نفسه عن المملكة ، فأثبت ذلك على القضاة بمصر ، ثم نفذ على قضاة الشام .

وبويع الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالسلطنة في الثالث والعشرين من شوال ، ولقب : الملك المظفر ، وقلَّده الخليفة ، وألبسه الخِلمة السوداء والعمامة المدورة ، ونفذ التقليد إلى الشام في كيس أطلَس أسود ، فقرئ هناك ؛ وأوله : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) .

ثم عاد الملك الناصر في رجب سنة تسع يطلب عوده إلى الملك ، ومالاًهُ على ذلك جماعةٌ من الأمراء ، فدخل دمشق في شعبان ، ثم دخل مصر يوم عيد الفطر وصعد القلعة ، وكان المظفر بيبرس فرَّ في جماعة من أصحابه قبل قدومه بأيام ، ثم أمسك وقتل من عامه ، وقال العلَّاء الوداعي في عود الناصر إلى الملك : [من السريع]

الملكُ النَّاصرُ قد أَقبَلَتْ دولُّهُ مشرقَةَ الشَّمْسِ
عادَ إلى كُرسيِّهِ مثلَ ما عادَ سُلَيْمَانُ إلى الكُرسيِّ^(١)

وفي هذه السنة^(٢) : تكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم البيض ، وأنهم قد التزموا للديوان بسبع مئة ألف كل سنة زيادة على الجالية ، فقام

(١) النجوم الزاهرة (٨/ ١١٦) ، وانظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٤٧) .

(٢) أي : سنة (٧٠٩هـ) .

الشيخ تقي الدين ابن تيمية في إبطال ذلك قياماً عظيماً ، وبطل والله الحمد^(١) .

[موت خير ملوك التتار ووالده من قبله]

وفيها : أظهر ملك التتار خُدايْنَدَه^(٢) الرفض في بلاده ، وأمر الخطباء ألا يذكروا في الخطبة إلا علي بن أبي طالب وولديه وأهل البيت ، واستمر ذلك إلى أن مات سنة ست عشرة وولي ابنه أبو سعيد ، فأمر بالعدل ، وأقام السُّنة والترضي عن الشيخين ثم عثمان ثم علي في الخطبة ، وسَكَن كثيرٌ من الفتن والله الحمد ، وكان هذا من خير ملوك التتار وأحسنهم طريقة ، واستمر إلى أن مات سنة ست وثلاثين ، ولم يقم لهم من بعده قائمة ، بل تفرقوا شذَر مَذَر^(٣) .

وفي سنة سبع عشرة : زاد النيل زيادة كثيرة لم يسمع بمثلها ، وغرق منها بلاد كثيرة وناس كثيرون^(٤) .

وفي سنة أربع وعشرين : زاد النيل أيضاً كذلك ، ومكث على الأرض ثلاثة أشهر ونصفاً ، وكان ضرره أكثر من نفعه^(٥) .

وفي سنة ثمان وعشرين : عمرت سقوف المسجد الحرام بمكة ، والأبواب ، وظاهره مما يلي باب بني شيبه^(٦) .

(١) البداية والنهاية (٥٤/١٤) .

(٢) خُدايْنَدَه : اسم فارسي ؛ معناه : عبد الله ، وهو لقب السلطان المغولي الإيلخاني أولجايتوات (ت ٧١٦هـ) . ويقال له : (خَرْيَنْدَا) . انظر «النجوم الزاهرة» (٢٣٨/٩) ، و«الدرر الكامنة» (٣٧٨/٣) ، و«المعجم الفارسي الكبير» (١٠١٨/١ و ١٠٢٥) .

(٣) انظر «البدية والنهاية» (٥٦/١٤ ، ٧٧) ، و«النجوم الزاهرة» (٢٧٨/٨) .

(٤) البداية والنهاية (٨٢/١٤) .

(٥) البداية والنهاية (١١٢/١٤) .

(٦) البداية والنهاية (١٣٣/١٤) .

وفي سنة ثلاثين : أقيمت الجمعة بإيوان الشافعية من المدرسة الصالحية بين القصرين ، وذلك أول ما أقيمت بها^(١) .

وفيها : فرغ من الجامع الذي أنشأه قوصون خارج باب زويلة ، وخطب به وحضره السلطان والأعيان ، وباشر الخطابة يومئذ قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، ثم استقر في خطابته فخر الدين بن شكر^(٢) .

وفي سنة ثلاث وثلاثين : أمر السلطان بالمنع من رمي البندق ، وألا تباع قسيه ، ومنع المنجمين^(٣) .

وفيها : عمل السلطان للكعبة باباً من الآبُنُوس عليه صفائح فضة ، زنتها : خمسة وثلاثون ألفاً وثلاث مئة وكسّر ، وقلع الباب العتيق ، فأخذه بنو شيبة بصفائحه ، وكان عليه اسم صاحب اليمن^(٤) .

[اعتقال الخليفة ونفيه حتى مات]

وفي سنة ست وثلاثين : وقع بين الخليفة والسلطان ، فقبض على الخليفة ، واعتقله بالبرج ، ومنعه من الاجتماع بالناس ، ثم نفاه في ذي الحجة سنة سبع إلى قوص هو وأولاده وأهله ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وهم قريب من مئة نفس ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، واستمر المستكفي بقوص إلى أن مات بها ، في شعبان ، سنة أربعين وسبع مئة ، ودفن بها وله بضع وخمسون سنة^(٥) .

قال ابن حجر في « الدرر » : (كان فاضلاً جواداً ، حسن الخط جداً ، شجاعاً يعرف لعب الكرة ورمي البندق ، وكان يجالس العلماء والأدباء ، وله عليهم

(١) البداية والنهاية (١٤٨ / ١٤) .

(٢) البداية والنهاية (١٤٩ / ١٤) .

(٣) البداية والنهاية (١٦١ / ١٤) .

(٤) البداية والنهاية (١٦٢ / ١٤) .

(٥) البداية والنهاية (١٧٤ / ١٤) ، ١٨٧ .

إفضال ، ومعهم مشاركة ، وكان بطول مدته يخطب له على المنابر ، حتى في زمن حبسه ومدة إقامته بقوص ، وكان بينه وبين السلطان أولاً محبة زائدة ، فكان يخرج معه إلى السرحات ، ويلعب معه الكرة ، وكانا كالأخوين .

والسبب في الواقعة بينهما : أنه رفع إليه قصة عليها خط الخليفة بأن يحضر السلطان بمجلس الشرع الشريف ، فغضب من ذلك ، وآل الأمر إلى أن نفاه إلى قوص ، ورتب له على واصل الكارم^(١) أكثر مما كان له بمصر^(٢) .

قال ابن فضل الله في ترجمته في « المسالك » : (كان حسن الجملة ، لين الحملة)^(٣) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المستكفي من الأعلام : قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد ، والشيخ زين الدين الفارقي شيخ الشافعية ، وشيخ دار الحديث ؛ وليها من بعد وفاة النووي إلى الآن^(٤) ، ووليها بعده : صدر الدين بن الوكيل .

والشرف الفزاري ، والصدر بن الزريزر الحاسب ، والحافظ شرف الدين الدمياطي ، والضياء الطوسي شارح « الحاوي » ، والشمس السروجي شارح « الهداية » من الحنفية ، والإمام نجم الدين ابن الرفعة إمام الشافعية في زمانه ، والحافظ سعد الدين الحارثي ، والفخر التُّوزي محدث مكة ، والرشد بن المعلم من كبار الحنفية ، والأزموي ، والصدر بن الوكيل شيخ الشافعية ، والكمال ابن الشريشي ، والتاج التبريزي ، والفخر ابن بنت أبي سعد ، والشمس بن أبي العز شيخ الحنفية ، والرضي الطبري إمام مكة ، والصفى أبو الثناء محمود الأزموي ، والشيخ نور الدين البكري ، والعلاء ابن العطار تلميذ النووي ، والشمس الأصبهاني صاحب التفسير وشرح « مختصر ابن الحاجب » وشرح « التجريد »

(١) نوع من المكوس المفروضة على تجار الحجاز واليمن وما والاها . « صبح الأعشى » (٣ / ٤٦٤) .

(٢) الدرر الكامنة (٢ / ١٤١ - ١٤٤) .

(٣) المسالك (٢٤ / ٣١٥) .

(٤) أي : إلى زمن المستكفي .

وغير ذلك ، والتقي الصائغ المقرئ خاتمة مشايخ القراء ، والشهاب محمود شيخ صناعة الإنشاء ، والجمال بن مطهر شيخ الشيعة ، والكمال بن قاضي شهبة ، والنجم القمُولي صاحب « الجواهر » و« البحر » ، والكمال بن الزمَلكاني ، والشيخ تقي الدين ابن تيمية ، وابن جُبارة شارح « الشاطبية » ، والنجم البالسي شارح « التنبيه » ، والبرهان الفَزاري شيخ الشافعية ، والعلاء القُونَوِي شارح « الحاوي » ، والفخر التركماني من الحنفية شارح « الجامع الكبير » ، والملك المؤيد صاحب حماة الذي له تصانيف كثيرة منها « نظم الحاوي » ، والشيخ ياقوت العرشي تلميذ الشيخ أبي العباس المرسِي ، والبرهان الجعبري ، والبدر ابن جماعة ، والتاج ابن الفاكهاني ، والفتح ابن سيد الناس ، والقطب الحلبي ، والزين الكَتْناني ، والقاضي محيي الدين بن فضل الله ، والركن بن القَوَيْع ، والزين بن المُرَحِّل ، والشرف ابن البَارِزي ، والجلال القزويني وآخرون .

خلافة الواثق بالله إبراهيم

[٧٤٠-٧٤١هـ]^(١)

ابن ولي العهد المستمسك بالله أبي عبد الله محمد ابن الحاكم بأمر الله أبي العباس أحمد .

كان جده الحاكم عهد إلى ابنه محمد ، ولقبه : المستمسك ، فمات في حياته ، فعهد إلى ابنه إبراهيم هذا ظناً أنه يصلح للخلافة ، فرآه غير صالح لها ؛ لما هو فيه من الانهماك في اللعب ومعاشرة الأراذل ، فعدل عنه وعهد إلى المستكفي ابنه - أعني ابن الحاكم - وهو عم إبراهيم ، فكان إبراهيم هو السبب في الوقيعة بين الخليفة المستكفي والسلطان بعد أن كانا كالأخوين ؛ لما كان يحمله إليه من النميمة به حتى جرى ما جرى .

فلما مات المستكفي بقوص . . عهد إلى ابنه أحمد ، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك ، وباع إبراهيم هذا ، ولقب : بالواثق ، إلى أن حضرت السلطان الوفاة ، فندم على ما صدر منه ، وعزل إبراهيم هذا ، وباع ولي العهد أحمد ، ولقب : الحاكم ، وذلك في أول المحرم ، سنة اثنتين وأربعين^(٢) .

قال ابن حجر : (راجع الناس السلطان في أمر إبراهيم هذا ، ووسموه بسوء السيرة ، فلم يلتفت إلى ذلك ، ولم يزل بالناس حتى بايعوه ، وكان العامة يلقبونه : المستعطي بالله)^(٣) .

وقال ابن فضل الله في « المسالك » في ترجمة الواثق : (عهد إليه جده ظناً أن يكون صالحاً ، أو يجيب لداعي الخلافة صائحاً ، فما نشأ إلا في تهتك ، ولا دان إلا بعدم تنسك ، أغوي بالقاذورات ، وفعل ما لم تدع إليه الضرورات ، وعاشر

(١) انظر ترجمته في : « الدرر الكامنة » (٥٦ / ١) ، و « النجوم الزاهرة » (١٥١ / ٩) .

(٢) انظر « النجوم الزاهرة » (١٥١ / ٩) .

(٣) الدرر الكامنة (٥٦ / ١) .

السفلة والأراذل ، وهان عليه من عرضه ما هو باذل ، وزُين له سوء عمله فرآه حسناً ، وعمي عليه فلم ير مسيئاً إلا محسناً ، وغوي اللعب بالحمام ، ومشتري الكباش للنطاح ، والديوك للنقار ، والمنافسة في المعز الزرائبية الطوال الآذان ، وأشياء من هذا ، ومثله ما يسقط المروءة ، ويثلم الوقار ، هذا إلى سوء معاملة ، ومشتري سلع لا يوفي أثمانها ، واستئجار آدر^(١) لا يقوم بأجرها ، وتحيل على درهم يملأ به كفه ، وسخت يجمع به فمه ، وحرام يطعم منه ويطعم حرمه ، حتى كان عرضه عرضة للهوان ، وأكلة لأهل الأوان .

فلما توفي المستكفي والسلطان عليه في حدة غضبه ، وتياره المتحامل عليه في شدة غلبه . . طلب هذا الواثق المغتر والمائق إلا أنه غير المضطر ، وكان ممن يمشي إلى السلطان في عمه بالنميمة ، ويعقد مكايده على رأسه عقد التميمة ، فحضر إليه وأحضر معه عهد جده ، فتمسك السلطان في مبايعته بشبهته ، وصرف وجه الخلافة إلى جهته ، وكان قد تقدم نقض ذلك العهد ، ونسخ ذلك العقد ، وقام قاضي القضاة أبو عمر بن جماعة في صرف رأي السلطان عن إقامة الخطبة باسم الواثق ، فلم يفعل ، فاتفق الرأيان على ترك الخطبة للاثنين ، واكتفي فيها بمجرد اسم السلطان ، فترجل بموت المستكفي اسم الخلافة عن المنابر ؛ كأنه ما علا ذروتها ، وخلاً الدعاء للخلفاء من المحاريب ؛ كأنه ما قرع بابها ومروتها ، فكأنما كان آخر خلفاء بني العباس ، وشعارها عليه لباس الحداد ، وغمروا تلك السيوف الحداد .

ثم لم يزل الأمر على هذا حتى حضرت السلطان الوفاة ، وقرع الموت صفاه ، فكان مما أوصى به : رد الأمر إلى أهله ، وأمضى عهد المستكفي لابنه ، وقال : الآن حصحص الحق ، وحنا على مخالفه ورقاً ، وعزل إبراهيم وهزل ، وكان قد رعى رعي الهمم^(٢) ، وستر اللؤم بثياب أهل الكرم ، وتسمن وشحمه ورم ، وتسمى بالواثق ، وأين هو من صاحب هذا الاسم الذي طالما سرى رعبه

(١) آدر : جمع دار .

(٢) في (ب) : (البهم) .

في القلوب ، وأمنت هيئته العيوب ؟! وهيئات لا تعد من النسر التماثيل ،
ولا الناموسة وإن طال خرطومها كالفيل !! وإنما سوء الزمان قد ينفق ما كسد ،
والهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد ، وقد عاد الآن يعض يديه ، ومن يهن . . . يسهل
الهوان عليه) هذا آخر كلام ابن فضل الله^(١) .

(١) المسالك (٣١٨/٢٤ - ٣١٩) .

خلافة الحاكم بأمر الله

[٧٤١-٧٥٣هـ] ^(١)

أبو العباس أحمد بن المستكفي ، كان أبوه - لما مات بقوص - عهد إليه بالخلافة ، فقدّم الملك الناصر عليه إبراهيم ابن عمه لما كان في نفسه من المستكفي ، وكانت سيرة إبراهيم قبيحة ، وكان القاضي عز الدين بن جماعة قد جهد كل الجهد في صرف السلطان عنه فلم يفعل .

فلما حضرته الوفاة . أوصى الأمراء برد الأمر إلى ولي عهد المستكفي ولده أحمد .

فلما تسلطن المنصور أبو بكر بن الناصر . عقد مجلساً يوم الخميس ، حادي عشر ذي الحجة ، سنة إحدى وأربعين ، وطلب الخليفة إبراهيم ووليّ العهد أحمد والقضاة ، وقال : (من يستحق الخلافة شرعاً ؟) .

فقال ابن جماعة : (إن الخليفة المستكفي المتوفى بمدينة قوص أوصى بالخلافة من بعده لولده أحمد ، وأشهد عليه أربعين عدلاً بمدينة قوص ، وثبت ذلك عندي بعد ثبوته على نائبي بمدينة قوص) .

فخلع السلطان حينئذ إبراهيم وباع أحمد ، وبايعه القضاة ، ولقب : الحاكم بأمر الله لقب جده .

وقال ابن فضل الله في « المسالك » في ترجمته : (هو إمام عصرنا ، وغمام مصرنا ، قام على غيظ العدى ، وعرف بفيض الندى ، صارت له الأمور إلى مصائرنا ، وسيقت إلى مصائرنا ، فأحيا رسوم الخلافة ، ورسم بما لم يستطع أحد خلافه ، وسلك مناهج آبائه وقد طُمست ، وأحياها بمناهج أبنائه وقد درّست ، وجمع شمل بني أبيه وقد طال بهم الشتات ، وأطال غررهم وقد اختلفت

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (٢٩٠/١٠) ، و« الدرر الكامنة » (١٣٧/١) ، و« شذرات الذهب » (٢٩٦/٨) .

الشيئات^(١) ، وُرفِع اسمه على ذرى المنابر ، وقد غَبَرَ مدة لا يطلع إلا في آفاه تلك النجوم ، ولا يسُحُّ من سُحبه تلك الغيوم والسجوم ، طُلب بعد موت السلطان ، وأنفذ حكم وصيته في تمام مبايعته ، والتزام متابعتها ، وكان أبوه قد أحكم له بالعقد المتقدم عقدها ، وحفظ له عند ذوي الأمانة عهدَها ، ثم سلطن الملك المنصور أبا بكر بن السلطان ، وعمر له من تحت الملك الأوطان .

[صورة المبايعة]

قال ابن فضل الله : (وقد كتبتُ له صورة المبايعة وهي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنِّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ . . . ﴾ إلى قوله : ﴿ عَظِيمًا ﴾

هذه بيعة رضوان وبيعة إحسان ، وجمعة رضاء يشهد بها الجماعة ويشهد عليها الرحمن ، بيعة يلزم طائرها العنق ، وتحوم بشائرها وتحمل أنباءها البراري والبحار مشحونة الطرق .

بيعة يُصلح الله بها الأمة ، ويمنح بسببها النعمة ، ويتجارى الرفاق ، ويسري الهناء في الآفاق ، وتتراحم زهر^(٢) الكواكب على حوض المجرة الدقاق .

بيعة سعيدة ميمونة ، شريفة بها السلامة في الدين والدنيا مضمونة ، بيعة صحيحة شرعية ، بيعة ملحوظة مرعية .

بيعة تسابق إليها كل نية ، وتطاوع كل طويّة ، ويجمع عليها شتات البرية ، بيعة يستهل بها الغمام ، ويتهلّل البدر التمام .

بيعة متّفق على الإجماع عليها ، والاجتماع لبسط الأيدي إليها ، انعقد عليها الإجماع ، فاعتقد صحتها من سمع الله وأطاع ، وبذل في تمامها كل امرئ ما استطاع ، حصّل عليها اتفاق الأبصار والأسماع ، ووصل بها الحق إلى مستحقه وأقر الخصم وانقطع النزاع .

(١) الشيئات : جمع شية ؛ والشية : اللون .

(٢) في مطبوع « المسالك » : (زمر) .

تضمنها كتاب مرقوم يشهده المقرَّبون ، وتلقَّاه الأئمة الأقربون : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ ذلك من فضل الله علينا وعلى
الناس ، وإلينا والله الحمد وإلى بني العباس .

أجمع على هذه البيعة : أرباب العقد والحل ، وأصحاب الكلام فيما قل
وجَلَّ ، وولاة الأمور والحكَّام ، وأرباب المناصب والأحكام ، وحملة العلم
والأعلام ، وحماة السيوف والأقلام ، وأكابر بني عبد مناف ، ومن انخفض قدره
وأناف ، وسروات قریش ووجوه بني هاشم والبقية الطاهرة من بني العباس ،
وخاصة الأئمة وعامة الناس .

بيعة ترى بالحرمين خيامها ، وتخفق بالمأزمين أعلامها^(١) ، وتتعرف عرفات
بركاتها ، وتعرف بمنى ، ويؤمن عليها يوم الحج الأكبر ، ويؤم ما بين الركن
والمقام والحجر^(٢) ، ولا يبتغى بها إلا وجه الله الكريم .

بيعة لا يُحل عقدها ، ولا يُنبذ عهدُها ، لازمة جازمة ، دائبة دائمة ، تامة
عامة ، شاملة كاملة ، صحيحة صريحة ، متعبة مريحة ، ولا من يوصف بعلم
ولا قضاء ، ولا من يرجع إليه في اتفاق ولا إمضاء ، ولا إمام مسجد ولا خطيب ،
ولا ذو الفتوى يسأل فيجيب ، ولا من حشي المساجد^(٣) ولا من تضمهم أجنحة
المحاريب ، ولا من يجتهد في رأي فيخطيء أو يصيب .

ولا محدث بحديث ، ولا متكلم في قديم وحديث ، ولا معروف بدين
وصلاح ، ولا فرسان حرب وكفاح ، ولا راشق بسهام ولا طاعن برماح ،
ولا ضارب بصفاح ، ولا ساع بقدم ولا طائر بجناح ، ولا مخالط للناس ولا قاعد
في عزلة ، ولا جمع كثرة ولا قلة ، ولا من يستقل بالجوزاء لواؤه ، ولا من يقل
فوق الفرقد ثواؤه .

ولا باد ولا حاضر ، ولا مقيم ولا سائر ، ولا أول ولا آخر ، ولا مسر في

(١) المأزم : المضيق بين الجبلين ؛ والمراد : الجبلان اللذان بين عرفة والمزدلفة .

(٢) في (ب ، د ، هـ) : (القر) ، وفي مطبوع « المسالك » : (القبر) .

(٣) في مطبوع « المسالك » : (جنبي) .

باطن ولا معلن في ظاهر ، ولا عرب ولا عجم ، ولا راعي إبل ولا غنم ، ولا صاحب أناة ولا بدار^(١) ، ولا ساكن في حضر وبادية بدار ، ولا صاحب عُمْد ولا جدار ، ولا ملجج في البحار الزاخرة والبراري والقفار .

ولا من يتوقل^(٢) صهوات الخيل ، ولا من يسبل على العجاجة الذيل^(٣) ، ولا من تطلع عليه شمس النهار ونجوم الليل .

ولا من نظله السماء وتقله الأرض ، ولا من تدل عليه الأسماء على اختلافها وترفع درجات بعضهم على بعض ؛ حتى آمن بهذه البيعة وأمن عليها وأمن بها ، ومنَّ الله عليه وهده إليها ، وأقر بها وصدق ، وغضَّ لها بصره خاشعاً وأطرق ، ومدَّ إليها يده بالمبايعة ، ومعتقده بالمتابعة ، ورضي بها وارتضاها ، وأجاز حكمها على نفسه وأمضاها ، ودخل تحت طاعتها وعمل بمقتضاها : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وإنه لما استأثر الله بعبده سليمان أبي الربيع الإمام المستكفي بالله أمير المؤمنين كرم الله مثواه ، وعوضه عن دار السلام بدار السلام ، ونقله مزكي يديه عن شهادة الإسلام بشهادة الإسلام ، حيث آثره بقربه ومهد لجنبه ، وأقدمه على ما قدَّمه من مرجو عمله وكسبه ، وخار له في جواره فريقاً ، وأنزله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

الله أكبر ليومه ، لولا مخلفه . . كانت تضيق الأرض بما رحبت ، وتجزئ كل نفس بما كسبت ، وتنبأ كل سريرة ما أدخرت وما خبأت^(٤) ، لقد اضطرم سكير إلا أنه في الجوانح .

لقد اضطرب^(٥) منبر وسرير لولا خلفه الصالح ، لقد اضطرب مأمور وأمير لولا الفكر بعده في عاقبة المصالح .

(١) الأناة : الحلم .

(٢) في النسخ تحرفت التاء إلى عين ، والمثبت من « المسالك » ، والتوقل : الصعود .

(٣) العجاجة : الإبل .

(٤) في غير (ج) : (خبت) ، وفي (د ، ط) ومطبوع « المسالك » : (جنت) .

(٥) في (أ ، د ، هـ ، ط) : (اضطرب) .

ولم يكن في النسب العباسي ، ولا في البيت المسترشدي ، ولا في غيره من بيوت الخلفاء من بقايا آباء لهم وجدود ، ولا من تلده أخرى الليالي وهي عاقر غير ولود ، مَنْ تسلَّم إليه أمة محمد صلى الله عليه وسلم عقد نياتها ، وسر طوياتها ؛ إلا واحد .

وأين ذاك الواحد ؟ هو - والله - من انحصر فيه استحقاق ميراث آبائه الأطهار ، وتراث أجداده ولا شيء هو إلا ما اشتملت عليه رداء الليل والنهار .

وهو ولد المنتقل إلى ربه ، وولد الإمام الذاهب لصلبه ، المجمع على أنه في الأيام فرد هذا الأنام^(١) ، وواحد ، وهكذا في الوجود الإمام ، وأنه الحائز لما زُرت عليه جيوب المشارق والمغارب ، والفائز بملك ما بين المشارق والمغارب .

الراقي في صفح السماء هذه الذروة المنيفة ، الباقي بعد الأئمة الماضين ونعم الخليفة ، المجتمع فيه شروط الإمامة ، المتضع لله ، وهو ابن بيت لا يزال الملك فيهم إلى يوم القيامة .

الذي يفضح السحاب نائله ، والذي لا يغره عاذره ، ولا يغيره^(٢) عاذله ، والذي ما ارتقى صهوة المنبر بحضرة سلطان زمانه إلا قال ناصر^(٣) : وقام قائمه ، ولا قعد على سرير الخلافة إلا وعرف أنه ما خاب مستكفيه ولا غاب حاكمه .

نائب الله في أرضه ، والقائم مقام رسوله صلى الله عليه وسلم وخليفته وابن عمه ، وتابع عمله الصالح ووارث علمه ، سيدنا ومولانا عبد الله ووليه : أبو العباس الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين .

أيد الله ببقائه الدين ، وطوق بسيفه الملحدين ، وكبت تحت لوائه المعتدين ، وكُتِب له النصر إلى يوم الدين ، وكب بجهاذه على الأذقان طوائف المفسدين ، وأعاد به الأرض ممن لا يدين بدين .

(١) كذا في (ب) ، وفي (ج) : (هؤلاء الأنام) ، وفي غيرهما : (هو الأنام) .

(٢) في مطبوع « المسالك » : (يغيره) .

(٣) في (ب) ، ج ، ط : (بأمره) ، وفي (د ، هـ) : (باصره) .

وأعاد بعدله أيام آبائه الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون ، وعليه كانوا يعملون ، ونصر أنصاره ، وقدر اقتداره ، وأسكن في القلوب سكينته ووقاره ، ومكن له في الوجود وجمع له أقطاره .

ولما انتقل إلى الله ذلك السيد ولقي أسلافه ، ونقل إلى سرير الجنة عن سرير الخلافة ، وخلا العصر من إمام يمسك ما بقي من نهاره ، وخليفة يغالب مزيد^(١) الليل بأنواره ، ووارث نبي بمثله ومثل آبائه ، استغنى الوجود بعد ابن عمه خاتم الأنبياء عن نبي يقف على آثاره ، ومضى ولم يعهد ، فلم يبق إذ لم يوجد النص إلا الإجماع ، وعليه كانت الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا نزاع . اقتضت المصلحة الجامعة عقد مجلس كل طرف به معقود ، وعقد بيعة عليها الله والملائكة شهود ، وجمع الناس له وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ، فحضر من لم يعبا بعده بمن تخلف ، ولم يَرَباً معه^(٢) وقد مد يده طامعاً لمزيدها وقد تكلف .

وأجمعوا على رأي واحد استخاروا الله فيه فخار ، وأخذ يمين يمد لها الأيمان ، ويشد بها الإيمان ، ويعطى عليها المواثيق ، وتعرض أمانتها على كل فريق ، حتى تقلد كل من حضر في عنقه هذه الأمانة ، وحط على المصحف الكريم يده وحلف بالله وأتم أيمانه ، ولم يقطع ولا استثنى ولا تردّد ، ومن قطع عن غير قصد . . أعاد وجدّد .

وقد نوى كل من حلف : أن النية في يمينه نية من عقدت له هذه البيعة ، ونية من حلف له وتذمم بالوفاء له في ذمته وتكفله على عادة أيمان البيعة ، وشروطها وأحكامها المرددة ، وأقسامها المؤكدة ؛ بأن يبذل لهذا الإمام المفترض الطاعة الطاعة ، ولا يفارق الجمهور ولا يظهر عن الجماعة انجماعه^(٣) ، وغير ذلك مما

(١) كذا في النسخ ، وفي « صبح الأعشى » (٩ / ٣٢٥) : (مربد) ، ولعله الصواب .

(٢) في مطبوع « المسالك » : (يعبا بعده) ، ربأ : تناقل .

(٣) في (ب) : (الجماعة وغير) ، وفي (أ ، ج) : (إنجاعه) ، وفي : (و ، ط) : (الجماعة الجماعة) .

تضمنته نسخ الأيمان المكتتب فيها أسماء من حلف عليها ؛ مما هو مكتوب بخطوط من يكتب منهم ، وخطوط العدول الثقات عمن لم يكتبوا وأذنوا أن يكتب عنهم ، حسبما يشهد به بعضهم على بعض ، ويتصادق عليه أهل السماء والأرض .

بيعة تَمَّ بمشيئة الله تمامها ، وعمَّ بالصوب المغدق غمامها ، وقالوا : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، وهب لنا الحسن ، ثم الحمد لله الكافي عبده ، الوافي لمن يضاعف على كل موهبة حمده ، ثم الحمد لله على نعمة يرغب أمير المؤمنين في ازديادها ، ويرهب إلا أن يقاتل أعداء الله بإمدادها ، ويرأب بها من أثر في منابر ممالكه بما بان من مباينة أضدادها .

نحمده والحمد لله ثم الحمد لله كلمة لا يمل من تردادها ، ولا يحل بما تفوق السهام من سدادها ، ولا يبطل إلا على ما يوجب تكثير أعدادها ، وتكبير أقدار أهل ودادها ، وتصغير التحقير لا التحبيب لأندادها .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة تتقايس دماء الشهداء وأمداد مدادها ، وتتنافس طرر الشباب وغرر السحاب على استمدادها ، وتتجانس رقومها المدبجة وما تلبسه الدولة العباسية من شعارها ، والليالي من دثارها ، والأعداء من حدادها .

ونشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جماعة أهله ومن خلف من أبنائها ، وسلف من أجدادها ، ورضي الله عن الصحابة أجمعين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن أمير المؤمنين لما أكسبه الله من ميراث النبوة ما كان لجده ، وهبه من الملك السليماني ما لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمه منطق الطير بما يتحملة حمائم البطائق من بدائع البيان ، وسخر له من البريد على متون الخيل ما سخره من الريح لسليمان ، وآتاه من خاتم الأنبياء ما امتد به أبوه سليمان وتصرف ، وأعطاه من الفخار به ما أطاعه كل مخلوق ولم يتخلف .

وجعل له من لباس بني العباس ما يقضي له سواده بسؤدد الأجداد ، وينفض

على ظل الهدب ما فضل عن سويداء القلب وسواد البصر من السواد ، ويمد ظله على الأرض وكل مكان دار ملك وكل مدينة بغداد ، وهو في ليله السَّجَاد وفي نهاره العسكري وفي كرمه جعفر وهو الجواد ، يديم الابتهاج إلى الله تعالى في توفيقه ، والابتهاج بما يغص كل عدو بريقه .

ونبدأ يوم هذه المبايعة بما هو الأهم من مصالح الإسلام ، وصالح الأعمال فيما يتحلّى به الإمام^(١) ، ويقدم التقوى أمامه ، ويقرر عليها أحكامه ، ويتبع الشرع الشريف ويقف عنده ويوقف الناس ، ومن لا يحمل أمره طائعاً على العين يحمله غضباً على الراس ، ويعجل أمير المؤمنين بما استقر به النفوس ، ويرد به كيد الشيطان إنه يؤوس ، ويأخذ بقلوب الرعايا وهو غني عن هذا ولكنه يسوس .

وأمير المؤمنين يُشهد الله وخلقه عليه : بأنه أقرّ وليّ كل أمر من ولاية أمور الإسلام على حاله ، واستمر به في مَقيله تحت كَنَف ظلاله ، على اختلاف طبقات ولاية الأمور وطرقات الممالك والشعور : براً وبحراً ، سهلاً ووعراً ، شرقاً وغرباً ، بعداً وقرباً ، وكل جليل وحقير ، وقليل وكثير ، وصغير وكبير ، وملك ومملك ، وأمير وجندي يبرق له سيف شهير ورمح ظهير .

ومن مع هؤلاء من وزراء وقضاة وكتّاب ، ومن له تدقيق في إنشاء وتحقيق في حساب ، ومن يتحدث في بريد وخراج ، ومن يحتاج إليه ومن لا يحتاج ، ومن في التدريس والمدارس والربط والزوايا والخَوَاتِق ، ومن له أعظم التعلُّقات وأدنى العلائق ، وسائر أرباب المراتب وأصحاب الرواتب ، ومن له من مال الله رزق مقسوم ، وحق مجهول أو معلوم ، استمراراً بكل امرئ على ما هو عليه ، حتى يستخير الله ويتبين له ما بين يديه .

فمن ازداد تأهيله . . زاد تفضيله ، وإلا . . فأمر المؤمنين لا يريد إلا وجه الله ، ولا يحابي أحداً في دين الله ، ولا يحابي حقاً في حق ؛ فإن المحابة في الحق مداجاة على المسلمين^(٢) .

(١) في (أ ، د ، هـ) : (الأيام) ، وفي (ج) : (الأنام) .

(٢) المداجاة : المدارة .

وكل ما هو مستمر إلى الآن مستقر على حكم الله ، مما فهِمَهُ الله له وفهِمَهُ سليمان ، لا يغير أمير المؤمنين في ذلك ولا في بعضه مغيراً ؛ شكراً لله على نعمه ، وهكذا يجازي من شكر ، ولا يكدر على أحد مورداً نزه الله نعمه الصافية عن الكدر ، ولا يتأول في ذلك متؤول إلا من جحد النعمة أو كفر ، ولا يتعلل متعلل ؛ فإن أمير المؤمنين يعوذ بالله ويُعيد أيامه من الغير .

وأمر أمير المؤمنين - أعلى الله أمره - أن يعلن الخطباء بذكره وذكر سلطان زمانه على المنابر في الآفاق ، وأن تضرب باسمهما النقود وتسير بالإطلاق ، ويوشح بالدعاء لهما عطف الليل والنهار ، ويصرح منه بما يشرق وجه الدرهم والدينار .

وقد أسمع أمير المؤمنين في هذا المجمع المشهود ما يتناقله كل خطيب ، ويتداوله كل بعيد وقريب ؛ ومختصره : أن الله أمر بأوامر ونهى عن نواهٍ وهو رقيب ، وسيُفرغ الألباء لها السجايا ، ويُفرغ الخطباء لها شعوب الوصايا ، وتكمل بها المزايا ، ويخرج من المشايخ الخبايا من الزوايا ، ويسمر بها السمار وترنم الحادي والملاح ، ويرقُّ سحرها في الليل المقمر ويرقم على جبين الصباح ، وتعظ^(١) بها مكة بطحائها ، ويحيا بحدائها فناه ، ويلقنها كل أب فهمه ابنه ويسأل كل ابن نجيب أباه .

وهو لكم أيها الناس من أمير المؤمنين من سدّد عليكم بينة ، وإليكم ما دعاكم به إلى سبيل ربه من الحكمة والموعظة الحسنة ، ولأمير المؤمنين عليكم الطاعة .

ولولا قيام الرعايا . . ما قبل الله أعمالها ، ولا أمسك بها البحر ودحا الأرض وأرسل جبالها ، ولا اتفقت الآراء على من يستحق وجاءت إليه الخلافة تجر أذيالها ، وأخذها دون بني أبيه :

[من المتقارب]

وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

وقد كفاكم أمير المؤمنين السؤال بما فتح الله لكم من أبواب الأرزاق وأسباب

(١) في مطبوع « المسالك » : (تعطر) .

الارتزاق ، وأجركم على وفاقكم وعملكم^(١) مكارم الأخلاق ، وأجراكم على عوائدكم ولم يمسك خشية الإنفاق .

ولم يبق لكم على أمير المؤمنين إلا أن يسير فيكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ويعمل بما يتعب به من يجيء - أطل الله بقاء أمير المؤمنين - من بعده ، ويزيد على من تقدم وقيم فروض الحج والجهاد ، وينيم الرعايا بعدله الشامل في مهاد .

وأمير المؤمنين يقيم على عادة آبائه موسم الحج في كل عام ، ويشمل بره سكان الحرمين الشريفين وسدنة بيت الله الحرام ، ويجهز السبيل على حاله ويرجو أن يعود على حاله الأول في سالف الأيام ، ويتدفق في هذين المسجدين بحره الزاخر ويرسل إلى ثالثهما في البيت المقدس ساكب الغمام ، وقيم معونة^(٢) قبور الأنبياء صلى الله عليهم وسلم أينما كانوا وأكثرهم في الشام ، والجمع والجماعات هي فيكم على قديم سننها وقويم سننها ، وستزيد في أيام أمير المؤمنين لمن يضم إليه ، وفيما يتسلم من بلاد الكفار ويسلم منهم على يديه .

وأما الجهاد . فكفى باجتهد القائم عن أمير المؤمنين بمأموره ، المقلد عنه جميع ما وراء سريره ، وأمير المؤمنين قد وكل منه - خلد الله ملكه وسلطانه - عيناً لا تنام ، وقلد سيفاً لو أغفت بوارقه ليلة واحدة عن الأعداء . . سَلَتْ خياله عليهم الأحلام^(٣) .

وسيؤكد أمير المؤمنين في ارتجاع ما غلب عليه العدى ، وقد قدّم الوصية بأن يوالي غزو العدو المخدول براً وبحراً ، ولا يكفّ عن ظفر به منهم قتلاً ولا أسراً ، ولا يفك أغلاً ولا إصراً ، ولا ينفك يرسل عليهم في البر من الخيل عقباناً ، وفي البحر غرباناً ، تحمل كل منهما من كل فارس صقراً .

ويحمي الممالك ممن يتخوف أطرافها بإقدام ، ويتخول أكنافها بأقدام ،

(١) في (أ) : (علمكم) .

(٢) في (أ ، ب) : (بعونه) ، وفي (ط) ، ومطبوع « المسالك » : (بعده) .

(٣) سلت : قطع .

وينظر في مصالح القلاع والحصون والشغور وما يحتاج إليه من آلات القتال وأمهات الممالك ، التي هي مرابط البنود ، ومرابض الأسود ، والأمراء والعساكر والجنود ، وترتيبهم في الميمنة والميسرة والجناح الممدود .

ويتفقد أحوالهم بالعرض ، بما لهم من خيل تعقد ما بين السماء والأرض ، وما لهم من زرد موضوع ، وبيض مسها ذائب ذهب فكانت كأنها بيض مكنون ، وسيوف قواضب ، ورماح شيب ذوائبها من الدماء خواضب ، وسهام تواصل القسي وتفارقها فتحن حنين مفارق وتزمر القوس زمجرة مغاضب .

وهذه جملة أراد أمير المؤمنين بها إطابة قلوبكم ، وإطالة ذيل التطويل على مطلوبكم ، ودمائكم وأموالكم وأعراضكم في حماية إلا ما أباح الشرع المظهر ، ومزيد الإحسان إليكم على مقدار ما يخفى منكم ويظهر .

وأما جزئيات الأمور . . فقد علمتم بأن من بعد عن أمير المؤمنين غني عن مثل هذه الذكرى ، وأنتم على تفاوت مقاديركم وديعة أمير المؤمنين ، وكلكم سواء في الحق عند أمير المؤمنين ، وله عليكم أداء النصيحة ؛ وإبداء الطاعة بسريرة صحيحة ؛ فقد دخل كل منكم في كنف أمير المؤمنين وتحت رقه ، ولزمه حكم بيعته وألزم طائره في عنقه ، ويستعمل^(١) كل منكم في الوفاء بما أصبح به عليمًا ، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورُهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ .

هكذا قول أمير المؤمنين ، وقال : وهو يعمل في ذلك كله بما تحمد عاقبته من الأعمال ، وعلى هذا عهد إليه وبه يعهد ، وما سوى هذا فجور لا يشهد به عليه ولا يشهد .

وأمير المؤمنين يستغفر الله على كل حال ، ويستعيذ به من الإهمال ، ويسأل أن يمهده لما يحب من الإمهال^(٢) ، ولا يمد له حبل الإمهال .

ويختتم أمير المؤمنين قوله بما أمر الله به من العدل والإحسان ، والحمد لله وهو من الخلق أحمد وقد آتاه الله ملك سليمان ، والله يمتع أمير المؤمنين بما

(١) في (ج ، ط) : (وسيعلم) .

(٢) كذا في النسخ ، وفي مطبوع « المسالك » : (الآمال) ، وانظر « صبح الأعشى » .

وهبه ، ويملكه أقطار الأرض ويورثه بعد العمر الطويل عَقِبَهُ ، ولا يزال على سدة
العلياء قعوده ، ولدست الخلافة به أبهة الجلالة كأنه ما مات منصوره ولا أودى
مهديه ولا رشيده (١) .

وقال ابن حجر في « الدرر » : (كان أولاً لقب : المستنصر ، ثم لقب :
الحاكم ، وذكر الشيخ زين الدين العراقي : أنه سمع الحديث على بعض
المتأخرين ، وأنه حدث ، مات في الطاعون في نصف سنة ثلاث وخمسين) (٢) .

ومن الحوادث في أيامه في عام ولايته

خلع السلطان المنصور ؛ لفساده وشربه الخمر ، حتى قيل : إنه جامع
زوجات أبيه ، ونفي إلى قوص وقتل بها ، فكان ذلك من الله مجازاة لما فعله
والده مع الخليفة ، وهذه عادة الله مع مَنْ تعرّض لأحد من آل العباس بأذى ،
وتسلطن أخوه الملك الأشرف كُجُك ، ثم خلع من عامه ، وولي أخوه أحمد ،
ولقب : بالناصر ، وعقد المبايعة بينه وبين الخليفة الشيخ تقي الدين السُّبكي
قاضي الشام ، وكان قد حضر مصر .

وفي سنة ثلاث وأربعين : خلع الناصر أحمد ، وولي أخوه إسماعيل ،
ولقب : بالصالح .

وفي سنة ست وأربعين : مات الصالح ، فقلد الخليفة أخاه شعبان ، ولقب :
بالكامل (٣) .

(١) المسالك (٣٢٠ / ٢٤ - ٣٣٦) ، وانظر « صبح الأعشى » (٣٢١ - ٣٣١) .

(٢) الدرر الكامنة (١٣٧ / ١) .

(٣) البداية والنهاية (٢١٦ / ١٤) .

وفي سنة سبع وأربعين : قتل الكامل ، وولي أخوه أمير حاج ، ولقب : بالمظفر^(١) .

وفي سنة ثمان وأربعين : خلع المظفر ، وولي أخوه حسن ، ولقب : بالناصر^(٢) .

وفي سنة تسع وأربعين : كان الطاعون العام الذي لم يسمع بمثله^(٣) .

وفي سنة اثنتين وخمسين : خُلع الناصر حسن ، وولي أخوه صالح ، ولقب : الملك الصالح ؛ وهو الثامن ممن تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون ، وجعل شيخو أتابكه^(٤) .

قال في « ذيل المسالك » : (وهو أول من سمي بمصر الأمير الكبير) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام الحاكم من الأعلام : الحافظ أبو الحجاج المِزِّي ، والتاج عبد الباقي اليميني ، والشمس ابن عبد الهادي ، وأبو حيَّان ، وابن الوردي ، وابن اللَّبَّان ، وابن عدلان ، والذهبي ، وابن فضل الله ، وابن قيم الجوزية ، والفخر المصري شيخ الشافعية بالشام ، والتاج المَرَاكُشي ، وآخرون .

(١) البداية والنهاية (٢١٩/١٤) .

(٢) انظر « البداية والنهاية » (٢٢٤/١٤) ، وفيها : (أنه قتل في العشر الأخير من رمضان) .

(٣) انظر « البداية والنهاية » (٢٢٥/١٤) .

(٤) انظر « البداية والنهاية » (٢٣٩/١٤) .

خلافة المعتمد بالله

[٧٥٣-٧٦٣هـ] (١)

أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي ، بويع بالخلافة بعد موت أخيه في سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة بعهد منه .
وكان خيراً متواضعاً ، محباً لأهل العلم ، مات في جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومن الحوادث في أيامه

في سنة أربع وخمسين : قال ابن كثير وغيره : (كان بطرابلس بنت تسمى نفيسة ، زوجت بثلاثة أزواج ولا يقدرون عليها ، يظنون أن بها رتقاً ، فلما بلغت خمس عشرة سنة . غارت ثدياها ، ثم جعل يخرج من محل الفرج شيء قليلاً قليلاً إلى أن برز منه ذكر قدر إصبع وأنثيان ، وكتب بذلك في محاضر) (٢) .

وفي سنة خمس وخمسين : خلع الملك الصالح ، وأعيد الناصر حسن (٣) .

وفي سنة ست وخمسين : رسم بضرب فلوس جدد على قدر الدينار ووزنه ، وجعل كل أربعة وعشرين فلساً بدرهم ، وكان قبل ذلك الفلوس العتق كل رطل ونصف بدرهم ، ومن هنا يعرف مقدار الدراهم الثقرة التي جعلها شيخو

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١٤ / ١) ، و « الدرر الكامنة » (١ / ٤٤٣) ، و « شذرات الذهب » (٨ / ٣٣٨) .

(٢) البداية والنهاية (١٤ / ٢٤٨) .

(٣) البداية والنهاية (١٤ / ٢٥١) .

وصرغتمش لأرباب الوظائف في مدرستيها ، فمرادهما بالدرهم : ثلثا رطل من الفلوس^(١) .

وفي سنة اثنتين وستين : قتل الناصر حسن ، وولي محمد ابن أخيه المظفر ، ولقب : بالمنصور^(٢) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المعتضد من الأعلام : الشيخ تقي الدين السبكي ، والسمين صاحب « الإعراب » ، والقوام الأتقاني ، والبهاء ابن عقيل ، والصلاح العلائي ، والجمال ابن هشام ، والحافظ مغلطاي ، وأبو أمانة ابن النقاش ، وآخرون .

(١) انظر « السلوك لمعرفة دول الملوك » (٢٣٥ / ٤) .

(٢) البداية والنهاية (٢٧٨ / ١٤) .

خلاف المتوكل على الله

[٧٦٣-٨٠٨هـ]^(١)

أبو عبد الله ، محمد بن المعتضد والد خلفاء العصر ، ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد موته ، في جمادى ، سنة ثلاث وستين وسبع مئة ، وامتدت أيامه خمساً وأربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس كما سنذكره .

وأعقب أولاداً كثيرة ، يقال : إنه جاء له مئة ولد ما بين مولود وسقط ، ومات عن عدة ذكور وإناث ، ولي الخلافة منهم خمسة ، ولا نظير لذلك : المستعين العباس ، والمعتضد داوود ، والمستكفي سليمان ، والقائم حمزة ، والمستنجد يوسف .

وبقي من أولاده الآن واحد يسمى موسى ما أشبهه بإبراهيم بن المستكفي ، والموجود الآن من العباسيين كلهم من ذرية المتوكل هذا ، أكثر الله عددهم ، وزاد مددهم ومُدَدُهُمْ .

ومن الحوادث في أيامه

في سنة أربع وستين : خلع المنصور محمد ، وولي شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون ، ولقب : الأشرف^(٢) .

[إحداث العلامة الخضرء على عمائم الشرفاء]

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبع مئة : أحدثت العلامة الخضرء على عمائم

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (١٦٧/٢) ، و « إنباء الغمر » (٣٤٣/٢) ، و « الضوء اللامع »

(١٦٨/٧) ، و « شذرات الذهب » (١١٦/٩) .

(٢) البداية والنهاية (٣٠٢/١٤) .

الشرفاء ؛ لتمييزوا بها بأمر السلطان ، وهذا أول ما أحدث^(١) ، وقال في ذلك أبو عبد الله بن جابر الأعمى النحوي صاحب « شرح الألفية » المشهور بالأعمى والبصير^(٢) :

[من الكامل]

جَعَلُوا لِأَبْنَاءِ الرَّسُولِ عِلَامَةً إِنَّ الْعِلَامَةَ شَأْنُ مَنْ لَمْ يُشْهِرِ
نُورُ النُّبُوَّةِ فِي كَرِيمِ وَجُوهِهِمْ يُغْنِي الشَّرِيفَ عَنِ الطَّرَازِ الْأَخْضَرِ
ولبعضهم^(٣) :

[من الكامل]

أَطْرَافُ تَيْجَانٍ أَتَتْ مِنْ سُنْدُسٍ بِعَصَائِبِ خَضِرٍ عَلَى الْأَشْرَافِ
وَالْأَشْرَفُ السُّلْطَانُ خَصَّهُمْ بِهَا شَرَفًا لِيُفَرِّقَهُمْ مِنَ الْأَطْرَافِ

[خروج الطاغية تمرلنك]

وفي هذه السنة : كان ابتداء خروج الطاغية تَمُرْلَنُكُ الذي أخرج البلاد وأباد العباد ، واستمر يعثو في الأرض بالفساد إلى أن هلك إلى لعنة الله تعالى في ليلة الأربعاء ، سابع عشر شعبان ، سنة سبع وثمان مئة^(٤) ، وفيه قيل^(٥) : [من الطويل]

. . . فَعَلَ التَّارَ وَلَوْ رَأَوْا فَعَالَ تَمُرْلَنُكُ إِذَا كَانَ أَعْظَمًا
وَطَائِرُهُ فِي جَلْقٍ كَانَ أَشْأَمًا

وكان أصله من أبناء الفلاحين ، ونشأ يسرق ويقطع الطريق ، ثم انضم إلى خدمة صاحب خيل السلطان ، ثم قُرِّرَ مكانه بعد موته ، وما زال يترقى إلى أن وصل إلى ما وصل^(٦) .

(١) انظر « سبل الهدى والرشاد » (٤٩٧/١١) .

(٢) البيتان في « النجوم الزاهرة » (٥٧/١١) .

(٣) البيتان زيادة من (ج) ، وهما في « النجوم الزاهرة » (٥٦/١١) ، و « إنباء الغمر » (١١/١) لمحمد بن إبراهيم بن بركة المزين .

(٤) قوله : (ليلة الأربعاء . . . سنة سبع) : في (أ ، د ، هـ) بياض ، وفي (ج ، ط) : سنة (٧٧٣ هـ) ، وانظر « المنهل الصافي » (١٣٨/٤) .

(٥) بعدها وبعد الشطر الثاني بياض في الأصول .

(٦) انظر « المنهل الصافي » (١٠٣/٤) ، و « إنباء الغمر » (١٨-١٧/١) .

قل لبعضهم : في أي سنة كان ابتداء خروج تَمْرُلك ؟ قال : في سنة
(عذاب) ، يعني بحساب الجمل : ثلاثاً وسبعين وسبع مئة .

وفي سنة خمس وسبعين : ابتدئت قراءة « البخاري » في رمضان بالقلعة
بحضرة السلطان ، ورتب الحافظ زين الدين العراقي قارئاً ، ثم أشرك معه الشهاب
العُرْياني يوماً بيوم^(١) .

في سنة سبع وسبعين : غلا البيض بدمشق ؛ فبيعت الحبة الواحدة بثلاثة
دراهم من حساب ستين بدينار^(٢) .

[قتل الأشرف شعبان]

وفي سنة ثمان وسبعين : قتل الأشرف شعبان ، وتسلم ابنه علي ، ولقب :
المنصور ؛ وذلك : أن الأشرف سافر إلى الحج ومعه الخليفة والقضاة والأمراء ،
فخامر عليه الأمراء ، وفر راجعاً إلى القاهرة ، ورجع الخليفة ومن رجع ، وأرادوا
أن يسلطوا الخليفة فامتنع ، فسلطوا ابن الأشرف ، واختفى الأشرف إلى أن
ظفروا به ، فخنقوه في ذي القعدة^(٣) .

وفيها : خسف الشمس والقمر جميعاً ، وطلع القمر خاسفاً في شعبان ليلة
أربع عشرة ، وكسفت الشمس يوم الثامن والعشرين منه^(٤) .

[قصة خلع المتوكل وإعادته]

وفي سنة تسع وسبعين في رابع ربيع الأول : طلب أينك البدري أتابك

(١) إنباء الغمر (٦١/١) .

(٢) إنباء الغمر (١٠٧/١) .

(٣) انظر « إنباء الغمر » (١٢٨/١ - ١٣٠) .

(٤) إنباء الغمر (١٣١/١) .

العساكر زكرياء بن إبراهيم بن المستمسك ابن الخليفة الحاكم فخلع عليه ، واستقر خليفة بغير مبايعة ولا إجماع ، ولقب : المستعصم بالله^(١) ، ورسم بخروج المتوكل إلى قوص لأمر حقدتها عليه وقعت منه عند قتل الأشرف ، فخرج وعاد من الغد إلى بيته ، ثم عاد إلى الخلافة في العشرين من الشهر ، وعزل المستعصم ، فكانت مدة خلافته خمسة عشر يوماً^(٢) .

والمتوكل هو سادس الخلفاء الذين سكنوا مصر ، وأقيموا بعد انقطاع الخلافة مدة ، فحصل له هذا الخلع توفية بالقاعدة^(٣) .

[قصة عجيبة]

[في انقلاب وجه عابث إلى خنزير]

وفي سنة اثنتين وثمانين : ورد كتاب من حلب يتضمن : أن إماماً قام يصلي وأن شخصاً عبث به في صلاته ، فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ ، وحين سلم .. انقلب وجه العابث وجه خنزير ، وهرب إلى غابة هناك ، فعجب الناس من هذا الأمر ، وكتب بذلك محضر^(٤) .

وفي صفر سنة ثلاث وثمانين : مات المنصور ، وتسلمن أخوه حاجي بن الأشرف ، ولقب : الصالح^(٥) .

وفي رمضان سنة أربع وثمانين : خلع الصالح ، وتسلمن برقوق ، ولقب : الظاهر ، وهو أول من تسلمن من الجراكسة^(٦) .

(١) ولعل الصواب : (المعصم بالله) كما في المصادر .

(٢) انظر « النجوم الزاهرة » (١١ / ١٥٥) ، و« السلوك لمعرفة دول الملوك » (٦ / ١٩٠) ، و« مورد اللطافة » (١ / ٢٤٨) ، و« حسن المحاضرة » (٢ / ٧٨) .

(٣) أي : التي ذكرها في (ص ٨٦) .

(٤) السلوك لمعرفة دول الملوك (٥ / ٧٩) ، وإنباء الغمر (١ / ٢١٠) .

(٥) السلوك لمعرفة دول الملوك (٥ / ١١٨) ، وإنباء الغمر (١ / ٢٣٢) .

(٦) انظر « النجوم الزاهرة » (١١ / ٢٢١) .

[خلع برقوق للخليفة ثم إعادته]

وفي رجب سنة خمس وثمانين : قبض برقوق على الخليفة المتوكل ، وخلعه وحبسه بقلعة الجبل ، وبويع بالخلافة عمر بن إبراهيم بن المستمسك بن الحاكم ، ولقب : الواثق بالله ، فاستمر في الخلافة إلى أن مات يوم الأربعاء ، تاسع عشري شوال ، سنة ثمان وثمانين .

فكلم الناس برقوقاً في إعادة المتوكل إلى الخلافة فلم يقبل ، وأحضر أخا عمر زكريا الذي كان ولي تلك الأيام اليسيرة ، فبايعه ، ولقب : المستعصم بالله ، واستمر إلى سنة إحدى وتسعين .

فندم برقوق على ما فعل بالمتوكل ، وأخرج المتوكل من الحبس ، وأعادته إلى الخلافة ، وخلع زكريا ، واستمر زكريا بداره إلى أن مات مخلوعاً ، واستمر المتوكل في الخلافة إلى أن مات .

وفي جمادى الآخرة من السنة : أعيد الصالح حاجي إلى السلطنة ، وغير لقبه : بالمنصور ، وحبس برقوق بالكرك^(١) .

وفي هذه السنة في شعبان : أحدث المؤذنون عقب الأذان الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا أول ما أحدث ، وكان الأمر به المحتسب نجم الدين الطنبُذني^(٢) .

[موت برقوق ثم موت الخليفة المتوكل]

وفي صفر سنة اثنتين وتسعين : أخرج برقوق من الحبس ، وعاد إلى ملكه ، فاستمر إلى أن مات في شوال ، سنة إحدى وثمان مئة ، فأقيم مكانه في السلطنة ابنه فرج ، ولقب : الناصر ، فاستمر إلى سادس ربيع الأول ، سنة ثمان وثمان مئة ، فخلع من الملك ، وأقيم أخوه عبد العزيز ، ولقب : المنصور ، ثم خلع في رابع جمادى الآخرة من السنة ، وأعيد الناصر فرج .

(١) انظر « النجوم الزاهرة » (٢٠٧ / ١١) .

(٢) النجوم الزاهرة (٨٥ / ١١) .

وفي هذه السنة : مات الخليفة المتوكل ليلة الثلاثاء ، ثامن عشري رجب ،
سنة ثمان وثمان مئة^(١) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيام المتوكل من الأعلام : الشمس ابن مُفلح عالم الحنابلة ،
والصلاح الصَّفدي ، والشهاب ابن النقيب ، والمحب ناظر الجيش ، والشريف
الحسيني الحافظ ، والقطب التحتاني ، وقاضي القضاة عز الدين ابن جماعة ،
والتاج ابن السُّبكي ، وأخوه الشيخ بهاء الدين ، والجمال الإسنوي ، وابن الصائغ
الحنفي ، والجمال ابن نُباتة ، والعفيف اليافعي ، والجمال الشَّريشي ، والشرف
ابن قاضي الجبل ، والسراج الهندي ، وابن أبي حجلة ، والحافظ تقي الدين بن
رافع ، والحافظ عماد الدين بن كثير ، والعتابي النحوي ، والبهاء أبو البقاء
السُّبكي ، والشمس بن خطيب يبرود ، والعماد الحُسباني ، والبدر بن حبيب ،
والضياء القِرَمي ، والشهاب الأذرعي ، والشيخ أكمل الدين ، والشيخ سعد الدين
التَّقَّازاني ، والبدر الزُّركشي ، والسراج ابن المُلَقَّن ، والسراج البُلُقيني ،
والحافظ زين الدين العراقي .

(١) إنباء الغمر (٣٤٣ / ٢) .

خلافة الواثق بالله عمر بن إبراهيم بن ولي العهد المستمسك بن الحاكم

[٧٨٥-٧٨٨هـ]^(١)

ببيع بالخلافة بعد خلع المتوكل في رجب ، سنة خمس وثمانين ، فاستمر إلى
أن مات يوم الأربعاء ، تاسع عشري شوال ، سنة ثمان وثمانين .

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (١٨٧/٢) ، و « النجوم الزاهرة » (٢٣٥/١١) ، و « مورد اللطافة »
(٢٥٢/١) ، و « إنباء الغمر » (٣٢٥/١) ، و « شذرات الذهب » (٥٢٠/٨) .

خلافة المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم بن المستمسك [٧٨٨-٧٩١هـ]^(١)

بويغ بالخلافة بعد موت أخيه الواثق ، ثم خلع منها في سنة إحدى وتسعين ،
واستمر بداره مخلوعاً إلى أن مات ، وأعيد المتوكل كما تقدم^(٢) .

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (١٨٠ / ٢) ، و« السلوك لمعرفة دول الملوك » (١٩٠ / ٥) ،
و« مورد اللطافة » (٢٤٩ / ١) ، و« النجوم الزاهرة » (٢٤٥ / ١١) .
(٢) انظر ما تقدم (ص ٨٨) .

خلافة المستعين بالله

[٨٠٨-٨١٥هـ] ^(١)

أبو الفضل، العباس بن المتوكل ، أمه : أم ولد تركية، اسمها : باي خاتون .
 بويغ بالخلافة بعهد من أبيه ، في رجب ، سنة ثمان وثمان مئة ، والسلطان
 يومئذ الملك الناصر فرج ، فلما خرج الناصر لقتال شيخ وهزم وقُتل . . بويغ
 الخليفة بالسلطنة مضافة للخلافة؛ وذلك في المحرم، سنة خمس عشرة، ولم يفعل
 ذلك إلا بعد شدة وتصميم وتوثق من الأمراء بالأيمان ، وعاد إلى مصر والأمراء في
 خدمته ، وتصرف بالولاية والعزل ، وضربت السكة باسمه ، ولم يغير لقبه .

[قصيدة الحافظ ابن حجر يمدح المستعين]

وعمل شيخ الإسلام ابن حجر فيه قصيدته المشهورة وهي ^(٢) : [من الكامل]

الملكُ أصبحَ ثابتَ الأساسِ	بالمستعينِ العادلِ العبَّاسي
رجعتْ مكانةُ آلِ عمِّ المصطفى	لمحلِّها من بعدِ طولِ تناسٍ
ثاني ربيعِ الآخرِ الميمونِ في	يومِ الثلاثا حُفَّ بالأعراسِ
بقُدومِ مهديِّ الأنعامِ أمينهم	مأمونٍ غيب ^(٣) طاهرِ الأنفاسِ
ذو البيتِ طافَ به الرِّجاءُ فهل يُرى	من قاصِدٍ متردِّدٍ في الياسِ
فرعُ نَمّا من هاشمٍ في روضةٍ	زاكِيِ المنابِتِ طيّبِ الأغراسِ
بالمرْتَضَى والمُجْتَبَى والمُشْتَرَى	للحمِدِ والحاليِ به والكاسِي
من أسيرةِ أسروا الخطوبَ وطهَّروا	مما بغيرهم ^(٤) من الأدناسِ

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢٠٢/٢) ، و « السلوك لمعرفة دول الملوك » (١٥٤/٦) ،
 و « مورد اللطافة » (٢٥٥/١) ، و « النجوم الزاهرة » (٥١/١٣) ، و « شذرات الذهب » (٢٩٥/٩) .

(٢) القصيدة في « حسن المحاضرة » (٧٧-٧٥/٢) .

(٣) في (أ) : (عيب) .

(٤) في (ب ، ج) : (يغيرهم) .

أَسَدٌ إِذَا حَضَرُوا الْوَعْيُ وَإِذَا خَلَوْا
مِثْلُ الْكَوَاكِبِ نُورُهُ مَا بَيْنَهُمْ
وَبِكْفِهِ عِنْدَ الْعَلَامَةِ آيَةٌ
فَلْيُبَشِّرْهُ لِلْوَافِدِينَ مِبَاسِمٌ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعَزُّ لِدِينِهِ
بِالسَّادَةِ الْأُمَرَاءِ أَرْكَانِ الْعُلَا
نَهَضُوا بِأَعْبَاءِ الْمَنَاقِبِ وَارْتَقَوْا
تَرَكَوا الْعِدَى صَرَغَى بِمُعْتَرِكِ الرَّدَى
وَأِمَامُهُمْ بِجَلَالِهِ مُتَقَدِّمٌ
لَوْلَا نِظَامُ الْمُلْكِ فِي تَدْيِيرِهِ
كَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَبْلَهُ خَطَبَ الْعُلَا
حَتَّى إِذَا جَاءَ الْمَعَالِي كَفُؤُهَا
طَاعَتْ لَهُ أَيْدِي الْمُلُوكِ وَأَذَعَنْتْ
فَهُوَ الَّذِي قَدْ رَدَّ عَنَّا الْبُؤْسَ فِي
وَأَزَالَ ظُلْمًا عَمَّ كُلَّ مَعَمٍّ
بِالْخَاذِلِ الْمَدْعُوِّ ضِدَّ فِعَالِهِ
كَمْ نِعْمَةٌ لِلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ
مَا زَالَ سِرُّهُ^(٣) الشَّرُّ بَيْنَ ضُلُوعِهِ
كَمْ سَنٌ سَيِّئَةٌ عَلَيْهِ أَثَامُهَا
مَكْرَأً بَنَى أَرْكَانَهُ لِكُنْهَافِهَا
كُلُّ أَمْرٍ يَنْسَى وَيَذْكَرُ تَارَةً
أَمْلَى لَهُ رَبُّ الْوَرَى حَتَّى إِذَا

كَانُوا بِمَجْلِسِهِمْ ظِبَاءَ كِنَاسٍ^(١)
كَالْبَدْرِ أَشْرَقَ فِي دُجَى الْأَغْلَاسِ
قَلَمٌ يُضِيءُ إِضَاءَةَ الْمِقْبَاسِ
تُدْعَى وَلِلْإِجْلَالِ بِالْعَبَّاسِ
مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ كَانَ فِي إِبْلَاسِ
مَنْ بَيْنَ مُدْرِكِ ثَارِهِ وَمُوَاسِ
فِي مَنْصِبِ الْعُلَى الْأَشْمِ الرَّاسِي
فَاللَّهُ يُحَرِّسُهُمْ مِنَ الْوَسْوَاسِ
تَقْدِيمَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي الْقِرْطَاسِ
لَمْ يَسْتَقِمْ فِي الْمُلْكِ حَالُ النَّاسِ
وَبِجَهْدِهِ رَجَعَتْهُ بِالْإِفْلَاسِ
خَضَعَتْ لَهُ مَنْ بَعْدَ فَرَطِ شِمَاسٍ^(٢)
مَنْ نِيلَ مَصْرَ أَصَابِعِ الْمِقْيَاسِ
دَهْرٍ بِهِ لَوْلَاهُ كُلُّ الْبَاسِ
مَنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَجْنَاسِ
بِالنَّاصِرِ الْمُتَنَاقِضِ الْآسَاسِ
فَكَأَنَّهَا فِي غُرْبَةٍ وَتَنَاسِ
كَالنَّارِ أَوْ^(٤) صَحْبَتِهِ لِلْأَرْمَاسِ
حَتَّى الْقِيَامَةِ مَا لَهُ مِنْ آسِ
لِلْغَدْرِ قَدْ بُيِّتَ بَغِيرِ أُسَاسِ
لَكِنَّهُ لِلشَّرِّ لَيْسَ بِنَاسِ
أَخَذُوهُ لَمْ يُفْلِتْهُ مَرُّ الْكَاسِ

(١) الكناس : المكان الذي تأوي إليه الظباء .

(٢) الشماس : الامتناع .

(٣) في (أ) : (سوء) .

(٤) في (ب) : (إذ) .

وَأَدَلَّنَا مِنْهُ الْمَلِكُ بِمَالِكٍ
فَاسْتَبَشَرْتُ أُمَّ الْقُرَى وَالْأَرْضُ مِنْ
آيَاتٍ مَجِيدٍ لَا يُحَاوِلُ جَحْدَهَا
وَمَنَاقِبُ الْعَبَّاسِ لَمْ تُجْمَعِ سِوَى
لَا تُنْكِرُوا لِلْمُسْتَعِينِ رِئَاسَةً
فَبَنُو أُمَيَّةٍ قَدْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ
وَأَتَى أَشْجُ بَنِي أُمَيَّةٍ نَاشِرًا
مَوْلَايَ عَبْدُكَ قَدْ أَتَى لَكَ رَاجِيًا
لَوْلَا الْمَهَابَةُ طَوَّلَتْ أَمْدَاحُهُ
فَادَامَ رَبُّ النَّاسِ عَزَّكَ دَائِمًا
وَبَقِيَتْ تَسْتَمِعُ الْمَدِيحَ لَخَادِمِ
عَبْدِ صَفَا وَدَاً وَزَمَزَمَ حَادِيًا
أَمْدَاحُهُ فِي آلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ
أَيَّامُهُ صَدَرَتْ بِغَيْرِ قِيَاسٍ
شَرْقٍ وَغَرْبٍ كَالْعُذَيْبِ وَفَاسٍ
فِي النَّاسِ غَيْرُ الْجَاهِلِ الْخَنَاسِ
لِحَفِيدِهِ مَلِكِ الْوَرَى الْعَبَّاسِ
فِي الْمُلْكِ مِنْ بَعْدِ الْجُحُودِ النَّاسِي
فِي سَالِفِ الدُّنْيَا بَنُو الْعَبَّاسِ
لِلْعَدْلِ مِنْ بَعْدِ الْمُبِيرِ الْخَاسِي
مِنْكَ الْقَبُولَ فَلَا يَرَى مِنْ بَاسٍ
لَكِنَّهَا جَاءَتْهُ بِالْقِسْطَاسِ
بِالْحَقِّ مَحْرُوسًا بِرَبِّ النَّاسِ
لَوْلَاكَ كَانَ مِنَ الْهَمُومِ يُقَاسِي
وَسَعَى عَلَى الْعَيْنَيْنِ قَبْلَ الرَّاسِ
بَيْنَ الْوَرَى مِسْكِيَّةُ الْأَنْفَاسِ

[تغلب شيخ على السلطنة وخلع المستعين ثم موته]

ولما وصل المستعين إلى مصر . . سكن القلعة ، وسكن شيخ الإصطبل ،
وفوض إليه المستعين تدبير المملكة بالديار المصرية ، ولقب : نظام الملك .
فكانت الأمراء إذا فرغوا من الخدمة بالقصر . . نزلوا في خدمة الشيخ إلى
الإصطبل ، فأعيدت الخدمة عنده ، ويقع عنده الإبرام والنقض .
ثم يتوجه دوا داره إلى المستعين فيعلم على المناشير والتواقيع ، ثم إنه تقدم
إليه بألا يمكن الخليفة من كتابة العلامة إلا بعد عرضها عليه ، فاستوحش الخليفة
وضاق صدره وكثر قلقه .

فلما كان في شعبان . . سأل شيخ الخليفة : أن يفوض إليه السلطنة على
العادة ، فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة إلى بيته ، فلم يوافق شيخ على ذلك ،
وتغلب على السلطنة ، وتلقب : بالمؤيد ، وصرح بخلع المستعين .

وبائع بالخلافة أخاه داوود ، ونقل المستعين من القصر إلى دار من دور القلعة ومعه أهله ، ووكل به من يمنعه من الاجتماع بالناس ، فبلغ ذلك نوروزا نائب الشام ، فجمع القضاة والعلماء واستفتاهم عما صنعه المؤيد من خلع الخليفة وحصره ، فأفتوه بأن ذلك لا يجوز ، فأجمع على قتال المؤيد ، فخرج إليه المؤيد في سنة سبع عشرة وثمان مئة ، وسير المستعين إلى الإسكندرية فاعتقل بها إلى أن تولى ططر ، فأطلقه وأذن له في المجيء إلى القاهرة ، فاختار سكنى الإسكندرية ؛ لأنه استطابها وحصل له مال كثير من التجارة ، فاستمر إلى أن مات بها شهيداً بالطاعون ، في جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وثلاثين^(١) .

ومن الحوادث الغريبة في أيامه

في سنة اثنتي عشرة : كثر النيل في أول يوم من مسرى^(٢) ، وبلغت الزيادة اثنين وعشرين ذراعاً^(٣) .

وفي سنة أربع عشرة : أرسل غياث الدين أعظم شاه بن إسكندر شاه ملك الهند يطلب التقليد من الخليفة ، وأرسل إليه مالا ، وللسلطان هدية^(٤) .

[من مات في عهده]

وممن مات في خلافته من الأعلام : الموفق الناشري شاعر اليمن ، ونصر الله البغدادي عالم الحنابلة ، والشمس المعيد نحوي مكة ، والشهاب الحُسباني ، والشهاب الناشري فقيه اليمن ، وابن الهائم صاحب الفرائض والحساب ، وابن العُليّف شاعر اليمن ، والمحب ابن الشُّحنة عالم الحنفية والد قاضي العسكر .

(١) إنباء الغمر (٣/٤٤٥-٤٤٦) .

(٢) مسرى : من شهور السريان ، ويدخل في (٢٤) تموز ، وآخره (٢٧) آب .

(٣) السلوك (٦/٢٤٣) .

(٤) السلوك (٦/٢٧٤) .

خلافة المعتضد بالله

[٨١٥-٨٤٥هـ]^(١)

أبو الفتح داوود بن المتوكل ، أمه : أم ولد تركية ، اسمها : كزل .

بويع بالخلافة بعد خلع أخيه سنة خمس عشرة ، والسلطان المؤيد ، فاستمر إلى أن مات في محرم ، سنة أربع وعشرين ، فقلد السلطنة ابنه أحمد ، ولقب : المظفر ، وجعل نظامه ططر .

ثم قبض ططر عليه في شعبان ، فقلده الخليفة السلطنة ، ولقب : الظاهر ، ثم مات ططر من عامه ، في ذي الحجة ، فقلد ابنه محمداً ، ولقب : الصالح ، وجعل نظامه برسبائي .

ثم وثب برسبائي على الصالح فخلعه ، وقلده الخليفة السلطنة في ربيع الآخر ، سنة خمس وعشرين وثمان مئة ، فاستمر إلى أن مات في ذي الحجة ، سنة إحدى وأربعين ، فقلد ابنه يوسف ، ولقب : العزيز ، وجعل جَقْمَق نظامه .

فوثب جَقْمَق على العزيز ، وقبض عليه في ربيع الأول ، سنة اثنتين وأربعين ، فقلده الخليفة ولقب الظاهر ، فمات الخليفة في أيامه .

وكان المعتضد من سروات الخلفاء ، نبياً ذكياً فطناً ، يجالسه العلماء والفضلاء ، ويستفيد منهم ويشاركهم فيما هم فيه ، جواداً سمحاً إلى الغاية .

مات في يوم الأحد رابع ربيع الأول ، سنة خمس وأربعين وثمان مئة ، وقد قارب السبعين^(٢) ، قاله ابن حجر^(٣) .

(١) انظر ترجمته في : « مآثر الإنافة » (٢٠٩/٢) ، و « السلوك » (٣٥٧/٦) ، و « مورد اللطافة » (٢٥٨/١) ، و « النجوم الزاهرة » (٤٨٩/١٥) ، و « إنباء الغمر » (١٨٩/٤) ، و « شذرات الذهب » (٣٧١/٩) .

(٢) في (د ، هـ) ، ومطبوع « إنباء الغمر » : (التسعين) .

(٣) إنباء الغمر (١٨٩/٤) .

وأخبرتني ابنة أخيه : (أنه عاش ثلاثاً وستين) .

ومن الحوادث الغريبة في أيامه

سنة ست عشرة : تولى الحسبة صدر الدين ابن الأدمي مضافة للقضاء ، وهو أول من جمع بين القضاء والحسبة^(١) .

وفي سنة تسع عشرة : وليها منكلي بغا ، وهو أول من ولي الحسبة من الأتراك في الدنيا^(٢) .

وفيها : ظهر بمصر شخص يدعي أنه يصعد إلى السماء ، ويشاهد الباري تعالى ويكلمه ، واعتقده جمع من العوام ، فعقد له مجلس واستتب فلم يتب ، فعلق المالكي الحكم بقتله على شهادة اثنين بأنه حاضر العقل ، فشهد جماعة من أهل الطب أنه مختل العقل ، فقيد في المارستان^(٣) .

وفي سنة إحدى وعشرين : ولدت ببليس جاموسة مولوداً برأسين ، وعنقين وأربعة أيدي ، وسلسلتي ظهر ودبر واحد ، ورجلين اثنين لا غير وفرج واحد أنثى ، والذنب مفروق باثنين ، فكانت من بديع صنع الله^(٤) .

وفي سنة اثنتين وعشرين : وقع زلزلة عظيمة بأرزنكان ، وهلك بسببها عالم كثير^(٥) .

وفيها : تمت المدرسة المؤيدية ، وجعل شيخها الشمس ابن الديري ،

(١) السلوك (٣٥٤/٦) ، وإنباء الغمر (١١/٣) .

(٢) السلوك (٣٥٤/٦) ، وإنباء الغمر (٨٦/٣) .

(٣) إنباء الغمر (٩٩/٣) .

(٤) السلوك (٤٢٧-٤٢٨/٦) ، وإنباء الغمر (١٣٧/٣) .

(٥) السلوك (٤٩٧/٦) ، والنجوم الزاهرة (١١٤/١٦) ، وإنباء الغمر (١٩٢/٣) .

وحضر السلطان درسه ، وباشر ولد السلطان إبراهيم فرش سجادة الشيخ بيده .

وفي سنة ثلاث وعشرين : ذبح جمل بغزة فأضأ لحمه كما يضيء الشمع ،
ورمي منه قطعة لكلب فلم يأكلها^(١) .

وفي سنة أربع وعشرين : استمرت زيادة النيل إلى آخر هاتور ، وغرق بذلك
زرع كثير^(٢) .

وفي سنة خمس وعشرين : ولدت فاطمة بنت القاضي جلال الدين البلقيني
ولدأختي ، له ذكر وفرج ، وله يدان زائدتان في كتفه ، وفي رأسه قرنان كقرني
الثور ، ومات بعد ساعة^(٣) .

وفيها : زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة .

وفيها : كسر النيل في ثامن عشري أبيب^(٤) .

[من مات في عهده]

وممن مات في أيامه من الأعلام : الشهاب ابن حجي فقيه الشام ، والبرهان
ابن زُقاعة الأديب ، والزين أبو بكر المَرَاغي فقيه المدينة ومحدثها ، والحسام
الأبيوردی ، والجمال ابن ظهيرة حافظ مكة ، والمجد الشيرازي صاحب
« القاموس » ، وخلف النحريري من كبار المالكية ، والشمس ابن التَّبَّاني من كبار

(١) السلوك (١٧/٧) ، وإنباء الغمر (٢٢٤/٣) .

(٢) إنباء الغمر (٢٥٣/٣) ، وهاتور : من شهور القبط ، ودخوله في (٢٧) من تشرين الأول ، وآخره
(٢٥) من تشرين الثاني .

(٣) إنباء الغمر (٢٦٦/٣) .

(٤) إنباء الغمر (٢٧٥/٣) ، وأبيب : هو الشهر الحادي عشر من شهور القبط ، ويبدأ في (٢٤) حزيران
ويتهيأ (٢٣) تموز . انظر « صبح الأعشى » (٣٨٨/٢) .

الحنفية ، وأبو هريرة ابن النّقاش ، والوانوغي ، والأستاذ عز الدين ابن جماعة^(١) ، وابن هشام العُجَيمِي ، والصلاح الأَفْهَسي ، والشهاب العزي أحد أئمة الشافعية ، والجلال البلقيني ، والبرهان البينجوري ، والولي العراقي ، والشمس ابن الديري ، والشرف التّبّاني ، والعلاء بن المُغلي ، والبدر بن الدّمّاميني ، والتّقي الحِصْنِي شارح « أبي شجاع » ، والهَرَوِي ، والسّراج قارىء « الهداية » ، والنجم ابن حجي ، والبدر البشتكي ، والشمس البرماوي ، والشمس الشّطّنوفي ، والتقي الفاسي ، والزين القمّني ، والنظام يحيى السيرامي ، وقرا يعقوب الرومي ، والشرف ابن مُفلح الحنبلي ، والشمس ابن الفَنَري ، وابن الجَزَري شيخ القراءات ، وابن خطيب الدّهْشة ، والشهاب الإبشيبي ، والزين التّهْني ، والبدر القدسي ، والشرف بن المقري عالم اليمن صاحب « عنوان الشرف » ، والتقي ابن حجة الشاعر ، والجلال المرشدي نحوي مكة ، والهمام الشّيرازي تلميذ الشريف ، والجمال ابن الخياط عالم اليمن ، والبُوصيري المحدث ، والشهاب ابن المُحمّرة ، والعلاء البخاري ، والشمس البساطي ، والجمال الكازرُوني عالم طيبة ، والمحب البغدادي الحنبلي ، والشمس ابن عمار ، وآخرون .

(١) وهو القاضي عز الدين محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز ، وهو غير قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة (ت ٧٦٧هـ) المتقدم ذكره في خلافة المتوكل على الله أبي عبد الله .

خلافة المستكفي بالله

(١) [٨٤٥ - ٨٥٤ هـ]

أبو الربيع سليمان بن المتوكل ، ولي الخلافة بعهد من أخيه ؛ وهو شقيقه .

[صورة العهد التي كتبها والد المؤلف للمستكفي]

وكتب له والذي رحمه الله نسخة العهد ، وهذه صورتها :

(هذا ما أشهد على نفسه الشريفة حرسها الله تعالى وحماها ، وصانها من الأكراد ورعاها ، سيدنا ومولانا ذو المواقف الشريفة الطاهرة الزكية ، الإمامية الأعظمية ، العباسية النبوية المعتضدية ، أمير المؤمنين ، وابن عم سيد المرسلين ، ووارث الخلفاء الراشدين : المعتضد بالله تعالى أبو الفتح داوود أعز الله به الدين ، وأمتع ببقائه الإسلام والمسلمين : أنه عهد إلى شقيقه المقر العالي ، المولوي الأصيلي العريضي الحسيني النسيبي الملكي ، سيدي : أبي الربيع سليمان المستكفي بالله ، عظم الله شأنه بالخلافة المعظمة .

وجعله خليفة بعده ، ونصّب إماماً على المسلمين ، عهداً شرعياً ، معتبراً مرضياً ، نصيحة للمسلمين ، ووفاء بما يجب عليه من مراعاة مصالح الموحيدين ، واقتداء بسنة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين .

وذلك لما علم من دينه وخيره وعدالته ، وكفاءته وأهليته واستحقاقه ، بحكم أنه اختبر حاله ، وعلم طويته ، وأنه الذي يدين الله به أنه أتقى لله ممن رآه ، وأنه لا يعلم صدر منه ما ينافي استحقاقه لذلك ، وأنه إن ترك الأمر هملاً من غير تفويض للمشار إليه . . أدخل إذ ذاك المشقة على أهل الحل والعقد في اختيار من ينصبونه للإمامة ، ويرتضونه لهذا الشأن ، فبادر إلى هذا العقد

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١ / ١٦) ، و « مورد اللطافة » (١ / ٢٦٠) ، و « المنهل الصافي » (١٨٣ / ٦) ، و « الضوء اللامع » (٤ / ٢٦٩) ، و « شذرات الذهب » (٩ / ٢٦٩) .

شفقة عليهم ، وقصداً لبراءة ذمتهم ، ووصول الأمر إلى من هو أهله ؛ لعلمه أن العهد كان غير محجوج إلى رضا سائر أهله .

وواجب على من سمعه وتحمل ذلك منه أن يعمل به ، ويأمر بطاعته عند الحاجة إليه ، ويدعو الناس إلى الانقياد له ، فسجل ذلك عليه من حضره حسب إذنه الشريف ، وسطر عن أمره ، وقبل ذلك سيدي المستكفي أبو الربيع سليمان المسمى فيه - عظم الله شأنه - قبولاً شرعياً^(١) .

وكان من صلحاء الخلفاء ، صالحاً ديناً عابداً ، كثير التعبد والصلاة والتلاوة ، كثير الصمت ، منعزلاً عن الناس ، حسن السيرة .

وقال في حقه أخوه المعتضد : (لم أر على أخي سليمان منذ نشأ كبيرة ، وكان الملك الظاهر يعتقدده ويعرف له حقه)^(٢) .

وكان والدي إماماً له ، وكان عنده بمكان رفيع ؛ خصيصاً به ، محترماً عنده جداً ، وأما نحن . . فلم ننشأ إلا في بيته وفضله ، وآله خير آل ديناً وعبادة وخيراً ، ما أظن أنه وجد على ظهر الأرض آل خليفة بعد آل عمر بن عبد العزيز أعبد من آل بيت هذا الخليفة .

[وفاة المستكفي]

مات في يوم الجمعة ، سلخ ذي الحجة ، سنة أربع وخمسين ، وله ثلاث وستون سنة ، ولم يعيش والدي بعده إلا أربعين يوماً ، ومشى السلطان في جنازته إلى تربته ، وحمل نعشه بنفسه^(٣) .

[من مات في عهده]

مات في أيامه من الأعلام : التقي المقرئزي ، والشيخ عبادة ، وابن كميل الشاعر ، والونائي ، والقاياتي ، وشيخ الإسلام ابن حجر .

(١) انظر نص العهد في « حسن المحاضرة » (٧٨/٢) .

(٢) انظر « الضوء اللامع » (٢٦٩/٣) .

(٣) حسن المحاضرة (٧٩/٢) .

خلافة الفأثم بأمر الله

[٨٥٤-٨٥٩هـ] ^(١)

أبو البقاء حمزة بن المتوكل ، بويع بالخلافة بعد أخيه ، ولم يكن عهد إليه ولا إلى غيره .

وكان شهماً صارماً ، أقام أبهة الخلافة قليلاً ، وعنده جبروت بخلاف سائر إخوته .

ومات في أيامه الملك الظاهر جَقْمَق ، في أول سنة سبع وخمسين وثمان مئة ، فقلد ابنه عثمان ، ولقب : المنصور ، فمكث شهراً ونصفاً .

ثم وثب إينال على المنصور فقبض عليه ، فقلده الخليفة في ربيع الأول ، ولقب : الأشرف .

ثم وقع بين الخليفة والأشرف بسبب ركوب الجند عليه ، فخلعه من الخلافة ، في جمادى ، سنة تسع وخمسين وثمان مئة ، وسيّره إلى الإسكندرية ، فاعتقله بها إلى أن مات بها ، سنة ثلاث وستين وله نحو سبعين ، ودفن عند شقيقه المستعين ^(٢) .

والعجب : أن هذين الأخوين الشقيقين خلعا من الخلافة ، واعتقل كل منهما بالإسكندرية ، ودفنا معاً !!

[من مات في عهده]

ومات في أيام القائم من الأعلام : والدي ، والعلاء القرَقَشَندي .

(١) انظر ترجمته في : « النجوم الزاهرة » (١٦ / ١٩٣) ، و« مورد اللطافة » (١ / ٢٦٢) ، و« المنهل الصافي » (٥ / ١٨٣) ، و« الضوء اللامع » (٣ / ١٦٦) .
(٢) انظر « الضوء اللامع » (٣ / ١٦٦) .

خلافة المستنجد بالله

(١) [٨٥٩-٨٨٤هـ]

خليفة العصر ، أبو المحاسن ، يوسف بن المتوكل ، ولي الخلافة بعد خلع أخيه ، والسلطان يومئذ الأشرف إينال ، فمات في سنة خمس وستين وثمان مئة ، فقلد ابنه أحمد ، ولقب : المؤيد .

ثم وثب خشقدم على المؤيد ، فقبضه في رمضان من عامه ، فقلده ، ولقب : الظاهر ، فاستمر إلى أن مات في ربيع ، سنة اثنتين وسبعين .

فقلد يلبي ، ولقب : الظاهر ، فوثب عليه الجند بعد شهرين وقبضوه ، فقلد تمرغا ، ولقب : الظاهر ، فوثبوا عليه أيضاً بعد شهرين .

[تولي الأشرف قايتباي]

فقلد سلطان العصر قايتباي ، ولقب : الأشرف ، فاستقر له الملك ، وسار في المملكة بشهامة وصرامة ما سارها ملكٌ قبله من عهد الناصر محمد بن قلاوون ؛ بحيث إنه سافر من مصر إلى الفرات في طائفة يسيرة جداً من الجند ليس فيهم أحد من المقدمين الألف .

ومن سيرته الجميلة : أنه لم يول بمصر صاحب وظيفة دينية ؛ كالقضاة والمشايخ والمدرسين إلا أصلح الموجودين لها بعد طول ترويه وتمهله ؛ بحيث تستمر الوظيفة شاغرة الأشهر العديدة ، ولم يول قاضياً ولا شيخاً بمال قط .

[وفاة المستنجد بالله]

وكان الظاهر خشقدم أول ما قُلِّدَ قَدِمَ نائبُ الشام جانم لموافقة كانت بينه وبين

(١) انظر ترجمته في : «مورد اللطافة» (٢٦٦/١) ، و«الضوء اللامع» (٣٢٩/١٠) ، و«شذرات الذهب» (٣٣٨/٧) .

العسكر في سلطنته ، فأمر الظاهر حين بلغه قدومه بطلوع الخليفة والقضاة الأربعة والعسكر إلى القلعة ، وأرسل إلى نائب الشام يأمره بالانصراف ، فانصرف بعد شروط شرطها .

وعاد القضاة والعسكر إلى منازلهم ، واستمر الخليفة ساكناً بالقلعة ، ولم يمكّنه الظاهر من عوده إلى سكنه المعتاد ، فاستمر بها إلى أن مات يوم السبت رابع عشري المحرم ، سنة أربع وثمانين وثمان مئة ، بعد تمرضه نحو عامين بالفالج ، وصلي عليه بالقلعة ، ثم أنزل إلى مدفن الخلفاء بجوار المشهد النفيسي ، وقد بلغ التسعين أو جاوزها^(١) .

(١) انظر « الضوء اللامع » (١٠ / ٣٢٩ - ٣٣٠) .

خلاف المتوكل على الله

[٨٨٤-٩٠٣هـ] ^(١)

أبو العز ، عبد العزيز بن يعقوب بن المتوكل على الله ، ولد سنة تسع عشرة وثمان مئة ، وأمه : بنت جندي ، اسمها : حاج ملك ، ولم يل والده الخلافة .
ونشأ معظماً مشاراً إليه ، محبوباً للخاصة والعامة ؛ لخصاله الجميلة ، ومناقبه الحميدة ، وتواضعه وحسن سمته ، وبشاشته لكل أحد وكثرة أدبه ، وله اشتغال بالعلم ، قرأ على والدي وغيره ، وزوجه عمه المستكفي بابنته ، فأولدها ولداً صالحاً ، فهو هاشمي بين هاشميين .

ولما طال مرض عمه المستنجد . . عهد إليه بالخلافة ، فلما مات . . بويح بها ، يوم الاثنين ، سادس عشري المحرم بحضرة السلطان والقضاة والأعيان ، وكان أراد أولاً التلقيب بالمستعين بالله ، ثم وقع التردد بين المستعين والمتوكل ، واستقر الأمر على : المتوكل .

ثم ركب من القلعة إلى منزله المعتاد والقضاة والمباشرون والأعيان بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم عاد من آخر يومه إلى القلعة حيث كان المستنجد ساكناً بها .

ففي هذه السنة : سافر السلطان الملك الأشرف إلى الحجاز برسم الحج ، وذلك أمرٌ لم يُعهد لملكٍ من أكثر من مئة سنة ، فبدأ بزيارة المدينة الشريفة ، وفرق بها ستة آلاف دينار ، ثم قدم مكة وفرق بها خمسة آلاف دينار ، وقرر بمدرسته التي أنشأها بمكة شيخاً وصوفية ، وحج وعاد ، وزينت البلد لقدمه أياماً ^(٢) .

(١) انظر ترجمته في : « الضوء اللامع » (٢٣٦/٤) .

(٢) انظر « سمط النجوم العوالي » (٥٦/٤) .

[كسر عسكر مصر وموت الدوادار]

وفي سنة خمس وثمانين وثمان مئة : خرج عسكر من مصر عليهم الدوادار يشبك إلى جهة العراق ، فالتقوا مع عسكر يعقوب شاه بن حسن بقرب الرُّها ، فُكسر المصريون وقُتل منهم من قتل وأُسِر الباقون ، وأُسِر الدوادار وضُربت عنقه ؛ وذلك في النصف الثاني من^(١) رمضان .

والعجب : أن الدوادار هذا كان بينه وبين قاضي الحنفية شمس الدين الأمشاطي وقعة كبيرة ، وكل منهما يود زوال الآخر ، فكان قتل الدوادار بشاطئ الفرات وموت الأمشاطي بمصر في يوم واحد !!

وفي سنة ست وثمانين وثمان مئة : زلزلت الأرض يوم الأحد بعد العصر ، سابع عشر المحرم زلزلة صعبة ماجت منها الأرض والجبال والأبنية موجاً ، ودامت لحظة لطيفة ، ثم سكنت ، فالحمد لله على سكونها ، وسقط بسببها شرافة من المدرسة الصالحية على قاضي القضاة الحنفي شرف الدين بن عيد فمات ، فإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢) .

وفي هذه السنة في ربيع الأول : قدم إلى مصر من الهند رجل يسمى خاكي ، زعم أن عمره مئتان وخمسون سنة ، فاجتمعت به ؛ فإذا هو رجل قوي لحيته كلها سوداء ، لا يجوّز العقل أن عمره سبعون سنة ، فضلاً عن أكثر من ذلك ، ولم يأت بحجة على ما يدعيه ، والذي أقطع به أنه كذاب .

ومما سمعته منه أنه قال : إنه حج وعمره ثمان عشرة سنة ، ثم رجع إلى الهند ، فسمع بذهاب التتار إلى بغداد ليأخذوها ، وأنه قدم إلى مصر زمن السلطان حسن قبل أن يبنّي مدرسته ، ولم يذكر شيئاً يستوضح به على قوله .

وفيهما : ورد الخبر بموت السلطان محمد بن عثمان ملك الروم ، وأن ولديه

(١) في (أ ، ب ، ج) : (سابع عشر) .

(٢) انظر « مفاهية الخلان » (١ / ٣٤) .

اقتتلا على الملك فغلب أحدهما واستقر في المملكة ، وقدم الآخر إلى مصر ، فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأنزله ، ثم توجه من الشام إلى الحجاز برسم الحج .

وفي شوال : قدمت كتب من المدينة الشريفة تتضمن : أن في ليلة ثالث عشر رمضان نزلت صاعقة من السماء على المئذنة فأحرقتها ، وأحرقت سقوف المسجد الشريف وما فيه من خزائن وكتب ، ولم يبق سوى الجدران ، وكان أمراً مهولاً^(١) .

مات المتوكل يوم الأربعاء ، سلخ المحرم ، سنة ثلاث وتسع مئة ، وعهد بالخلافة لابنه يعقوب ، ولقبه : المستمسك بالله .

(١) انظر « سبل الهدى والرشاد » (٣ / ٤٩٥) .

[ذكر المؤلف المصادر التي اعتمدها]

وهذا آخر ما تيسر جمعه في هذا التاريخ ، وقد اعتمدت في الحوادث على « تاريخ الذهبي » وانتهى إلى سنة سبع مئة ، ثم على « تاريخ ابن كثير » وانتهى إلى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، ثم على « المسالك » وذيله إلى سنة ثلاث وسبعين ، ثم على « إنباء الغمر » لابن حجر إلى سنة خمسين وثمان مئة .
وأما غير الحوادث . . فطالعت عليه « تاريخ بغداد » للخطيب عشر مجلدات ، و« تاريخ دمشق » لابن عساكر سبعة وخمسون مجلداً ، و« الأوراق » للصولي سبع مجلدات ، و« الطيوريات » ثلاث مجلدات ، و« الحلية » لأبي نعيم تسع مجلدات ، و« المجالسة » للدينوري ، و« الكامل » للمبرد مجلدان ، و« أمالي ثعلب » مجلد ، وغير ذلك .

[قصيدة للمؤلف في أسماء الخلفاء ووفياتهم]

وقد عمل بعض الأقدمين أرجوزة في أسماء الخلفاء ووفياتهم ، انتهى فيها إلى أيام المعتمد ، وقد عملت قصيدة أحسن منها ، ورأيت أن أختم بها هذا الكتاب وهي هذه :

[من البسيط]

وإنما الحمدُ حقاً رأسُ مَنْ شَكَرَا
سَادَتْ بِنِسْبَتِهِ الْأَشْرَافُ وَالْكُبَرَا
لأَرْبَعِينَ مَضَتْ فِيمَا رَوَوْا عُمُرَا
بَعْدَ الثَّلَاثَةِ أَعْوَاماً تَلِي عَشْرَا
فِيَا مُصِيبَةَ أَهْلِ الْأَرْضِ حِينَ سَرَى
وَفِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ بَعْدَهُ قُبْرَا
وَأَوَّلَ النَّاسِ سَمَى الْمُصْحَفَ الزُّبْرَا
عَشْرِينَ بَعْدَ ثَلَاثِ غَيَّبُوا عُمُرَا
عِطَاءَ قِيلَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَالذُّرْرَا
فَتُوحَ جَمّاً وَزَادَ الْحَدَّ مَنْ سَكِرَا
يُدْعَ بِهِ قَبْلَهُ شَخْصٌ مِنَ الْأُمَرَا
بَعْدَ الثَّلَاثِينَ فِي سِتٍّ وَقَدْ حُصِرَا
فِي جُمُعَةٍ وَبِهِ رِزْقُ الْأَذَانِ جَرَى
حَمَى الْحِمَى أَقْطَعَ الْإِقْطَاعَ أَيَّ كَثُرَا
لأَرْبَعِينَ فَمَنْ أَوْدَاهُ قَدْ خَسِرَا
بَنُو أُمَيَّةٍ يَبْغُونَ الْوَعَى زُمَرَا
عَنْ دَارِ دُنْيَا بِلَا ضَيْرٍ وَلَا ضَرَرَا
فِي النُّصْفِ مِنْ عَامِ سَتِينَ الْحِمَامُ عَرَا
كَذَا الْبَرِيدُ وَلَمْ يَسْبِقْهُ مِنْ أَمَرَا

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا نَفَادَ لَهُ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْهَادِي النَّبِيِّ وَمَنْ
إِنَّ الْأَمِينَ رَسُولَ اللَّهِ مَبْعُوثُهُ
وَكَانَ هَجْرَتُهُ مِنْهَا لَطِيبَتُهُ
وَمَاتَ فِي عَامِ إِحْدَى بَعْدَ عَشْرَتِهَا
وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الصَّدِيقُ مُجْتَهِدًا
وَهُوَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ فِي صُحُفٍ
وَقَامَ مِنْ بَعْدِهِ الْفَارُوقُ ثَمَّتَ فِي
وَهُوَ الَّذِي اتَّخَذَ الدِّيْوَانَ وَافْتَرَضَ الـ
سَنَ التَّرَاوِيحَ وَالتَّارِيخَ وَافْتَتَحَ الـ
وَهُوَ الْمُسَمَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ
وَقَامَ عَثْمَانُ حَتَّى جَاءَ مَقْتَلُهُ
وَهُوَ الَّذِي زَادَ فِي التَّأْذِينَ أَوَّلَهُ
وَأَوَّلَ النَّاسِ وَلَّى صَخْبَ شُرْطَتِهِ
وَبَعْدُ قَامَ عَلِيٌّ ثُمَّ مَقْتَلُهُ
ثُمَّ ابْنُهُ السَّبْطُ نَصَفَ الْعَامَ ثُمَّ أَتَى
فَسَلَّمَ الْأَمْرَ فِي إِحْدَى لِرَغْبَتِهِ
وَكَانَ أَوَّلَ ذِي مَلِكٍ مَعَاوِيَةَ
وَهُوَ الَّذِي اتَّخَذَ الْخَصِيَّانَ مِنْ خَدَمٍ

واستخلفَ الناسَ لَمَّا أن يُبايعهم
 ثم اليزيدُ ابنُه أَخْبَثُ به وَلَدًا
 وابنُ الزُّبَيْرِ وفي سَبْعِينَ مَقْتَلُهُ
 وفي ثمانينَ مع سِتِّ تَلِيهِ قَضَى
 ضرب الدَّنَانِيرِ في الإسلامِ مُعَلِّمَةً
 وهو الذي مَنَعَ الناسَ التَّرَاجُعَ في
 وأوَّلِ الناسِ هَذَا الاسمَ سُمِّيَهُ
 ثم الوليدُ ابنُه في قَبْلِ ما رَجِبَ
 وهو الذي مَنَعَ الناسَ النَّدَاءَ له
 وقَامَ بعدُ سليمانُ الخِيارُ وفي
 وبعدهَ عمرُ ذاكِ النَّجِيبُ وفي
 وهو الذي أَمَرَ الزَّهْرِيَّ خَوْفَ ذَها
 ثم اليزيدُ وفي خمسِ قَضَى وَتَلَا
 ثم الوليدُ وبعدهَ أَلْعَامَ مَقْتَلُهُ
 ثم اليزيدُ وفي ذا العَامِ مَاتَ وقد
 وبعدهَ قَامَ إبراهيمُ ثم مَضَى
 وبعدهَ قَامَ مروانُ الحِمارُ وفي
 وقَامَ من بعده السَّفَاحُ ثم قَضَى
 وقَامَ من بعده المنصورُ ثَمَّتَ في
 وهو الذي خَصَّ أَعْمَالاً مَوَالِيَهُ
 ثم ابنُه وهو المَهْدِيُّ مَاتَ لَدَى
 ثم ابنُه وَهُوَ الهَادِي وَمَوْتُهُ
 ثم الرَّشِيدُ وفي تسعينَ تَالِيَةً
 ثم الأَمِينُ وفي تسعينَ تَالِيَةً
 وقَامَ من بعده المأمونُ ثَمَّتَ في
 وقَامَ معتصمٌ من بعده وَقَضَى

والعهدَ قَبْلَ وفاةِ لابنِه ابْنُكَرَا
 في أربعَ بعدها ستونَ قد قُبِرَا
 بعدَ الثلاثِ وَكَمَ بالبَيْتِ قد حُصِرَا
 عبدُ المَلِكِ له الأَمْرُ الذي اِشْتَهَرَا
 وكسوةُ الكعبةِ الدِّيْبَاجِ مُؤْتَجِرَا
 وجهُ الخليفةِ مَهْمَا قالَ أو أَمَرَا
 وأوَّلِ الناسِ في الإسلامِ قد غَدَرَا
 في السِّتِّ من بعدَ تسعينَ انْقَضَى عُمُرَا
 باسمِ وكانت تُنادى بِاسْمِهَا الأَمَرَا
 تسعَ وتسعينَ جاءَ الموتُ في صَفَرَا
 إِحْدَى تَلِي مِئَةً قد أَلْحَدُوا عُمُرَا
 بِ الْعِلْمِ أن يَجْمَعَ الْأَخْبَارَ وَالْأَثَرَا
 هشامُ في الخمسِ والعشرينَ قد سَطَرَا
 من بعدِ ما جاءَ بالفَسَقِ الذي شُهِرَا
 أقَامَ سِتِّ شهورٍ مِثْلَ ما أُثِرَا
 بالخَلْعِ سبعينَ يوماً قد أَقَامَ تَرَى
 ثنتينَ بعدَ ثلاثينَ الدَّمَاءُ جَرَى
 بعدَ الثلاثينَ في سِتِّ وقد جُودِرَا
 خمسينَ بعدَ ثمانٍ مُحَرِّمًا قُبِرَا
 وَأَهْمَلَ العُرْبُ حَتَّى أَمْرُهُمْ دَثَرَا
 تسعَ وستينَ مَسْمُومًا كَمَا ذِكِرَا
 في عامِ سبعينَ لَمَّا هَمَّ أن غَدَرَا
 ثلاثةَ مَاتَ في الغزوِ الرِّفِيعَ ذَرَا
 ثمانياً جاءَ قَتْلُ كَمَا قُدِرَا
 ثمانِ عشرةَ كانَ الموتُ فاعتَبَرَا
 في عامِ سبعٍ وعشرينَ الذي أُثِرَا

وهو الذي أدخل الأتراك مُفرداً
ثم ابنه الواثق المَالِي الِوَرَى رُعباً
وذو التَّوَكُّل ما أَرْكَاه من خَلَفٍ
في عام سَبْعٍ يَلِيها أَرْبَعُونَ قَضَى
فلم يَقُمْ بَعْدَهُ إِلَّا الِيسِيرَ كَمَا
وَالْمُسْتَعِينُ وفي عام اثْنَيْنِ تَلِي
وهو الذي أَحْدَثَ الْأَكْمَامَ وَاسِعَةً
وَقَامَ من بَعْدِهِ الْمُعْتَزُّ ثَمَّتَ فِي
وَالْمُهْتَدِي الصَّالِحُ المِيْمُونُ مَقْتَلُهُ
وَقَامَ من بَعْدِهِ بِالْأَمْرِ مَعْتَمِدٌ
وَذَاكَ أَوَّلُ ذِي أَمْرٍ لَه حَجَرُوا
وَقَامَ من بَعْدِهِ بِالْأَمْرِ مُعْتَصِدٌ
ثم ابْنُهُ الْمُكْتَفِي بِاللَّهِ أُلْحِدَ فِي
فِي عام عَشْرِينَ فِي شَوَالٍ بَعْدَ مَيِّ
وَبَعْدَهُ الْقَاهِرُ الْجَبَّارُ مَخْلَعُهُ
وَقَامَ من بَعْدِهِ الرَّاضِي وَمَاتَ لَدَى
وَالْمُتَّقِي وَمَضَى بِالْخَلْعِ مُنْسَمِلاً
وَقَامَ بِالْأَمْرِ مُسْتَكْفِيهِمْ وَقَفَا
ثم الْمَطِيعُ وفي سِتِينَ يَتْبَعُهَا
ثم ابْنُهُ الطَّائِعُ الْمُقَهَّورُ مَخْلَعُهُ
ثم الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ قَادِرُهُمْ
ثم ابْنُهُ قَائِمٌ بِاللَّهِ مَاتَ لَدَى
وَالْمُقْتَدِي مَاتَ فِي سَبْعٍ بِأَوَّلِهَا
وَقَامَ من بَعْدِهِ مُسْتَظْهَرٌ وَقَضَى

دِيَوَانَهُ وَاقْتَنَاهُمْ جَالِباً وَشَرَا
وفي ثَلَاثِينَ مع ثَنَيْنِ قَدْ غَبَرَا
وَمُظْهَرُ السَّنَةِ الْغُرَاءِ إِذْ نَصَرَا
قَتَلَا حَبَاهُ ابْنُهُ الْمَدْعُو مُتَّصِرَا
قَدْ سَنَّهُ اللَّهُ فَيَمَنُ بَعْضُهُ غَدَرَا
خَمْسِينَ خَلَعَ وَقَتْلُ جَاءَهُ زُمَرَا
وفي الْقَلَانِسِ عَنْ طَوِيلٍ أَتَى قِصَرَا
خَمْسَ وَخَمْسِينَ قَفَى قَتْلُهُ أَثَرَا
من بَعْدِ عامٍ وَقَفَى بَعْدَهُ (١) عُمَرَا
فِي عام تِسْعٍ وَسَبْعِينَ الْحِمَامُ عَرَا
وَأَوَّلُ النَّاسِ مَوْكُولاً بِهِ قَهَرَا
وفي ثَمَانِينَ مع تِسْعٍ مَضَتْ قُبْرَا
خَمْسَ وَتِسْعِينَ سُبْحَانَ الَّذِي قَدَّرَا
ثَلَاثَةَ مَقْتَلِ الْمَدْعُو مُقْتَدِرَا
فِي اثْنَيْنِ من بَعْدِ عَشْرِينَ وَقَدْ سُمِرَا
تِسْعَ وَعَشْرِينَ وَانْسُبَ عِنْدَهُ أُخْرَا
من بَعْدِ أَرْبَعَةِ الْأَعْوَامِ فِي صَفَرَا
من بَعْدِ عامٍ لِأَمْرِ الْمُتَّقِي أَثَرَا
ثَلَاثَةً فِي أَخِيرِ الْعَامِ قَدْ عَبَرَا
عامَ الثَّمَانِينَ مع إِحْدَى كَمَا أَثَرَا
فِي اثْنَيْنِ من بَعْدِ عَشْرِينَ مَضَتْ قُبْرَا
سَبْعَ وَسِتِينَ من شَعْبَانَ قَدْ سَطَرَا
بَعْدَ الثَّمَانِينَ جَدَّ الْمُلْكُ وَاقْتَدَرَا
فِي سَادِسِ الْقَرْنِ فِي اثْنَيْنِ تَلِي عَشَرَا

(١) فِي (أ، ط) وَ«سَمَطُ النُّجُومِ الْعَوَالِي» (٣/ ٥٣٥) : (قَبْلَهُ) .

وقَامَ من بعْدِهِ مُسْتَرَشِدٌ وَلَدَى
 ثَم ابْنُهُ الرَّاشِدُ الْمَقْهُورُ مَخْلَعُهُ
 وَالْمُقْتَفِي مَاتَ من بَعْدِ التَّمَكُّنِ فِي
 وَقَامَ من بعْدِهِ مُسْتَنْجِدٌ وَقَضَى
 وَالْمُسْتَضِيءُ بِأَمْرِ اللَّهِ مَاتَ لَدَى
 وَقَامَ من بعْدِهِ بِالْأَمْرِ نَاصِرُهُمْ
 وَقَامَ من بعْدِهِ بِالْأَمْرِ ظَاهِرُهُمْ
 وَقَامَ من بعْدِهِ مُسْتَنْصِرٌ وَقَضَى
 وَقَامَ من بعْدِهِ مُسْتَعَصِمٌ وَلَدَى
 جَاءَ التَّارُ فَأَوْدَوْهُ وَبَلَدَتَهُ
 مَرَّتْ ثَلَاثُ سِنِينَ بَعْدَهُ وَيَلِي
 وَقَامَ من بَعْدِ ذَا مُسْتَنْصِرٌ وَثَوَى
 أَقَامَ سِتُّ شُهُورٍ ثَم رَاحَ لَدَى
 وَقَامَ من بعْدِهِ فِي مَصْرَ حَاكِمُهُمْ
 وَمَاتَ فِي عَامِ إِحْدَى بَعْدَ سَبْعِ مِئَةٍ
 فِي أَرْبَعِينَ قَضَى إِذْ قَامَ وَاثِقُهُمْ
 وَقَامَ حَاكِمُهُمْ من بعْدِهِ وَقَضَى
 وَقَامَ من بعْدِهِ بِالْأَمْرِ مَعْضِدٌ
 وَذُو التَّوَكُّلِ يَتْلُوهُ أَقَامَ إِلَى
 وَبَايَعُوا وَاثِقًا بِاللَّهِ ثَمَّتْ فِي
 وَبَايَعُوا بَعْدَهُ بِاللَّهِ مُعْتَصِمًا
 وَذُو التَّوَكُّلِ رَدُّهُ أَقَامَ إِلَى
 فِي عَهْدِهِ زَيْدٌ من بَعْدِ الْأَذَانِ عَلَى
 وَأَحْدَثَ السِّمَةَ الْخَضْرَاءَ لِلشُّرَفَا
 أَوْلَادَهُ مِنْهُمْ خَمْسٌ مَبْجَلَةٌ

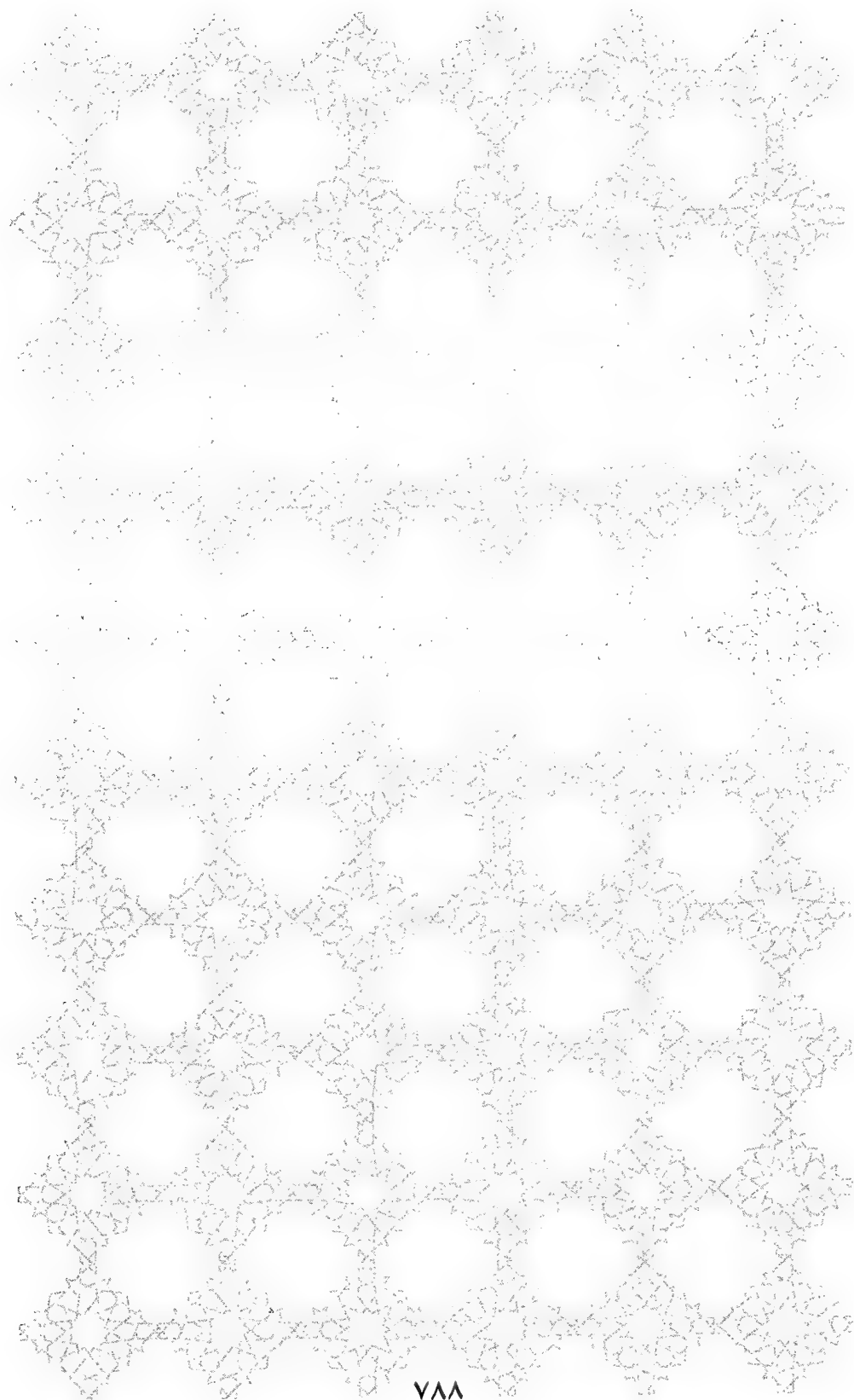
تِسْعَ وَعَشْرِينَ فِيهِ الْقَتْلُ حَلٌّ عُرَا
 من بَعْدِ عَامٍ فَلَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرَا
 خَمْسٍ وَخَمْسِينَ وَانْقَامَتْ لَهُ النُّصْرَا
 من بَعْدِ سِتِينَ فِي سِتٍّ وَقَدْ شَعَرَا
 خَمْسٍ وَسَبْعِينَ بِالْإِحْسَانِ قَدْ بَهَرَا
 وَمَاتَ فِي اثْنَيْنِ مَعَ عَشْرِينَ إِذْ كَبِرَا
 تِسْعًا شُهُورًا فَأَقِيلَ مَدَّةَ قِصْرَا
 لِأَرْبَعِينَ وَكَمْ يَرِثُهُ من شُعْرَا
 سِتٍّ وَخَمْسِينَ كَانَ الْفِتْنَةُ الْكُبْرَا
 فَيَلْعَنُ اللَّهُ وَالْمَخْلُوقَةُ التَّارَا
 نَصَفَ وَدَهْرُ الْوَرَى من قَائِمِ شَعْرَا
 فِي آخِرِ الْعَامِ قَتَلَ مِنْهُمْ وَسَرَى
 مُهْلٌ سِتِينَ لَمْ يَلُغْ بِهِ وَطَرَا
 عَلَى وَهَى لَا كَمَنْ مِنْ قَبْلِهِ غَبَرَا
 وَقَامَ من بَعْدِ مُسْتَكْفِيهِمْ وَجَرَى
 فِي اثْنَيْنِ مَضَى خَلْعًا من الْأُمْرَا
 عَامَ الثَّلَاثِ مَعَ الْخَمْسِينَ مُعْتَبَرَا
 وَفِي الثَّلَاثَةِ وَالسِتِينَ قَدْ غَبَرَا
 بَعْدَ الثَّمَانِينَ فِي خَمْسٍ وَقَدْ حُصِرَا
 عَامَ الثَّمَانِ قَضَى وَسَمَّه عُمَرَا
 لِعَامِ إِحْدَى وَتِسْعِينَ أُزِيلَ وَرَا
 ذَا الْقَرْنِ عَامَ ثَمَانٍ مِنْهُ قَدْ قُبِرَا
 خَيْرِ النَّبِيِّينَ تَسْلِيمٌ كَمَا أَمْرَا
 يَا حُسْنَهَا مِنْ سِمَاتِ بُورَكْتَ خُضْرَا
 جَاوُوا الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُمْ قَدْرَا

فالمستعينُ وآل الأمرُ أن خلَعوا^(١) وقامَ من بعده بالأمرِ معتضدٌ وقامَ بالأمرِ مُستكفيهمُ وقَضَى وقامَ قائمُهم من بعدِ ثُمّت في وقامَ من بعده مستنجدٌ دَهْرًا وليسَ يُعرف في الأعصارِ قبلَهُم ولا شقيقانِ إلّا غيرَ خامِسِهِم كذا سُليمان من بعدِ الوليدِ كذا وما تكررَ في بغدادَ من لَقَبِ اثنانِ فالْمُقْتَفِي عن راشدٍ وكذا أولئك القومُ أربابُ الخلافةِ خُذ من الصحابةِ سبعٌ كالنجومِ ومن ولم أعدَّ أبا عبد المليكِ فذا وعدةٌ من بني العباسِ شامِخةٌ تبقى الخلافةُ فيهم كي يُسَلِّمها الـ وبعدَ نَظْمِي هَذَا النَظْمَ في مُدِدِ في عامِ الأَربَعِ في شهرِ المحَرَّمِ من وبويعَ ابنُ أخيه بعده ودُعِيَ ولم يسمَ إمامٌ في الأُلَى سَبَقُوا فاللهُ يُبْقِيهِ ذا عِزٍّ وَيَحْفَظُهُ وماتَ عامِ ثلاثٍ بعدَ تسعِ مِئَةِ لنجلِهِ البرُّ يعقوبَ الشَّرِيفِ وقد

في شهرِ شعبانَ في خمسِ تلي عَشْرًا لأربعينَ تليها الخمسةُ احتَضِرًا في عامِ الأَربَعِ والخمسينَ مُصْطَبِرًا تسعَ وخمسينَ بعدَ الخلعِ قد حُصِرًا خليفَةُ العَصْرِ رَقَاهُ الإِلَهُ ذُرًا خمسٌ ولوا إخوةٌ بل أربعٌ أُمَرًا كذا الرَّشِيدُ مع الهادي كما ذُكِرَا نَجَلًا الوليدِ يزيدُ والذي أُثِرَا ولا تَلا ابنَ أخٍ عَمٌّ خلا نَفَرًا مستنصرٌ بعدَ مقتولِ الشَّارِعَا سبعينَ من غيرِ نَقْصِ عَدُّها حُصِرَا بني أُمَيَّةِ اِثْنانِ تلي عَشْرًا باغٍ كما قاله من وَرَخَ السَّيْرَا إِحْدَى وخمسونَ لا قَلَّتْ لَهُم نَصْرَا مهديٌ منهم إلى عيسى كما أُثِرَا قَضَى خليفَتنا المذكورُ مُصْطَبِرًا بعدِ الثمانينِ يومَ السَّبْتِ قد قُبِرَا بذِي التَوَكُّلِ كالجَدِّ الذي شُهِرَا عبدُ العَزِيزِ سِوَاهُ فاسمَهُ ابْتَكَرَا ويجعلُ المَلِكُ في أَعقابِهِ زُمَرَا سَلَخَ المَحَرَّمِ عن عَهْدٍ لَهُ سَطْرَا لَقَّبَ مُسْتَمْسَكًا بِاللَّهِ فِي صَفَرَا

(١) كذا في النسخ ، ولعل الصواب : (خُلِعَا) ، والله أعلم .

فصولٌ في ذكر دولٍ مشرقية



في الدولة الأموية القائمة بالأندلس

[١٣٨-٤٢٧هـ]

أولهم : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ، بوع بالخلافة لما دخل الأندلس هارباً ؛ وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومئة ، وكان من أهل العلم والعدل ، مات سنة سبعين ومئة ، في ربيع الآخر^(١) .

وقام بعده ابنه هشام أبو الوليد ، ومات في شهر صفر ، سنة ثمانين ومئة^(٢) .
وقام بعده ابنه الحكم أبو المظفر^(٣) ، الملقب : بالمرتضى ، ومات في ذي الحجة ، سنة ست ومئتين .

وقام بعده ابنه عبد الرحمن ، وهو أول من فحّم الملك بالأندلس من الأموية ، وكساه أبهة الجلالة ، وفي أيامه أحدث بالأندلس لبس الطرز ، وضرب الدراهم ، ولم يكن فيها دار ضرب منذ فتحها العرب ، وإنما كانوا يتعاملون بما يُحمل إليهم من دراهم أهل المشرق .

وكان يشبّه بالوليد بن عبد الملك في جبروتيته ، وبالمأمون العباسي في طلب الكتب الفلسفية ، وهو أول من أدخل الفلسفة الأندلس ، مات سنة تسع وثلاثين ومئتين^(٤) .

وقام بعده ابنه محمد ، مات في صفر ، سنة ثلاث وسبعين ومئتين^(٥) .

وقام بعده ابنه المنذر ، ومات في صفر ، سنة خمس وسبعين^(٦) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣٩ / ١١) ، وفيه : (أنه توفي سنة « ١٧٢ هـ ») .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩٠ / ١١) .

(٣) في (أ ، هـ) : (أبو المطرف) ، والصواب : أن الحكم يكنى أبا العاص ؛ كما في « تاريخ الإسلام » (١٢٤ / ١٤) ، وأبو المطرف : هو ولده الآتي بعده .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٣٨ - ٢٣٩ / ١٧) ، وفيه : (أنه مات سنة « ٢٣٨ هـ ») .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٥١ / ٢٠) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٧٦ / ٢٠) .

وقام أخوه عبد الله ؛ وهو أصلح خلفاء الأندلس علماً وديناً ، مات في ربيع الأول ، سنة ثلاث مئة^(١) .

وقام حفيده عبد الرحمن بن محمد الملقب : بالناصر ؛ وهو أول من تسمى بالأندلس : بالخلافة وبأمر المؤمنين ؛ وذلك لما وهت الدولة العباسية في أيام المقتدر ، وكان الذين قبله إنما يتسمون بالأمير فقط ، مات في رمضان ، سنة خمسين وثلاث مئة^(٢) .

وقام ابنه الحكم المستنصر ، ومات في صفر ، سنة ست وستين^(٣) .

وقام ابنه هشام المؤيد ، ثم خلع وحبس ، سنة تسع وتسعين^(٤) .

وقام محمد بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر عبد الرحمن ، ولقب : المهدي ستة عشر شهراً ، ثم خرج عليه ابن أخيه هشام بن سليمان بن الناصر عبد الرحمن ، وبويع ، وتلقب : بالرشيد ، فحاربه عمه وقتله ، واتفق الناس على خلع عمه ، فاختلفوا ثم قتل^(٥) .

وبابيعوا ابن أخي هشام المقتول سليمان بن الحكم المستنصر ، ولقب : بالمستعين ، ثم قاتلوه ، وأسر سنة ست وأربع مئة^(٦) .

وقام عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر ، ولقب : المرتضى ، وقُتل في آخر العام .

ثم وهت الدولة الأموية^(٧) ، وقامت الدولة العلوية الحسنية .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١٨٤ / ٢٢) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٤٣ / ٢٥) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٥٨ / ٢٦) .

(٤) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٢٣ / ١٧) .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٨٨ / ٢٧) ، وذلك سنة (٤٠٠ هـ) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (١٥٨ / ٢٨) ، وفيه : (أنه مات سنة « ٤٠٧ هـ ») .

(٧) انظر خبره في « نفح الطيب » (٤٨٤ / ١) .

الدولة العلوية الحسنية بالأندلس

[٤٠٧-٤١٣هـ]

فولي الناصر علي بن حمّود في المحرم ، سنة سبع وأربع مئة ، ثم قُتل في ذي القعدة ، سنة ثمان وأربع مئة^(١) .

وقام أخوه المأمون القاسم ، وخُلع سنة إحدى عشرة^(٢) .

وقام ابن أخيه يحيى بن الناصر علي بن حمّود ، ولقب : المُعتَكِي ، وقُتل بعد سنة وسبعة أشهر^(٣) .

ثم عادت الدولة الأموية ؛ فولي المستظهر عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار ، ثم قُتل بعد خمسين يوماً^(٤) .

وقام محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن الناصر عبد الرحمن ، ولقب : المستكفي ، وخُلع بعد سنة وأربعة أشهر^(٥) .

وقام هشام بن محمد بن عبد الملك بن الناصر عبد الرحمن ، ولقب : المعتمد ، فأقام مدة ، ثم خلع وسجن إلى أن مات في صفر ، سنة [سبع وعشرين]^(٦) وأربع مئة .

ومات بموته الدولة الأموية بالأندلس .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١٧٦/٢٨) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤٩/٢٩) ، وكانت وفاته سنة (٤٣١هـ) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠٦/٢٩) ، وكانت وفاته سنة (٤٢٧هـ) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤٨/٢٨) ، وكانت وفاته سنة (٤١٤هـ) .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٩٣/٢٨) ، وكانت وفاته سنة (٤١٥هـ) .

(٦) ما بين معقوفين في النسخ بياض ، وفي المطبوع : (ثمان وعشرين) ، والمثبت من « تاريخ الإسلام » (٢٠٥/٢٩) .

فَضْلُكَ فِي الدَّوْلَةِ النُّجْبِيَّةِ الْعُبَيْدِيَّةِ

[٢٩٦-٤٦٧هـ]

أول من قام منهم بالمغرب : المهدي عبيد الله ، سنة ست وتسعين ومئتين ، ومات في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة^(١) .

وقام ابنه القائم بأمر الله محمد ، ومات سنة ثلاث وثلاثين^(٢) .

وقام ابنه المنصور إسماعيل ، ومات سنة إحدى وأربعين^(٣) .

وقام ابنه المعز لدين الله معذ ، ودخل القاهرة سنة اثنتين وستين ، ومات سنة خمس وستين^(٤) .

وقام ابنه العزيز نزار ، ومات سنة ست وثمانين^(٥) .

وقام ابنه الحاكم بأمر الله منصور ، وقتل في سنة إحدى عشرة وأربع مئة^(٦) .

وقام ابنه الظاهر لإعزاز دين الله علي ، ومات سنة ثمان وعشرين^(٧) .

وقام ابنه المستنصر معذ ، ومات سنة سبع وثمانين ، فأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر^(٨) .

قال الذهبي : (ولا أعلم أحداً في الإسلام لا خليفة ولا سلطاناً أقام هذه المدة)^(٩) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (١٠٨ / ٢٤) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (١١٤ / ٢٥) ، ولقبه : نزار ؛ وفيه : (أن موته كان سنة « ٣٣٤ هـ ») .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٤١ / ٢٥) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٤٨ / ٢٦) .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (١٢٩ / ٢٧) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٨٣ / ٢٨) .

(٧) انظر « تاريخ الإسلام » (١٩٧ / ٢٩) ؛ وفيه : (أنه مات سنة « ٤٢٧ هـ ») .

(٨) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٢٧ / ٣٠) .

(٩) تاريخ الإسلام (٢٢٨ / ٣٠) .

وقام ابنه المستعلي أحمد ، ومات سنة خمس وتسعين^(١) .

وقام ابنه الأمر بأحكام الله منصور ، وقتل في سنة أربع وعشرين وخمس مئة^(٢) .

وقام ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ومات سنة أربع وأربعين^(٣) .

وقام ابنه الظافر بالله إسماعيل ، وقتل سنة تسع وأربعين^(٤) .

وقام ابنه الفائز بنصر الله عيسى ، ومات سنة خمس وخمسين^(٥) .

وقام العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ لدين الله ، وخلع سنة سبع وستين ، ومات بها ، وأقيمت الدعوة العباسية بمصر ، وانقرضت الدولة العبيدية^(٦) .

قال الذهبي : (فكانوا أربعة عشر متخلفاً لا مستخلفاً)^(٧) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٠٩ / ٣٤) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (١٢٣ / ٣٦) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (١٩٣ / ٣٧) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٣٥٦ / ٣٧) .

(٥) انظر « تاريخ الإسلام » (١٦٥ / ٣٨) .

(٦) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٧٣ / ٣٩) .

(٧) تاريخ الإسلام (٢٧٥ / ٣٩) .

فَضَائِلُ

في دولته بني طباطبا العلوية الحسنية

[١٩٩-٣٤٤هـ]

- قام منهم بالكوفة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طباطبا ، في جمادى الأولى ،
سنة تسع وتسعين ومئة^(١) .
- وقام باليمن في هذا العصر الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن طباطبا ،
ودعي له بإمرة المؤمنين ، ومات في ذي الحجة ، سنة ثمان ومئتين^(٢) .
- وقام ابنه المرتضى محمد ، ومات سنة عشرين وثلاث مئة^(٣) .
- وقام أخوه الناصر أحمد ، ومات في صفر ، سنة ثلاث وعشرين^(٤) .
- وقام ابنه المنتجب الحسين ، ومات سنة تسع وعشرين^(٥) .
- وقام أخوه المختار القاسم ، وقتل في شوال ، سنة أربع وأربعين^(٦) .
- وقام أخوه الهادي محمد ، ثم الرشيد العباس ، ثم انقرض دولتهم^(٧) .

(١) انظر « المسالك » (٣٣ / ٢٤) ، و « تاريخ الإسلام » (٧٠ / ١٣) ومات في هذه السنة .
(٢) المسالك (٣٩ / ٢٤) ، ووفاته في « تاريخ الإسلام » (٣٢١ / ٢٢) سنة (٢٩٨ هـ) .
(٣) المسالك (٤٠ / ٢٤) .
(٤) المسالك (٤١ / ٢٤) .
(٥) المسالك (٤٢ / ٢٤) .
(٦) المسالك (٤٢ / ٢٤) .
(٧) المسالك (٤٢ / ٢٤) .

فَصْنَتُهُ فِي الدَّوْلَةِ الطَّبَرِسَانِيَّةِ

تداولها ستة رجال : ثلاثة من بني الحسن ، ثم ثلاثة من بني الحسين :
فقام الداعي إلى الحق الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن
زيد الجواد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خمسين ومئتين
بالري والديلم^(١) .
ثم قام أخوه القائم بالحق محمد ، وقتل سنة ثمان وثمانين^(٢) .
فقام حفيده المهدي الحسن بن زيد بن القائم بالحق^(٣) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٧٧ / ٢٠) ، وكانت وفاته سنة (٢٧٠ هـ) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٦٠ / ٢١) .

(٣) في (أ ، ب ، ج) بعدها : (وقام بعده) ثم بياض .

فَصَائِلُ فِي فِتْنِ الْمَسَاتِ

فَصَائِلُ

[في الحوادث التي وقعت في رأس كل مئة]

قال ابن أبي حاتم في « تفسيره » : حدثنا يحيى بن عَبْدَك القزويني ، حدثنا خلف بن الوليد ، حدثنا المبارك بن فضالة ، عن علي بن زيد ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، عن العُرْيَان بن الهيثم ، عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال : (ما كان منذ كانت الدنيا رأس مئة سنة . . إلا كان عند رأس المئة أمر)^(١) .

قلت : كان عند رأس المئة الأولى من هذه الملة : فتنة الحجاج ، وما أدراك ما الحجاج ؟!

وفي المئة الثانية : فتنة المأمون وحروبه مع أخيه حتى درست محاسن بغداد وباد أهلها ، ثم قتله إياه شر قتلة ، ثم امتحانه الناس بخلق القرآن ؛ وهي أعظم الفتن في هذه الأمة ، وأولها بالنسبة إلى الدعاء إلى البدعة ، ولم يدع خليفة قبله إلى شي من البدع .

وفي المئة الثالثة : خروج القرمطي وناهيك به ، ثم فتنة المقتدر لما خلع وبويح ابن المعتز وأعيد المقتدر ثاني يوم وذبح القاضي وخلقاً من العلماء ، ولم يقتل قاض قبله في ملة الإسلام ، ثم فتنة تفرق الكلمة وتغلب المتغلبين على البلاد ، واستمر ذلك إلى الآن .

ومن جملة ذلك : ابتداء الدولة العبيدية وناهيك بهم إفساداً وكفراً وقتلاً للعلماء والصلحاء .

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٣٧٣٠) بدون إسناد .

وفي المئة الرابعة : كانت فتنة الحاكم بأمر إبليس لا بأمر الله ، وناهيك بما فعل .

وفي المئة الخامسة : أخذ الفرنج الشام وبيت المقدس .

وفي المئة السادسة : كان الغلاء الذي لم يسمع بمثله منذ زمن يوسف على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، وكان ابتداء أمر التتار .

وفي المئة السابعة : كانت فتنة التتار العظمى التي أسالت من دماء أهل الإسلام بحاراً .

وفي المئة الثامنة : كانت فتنة تمرلنك التي استُصغرت بالنسبة إليها فتنة التتار على عظمها .

وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَفْضِنَا إِلَى رَحْمَتِهِ قَبْلَ وَقُوعِ فِتْنَةِ الْمِئَةِ الثَّامِنَةِ

بِجَاهِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

آمين

خاتمة النسخة (أ)

[بيان فتنة المئة التاسعة]

هذا آخر ما وجدت بخط المصنف الشيخ جلال الدين الأسيوطي رحمه الله تعالى ، ووجدت آخر نسخة المصنف :

قال الفقير جرامرد الناصري الحنفي تلميذ المؤلف رحمه الله تعالى : (لا شك ولا ارتياب أن فتنة المئة التاسعة : هي فتنة ابن عثمان سليم شاه وحروبه مع إخوته ، وقتله إياهم وأولادهم شر قتلة ، ولم يُبق منهم أحداً لا كبيراً ولا صغيراً ، ثم حروبه صاحب الشرق وكسره إياه شر كسرة ، ثم قتله علي دولات وأخذه بلاده ، ثم اجتماعه بعسكر مصر وسلطانهم على مرج دابق ، وقتله سلطانها وأكابر أمرائها ونوابها ، ثم توجهه إلى مصر ودخوله إليها في أسرع حال وأقصر زمان من غير توان ولا مهلة ، وفعله فيها مع أهلها ما فعل .

وأظن أنني لو حلفت بالله . . لم أحتث أن فتنة التتار وتمرلنك استصغرنا بالنسبة إليها ؛ فإن التتار وتمرلنك ما دخلاها وانكسرا من الشام ورُدّا خائبين ، ولا رأينا في التواريخ ولا سمعنا أن مصر من حين صارت دار الإسلام لم تصب بمثل هذه المصيبة ، فسبحان الذي يعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، ويعطي ملكه من يشاء ، وهو الواحد القهار .

ولا شك ولا ارتياب أيضاً أن الله تعالى قبل دعاء الشيخ رحمه الله تعالى ؛ حيث قبضه إلى رحمته سبحانه وتعالى قبل وقوع هذه الفتنة ، فسبحان مجيب الدعوات !!

وأنا أسأل الله تعالى كما استجاب دعاء الشيخ أن يستجيب دعوتي ، وأن يعقب أهل مصر وسائر بلاد الإسلام خيراً ، ويتوفني ومحبي على الإيمان ، ويثبت قلوبنا عليه ، ويدخلنا في زمرة أحبائه وأوليائه ، ويدخلنا في شفاعته خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم .

وأن ينصر سلطاننا على سائر المخالفين من أهل البدع والزيغ ومخالفني

الإسلام ، وأن يلهمه العدل والإنصاف في رعيته ، ويحبيه إلى الرعية ويحبب الرعية إليه .

اللَّهُم ؛ وفقه لصراطك المستقيم ، والعمل بوظائف دينك القديم ، اللَّهُم ؛ وفقه لصراطك المستقيم ، والشفقة على الرعية والرفق بهم ، والاعتناء بمصالحهم ، وأصلح اللَّهُم سائر ولاية المسلمين ، آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً بدوامه باقياً ببقائه (هذا ما وجد بخط الشيخ جرامرد .

وكتبه الفقير الحقير ، المعترف بالذنب والتقصير : أحمد بن محمد بن يوسف الجوجري ، غفر الله لهما .

بتاريخ : يوم السبت المبارك ، تاسع عشر ذي الحجة ، ختام سنة ستة وتسعين وتسع مئة .

خاتمة النسخة (ب)

قال الفقير جرامرد الناصري الحنفي تلميذ المؤلف رحمه الله تعالى : (لا أشك ولا أرتاب أن فتنة المئة التاسعة : هي فتنة ابن عثمان سليم شاه وحروبه مع إخوته ، وقتله إياهم وأولادهم شر قتلة ، ولم يُبق منهم أحداً لا كبيراً ولا صغيراً ، ثم حروبه صاحب الشرق وكسره إياه شر كسرة ، ثم قتله علي دولات وأخذه بلاده ، ثم اجتماعه بعسكر مصر وسلطانها على مرج داغ ، وقتله سلطانها وأكابر أمرائها ونوابها ، ثم توجهه إلى مصر ودخوله إليها في أسرع حال وأقصر زمان من غير توان ولا مهلة ، وفعله فيها مع أهلها ما فعل .

وأظن أنني لو حلفت بالله . . لم أحتث أن فتنة التتار وتمرلنك استُصغرتا بالنسبة إليها ؛ فإن التتار وتمرلنك ما دخلاها ، وانكسر أمير التتار وردوا خائبين ، ولا رأينا في التواريخ ولا سمعنا أن مصر من حين صارت دار إسلام لم تصب بمثل هذه المصيبة ، فسبحان الذي يعز من شاء ويذل من شاء ، ويعطي ملكه من شاء ، وهو الواحد القهار .

ولا أشك ولا أرتاب أيضاً أن الله سبحانه وتعالى قَبِلَ دعاء الشيخ رحمه الله ؛
حيث قبضه إلى رحمته قبل وقوع هذه الفتنة ، فسبحان مجيب الدعوات !!
وأنا أسأل الله تعالى كما استجاب دعاء الشيخ أن يستجيب دعوتي ، وأن يعقب
أهل مصر وسائر بلاد الإسلام خيراً ويتوفني ومحبيّ على الإيمان ، ويثبت قلوبنا
عليه ويدخلنا في زمرة أوليائه وأحبائه ، ويدخلنا في شفاعة خير خلقه محمد
صلى الله عليه وسلم .

وأن ينصر سلطاننا على سائر المخالفين من أهل البدع والزيغ ومخالفى الإسلام ،
وأن يلهمه العدل والإنصاف في رعيته ، ويحبه إلى الرعية ويحبب الرعية فيه .
اللَّهُم ؛ وفقه لصراطك المستقيم ، والعمل بوظائف دينك القويم ، ووفقه
اللَّهُم للشفقة على الرعية ، والرفق بهم ، والاعتناء بمصالحهم ، وأصلح اللَّهُم
سائر ولاية المسلمين ، آمين .

وصلى الله على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وعلى آله وصحبه
الطيبين الطاهرين ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وعلى التابعين ، وتابع
التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين) .
انتهت كتابة هذه النسخة المباركة الميمونة : ضحى يوم الثلاثاء ، سادس
شهر رمضان المعظم ، أحد شهور عام سبع وثمانين وتسع مئة .
أحسن الله عاقبتها ، بطيبة الطيبة ، على الحالّ بها أفضل الصلاة والسلام ،
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

خاتمة النسخة (ج)

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة المباركة : يوم الأحد ، رابع عشر من ذي
القعدة الحرام بمكة المشرفة زادها الله فضلاً وشرفاً ، سنة (٩٨٥ هـ) على يد
العبد الفقير ، المحتاج إلى عفو ربه الغني : عبد الكريم بن علي السّمهودي
الحسني ، غفر الله له ، ولوالديه ولمن دعا له ، ولمن قرأ وطالع فيها
وللمسلمين ، آمين ، آمين ، آمين .

خاتمة النسخة (هـ)

وكان الفراغ من نسخ هذا الكتاب المبارك كتابة : في يوم الأربعاء المبارك ،
ثاني عشر شهر ربيع الآخر ، سنة (٨٩٥ هـ) أحسن الله عاقبتها ، وصلواته على
سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كتبه بيده الفانية فقير رحمة ربه (. . .)^(١) له ولوالديه ولجميع المسلمين ،
آمين ، آمين ، آمين .

خاتمة النسخة (و)

وكان الفراغ من كتابة هذا التاريخ المبارك : في يوم الأربعاء ، العشرون من
ربيع الأول ، من شهور سنة خمس وستين وتسع مئة .

أحسن الله باقيه ، وغفر لكاتبه ، وللناظر فيه ، ولوالديهم ولجميع المسلمين
آمين .

وكتبه : عوض أفندي .

خاتمة النسخة (ط)

تاريخ الطبع لمصححه ومحشيه الأحقر : غلام رسول عادل جرهى ، سنة
(١٣٠٤ هـ) ، سنة (١٨٨٧ م) .

أحمدُ اللهَ حقَّ ما أعطى	من عطياته الكرام لنا
واختتام الكتاب جائزة	منه في حقنا فيا بشرى
تم هذا الكتاب بالخير	بارك الله فيه للطلباء
فالسبوطي حوى بتفصيل	ما جرى من وقائع الكبراء
وإذا منا رأيتـه ملآن	بالتواريخ جامعاً أدبا
طار قلبي إليه مشغولاً	فتجاسرتُ فيه تصحيحاً

(١) بياض في المخطوط .

ثم زَيَّنْهُ بحلِّ لغات رافعاً ستره لمن نظما
نفع الله ناظره به ولمن باع واشترى وتلا
بعد إتمامه لعام الطبع قلت : أتلو سوانح الخلفاء (١٣٠٤ هـ) .

وجاء بالهامش باللغة الأوردية ما ترجمته : فقد طبع الكتاب في مطبعة
محمدي ، بمدينة لاهور ، بأمر تاجر : فقير الله ، وعبد العزيز ، وعبد القادر بن
أحمد الجامي ، رزقهم الله إيماناً كاملاً .

يمكن الحصول على هذا الكتاب من المحل التجاري لفقير الله ،
وعبد القادر ، وعبد العزيز .

خاتمة العناية بهذا الكتاب

تم بحمد الله وعونه الفراغ من تحقيق هذا السفر المبارك وتصحيحه ليلة يوم
السبت ، الثاني عشر من شهر ربيع الأنور ، عام ثلاثة وثلاثين وأربع مئة وألف من
هجرة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم .

الموافق للثالث من شهر شباط (فبراير) ، عام اثني عشر وألفين للميلاد ، في
دمشق الشام ، حرسها الله وسائر بلاد المسلمين .

فنسأل الله تعالى أن يتقبله منا ، وأن ينفع به كل من قرأه ، أو اطلع عليه
والحمد لله رب العالمين

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وكتبه

محمد غسان نضوح غزفول الحسيني

المشرف على أعمال البحوث والنشر

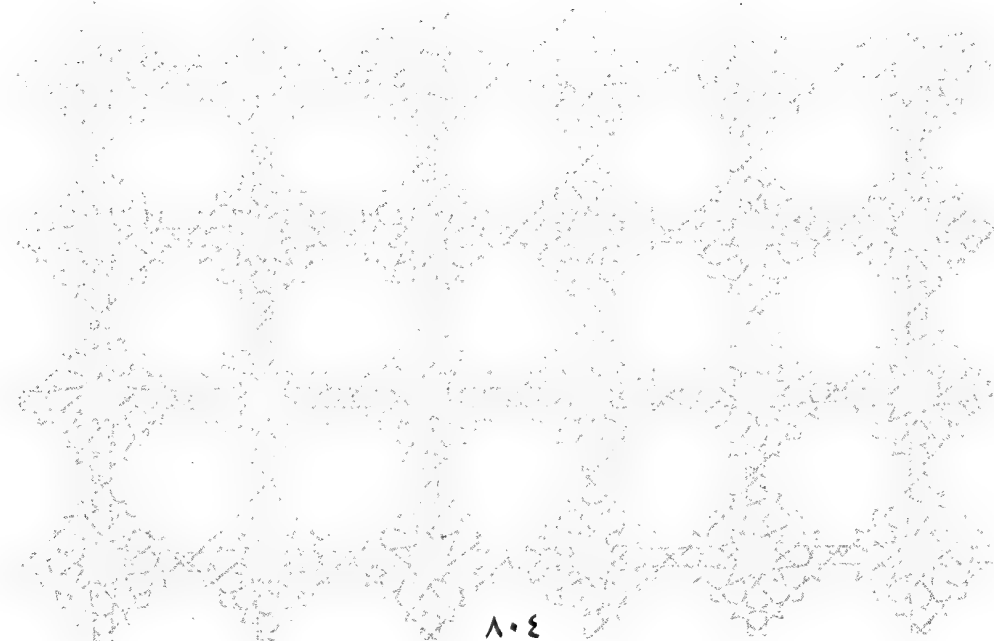
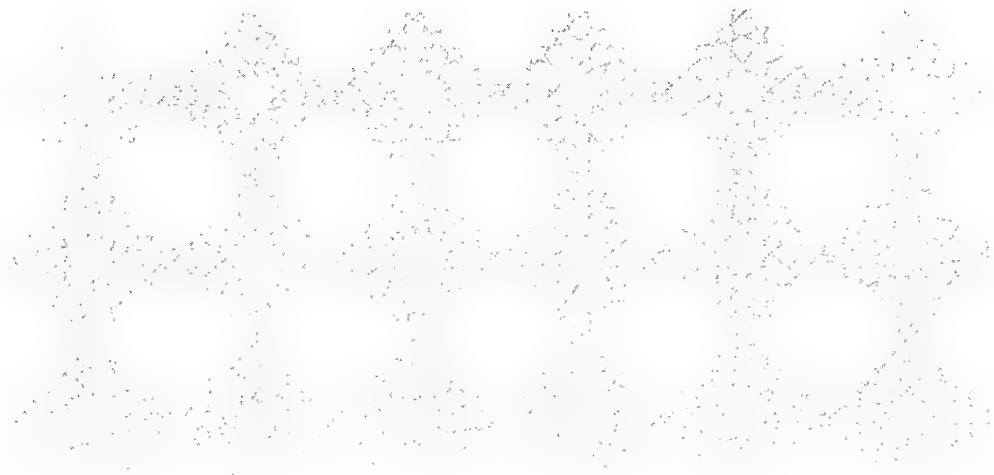
بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

نَفَائِسُ مُسْتَجَابَاتٍ

مِمَّا الْحَقَّ وَكُتِبَ فِي الْمَخْطُوطَاتِ (*)

(*) ارتأى القائمون على المركز العلمي بدار المنهاج أن يزداد هذا الفصل الجديد لكون بعض المخطوطات تحتوي على فوائد ونفائس وضائن مكتوبة في طرة المخطوطة وخاتمها ، وهي من الأهمية بمكان .

ولذا فقد اعتمدنا أن يكتب ما وجد من ذلك في هذا الموضع ، لعموم النفع والانتفاع بذلك . والله الموفق .



[إلحاق كل شيء بشيء]

من فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
قال بعض العلماء : (إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل
كعب الأحبار عن العراق وغيره ، فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ؛ لِمَا خلق الله
تعالى الأشياء . . ألحق كل شيء بشيء .
قال العقل : أنا ألحق بالعراق ، وقال العلم : وأنا معك . قال المال : أنا
لاحق بالشام ، قالت الفتن : وأنا معك .
قال الخصب : وأنا لاحق بمصر ، قال الذل : وأنا معك . قال الفقر : وأنا
لاحق بالحجاز ، قال القُنعُ : وأنا معك .
قال الشقاء : أنا لاحق بالبادية ، قالت الصحة : وأنا معك . قالت السُّمرة :
وأنا لاحق باليمن ، قال رقة الأجساد : وأنا معك .
قال البخل : أنا لاحق بالمغرب ، قال سوء الخلق : وأنا معك ^(١) .

[بيتان للسيد خادم مسجد النبي صلى الله عليه وسلم]

[من الرجز]

طَالَعَ فِيهِ دَاعِيَا لِمَالِكِهِ أَعَزَّ رَبِّي قَدْرَهُ وَجَانِبَهُ
أَغْنِي بِهِ أَحْمَدُ خَيْرَ حَامِدٍ خَادِمَ مَسْجِدِ النَّبِيِّ وَنَائِبَهُ

[من البسيط]

لَأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :
لَوْ كَانَ مُعْتَصِمًا مِنْ زَلَّةٍ أَحَدٌ كَانَتْ لِعَائِشَةَ الرُّتْبَى عَلَى النَّاسِ
قَدْ يَنْزِعُ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ عُقُولَهُمْ حَتَّى يُتِمَّ الَّذِي يَقْضِي عَلَى رَأْسِ

(١) انظر « مروج الذهب » (١٨٣ / ٢) .

السعادة الكاملة ، والبركة الشاملة ، والرحمة النازلة لمن قال : (لا إله إلا الله) لله در قائله .

[الحث على التغرب والسفر]

[من مجزوء الكامل المذيّل]

حَثَّ رَكَابَكَ فِي الْفَلَاحِ وَدَعَ الْغَوَانِي لِلْقُصُورِ
لَوْلَا اَلتَّغَرُّبُ مَا اُرْتَقَتْ دُرُرُ اَلْبُحُورِ عَلٰى اَلنُّحُورِ^(١)

دَامَتْ لَكُمْ اَلنَّعْمُ . . مَا حَصَلَ اَلْجَوَابُ بِـ (نَعَمْ) .

تدبير الله عظيم ، جل من لا يتغير .

[اعتذار جميل لبثينة]

[من الطويل]

خَلِيلِيْ اِنْ قَالَتْ بُيْنَةُ مَا لَهٗ اَنَا بِلَا وَعْدٍ فَقُولُوا لَهَا لَهَا
اَتَى وَهُوَ مَشْغُولٌ لِعُظْمِ الَّذِي بِهِ وَمَنْ بَاتَ طُولَ اللَّيْلِ يَزْعَى السُّهَى سَهَا
بُيْنَةُ تُزْرِي بِالْغَزَالَةِ فِي الضُّجَى اِذَا بَرَزْتَ لَمْ يَبْقَ يَوْمًا بِهَا بِهَا
لَهَا مُقْلَةٌ كَخَلَاءٍ نَجْلَاءٍ خِلْقَةٍ كَانَ اَبُوَهَا اَلْطَّبْنِيْ اَوْ اُمُّهَا مَهَا
دَهَنِيْ بِوُدٍّ قَاتِلٍ وَهُوَ مُتْلِفِي وَكَمْ قَتَلَتْ بِالْوُدِّ مَنْ وَدَّهَا دَهَا^(٢)

[رسالة الظاهر ببيرس لأبي نمي ورده للصواب]

حكى : أنه وقع لأبي نمي سلطان مكة أنه عارض الحاج المصري ونهبه ،

(١) البتان لصبر دُر ، وهما في « ديوانه » (ص ٢١٠) بنحوهما .

(٢) الأبيات لجميل لبثينة ، وهي في « ديوانه » (ص ٢١٨) ؛ وفيه : (كأن أباهما الطيبي . . .) .

وقتل منه جماعة ، فأرسل إليه السلطان الظاهر بيبرس مع شخص في هيئة فقير مستخفياً ، فلما وصل إليه . . ناوله الورقة ، فإذا فيها : (من الفقير بيبرس إلى السيد الحبيب النسيب أبي نُمَي :

أما بعد :

فإن السيئة في نفسها سيئة ، وهي من بيت النبوة أسوأ ، والحسنة في نفسها حسنة ، وهي من بيت النبوة أحسن ، وقد بلغني : أنك آويت المجرم ، واستحللت دم المحرم ، ومن يهن الله . . فما له من مكرم ، فإن لم تقف عند حدك ، وإلا . . أغمدت فيك سيف جدك) .

فقرأها ثم كتب إليه يقول : (العبد معترف بذنبه ، تائب إلى ربه ، فإن تؤاخذ . . فبيدك الأقوى ، وأن تغفو فهو أقرب للتقوى) ، فردَّ جميع ما أخذه .

[الخلافة والخليفة]

[من المتقارب]

أَتَنَّهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةً	إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ	وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ	لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
وَلَوْ لَمْ تُطْعَهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ	لَمَّا قَبِلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا ^(١)

[خيبة والد في ولده]

[من مجزوء الرجز]

كَمْ حَسْرَةٍ لِي فِي الْحَشَا	مِنْ وَلَدٍ إِذَا نَشَا
أَمَلْتُ فِيهِ رُشْدَهُ	فَمَا نَشَا كَمَا نَشَا ^(٢)

(١) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٢٢٠) ، وقوله : (بنات القلوب) في (هـ) : (سخا بالنفوس) ، والمثبت من « الديوان » .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (١٦٣ / ٧) .

[سلم للقضاء لا للخل]

[من الطويل]

أَرَاكَ تَشُمُّ الْخَلَ فِي زَمَنِ الْوَبَا فَدَعُ عَنْكَ أَقْوَالَ الْأَطِبَّةِ يَا خِلِّي
إِذَا كَانَ بِالطَّاعُونَ رَبُّكَ قَدْ قَضَى تَمُوتُ بِهِ رَغْمًا وَأَنْفُكَ فِي الْخَلِّ^(١)

[وقوع الفتن كما وردنا]

[من البسيط]

هَذَا الزَّمَانُ الَّذِي كُنَّا نَحْذَرُهُ مِنْ قَوْلِ كَعْبٍ وَعَنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ
إِنْ دَامَ هَذَا وَلَمْ يَحْدُثْ لَهُ غَيْرٌ لَمْ يُبَكِّ مَيِّتٌ وَلَمْ يُفْرَحْ لِمَوْلُودٍ^(٢)

[قضاة مصر الفاسدون]

[دوبيت]

فِي مِصْرَ مِنَ الْقُضَاةِ قَاضٍ وَلَهُ فِي أَكْلِ مَوَارِيثِ أَلَيْتَامِي وَلَهُ
إِنْ رُمْتَ عَدَالَةً فَقُمْ مُجْتَهِدًا مَنْ عَدَّلَ لَهُ دَرَاهِمًا عَدَّلَهُ^(٣)

[سنة الله في خلقه]

[من مجزوء الكامل]

لَا تَخْزَنْزَنَّ وَلَا تَخَفْ وَدَعِ التَّمَكُّرَ وَالْأَسْفَافَ
فَإِنَّ اللَّهَ عَوْدَكَ الْجَمِيعِ لَفَقِيسٌ عَلَى مَا قَدْ سَلَفَ

(١) انظر « ديوان الشاب الظريف » (ص ١٩٤) .

(٢) انظر « المتحلل » للشعالبي (ص ٢٠٢) .

(٣) انظر « خزانة الأدب » للحموي (٣٨٦ / ١) .

[ثِقْ بِاللَّهِ]

[من الخفيف]

إِنَّ رَبَّكَ كَفَّاكَ بِالْأَمْسِ مَا كَا نَ سَوْفَ يَكْفِيكَ فِي غَدٍ مَا يَكُونُ^(١)

[صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا]

[من الكامل]

يَا قَائِمِينَ إِلَى الصَّلَاةِ بِطَيِّبَةٍ نِلْتُم مَقَامًا بِالنَّبِيِّ عَظِيمًا
وَإِذَا جَلَسْتُمْ فِي التَّشْهَدِ حَوْلَهُ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

[المُفْتُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]

ذكر المقرئ في « تاريخه » :

(كان يفتي في زمن النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وأبو موسى الأشعري ، وسلمان الفارسي رضي الله عنهم) .

[النسيم رسولي]

[من الكامل]

فتح الدين بن عبد الظاهر :

إِنْ شِئْتَ تَنْظُرْنِي وَتَنْظُرْ حَالَتِي فَأَنْظُرْ إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ قَبُولًا
فَرَاهُ مِثْلِي رِقَّةً وَلَطَافَةً وَلَا جُلَّ قَلْبِكَ لَا أَقُولُ عَلِيلًا
فَهُوَ الرَّسُولُ إِلَيْكَ مِنِّي لِيَتَنِي كُنْتُ أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا^(٢)

(١) البيت للإمام الشافعي ، وهو في « ديوانه » (ص ١٣٢) .

(٢) الأبيات لابن النقيب عبد الرحمن بن محمد ، وهي في « ديوانه » (ص ٣٠٥) .

[اللطم على ملك تسوسه النساء]

[من مجزوء الخفيف]

إِنَّ مُلْكًا تَسُوسُهُ أُمُّ مُوسَى وَفَاطِمَةُ
لَجْدِيرٌ بَأَن تَرَى رَبَّةَ الْيَتِّ لَاطِمَةُ^(١)

[بيع يد بيد أو الرهن]

[من البسيط]

أَشْكُو إِلَى اللَّهِ لَا أَشْكُو إِلَى أَحَدٍ أَصْبَحْتُ فِي بَلَدٍ وَ الْحَبُّ فِي بَلَدٍ
مَا بَعْتُكُمْ مُهَجَّتِي إِلَّا لَطَوِعِكُمْ وَلَا أَسْلَمْتُهَا إِلَّا يَدًا بِيَدٍ
فَإِنْ رَضِيتُمْ فَيَا عَزِي وَيَا شَرَفِي وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَكَانَ الرَّهْنُ تَحْتَ يَدِي

[نصيحة]

[من مجزوء الكامل المرفل]

أَحْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً وَأَحْذَرْ صَدِيقَكَ أَلْفَ مَرَّةً
فَلَرُبَّمَا أَنْقَلَبَ الصَّادِيقُ قُفْ فَصَارَ أَعْلَمَ بِالْمَضَرَّةِ^(٢)

[لا خير في عيش إذا ذهب الحياء]

[من الوافر]

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي وَلَمْ تَسْتَحْيَ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلَا وَ اللَّهِ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ^(٣)

(١) انظر « تاريخ ابن الوردي » (٣٥٩ / ١) .

(٢) البيتان لمنصور الفقيه ، وهما في « بهجة المجالس » لابن عبد البر (٦٩٦ / ١) .

(٣) البيتان لأبي تمام ، وهما في « ديوانه » (١٩٧ / ٢) .

أهم مصادر ومراجع لتحقيق^(١)

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ، للإمام الحافظ أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (ت ٨٤٠هـ) ، بإشراف ياسر إبراهيم ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، دار الوطن ، السعودية .

- الإتيقان في علوم القرآن ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا ، ط ٢ ، (١٩٩٣ م) ، دار ابن كثير ودار العلوم الإنسانية ، سورية .

- الأحاديث المختارة ، المسمى « المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحهما » ، للإمام الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الملك عبد الله بن دهيش ، ط ٤ ، (٢٠٠١ م) ، دار خضر ، لبنان .

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المسمى « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها » ، للإمام الحافظ علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي ، المعروف بـ ابن بلبان (ت ٧٣٩هـ) ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، ط ٣ ، (١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- أخبار القضاة وتواريخهم ، المسمى « طبقات القضاة » ، للقاضي المؤرخ محمد بن خلف بن حيّان الضبي ، المعروف بـ وكيع (ت ٣٠٦هـ) ، عني به عبد العزيز مصطفى المِراغي ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة عن نشرة لدى عالم الكتب ، لبنان .

- الأخبار الموفقيات ، لعالم الأنساب والأخبار الراوية الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكّي العاني ، ط ١ ، (١٩٧٢ م) ، مطبعة العاني ، العراق .

- الأدب المفرد ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤ ، (١٩٩٧ م) ، نسخة مصورة لدى دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، لبنان .

(١) اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي : اسم الكتاب ، اسم المؤلف وتاريخ وفاته ، اسم المحقق ، رقم الطبعة ، تاريخ طبع الكتاب ، اسم الدار الناشرة ومقرها .

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق عادل مرشد ، ط ١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الأعلام ، الأردن .

- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، للعلامة علي بن محمد الشيباني ، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، ط ١ ، (١٩٧٠م) ، دار الشعب ، مصر .

- الإصابة في تمييز الصحابة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، وبهامشه « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ، ط ١ ، (١٣٥٩هـ) ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

- أطراف الغرائب والأفراد ، للإمام الحافظ الجوال الرحال محمد بن طاهر المقدسي ، المعروف بابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ) ، تحقيق محمود نصار والسيد يوسف أحمد ، ط ١ (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بابن أبي الدنيا (ت ٢٠٨هـ) ، تحقيق الدكتور نجم الدين خلف ، ط ١ ، (١٤١٣هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الأعلام ، وهو قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، للأديب الكبير خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي (ت ١٣٩٦هـ) ، ط ١٢ ، (١٩٩٧م) ، دار العلم للملايين ، لبنان .

- الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة عن طبعة القدسي لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

- الأغاني ، للعلامة الإخباري الأديب علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق علي مهنا وسمير جابر ، بدون تاريخ ، دار الفكر ، لبنان .

- الإفصاح عن معاني الصحاح شرح الجمع بين الصحيحين للحميدي ، للإمام الفقيه الوزير يحيى بن هبيرة (ت ٥٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد ومجموعته ، ط ٢ ، (١٩٩٣م) ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية ، قطر .

- إكمال المعلم بفوائد مسلم ، للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل ، ط ٢ ، (٢٠٠٤م) ، دار الوفاء ، مصر .
- الأم ، للإمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) ، تحقيق الدكتور رفعت فوزي عبد المطلب ، ط ١ ، (٢٠٠١م) ، دار الوفاء ، مصر .
- الأمالي ، للإمام المحدث عبد الملك بن محمد بن عبد الله البغدادي ، المعروف بـ ابن بشران (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق عادل العزاوي ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار الوطن ، السعودية .
- الأمالي المطلقة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكتاني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- الأمالي ، للإمام اللغة والأدب والشعر إسماعيل بن القاسم بن عيذون ، المعروف بـ أبي علي القالي (ت ٣٥٦هـ) ، عني به محمد عبد الجواد الأصمعي ، ط ١ ، (١٩٨٠م) ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان .
- الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإنسانية ، للأستاذ البحاثة إياد خالد طباع ، ط ١ ، (١٩٩٦م) ، دار القلم ، سورية .
- إنباء الغمر بأنباء العُمر ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكتاني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق الدكتور حسن حبشي ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر .
- أنساب الأشراف ، للعلامة المؤرخ النسابة أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق الدكتور سهيل زكار والدكتور رياض زركلي ، ط ١ ، (١٩٩٦م) ، دار الفكر ، لبنان .
- الأوائل ، للعلامة الأديب الحسن بن عبد الله بن سهل ، المعروف بـ أبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- الأوراق ، قسم من سنة ٢٩٥هـ إلى سنة ٣١٥هـ ، وأخبار الشعراء المحدثين من « كتاب الأوراق » ، للعالم الموسوعي الأديب محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت ٣٣٥هـ) ، تحقيق الدكتور خلف رشيد نعمان ، ط ١ ، (١٩٩٩م) ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق .

- البحر الزخار ، المسمى 'مسند البزار' ، للإمام الحافظ أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، ط ١ ، (١٩٨٨م) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، للإمام العلامة محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ، تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار الفكر ، سورية .

- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط ١ ، (١٩٩٢م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية .

- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهاجس ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق محمد مرسى الخولي ، ط ٢ ، (١٩٨١م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاج العروس من جواهر القاموس ، للإمام الكبير الشريف محمد بن محمد الزبيدي الحسيني ، المعروف بـ مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من أئمة التحقيق ، ط ١ ، (١٣٨٥هـ) ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت .

- تاريخ ابن الوردي وهو ذيل لتاريخ أبي الفداء وخلاصة منه ، للأديب المؤرخ الشاعر عمر بن مظفر بن عمر المعري ، المعروف بـ ابن الوردي (ت ٧٤٩هـ) ، ط ٢ ، (١٩٦٩م) ، المطبعة الحيدرية ، العراق .

- تاريخ أصبهان ، المسمى 'ذكر أخبار أصبهان' ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، (١٩٩٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق الدكتور عمر بن عبد السلام تدمري ، ط ١ ، (١٩٨٧م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- تاريخ الطبري ، المسمى ' تاريخ الأمم والملوك ' ، للإمام العلامة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، (١٩٦٧م) ، طبعة مصورة بدون ناشر ، لبنان .

- التاريخ الكبير ، للإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، عني به السيد هاشم الندوي ، ط ٢ ، (٢٠٠٨م) ، دار الفكر ، لبنان .

- تاريخ بغداد ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، دار الفكر ، لبنان .

- تاريخ خليفة بن خياط ، للمحدث الأخباري النسابة خليفة بن خياط بن خليفة العُصْفُري (ت ٢٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط ٢ ، (١٣٩٧هـ) ، دار القلم ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بـ ابن عساكر (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، دار الفكر ، لبنان .

- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ومعه « النكت الطُّرَاف على الأطراف » لابن حجر العسقلاني ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، ط ٢ ، (١٩٨٣م) ، المكتب الإسلامي والدار القيمة ، لبنان والهند .

- تذكرة الحفاظ ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، ط ١ ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الهند سنة (١٣٣٣ - ١٣٣٤هـ) لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) ، عني به محمد سالم هاشم ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- التعازي والمراثي ، للإمام البليغ محمد بن يزيد ، المعروف بـ المبرّد (ت ٢٨٦هـ) ، تحقيق محمد الديباجي ، ط ٢ ، (١٩٩٢م) ، دار صادر ، لبنان .
- تعظيم قدر الصلاة ، للإمام الحافظ محمد بن نصر المروزي (ت ٨٩٤هـ) ، تحقيق أحمد أبو المجد ، ط ١ ، (٢٠٠٣م) ، دار العقيدة ، مصر .
- التعقبات على الموضوعات ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط ١ ، (١٣٠٣هـ) ، المكتبة الأثرية ، باكستان .
- تفسير ابن أبي حاتم ، للإمام الحافظ الكبير عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، المعروف بـ ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ، مكتبة نزار الباز ، السعودية .
- تفسير البغوي ، المسمى « معالم التنزيل » ، للإمام الحافظ الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) ، دار طيبة ، السعودية .
- تفسير الطبري ، المسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، للإمام العلامة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- تفسير القرآن العظيم ، للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تصحيح مجموعة من العلماء ، ط ١ ، (١٩٦٩م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .
- التفسير الكبير ، المسمى « البحر المحيط » ، للإمام النحوي محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، المعروف بـ أبي حيان (ت ٧٤٥هـ) ، وبهامشه « تفسير النهر الماد من البحر » للمؤلف و « الدر اللقيط من البحر المحيط » لابن مكتوم (ت ٧٤٩هـ) ، ط ٢ ، (١٩٩٠م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- تكملة تاريخ الطبري ، للإمام الجليل محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمداني ، المعروف بـ المقدسي (ت ٥٢١هـ) ، تحقيق ألبرت يوسف كتعان ، ط ١ ، (١٩٥٨م) ، المطبعة الكاثوليكية ، لبنان .
- الرد على الجهمية ، للإمام الحافظ الحجة عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) ، تحقيق بدر البدر ، ط ١ ، (١٩٨٥م) ، الدار السلفية ، الكويت .
- التكملة لوفيات النقلة ، للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط ٢ ، (١٩٨١م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- تهذيب الأسماء واللغات ، للإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، تحقيق عبده علي كوشك ، دار الفيحاء ودار المنهل ، سورية .
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزني (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط ١ ، (١٩٨٠م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- توضيح المشتبه ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله ، المعروف بـ ابن ناصر الدين (ت ٨٤٢هـ) ، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي ، ط ٢ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ويليهِ التذييل المرغوب من ثمار القلوب ، للإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٩٩٤م) ، دار البشائر ، سورية .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، للإمام الحافظ اللغوي المبارك بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط ١ ، (١٩٦٩م) ، مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، سورية .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ط ١ ، (١٩٩١م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- الجمع بين الصحيحين ، للإمام المحدث محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ، تحقيق الدكتور علي حسين البواب ، ط ٢ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ، لبنان .
- جمهرة نسب قریش وأخبارها ، لعالم الأنساب والأخبار الراوية الزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ) ، بعناية حمد الجاسر ، ط ١ ، بدون تاريخ ، مجلة العرب ، السعودية .
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، (١٩٩٨م) ، دار الفكر العربي ، مصر .

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، ط ٥ ، (١٩٨٧م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدى دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، مصر ولبنان .

- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء العراق) ، للعلامة المؤرخ الأديب محمد بن محمد بن حامد ، المعروف بـ عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧هـ) ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، ط ١ ، (١٩٥٥م) ، وزارة الإعلام العراقية ، العراق .

- خزانة الأدب وغاية الأرب ، للعالم الأديب أبي بكر بن علي بن عبد الله بن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ) ، تحقيق الدكتورة كوكب دياب ، ط ٢ ، (٢٠٠٥م) ، دار صادر ، لبنان .

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعلامة الأدب والتاريخ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، (١٩٧٩م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- الخصائص الكبرى ، المسمى « كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب صلى الله عليه وسلم » ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الفكر ، لبنان .

- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكنتاني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، عني به هاشم وأحمد الله ومحمد طه الندوي ، ط ١ ، (١٣٤٩هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ، الهند .

- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعه جي ، ط ١ ، (١٩٨٨م) ، دار مصر .

- دلائل النبوة ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، عني به عبد البر عباس ومحمد رواس قلعه جي ، ط ١ ، (١٩٧٠م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- ديوان ابن الجهم ، للشاعر الأديب علي بن الجهم بن بدر السامي (ت ٢٤٩هـ) ، تحقيق خليل مردم بك ، ط ٣ ، (١٩٩٦م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان ابن الرومي ، للشاعر الكبير علي بن العباس بن جريج ، المعروف بـ ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، ط ٣ ، (٢٠٠٣م) ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، مصر .
- ديوان ابن الشيص الخزاعي وأخباره ، للشاعر المطبوع محمد بن علي بن عبد الله ، المعروف بـ أبي الشيص (ت ١٩٦هـ) ، صنعة عبد الله الجبوري ، ط ١ ، (١٩٨٤م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- ديوان ابن المعتز ، للشاعر الخليفة عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي ، المعروف بـ ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) ، تحقيق وشرح مجيد طراد ، ط ١ ، (٢٠٠٤م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- ديوان ابن النقيب ، لأديب دمشق وشاعرها عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحرائي الحسيني ، المعروف بـ ابن النقيب (ت ١٠٨١هـ) ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط ١ ، (١٩٦٣م) ، المجمع العلمي العربي ، سورية .
- ديوان ابن عنين ، للشاعر الكاتب الظريف محمد بن نصر بن الحسين الزرعي الحوراني ، المعروف بـ ابن عنين (ت ٦٣٠هـ) ، تحقيق خليل مردم بك ، ط ١ ، (٢٠١٠م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان ابن وهيب ، جمعه المستشرق غوستاف فون غرونباوم ، ترجمه محمد يوسف نجم ، ط ١ ، (ت ١٩٥٩م) ، دار مكتبة الحياة ، لبنان .
- ديوان أبي الأسود الدؤلي برواية أبي سعيد الحسن السكري ، للتابعي الجليل وازع علم النحو ظالم بن عمرو بن سفيان الكنائي ، المعروف بـ أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار ومكتبة الهلال ، لبنان .
- ديوان أبي العتاهية ، للشاعر المكثّر إسماعيل بن القاسم بن سويد ، المعروف بـ أبي العتاهية (ت ٢١١هـ) ، بعناية كرم البستاني ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان أبي تمام ، لأمير البيان الشاعر حبيب بن أوس الطائي ، المعروف بـ أبي تمام (ت ٢٣١هـ) ، عني به الدكتور محيي الدين صبحي ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان أبي دلامة الأسدي ، للشاعر المجيد زند بن الجون الأسدي ، المعروف بأبي دلامة (ت ١٦١ هـ) ، جمع الدكتور رشدي علي حسن ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، مؤسسة الرسالة ودار عمار .

- ديوان أبي نُوَاس ، لشاعر العراق في عصره الحسن بن هانئ بن عبد الأول ، المعروف بأبي نُوَاس (ت ١٩٨ هـ) وقيل غير ذلك) ، تحقيق وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي ، ط ١ ، (١٩٥٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان الأحوص الأنصاري ، لشاعر الهجاء عبد الله بن محمد بن عبد الله الضبيعي ، المعروف بالأحوص (ت ١٠٥ هـ) ، قدم له الدكتور سعدي ضناوي ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الأخطل ، للشاعر النصراني غياث بن غوث بن الصلت بن طارق التغلبي شاعر بني أمية (ت ٩٢ هـ) ، تحقيق كارين صادر ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان البحتري ، للشاعر الكبير الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ط ٢ ، (١٩٧٢ م) ، دار المعارف ، مصر .

- ديوان الثعالبي ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، المعروف بأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود عبد الله الجادر ، ط ١ ، (١٩٩٠ م) ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق .

- ديوان الشاب الظريف ، للشاعر المترقق محمد بن سليمان بن علي التلمساني ، المعروف بالشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ) ، تحقيق شاكر هادي شَكْر ، ط ١ ، (١٩٨٥ م) ، عالم الكتب ، لبنان .

- ديوان الشافعي وحكمه وكلماته السائرة ، لإمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، جمع وضبط يوسف علي بديوي ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، مكتبة دار الفجر ، سورية .

- ديوان الشريف الرضي ، لشاعر الطالبين العلامة النقيب محمد بن الحسين بن موسى الحسيني ، المعروف بالشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٤ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني ، للشاعر المخضرم الشماخ بن ضرار بن حرملة الذبياني (ت ٢٢هـ) ، تحقيق صلاح الدين الهادي ، ط ١ ، (١٩٧٧م) ، دار المعارف ، السعودية .
- ديوان النابغة الجعدي ، للشاعر المفلق الصحابي قيس بن عبد الله بن عُدس رضي الله عنه ، المعروف بـ النابغة (ت نحو ٥٠هـ) ، جمعه الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان الوزير الزيات ، لإمام اللغة والأدب البليغ محمد بن عبد الملك بن أبان ، المعروف بابن الزيات (ت ٢٣٣هـ) ، شرح وتحقيق الدكتور جميل سعيد ، ط ١ ، (١٩٩٠م) ، المجمع الثقافي ، الإمارات العربية .
- ديوان الوليد بن يزيد ، للشاعر الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي (ت ١٢٦هـ) ، جمعه وحققه الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان أمية بن أبي الصلت ، للشاعر الجاهلي الحكيم أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي (ت ٥هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي ، ط ٣ ، (١٩٧٧م) ، نشره محققه ، سورية .
- ديوان بشار بن برد ، للشاعر المولد الخطيب بشار بن برد بن بهمن الفارسي (ت ١٦٧هـ) ، تحقيق محمد الطاهر بن عاشور ، بدون تاريخ .
- ديوان جرير ، لشاعر عصره الهجاء جرير بن عطية الخَطَفي (ت ١١٠هـ) ، ط ١ ، (١٩٩١م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان جميل ، شاعر الحب العذري ، للشاعر العاشق جميل بن عبد الله بن معمر العذري ، المعروف بـ جميل بثينة (ت ٨٢هـ) ، جمع وتحقيق عبد الستار فراج ، ط ١ ، (١٩٧٩م) ، مكتبة مصر ، مصر .
- ديوان حاتم الطائي ، للشاعر الجاهلي الفارس الجواد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي (ت ٤٦ ق هـ) ، صنعة يحيى بن مدرك الطائي رواية هشام الكلبي ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، ط ١ ، (١٩٩٠م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- ديوان حسان بن ثابت ، للصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه (ت ٤٠هـ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط ١ ، (١٩٧٤م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان سبط ابن التعاويذي ، لشاعر العراق محمد بن عبيد الله ، المعروف بـ سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٣هـ) ، عني به د . س . مرجليوث ، ط ١ ، (١٩٠٣م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة المقتطف بمصر لدى دار صادر ، لبنان .
- ديوان صالح بن عبد القدوس ، للشاعر المتكلم الحكيم صالح بن عبد القدوس البصري (ت نحو ١٦٧هـ) ، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب ، ط ١ ، (١٩٦٨م) ، دار منشورات البصري ، العراق .
- ديوان صَرَّ دُرّ ، للشاعر المُجيد الرئيس علي بن الحسن ، المعروف بـ صَرَّ دُرّ (ت ٤٦٥هـ) ، تحقيق أحمد نسيم ، ط ١ ، (١٩٣٤م) ، مطبعة دار الكتب المصرية ، مصر .
- ديوان عبيد بن الأبرص ، للشاعر الجاهلي الداهية عبيد بن الأبرص الأسدي (ت نحو ٢٥ ق هـ) ، تحقيق الدكتور محمد علي دقة ، ط ١ ، (٢٠٠٣م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان عدي بن زيد ، للشاعر الجاهلي الداهية عدي بن زيد بن حماد بن زيد العبادي (ت نحو ٣٥ ق هـ) ، تحقيق محمد جبار المعيد ، ط ١ ، (١٩٦٥م) ، وزارة الثقافة والإرشاد ، العراق .
- ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، للشاعر الصحابي كعب بن مالك رضي الله عنه (ت نحو ٥٠هـ) ، تحقيق مجيد طراد ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان ليبد بن ربيعة بشرح الطوسي ، للشاعر الفارس الصحابي ليبد بن ربيعة بن مالك رضي الله عنه (ت ٤١هـ) ، تحقيق الدكتور حنا نصر الحتي ، ط ٢ ، (١٩٩٦م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- ديوان مروان بن أبي حفصة ، للشاعر المخضرم مروان سليمان الأعجمي ، المعروف بـ ابن أبي حفصة (ت ١٨١هـ) ، عني به أشرف أحمد عدرة ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- ديوان وضاح اليمن ، لشاعر الغزل الرقيق عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال الخولاني (ت ٩٥هـ) ، وبذيله كتاب مأساة الشاعر وضاح لمحمد بهجة الأثري وأحمد حسن الزيات ، جمعه الدكتور محمد خير البقاعي ، ط ١ ، (١٩٩٦م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان يزيد بن معاوية ، للشاعر الخليفة يزيد بن الصحابي كاتب الوحي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ٦٤هـ) ، تحقيق الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار صادر ، لبنان .

- الذرية الطاهرة ، للإمام الحافظ الوراق محمد بن أحمد بن حماد بن سعد بن مسلم الدولابي (ت ٣١٠هـ) ، مؤسسة الأعلمي ، لبنان .

- ذيل الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، المعروف بـ أبي شامة (ت ٦٦٥هـ) ، تحقيق إبراهيم شمس الدين ، ط ١ ، (٢٠٠٢م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- ذيل مرآة الزمان ، للعلامة المؤرخ موسى بن محمد اليونيني (ت ٧٢٦هـ) ، عني به وزارة التحقيقات الحكومية الهندية ، ط ٢ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة عن نشرة وزارة المعارف بحيدرآباد الدكن لدى دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، للإمام البارع شيخ العرب والعجم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، ط ١ ، (١٩٩٠م) ، طبعة مصورة لدى دار الذخائر ، إيران .

- الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ) ، بعناية عمر عبد السلام السلامي ، ط ١ ، (٢٠٠٠م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، المعروف بـ أبي شامة (ت ٦٦٥هـ) ، تحقيق إبراهيم الزبيق ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، السعودية .

- زاد المسير في علم التفسير ، للإمام الحافظ المؤرخ عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي ، المعروف بـ ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) ، ط ٣ ، (١٩٨٤م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- الزهد الكبير ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط ٣ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- الزهد والرفائق برواية المروزي ، للإمام الحافظ عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي (ت ١٨١هـ) ، ويليّه زيادات رواية نُعيم بن حمّاد عليه ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .
- الزهد ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، للعلامة البارع عبد الملك بن حسين العصامي (ت ١١١١هـ) ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- السنة ، للإمام الحافظ أحمد بن عمرو ، المعروف بـ ابن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- سنن ابن ماجه ، للإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني ، المعروف بـ ابن ماجه (ت ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .
- سنن أبي داود ، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) ، وبهامشه « معالم السنن » للخطابي ، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .
- سنن الترمذي ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ) ، تحقيق أحمد شاکر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، ط ١ ، (١٩٣٨م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- سنن الدارقطني ، للإمام الحافظ الحجة علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني ، عني به عبد الله هاشم يماني ، ط ١ ، (١٩٦٦م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .
- السنن الكبرى ، للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- سنن النسائي (المجتبى) ، للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) ، ومعه « زهر الربى على المجتبى » للسيوطي ، وبذيله « حاشية الإمام السندي » ، ط ١ ، (١٣١٢هـ) ، نسخة مصورة لدى دار الكتاب العربي عن طبعة المطبعة الميمنية ، لبنان .
- سنن سعيد بن منصور ، للإمام الحافظ سعيد بن منصور (ت ٢٢٧هـ) ، تحقيق الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد ، ط ٢ ، (٢٠٠٠م) ، دار الصميعي ، السعودية .
- سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، إشراف شعيب الأرناؤوط ، ط ١١ ، (١٩٩٦م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- سيرة ابن إسحاق ، المسماة « المبتدأ والمبعث والمغازي » للإمام الراوية المحدث محمد بن إسحاق بن يسار المطلبلي (ت ١٥١هـ) ، تحقيق محمد حميد الله ، ط ١ ، (١٩٧٦م) ، معهد الدراسات والأبحاث والتعريب ، المغرب .
- السيرة الحلبية ، المسمى « إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون صلى الله عليه وآله وسلم » ، للإمام المحقق علي بن إبراهيم الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) ، دار المعرفة ، لبنان .
- السيرة الشامية ، المسماة : « سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد صلى الله عليه وسلم » ، للإمام المحدث محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت ٩٤٢هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، وزارة الأوقاف - المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، مصر .
- السيرة النبوية ، للإمام عبد الملك بن هشام الحميري (ت ٢١٨هـ) ، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى دار ابن كثير ، سورية .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للإمام الفقيه عبد الحي بن أحمد ، المعروف بـ ابن العماد (ت ١٠٨٩هـ) ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط ١ ، (١٩٨٦م) ، دار ابن كثير ، سورية .
- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، استخرجها وحققها الدكتور إحسان عباس ، ط ١ ، (١٩٨٨م) ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، للإمام العلامة هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤١٨هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد سعد الغامدي ، ط ٩ ، (٢٠٠٥م) ، دار طيبة ، السعودية .
- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، للإمام المحدث الحجة محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت ١١٢٢هـ) ، ط ٣ ، (٢٠٠٤م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- شرح ديوان الحماسة ، للإمام الأديب اللغوي يحيى بن علي الشيباني ، المعروف بـ ابن الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، (١٩٣٨م) ، المكتبة التجارية ، مصر .
- شرح ديوان طرفة بن العبد ، للشاعر الجاهلي عمرو بن العبد بن سفيان البكري (ت ٥٦٤م) ، شرح وتحقيق الدكتور سعدي الضناوي ، ط ٢ ، (١٩٩٧م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .
- شرح مذاهب أهل السنة ، للإمام الحافظ عمر بن أحمد عثمان ابن شاهين (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق عادل بن محمد ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، مؤسسة قرطبة ، مصر .
- شرح مشكل الآثار ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي (ت ٣٢١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، (١٩٩٤م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- شعر ابن ميادة ، للشاعر الرقيق الهجاء الرماح بن أبرد بن ثوبان السلمي ، المعروف بـ ابن ميادة (ت ١٤٩هـ) ، تحقيق حنا جميل حداد ، ط ١ ، (١٩٨٢م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .
- شعر ابن هرمة القرشي ، لشاعر الغزل إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الكناني (ت ١٧٦هـ) ، تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ، ط ١ ، (١٩٦٩م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .
- شعر دعبل ، لشاعر الهجاء دعبل بن علي بن رزين الخزاعي (ت ٢٤٦هـ) ، جمع وتحقيق عبد الكريم الأشتر ، ط ٢ ، (١٩٨٣م) ، مجمع اللغة العربية ، سورية .
- شعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، للصحابي الفارس الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي رضي الله عنهما (ت ٧٣هـ) ، جمع وتحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، ط ١ ، (١٩٧٤م) ، دار الحرية ، العراق .

- شعر منصور النمري ، للشاعر منصور بن سلمة بن الزبرقان النمري (ت ١٩٠هـ) ، تحقيق الطيب العشاش ، ط ١ ، (١٩٨١م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- شعراء إسلاميون ، جمعه الدكتور نوري حمودي القيسي ، ط ٢ ، (١٩٨٤م) ، عالم الكتب ، لبنان .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للأديب المؤرخ البَحَّاثَة أحمد بن علي بن أحمد القَلَقَشَندي (ت ٨٢١هـ) ، ط ١ ، (١٩٦٣م) ، طبعة مصورة لدى المؤسسة المصرية العامة ، مصر .

- صحيح البخاري ، المسمى « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السلطانية العثمانية) ، للإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٢٢هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

- صحيح مسلم ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٥٤م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة ، للإمام العلامة أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) ، تحقيق عبد الرحمن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ومجهول روى ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة ، للإمام الحافظ محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العُقَيْلي (ت ٣٢٢هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، السعودية .

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) ، عني به محمد جمال القاسمي ، ط ١ ، (١٩٩٢م) ، طبعة مصورة عن نشرة القاسمي سنة (١٣١٣هـ) لدى دار الجيل ، لبنان .

- طبقات الشافعية الكبرى ، للإمام القاضي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، المعروف بـ تاج الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، ط ١ ، (١٣٩٦هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- طبقات الفقهاء الشافعية ، للإمام الحافظ عثمان بن عبد الرحمن الشَّهْرَزُورِي ، المعروف بـ ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) ، هذبه ورتبه واستدرك عليه الإمام الحافظ المجتهد يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) ، وبيض أصوله ونقَّحه الإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المِزِّي (ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق محيي الدين علي نجيب ، ط ١ ، (١٩٩٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- الطبقات الكبير ، للإمام الحافظ المؤرخ محمد بن سعد بن منيع البصري ، المعروف بـ ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) ، تحقيق الدكتور علي محمد عمر ، ط ١ ، (٢٠٠١م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- العبر في خبر من غَبر ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، ط ٢ ، (١٩٨٤م) ، وزارة الإعلام ، الكويت .

- العظمة ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ، المعروف بـ أبي الشيخ (ت ٣٦٩هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط ٢ ، (١٩٩٨م) ، دار العاصمة ، السعودية .

- العلل الواردة في الأحاديث النبوية ، للإمام الحافظ الحجة علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ومحمد صالح الدباسي ، ط ٣ ، (٢٠٠٣م) ، دار طيبة ودار ابن الجوزي ، السعودية .

- العلل ، للإمام الحافظ الكبير عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ، المعروف بـ ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف الدكتور سعد عبد الله الحميد والدكتور خالد عبد الرحمن الجريسي ، ط ١ ، (٢٠٠٦م) ، نشره محققه ، السعودية .

- العيال ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق الدكتور نجم عبد الرحمن خلف ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار الوفاء ، مصر .

- غريب الحديث ، للإمام الأدب واللغة القاضي عبد الله بن مسلم ، المعروف بـ ابن قتيبة الدِّينَوْرِي (ت ٢٧٦هـ) ، تحقيق عبد الله الجبوري ، ط ١ ، (١٣٩٧هـ) ، مطبعة العاني ، العراق .
- غريب الحديث ، للإمام المحدث الفقيه الأديب القاسم بن سلّام الهروي ، المعروف بـ أبي عُبيد (ت ٢٢٤هـ) ، بعناية الدكتور محمد عبد المعيد خان ، ط ١ ، (١٩٦٤م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٩٦م) ، طبعة مصورة لدى مكتبة الغزالي ، سورية .
- فتوح الشام ، للقاضي المؤرخ محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) ، تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- فتوح مصر والمغرب ، للمؤرخ المحدث عبد الرحمن بن عبد الله ، المعروف بـ ابن عبد الحكم (ت ٢٥٧هـ) ، تحقيق الدكتور الحجير ، ط ١ ، دار الفكر ، لبنان .
- الفردوس بمأثور الخطاب ، للإمام الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٩٨٦م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- فضائل أبي بكر الصديق ، للعلامة الأمين محمد بن علي بن الفتح الحربي العشاري (ت ٤٥١هـ) ، تحقيق عمرو عبد المنعم ، ط ١ ، دار الصحابة للتراث ، مصر .
- فضائل الصحابة ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ط ٤ ، (١٤٣٠هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
- فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة ، للإمام الحافظ محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس (ت ٢٩٥هـ) ، تحقيق الدكتور مسفر بن سعيد دماس الغامدي ، ط ١ ، (١٩٨٨م) ، دار حافظ ، السعودية .
- فضائل القرآن ، للإمام الحافظ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ذو بن درع القرشي الدمشقي ، المعروف بـ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ) ، تحقيق أبو إسحاق الحويني ، ط ١ ، (١٤١٦هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، مصر .

- فضائل القرآن ، للإمام المحدث الفقيه الأديب القاسم بن سلام الهروي ، المعروف بـ أبي عُبَيْد (ت ٢٢٤هـ) ، تحقيق مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين ، ط ٢ ، (١٩٩٩م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- فوات الوفيات والذيل عليها ، للعلامة المؤرخ الأديب محمد بن شاکر الكتبي (ت ٧٦٤هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط ١ ، (١٩٧٣م) ، دار صادر ، لبنان .

- الفوائد المنتخبة العوالي عن الشيوخ الثقات ، المسمى « الغيلانيات » ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي البزاز (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق حلمي كامل عبد الهادي ، بدون تاريخ ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

- الفوائد ، للإمام الحافظ تمام بن محمد الرازي (ت ٤١٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، مكتبة الرشد ، السعودية .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للإمام العلامة محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧هـ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- قصر الأمل ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- الكامل في التاريخ ، للإمام المؤرخ علي بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، حققه الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، ط ٢ ، (١٩٩٩م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- الكامل في ضعفاء الرجال ، للإمام الحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ) ، الطبعة الأولى بتحقيق الدكتور سهيل زكار والثالثة يحيى مختار غزاوي ، ط ٣ ، (١٩٨٨م) ، دار الفكر ، لبنان .

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للإمام الحافظ علي بن حسام الدين ، المعروف بـ البرهان فوري (ت ٩٧٥هـ) ، عني به بكري حيّاني وصفوة السقا ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة ، للعلامة الأديب المؤرخ محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ) ، تحقيق ميخائيل جبور ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان .
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .
- لباب النقول في أسباب النزول ، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، تحقيق أحمد عبد الشافي ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- لسان الميزان ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .
- مآثر الإنافة في معالم الخلافة ، للأديب المؤرخ البحّثة أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط ٢ ، (١٩٨٥م) ، سلسلة التراث العربي - وزارة الإعلام ، الكويت .
- المتمنين ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .
- مجالس ثعلب ، لإمام الكوفيين العلامة أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني ، المعروف بـ ثعلب (ت ٢٩١هـ) ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥ ، (٢٠٠٦م) ، دار المعارف ، مصر .
- المجالسة وجواهر العلم ، للعلامة الفقيه المحدث أحمد بن مروان بن محمد الدّينوري (ت ٣٣٣هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢م) ، دار ابن حزم ، لبنان .
- المجروحين من المحدثين ، للإمام الحافظ محمد بن حَبَّان البُستي (ت ٣٥٤هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (٢٠٠٠م) ، دار الصميعي ، السعودية .
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٦م) ، طبعة مصورة لدى مكتبة المعارف ، لبنان .
- المحتضرين ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- المحمدون من الشعراء وأشعارهم ، للإمام الأديب المشارك علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي (ت ٦٤٦هـ) ، تحقيق رياض مراد ، ط ٢ ، (١٩٨٨م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، للإمام الحافظ محمد بن مكرم ، المعروف بـ ابن منظور (ت ٧١١هـ) ، عني به مجموعة من المحققين ، ط ١ ، (١٩٨٤م) ، دار الفكر ، سورية .

- مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق صبري بن عبد الخالق ، ط ٣ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- مختصر شرح لامية العجم ، للإمام العلامة الفقيه الأديب محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت ٨٠٨هـ) ، عني به محمد شادي عريش ، ط ١ ، (٢٠٠٨م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- المختصر في أخبار البشر ، المسمى « تاريخ أبي الفداء » ، للملك المؤيد صاحب حماة المؤرخ الجغرافي إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد الأيوبي (ت ٧٣٢هـ) ، تحقيق محمد زينهم ومحمد عزب ويحيى السيد حسين ومحمد فخري الوصيف ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار المعارف ، مصر .

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، للإمام العلامة المحدث عبد الله بن أسعد بن علي الياضي (ت ٧٦٨هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٧هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن لدى دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ البخّانة علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ) ، تصحيح شارل بلا ، ط ١ ، (١٤٢٢هـ) ، انتشارات الشريف الرضي ، إيران .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، للإمام الحافظ القاضي الأديب أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي ، المعروف بـ ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ١ ، (٢٠٠٤م) ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الإمارات العربية المتحدة .

- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، للإمام الحافظ القاضي الأديب أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي ، المعروف بـ ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ) ، تحقيق كامل سلمان الجبوري ، ط ١ ، (٢٠١٠م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المستدرک علی الصحیحین ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري ، المعروف بـ الحاكم (ت ٤٠٥هـ) ، وبذيله : « تلخیص المستدرک » للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٥هـ) ، نسخة مصورة لدى دار المعرفة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند بحيدر آباد الدکن ، لبنان .

- مسند أبي داوود الطيالسي ، للإمام الحافظ سليمان بن داوود بن الجارود ، المعروف بـ أبي داوود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ) ، ط ١ ، (١٣٢١هـ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- مسند أبي يعلى الموصلي ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى ، المعروف بـ أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ٢ ، (١٩٨٩م) ، دار المأمون للتراث ودار الثقافة العربية ، سورية .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرناؤوط ، ط ١ ، (١٩٩٥هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الدارمي ، المسمى « سنن الدارمي » ، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (٢٠٠٠م) ، دار المغني ، السعودية .

- مسند عبد بن حميد ، للإمام الحافظ عبد بن حميد بن نصر الكشي (ت ٢٤٩هـ) ، عني به صبحي البدري السامرائي ومحمود خليل الصعيدي ، ط ١ ، (١٩٨٨م) ، مكتبة السنة ، مصر .

- المسند ، للإمام الحافظ الهيثم بن كليب الشاشي (ت ٣٣٥هـ) ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .

- المصاحف ، للإمام الحافظ عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني ، المعروف بـ ابن أبي داوود (ت ٣١٦هـ) ، تحقيق الدكتور محب الدين عبد السبحان واعظ ، ط ٢ ، (٢٠٠٢م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .
- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي ، للإمام المؤرخ محمد بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري ، المعروف بـ ابن حديدة (ت ٧٨٣هـ) ، تحقيق محمد عظيم الدين ، ط ٢ ، (١٩٨٥م) ، عالم الكتب ، لبنان .
- المصنف ، للإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ومعه : « الجامع » للإمام معمر الأزدي (ت ١٥٣هـ) ، ط ٢ ، (١٩٨٣م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، لبنان .
- المصنف ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (٢٠٠٦م) ، دار المنهاج ، السعودية .
- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكتاني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، دار العاصمة ، السعودية .
- المعجم (معجم شيوخ) ، للإمام المحدث المؤرخ أحمد بن محمد بن زياد بن بشر البصري ، المعروف بـ ابن الأعرابي (ت ٣٤٠هـ) ، تحقيق عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، ط ١ ، (١٩٩٧م) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
- معجم الأدباء ، المسمى « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ، للعلامة المؤرخ الأديب ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، (١٩٩٩م) ، مؤسسة المعارف ، لبنان .
- المعجم الأوسط ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق طارق عوض الله ، دار الحرمين ، مصر .
- معجم البلدان ، للعلامة المؤرخ الأديب ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) ، عني به المستشرق وستفيلد ، ط ٢ ، (١٩٩٥م) ، دار صادر ، لبنان .
- معجم الشعراء ، للعلامة الإخباري الأديب محمد بن عمران بن موسى المَرْزُبَانِي (ت ٣٨٤هـ) ، تحقيق الدكتور فاروق اسليم ، ط ١ ، (٢٠٠٥م) ، دار صادر ، لبنان .

- معجم الصحابة ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي (ت ٣١٧هـ) ، تحقيق محمد الأمين الجكني ، ط ١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة دار البيان ، الكويت .
- المعجم الصغير ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، ومعه « غنية الألمعي » للعظيم آبادي (ت ١٣٢٩ هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٣م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .
- المعجم الفارسي الكبير (فارسي عربي) ، للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا (ت ١٩٩٨م) ، ط ١ ، (١٩٩٢م) ، مكتبة مدبولي ، مصر .
- المعجم الكبير ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، ومعه « الأحاديث الطوال » ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .
- معجم المؤلفين ، للأستاذ المؤرخ عمر رضا كحالة (ت ١٤٠٨هـ) ، عني به مكتب تحقيق التراث بالدار ، ط ١ ، (١٩٩٣م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- معجم شيوخ الإسماعيلي ، للإمام الفقيه الحجة أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني ، المعروف بـ الحافظ الإسماعيلي (ت ٣٧١هـ) ، ط ١ ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .
- معرفة السنن والآثار ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، ط ١ ، (١٩٩١م) ، دار قتيبة ودار الوعي ودار الوفاء ، سورية ومصر .
- معرفة الصحابة ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزاوي ، ط ١ ، (١٩٩٨م) ، دار الوطن ، السعودية .
- مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ، للعلامة المؤرخ المشارك محمد بن علي ابن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ) ، تحقيق محمد مصطفى ، ط ١ ، (١٩٦٢م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، للعلامة الفقيه المؤرخ محمد بن سالم بن نصر الله ، المعروف بـ ابن واصل (ت ٦٩٧هـ) ، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال ، ط ١ ، (١٩٥٣ م) ، دار الفكر العربي ، مصر .

- مقاتل الطالبين ، للإمام الأدب واللغة علي بن الحسين بن محمد الأموي ، المعروف بـ أبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

- مقدمة ابن خلدون ، للفيلسوف المؤرخ البحاثة الاجتماعي عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، ط ١ ، بدون تاريخ ، المكتبة التجارية ، مصر .

- المقفى الكبير ، لمؤرخ الديار المصرية أحمد بن علي بن عبد القادر ، المعروف بـ تقي الدين المقرئ (ت ٨٤٥هـ) ، تحقيق محمد اليعلاوي ، ط ١ ، (١٩٩١ م) ، دار الغرب الإسلامي ، لبنان .

- مكارم الأخلاق ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) ، ويليهِ أخلاق العلماء للحافظ الآجري (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- من حديث خيثة بن سليمان (الفوائد ، فضائل الصحابة ، فضائل أبي بكر الصديق ، الرقائق والحكايات) ، للإمام الحافظ المحدث خيثة بن سليمان بن حيدرة المري القرشي الأطرابلسي (ت ٣٤٣هـ) ، تحقيق عمر تدمري ، ط ١ ، (١٩٨٠ م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- المنتحل ، للإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) ، تحقيق أحمد أبو علي ، بدون تاريخ ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- المنتخب من السياق لتكملة تاريخ نيسابور ، للإمام المحدث الرحال إبراهيم بن محمد الأزهر الصريفي (ت ٦٤١هـ) ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، ط ١ ، (١٩٨٩ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، للعلامة المؤرخ البَحَّاثَة يوسف بن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أمين ورفاقه ، ط ١ ، (١٩٨٤م) ، الهيئة العامة للكتاب ، مصر .

- مورد اللطافة ، للعلامة المؤرخ البَحَّاثَة يوسف بن عطاء الله الظاهري ، المعروف بـ ابن تَغْري بَرْدِي (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق نبيل عبد العزيز ، دار الكتب المصرية ، مصر .

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط ١ ، (١٩٦٣م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، للعلامة المؤرخ البَحَّاثَة يوسف بن عطاء الله الظاهري ، المعروف بـ ابن تَغْري بَرْدِي (ت ٨٧٤هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٩٦٣م) ، دار الكتب المصرية ، مصر .

- نسب قریش ، للراوية المحدث النسابة مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت ٢٣٦هـ) ، تحقيق ليفي برفنسال ، ط ٤ ، (١٩٥٣م) ، دار المعارف ، مصر .

- نظم العقيان في أعيان الأعيان وهو تراجم مشاهير القرن التاسع الهجري ، للإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) ، عني به الدكتور فيليب حتي ، ط ١ ، (٢٠٠٠م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للحافظ المؤرخ الأديب أحمد بن محمد بن يحيى ، المعروف بـ المَقْرِي (ت ١٠٤١هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٨م) ، دار صادر ، لبنان .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، للعالم البَحَّاثَة أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت ٧٣٣هـ) ، بعناية مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٩٢٣م) ، دار الكتب المصرية ، مصر .

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، للعلامة الشريف عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس (ت ١٠٣٨هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي ، ط ١ ، (٢٠٠١م) ، دار صادر ، لبنان .

- هواتف الجنان ، للإمام الحافظ الحجة محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري الخرائطي (ت ٣٢٧هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (٢٠٠١م) ، دار البشائر ، سورية .

- الوافي بالوفيات ، للعلامة المؤرخ الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت ٧٦٤هـ) ، ط ١ ، دار التراث العربي ، لبنان .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، للإمام المؤرخ أحمد بن محمد ابن خلّكان (ت ٦٨١هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤هـ) ، ط ١ ، (١٩٦٨م) ، دار صادر ، لبنان .

محتوى الكتاب

١١	بين يدي الكتاب
١٢	تعريف التاريخ
١٤	منافع التاريخ الدنيوية والأخروية
١٥	فضل علم التاريخ وما قال فيه المؤرخون
١٨	من هو المتأهل لكتابة التاريخ؟
١٩	شروط المؤرخ
٢٢	أخطاء المؤرخين
٢٣	الإمام السيوطي وكتابه «تاريخ الخلفاء»
٢٣	منهج الإمام السيوطي في هذا المختصر
٢٥	سبب إفراد العلماء لتراجم الخلفاء
٢٦	بعض المؤلفات في تراجم الخلفاء
٢٨	خاتمة شكر
٢٩	ترجمة المؤلف الإمام جلال الدين السيوطي
٢٩	- اسمه ونسبه
٣٠	- مولده ونشأته العلمية
٣٢	- شيوخه
٣٦	- صفاته
٣٩	- مؤلفاته
٤١	- وفاته
٤٤	وصف النسخ الخطية
٤٨	منهج العمل في الكتاب
٤٩	مميزات هذه الطبعة
٥١	صور المخطوطات المستعان بها

«تاريخ الخلفاء»

٦٣

- خطبة الكتاب ٦٥
- الداعي إلى تأليف الكتاب ٦٥
- أسباب عدم ذكر العبيدين ٦٦
- فصل: في بيان كونه صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وسر ذلك ٧٠
- فصل: في بيان أن الأئمة من قریش والخلافة فيهم ٧٢
- فصل: في مدة الخلافة الراشدة ٧٣
- بيان المراد من قوله ﷺ: «اثناعشر» ٧٥
- فصل: في الأحاديث المنذرة بخلافة بني أمية ٧٧
- فصل: في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس ٧٩
- فصل: إذا أراد الله أن يخلق خلقاً للخلافة مسح ناصيته بيمينه ٨٤
- فصل: في شأن البردة النبوية التي تداولها الخلفاء إلى آخر وقت ٨٥
- فصل: في فوائد منتورة تقع في التراجم ٨٦
- فوائد: فيما اتفق فيه الخلفاء ٨٩
- أوليات الخلفاء ٩٠
- فائدة: في أسماء المتخلفين العبيدين ٩٣
- فائدة: في خلفاء المغرب من الأمويين ٩٤
- فائدة: في المؤلفات بتاريخ الخلفاء ٩٤
- فائدة: فيمن حفظ القرآن من الخلفاء ٩٤
- فائدة: في لفظبيعة الخلفاء ٩٥

الخلافة الراشدة

٩٧

- خلافة أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١ - ١٣هـ) ٩٩
- فصل: في اسمه ولقبه ١٠٠
- فصل: في مولده ومنشئه ١٠٤
- فصل: خلقه في الجاهلية رضي الله عنه ١٠٥
- فصل: في صفته ١٠٦

١٠٦	فصل: في إسلامه
١١٠	فصل: في صحبته ومشاهده
١١١	فصل: في شجاعته وأنه أشجع الصحابة
١١٣	فصل: في إنفاقه ماله على رسول الله ﷺ وأنه أجود الصحابة
١١٦	فصل: في علمه وأنه أعلم الصحابة وأذكاهم
١٢٠	فصل: في أن الصديق رضي الله عنه حافظ لكتاب الله
١٢١	فصل: في أنه أفضل الصحابة وخيرهم
١٢٤	فصل: في أن أبا بكر رضي الله عنه أرحم الناس بالأمة بعد نبيها ﷺ
١٢٥	فصل: فيما أنزل من الآيات في مدحه أو تصديقه أو أمر من شأنه
١٢٨	فصل: في الأحاديث الواردة في فضله مقروناً بعمر سوى ما تقدم
١٣٢	فصل: في الأحاديث الواردة في فضله وحده سوى ما تقدم
١٣٤	- خصال توجب الجنة
١٣٥	- مكانة الصديق عند الصحابة رضي الله عنهم
١٣٨	- خصال الخير مجموعة في الصديق رضي الله عنه
١٣٩	فصل: فيما ورد من كلام الصحابة والسلف الصالح في فضله
١٤١	فصل: في خصائص أبي بكر الصديق رضي الله عنه
١٤٢	فصل: في الأحاديث والآيات المشيرة إلى خلافته وكلام الأئمة في ذلك
١٤٤	- رضيه لديننا أفلا نرضاه لدينانا
١٤٨	- آيات استنبط العلماء منها خلافة الصديق رضي الله عنه
١٥٠	فصل: في مبايعته
١٥٢	- بدء المبايعة وأول من بايع
١٥٢	- خطبة الصديق رضي الله عنه بعد البيعة
١٥٧	فصل: فيما وقع في خلافته
١٥٧	- أول اختلاف وقع بين الصحابة
١٥٨	- إنفاذ جيش أسامة رضي الله عنه
١٥٩	- قتال أهل الردة
١٦١	- قتال مسيلمة وموته وذكر بعض من مات في الإمامة

١٦٣ ذكر جمع القرآن
١٦٤ فصل: في أولياته
١٦٦ فصل: في تنفيذه رضي الله عنه عِدَّة النبي ﷺ
١٦٦ فصل: في نبذ من حلمه وتواضعه
١٦٧ فصل: في حجه رضي الله عنه
١٦٨ فصل: في مرضه ووفاته، ووصيته، واستخلافه عمر
١٦٩ - استخلافه لعمر رضي الله عنهما
١٦٩ - عهد الصديق ووصيته رضي الله عنه
١٧٤ فصل: فيما روي عنه من الحديث المسند
١٨٨ فصل: فيما ورد عن الصديق من تفسير القرآن
١٨٩ فصل: فيما روي عن الصديق رضي الله عنه من الآثار الموقوفة
١٩٢ - أوصيك بعشر خلال
١٩٢ - بعض أقضية الصديق رضي الله عنه
١٩٦ - من خطب سيدنا أبي بكر رضي الله عنه
٢٠٠ فصل: في كلماته الدالة على شدة خوفه من ربه
٢٠٢ فصل: فيما ورد عنه من تعبير الرؤيا
٢٠٣ فائدة: في قيادة عمرو بن العاصي لسرية فيها أبو بكر وعمر رضي الله عنهم
٢٠٤ فصل: في أدبه وذكائه رضي الله عنه
٢٠٤ فصل: في صيامه وفي نقش خاتمه رضي الله عنه
٢٠٥ فائدة: في أربعة أدركوا النبي ﷺ مع أبنائهم رضي الله عنهم
٢٠٥ فائدة: في أن أبا بكر رضي الله عنه كان أسن أصحاب النبي ﷺ
٢٠٥ فائدة: في ضياع الأمانة
٢٠٦ فائدة: فيمن كان فرد زمانه في فنه
٢٠٨ خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١٣-٢٣ هـ)
٢٠٩ فصل: في الأخبار الواردة في إسلامه
٢١٠ - قصة عمر مع ختنه وأخته رضي الله عنهم
٢١٣ - سبب تسميته بالفاروق رضي الله عنه

٢١٦	فصل : في هجرته
٢١٦	فصل : في الأحاديث الواردة في فضل الصديق رضي الله عنه
٢١٨	- وُضع الحق على لسان عمر رضي الله عنه
٢١٩	- فرار الشياطين من سيدنا عمر رضي الله عنه
٢٢١	فصل : في أقوال الصحابة والسلف فيه
٢٢٤	فصل : في أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما مقدمان في الخلافة على غيرهما
٢٢٤	فصل : في موافقات عمر رضي الله عنه
٢٢٥	- وافقت ربي في ثلاث
٢٢٥	- وافقت ربي في أربع
٢٢٦	- موافقته في قصة عبد الله بن أبي
٢٢٦	- موافقته في قضايا شتى
٢٢٩	فصل : في كرامات عمر (يا سارية الجبل)
٢٣٠	- أدرك أهلك فقد احترقوا
٢٣١	- رسالة سيدنا عمر رضي الله عنه إلى نيل مصر
٢٣٢	- كشفه الكذب، ودعاؤه على أهل العراق
٢٣٢	فصل : في نبذ من سيرته
٢٣٣	- زهده في المطعم والملبس
٢٣٤	- تهذيبه لنفسه
٢٣٦	فصل : في صفته رضي الله عنه
٢٣٧	فصل : في خلافته رضي الله عنه
٢٣٧	- كثرة الفتوحات في عهده
٢٣٨	- استسقاء سيدنا عمر بالعباس رضي الله عنهما
٢٤١	- قصة غلام المغيرة واستشهاد سيدنا عمر
٢٤٣	- وصايا سيدنا عمر رضي الله عنه
٢٤٤	- موته، ومن صلى عليه، ونقش خاتمه
٢٤٥	فصل : في أوليات عمر
٢٤٦	فصل : في أعماله رضي الله عنه

فصل : في نبذ من أخباره وقضاياه وَمَنْ سَمَّاهُ أمير المؤمنين رضي الله عنه	٢٤٦
- الفرق بين الخليفة والملك	٢٤٩
- سياسته رضي الله عنه مع عماله وأمرائه	٢٥٠
- امرأة تشكو زوجها	٢٥١
- قصة المرأة التي تأخَّر عنها زوجها	٢٥١
- رجل يشكو لسيدنا عمر رضي الله عنه ما يلقي من النساء	٢٥٢
- انزل عن منبر أبي	٢٥٣
- إنشاؤه للديوان رضي الله عنه	٢٥٤
- نعي الجن لسيدنا عمر رضي الله عنه	٢٥٥
فصل : في رؤية سيدنا عمر رضي الله عنه في المنام	٢٥٧
فصل : في من مات في عهده رضي الله عنه	٢٥٨
خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه (٢٣-٣٥هـ)	٢٥٩
- سبب تسميته بذئ النورين رضي الله عنه	٢٦٠
- بعض صفاته الخلقية رضي الله عنه	٢٦١
فصل : في الأحاديث الواردة في فضله غير ما تقدم	٢٦٣
- ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم	٢٦٣
فصل : في خلافته رضي الله عنه	٢٦٦
لطيفة : في تهيب سيدنا عمر رضي الله عنه الغزو في البحر	٢٦٩
- قصة استشهاد سيدنا عثمان رضي الله عنه	٢٧٠
- شروط من حاصر سيدنا عثمان رضي الله عنه ورفضه لها	٢٧٥
- ادخرت عند ربي عشرأ	٢٧٦
- مقتل سيدنا عثمان رضي الله عنه أول الفتن	٢٧٦
فصل : في خلق سيدنا عثمان رضي الله عنه وذكر نقش خاتمه	٢٧٩
فصل : في أوليات عثمان رضي الله عنه	٢٨٠
فصل : في من مات في عهده رضي الله عنه	٢٨١
خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه (٣٥-٤٠هـ)	٢٨٢
- حملة باب خبير من كراماته رضي الله عنه	٢٨٣

- ٢٨٤ - قصة تكنيته بأبي تراب رضي الله عنه
- ٢٨٥ فصل : في الأحاديث الواردة في فضله رضي الله عنه
- ٢٨٦ - دعاء النبي ﷺ لسيدنا علي رضي الله عنه
- ٢٨٧ - أربعة يحبهم الله ورسوله
- ٢٨٩ - تقدمه بالقضاء والعلم على غيره رضي الله عنه
- ٢٩٠ - ما نزل فيه من القرآن وما خص به رضي الله عنه
- ٢٩٢ - يهلك فيك اثنان
- ٢٩٣ فصل : في مبايعته رضي الله عنه
- ٢٩٥ - تأمر ثلاثة من الخوارج على أمراء المسلمين
- ٢٩٧ فصل : في نبذ من أخبار علي وقضاياه وكلماته
- ٢٩٧ - قصة توليته رضي الله عنه وما جرى من أحداث
- ٢٩٩ - بعض من كراماته رضي الله عنه
- ٣٠٠ - قصة الأربعة الثمانية ودقة قضائه رضي الله عنه
- ٣٠١ - اضرب ظله
- ٣٠١ - نقش خاتمه رضي الله عنه
- ٣٠٢ - وضعه رضي الله عنه لأسس النحو
- ٣٠٢ - بعض حكمه ونصحه رضي الله عنه لحملة القرآن
- ٣٠٤ - ذكر شيء من شعره رضي الله عنه
- ٣٠٦ - احفظ عني أربعاً وأربعاً
- ٣٠٦ - قضاء شريح لليهودي على أمير المؤمنين
- ٣٠٧ فصل : في كلامه رضي الله عنه في تفسير القرآن
- ٣٠٨ فصل : في نبذ من كلماته الوجيزة المختصرة البديعة
- ٣٠٨ - خمس خذوهن عني
- ٣٠٩ - سبع من الشيطان
- ٣١٠ - رثاء أبي الأسود لسيدنا علي رضي الله عنه
- ٣١٠ فصل : فيمن مات في عهده رضي الله عنه
- ٣١٢ خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما (سنة أشهر)

- ٣١٢ - شبهه بالنبي ﷺ وذكر بعض فضائله رضي الله عنه
- ٣١٥ - حلمه رضي الله عنه على مروان وهو أمير
- ٣١٦ - كثرة زواجه وطلاقه لتكثير نسله رضي الله عنه
- ٣١٧ - نزوله عن الخلافة رضي الله عنه وتحقيق المعجزة
- ٣١٨ - وفاة الحسن رضي الله عنه
- ٣١٩ - كرامة لمن رجا الخالق ولم يرجُ المخلوق
- ٣١٩ - نصحه لأخيه الحسين وتثبيت الحسين له رضي الله عنهما

الدولة الأموية

- ٣٢١ خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما (٤١-٦٠هـ)
- ٣٢٣ - وصفه وما ورد في فضله رضي الله عنه
- ٣٢٦ - أخذ البيعة ليزيد
- ٣٢٨ - قصة أم معاوية وزواجها بأبي سفيان رضي الله عنهم
- ٣٢٩ - وفاة سيدنا معاوية ووصيته رضي الله عنه
- ٣٢٩ فصل : في نبذ من أخباره
- ٣٣٠ - محاورة جارية بن قدامة لسيدنا معاوية رضي الله عنه
- ٣٣١ - أولياته رضي الله عنه
- ٣٣٣ - معاتبته للأنصار وردهم عليه رضي الله عنهم
- ٣٣٣ - سياسة سيدنا معاوية رضي الله عنه
- ٣٣٤ - ثلاثة أبيات بثلاث مئة ألف
- ٣٣٥ - خطبة مروان بالمدينة لاستخلاف يزيد
- ٣٣٦ - دهاء العرب أربعة وكذا قضاتها
- ٣٣٦ - صحبة الرجال
- ٣٣٦ - من الأجوبة المسكتة
- ٣٣٧ - من مات في عهده رضي الله عنه
- ٣٣٩ - خلافة يزيد بن معاوية (٦٠-٦٣هـ)
- ٣٤٠ - خروج سيدنا الحسين رضي الله عنه إلى العراق

- ٣٤١ - خذلان أهل العراق واستشهاد سيدنا الحسين رضي الله عنه
- ٣٤٢ - قصر الإمارة والرؤوس
- ٣٤٣ - موت سيدنا الحسين ونوح الجن عليه رضي الله عنه
- ٣٤٤ - خروج أهل المدينة على يزيد ووقعة الحرة
- ٣٤٥ - محاصرة سيدنا ابن الزبير وموت يزيد
- ٣٤٦ - من مات في عهده
- ٣٤٧ - خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤هـ - ٧٣هـ)
- ٣٤٨ - خلافة ابن الزبير رضي الله عنه (٦٤هـ - ٧٣هـ)
- ٣٤٩ - البيعة لسيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما
- ٣٥٠ - ذكر شيء من فضائل سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما
- ٣٥٢ - قصة إنَّ وراكبها
- ٣٥٣ - من مات في عهده رضي الله عنه
- ٣٥٤ - خلافة عبد الملك بن مروان (٧٣هـ - ٨٦هـ)
- ٣٥٥ - من فضائل وصفات عبد الملك بن مروان
- ٣٥٨ - ذكر أوليات عبد الملك بن مروان
- ٣٦١ - أعفني من أربع وقل ما شئت
- ٣٦١ - احتضار عبد الملك ووصيته
- ٣٦٣ - شدة تصبر عبد الملك بن مروان
- ٣٦٣ - قسمة تركة والنصيب دينار واحد
- ٣٦٣ - ميزات في الجواري
- ٣٦٤ - الأخطل هو شاعر بني أمية
- ٣٦٤ - من مات في عهده
- ٣٦٦ - خلافة الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ - ٩٦هـ)
- ٣٦٩ - من مات في عهده
- ٣٧٠ - خلافة سليمان بن عبد الملك (٩٦هـ - ٩٩هـ)
- ٣٧١ - من مات في عهده
- ٣٧١ - نصيحة رجاء لسليمان باستخلاف عمر بن عبد العزيز

- ٣٧٣ - مشادة بين مروان وسليمان وتدخل عمر بن عبد العزيز
- ٣٧٤ - خلافة عمر بن عبد العزيز بن مروان (٩٩-١٠١هـ)
- ٣٧٥ - نشأة سيدنا عمر بن عبد العزيز وصلاحه
- ٣٧٧ - مبايعة سيدنا عمر بن عبد العزيز وخلافته
- ٣٧٨ - سياسته في الخلافة والعودة إلى سيرة الراشدين
- ٣٧٩ - شهادة الناس في سيدنا عمر بن عبد العزيز
- ٣٧١ - ذكر شيء من زهده وفضائله
- ٣٨٣ - بكاء جواريه
- ٣٨٤ - كيف أوليكم ديني؟
- ٣٨٦ - الهدية للنبي ﷺ هدية ولنا رشوة
- ٣٨٦ - مواعظه ونصحه وتواضعه
- ٣٩٠ - قصة صاحب الحرس مع سيدنا عمر بن عبد العزيز
- ٣٩١ - من خطب سيدنا عمر ونهجه في ذلك
- ٣٩٢ - من وصاياه لعماله
- ٣٩٥ - فائدة: الصلح في الخلفاء
- ٣٩٥ - فائدة: امرأة حفها الخلفاء
- ٣٩٦ - ذكر مرضه ووفاته
- ٣٩٧ - وصيته وعهده لمن بعده
- ٣٩٨ - من مات في عهده
- ٣٩٩ - خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (١٠١-١٠٥هـ)
- ٤٠٠ - من مات في عهده
- ٤٠١ - خلافة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ)
- ٤٠٢ - من مات في عهده
- ٤٠٣ - ومن أخبار هشام: الحكمة في مخاطبة السلطان
- ٤٠٣ - موعظة خالد بن صفوان لهشام بن عبد الملك
- ٤٠٥ - خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (١٢٥-١٢٦هـ)
- ٤٠٨ - خلافة يزيد الناقص (١٢٦هـ)

- ٤١٠ خلافة إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦هـ)
- ٤١٢ خلافة مروان الحمار (١٢٧-١٣٢هـ)
- ٤١٣ - من مات في عهده
- ٤١٣ - من عجائب الدهر لسان مروان في قم هر

٤١٥ الدولة العباسية

- ٤١٧ خلافة السفاح أول خلفاء بني العباس (١٣٢-١٣٦هـ)
- ٤١٨ - أول خطبة جمعة للسفاح بالكوفة
- ٤١٩ من أخبار السفاح
- ٤٢٠ - شدة ذكائه وسرعة جوابه
- ٤٢١ - من مات في عهده
- ٤٢٢ خلافة المنصور (١٣٧-١٥٨هـ)
- ٤٢٤ - بدء تدوين الحديث والفقه والتفسير
- ٤٢٧ من أخبار المنصور
- ٤٢٧ - الخلفاء أربعة والملوك أربعة
- ٤٢٨ - خطبة المنصور في عرفة
- ٤٢٩ - نصيحة المنصور لابنه المهدي
- ٤٢٩ - من عفا أجره على الله
- ٤٣٠ - لا يجمع الله علينا حشناً وسوء كيل
- ٤٣٠ - موعظة بعض الزهاد للمنصور
- ٤٣٠ - أمير المؤمنين أقدر على الكفارة مني
- ٤٣١ - القاضي يرد الخليفة إلى الحق
- ٤٣١ - قد شمتك في نفسي
- ٤٣١ - استدعاء القاضي للخليفة والحكم عليه
- ٤٣٢ - التحديث بالإسناد أعلى لذات الدنيا عند المنصور
- ٤٣٣ - الحادي ويخل المنصور
- ٤٣٤ - قصة ابن هرمة وشدة رغبته في الخمر

- ٤٣٤ - موعظة ابن أنعم الإفريقي للمنصور
- ٤٣٥ - قصة تظهر ذكاء المنصور
- ٤٣٦ - لم يخلق الله الذباب؟
- ٤٣٦ - من أوليات المنصور
- ٤٣٧ - أحاديث من رواية المنصور
- ٤٣٨ - من مات في عهده
- ٤٤٠ - خلافة المهدي (١٥٨ - ١٦٩هـ)
- ٤٤١ - أول خطبة للمهدي بعد توليه الخلافة
- ٤٤٣ - من أخبار المهدي
- ٤٤٤ - مكافأة من قالت: يا عصابة رسول الله ﷺ
- ٤٤٤ - الشيخ لا يترك أخلاقه
- ٤٤٥ - أشهد أن قفاك قفا كذاب
- ٤٤٥ - لا بد من ثلاث
- ٤٤٥ - هكذا يطلب العلم
- ٤٤٦ - المهدي والجارية
- ٤٤٦ - استحياء الجارية
- ٤٤٧ - من استعان بخائن كان شريكه
- ٤٤٧ - سماحة أخلاق المهدي
- ٤٤٨ - إذعان المهدي عند ذكر النبي ﷺ
- ٤٤٨ - ذكر أحاديث من رواية المهدي
- ٤٥٠ - من مات في عهده
- ٤٥١ - خلافة الهادي (١٦٩ - ١٧٠هـ)
- ٤٥١ - موت الهادي وسببه
- ٤٥٢ - من أخبار الهادي
- ٤٥٣ - فائدة: في ذكر من ولدت خليفتين
- ٤٥٤ - تواضع الهادي ومعرفته قدر النبي ﷺ
- ٤٥٥ - حديث من رواية الهادي

- ٤٥٥ - من مات في عهده
- ٤٥٦ خلافة الرشيد هارون (١٧٠ - ١٩٣هـ)
- ٤٥٧ - من فضائل الرشيد ومآثره
- ٤٥٨ - دفاعه عن الحديث النبوي وإجلاله للعلم
- ٤٥٨ - عزاؤه بابن المبارك وكرمه وأعطياته
- ٤٥٩ - ما اجتمع للرشيد ولم يجتمع لغيره
- ٤٦٠ - من مات في عهده
- ٤٦٠ من الحوادث في أيامه
- ٤٦١ - كتاب نقفور والرد عليه
- ٤٦٣ - مرض الرشيد وعلة ذكائه وفراسته
- ٤٦٣ - ولاية العهد بين أبناء الرشيد
- ٤٦٥ فصل : في نبذ من أخبار الرشيد عفا الله عنه
- ٤٦٥ - ذكاء أبي يوسف القاضي
- ٤٦٦ - رؤيا فيها بشارة للرشيد
- ٤٦٦ - الخليفة الرشيد والشعر
- ٤٦٧ - محاورة بين الخليفة الرشيد وزنديق
- ٤٦٧ - محبة الرشيد لآل البيت
- ٤٦٨ - ملك قيمته شربة ماء
- ٤٦٨ - موعظة شيبان للرشيد
- ٤٦٩ - من ارتحل من الخلفاء للسماع
- ٤٧٠ - من أوليات الرشيد وشعره
- ٤٧١ - وفاة هارون الرشيد
- ٤٧٢ - مما رواه الرشيد من الحديث
- ٤٧٣ خلافة الأمين (١٩٣ - ١٩٨هـ)
- ٤٧٣ - عزل القاسم وجعل العهد لموسى ابن الأمين
- ٤٧٤ - نصيحة أولي الرأي للأمين بعدم نقض العهد
- ٤٧٥ - قتال ابن ماهان لجند المأمون

- ٤٧٥ - حصار بغداد وخوف أهلها
- ٤٧٦ - سمر الأمين وشربه وتطيره وموته
- ٤٧٧ - مما قيل في قتل الأمين
- ٤٧٨ - إسراف الأمين في بذل الأموال
- ٤٨١ - فائدة : فيمن ولي وهو هاشمي ابن هاشمية
- ٤٨١ - من مات في عهده
- ٤٨٢ - من شعر الأمين
- ٤٨٣ - رسالة الأمين إلى طاهر بن الحسين
- ٤٨٣ - حديث واحد من رواية الأمين
- ٤٨٤ - امرأتان تعلقت الخلفاء بهما
- ٤٨٥ - خلافة المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ)
- ٤٨٧ - خلع المؤتمن وتولية علي الرضا والخلاف في ذلك
- ٤٨٧ - زواج المأمون ببوران
- ٤٨٩ - امتحان الناس بالقول بخلق القرآن
- ٤٩٠ - السبعة الذين طلبهم المأمون ليمتحنهم
- ٤٩٠ - كتاب المأمون إلى إسحاق ليختبر علماء سماهم له
- ٤٩٣ - مرض المأمون ووفاته
- ٤٩٤ - اشتهاى سمكة ولم يذقها
- ٤٩٤ - تباعد قبري الأب والابن، وكذا أولاد العباس
- ٤٩٥ - فصل : في نبذ من أخبار المأمون
- ٤٩٥ - شهادة مؤدب المأمون
- ٤٩٦ - سرور الرشيد بشعر ابنه المأمون
- ٤٩٦ - شدة ذكاء المأمون
- ٤٩٧ - معرفة المأمون بالطب وفوائد الأغذية
- ٤٩٧ - بعد نظر المأمون وفراسته
- ٤٩٨ - علمه بالشعر
- ٤٩٩ - قبح الله من لا أدب له

- ٥٠١ ما المراد ببنات طارق؟
- ٥٠٢ قوة حجته وفرط ذكائه
- ٥٠٢ العفو عند المقدرة
- ٥٠٤ مراتب القبح
- ٥٠٥ ذكاء الفقير وكرم المأمون
- ٥٠٥ المأمون والجارية
- ٥٠٦ أين عادة أمير المؤمنين في العفو؟
- ٥٠٧ المأمون والشطرنج
- ٥٠٨ حلم المأمون على من هجاه
- ٥٠٨ قصة مولاة المأمون وابن حامد
- ٥٠٩ لولا حمقهما لبقيت جائعاً
- ٥١٠ شره أحمد بن أبي خالد
- ٥١٠ محاوراة بين المأمون ومن ادعى النبوة
- ٥١١ مناظرة بين المأمون ورجل
- ٥١١ سرعة حفظ المأمون
- ٥١٢ رجل أعيى المأمون جوابه
- ٥١٣ ذكر أحاديث من رواية المأمون
- ٥١٥ عقد المأمون مجلساً للتحديث
- ٥١٦ اختبار المأمون لمن ادعى الحديث
- ٥١٧ سيد القوم خادهم
- ٥١٨ من مات في عهده
- ٥٢٠ خلافة المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧هـ)
- ٥٢٠ المثنى لقب المعتصم
- ٥٢١ الأسنان والأسنان لا تؤثر بالمعتصم
- ٥٢١ هجاء دعبل للمعتصم
- ٥٢٢ بناء مدينة سُرَّ مَنْ رأى
- ٥٢٢ غزو المعتصم للروم وفتح عمورية

- ٥٢٣ - وفاة المعتصم
- ٥٢٤ - ومن أخبار المعتصم : قصر المعتصم
- ٥٢٥ - المعتصم وغلّامه عجيب
- ٥٢٦ - الجواب ما ترى لا ما تسمع
- ٥٢٦ - فينا من يقول خيراً منه فيك
- ٥٢٧ - حديث رواه المعتصم
- ٥٢٨ - من مات في عهده
- ٥٢٩ - خلافة الواثق بالله هارون (٢٢٧ - ٢٣٢هـ)
- ٥٢٩ - امتحان أحمد بن نصر وقتله وإكرام الله له
- ٥٣١ - الشيخ الأزدي يقيم الحجة على الواثق وابن أبي دؤاد
- ٥٣٢ - من خصال الواثق الممدحة
- ٥٣٣ - رؤيا الواثق وتأويلها
- ٥٣٤ - وفاة الواثق
- ٥٣٤ - من مات في عهده
- ٥٣٥ - من شعر الواثق
- ٥٣٦ - أيهما أشعر؟
- ٥٣٧ - خلافة المتوكل على الله جعفر (٢٣٢ - ٢٤٧هـ)
- ٥٣٨ - فالج ابن أبي دؤاد، وخبر الريح الشديدة
- ٥٣٩ - الأمر بهدم قبر الحسين
- ٥٣٩ - إهانة قاضي مصر وحلق لحيته
- ٥٤٠ - من العجائب التي وقعت
- ٥٤١ - قصة قتل ابن السكيت
- ٥٤١ - جود المتوكل على الشعراء
- ٥٤٢ - فائدة : ثمانية سُلم عليهم بالخلافة وكل منهم أبوه خليفة
- ٥٤٣ - إكرام المتوكل لذي النون المصري
- ٥٤٣ - عهد المتوكل وقتل ولده له
- ٥٤٤ - وصيفة وفية للمتوكل

- ٥٤٥ - المتوكل ووزيره عاشا معاً وماتا معاً
- ٥٤٥ ومن أخبار المتوكل
- ٥٤٥ - تعظيم المتوكل للإمام الشافعي وتمذهبه بمذهبه
- ٥٤٦ - نزهتك من عذاب الله
- ٥٤٦ - جزاء الهم بالخير
- ٥٤٧ - عزيت نفسي بالنبي محمد ﷺ
- ٥٤٧ - صفة رجلٍ أطيب عيشاً من الخليفة
- ٥٤٨ - الجارية الشاعرة والمتوكل
- ٥٤٨ - منامان توافقا
- ٥٤٩ - مدح البحري للمتوكل في رفعه للمحنة
- ٥٤٩ - رؤيتان في وفاة المتوكل
- ٥٥٠ - أحاديث من رواية المتوكل
- ٥٥١ - حديث مسلسل بالجملة والآباء والخلفاء
- ٥٥١ - من مات في عهده
- ٥٥٣ خلافة المنتصر بالله محمد (٢٤٧ - ٢٤٨هـ)
- ٥٥٤ - من قتل أباه لم يتمتع بملكه
- ٥٥٥ خلافة المستعين بالله (٢٤٨ - ٢٥٢هـ)
- ٥٥٦ - من مات في عهده
- ٥٥٧ خلافة المعتمد بالله محمد (٢٥٢ - ٢٥٥هـ)
- ٥٥٨ - قتل المعتمد أخاه المؤيد
- ٥٥٨ - عزل المعتمد وتغيير موته
- ٥٥٩ - شح قبيحة أم المعتمد
- ٥٥٩ - من مات في عهده
- ٥٦٠ خلافة المهتدي بالله (٢٥٥ - ٢٥٦هـ)
- ٥٦٠ - زهد المهتدي وتشبهه بعمر بن عبد العزيز
- ٥٦١ - تعظيم المهتدي للإمام أحمد
- ٥٦١ - من سيرة المهتدي الصالحة

- ٥٦٢ فتنة موسى بن بغا وقتل صالح بن وصيف
- ٥٦٣ قتل المهدي وقصة ذلك
- ٥٦٤ خلافة المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩هـ)
- ٥٦٦ الخلاف بين المعتمد وأخيه الموفق والحجر على المعتمد
- ٥٦٧ خلع ابن طولون للموفق من ولاية العهد
- ٥٧٠ من مات في عهده
- ٥٧١ خلافة المعتضد بالله أحمد (٢٧٩ - ٢٨٩هـ)
- ٥٧١ ما سفكت دماً حراماً
- ٥٧٢ إنكار القاضي كتاباً جمع الرخص فأحرق
- ٥٧٦ ومن أخبار المعتضد
- ٥٧٧ المعتضد وجاريته دريرة
- ٥٧٨ وفاة المعتضد ورثاؤه
- ٥٨٠ من مات في عهده
- ٥٨١ خلافة المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥هـ)
- ٥٨٢ خروج ابن زكرويه القرمطي وأخيه وابن عمه وقتلهم
- ٥٨٣ وفاة المكتفي
- ٥٨٣ من مات في عهده
- ٥٨٤ تأخر وفاة ابن أبي الدنيا إلى أيام المكتفي
- ٥٨٥ خلافة المقتدر بالله (٢٩٥ - ٣٢٠هـ)
- ٥٨٥ خلع المقتدر وبيعة ابن المعتز
- ٥٨٦ حبس ابن المعتز واستقامة الأمر للمقتدر
- ٥٨٦ خروج المهدي بالمغرب وبدء النقص على العباسيين
- ٥٩١ خروج مؤنس الخادم على الخليفة وما جرى بينهما
- ٥٩٢ هجوم القرامطة على الحجيج وسرقة الحجر
- ٥٩٣ خروج مؤنس ثانية وقتل المقتدر
- ٥٩٤ ذكر أكثر الخلفاء تولية لأولاده
- ٥٩٥ نادرة: فيمن اسمه جعفر من الخلفاء

- ومن محاسن المقتدر ٥٩٥
- من مات في عهده ٥٩٥
- خلافة القاهرة بالله (٣٢٠ - ٣٢٢هـ) ٥٩٧
- احتيال القاهرة على الخارجين عليه وذبحهم ٥٩٧
- ظهور ابن بويه واستيلائه على بلاد فارس ٥٩٨
- الخروج على القاهرة وسمل عينه ٥٩٩
- القاهرة يسأل عن أخلاق خلفاء العباسيين ٦٠٠
- إخفاء القاهرة أمواله ومد يده للناس وموته ٦٠١
- من مات في عهده ٦٠٢
- خلافة الرازي بالله (٣٢٢ - ٣٢٩هـ) ٦٠٣
- من فضائل الرازي ٦٠٦
- من مات في عهده ٦٠٧
- خلافة المتقي لله (٣٢٩ - ٣٣٣هـ) ٦٠٨
- خروج البريدي وقاتل سيف الدولة له ٦٠٩
- خروج توزون وسمل المتقي وما جرى ٦١٠
- من مات في عهده ٦١٢
- خلافة المستكفي بالله (٣٣٣ - ٣٣٤هـ) ٦١٣
- استيلاء المعز وسمل المستكفي ٦١٣
- خلافة المطيع لله (٣٣٤ - ٣٦٣هـ) ٦١٥
- موت الإخشيد وبيان معاني بعض الألقاب ٦١٥
- قصة التصاق أخوين ٦١٩
- استيلاء القرامطة على دمشق ٦٢٠
- تولية محمد ابن أم شيان القضاء وصورة العهد ٦٢٢
- خلع المطيع وتولية الطائع ٦٢٤
- وفاة المطيع ٦٢٤
- من مات في عهده ٦٢٥
- خلافة الطائع لله (٣٦٣ - ٣٨١هـ) ٦٢٦

- ٦٢٧ - أسر غلام عز الدولة وفداؤه
- ٦٢٨ - انتصار عضد الدولة على عز الدولة وأسره
- ٦٢٩ - قدوم عضد الدولة على الطائع
- ٦٣٢ - خلع الطائع وتولية القادر وموت الطائع
- ٦٣٢ - من مات في عهده
- ٦٣٤ - خلافة القادر بالله (٣٨١-٤٢٢هـ)
- ٦٣٥ - هلاك تسعة ملوك على نسق
- ٦٣٩ - من مات في عهده
- ٦٤٠ - فائدة: فيمن كان من رؤوس العلماء في هذا العصر
- ٦٤٢ - خلافة القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ)
- ٦٤٢ - حبس الخليفة ثم إطلاقه وقتل البساسيري
- ٦٤٣ - نص رسالة الخليفة المسجون للكعبة
- ٦٤٨ - موت الخليفة القائم بأمر الله
- ٦٤٨ - من مات في عهده
- ٦٥٠ - خلافة المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ)
- ٦٥٣ - عزم ملكشاه على أخذ بغداد فمات
- ٦٥٤ - من مات في عهده
- ٦٥٥ - خلافة المستظهر بالله (٤٨٧-٥١٢هـ)
- ٦٥٦ - استيلاء الفرنج على بيت المقدس
- ٦٦١ - موت الخليفة المستظهر بالله
- ٦٦٢ - من مات في عهده
- ٦٦٣ - خلافة المسترشد بالله (٥١٢-٥٢٩هـ)
- ٦٦٤ - مواجهة بين مسعود والخليفة وأسر الخليفة
- ٦٦٤ - رسالة سنجر إلى مسعود بإعادة الخليفة
- ٦٦٥ - ذكر شيء من شعر المسترشد
- ٦٦٦ - خطبة المسترشد في عيد أضحى ومدح أبي المظفر له
- ٦٦٨ - من مات في عهده

٦٦٩ خلافة الراشد بالله (٥٢٩-٥٣٠هـ)
٦٦٩	- خلع الراشد ثم قتله
٦٧١ خلافة المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ)
٦٧٢	- موعظة العبادي للسلطان مسعود
٦٧٤	- دعاء الخليفة شهراً على مسعود فمات
٦٧٥	- من مناقب المقتفي لأمر الله
٦٧٦	- حديث من رواية المقتفي
٦٧٦	- الجواليقي والمقتفي وإفحام ابن التلميذ النصراني
٦٧٧	- من مات في عهده
٦٧٨ خلافة المستنجد بالله (٥٥٥-٥٦٦هـ)
٦٧٨	- من شعر المستنجد بالله
٦٨٠	- من مات في عهده
٦٨١ خلافة المستضيء بأمر الله (٥٦٦-٥٧٥هـ)
٦٨١	- ضعف الرضا وعودة الخطبة للعباسيين بمصر
٦٨٥	- من مات في عهده
٦٨٦ خلافة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ)
٦٨٧	- قصة مازندار مع الخليفة الناصر
٦٨٧	- كرم الخليفة الناصر
٦٨٨	- قصة فرس الفقيه وما جرى معه
٦٨٨	- هبة الناصر في قلوب الرعية
٦٩١ ومن الحوادث في أيامه منثورة
٦٩١ بيان كذب المنجمين
٦٩٢	- اتفاق عجيب
٦٩٢	- فتوحات السلطان صلاح الدين
٦٩٣	- وفاة القائد صلاح الدين وتركته
٦٩٤	- شدة الغلاء وأكل الناس الجيف
٦٩٧	- من مات في عهده

٦٩٩ خلافة الظاهر بأمر الله (٦٢٢-٦٢٣هـ)
٦٩٩ - إظهار الخليفة للعدل
٧٠٢ خلافة المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ)
٧٠٢ - بناء المدرسة المستنصرية
٧٠٣ - افتتاح المدرسة المستنصرية وما وقف عليها
٧٠٤ ومن الحوادث في أيام المستنصر
٧٠٤ - ضرب دراهم الفضة بأمر المستنصر
٧٠٥ - وفاة المستنصر
٧٠٦ - من مات في عهده
٧٠٨ خلافة المستعصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ)
٧٠٩ - موت الملك الصالح وولده توران شاه
٧٠٩ - ظهور نار عظيمة بالمدينة المنورة
٧١٠ - فتنة التتار وخيانة العلقمي
٧١١ شرح حال التتار ملخصاً
٧١٢ - سبب ظهور التتار
٧١٢ - أول خروج التتار
٧١٣ - غدر خوارزم شاه بالتجار ثم موته
٧١٥ - اجتياح التتار لبغداد
٧١٦ - بعض المراثي في بغداد وأهلها
٧١٨ - كتب هولاكو للسلطان الناصر صاحب دمشق
٧١٩ - كلمة سلطان العلماء العز بن عبد السلام
٧٢٠ - وقعة عين جالوت وهزيمة التتار
٧٢١ - قتل المظفر وتولي بيبرس مكانه
٧٢١ - من مات في أيام المستعصم
٧٢٢ فصل: في وفيات مدة انقطاع الخلافة
٧٢٣ خلافة المستنصر بالله (٦٥٩-٦٦٠هـ)
٧٢٤ - توجه المستنصر إلى العراق وانتهاء خلافته

- ٧٢٥ خلافة الحاكم بأمر الله (٦٦١-٧٠١هـ)
- ٧٢٨ - فتح النوبة
- ٧٢٨ - موت الظاهر وتولية ابنه الملك السعيد
- ٧٢٩ - خلع الملك السعيد وموته وتولية قلاوون
- ٧٢٩ - فتح طرابلس واستردادها
- ٧٣٠ - موت السلطان قلاوون وتولية ابنه الأشرف
- ٧٣١ - وفاة الخليفة الحاكم
- ٧٣١ - من مات في عهده
- ٧٣٣ خلافة المستكفي بالله (٧٠١-٧٤٠هـ)
- ٧٣٤ - السلطان ابن قلاوون يعزل نفسه ثم يعود وما جرى من ذلك
- ٧٣٥ - موت خير ملوك التتار ووالده من قبله
- ٧٣٦ - اعتقال الخليفة ونفيه حتى مات
- ٧٣٧ - من مات في عهده
- ٧٣٩ خلافة الواثق بالله إبراهيم (٧٤٠-٧٤١هـ)
- ٧٤٢ خلافة الحاكم بأمر الله (٧٤١-٧٥٣هـ)
- ٧٤٣ - صورة المبايعه
- ٧٥٣ ومن الحوادث في أيامه في عام ولايته
- ٧٥٤ - من مات في عهده
- ٧٥٥ خلافة المعتضد بالله (٧٥٣-٧٦٣هـ)
- ٧٥٥ ومن الحوادث في أيامه
- ٧٥٦ - من مات في عهده
- ٧٥٧ خلافة المتوكل على الله (٧٦٣-٨٠٨هـ)
- ٧٥٧ ومن الحوادث في أيامه
- ٧٥٧ - إحداث العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء
- ٧٥٨ - خروج الطاغية تمرلنك
- ٧٥٩ - قتل الأشرف شعبان
- ٧٥٩ - قصة خلع المتوكل وإعادته

- ٧٦٠ - قصة عجيبة: في انقلاب وجه عابث إلى خنزير
- ٧٦١ - خلع برقوق للخليفة ثم إعادته
- ٧٦١ - موت برقوق ثم موت الخليفة المتوكل
- ٧٦٢ - من مات في عهده
- ٧٦٣ خلافة الواثق بالله عمر بن إبراهيم (٧٨٥-٧٨٨هـ)
- ٧٦٤ خلافة المستعصم بالله زكريا بن إبراهيم (٧٨٨-٧٩١هـ)
- ٧٦٥ خلافة المستعين بالله (٨٠٨-٨١٥هـ)
- ٧٦٥ - قصيدة الحافظ ابن حجر يمدح المستعين
- ٧٦٧ - تغلب شيخ على السلطنة وخلع المستعين ثم موته
- ٧٦٨ ومن الحوادث الغربية في أيامه
- ٧٦٨ - من مات في عهده
- ٧٦٩ خلافة المعتضد بالله (٨١٥-٨٤٥هـ)
- ٧٧٠ ومن الحوادث الغربية في أيامه
- ٧٧١ - من مات في عهده
- ٧٧٣ خلافة المستكفي بالله (٨٤٥-٨٥٤هـ)
- ٧٧٣ - صورة العهد التي كتبها والد المؤلف للمستكفي
- ٧٧٤ - وفاة المستكفي
- ٧٧٤ - من مات في عهده
- ٧٧٥ خلافة القائم بأمر الله (٨٥٤-٨٥٩هـ)
- ٧٧٥ - من مات في عهده
- ٧٧٦ خلافة المستنجد بالله (٨٥٩-٨٨٤هـ)
- ٧٧٦ - تولي الأشرف قايتباي
- ٧٧٦ - وفاة المستنجد بالله
- ٧٧٨ خلافة المتوكل على الله (٨٨٤-٩٠٣هـ)
- ٧٧٩ - كسر عسكر مصر وموت الدوادار
- ٧٨١ ذكر المؤلف المصادر التي اعتمدها
- ٧٨٢ قصيدة للمؤلف في أسماء الخلفاء ووفياتهم

- ٧٨٩ فصل : في الدولة الأموية القائمة بالأندلس (١٣٨-٤٢٧هـ)
- ٧٩١ الدولة العلوية الحسنية بالأندلس (٤٠٧-٤١٣هـ)
- ٧٩٢ فصل : في الدولة الخبيثة العبيدية (٢٩٦-٤٦٧هـ)
- ٧٩٤ فصل : في دولة بني طباطبا العلوية الحسنية (١٩٩-٣٤٤هـ)
- ٧٩٥ فصل : في الدولة الطبرستانية
- ٧٩٦ فصل : في فتن المئات
- ٧٩٦ فائدة : في الحوادث التي وقعت في رأس كل مئة
- ٧٩٨ خاتمة النسخة (أ)
- ٧٩٨ بيان فتنة المئة التاسعة
- ٧٩٩ خاتمة النسخة (ب)
- ٨٠٠ خاتمة النسخة (ج)
- ٨٠١ خاتمة النسخ (هـ-و-ط)
- ٨٠٢ خاتمة العناية بهذا الكتاب

- ٨٠٥ - إلحاق كل شيء بشيء
- ٨٠٥ - بيتان للسيد خادم مسجد النبي ﷺ
- ٨٠٦ - الحث على التغرب والسفر
- ٨٠٦ - اعتذار جميل لبثينة
- ٨٠٦ - رسالة الظاهر بيبرس لأبي نمي ورده للصواب
- ٨٠٧ - الخلافة والخليفة
- ٨٠٧ - خيبة والد في ولده
- ٨٠٨ - سلم للقضاء لا للخل
- ٨٠٨ - وقوع الفتن كما وردنا
- ٨٠٨ - قضاة مصر الفاسدون
- ٨٠٨ - سنة الله في خلقه

- ثَقِّ بِاللَّهِ ٨٠٩
- صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٨٠٩
- الْمُفْتُونَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ ٨٠٩
- النَّسِيمُ رَسُولِي ٨٠٩
- اللَّطَمُ عَلَى مَلِكٍ تَسْوَسُهُ النِّسَاءُ ٨١٠
- بَيْعُ يَدٍ بِيَدٍ أَوْ الرِّهْنُ ٨١٠
- نَصِيحَةٌ ٨١٠
- لَا خَيْرَ فِي عَيْشٍ إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ ٨١٠

- أَهَمُّ مَصَادِرَ وَمَرَاجِعَ التَّحْقِيقِ ٨١١
- مَحْتَوَى الْكِتَابِ ٨٣٩